الأدب

رئيس التحرير

أمين الخولي

العدد الرابع

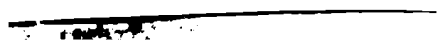

السنة الرابعة

تبدأ « الادب » سنتها الرابعة ، من عمر يطول ما شاء الله ٠٠ وشاءت الهمة وشاءت الامة أن تعرف مكان الفن فى الحياة

ولقد عبرت « الادب » عن نفسها ٠٠ وعن صلاتها بما حولها ، على راس الاعوام الثلاثة ، التى مضت ٠٠ واليوم تقوم هذا المقام لتحدث مثل هذا الحديث ٠٠

واما ، وقد تقرر ان يكون عددها الاول ، من سنتها الرابعة عددا خاصا ، عن التطور الفنى الادبى ٠ ووجهته ٠ وواجبنا نحوه ٠ فمن الحق ان يتجه حديثها اليوم هذا الاتجاه ٠٠ ولخير أن يقف كل واع مثل هذه الوقفة فى مواسم العمر ومنازل السير ٠٠ ليعرف فيم هو ٠٠ ؟ ٠ وكم ذا تقدم ٠٠ ؟ ٠ وأين هو من هدفه ٠٠ ؟ ٠ سنة الحياة اليقظة ٠٠ وخطة الحى المسئول ٠

* * *

عرفت « الادب » بنفسها ، على رأس عامها الاول ، وحددت أهدافها ٠ فاذا هى:

قربان فنى لمجد مصر والشرق
كريمة على نفسها ، وذلك شعار اهلها
مقدرة مكانة الفن فى حياتهم
متمثلة معانى الحياة ومعنوياتها
مدركة حاجة أمتها الى الحيوية الفنية والأدبية
محترمة رسالتها وقراءها
متسامية بفنها وادبها
مؤمنة ــ عاملة
جدير أهلها بحمل الامانة ٠٠ والنهوض بالاعباء

ومضت ثلاثة اعوام زادت تلك الحقائق والعقائد وضوحا وجلاء ، ورسوخا وثباتا ٠٠ فما جدت بها حاجة ما لتعديل فيها ، أو تذييل ٠٠ مهما تتغير من حولها الشعارات ، او تتلون الغايات

وتبدت تلك المثل لكثير من قومها ، كانوا يدركون من الادب غير هذه المعانى الفنية الحيوية ، الايجابية النضالية ٠٠ وينزلون الفن غير هذه المنزلة الجدية الاصيلة ٠٠ فمضى أفراد وجماعات لا ينغصون رءوسهم ، اذا ذكر الفن ٠٠ بل

يصمتون الان ويصبرون .. حين يرون من حولهم يكبرون ويقدرون . وان اولئك المتخلفين ، لماضون فى الغد القريب ، من طريق الحياة .. فلا يعوقون . أو ماضون فى طريقها يؤيدون ..

* * *

ثم حدثت « الادب » بعد عام من التجربة ، عن الصحافة وطريقها ، فى ذلك الدرب المفروش بالأشواك .. على المزالق والمهاوى .. وان أفضى الى روضة فيحاء .. وعن مأزقه التى تضطرب فيها الخطا وتخور القوى .. وان كانت تشام منه مفاتن الروضة ، ويعبق عبير الجنة

ومضت « الادب » تحطم أوهام الصحافة الضالة .. وتطهر ادرانها العفنة .. وتحترم رسالتها الشريفة ، رغم كل شىء .. فى براءة من الافتعال .. وقسوة على الانحلال . وترفع عن السفاسف

ولعلها ظفرت من أعوامها تلك بما تمثله الشكاة التى تتجاوب أصداؤها ، فى أنحاء الوادى ، ناعية الصحافة الفاجرة ، التاجرة .. موجهة جهد المستطاع ، للتخلص منها . والتعويض عنها

« والادب » تعتقد موقنة ان هذا الشعور القوى هو قوة الاصلاح وعدته فى غد تراه قريبا .

* * *

ثم تحدثت « الادب » بعد ذلك الى القارىء عما وجدت منه .. ومن الدنيا حولها ، بعد المعاناة .. فشكت اليه من متعلميه من يحجدون أصولهم ـ ويعقون آباءهم ، ولا يؤدون اليهم من الخير حقهم .

وبكت « الأدب » من القلة المتعلمة هوان أمرها ، ورقة حالها ، وفساد حياتها حتى ما تزيد كثيرا عن السواد الاعظم ، فى الجرمان . والضعة والبؤس الناشب ..

وجاهرت بأنها بحس هؤلاء تشعر ، وبغمهم تصرخ .. وهى لهم لسان صادق ، ووجدان خافق .. وعقل ناقد ، وعزم نافذ .. فذلك فى قلبها وعقلها هو الفن والحياة ..

وذكرت « الادب » الدولة وواجبها فى هذا الشأن ، وأنه لا وجود لها الا بسلامة هذا السواد .. ورغد هؤلاء المستنيرين .. واعتدال أولئك المستعلين .. ولم يكفها اذ ذاك ما للدولة من جهد فى ذلك الشأن .. وبرمت بآفات هيئاتها الفنية ، حتى أمسكت عن الايضاح والاسهاب اذ عافته وتاذت به

* * *

وان « الادب » لتوشك ان تكون حيث وجدت نفسها منذ عام .. لا تشعر ان الركب قد أسرع السير نحو تلك الأهداف ، أوجد جده فى سبيلها ، فشارفها

أو دنا منها .. وان كان اليها يتجه ، ونحوها يرنو .. ولهذا الامر ما بعده .. ولو أن الزمن لا ينتظر .. والتاريخ لا يعذر

وانها لتمضى مجاهدة فى سبيل غاياتها ، قوية التمثل لها .. بينة الحجة اليها ـ مسددة الخطى ـ صادقة العزم

ومن اجل ذلك عنيت « الادب » بالتطور ومراحله ، ووجهاته ، وواجب الافراد والهيئات نحوه ، لتستحث الخطا ، وتستثير القوى ، وتلفت الى حكم الواقع ، وتقنع بالمائل والشاهد

وانها لتمضى مجاهدة فى سبيل غاياتها ، قوية التمثل لها .. بينة الحجة اليها ـ مسددة الخطى ـ صادقة العزم

عبد الرحمن شكرى

الآداب

قديمة • شهيرة

يصدرها الأدباء

الادارة : مصر الجديدة . الحجر : ١٣

ت : ٦١٧٥٠

رئيس التحرير

أمين الخولى

تصدر

عاشر كل شهر

الاشتراك عن سنة بالبريد العادى (أو ما يعادلها)

فى مصر ٥٠ ص

فى الخارج ٨٠ ص

ثمن العدد ٥ ص

البريد الجوى والمسجل بحسابه

عدد ممتاز

الثمن ٧ ص

اجتمعت رغبتنا وإرادتنا الصادقة في حياة علمية سامية لا نرجو بها لأنفسنا
قسبا وكفى فؤادنا حب مصر وحرصنا على أن نختار قائدا يقودنا وهاديا
ينير لنا السبيل إليها فاستقر الرأي على أن نتقدم إلى أستاذنا الجليل
الدكتور أنيس المنزلاوي وهو خير هاد إلى غايتنا وتحقيق رسالتنا. ولم يسع
أستاذنا الجليل أمام رغبتنا الملحة وتكديسه إلى سيطلع بأعبائها
عنا إلا آباء واستجاب وعرض جهوده.

ولم يسعنا أمام هذا العطف وكرم النبل إلا أن نقدم جزيل شكرنا
وقد ابتدأت الدراسة حياتها بالاجتماع في نادي كلية الآداب بالجيزة في تمام الساعة
السابعة من مساء الأربعاء الموافق ١٩ إبريل ١٩٤٩ وقد ترأس الاجتماع حضرة الدراسة
وحضره تلامذة المدرسة الأدباء الدكتور مصطفى عبد الرحمن والطلبة الآتية أسماؤهم
وكلهم طلبة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول قسم اللغة العربية

أنور المعداوي	محمد شعيب المعداوي
إسماعيل الخزامي	عبد الكريم غنوب
فريد أبو زيد	عبد الكريم بهم ثابت
مصطفى ناصف	جرار عرفات الصعدي
عبد اللطيف الخليفة	رجاء العزبي
أحمد عبد اللطيف	بهاء الدين زيادة
محمد المعداوي	عبد المنعم البسالمي
أحمد حسونة البرياعي	علي محمد عرفة
عبد الغفار البسيوني	سيد الشاير الجواري

منذ خمسة عشر عاما

سجل الاعلان لوجود المدرسة فى مثل هذا الشهر سنة ١٩٤٩

كتبه شبـاب مصر وفلسطين وسورية ، والعراق وافغانستان وشمال افريقية، يؤمنون برسالة الفن ، وهم اليـــوم فى مواطن التوجيه ببلادهم .

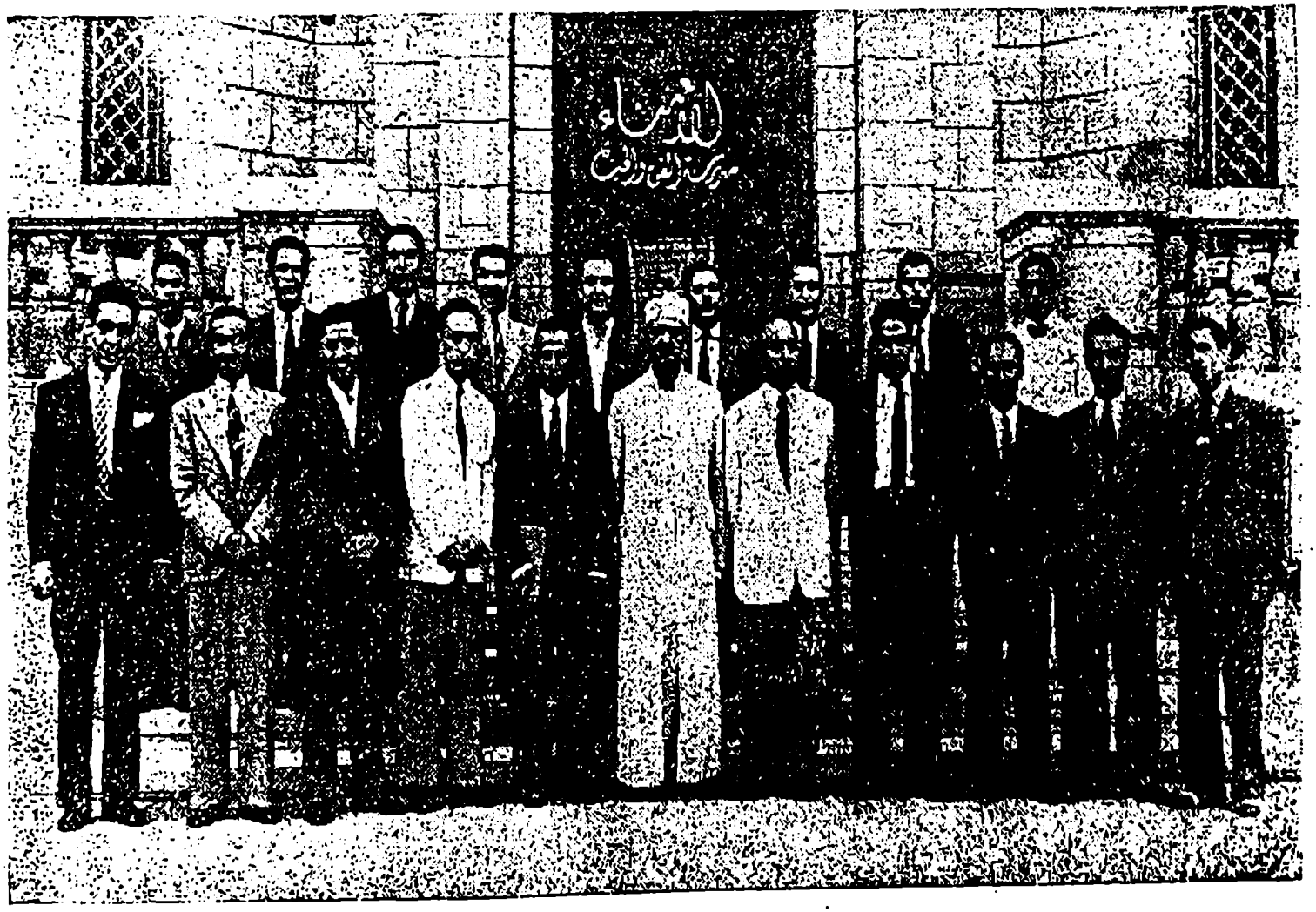

« الأمناء » ...

فى اجتماع لهم على رأس العام الاول من اعلان مدرستهم سنة ١٩٤٥

الأمناء
في عامهم السادس عشر

يجمل بنا ، وهذا العدد من الأدب ، يعمد الى حديث دارس عن التطور الأدبى والفنى أن نشير بين يدى هذه الكلمة عن عيد الأمناء لخمسة عشر عاما من اعلان مدرستهم ، الى معنى اجتماعى فى فهم تطور الحياة بالكائنات المعنوية بل المادية أيضا .. ذلك أنه ربما ساغ للنظر القريب فى مسير الوجود أن يبين لظواهره أوليات ويحدد لبدئه خطوات ، يؤرخ لها بأيام وسنوات .. وكذلك نجد هذا كثيرا فى صنيع القدماء حتى أنهم يفردون مؤلفات خاصة بالأوليات ..

وهو صنيع يتناسى ما وراء الظواهر البادية ، من سنين عاملة ، وقوى دافعة يستتر منها ويستتر ما يهيىء وينضج ، ويدبر ويحكم ويسير وينظم ، فما يكون الذى يبدو للزائى سويا يوم ظهوره ومولده الا أثر اعداد سابق ، وانضاج متقدم .. وليس من الحق أن يبدأ عمر هذا الكائن أو تلك الظاهرة من يوم مولده ، وساعة استهلاله .. فهو بلا شك ربيب شهور أو أعوام .. بل دارت أجيال .. وأجيال ..

فاذا ما آثرنا اليوم الحديث عن « الامناء » فى عيدهم السادس عشر ، ونشرنا صورة من السجل الخطى لاعلان وجود مدرستهم فليس من الحق ان تقدم هؤلاء النفر وسواهم لحمل الامانة الفنية الاجتماعية ، وتركز فكرتهم عن تلك الامانة ، وتحديد أهدافهم فى سبيل ادائها .. قد كان ذلك كله وليد يوم كذا من شهر أبريل سنة ١٩٤٤ .. كلا .. بل سبق هذا اليوم وذاك الشهر بل سبق العام كله أعوام ، اتضح خلالها الشعور ، واتجه الفكر ، وجد الجد .. وبعد كل أولئك كان هذا الاعلان لوجود « الأمناء » مدرسة الفن والحياة ، انما هو كما قال البلاغيون القدماء : اعلان للتأكيد لا للتأسيس .. والامر أسبق من ذلك وأعمق ..

منذ أجيال قبل هذا التاريخ كانت حياتنا تتحول وتتطور بفعل ما تعرض له من عوامل مختلفة متشابكة .. وكان من ظواهر ذلك أن أخرجت دراسة اللغة والادب من الازهر وانشأت لها مدرسة دار العلوم .. وبعد عقود أخرى من السنين ، أخرجت درس الشريعة وما يتصل بها من اللغة والأدب ، الى مدرسة القضاء الشرعى ، ولهذا من أسبابه واثاره ما يراه القارىء فى هذا العدد نفسه من مقال اتجاه التطور الادبى

وتسير الحياة قدما فتكون جامعة أهلية تتحول بعد سنين الى جامعة

أميرية تخطو خطوات الى الامام فتغير المقررات الادبية القديمة التى كانت تعنى بها معاهد نصف مدنيـــة أو نصف دينية ..

ويمضى الامر على ذلك فى الجامعة سنين .. وعوامل التطور تؤثـــر أثرها المقضى .. فالحياة يقوى وعيها وينمو جدها ، وتحتاج الامة المناضلة عن حقها فى الوجود والحياة الكريمة الى ما تحتاج دائما اليه الجماعـــة ، الراشدة من الأســـاس الوجدانى لنهضتها .. فيكون « الأمناء » عـلى الزمن هم الاستجابة الجادة ، لهذه الحاجة الماسة ..

وفى الجامعة يتجاوب شـــباب موف على الكهولة مع شباب فى ابانة وعنفوانه .. سامى المطلب . واسع الافق .. فيجد هذا وهـــؤلاء فى تأصيل فنية الادب ، بمعناه الانسانى الجليل .. ويرفعـــون هذا الادب الفنى الى مستوى كريم ، يفـــرد له مكانة بين العلم والفلســـفة .. ويحررون مناهج الدرس ، ومذاهب البحث .. وينفون ظواهر الوهـــن والزيف عن ذلك كله .. وأولئك فى جملة الامر ، هم « الامناء » مدرسة الفن والحياة .. التى سجل الشباب اعلان وجودها فى أبريل سنة ١٩٤٤، فهى بهذه الاولية تخطو الى عامهـــا السادس عشر .. وهى فى حساب النظر الاجتماعى أسن من ذلك وأكبر ـ ولعل المعنى فى حياتها ، والفكرة فى وجودها قد جاوزت الثلاثين

والزمن يدور ، والجد يتصـــل ، والتطبيق يكشف ، والمقاومة تثور ، ويهدد مستقبل شباب ، وتهاجـــم كهولة .. والقافلة تســـــير .. والتاريخ يعرف .. وليس هنـــا موضع بيان وتفصيل لاهـــداف أو أعمال .. ولعل المجال يسمح بنشر أهداف للامناء تركزت . ليفصـــل التطور تجملها .. .

ولقد كانت « الادب » فى سنين من هذا العمر لسان بيان ، ومجال ايضاح ، وميدان تجربة للقضـــية الجامعة . الفن والحياة .. وقـــد حدثت وما زالت تحدث عن أهداف .. ومذاهب .. وامال .. وغايات .. وجد الامة المتصاعد . وايمانها الوثيق يخلق من يحمل الشعلة على الدهر .. ليكون الامناء ، كما أرادوا دائما أن يكونوا : معانى لا شخوصا .. ومدرسة لا جمعية .. .

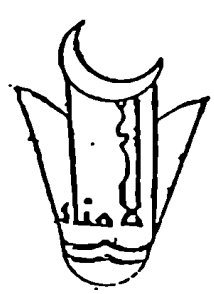

حياتنا الفنية

متى..؟..الى أين..؟..ماواجبنا..؟

حياتنا الفنية .. بنشاطها الوجدانى .. على اختلاف الوانه .. فى شعور الجمهرة الساذجة وفى وحى الخاصة الشاعرة ..

وحياتنا العلمية .. بنشاطها العقلى .. على قرب غايته .. او بعد مداه .. فى اليسير من الدرس المجرب .. وفى المشاركة العالمية الجادة .

وحياتنا الاجتماعية .. باوضاعها الوراثية .. تحميها التقاليد الراتبة .. او تهزها التيارات الوافدة ..

وحياتنا العمالية .. بجهدها الفردى المبدد .. او جهادها الجماعى المركز .. فى ميادين بدائية .. او محاولات كبرى مدنية ..

حياتنا .. وحياتنا .. وحياتنا .. فى نواحيها المختلفة ، وجوانبها المتعددة .. حين ينالها وعى فاحص .. ويعوزها اصلاح اصيل .. نريد لنعرف : اصاعدة هى ام هابطة .. امتخلفة هى ام متطلعة .. امهتدية هى ام حائرة .. اتساير الدنيا حولها ام تحلم باوهام ماض مات .. وكيف يصلح امرها .. وبم يسدد سيرها ..

وكل كائن حى ، نابض الحياة لا بد له ، على راس خطوات مسيرة ، بين الحين والحين من هذه الوقفة وتلك النظرة .. لينتهى منها الى ميزانية .. متوازنة أو مختلفة .. دائنة .. او مدينة .. رابحة او خاسرة .. يعد على اساسها خطة غده .. ويعد لمستقبله .. ويتهيا لقابل ايامه .. وجديد اعوامه .

***

وحين يقف احد منا تلك الوقفة ، امام جانب من جوانب حياتنا المختلفة .. فهل يجد سبيلا الى ابواب هذه الميزانية .. وهل يستبين من امرها ما يهيء

للنتائج الصادقة ، ويقدم الاحصاءات الفاحصة .. أم تتـــوه عليه المعالم .. وتشتجر المسالك ؟ واذا الأمر بدد .. والرأى مريح ـ ان أمكن أن تجد شيئا من رأى ..

انك ـ ولله الحمد على المكروه ـ تحاول أن تتسمع ما يقال .. أو تتلمس ما فى القول والعقول ، فترى ألوانا .. وتشهد أشكالا .. وتســـمع غرائب .. فمنا أصحاب أمس يروننا فى آخر الزمان ـ ويلمسون أشراط الساعة .. ويسألون الخروج من الدنيا بلا فتنة فهى حولهم تدبر ولا تقبل .. وتتدهور الى حضيض ، ومحال أن تتقدم .. وقد ذهب كل خير .. وظهر الفساد فى البر والبحر .. وما هؤلاء ناس .. ولكنهم نسناس .. وما فسد الناس ، ولكن أطرد القياس .. فما تسمية فنا ليس الا عهرا .. وما تدعوه علما ليس الا كفرا .. يشغل عن الآخرة ويفتن بالدنيا .. وماتسميه عملا ليس الا المسير المبدد .. وقد طارت البركة ، حين تركت السنن .. واختلت الأسس .. فلم يعد لنا سمت السلف .. ولا هدى السابقين .. ولا دل المؤمنين .. ولا أسلوب الراشدين .. فى كبير من أمرنا أو صغير ..

وكم أصحاب هذا الامس بيننا ؟ .. وما مكانهم فى وجودنا ؟ .. وما أثرهم على نشاطنا ؟.. وكم منا من يخافهم .. ويتملقهم .. ويداورهم فيكذب عليهم .. أو يسخر بهم ، أو يحقد عليهم متمنيا لهم الوباء والبلاء .. ؟ ما تدرى عن ذلك صحيحا .. ولا تحصى عددا .

***

ثم منا ـ ولا شك ـ أصحاب غد .. واثبون .. ناشطون .. طامحون .. يحسون ويشعرون ويبتغون ويجاهدون .. يرون لنا ماضيا لايبخس .. وتراثا لاينكر .. وهو فى جلاله وثباتة دعامة لغد باهر .. واساس لمستقبل زاهر .. تحترمه الدنيا .. ويصغى له الكون .. ونحن على الطريق .. أبطأنا أو أسرعنا .. وحالنا فى تحول ولا مفر .. وشئوننا فى تطور لا معدى عنه .. ويكون من ذلك مايكون من خير تتكفل به سنن الكون .. وهى لاتقف ولا تجمد .. وهى أقوى ممن يعترضون .. وامضى ممن يقاومون .. وآمل ممن ييئسون ـ وما هو الا أن يوفروا عليهم الجهود الضائعة .. ونرفع بالايمان العقبات الواهمة فيكون ما لا بد أن يكون من مصير حتم ..

وكم أصحاب هذا الغد فينا .. واين مكانهم منا .. وماذا فى يدهم من أمرنا .. وما أثرهم على وجودنا ؟ وكم ذا يكيدون لهم .. أو يسخرون منهم فى سرهم .. أو يدعون عليهم بالبلاء .. ينتظرون لهم الفناء ؟.. وأى القوتين يرجى ان تغلب ؟ ما تستطيع ان تعرف عن ذلك خبرا يقينا .. ولا بلاغا دقيقا .

ثم .. ثم منا ، بين أصحاب الأمس المدبرين .. وأصحاب الغد المقبلين فئات وفئات .. فى درجات .. وعلى طبقات .. يتوســـطون فى ذلك على نسب

متفاوتة ، يختلف حظها من جمود ، ونصيبها من مرونة .. ولكن كم فئاتهم .. وما عديدهم .. وما مدى الناجون منهم ، ومن الهالكون .. وأى شىء لهم من أمرنا .. وما خطرهم على وجودنا . وكيف يتفاعلون .. ويتناحرون .. ؟ .. وما أصعب أن تصل من ذلك الى خبر يقين .. أو بلاغ مبين .

ولكن ما العمل .. ولا اصـــلاح الا على أساس خبرة .. ولا علاج الا عن تشخيص صحيح .. فكيف السبيل الى ما لا بد منه فى ذلك : من رصد .. وضبط .. وتسجيل .. واحصاء .. وتحليل ووصف .. وتعليل وتفسير .. مهما يكن ذلك كله طويلا وعسيرا .. وشاقا ودقيقا ، فان منه العام المستطاع .. الواضح الصادق الدلالة الدقيق لا يعتريه دخل ولا خلل .. وان لم يكن الوافى الكافى الواجب ..

أولئكم هو ماتسجله ظوهر الواقع الملموس .. وواقعات الشاخص المجسم .. من تحولات واضحة الخطوط فى المظهر والمخبر .. والملمس والمنظر .. من نتائج التحول الفعلى .. وآثار التطور العملى .. التى لاينكرها مكابر .. ولا يشاح فيها مفتون .. مهما يكن رأيه فى تفسيرها وشعوره نحوها .

تلك الشواهد من آثار التطور ولو صح اللفت اليها .. ودق الوعى لها لكانت فيصلا قريبا ، ومخبارا جليا ، يكشف مجمل النتائج .. ويبين أمهات الأسباب .. الى أن يتولى الاحصاء .. والدرس الفاحص حقائق التفصيل فى ذلك .. ومسالك الطريق ..

وأهم من ذلك وأجدى أن رصد هذا التطور ومراقبته تكون شاهدا بارزا يدفع فى قفا أصحاب الأمس المتخلفين .. ويضيق من شقة الخلاف بينهم وبين أصحاب الغد الوائمين لركب الحياة .. ويوفر غير قليل من الجهد فيما تضطرب الآراء فيه من فجر الأمس ومطلع الغد .. واذا كان التطور واقعا والايمان حقا فقد استقمنا على الطريقة ، وصحت منا الوجهة .. ولهذا الأمر ما بعده ..

***

لكل أولئـــك كان التطـور الفنى بعامة والأدبى بخاصة موضوع هـذا العدد من الأدب .. فى مطلع عامها الرابع .. تلفت به الأنظار ، وتحفز الهمم ، وتحـــدد الأهداف ، وتقلل الخلاف ، وتثير به العـزم الى البحث المحلل الفاحص العميق ..

وكان التطور الفنى بطبيعة الحـال موضع عنايتنا لأنه الأسبق والاول، والذى يتقـدم كل تحـــول ، ويرود الطريق لكل نهوض .. وهو — فى الوقت نفسه — موضع جهدنا الخاص، ونشاطنا المفرد ..

وكان الراى فى فهم هذا التطور أن نبدأ فنعرف متى تحـــرك الركب ، ونبض الوعى ، وبدأ التحول ، وكان التحرك ، وما نريد من متى الســاعة ولا اليوم ، ولا الشهر ، ولا العام ..

بل نريد اليقظة فى جملة أمرها ، وبعد ما هيأ لها من أسباب ، واختمر من عوامل .. واذا عرفنا على هذا الوجه فرق ما بين الجمود الخامل .. والتنبه المدرك فقد بان لنا متى تنفس الصبح وسجا الظلام .. وذلك مطلع الصواب فى التفريق بين أمس نغادروه ، وغد نبادره .

واذا عرفنا ميدان البدء أمكن تتبع الخطوة ، وضبط السير .. واذا ما تتابعت الخطا ، وتتالت الحركات استبانت الوجهة رويدا رويدا .. واذا ما تعينت الوجهة قدر المستطاع وعرفنا الى أين استطعنا ان نفسح الخطر ، وندع بنيات الطريق .. فلا نضل ولا نتوه .. ولا نجيء ونروح .. وعلى هذا نستبين واجبنا ، ونوجه جهدنا .. على هدى وبصيرة .. فيدعو الداعون ويدبر المدبرون ليعمل على الهدى العاملون .. راشدين موفقين ..

وكذلك كانت خطوات ذلك البحث فى التطور ، على ما تمثلته الأدب ، وتقدمت به تسائل أولى الرأى ، وتسأل أهل الذكر هى الخطوات التالية على الترتيب :

١ ـ متى بدأ التحول الحديث فى كذا من نشاط حياتنا الفنية والأدبية ؟

٢ ـ ما خطوات التطور فى هذا الميدان .. ؟

٣ ـ ما وجهة هذا التطور .. ؟

٤ ـ ما واجبنا أفرادا وهيئات فى هذا التطور ؟

وبما تؤمن به « الأدب » من الوحدة الفنية اتجهت الى طلب الرأى من أصحاب الفنون جميعا .. لم تدع من ذلك فنا ، بل تتبعت من الأدب وبعض الفنون فروعا خاصة .. وقالت للسادة المسئولين انها : على ضوء ما تجمعه من البيان الوافى المشرق ، لهذه النواحى ستعمل فى خدمة الحياة الفنية ، على أساس من الصلة المتسقة بين الفنون جميعا ..

ولئن اتجهت « الأدب » بأسئلتها هذه الى نفر كرام فانها لتؤمن ان فى الكنانة سوى هؤلاء من السهام ، وان السؤال بحكم الواجب الاجتماعى موجه الى كل من يعرف .. وأنها ترحب كل الترحيب بما يجيئها من كل ذى معرفة .. وتفسح له المكان اللائق .. وتوسع لحديث التطور ما شاء العارفون أن يوسعوا .. لأنه كما أسلفنا أقرب الوسائل الى الاهتداء ، وأبعثها للثقة والنشاط بين يدى الدرس الاجتماعى المفصل المخطط .

ولئن خرج هذا العدد بقدر من بيان التطور الفنى الأدبى فان لهذا البيان بقية مما وافى به « الأدب » أولئك المسئولون .. ويوافيها به فى هذا الشأن المعنيون العارفون .

في

درس الأدب وتاريخه

> ليس الانتاج الأدبى اقل نفعا ، ودفعا للأمة الى الرقى من سائر الوان الانتاج فى العلم والفن والصناعة والزراعة ، لأن الأدب قوام الحياة للعقول والقلوب والأذواق جميعا .

الذى أعلمه ان أصل هذا التطور انما جاءنا من الغرب الاوروبى . وكان أول من حاول أن يبدأ هذا التطور أحد المصريين الذين تخرجوا فى دار العلوم أو فى غيرها من المعاهد لا أدرى . ذهب الى أوروبا ودرس فى احدى جامعاتها ورأى كيف يدرس الادب وتاريخه هناك فحاول أن يدرس الادب العربى وتاريخه على نحو ما رآهما يدرسان فى الجامعة التى كان يختلف اليها .

ولكنه لم يزد فيما يظهر على أن نقل عنوان دراسة تاريخ الادب الى اللغة العربية وحاول أن ينظم هذه الدراسة شيئا ما . ولكنه فيما أظن لم يتعمق نهج الاوروبيين وانما عرف ظاهرا منه

واذا صدقتنى الذاكرة فقد سمى منهجه الجديد تاريخ آداب اللغة العربية . ثم ذهب جورجى زيدان هذا المذهب نفسه متأثرا به أو مقلدا للاوروبيين تقليدا مباشرا . فألف كتابه تاريخ آداب اللغة العربية من أجزاء أربعة تابع فيها عصور الادب العربى يرتبها على العصور السياسية . ولكنه أيضا لم يتعمق فقه التاريخ الادبى وانما حاول شيئا من التنظيم والاحصاء ثم لم يكد يزيد على ذلك . وكانت الخطوة الثانية أعمق وأخصب وأبعد أثرا فى نفوس بعض الدارسين للادب من المصريين .

وكانت الجامعة المصرية القديمة هى التى خطت هذه الخطوة القيمة حين دعت أساتذة أوروبيين ليلقوا محاضرات فى الادب الانجليزى والفرنسى على منهجهم الذى عرفوه فى بلادهم. ودعت الجامعة فى الوقت نفسه أساتذة من المستشرقين الاوروبيين لالقاء محاضرات فى تاريخ الادب العربى .

وكان أول هؤلاء المستشرقين المستشرق العظيم أ. نياتسو جويدى . وكان شيخا قد تقدمت به السن . فلم يحاضر فى الجامعة الا سنة واحدة لم يعرض فيها لتاريخ الادب العربى بالمعنى الدقيق . وانما القى محاضراته عن شىء سماه ادبيات التاريخ والجغرافيا عند العرب . فأشعر طلابه بما يمكن أن يكون بين

بقلم: طه حسين

هذين العلمين وبين الادب العربى • ولكن فى غير تعمق أيضا • ثم دعت الجامعة بعده أستاذنا الجليل كارلو نلينو وهو الذى خطا بدرس الادب العربى وتاريخه أقوم خطوة وترك فى نفوس طلابه أعمق أثر وهو الذى علم قليلا من الشباب المصريين مناهج الدرس للادب العربى وتاريخه وبين لهم صلة الادب ببيئته وعصره وما يكون من تأثر الادب بظواهر الرقى والانحطاط للحياة العقلية أولا وللحضارة المادية ثانيا •

ذلك الى أن غير واحد من شباب المصريين جعلوا يعبرون البحر الى أوروبا لدراسة الادب وتاريخه فى جامعاتها •

درسه بعضهم فى فرنسا ودرسه بعضهم فى انجلترا منهم من درس الادب العربى نفسه ودرس معه أطرافا من الآداب الاجنبية ومنهم من فرغ لدرس هذا الادب أو ذاك من الآداب الاجنبية • وهناك عرفوا مناهج الدرس وطرائقه واتصلوا بالمستشرقين وعرفوا قليلا أو كثيرا من آثارهم وعرفوا كذلك مذاهبهم فى البحث ووسائلهم اليه ثم عادوا الى وطنهم فرأوا مادة الادب العربى موفورة خصبة وصلت الينا كما هى ثم تركت مهملة أو كالمهملة • نشر قليل منها وترك الكثير نائما فى دور الكتب لم يكد يعن به أحد ولم يكد يحاول أحد تنظيمه • فضلا عن نشره واستخلاص أسراره وتعمق فهمه • ورأوا ما نشر منه قد نشر على غير منهاج ولا تحقيق لنصوصه فهو منشور وكأنه لم ينشر ونظروا الى ما يدرس على نحو لا يغنى عن الاساتذة الذين يعلمونه ولا عن الطلاب الذين يتعلمونه شيئا ورأوا أن أمامهم عبئا ثقيلا كأثقل ما تكون الاعباء وهو احياء هذا الادب بالنشر المنهجى الصحيح وفقهه • وفقه المؤثرات فيه وفقه ما كان له من أثر لا فى نفوس الذين قرأوه أو سمعوه فحسب بل فى نفوس الادباء الذين جعلوا ينشئون الشعر والنثر فى غير انقطاع • ثم تعليم الطلاب حقائق هذا الادب من ناحية ومناهج استكشافها من ناحية أخرى وعرفوا أن هذه الاعباء الثقال لا ينهض بها جيل واحد وانما تنهض بها الاجيال على تتابعها وأتيحت لهم الجامعة المصرية الحكومية التى تسمى الان جامعة القاهرة والتى أنشئت فيها كلية الآداب ودعى اليها الاساتذة الغربيون من أمم مختلفة يعلمون الآداب الاجنبية الحديثة والادبين القديمين اليونانى واللاتينى ويعلمون اللغات السامية وبعض اللغات الشرقية الحية فاتيحت بذلك لدرس الادب العربى وسائل لم تعرفها البلاد العربية من قبل • وكان لهذه الكلية فى النهضة المصرية عامة وفى النهضة الادبية خاصه أبعد الآثار وأشدها عمقا واتساعا • وجعلت هذه الكلية تخرج أجيالا من الشباب يعرفون كيف يدرس الأدب العربى وتاريخه وكيف تبتغى الوسائل الى فقه هذين اللونين من ألوان المعرفة • وجعل أساتذة الادب والتاريخ فى هذه الكلية وطلابها يجدون ويكدون حتى فرضوا مذاهبهم فى البحث فرضا لا على المعاهد العلمية فى وطنهم فحسب بل عليها وعلى المعاهد العلمية فى بلاد الشرق العربى كله •

وبلغت العناية باحياء الادب العربى ودرسه مبلغا لم تعرفه البلاد العربية منـــذ قرون طوال • وليس هذا بالشىء القليل •

وظاهر جدا أن وجهة هذا التطور الخطير انما هى احيـاء الادب العربى القديم أولا وفقهه على احسن وجه وأكمله ثانيا واذاعة هذا الفقه ومناهجه بين المثقفين الذين لم يتخصصوا فى هذا النحو من الدرس لتستقيم أذواقهم ويستقيم تفكيرهم الادبى ويستقيم آخر الامر حكمهم على القيم الادبية وتتأثر بهذا كله كتابتهم حين يكتبون وقراءتهم حين يقرأون وأحاديثهم حين يتحدثون • هذا كله الى جانب شىء خطير تحرص عليه الامم الراقية كلها هو اشعار الناس بأن لهم شخصية يجب أن تمتاز أولا وأن تتصل بقديمهم ثانيا وأن تطمح طموحا قويا الى مستقبل خير من حاضرها الذى هى فيه ومن ماضيها الذى لا تنساه •

وواجب أفراد النـــاس وجماعاتهم والقائمين على أمور الحكم فيهم هو أن يعلموا علم اليقين ان هذا التطور ليس له أمد يقف عنده أو غاية ينتهى اليها وانما ينبغى أن يكون متصلا بمقدار ما تتصل حياة الامة وأن يكون فى كل جيل مقبل أرقى مما كان فى الجيل الذى سبقه وأن يعلموا علم اليقين أن انتهاء هذا التطور الى أمد ليس له معنى الا جمود الحياة وفسادها وواجب آخر ليس أقل من هذا الواجب خطرا وهو أن يعلموا علم اليقين ان العناية بهذا اللون من المعرفة ليس أقل خطرا فى حياة الامة من العناية بسائر ألوان المعرفة الانســـانية • وليس الانتاج الأدبى أقل نفعا ودفعا للأمة الى الرقى من سائر ألوان الانتاج فى العلم والفن والصـــناعة والزراعة • لان الادب قوام الحياة للعقول والقلوب والاذواق جميعـــا •

ولسنا نعرف فى تاريخ الانسانية على اختلاف عصوره أمة اســـتطاعت أن تنهض فى العلم والفن والحياة المادية على اختلاف فروعها دون أن يكون الادب قواما لنهضتها بل مؤسسا لهذه النهضة ومصاحبا لها دائما •

فى النقد الأدبى

النقد كالفن مظهر من مظاهر الجهد الفردى ولكنه لا يعيش الا اذا كان معبرا عن الجماعة او عن الانسانية على الأصح ٠

أعتقد ان درس النقد وممارسته فى أدبنا العربى الحديث قد بدأ بمدرسة العقاد وشكرى والمازنى حوالى سنة ١٩١١ عندما كتب المازنى ثم العقاد هجومهما على شعر حافظ ابراهيم ثم تبلور التيار عندما قدم العقاد لديوان شكرى فى جزئه الثانى ثم ظهر كتاب للنقد مستقل هو كتاب الديوان بقلم العقاد والمازنى ٠

وهذه المدرسة درست ، فى حدود امكانيات العصر ، الشعر العربى الحديث لأول مرة فى ضوء ما يمكن ان يسمى نظريات نقدية أو آراء فنية ٠

كانت هذه المدرسة تنقد الشعر الحديث نقدا مبنيا على قراءات مفرقة فى النقد الانجليزى ٠ ولولا انها لم تكن مؤسسة تاسيسا سليما على ما فى النقد العربى القديم وتراثه من بذور سليمة خاصة بطبيعة الشعر العربى منذ وجد لأوجدت هذه المدرسة اساسا قويا لنقد موجه سليم ٠ ولكنها يكفى أنها كانت الرائد الأول فى هذا الميدان ويكفى أنها ربطت الشعر التقليدى بما فيه من مزايا وعيوب بالعصر الحاضر ، وتلقف دعوة التجديد من هذه المدرسة كثيرون وطبقت (وهذا هو الأهم) افكار هذه المدرسة من بعد شكرى نفسه مدرسة المهاجر الامريكى الشمالى الى مدرسة الرابطة التعليمية وكان لهؤلاء الشعراء من ظروفهم (التى لا مجال للافاضة فيها هنا) ما مكنهم من تأليف شعر رغم عيوبه الكثيرة كان له الفضل فى ترويج الفكرة الحديثة عما يجب ان يؤديه الشعر من معان وأفكار وعما يجب ان تكون عليه من خلق وابتكار ٠ ثم توالت طبقات الشعراء المحدثين فاذا كثير جدا من تجديدهم يعود الى هذا التيار ٠

وأخذت كلية الآداب جامعة القاهرة منذ نشأت فى تغذية هذا التيار غذاء سليما مبنيا على أسس علمية وفنية ٠ فأخذت تدرس البلاغة العربية القديمة درسا حديثا يدل على مواطن الحياة فيها وينفى عنها صلابة الجمود الذى

تقديم : سهير القلماوى

أصابها قرونا طويلة • وإلى جانب هذه الدراسة السليمة قامت من بعد بدئها والى جانبها دراسة الأسس النقدية الغربية دراسة صحيحة تبدأ حيث يبدأ هذا النقد منذ التراث اليونانى القديم ثم يسير حتى يصل الى العصر الحاضر •

وبعد أعوام من قيام هاتين الدراستين جنبا الى جنب نشأت الدراسات المقارنة بين النقد العربى القديم والنقد الغربى الحديث •

أما وجهة هذا التطور فهى ما نلمسه اليوم من رغبة ملحة فى تحقيق دراسات مستفيضة وافية لتراثنا الفنى فى شتى صوره • بل من محاولات موفقة فى هذا الميدان ما زالت فى طور البداية ولكنها بداية عند بعض النقاد سليمة قوية مبشرة بالكثير • ولعل أهم ظاهرة تدل على سلامة هذا التطور فى وجهته بعامة ما نشأ حديثا من اهتمام دوائر الفن (فى الفنون الاخرى) كالفن التشكيلى مثلا بوصل العلاقة بين نقاد فن الأدب ونقاد فن الرسم والنحت لتطبيق شىء من هذه الحقائق الكبيرة التى وصل اليها نقاد الفن المقارن فى الغرب على واقع فننا الشرقى فى شتى صوره •

ولست أقول ان اهتمام النقاد بالنقد المقارن بين الفنون أمر حديث ولكنى أرصد فى هذه الناحية للاهتمام الذى يضم طائفة لا أفرادا والذى تتعدى آثاره مجرد تأليف كتاب يقرأه الخاصة • ذلك ان أحياء النقد المقارن بين الفنون قد وجد فى هذا الموسم بانذات فى متحف الفن الحديث صورة مشتركة بين جمهور (وان يكن قليل العدد) وبين مختصين فى نقد الفن من الناحية الشكلية والادبية بل النفسية أيضا •

كل هذا فى نظرى يؤدى الى أن حركة النقد رغم ظاهرها السطحى الذى لا يدل على عمق أو تخصص تحمل فى اتجاهها العام تيارا سليما بدأ كما تبدأ كل حركات الاصلاح أو التجديد ثم سار وما زال يسير نحو وجهة واضحة وغاية مرسومة وان لم يميزها كثير من العاملين فى الميدان أنفسهم •

أما واجبنا فى هذا التطور أفرادا وجماعات فانى ، أحب ان أنبه الى أخطر خطر يتهدد هذا التيار وهو ادعاء المدارس حيث لا مدارس وتكرار الآراء المعروفة المسلم بها بداهة على انها شعارات مدرسة مجددة أو شعارات جماعة مؤثرة • ان العمل فى ميدان النقد الادبى قد يكون احتاج قديما الى مدارس ومذاهب ولكنه جاوز هذا الطور فى تقدمه فاذا النقد يحتمل جميع المذاهب ويطيق جميع المدارس • ولا يتطلب من الناقد أكثر مما يطلب من الفنان نفسه ان يكون مخلصا للفن ولرسالته • وليكن مذهبه أو لتكن مدرسته ماتكون وليمل الى ما يؤمن انه الحق وليتذوق ما يراه جميلا فى اخلاص ، انه حر حرية الفنان • ولا بد لنا من خضم وافر من فن زائف حتى يبرز النقد الخالص والفن الخالص كما يجب ان يبرزا بروزا طبيعيا من خلل كل ما حولهما من زيف وقبح •

وواجب الفرد فى هـــذا فيما أرى أوضح من واجب الجماعة • لان النقد لايمكن ان يكون جماعيا الا فى مرحلة التذوق ليس غير • أما مرحلة تأمل هذا التذوق وتقليله ودراسته فهـــو كالفن لايمكن الا أن يكـــون فرديا • وقد يصبح كالفن لابد له من مؤلف فرد وان يكن مجهولا وان يكن كفرد سيتوالى مـع غـــيره على الاثر الفنى بالابدال والاضافة والحذف • انه لن يكون جماعة تعمل معا ولو تعدد عدده بتوالى الزمن وتغير البيئة • فالنقد كالفن مظهر من مظاهر الجهد الفردى ولكنه لا يعيش الا اذا كان معبرا عن الجماعة أو عن الانسانية على الاصح •

لذلك لا أرى للهيئات أو الجماعات دورا الا كالدور الذى تقـــوم به فى الفن • من تشجيع وتقبل ورغبة فى تبين الصحيح من الزئف واســـتعداد فنى لامـــكان تمييز الصـــحيح من الزائف وتذوق السليم وحماية النفس ضد الفن المريض •

وان كان هناك واجب للهيئـات فهو واجب الاعداد السليم لتذوق الادب ونقد الادب فى مراحـــل الدرس على مختلف الاعمار والبيئات • وحمـاية القاصرين سنا أو استعدادا من غارات الفن الرخيص •

وبعد فمجلة الأدب كهيئة بنشرها هذه الآراء جميعا بصرف النظر عمـا يراه صاحبها فى هذه الآراء من خطأ أو صواب تسلك مسلكا علميا سليما وتؤدى للقارىء الامانة كما هى فهى بهذا مثلا تقوم ببعض ما يجب ان تقوم بمثله الهيئات من معاونة الجماعة على تبين الطريق ومساعدة القراء على ايجاد رد على أسئلة كثيرة تدور برؤوسهم حيرى تطلب لها جوابا •

بنك مصر

درج بنك مصر على مسايرة النهضات التقدمية • فلما تفجرت النفـوس وانبعثت الثورة وانبثق نور الشعلة المقدســة تجاوبت كل هذه الظواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر ومع الأهداف العليا التى رمى اليهـا فى حرب الاستعمار الاقتصادى فانشـــا شركاته التى كانت جيوشا حارب بها الاستغلال الاجنبى فى شتى ألوانه والرق الدخيل فى مختلف صوره •

فى الشعر

كان الشاعر فى عصور الحكم الاستبدادى يرتهن مصيره شاعرا بتقربه من ذوى السلطان ، واتصال اسبابه بهم ، وتسخير لسانه لتبرير اخطائهم وحماية مصالحهم .. ولكنه اليوم لا يعيش شاعرا الا بقدر ما يعبر مخلصا عن ذاتيته كفرد فى جماعة ناطت به مهمة القيادة الروحية

يميل مؤرخو الادب الحديث الى عد الشاعر « البارودى » نقطة بدء فى التحول الجديد الذى طرأ على الشعر العربى المعاصر والحق أن البارودى قد عاد بالشعر الى قديمه البعيد ، واسترد له رونقه الذى انطفأ فى عصور الانحطاط . وهذه الرجعة بالشعر الى عصر البحترى والشريف الرضى ، منذ عشرة قرون أو تزيد ، لايمكن فى حساب الفن أن تعتبر نقلة حاسمة نحو التطور الذى هو فى حكم الطبيعة تحول وانتقال الى جديد .

وليس يضير البارودى أن يكون شاعر بعث لا شاعر تطور ، فما كانت ظروف عصره وحالة الشعر فى بيئته وزمانه ، لتسمح له بأن يؤدى الدورين معا وانما حسبنا وحسب الشعر العربى منه ، أنه نهض وحده بعبء البعث وعاد بالشعر الى ما يسمونه العصر الذهبى ، ثم ترك لمن بعده أن يبدأوا من حيث انتهى هو ، ولو لم ينهض البارودى بهذا الدور الجليل ، لكان على العربية أن تنتظر « شاعر البعث » قبل أن تطمح الى شاعر خلاق مبدع مطور ، اذا صح هذا التعبير .

ولا أطمئن الى القول بأن مدرسة بعينها من تلك المدارس الشعرية التى جاءت على أثر البارودى ، وشغلت النصف الأول من القرن العشرين ، قد نهضت بعبء التطور جملة . وانما الذى أميل اليه ، هو أن المرحلة التى أعقبت البعث ، قد شهدت محاولات شتى فى التجديد ، مؤذنة بالتحول فاتجهت مدرسة جبران ومطران وشعراء المهجر ، الى فنية الاداء واتجهت مدرسة أبولو الى عاطفية التناول ، وجاء شوقى على قمة مرحلة الانتقال هذه ـ ما بين البعث والتطور ـ فحقق الوحدة فى العمل الفنى متكاملا ،وأوجد المسرحية الشعرية التى تتتابع فصولها مترابطة لا يستغنى فصل عن سواه ، ولايمكن نقل مشهد من موضعه المحدد له فى تصميم العمل الفنى ، دون أن يختل السياق ويفسد البناء الفنى للقصة ، وقد كانت أبيات القصيدة العربية تختلف مواضعها على ألسن الرواة ، دون ان يؤثر هذا الاختلاف على نسق الاداء او يضطرب به المعنى . ويبدو خطر هذا التحول فى الشعر العربى ، اذا ذكرنا ان « البيت الواحد » كان معتبرا وحدة مستقلة بمعناها ،

مستغنية عما قبلها وما بعـــدها ، فاذا ما اتصل بالبيت الذى يليه ، عد ذلك عيبا من عيوب الشعور ، يعرف فى المصطلح العروضى بالاكفاء • وقد ظل هذا الاعتبار قائما الى عصـــور متأخرة ، على ما نقل « ابن خلدون » فى مقدمته نقلا عمن لقى من شيوخ هذه الصناعة ، فأى تحول خطير جد على الشعر العربى فى مسرحيـــة شوقى التى جعلت العمل الفنى كله وحدة لا تتجزأ ، بل ترتبط مشاهدها ـ لا أبياتها فحسب ـ ارتباطا فنيـا ومعنويا وثيقا ، على مثال ما نشهد فى عناصر اللوحة الفنية ، ومقاطـــع القطعة الموسيقية ، وأجزاء التمثـال المنحـوت !!

ثم أعقبت مرحلة الانتقال هذه ، مرحلة ثالثة بلغ فيها التحول مدى واسعا ، فى شعر المدرسة الجديدة التى حققت فى القصيدة الواحدة ، عاطفية التناول ، ووحدة الجو النفسى ، وحرية التعبير والاداء ، فلم يعد الشاعر ، مجرد رســام ينقل المشهد المرئى نقلا قد يكون بارع التصوير دقيق الوصف ، لكنه لا ينم عن انفعال وجدانى عميق ، ولا يعبر عن معاناة لما نسميه اليوم « التجربة الشعرية » كذلك لم يعد الشاعر ، ينتقل من وصف غادة بضة المتجرد ، سقط نصيفها عن غير عمد ، الى ذكر نذير البوارح بفراق وشيك ، ونعيق الغراب الاسود بغـد أسود ، أو من وصف « دارة جلجل » الى الشكوى من ليل طويل أرخى سدوله بأنواع الهموم ، وانما أصبحت وحدة الوزن والقافية ، ليست بذات بـــال اذا افتقدنا الروابط المعنوية الوجدانية التى نحيا بها فى جو نفسى واحد ، لا يمزقه اضطراب مباغت أو انتقال مفاجىء من حال الى نقيضها • ولا على الشاعر الحديث أن يتصرف فى التوزيع الموسيقى ، على الوجه الذى يراه أقدر على التعبير عمـــا يجد ، وأبعث على الارتياح النفسى الذى يحسه الشاعر حين يخلق عملا فنيـــا يرضى وجدانه •

فالقصيدة فى ديوان المدرســـة الشعرية الحديثة قد حققت التحول فى المضمون برعاية الوحدة النفسية والتناول الوجدانى ، وفى الشـــكل بحرية التوزيع الموسيقى وطلاقة النغم واضافت « العمق » الى أبعاد القصيدة العربية • وربما تهيأ لافراد من هـذه المدرسة ، أن يحققـــوا هذا كله فى الديوان مجتمعا لا فى القصيدة الواحدة فحسب ، على نحو ما فعلت « نازك الملائكة » فى ديوانها الثانى « شظايا ورماد » ثم فى ديوانها الثالث « قرارة الموجة » : فالجو النفسى الذى يسيطر على قصائد الديوان جملة ، يكاد يجعله كله وحدة مترابطة الأجزاء منسجمة العناصر متآلفة النغم ، والقـــارىء يحس احساسا قويا ، أن الشـــاعرة تعيش تجربتها الشعرية فى عمـــق بالغ ، وتنفعل بالمرئى والمحســـوس والمسموع والملموس ، انفعالا وجدانيا عنيف الاثارة ، ثم تؤديه أداء منغمـــا طليقا ، تستجيب فيه لحاجتهـــا النفسية ومشاعرها الملهمة ، وان جارت على المصطلح التقليدى لصناعة العروض التى أرسى « الخليل » قواعدها منـذ قرون طوال ••

و « العمق » هو اظهر ابعـــاد القصيدة فى ديوان نازك ، وفى شـــعر

المدرسة الحديثة ، بوجه عام • وقد داب النقاد من قديم ، على قياس القصيدة طولا بعدد أبياتها ، وعرضا بميزان عروضها ، ولم يكن للعمق اى حساب فى تقدير الابعاد ، ثم حدث التحول ، باعتبار العمق ، الذى ينفذ الى صميم الذات وجوهر الاشياء ويستبطن أغوار المحسات ليكشف عن سرها المحجب وسحرها المطوى الذى لا يدانيه فى الاهمية طول ولا عرض

كذلك لا أطمئن الى القول بأن حادثا بعينه قد وجه التطور الشعرى ، أو بتعبير أدق ، قد خطا بالشعر خطوته الاولى نحو التحول المشهود • فطبيعة الفن تأبى هذا التحديد ، وحساسيته المرهفة • تجعله يتأثر بالحياة من حوله ، وينفعل بأدق المظاهر وأخفى المؤثرات وأهون العوامل • فليس صحيحا عندى أن اتصالنا بالغرب هو المؤثر الاول أو الاوحد فى تطورنا الفنى ، وانما هو واحد من مؤثرات عدة لايمكن حصرها على وجه التحديد ••

ثم ان هذا التطور مرتبط أوثق ارتباط بتطورنا السياسى والاقتصادى والفكرى والاجتماعى ، بحيث يشق على ناقد أن يميز مؤثرا خاصا على حياتنا الفنية ، منفصلة عن حيواتنا الاخرى :

فاصطدامنا السياسى بالاستعمار ، وثورتنا الاجتماعية والاقتصادية على الطغيان والاقطاع ، وكفاحنا الفكرى والقومى من أجل الوجود الحر الكريم واصغاؤنا لنداء الحرية والهتاف بحقوق الانسان ، كل هذا ، وغيره مما لا أحصيه عدا ، قد ترك فى الشعر العربى المعاصر أثره البعيد المدى • بل انى لامضى الى أبعد من ذلك ، فألمح وراء هذه المؤثرات الظاهرة البادية ، مؤثرات أخرى خفية ، ربما فاتت النظرة السريعة واللمحة العابرة ، بل ربما فاتت أيضا ، العد والاحصاء •

والتطور الشعرى يتجه اليوم بالقصيدة الى التعبير عن الذات ، تعبيرا حرا يلائم روح العصر ، ولا تغله قيود ليست أصلا من طبيعة الفن •

ولفظ « الذات » هنا يحتاج الى مزيد بيان ، فليس المقصود بها ذات الشاعر منفصلا عن جماعته أو منطويا على نفسه بمعزل عن الحياة من حوله ، وانما المقصود بها « الذات الممثلة لأرهف أفراد الجماعة حسا ، وأدقها شعورا ، وأقدرها على التعبير وأفقهها لسر الكلمة » واصرار الشاعر على حريته الذاتية ، لا يعنى بحال ما ، انه ينتزع ذاته من الجماعة ، ويعبر عنها تعبيرا فرديا انفصاليا ، منقطع الاسباب بما حوله ومن حوله ، فما الشاعر فى الجماعة سوى قلبها الخفاق ووجدانها الحى ولسانها المعبر عن انفعالاتها وحريته هنا تعنى حرية الجماعة التى يمثلها وجدانيا ، واستقلال ذاتيته نابع من صميم مهمته فى القيادة الروحية ، وأى عدوان على هذه الحرية الفنية هو فى الحقيقة عدوان على حرية الجماعة ، وأى تفريط فى استقلال الشاعر ، يعد خيانة للامانة التى يحملها عن الجماعة ، بوصفه حارسا لمقدمات وجودها المعنوى :

وهذا الفهم لطبيعة الفن ورسالة الشاعر ، هو الذى يحدد لنا واجبنا نحـــو التطور الذى جد على حياتنا الفنية ، فالفرد منا ، هو بعينه القارىء الذى يحرص الشاعر ـ حين ينشر شعره ـ على أن يظفر منه بالتجاوب المشترك ، ويرضيه ، بل يسعده ، أن يشاركه ، الانفعال بمعاناته الوجدانية • ومن هنا كان وعى القراء هو الحكومة الأدبية التى يجب أن يحسب لها الشاعر كل حساب ، فلا يخون الامانة ولا ينحرف عن المثل •

ومن الصعب ان نحدد هنا كيف يؤدى القارىء واجبه فى هذا الصدد ، فالامر فيه رهن بوعيه لدوره ودور الشاعر معا ، وادراكه أن هذا الشاعر انما يمثـــله وجدانيا ، ويعبر له عن مشاعره ، ويتولى ـ نيابة عنه ـ حماية وجوده المعنـــوى والروحى • وهذا الموضع يجعل للقارىء ، فردا وجماعة ، حق الرقابة على الشاعر ليأمن زيغه وانحرافه •

وممارسة القارىء لهذا الحق ، تعتمد الى حد بعيد ، على تربية فكريةووجدانية واجتماعية ، لم تتهيأ لنا بعد سوى أسبابها ، أثرا لليل الاقطاع والطغيان الذى امتد قرونا ذات عدد ، وأعنى بها التربية التى تشعر الفرد بمسئوليته الكبرى ، وتغريه باحتمالها • وقد كان الشاعر فى عصور الحكم الفردى الاســـتبدادى ، يرتهن مصيره شاعرا ، بتقربه من ذوى السلطان ، واتصال أسبابه بهـــــم ، وتسخير لسانه لتبرير أخطائهم وحماية مصالحهم ، ولكنه اليوم لا يعيش شاعرا الا بقدر ما يعبر مخلصا عن ذاتيته كفرد فى جماعة ، ناطت به مهمة القيـــادة الروحية • فاذا كان الحاكم بالأمس هو الذى يرفع ويضع ، فالقراء الواعون اليوم ، هم ذوو السلطة الادبية التى تملك ان تسقط شاعرا أو ترفعه •

وأحسبنا فى حاجة الى فترة قد تطول ، نخلص فيها من بقايا عصور الانحطاط بما تركت فينا من موازين نقدية خاطئة منحرفة ، لم تستمد من مقومات الفـــن الاصيل •

والهيئات الأدبية ، هى المسئولة الآن عن تصحيح موازين النقد الأدبى ، لتنقى عنها كل الشائبات الدخيلة والبقايا الموروثة ، وتستبدل بهـــا موازين أخرى تقوم على الاصالة الفنية ، وتستجيب لطموحنا فى وجود معنـــوى راق مهذب وتصحح المفهوم الشائع للشعر ، بما يشوبه من نفعية مادية ، وما يئوده من أثقال الصنعة والجمود والتقليد ، لتضع الشعر ـ والفن بعامة ـ فى مكانـه الصحيح : ضرورة حيوية لسلامة الجماعة ، ومقوما جوهريا من مقومات وجودها ورقيها ، وليس ـ كما ظن به طويلا ـ أداة استهواء للجماهير ، وترفا ذهنيـــا يمكن الاستغناء عنه فى عصر الذرة والصاروخ ، والاقمار السابحة فى الفضاء ••

محمد المهدى مجذوب

بقلم : عبره بروى

يعتبر «محمد المهدى مجذوب» من الشعراء الأول الذين يشكلون الملامح الحقيقية للشعر السودانى الحديث ، وخطورة هذا الشاعر أنه لا يصدر عن ثقافة غريبة أو رؤى غيرمتمثلة فى الوجدان الجماعى للحياة السودانية كما أنه لايصدر عن الواقع الذى يعيشه فقط وانما عن التركيب العضوى للمجتمع السودانى

ولعله الوحيد الذى سجل مفاخر «المهدية» فى صدق ، واخلاص فى الشعر الحديث فما زال مشدودا الى مفاخرها ، والى ما أشيع عنها فما زال فى شعره يصور المهديين بأن السبح فى أيديهم كانت تقدح بالشرر وان نبات « العشر » المعروف فى السودان كان يستحيل فى أيديهم الى مايشبه السيوف ، وانهم كانوا يجدون اسم المهدى مكتوبا على ورق الشجر وعلى بيض الطيور ، فهو الى جانب تأثره بأخبار المهدية شديد التأثر بما قرأ من «رسائلها» . . و «منشوراتها» . وقد ساعده على هذا الايمان تأثره بالجو الصوفى الذى يسيطر على قطاعات كبيرة من أهل البلاد فهو نفسه من مجاذيب «الدامر» الذين يعتبرون مدرسة خاصة فى الشعر السودانى والذين تحول الشعر الصوفى على أيديهم الى قيم روحية عليا ، بعد أن كان يدور حول مدح شيخ الطريقة ، أو «الشطح» أو أناشيد الذكر السطحية كما انتقلوا به نقلة أخرى الى ذكر البطولات الحربية بعد أن انتقل المثل الأعلى للشخصية السودانية من الرجل الصوفى الى الرجل المحارب. وقد كان من أبرزهم فى هذا الشيخ «محمد الطاهر مجذوب» .

وقد تلقى شاعرنا تعليمه فى أول الأمر فى «الخلوة» ثم واصل تعليمه حتى تخرج من قسم الكتبة بكلية «غوردون» القديمة ، ثم باشر حياته أخيرا كمحاسب فى الخرطوم بعد أن طوف فى بلاد كثيرة بالسودان .

فهو هنا شديد الالتصاق بجغرافية بلاده ، وثقافتها ومن هنا عبر عن

كثير من القيم السابحة فى وجدانها فهو يتحدث عن زهاد السودان ويسميهم «فقراء غير هنود» ويتحدث عن «أم الاحاجى» التى كانت جارة له فى حلة «الكراكة» وعن «جبل الختمية»

«دلوكة»(١) فى الليل ترتعد
مجنونة نفضت أضالعها
ويمد من آهاتها «الشتم»(٢)
متربص بالرقص يصرعه

* * *

رقصت مع الأحلام عذراء
تكنى وتعلم كل خافية

* * *

ويهيج بالفتيان « شبال » (٣)
والسوط يأكل ظهر مبتور

* * *

والقرية القمراء كالخبر
بدوية مسحورة رقيت

. . . وتعتبر قصائده الأولى قاصرة على الحياة السودانية ، ولكنه حين زار مصر زيارة عابرة فتن بأمجادها وخلودها ومن أروع قصائده فيها قصيدة «أم صابر» ، وبورسعيد والنصر .

وقد روى لى أنه عندما هبط القاهرة طوف به أصدقاؤه فى أحيائها المترفة وحملقوا فى وجهه قائلين «هل اعجبتك القاهرة ؟ » فكان رده أنه لم يرها لانه يريد القاهرة الحقيقية ، فذهبوا به الى حى الأزهر ودخلوا به الى واحد من مطاعمه الشعبية ، فأحس بالزهو ، والسعادة وكان من أثر هذه الرحلة الشعبية تلك القصيدة المصورة «عشاء» ولا نحسب ان أحدا سبقه الى وصف أحد مطاعم القاهرة بهذه الروح الجياشة ، وبهذه الأبعاد المحددة للحياة الشعبية فى هذا الحى

وعن رحلاته فى الجنوب . وأجمل شعره ماصور به التقاليد الشعبية

ومن هذه التقاليد تقاليد الزواج ، فمن قوله فى قصيدة «قرية قمراء» :

بكمت وأرسل شجوها الكمد
وتكاد فى أجلادها تقد
شحج الرنين يكاد ينقضم
ويدق فيه كأنه قدم

وبرقصها للحب أنباء
وقلوبنا لهف وايماء

والى حنين عبيره مالوا
فى كل جرح منه تأمال

ومكانها غبراء فى المدر
لتفيق من أحلامها الأخر !

هات فولا بالزيت فى أول الليل وأذهب به الشجا عن لهاتى
لمعت كل حبة مثلما تلمع فى البدر درة فى الفلاة
هاته والرغيف والكوز ، والقلة .. أشهى لأعينى من مهاة

---

(١) أطلر من الصلصال عليه جلد يشبه الطبل عندنا .
(٢) طبل صغير يساعد « الدلوكه » على امتداد الصوت .
(٣) حركة الشعر التى تقوم به الفتاة التى ترقص فى العرس ويكافأ بهذه الحركة المدثرة كل من يثبت لضربات السوط من «العريس»

« قلة » جيدها نقيل ، وتعييه بردف مدملج كالصفاة !
بعثت فى يدى من نداها ، ومالت بفم بارد النطاف مؤات
من جوارى « هارون » فى ملكه السمح الى كل شاعر مشرقات
جلس « القدر » (١) كنرى يتباعى فى سامر وحداة
بطنه مائل به ! وقفاه لامع كالأثيم فى الخلوات
وحواليه قومه من صناع يصطفيه وحائمين سقاة
رب انى قنعت بالفول فارحمه لقد خالط الهوى فى رفاقى
كان خصم النبى موسى أما أرجع قوم الكليم بعد انفلات !

... على أنا نراه أخيرا قد أحس فى حب ، واخلاص . فهو لايصدر بالشاعر الافريقية ، وبالعبء الواقع عن الحقد ، والشعور بعقدة اللون على هذه القارة ، فجاء شعره ملونا وانما يصدر عن الاندماج بهذه القارة بواقعها وصراعها، ومن ثم نستطيع والاحساس بها ، وهذه الوراثات التى أن نقول انه الشاعر الوحيد فى تجرى فى عروقه . العربية الذى يصدر عن ضمير القارة

عندى من الزنج أعراق معاندة وان تشدق فى انشادى العرب !

وقد استطاع أن يقدم لنا صورة من أمنياته التى يحب أن يكون عليها فى قوله :

فليتنى فى الزنوج ولى رباب تميل به خطاى وتستقيم
وفى حقوى من خرزحزام (٢) وفى صدغى من ورع نظيم
واجترع «المريسة» فى الحوانى وأهذر لا ألام ولا ألوم
وأسرع فى الطريق وفى عيونى ضباب السكر والطرب الغشوم
طليق لا تقيدنى قريش بأحساب الكرام ولا تميم

وحين يعشق تراه يعشق « حبشية » من صميم أفريقية

وبدت ستائر بيتها وضاءة بين الظلال
فأدرت عينى « أين بابك يا محطمة الرجال ! ! »
ورجعت أفزع للكرى كى أستريح الى مراح
ونهضت أسمعه الملا مة وهو مشتعل الجراح!!

وهو لايقف عند هذا الجانب يتعداه الى مشكلاتها فيقول فى التبشير اللاهى من الحياة الافريقية وانما الذى يجعل ستارا لتدمير روح الشعب

وان عجبت فمن « قس » أخى ورع لدى الكنيسة لم تعلق بها الريب
ان كان يدعو الى عيش فشرعته قدس الأناجيل فيها الحب والقرب

(١) قدرة الفول .
(٢) نطاق مصنوع من دقاق الخرز الملون ويسمونه فى جنوب السودان «السكسك»

انى لأعرض وجهى تم أسـأله عن لـون وجهى بالآلام ينتقب
فكيف يمنـع قلبى عن مواطنـه وكيف مثلى فى السـودان يغترب

كما يتعرض لكفاح القارة ودورها الايجابى، ويدعو للكفاح العنيف الذى لايعترف برحمة الأديان ·

بنى وطنى للنار فى كل بقعـة لسـان دخان فى السموات أسود
لكم جيرة فى «كينيا» قد تمردوا وأشربهم «جومو»(١) سلاف التمرد
طوى الغاب من أسراره كل ضيغم أبى الدم الا مـلء خد مورد !
فلا ترحموا لم تبق فى الأرض رحمة والا هلكتم بين عيسى وأحمـد !

وهكذا نرى الشاعر قد حبز عن التجارب الضـخمة التى تعيش فى أعمـاق بلاده والتى تعيشهـا ، وتستشرف اليها · مع محافظة على «الشكل» القـديم الذى تزدهر به العربية ، وقد كانت وسيلته الى ذلك المشاهد المتكاملة الحية ، فكل كلمة يسوقها ، وكل نغمة ينقلها شـديد الاتصال بطبيعة المشهد العضـوى · دون أن يفقده الوزن والقافيـة السيطرة التامة على « وحدة المشهد » ونستطيع أن نرى هذا فى اللوحـة التى رسمها «لغوردون» وهو محاصر فى الخرطوم ينتظر النجدة

و «غردون» أمسى لدى شرفة بمنظـاره كم يعيـد النظر
وقد أمسك النيـل أمواجـه وأخفى عليـه وجـوه الخبر
يرى «الغرب» نارا على ومضها يهز الرماح « رعاة البقر » (٢)
وجاش «النحاس»(٣) لدى ليلة من الخيل يركب فيها القـدر
ظلام و «غردون» فى صـدره ظلام الفلا وسـكون الحفر
تغنى الرياح بأسـماعه هتـاف الدراويش بالمنتظر(٤)
ويبـدى له الليل من حـوله بريق السيوف وضوء السـور
وفى عينـه أفق أزرق هو الأفق يجهل معنى البصر
وأيأسه الفجر من نجـدة على النيل تمخره كالحجـر
يراه فيحسبـه صـورة مضيعـة فى رحـاب الذكر

وقد نرى فى بعض صوره ظلالا من التقليد كتلك الصورة التى رسمها فى قصيدة «النصر»

فذلك « رمسيس » فى جنـده يذودون عن ربهم بالنبـال
لقد خرجوا من رموز النقوش على الصخر أطلقهم من عقـال

---

(١) بطل كينيا السجين «جوموكيناتا»
(٢) يقصد أنصاره الذين أكثرهم من غرب السودان وهم «البقارة»
(٣) «ليل الحرب فى السودان
(٤) المهدى المنتظر المعروف فى السودان باسم الامام محمد احمد المهدى

ففيها تأثرات من الصور التي كانت تخرج من كأس الشاعر على محمود طه ، والتي يمتد تأثرها هي الاخرى الى قصيدة ابي نواس التي يقول فيها

فللكأس مازرت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانس

ومهما يكن من شيء فالشاعر محمد المهدي مجذوب يثري الشعر السوداني بتلك التجارب المهدية التي ترجع في حقيقتها الى أفكار الشيعة والتي ترجع كذلك الى تأثره العميق بالتراث الدامع الذي تعمقه عن هذه الافكار ألتي تكثر اكثر ماتكثر في السودان .

كما أن انعطافه نحو الافريقيين شيء طبيعي في نفسه ففي عروقه الشيء الكثير من دمائهم ، وفي قلبه الشيء الكثير من عواطفهم .

وانا لنحيي فيه صدقه واخلاصه

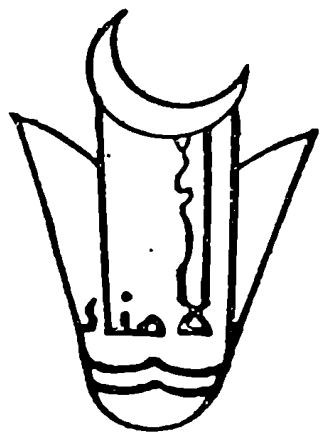

أزمة الشعر الجديد

عرف الشعر العربي المعاصر في تطوره ضربا جديدا من النظم ، تلقفه النقاد مطلقين عليه اسماء مختلفة ، لعل من أهمها :

الشعر الجديد ، الشعر الحر ، الشعر المرسل ، شعر اليوم

وقد أخذ هذا الضرب الجديد من النظم يشق طريقه منذ عشر سنوات تقريبا ، بينما تبدت ارهاصاته الاولى في محاولات التجديد التي قام بها فريق من شعرائنا خلال النصف الاول من القرن الحالي على رأسهم عبدالرحمن شكري ومطران ، وعلى باكثير ، وفريد أبو حديد . وخليل شيبوب ونفر آخر من شعراء أبوللو . ثم تتابعت المحاولات بعد هذا في الفترة من عام ١٩٤٧ حتى الان ، فأسهم فيها شعراء العراق وعلى راسهم بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وكاظم جواد . وفي مصر كان ديوان

« باوتولاند » للدكتور لويس عوض بادرة طيبة في هذا الاتجاه واذا كان الامر هو القديم والجديد فقد كان الشاعر القديم يعتبر البيت الواحد وحدة للقصيدة . ومن هنا أصبح للشعر عمود تقليدي تتحكم فيه القافية والوزن . وجاء الشاعر الجديد فتمرد على العمود التقليدي وقيود الشكل ، واعتبر القصيدة وحدة في ذاتها . وراح بعد هذا يلون القصيدة بتغيير القافية وتنويعها ، ويغذيها بالصور التعبيرية .

وهكذا أصبح لدينا — خلال عشر سنوات — حصيلة ضخمة من نماذج هذا الضرب الجديد . وبرغم هذه الحصيلة الضخمة فقد وقعت القصيدة الجديدة فريسة لعدة أمراض جمالية أهمها : النثر ، التقرير ، التجريد ، التعقيل ، والخطابة .

وقد جرت في أوساطنا الادبية — منذ شهور — أحاديث كثيرة عن الادب والازمة في الابداع واختلف المعقبون في طبيعة الازمة وأسبابها

غير أن الرأى قد أجمع تقريبا على حصر الازمة فى الشعر والنقد ، وان كانت القصة تعانى أيضا من هذه الازمة

ولئن كانت هذه الازمة فى رأيى ليست على درجة كبيرة من الخطورة الا أن هذه الخطورة تكمن فى معالجتنا لمظاهرها فى بساطة واستخفاف

لقد تبعت الازمةفى الشعر الجديد كالاتى :

أولا : عدم فهم الكثير منالشعراء الجدد لمفهوم الواقعية فهى تارةعكس فوتوغرافى للواقع كما فى هذا النموذج للشاعر محمد عفيفى مطر (١) :

فى دربنا الجهم الكئيب ..
حيث المساء بلا ضياء
حيث الظلام يطوف بالبيتالحقير
ويدور كالاعصار بالكوخ الصغير
والصمت يقطعه الزحار منالحمير المجهدة
والعنزة العجفاء تلفو بالأنين .. مرددة
والاثل يعوى كالذئاب الساغبة
والضفدع السهران فى الغيط القريب
والكلبة الملقاة فوق المسطبة
تغزو مراقدها الرياح الصاخبة
والنتجة البلهاء تجتر الثغاء
والثور يثنى جزعه .. ويغط فى نوم ثقيل
من جر ساقية تدور بلا انقطاع
ومن النواح .. والحياة بلا غناء

***

وهكذا يمضى الشاعر بآلة التصوير ، ناقلا صورة قرية من خلال « كوخ صغير » بشكل أمين على تفاصيل الواقع الجزئية . والوقعية أيضا عند البعض ترديد حائر لوصايا وقرارات جامدة . وهذا ما يوضحه النموذج الآتى للشاعر عبد المنعم عواد يوسف وهو بعنوان : « رسالة شاب عربى الى الرئيس أيزانهاور (٢)

اليك يا رئيس
اليك باسم والدى الرحيم
وباسم أمى الرءوم
وباسم أخوتى الصغار
وباسم زهرة أحبها الفؤاد
سمراء يا رئيس
والسمر عندكم مضيعون
لأنهم ملونون ..

ثم يمضى قائلا فى النهاية :

فباسم والدى الذى يود ان يعيش كى يرى أطفاله رجالا
وباسم أمى التى تود أن تعيش كى ترى لابنها أطفالا
من أجل ان نعيش جنب بعض
من أجل ان يظل فى القلوب نبض
وباسم سائر الآباء
وباسم سائر الابناء
أدعوك يا رئيس
فلتنس ذلك الفراغ

والواقعية مرة ثالثة نجدها عند

---

(١) مجلة الادب ـ العدد التاسع السنة الثانية ..

(٢) « أغانى الزاحفين » مجموعةشعرية صدرت عن دار الديمقراطية الجديدة .

البعض الاخر من الشعراء تطعيما للعمل الفنى – بشكل تعسفى – بعبارات وتراكيب شعبية . يقول الشاعر مجاهد عبد المنعم فى قصيدته المسماة : « كلمات عزاء للقلب ساعة الفراق » (١) :

كانت تشرق فى شباكك
كانت مدفأة بحروف كتابك
كانت أكرة بابك
كانت تحيا فى جلبابك

كما يقول فى قصيدته : « أغنية للفرح »

الله الله على ليلتنا
أختى عادت من سوهاج
ضحك الشباك
والباب هنا رقصت ضلفاته

أو قوله فى قصيدته « والله اشتقنا يا زين » :

قالوا فلترقص عيوشة
حتى أختى من قلب الكوشة
قالت : قومى يا عيوشة
ياما قلبى قال تقلبى :
وعرفنا اسم الزين : عيوشة

ثانيا :

بالرغم من أن هناك عددا لابأس به من من دواوين الشعر الجديد – عدا عشرات القصائد التى تظهر متفرقة فى الصحف – التى تسجل ظاهرة الشعر الجديد فى الفترة الاخيرة منذ عام ١٩٥٠ ، الا أن كثيرا من هذه النماذج أصيبت بعدة أمراض أشرنا اليها ، كما حفلت أيضا بأسلوب الشعارات والتصريحات .

ثالثا :

فقدان التوازن بين الشكل والمضمون فى العمل الفنى الواحد ، وذلك بتغليب أحدهما على الاخر . ومن هنا يأخذ الشكل فى التخلف ، وهنا نعود الى قصيدة عبد المنعم عواد يوسف التى أشرنا اليها لنرى تغلب المضمون على الشكل وتخلف الاخير . يقول :

تقول يا رئيس
بأن فى بلادنا فراغا !
فأين ذلك الفراغ ؟
وهل لأنه لم يعد هناك غاصبون ؟
يكون ذلك الفراغ
وأنه لابد من أن تملأوا الفراغ
يا سيدى الرئيس
حكاية الفراغ هذه ، حكاية طريفة

رابعا : الافتقار الى عنصرى : الاصالة واستقلال شخصية المبدع . ومن هنا أيضا انتشر التقليد والمحاكاة بين الشعراء ، وانعدم الطابع الخاص لكثير من شعرائنا الجدد ، والامثلة على هذا كثيرة يضيق النطاق عن تناولها ، ولهذا يكفى ان نشير على سبيل المثال الى قصيدة واحدة لصلاح عبد الصبور مثلا نراها نسخا متكررة بتغيير يبدو طفيفا لدى شعراء آخرين جدد .

والواقع ان ما سبق يمكن ارجاعه الى عدة أسباب نجملها فيما يلى :
النظرة العجلى الى الامور ، وذلك

---

(١) من ديوان أغنيات مصرية للشاعر

واضح فى المجموعة الشعرية المسماة : « أغانى الزاحفين » والمجموعة الاخرى التى صدرت باسم « جميلة » وتؤدى هذه النظرة العجلى بالشاعر الى الوقوع فى التناقضات والاخطاء

كذلك نجد الموقف الجامد الذى يقفه شعراؤنا القدامى من قضية الشعر الجديد كما فعل العقاد وعزيز أباظة وغيرهما • ومن ناحية أخرى نجد تهافت الشعراء الناشئين على انتاج زملائهم الذين تمرسوا فى الطريقة الجدية الى حد ما ـ يأخذون عنهم طريقتهم فى التناول الشعرى ، ضاربين عرض الحائط بالتراث الشعرى العربى خلال الاربعة عشر قرنا الماضية • كذلك تشجيع كثير من النقاد والصفحات الادبية لنماذج كثيرة دون مراعاة للمستويات الجمالية • وأخيرا اشتغال بعض شعرائنا الجدد بالصحافة كصلاح عبد الصبور وجيلى عبد الرحمن واحمد حجازى

غير أن ذلك كله لا ينقى فى الواقع النماذج التى راجت فى غمار التراكم الكمى للنماذج الرديئة • على أننا اذا أخذنا أزمة الشعر الجديد معزولة عما يحيط بها من ظروف وملابسات موضوعية لوجدنا أنها تنحصر بين حدين هما : الثقافة أولا وطريقة التناول ثانيا

وقد أسهم النقد أيضا فى أزمة الشعر الجديد • ذلك أننا افتقدنا الدراسات الجادة الشاملة لمشكلات الابداع الجديدة • وأصبحت الحاجة ماسة الى اكتشاف خصائص الشعر الجديد وقيمه التى يمكن أن تدعمه وتطرح عنه عوامل تخلفه

من هذا كله ارتفعت أصوات كثيرة منادية ببحث هذه الازمة ، واستخلاص وسائل علاجها • ومن هنا أيضا أميل الى المناداة بعقد مؤتمر خاص بالشعر الجديد يشترك فيه ممثلون للشعراء الجدد ونقاد مهتمون بالشعر • على أن تكون مهمته دراسة الشعر الجديد كظاهرة عامة ، وليست مهمته وضع قرارات ووصايا تجمد ، بل مهمته أن يثير القضايا ، ويناقشها فى حرية وشمول وموضوعية

على أن هناك واجبا آخر على النقاد هو ان يقفوا بصلابة فى وجه الفكرة القائلة بأن الشعر ليس ضرورة من ضروريات هذا العصر ، وأن يفندوا الهجوم الذى يشنه كثيرون على الشعر بعامة ، وعلى نماذج الشعر الجديد بصورة خاصة • وعلى الشاعر أيضا ان يستلهم تراثنا الشعرى العربى ، وأن يعيش حاضره بصدق وفعالية •

وأخيرا فان التكهن بمستقبل الشعر الجديد هو أمر يتوقف على كيفية التطور والانتقال من مرحلة التجريب الى مرحلة النضج بالنسبة للشعراء ، ورسم الخطوط العريضة التى يمكن أن تحتوى هذا النمط الجديد وذلك بالنسبة للنقاد

اتجاه التطور الأدبي

من اليقظة .. إلى النهضة

أما اليقظة فتلك المحاولة الأولى لاخراج التعليم الأدبى من المساجد وأشباهها من المدارس التى كانت تلحق بها غالبا ..
وهى المحاولة التى انتهت الى انشاء مدرسة دار العلوم منذ بضعة عقود من السنين .. وقد دفعت الى ذلك موجهات اجتماعية لحياتنا ، مضت تعمل فأنشأت بعد جيل مدرسة القضاء الشرعى .. وكان بين هذين المعهدين من التعاون حينا ، والتسابق حينا ، والتجاذب أحيانا ما تستطيع القول بأنه مخبار للتيارات الاجتماعية ، والدينية ، والفنية التى كانت توجه حياتنا فى قرابة قرن من الزمان ، يتقسمه القرنان التاسع عشر ، والعشرون .

بقلم : أمين الخولى

ولعله ليس فى الحياة الأدبية ذو نشاط لم يتنسم هذه التيارات بل لم يتأثر بهذين المعهدين ـ دار العلوم والقضاء الشرعى ـ فى تكوينه أو توجيهه .. أو جهاده من أجل الأدب بخاصة ، والفن بعامة .

فحياة هذين المعهدين تسجل الاتجاهات البعيدة الأثر فى حياتنا ، كما تكشف عن عامل من أنشط العوامل فى حياة كل من له بالفن القولى صلة ما .. ومن أجل ذلك وجدت أن عدد « الأدب » المخصص للتطور الفنى والأدبى يظفر من الحديث عن هذين المعهدين ، ومكانهما فى الحياة الأدبية بما يكشف عن خطوات سير الحياة الأدبية ـ والفنية أيضا ـ منذ تلك المحاولة التى أسست المعهد الأول منهما ـ دار العلوم ـ وهى التى عددناها اليقظة ، الى ما نتجه اليه اليوم من أهداف بعيدة أو جليلة فى حياتنا الفنية .. وهى التى مضت قدما خلال عقود من السنين ، ونأمل أن تظل ماضيه فى طريق التقدم الصاعد حتى تحقق نهضة فنية جادة جديرة بالعصر الذى نعيش فيه .

وهذا بحث عن اتجاه التطـــور الأدبى ألقيت خلاصته منذ مدة فى كلية دار العلوم ، واليوم تبدومناسبته القوية فى حـــديث « الأدب » عن التطور واتجاهه ·· وواجبنا نحوه :

* * *

أريد لأحدث حديثا صريحا ، جهيرا يضع بين يدى التـــاريخ خبرات وتجارب أجيال ثلاثة : الجيل الذى علمنى ·· والجيل الذى زاملنى ·· والجيل الذى علمته ·· وما دام الامر للحقيقة والتاريخ ، فلا علينا أن يرضى أحد ، أو يغضب أحد ، لأنهـــا الأمانة ، والأمانة دائما ، والأمانة قبل كل شيء ، والأمانة بعد كل شيء ، وما أثقل ما حمل الانسان ، من تلك الأمانة ، التى عرضت على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن تحملنها ··

***

لقد آثرت أن أحدثكم ، عن تطور الحياة بتلك الأجيال الثلاثة ، وأحبب الى أن أتحدث عن التطور كثيرا ، وأن أطيل فى هذا الحديث ، وأن أكرره ، ليستقر الايمان بتطور الحياة ، فى قلب كل حى منا ، فاننا حين نؤمن بالتطور نشعر بواجبنا ونحس بأعبائه الثقال فى أن نحدث تغييرا ، وأن تدفع الحياة دفعا ما ، وأن نقـــدم للحيـــاة حسابا ، عن الوقت الذى قطعناه ، والبيئة التى شـــغلتنا ، والواقع الذى عانيناه ·

واننا حين نؤمن بالتطور ، نشعر بحقنا ، فى أن نتناول ما انحدر الينا من الأسلاف ، وجاءنا ممن سبقونا ، فلا نجمد عليه ، ولا نجبن أمامه ، ولا نقدســه تقديس ، الذين قالوا انـا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مقتدون ·· بل نشعر أن خير التقدير لأسلافنا أن نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ، ونفعل مثل الذى فعلوا ·

واننـــا حين نؤمن بالتطور يصح حكمنا ، ويسلم تقديرنا ، على مانعرض له ، من آثار من قبلنـــا ، اذ نعرف درجة السلم ، التى كانوا يقفـــون عليهـــا ، وفرق ما بين عصرهم ، والعصور الخالفة بعدهم ، من درجات السلم ·

واننا حين نؤمن بالتطور تضيق شقة الخلاف فينا بين ابنـاء العصر الواحد ، حول ما يسمونه ، معركة القديم والجديد ، تلك التى يتعرض فيهـــا الشيوخ لقســـوة الشبان ، وجحودهم أيضـــا ·· على حين ان الجميع لو حددوا مراكزهم على أساس من التطـــور لما أنكر الشيوخ حق الشبان ، فى أن يقولوا غير ما قالوا هم فى أيام شبابهم ، ولما أنكر الشبان على الشيوخ مكانهم فى موكب الحياة ولما بخسوهم أشياءهم ·

من أجل ذلك وما اليه آثرت أن أحدث فى دار العـــلوم عن التطور ، فأعرض حتما لعملهـــا المشترك مع مدرسة القضـــاء الشرعى ، فأحدث حديثا واضحا شجاعا عن الأشخاص حينا ، وعن الهيئات آنا ، وعن المعاهد أيضا ، وساحدث هـــذا الحديث الشجاع لأكشف ، وانا واثق أن هذا الوضوح ، وتلك الجهارة البـــادية

المفتوحة ، لن تشط ولن تجتاز الحد، ولن تسيء أبدا الى أحد ، مادام الاحتكام فيها ، الى ظواهر التطور ، وخطوات سيره ، وشواهده الصادقة الواقعة ، فى غير دعوى متنفجة ، ولا مزاعم متعصبة ، ولا هوى محتكم ولا شبه من اتجاه الى النيل من أحد ـ لا قدر الله ٠

***

كانت مدرسة دارالعلوم ، ثم مدرسة القضاء الشرعى انما هما انتفاضتين متجددتين من الحياة المصرية الحديثة وخطوتان من خطوات التطور لتلك الحياة ، وبيان هذا من أمر المعهدين بيان للموجهات البعيدة لتلك الحياة وهو ما أبدأ بتقديمه ٠

***

انتفضت الحياة المصرية هاتين الانتفاضتين المتجددتين على فترتين غير متقاربتين ، لأن بين نشأتيهما نحو ثلث قرن من السنين ٠٠ وماذلك الانتفاض النشط الا أثر لما كان يسرى فى أوصال الحياة المصرية ، وينبت فى كيانها من المنشطات الداخلية والخارجية ، أثر لاتصالها بالحياة الغربية ، وتوافر عوامل فى بنائها تعمل على اثارة نشاطها ٠٠ فخطت مصر ، هاتين الخطوتين ، فى تينك الفترتين المتباعدتين استشرافا الى حال أحسن ، وحياة أوفر نشاطا ، وأصلح عملا ٠

ولئن بدا تمايز فى اتجاه الخطوتين فانهما لتشتركان فى غير قليل من ميدان نشاطهما ، بل انهما لتشتركان فى مصدر انبعاث كل واحدة منهما ، والباعث الأول ، والمقصد الأخير لكليتهما ٠

فاما اشتراك المعهدين فى ميدان النشاط الى حد غير قليل فلأن دار العلوم معهد دراسة أدبية ، لم تنس نصيبها من الثقافة الاسلامية ، شرعية أو غيرها ، ومدرسة القضاء معهد دراسة اسلامية ـ ولا سيما الشرعى منها ـ والدراسة الأدبية ، فى تقدير أصحاب الشريعة وسيلة لا بد منها للشريعة ٠٠ وهكذا يشترك المعهدان على نسبة متفاوتة من العناية بنواحى الشركة ٠٠ وان كان اختلاف هذه النسبة لن يحد رغبات الدارسين فى المعهدين ، فقد تكون الناحية الأدبية أظفر ببعض الطلاب فى أحد المعهدين، دون تفريق ، وقد تكون الناحية الاسلامية أظفر فى بعض آخر من الطلاب ٠

هذه ناحية اشتراكهما فى ميدان النشاط التى أخرجت من القضاء متأدبين بارزين ، وهيأت لبعض فقهاء دار العلوم أن يكونوا فقهاء معروفين

وأما اشتراكهما فى مصدر الانبعاث ودافع الانتفاض ، وهو أهم ما يصل بينهما ، ويشركهما فى طريق واحد ، من طرق مسير التطور الحيوى المصرى فأصل ذلك الاشتراك أن كل واحدة من الانتفاضتين لم تكن الا محاولة من الثقافة الشرقية ، فى المواءمة بينها وبين ما يغزوها فى عنف دراك ، من الثقافة الغربية ٠٠ على اختلاف فى عنف هذا الغزو ، وسعة ميدانه باختلاف الزمن الذى انشئت فيه كل واحدة منهما ٠٠ وكذلك كان الهدف

الواحد الذى خطت نحوه كل انتفاضة منهما هو : حماية مجال الثقافة الشرقية ، فى حياة هذا الشرق ، ودفاع هذه الثقافة عن نفسها أمام القوى التى تهاجمها فى عقر دارها .. وكان معقل هذه الثقافة الشرقية حينا، وممثل هذه الثقافة الشرقية حينا هو الأزهر ، ومن هنا كان مرتكز الانتفاضتين ، والدافع اليهما حال الأزهر وضعفه .. ففى الوثبة الاولى كانت الثقافة الشرقية من حيث هى مادة لتنشئة أبناء مصر حالا لا يتهيأ لعوامل التجدد المصرية ، الطامعة فى مشابهة الغرب فى تعليمه ، أن تستمد منها ، وأن تقدم منها ما يلائم أسنان التلاميذ فى المدرسة الجديدة.

وفى الثانية كذلك كانت حال الثقافة الشرقية حالا غير مرضية ، من حيث هى مادة لتنشئة رجال كبار فى دراسة عليا تعتمد عليهم مصر فى حاجاتها العملية القضائية ، فى محاكمها التى ألزمتها المحاكم المدنية المحترمة ، على غرار ما فى الغرب ، أن تتجدد مسايرته لها ، وتعميما للنظام الذى أشاعته تلك المحاكم المستحدثة .. وبمساس هذه المحاولة بقضية العدل، ولكونها دراسة عليا ، وبقدر ما وضح من قوة الوعى كان الهدف فى الانتفاضة الثانية ، بانشاء مدرسة القضاء أبعد مدى وواسع افقا ، وافسح املا .. وكذلك كانت تجربة انشاء مدرسة القضاء تجربة حديثة ، معتزمة ان تقدم المثل الشاهد العملى على الاصلاح الأزهرى الواجب بعدما بدا أن الخطوة الأولى لم تعده العدوى الكافية ، ولم تثر انتباهه الى نفسه اثارة دافعة الى عمل ايجابى كبير .

وكذلك مضت آمال الدافعين للخطوة الثانية ، فى جو قوى من الوعى المصرى والشعور بالذات .. مضت الى أبعد من الاصلاح التعليمى أو القضائى فتمثلت فى تلك التجربة محاولة عملية فى الميدان الدينى ، والسياسى والاجتماعى .. والذين قاموا بالتجربة الثانية ، بانشاء مدرسة القضاء هم الطبقة الثالثة من أجيال النهضة الاسلامية السياسية الاجتماعية ، التى قادها الأفغانى وأسلم شعلتها لمحمد عبده ، ثم خلف عليها حواريوه ، ومنهم سعد زغلول الزعيم السياسى .. فكان انشاء مدرسة القضاء فى حساب هذا الجيل الاخير ، انما هو تجربة لاعتداد الشرق بنفسه ، شخصية وثقافة يريد فيها الشرق ليجدد نفسه بنفسه ، مع اعتداده بذاته وانتباهه لواجب الدفاع الشخصى .. فهو فى هذه التجربة يأخذ ما يأخذ من ثقافته القديمة ويضم اليه ما يرى أخذه من الثقافة الغربية ، على أن يكون الأخذ بيده هو .. فلا يحضره له ، ولا يعين كمياته ، ولا يجرعه اياه المستشارون الانجليز الذين غلبوا نفوذهم سلطة النظار ، وهم الوزراء وكان فحلهم الهائج هو دانلوب مستشار وزارة المعارف ، الذى وجه التعليم تلك الوجهات التى عم الاستياء منها .. وهكذا أراد الشرق أن يمارس بانشاء مدرسة القضاء تلك التجربة فى الملاءمة بين الثقافتين الشرقية والغربية ، مستقلا لا يشرف

عليه فى هذه التجربة مشرف غريب بريطانى أو غيره ٠

وكذلك بدأت مدرسة القضـــاء ، واستمرت مستقلة ، ماليا ، لها باب خاص فى الميزانيـة ، وهى مستقلة اداريا ، لها مجلس ادارة خاص ، لا يسيطر عليها مشيرا ولا موجها ، وهو أمر كان لهذا العهد بدعا ، غير شائع فهى فيما حدث به منشئوها ، وتنوقل الينـــا عنهم ، هى تجربة سياسية استقلالية تجهة حكومية توجيهيـة ، لا يصل اليهـــا نفوذ أجنبى ، وهى تجربة اجتماعية تلتقى فيها حضارتا الشرق والغرب ، وثقافتاهما ، لقاء مختارا ، توائم بينه الحياة ، فى تؤدة وانصاف ، ولا يتأثر ـ فيما يرجى ـ بغير المصلحة وحـــكم الواقع ، وهى بهذا تجربة دينية اصلاحية ، يدخل فيها على الدين من حكم الحياة مايدعوه الى التجدد فى اخلاص وهدوء ، ليفى بحاجة الحياة منه ، وهو ما لا يتيسر الا فى بيئة تخلصت جهد الطاقة من الوراثات الرجعيـة ، ومن الاغراءات المنفعية المادية بالاتجـــاه الرجعى ، وليست تلك الا البيئة الجديدة ، التى رحبت بالجديد ، من الثقافة ، والفن وأخلصت لنفسها وماضيها ، اخلاصا رشيدا ، فى تقبل هذا الجديد ، دون اندفاع أهوج ، ولا تعصب ضيق الافق حرج الصدر ٠٠ ولهذا انتبه الوعى الاجتماعى المصرى الى تلك الأهداف ، وحدث بها ، ودبر لها ، وعمل عـــلى انجاحها فى تجربته لمدرسة القضاء ٠

وما كان التدبير لهذه التجربة بعد انشاء دار العلوم ، بنحو ثلث قرن ، الا بفعل الحيوية المتسربة فى الكيان المصرى حينما دبر لانشاء دار العلوم قبل ذلك بسنين عددا ٠٠ هو هو التيار يأخذ طريقه تسربا ، وان خفى على الأنظار حينا من الدهر ، والدليل الواضح على وحدة هـــذا التيار ، واستقامة اتجاهه فى طريقـــه ، أن المجددين على الرغم من صفتهما الدينية الأصيلة فى القضاء ، والقريبة من الأصالة فى دار العلوم ، قدما لا كلاهما الى الجانب المدنى ، وخطوا معا ، ويد كل واحدة فى يد أختها ، نحو توحيد التعليم الدينى والمدنى ، ففكروا غير مرة ، كما انشأ غـير مـرة ثانوية خاصة ، تعطى البكالوريا العربية ، التى يتحد فيها التعليم فى جميـع المواد ، ما عدا اللغات الأجنبية ، اذ يمتحن الطلاب بدلها فى فروع مـن الثقـــافة الاسلامية ـ وكذلك كانت تجهيزية دار العـــلوم تحت ادارة مدرسة القضاء ، وهى تمد فى الوقت نفسه دار العلوم بتلامذتها ، ثم أمدت تلك الثانوية المشتركة مدرسة القضاء بتلاميذها فى دور من أدوار تجـدد مدرسة القضاء سنة ١٩٢٧ ، وان كان دورا لم يطل ، لأن فترة رجعية ردت الموجة ، وغطت التيار السارى الى حين ٠٠

ومن هذا البيان الموجز جدا لتيارات التطور المصرى البعيـــدة تدرك كون ما قصدت اليه ، حين اخترت التطـــور الأدبى موضـــــوعا لحديثى فى دار

العلوم ، وقصدت الى أن أحدث عن سير التطور بدار العلوم .

تدركون انى انما اخترته لشيء هو ـ كما قلت آنفا ـ أبعد من الظواهر اليسيرة المشتركة ، وهو أبعد غورا فى تطور الحياة المصرية الحديثة .

وهو : هذا الذى رأيتموه يجمع بين هذين المعهدين ويجتمع عليه هـذان المعهدان هو خدمة الثقـافة الشرقية الاسلامية فى تجددها .. وقـد رأيتموهما ، ينبعثان الى تلك الخدمة انبعاثا واحدا ، ورأيتموهما يتجهـان اليهما اتجاها موحدا ، مهما يختلف نصيب كل منهما من هذا العمـل المشترك الأساس ، الموحد الهدف ..

ومن هنـا تقدرون أن ما كان بين المعهدين من خلاف أو شبهه لم يكن الا ظاهر الأمر وبادى الرأى .. والان الحقيقة فى حساب الباحث الاجتماعى أنهما متصلان ، ملتقيان ، مرتبطان..

وأنتم واجدون صور هذا كله ماثلة الى نواحى متعددة ، بين الطلاب ، وبين الأساتذة وبين الخريجين .. مما يفصله التاريخ فى غير هذا الموضع ، وتدركون أنتم الكثير منه بهذه الاشارة .

« للبحث بقية »

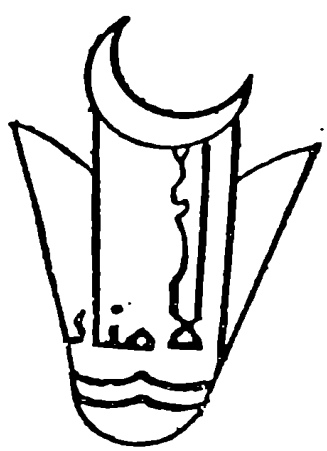

التطور الفني

في المعارض الفنية

بقلم: حسين فوزي

١ ـ متى بدأ التحول الحديث في الثقافة الفنية ؟ ٢ ـ ما خطوات التطور في هذا الميدان ؟ ٣ ـ ما وجهة هذا التطور ؟

كان أسهل على أن أجيب على هذه الاسئلة لو كان موضوعها الفن ، لا الثقافة الفنية . فالفن هبة أولا ثم تنمية ودراسة في بيئة ملائمة . أما الثقافة الفنية فهي فكر واحساس بمظاهر الفن ، ودراسة للفنون المختلفة التي تتألف منها هذه الثقافة . والثقافة الفنية جزء من الثقافة العامة ، وأظننا متفقين على أن الثقافة ليست المعرفة ولا هي العلم ، ولكنها مجموع الاحساس بثمرات العلم والمعرفة ، فلا ينبغي ان أتحدث عن ثقافة علمية ، ثم عن ثقافة أدبية ، أو فنية ـ ولو ان هذا حاصل فعلا ، بدليل سؤالكم ذاته ـ انما الثقافة في معناها الاصيل ، لا يصح أن تقبل التنويع والتحديد

فأنا اذا مجبر على قبول التحديد الفعلي هنا لمعنى الثقافة ، والتنويع الذي رضيتموه لها بسؤالكم .

والسؤال الاول ـ مرة أخرى ! ـ يفرض سؤالا سابقا عليه وهو : هل كانت هناك ثقافة فنية في الماضي القريب حتى نسأل عن تحولها الحديث ؟

لقد وجدتني ذات مساء ، وأنا أقدم عفو الخاطر محاضرا يتحدث في موضوع فني ، أستعيد ذكريات طفولتي في بيت كان من بيوت المماليك ، المطلة على الخليج المصري في مواجهة مسجد الشعراني ، وقد نشأت في أسرة مستواها أقل كثيرا من المتوسط ، ولو أن ربها كان على شيء من المعرفة .. والثقافة الفنية

حولي من الاثاث ـ الذي اختفى فيما بعد ، وفي ظروف لا أعرفها ، وان كنت أفسرها من تلك القطع الفنية الاصيلة التي توائم عمارة المكان وزينته ، وليوانه ، وفسقيته ، ومقعده ، وحنياته ، والبئر في أسفله ، بين الباب الخارجي وباب الحريم . وعلى الحائط لوحات من الخط الفارسي والكوفي والثلث والنسخ ، وطغرات عجيبة ، كأنها الاحاجي ، لم أكد أفك الخط في كتاب الرملي وسليمان

مجاويش ، حتى قضيت أهنأ أيام طفولتي ، متابعا خيالاتي ، وأنا أحاول قراءة أسماء الله الحسنى ، متراكبة متشابكة في شكل القمر والهلال والابريق . أما الكوفي القديم ، يطعم عاجه خشبا جميل السمرة ، فلم تطل محاولاتي ، حتى بعدان فسر لي أبي يوما ما تخفيه تلك الحروف ذات الزوايا القائمة

قلت وأنا أقدم اليهم المحاضر بأن حياتنا الفنية في أوائل القرن كانت صادقة ، وانها كذبت على ممر السنين ، كذبت عندما تحولت ألواح الحائط في بيتنا المملوكي من « العربسكة » الى صور ملونة رخيصة « كرومو » كانت تقذفها علينا المطابع الالمانية ، فيها من كل فاكهة زوجان ، وأعناب ورمان ، وحرب الروس مع اليابان ، وفيها مناظر من الاسود في افريقيا : عرب على ظهور الخيل يحملون بنادقهم طويلة البوز ، وأحباش عرايا يقذفون الاسد بحرابهم . ولعل الجيل الحاضر يرى بقايا هذه « الكرومو » الآن بأمكنة مسح الاحذية أو عليها صور عطيل وديدمونة ، وجنيثاف أمير برابان .

والتحول الحديث في ثقافتنا الفنية الجديدة هو هذا الزيف والكذب : مظاهر الفن الاوروبي الغث ، تنتقل الينا ، فتحل محل الفن الأصيل : موبيليات الاستيل « التقليد » تطرد القطع الفنية التي توارثناها عن الفنون الطولونية والاخشيدية والفاطمية والمملوكية ، وقد يكون الاجداد أورثونا هذا الاثاث أو هو الصانع المصري ، خراط القدم ، والملقب ، وعامل الاويمة ، دارس ذلك الفن القديم ، يقدم لنا عمله المعاصر . والعيب في هذا التحول لا يقع علينا وحدنا ، بل على الفنان الاهلي والتزامه الاساليب القديمة دون تطور .

والجديد في تطورنا الحديث هو فن التصوير والنحت ، لان صلتنا بفن التصوير في العهد المسيحي ، وبفن المثال في العهد الفرعوني ، كانت قد انقطعت تماما ، ونشأت فنوننا التشكيلية على أساس الفن الاوروبي ، أي على قواعد الرينسانس وما تلاه .

أما موسيقانا القومية — وكانت خليطا من موسيقى المصريين والفرس والترك — فقد لبثت أطول زمن ممكن . لان الموسيقى — أرقى الفنون وأعمقها — هي أقوى الفنون رجعية ، وهي آخر ما يتطور منها . عرفتها حتى مراهقتي ، في التخت ، والصهبة ، وشهدت تطورها البطيء على أيدي عظماء رايتهم رأي العين وسمعتهم وعرفتهم شخصيا : الشيخ سلامة حجازي ، وكامل الخلفي ، وداود حسني ، وسيد درويش . وأستطيع ان أحدد زمنا لهذا التحول بسنوات الحرب العالمية الاولى وما بعدها .

يجرني هذا الى الحديث عن ثورة سنة ١٩ التي لم تأخذ بعد مكانها الجدير بها في التاريخ الحضاري لهذه البلاد . فان ما تناول حياتنا بعد الحرب العالمية الاولى من تبديل في شئون الفن والفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع — وهو ما ينطوي تحت ثورة ١٩ — كان تطورا فعليا في ثقافتنا الفنية : عقب تلك الثورة بدأت عنايتنا بالموسيقى العالمية المتطورة ، وبدأ مصورونا ومثالونا يخرجون من مجال التقليد الى الاصالة في الخلق ، وانتقل شعرنا من القديم المنتهي بالبارودي الى الجديد الذي بدأ بعبد الرحمن شكري وابراهيم المازني وعباس العقاد ، وأدبنا من أدب المقامة والرسالة الى الادب القصصي والتمثيلي (هيكل — طه — الحكيم)

ولا أقصد بتحديد تاريخ بأن كل هذا التطور جاء نتيجة الثورة ١٩ ، ونسيا من لا شيء ، فالتتابع لحركة التطور الفني يلاحظ أنه بدأ قبيل الحرب العالمية الاولى وأبانها ، وكان التطور الفكري والفني في ثورة ١٩ من أثر الخمائر الفنيـــة والادبية التي وضعها رواد التطور : لطفي السيد وشمـــكري والعقاد والمازني وهيكل وسلامة حجازي وكامل الشناوي وداود حسني ، ويعد طه حسين بحق حلقة الوصل بين أولئك الرواد وبين بعثة ما بعد ١٩١٩ ، كما ان عباس العقاد ظل من عهد الرواد الاول الى اليوم في طليعة التطور الادبي العميق .

أما عن وجهة التطور ـ سؤالكم الثالث ـ فيلخص في جملة واحدة : الاحساس العميق بالتاريخ المصري في كل عهوده ، والانفعال بفن الشعب المصري عـــلى أساس من العلم المكين ، والادراك الكامل للاوضـــاع والاشـــكال والقـــوالب الاوربية .

ويذهب بعض الغلاة الى اعتبار كل ما يتصل بالحضارة الاوروبية نزولا عـن أصالتنا المصرية ، كما يربط أولئك الغلاة ربطا ظالما بين المادية الغربية ، وآثارها المتجرمة ، وبين الفكر والفن في الغرب ، والحق أن ما يعرف بحضارة الغرب ليس شيئا اخر سوى جماع حضارات ، وتفاعل تفكير اشترك فيه الشرق والغرب ، والعرب والعجم ، أو كما قلت في أحد كتبي « سندباد الى الغرب » : « حضارة اليوم هي حقي ملكي ، بقدر ما هي حق لبعض الاوربيين ، لانني أنا المصري من كبار بنائها . فكيف أنكر نفسي ، وتاريخي وجهاد فلاســـفتي وعلمـــائي ، والمفكرين من أجدادي وضيوفهم على مدى آلاف السنين ، لأقف من حضارة اليوم هذا الموقف السلبي ، وهي من غرس يدي وفكري ومشاعري ، بأكثر مما هي من غرس الصقلبي أو الاسكندنافي ؟

وما دراستنا للوسائل والقوالب الغربية الا سبيل الى تحقيق غايات قوميـة مصرية ، تماما كما فعل اليابانيون والصينيون والهنود من الشعوب الشرقية ، والروس والمجر والتشك والاسبان من الشعوب الاوربية .

والصيني الذي يتابع اليوم فنه القديم فحسب ، لايعدو أن يكون مقلدا ، كما أن الهندي الذي يتابع مدارس التصوير الحديث في الغرب لا يعدو هو أيضا أن يكون مقلدا .

لا شيء أخطر على الفن من التقليد ، سواء جاء رجعيا ، عن طريق اجتـذاء القدماء ، أو جاء مستحدثا ، بتقليد المحدثين

وغلاة الرجعية يفضلون أن يقلد الفنان أجداده ، عن أن يأخذ عن الغـــرب المتطور أساليبه .

ولكنني أفضل للفنان اليوم ان ينقل عن الغرب وسائله ، لانني واثق من أحد أمرين : أما أن فقره الفني يقف به على عتبة التقليد ، وفنه لاقيمة له ، وأما أنه موهوب فنيا ، وفي هذه الحالة . أراد أو لم يرد ، عن وعي أو عن غيـــر وعي ، سوف يحتمل في فنه دمه وأعصابه ووراثته وتاريخه ، فيخرج فنا قوميا أصيلا في قوالب متطورة .

وسؤالكم الاخير هو : ٤ ـ ما واجبنا ، افراد وهيئات ، نحو هذا التطور ؟
يتلخص واجبنا فى كلمات قليلة :

مقاومة الادعياء والدجالين والنفعيين فى دولة الفن

ولا أعنى بالمقاومة هنا القتال والغلبة ، وانما أقصد العمل على ترك أولئك الدجالين وشأنهم ، يعاون على من شاكلهم من العامة والسوقة ـ والاكتفاء بانارة الطريق لمن يلتمس سوى الطريق . والفنون فى مظاهرها العليا ـ مهما تمشدق دعاة الديموقراطية ـ لها أهلها وذواقتها ، من أهل الحجى والثقافة . وأرجو ان لا يفهم هنا ان أهل الحجى والثقافة هم الاغنياء بحسابهم فى البنوك ، ولكنهم الاغنياء روحا وقلبا ، المؤمنون بالفكرة ، الذين يردون بما رد به عيسى بن مريم على الشيطان : « مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله » .

لقد انتهت خرافة « الثقافة ملك للخاصة » بمعنى الطبقات الموسرة ، وانتهت منذ زمن طويل ، حتى قبل ان توجد الديموقراطيات الشعبية ـ الثقافة ملك لأهل الثقافة من أية بيئة جاءوا من الفقراء أو من ميسورى الحال أو من الاثرياء .

وأخطر ما أخشاه على الفن هو اتصال أفاقيه بالقوامين عليه من الرجال الرسميين . وهى ظاهرة معروفة فى كل مكان ، حتى فى الدول المتقدمة فكريا وفنيا . فالغالب أن الحكومات حين ترعى الفن ، تسلم قياد الفن لغير أهله ، أو للضعاف من أهله هؤلاء يقعون فريسة سهلة للفنانين « الناجحين » أى الذين يستغلون غفلة الزعار والحرافيش والعوام

وفى الدول المتقدمة فكريا تواجه الصحافة والنقد النزيه خطر انزلاق الهيئات الرسمية فى طريق السهولة والديماجوجية الفنية ولكن الصحافة فى العصور الحديثة أصبحت هى الاخرى مهددة بانزلاق آخر ، وفى نفس الاتجاه الديماجوجى ، اذ تقع تحت سيطرة الاعلان ، لترويج السلعة الرائجة بها وأقول لاهل الثقافة من أية بيئة جاءوا من الفقراء ، أو من ميسورى الحال ، أو من الرائجة !

وأشد الاعداء نكيرا على الفن هو (الهيدونية) وعدم الايمان برسالة الفن . ولا يغرنكم أن تسمعوا الجميع يتحدثون عن هذا الايمان . فأنتم ، أيها الامناء ، أعرف الناس بمنابع الايمان . والايمان شىء آخر غير شقشقة اللسان .

حسين فوزى

فن التصوير

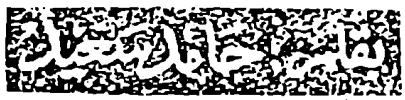

١ ـ متى بدأ التحول الحديث فى فن التصوير فى مصر

عند بداية العصر الحديث فى مصر لم يكن هناك فن تصوير أى أن فن التصوير فى مصر بدأ مع بداية العصر الحديث .

٢ ـ ما خطوات التطور فى هذا الميدان ؟

لقد حاولنا فى فن التصوير أن نردد بصوت خافت ما يردد الغرب المعاصر بصوت مرتفع

٣ ـ ما وجهة هذا التطور ؟

الى الآن لا توجد وجهة لهذا التطور لأن حركتنا الفنية مع الاستثناء القليل النادر ورغم ما يبدو عليها من نشاط ليست حركة فنية حقيقية

٤ ـ ما واجبنا أفرادا وهيئات نحو هذا التطور ؟

بينت هذا فى مقالى : (الفن والدولة) و (الفن والفرد)

فى الحديث

١

١ ـ متى بدأ التحول الحديث فى حياتنا الموسيقية ؟

التحول الحديث فى الحياة الموسيقية بمصر ـ ككل ظاهرة « حديثة » فى حياتنا الروحية والمادية ـ نتيجة لتقابل الغرب بالشرق أو بالاحرى لتدفق السيل الغربى على أرض مجتمعنا الذى بدأ بانهيار سدود البناء العثمانى ذلك البناء الذى حجب عنا النور والحياة قرونا طويلة • وقد حدث هذا الانهيار على مراحل كان من أهمها وأحسمها قيام الحرب العالمية الاولى

٢ ـ ما خطوات التطور فى هذا الميدان ؟

٣ ـ ما وجهة هذا التطور ؟

عندما أقبل الغرب الينا وتعرفنا على تراثه الموسيقى الضخم بدأت المحاولات لتفهم سر العظمة فى هذا الفن والاهتداء الى نواحى القوة فيه وتغذية حياتنا الموسيقية بها • وأهم ظاهرة جهدنا ـ ولا نزال ـ فى اقتباسها من حيث البناء الموسيقى الفنى هى تعدد الاصوات • وتوضيح أسلوبنا فى اقتباس تعدد الاصوات هو الذى يدل على وجهة هذا التطور • فالغالبية من المؤلفين تتجه نحو المحاكاة الحرفية للهوموفونية الاوروبية (١) وتتخلت فى سبيل ذلك عن المقامات الشرقية الغنية • ولم تحاول أن تخلق لنفسها أسلوبا جديدا فى تعدد الاصوات يحافظ على مقاماتنا ويبعث فيها روحا وامكانيات جديدة ومن مظاهرة هذا التطور أيضا تنكره لشعورنا الايقاعى المرهف الاصيل (وان فقد للاسف الكثير من ثرائه عندنا بالمقارنة ببعض الشعوب الشرقية كالهند واندونيسيا) ، هذا فى الوقت الذى يسعى فيه الغرب جاهدا لاقتباس مقامات الشرق وايقاعه ! ..

وسيكون القول الفصل فى مصير التطور السامى لفننا الموسيقى للحل المجدد الذى لا يعتمد على محاكاة الغرب

بقلم : محمد حمدى ابراهيم

---

(١) الاسلوب الذى تغلب فيه الميلودية الرئيسية على باقى الاصوات الهارمونى المصاحبة لها •

والذى يستطيع ان يرتفع بامكانياتنا المذكورة الى خلق فنى رفيع

٤ ـ ما واجبنا ، أفرادا وهيئات ، نحو هذا التطور ؟

واجب المجتمع : ان يفتح صدره لكل محاولة فنية جدية وان يفحصها بنظرة موضوعية ـ ما أشد حاجتنا اليها ، فنحن ننزع عامة نحو النفى والانكار فى أحكامنا ـ نظرة موضوعية تحررنا من التجمد عند حدود الماضى فى شرقنا كما تحررنا من السجود أمام تقاليد الماضى ، فكلاهما قتال مميت لمجتمع يتطلع الى بعث جديد والى خلق جديد ، وسنة التطور لم تلحق فقط بمجتمعنا ولكن بمجتمع الغرب أيضا • والعين البصيرة هى التى تتلمس خيط الحياة المتصلة المتجددة مهما اختلفت الوسائل المستخدمة فى العمل الفنى •

٢ ـ ان يعمل على تهيئة نواح للمجال يأخذ منها الفنان رحيقه لكى يستطيع بدوره أن يخلق منه • وهذا واجب المجتمع المصرى حيال الفنون عامة • ونواحى الجمال ـ والحمد لله ـ ليست بالقليلة فى مصرنا ، ولكن معظمها من خلق أسلافنا أو هى هبة من الطبيعة • أما مجتمعنا الحاضر فقد صرفه اغراقه فى المادية عن الاضافة الى نواحى الجمال تلك ، مما يفسد الجو على القلائل الذين يبحثون عن الجمال ليرفعوا به أنفسهم ويرفعوا معهم الانسانية •

٣ ـ رعاية الفنان الاصيل الناشىء وحمايته من العوامل المعرقلة • واذا كنا قد بدأنا نحس اتجاها نحو الهجرة الى الخارج من علمائنا فلن يطول الوقت حتى تنتقل هذه الظاهرة الى فنانينا ان لم تكن قد بدأت فعلا (هناك مؤلف موسيقى مصرى هاجر فعلا منذ سنوات الى الخارج حيث وجد ما افتقده هنا من جو رحب) • ومن يدرى كم من فنانينا الناشئين يقوى على احتمال مرارة الحياة ومنغصاتها لكى يحتفظ بجذوره فى ارض وطنه ، ولنعلم ان فننا الموسيقى الاصيل يتجه الى عالمية الفهم والادراك أى أن وطنه يتسع تدريجا حتى يشمل الانسانية بأجمعها وأن هجرته الى الخارج لن تصبح متعذرة كما كانت بالنسبة لفنانى الاجيال الماضية

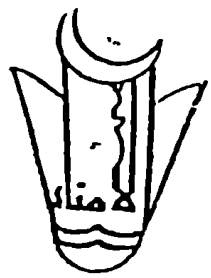

(٢)

متى بدأ التحـــول الحـــديث فى الموسيقى فى مصر ؟

ليس من اليسير الاجابة على هـذا السؤال مباشرة ولـكن تحديد عوامل التحول قد يجيب عليـــه اجابة غير مباشرة ولكنها مقنعة • فالعامل الأول فى التحول الحديث هـــو النهضـة المسرحية حوالى العقد الثانى من هذا القرن وهى التى فرضت على الموسيقى أسلوبا فى التعبير والأداء كان من أهم عوامل التحول • أما العامل الثـانى فهو الالتقاء المباشر بالموسيقى الغربية العالمية عن طريق الاذاعة والسينما وما نتج عنه من تفاعل الموسيقى المصرية وتأثرها بها •

ما خطوات التطور فى هذا الميدان وما هى وجهته ؟

خطوات التطور قد لا تبدو واضحة الا عندما تتركز وتتبلور فى وجهـة معينـة ولذلك أفضـــل الاجابة عن النصف الثانى من السؤال •

لا زال التطور الموسيقى فى مصر فى مرحلة أولية وكل ما يمكن الآن هو تركيز الاهتمام على بعض البوادر العـــامة التى تنبىء عن وجهـة نظر التطور • وأعتقد أن هذا التطور العام يدل بشىء من الوضـوح على وجـود اتجاهين لتطوير الموســـيقى المصرية التقليدية وكلاهما متأثر بالموسـيقى الغربية منفعل بها من زاوية خاصة : الأول يأخذ منهـــا القشور البراقة ويسبغها على جوهر موسيقى شرقى صميم ، مثال ذلك اقتباس الايقاعات الراقصة والآلات الموسيقية الملونة ، ويبدو ذلك أيضا فى المحاولة الجاهدة لاضـــفاء بعض التعبـير العاطفى على أسلوب الغناء وألحانه ، ومثل هـذا الاتجاه غير الأصيل بعيـد عن خلق الأسلوب المصرى المتطور الذى نفتقر اليه وننادى به •

والاتجاه الثـــانى متـأثر كذلك بالموسيقى الأوربية ولكنه ينظر اليها من زاوية محلية ويحاول أن ينفذ الى جوهرها عن طريق العـلم والصناعة الموسيقية وهو يتطلع الى بث الروح المصرية فى مؤلفات موسيقية عالميـة الصياغة والأسلوب وذلك بالرجوع الى الفولـــكلور المصرى الموســـيقى واستنباط المادة اللحنية والايقاعية منه أو من جوه وروحه • ومثـــل هـذا الاتجاه شاق بطبيعته فهو يحاول خلق طريق جديد لموسيقانا المصرية وعليه أن يختار من الأدوات الفنية العالمية أنسبها لبيئتنا وتراثنـــا وعصرنا ، ولذلك نجد المؤلفات الموسيقية المصرية

بقلم : سمحة الخولى

المثلة لهذا الاتجاه تنقسم هى نفسها الى قسمين أحدهما يرتبط بالأسلوب الرومانتيكى للموسيقى الأوربية فى هارمونيته وجوه العاطفى ، والآخر يرتبط بالأساليب الموسيقية المعاصرة للقرن العشرين بما تنطوى عليه من جرأة وتحرر واتساع كالهارمونية فى التعبير • ومهما يكن من أمر هـذا الاتجاه بقسميه فهو لا زال حتى اليوم فى مرحلة تجريبية تمهيدية هدفها خلق أسـلوب قومى مصرى أصيل يعتمد على الوسائل الفنية الموسيقية العالمية وعلى التراث الموسيقى المصرى

ما واجبنا أفرادا وهيئات نحو هذا التطور ؟

واجبنا يتلخص فى : أن نعـرف أنفسنا ـ وأن نعـرف العـالم من حولنـا ـ وأن نمضى الى الأمام فى محاولة التعبير الصـادق على هـذا الأساس •

ولكى نعرف أنفسنا علينا أن نبذل الجهود المركزة ـ أفرادا وهيئات ـ فى تسجيل موسيقانا القومية ودراستها ـ وأقصد بالقومية موسيقانا الشعبية والدينية والكلاسيكية الشرقية ـ لكى لا تنقطع صلتنا بماضينا ولكى لانفقد ايماننا بذاتنا ، والدراسة هى الطريق الحقيقى الى التقويم السليم البعيد عن التحيز • والدراسة هنـا مقصودة بأوسع معانيها ،أى دراسة المتخصصين لمميزاتها ثم دراسة طلاب الموسيقى لها ، علما وعمـلا ، ثم جعلهـا جزءا أساسيا من الغذاء الروحى للنشء فى بلادنا على اختلاف مراحل تكوينه ، وعن طريق التدبير الحكيم لهذا النشر والدراسة ـ بواسطة التعليم والاذاعة ـ سيتكون لدينا الوعى الفنى بقيمة موسـيقانا وطبيعتهـا وحـدودها وامكانيات تطويرها والحاجة الملحة الى هذا التطوير •

ولكى نعرف العالم من حولنا يجب علينا ـ هيئـات وأفرادا ـ أن نفتح النوافذ على العـالم الموسيقى لكى لا يؤدى اهتمامنا بتراثنـا الى عزلة أو رجعية فنية أو ضيق أفق ، فنحن فى أشد الحاجة فى هذه المرحلة الى بنـاء وعى موسيقى عام شـامل والى نشر الثقـافة والاحساس الموسـيقى على أوسع نطاق كوسيلة أساسية لرفع مستوى الذوق الموسيقى السـاذج ، ولتعديل فكرتنـا عن دور الفنـون والموسيقى فى الحيـاة ، ولن تكتمل لدينا عوامل النهضة الحقيقية الا بنشر الوعى الموسيقى العالى ورفع مستوى التذوق وخلق رأى عام موسـيقى مستنير •

وأخيرا وليس آخرا واجبنا أن نفتح قلوبنا وآذاننا لكل المحاولات الجديدة فى الموسـيقى المصرية القومية وأن نرعاها بحب واعتزاز وألا ندع غرابة الجدة تحول بيننـا وبين القدرة على الفهم والتذوق فان تنمو تلك المحاولات أو تزدهر أو تتحدد معـالم الطريق أمامها اذا لم تجد استجابة واعية من الجمهور الذى تريد أن تعبر عنـه وتتحدث باسمه •

(٣)

لاجل أن نعرف متى بدأ التحول الحديث فى الموسيقى يجب علينا أولا أن نعرف الموسيقى التى كانت عندنا قبل هذا التحول لنتبين منها ما اذا كان هناك تحول حقيقى أم لا • ثم أن كلمة تحول تفيد أو تفترض وجود ماضى موسيقى راسخ ـ وهو ما أشك فى وجوده ـ فاذا ما نبشنا تاريخنا الموسيقى لن نجد به سوى كلمات مرصوصة مزخرفة منمقة تقرظ جهود أفراد ذاع صيتهم فى يوم من الايام وكلهم على ما أعتقد من المغنين فقط ولكن أين الدليل المادى على صدق هذه الكلمات ؟

أغلب الظن أن مؤرخى الموسيقى اعتمدوا فى بياناتهم على ما يتناقله الرواة ، وفاتهم أنه كان لابد من تدوين موسيقاهم أو أغانيهم لتشهد على صدق روايتهم وتقيم الدليل على عبقرية هؤلاء الفنانين • ولذلك فانه من الصعوبة بمكان ، ولا يمكن بحال من الاحوال تحديد متى بدأ التحول الحديث فى الموسيقى طالما أنه لم يكن عندنا موسيقى قبل ذلك •• فماضيها مجهول وغير معلوم •

العلم والمعرفة هما أساس التطور فى أى فن من الفنون أو علم من العلوم •• فالتطور يحدث دائما نتيجة لانتشار العلم والمعرفة • والموسيقى المصرية بمفهومها العامى الصحيح للكلمة تكن معروفة منذ حوالى ٣٠ عاما ، اذا ما استثنينا البشارق والسماعيات ، فقد كانت الاغانى أكثر انتشارا منها فى ذلك الوقت ، وكانت متأثرة الى حد كبير بالقراءات والتواشيح الدينية ، ولكنها كانت تلقائية ارتجالية حسبما لا تلتزم بقاعدة معينة أو شكل خاص قدر التزامها بالتجديد ، تخاطب مشاعر الناس دون عقولهم •

واستمر الحال هكذا حتى اقتحم الميدان الموسيقى مجموعة من الشباب تحاول التخلص من السماعيات والبشارق التى كانت موجودة بأبدالها بألوان أخرى أكثر تحررا ، تلقى بعض هؤلاء الشباب تعليمهم الموسيقى أثناء اشتغالهم بالجيش •• والبعض الاخر تخرج فى المعهد العالى للموسيقى العربية ـ فؤاد سابقا ـ وهو المعهد الموسيقى الوحيد فى ذلك الحين ـ وبدأوا جميعا يكتبون الموسيقى التصويرية للافلام •• ومع ذلك فلم يكن لموسيقانا شخصيتها المستقلة

ثم تلونت موسيقانا بعد ذلك بألوان أخرى غير محددة الاتجاه •••

بقلم : عادل فؤاد

فمنهم من اتجه الى الموسيقى التعبيرية .. ومنهم من فضل محاكاة الموسيقى الراقصة .. ومنهم من اتجه نحو اختيار فكرة موسيقية شبه مألوفة ليعبر عنها بصور وأشكال مختلفة . وقد لاقى الاتجاه الاخير قبولا حسنا من الجماهير اذ يتبين فيه المقدرة والمهارة الحرفية الموسيقية

ولكن ما وجهه هذا التطور ؟ وهل يمكن أن نعتبره امتدادا لموسيقانا التى بدأت منذ أوائل هذا القرن ؟ ستجد الاجيال القادمة الاجابة عن هذه الاسئلة عندما يتحدد الشكل العام لموسيقانا وتصبح جزءا هاما من حياة وتقاليد كافة طبقات الشعب .

ورغم كل هذا فأعتقد أن واجبنا كافراد أن نستمع الى كل انتاج .. ونستشعر منه مدى ما أصابنا فى نفوسنا من تأثير أو انفعال ، ثم نعلن رأينا فيه بصراحة ودون تحيز . كما أن واجب الافراد الذين درسوا الموسيقى ونالوا قدرا طيبا من ثقافتها أن يتعاونوا جميعا وينيروا الطريق أمام من لم تسمح ظروفهم بفهمها .. لاننا فى حاجة الى تكتيل الجهود لمحو الامية الموسيقية .

وأعتقد ان واجب الهيئات الموسيقية الاهلية يختلف عن واجب الهيئات الحكومية . فبينما تنشر الاولى الالوان الثقافية الموسيقية المختلفة بين الناس تراقب الثانية كل انتاج موسيقى بحذر بالغ دون المساس بحرية التعبير عنه وتمد لكل مجتهد المعونة المادية قبل الادبية . كما أن الواجب الاول للهيئات الحكومية هو انشاء المعاهد والمكتبات الموسيقية وتهيء الفرصة لكل من يطلب العلم .

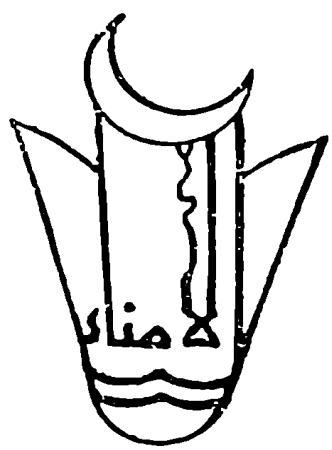

أغنية يتيم فى عيد الأم

أرى الأكوان خاشـــعة تزف الحمد للرب
وكل الناس محتفلون يملأ أسـعدهم دأبى
ولكنى بلا أم ليغمر عيـــدها قلبى
بلا دنيا ، بلا نور ، بلا أمـــل ، بلا حب

* * *

أنا أدعـــوك يا أماه من وجـــدان وجدانى
وأنت بعالم الأرواح ، هل تأتيك أحزانى ؟
أم الأرواح تنسانا ؟ وان تنسى ٠٠ أتنسانى
أنا ياروحها السامى؟ ٠٠ أنا؟ حاشاكنسيانى

* * *

أرى فى العيد آلامى ويشـعل لحنـــه همى
فما معنى حـــديث العـــود والقيثار للصم
فهذا الضوء للرؤيا ، وهذا العطر للشـــم
وهذا العيد للسكرى بظل الأم ٠٠ يا أمى

* * *

أحدق فى وجوه الناس ، فى الأطيار ، فى الزهر
وأبحث فى فضاء الكون ، فى الأمواج والصخر
وأمضى مرهفا سمعى ، شريدا ضيق الصدر
كأنى فاقد شيئا وما هو ذاك ٠٠ لا أدرى

* * *

أحدق فى الفضاء الرحب، فى اللاشىء ، لاعينى
بمبصره ، ولا عقلى بمدرك ما يحيرنى
ســـوى حس بشىء ما بهذا الكون يرقبنى
وأنظـر لا أرى الا حنان الأمس يجذبنى

* * *

حبيت على صدى الماضى بلا وعى ، بلا عزم
أقدس أمسى المفقود فى يومى ، وما يومى
سوى أمس الغـــد الآتى فكيف أبثه همى
وما انست به نفسى ، ولم يـــأمن به حلمى

* * *

وأعمى نفسى الثكل وهذا القلب حـــرمان

فلاأدرى أناملك؟ .. أانسان ؟ .. اشيطان؟
فدنيانا مـــجالات تحركنا وخيطـان
ونفس فى مجـال الحس اخـــلاط وألوان

★★★

ويحيا من له أم بهـــذا الكون نشـــوانا
ويحسب هـــذه الدنيا تغـــاريدا وألحانا
ولكنى أرى الدنيا تهاويلا وأشـــجانا
فأمى ، عالمى .. روحى توارت خلف دنيانا

★★★

فيا أماه هذا العيد عيد الناس لا عيـــدى
تساوت عندى الأصوات من نكر وتغـريد
وصار النور كالاعتام فى أعماقى الســـود
فنور النفس يا أماه ، حبك .. غير موجود

★★★

أنا يا أم مثـــل الناس أحيا محنة القيم
أوارى ثورة الاحساس بين النـــور والظلم
وأنفى شبهة التفـــكير والتعبـير عن قلمى
فليس يزيدنا التفـــكير غير مـرارة الألم

★★★

فلا يحزنك يا أمـــاه كتمانى لمأســـاتى
وان رفت على ثغرى بعيد الام بسمـــاتى
فروحك أنت يا أماه تسرى اليوم فى ذاتى
وتعـــلم بالذى أخفيـه من ويلى وآهـــاتى

★★★

وجاء العيد يا أمى فأيقظ بعض أحـــلامى
ونادت هتفة الذكرى تراتيـــلى وأنغـــامى
اليك هديتى « يا رب هبها عطفك السامى »
وهبنى الصبر يا ربى .. أضىء يارب أيامى

« ابراهيم حماد »

غـــدا نلتقى

هنـــاك أخى فوق متن الربى ... وعبر السهول غـــدا نلتقى
نثير النيـــام ونحيى الرميم ... ونرســل فيها الندا المحنق
تضـــج الزلازل فى أضلعى ... وتعوى الجراح على مفرقى
وشـــعبى يســـير بأغـلاله ... جـــريح الامانى والمـــوثق
فأهتف لست أمـــل الهتاف ... غدا يا صحاب
غدا نلتقى

هنـــاك أخى لن نهاب الردى ... ونقصف كالرعـد فوق البطاح
نصب على الوغـــد جام الأسى ... ونصعق بالنور ليل الجـــراح
أأترك شـعبى على حـــاله ... حليف البلاء أسير النـــواح ؟!
يئن اذا ما تهادى الدجـا ... ويبـكى اذا ما أطل الصـــباح
ولـــكن برغم الانين الـذى ... يسيل ، أصيح :
غدا نلتقى

اذا فرق الســـجن أجسـادنا ... ونادى منادى النوى والفراق
وبت تقـــاسى الهـــوان به ... وأصبح عيشك مر المذاق
وصارت لياليك مثل الجحيم ... وأحـــلامك البيض رهن المحاق
فلا تأس .. لا تأس مما ترى ... فلا بد بعد النـــوى من تلاق
ولا بد أن يســـتجيب الاله ... اذا ما هتفت :
غدا نلتقى..

تفطر قلبى بوادى العـــذاب ... وماجت به طاغيات الدموع
لقـــد مزق العسف آجالنا ... وطار الأسى بين تلك الربوع
ولست أعى غير رجع الصـدى ... وهمس الونى وأنين وجـــوع
أرى المســـتبد غـدا كل شىء ... وذابت حواليه هـذى الجموع
ولكن رويدك انى ســـمعت ... هديرا يصيح :
غدا نلتقى

هناك أخى حين يهفو الصباح ... أنادى الرفاق : « أتى موعدى »
ســـأرجع للشعب حق الحيـاة ... نضيرا .. طليقا .. نظيف اليد

وأوقد للشعب نار الخلود
واحدوهمو فى غمار النضال
ففى كل ركن لنا صولة

أتحسب أن طريق الهدى
لدى السفح تسمع شدو الهزار
بذلك سار القضاء الحكيم
فدس فوق شوك .. تقدم .. ولا
ومرعى خصيب .. وايك حبيب

وريح الشمال أخى قد سرت
تفتح قلبى لعذب الشدى
تلوح لعينى دنيا الجمال
وحلم يبين برغم الضنى
وصوت لدى النيل غنى لنا

فتهفو الحشود الى موقدى
وبين الرياض .. وفى المسجد
فهيا وناد
غدا نلتقى

ومنعرج الخير سهل العبور ؟
وعند السحاب هدير النسور
ودانت له آبدات الدهور
تخف .. فهناك سلام ونور
وظل .. وزهر
غدا نلتقى

فأيقظت الوجد فى روحنا
فثار الحنين ، وهاج العنا
ورطب الهوى وظلال المنى
طليق الأسارير حلو السنا
هناك .. هناك
غدا نلتقى

« نجيب الكيلانى »

الحصـــاد

نسمات النيل ·· أهجت الشوق ... ونار الشـــوق كـــوت جنبى
وبعثت شـــجونا كامنهـــا ... مدفون الجـــرح عميق الطى ··
والمـــوجة فى لعب تجـــرى ... اثر الاخرى كى تشرح شى ·· !
وذوائب تحـــلك ذهبهـــا ... شـــفق مخضل العطر ندى ··
وبصـــفحة مـــوجك صـــورها ... كالتحفة ·· فى آصال الضى ··

* * *

ســـقيا للدار ·· ومن قد كان ... بربع الـــدار لروحى صـــفى
هيجت حنيـــنى لـــزمان ... فيـــه قد درج الحب صـــبى
ونمـــا ·· ورعاه هـــوى بدر ... قـــد كان اذا طـــلع نجى ··
والغيب بصـــفحته عنـــا ... ناء ·· أن ينأى فالبال خلى ··
والعمـــر يدور عـــلى مهـــل ... ألتذ بخمـــرة أعلب فى ··
أياما كانت لا شـــــن ... فيها ·· بل ليس القلب شجى !
والدوحـــة تمنحنى ظلـــين ... ندى المحبـــوب وظل الفى ··
وزمان الوجـــد بلا شـــغل ... وجميل الصـــورة غير قصى ··
والـــروح تطـــير بـــلا زمن ... والفجـــر يشقشق فى عينى
والصـــب شـــهود ادمعـــه ... ونجوم الليل اذا ما عى ·· !

* * *

مارســـت الحب وفى خـــلدى ... انى بالحب ســـابعث حى ··
وســـقيت بدمعى دوحتـــه ... فاذا الاشواك حصاديدى ·· !
واذا بالحب مـــنى تخبـــو ... وتســـيل ســـقاما فى بردى
وثمـــالة كاس ما تركت ... غـــير الآنات على شفتى ·· !

حلقت وآمالى كثر ... وهويت واحزانى ضعفى ..
ومشيت وفى كفى امل ... ورجعت اقلب فى كفى ..
عين للساهر لا تغفو ... امل لليائس غير دنى ..

* * *

عجبا يا دهر تعاندنى ... وأكابد فيك صنوف الوى ..
وانا فى الناس فتى يحيا ... كغريب ضل خلال الحى ..
وصفاء الحس له طوق ... فيه قد شب العمر فتى ..
والشعر يضىء سريرته ... بجمال ما لاح لانسى ..!
لا يحمل حقدا .. او ضغنا ... بيضاء صفحته ونقى ..
يتلو ما يوحى من كلم ... والسامع من عجب أمى !!

* * *

ثروته الحب وما يسعى ... لثراء كى يحيا أو كى ..
والسعد اذا يحيى يوما ... فحياة الفقر تلذ لدى .. !
بل أنشد نبعا أستسقى ... منه الآمال وأطلب رى ..
واود فكاكا من نحس ... عشقت قدماه ثرى قدمى ..
ويكف بنو القربى عنى ... ويؤوب اللائم بالخفى .. !
قربى والحقد لهم ثوب ... وسواد النفس عليهم زى ..
ان حلق فى روضى طير ... أمروه بصب النحس على .. !
او صفق فى وترى نغم ... حبسوه فلا يشجى سمعى .. !
او لاح على أفقى نجم ... رجموه فلا يسنى حولى .. !
او عثر بآمالى ركب ... قالوا : مفتون سلك الغى ..
أنا راض يا رب ولكن ... قدر للغير وليس الى .. !
عمر ينساب على نسق ... مكتوب فى اللوح الأبدى .. !

* * *

بالحب اتيتك ملتجئا ... ولأنت بنا بر وحفى
فاغدق من عندك رحمات ... تساقط من فيض علوى ..
واملأ بالحب قلوبهمو ... فالحب مثالك يا قدسى
يا رب رضاك فان يحظى ... قلبى برضاك أعيش رضى ..
أكثير ان أحظى يوما ... بالبعض .. وحسبى بعض الشى
والزورق يسرى لا عوج ... فى اليم ولا ريح او اى .. !
ليلى قد طال ولا اغفو ... والسهد يعشش فى جفنى ..
رغمى اخفيت اسى نفسى ... وخشيت العاذل يفرح فى .. !

أبـــكى والعـــبرة فى قلـــبى ... خـــرساء الأنة فى عينى ..
ولكم يشـــفى المحـــزون الد ... مع كما يشفى المجروح الكى ..
ما ضر اذا صـــبحى وافى ... وينـــور حـــولى كل دجى ...
رغمى قـــد جئت وما ذنبى ... قدر فى الدنيا كتب على ...
وأنا الحـــــيران ولا أدرى ... أنى ميت .. او أنى حى .. ؟!!

فتحى سعيد

القرآن ... والحياة

توجيهات اجتماعية من هدى القـرآن

تتابع دار المعرفة اخراج هذه السلسلة

من قلم الاستـــاذ أمين الخولى

بعد ما أخرجت الحلقة الاولى منها : القادة .. الرسل

هل كان حلمًا ؟

لجى دى موپاسان

ترجمة : ابراهيم خورشيد

أحببتها ، بل جننت بها غراما

ترى لماذا يحب الانسان ؟ وما الذى يدفعه الى ذلك ؟ انى لاعجب كيف يعشى بصره فلا يرى الا كائنا واحدا فى هذا العالم ، ولا يدور بخلده الا خاطر واحد ، ولا يهفو قلبه الا لرغبة واحدة ولا يهتف لسانه الا باسم واحد ، اسم ينبعث من أعماق النفس الى الشفتين كما ينبثق الماء من النبع ، اسم يردده المرء بلا كلل ولا انقطاع ، اسم يهمس به همسا متصلا متداركا كأنه صلاة من الصلوات

وها أنا ذا أقص عليك قصتنا ، وهل للحب الا قصة واحدة لا تتغير ولا تتبدل ، لقيتها وعشت فى ظل ظليل من حدبها ورعايتها ، وتقلبت بين أحضانها وذراعيها ، ونعمت بعذب حديثها ، وامتزجت بكل شىء يصدر عنها ، وعدت لا أحفل بالنهار تتفتح شمسه ، ولا بالليل يرخى سدوله ، أترانى كنت ميتا ؟ أترانى كنت حيا أدب على هذا الكوكب الارضى الذى شاخ وهرم ؟

ثم ثم ماتت . لا أدرى كيف ، لا أدرى ، لا أدرى . أو قل اننى عدت لا أدرى شيئا قط . فقد حدث ان عادت الى المنزل فى أمسية من الامسيات مبتلة الملابس بعد أن أصابها المطر الذى كان يهطل فى الخارج ، ثم أصيبت بالسعال فى اليوم التالى . وظلت على هذه الحال أسبوعا لا تستطيع ان تبرح الفراش

لقد غاب عن ذاكرتى ما حدث ، ولكنى أذكر ان الاطباء أخذوا يترددون عليها ويشيرون عليها بالدواء اثر الدواء ثم ينصرفون الى حال سبيلهم . وكان الدواء يشترى على جناح السرعة وتبادر النسوة الملازمات لفراشها بتجريعها اياه . كانت الحمى تسرى فى أوصالها ، وجبينها يلتهب التهابا

اما عيناها فكانتا حزينتين متلألئتين يشع منهما البريق اشعاعا . وكنت أحدثها فتجيبنى ، ولكنى لا أذكر ما كنا نتحدث فيه . وكل ما أذكره ان الممرضة ندت منها اهة ، ففهمت ، وأدركت ما حدث

ولا أعرف شيئا أكثر من ذلك ، لا أعرف . لا أعرف . لقد شاهدت قسيسا يقبل ثم قال لى « أهى عشيقتك ؟ » فخيل لى أنه يجرحها بهذا القول وينال منها . ولم يكن القسيس مصيبا فى ذلك ، فقد ماتت ولا يحق لاحد أن يسىء اليها بقول . وصرفت القسيس ، وأقبل اخر فيه عطف وفيه حنان ، وطفق يحدثنى عنها ففاضت دموعه .

واستشارونى فى أمر جنازتها ، ولكنى لا أذكر الان حديثهم ، وكل ما أذكر هو التابوت وصوت المطرقة تهوى لتسمير التابوت بعد أن ضم جثمانها . اه يا ألهى ! يا الهى !

لقد دفنت ، دفنت فى تلك الحفرة الضيقة من الارض . وشهد دفنها بعض صديقاتها . أما انا فقد فررت بنفسى ، وأسرعت مبتعدا عن المكان . عدوت ثم همت فى الطرقات ثم عدت الى المنزل ، وفى صبيحة اليوم التالى خرجت مرتحلا .

وعدت الى باريس بالامس . وثويت الى غرفتى ، بل غرفتنا . وشاهدت فراشنا وأثاثنا وكل شىء يبقى بعد أن تخترم المنية مخلوقين من بنى الانسان فانتباتنى نوبة غاشية من الحزن المحض حتى هممت بالقاء نفسى من النافذة . ولم أستطع البقاء اكثر من ذلك بين هذه الاشياء ، بين هذه الجدران التى ضمتنى واياها . أحسست أن الافا من ذرات حبيبتى تملأ رحاب الغرفة ، ذرات من أديم الارض التى كانت تمشى عليها . وذرات من أنفاسها مبثوثة فى ثنايا الاثاث وشقوق المنقولات . فتناولت قبعتى لأهرب وأفر بنفسى فرارا ، فلما بلغت الباب وقع بصرى على المرآة الكبيرة المعلقة فى الردهة ، وكانت حبيبتى هى التى وضعتها فى هذا المكان لترى فيها نفسها كل يوم من قمة رأسها الى أخمص قدمها وتستوثق من كمال زينتها وتتأمل حذاءها الصغير وقبعتها الانيقة ولا تخرج الا وقد استوثقت انها جميلة فاتنة تهفو اليها القلوب

تريثت قليلا أمام هذه المرآة التى عكست صورتها الجميلة مرارا وتكرارا وقفت أمامها مرتجف الاوصال واجف القلب أحملق فى هذا اللوح من البلور المسطح الفارغ الذى احتواها مرات ومرات تعادل المرات التى شاهدتها فيها عيناى . وخامر نفسى شعور بأننى أحببت هذه المرآة ، فأخذت

أتحسسها بيدى فوجدتهـــا باردة كالثلج · يا للذكريات · ايه أيتهـــا المرآة المقبضة · أيتها المرآة المفزعـة التى تعذبين الانسان كل هذا العذاب القاسى · ما أسعد المرء الذى ينسى قلبه كل شىء ضمه بين جوانحه ، ينسى كل شىء مر به ، ينسى كل ما اختلج بـــه قلبه من عواطف وأحاســـيس وحب جارف ·

ثم خرجت من المنزل وقادتنى قدماى على غير وعى منى الى المقبرة ، فوجدت قبرها البسيط وعليه صليب أبيـض من الرخام وقد نقشت عليـــه هذه الكلمات :

لقد أحبت وكانت محبوبة ثم وافتها المنية ·

وها هى ذى تثوى فى هذا القبـر نال منها البلى وعدت عليها الايام · يا للقسوة ! يا للقسوة ! ويا للفظاعة ! انفجرت باكيا وعفرت جبينى بتراب قبرها وأقمت على ذلك زمنا طويلا · ثم شعرت بأن الظلام أخـــذ ينشر أجنحته على المقبرة رويدا رويـــدا ، فتملكتنى رغبة جامحة فى أن أقضى الليل بطوله واقفا عند قبرها أبكيهـا بالدمع الهتون · ولـكنى خشـيت أن يرانى أحد فيحول بينى وبين ما أريد فكرت فى هذا الامر ثم اسـتقر رأيى على التجوال بين القبور فى مدينـــة الاموات الى أن يدلهم الليل · تجولت كثيرا وعجبت لصغر هذه المدينـــة بالقياس الى المدينة الاخرى التى يعيش فيها الاحياء ، مع أن الاموات هنا أكثر من الاحياء بكثير · وتدبرت أمـــر هؤلاء الاحياء الذين يحرصـــون على سكنى القصور المنيعة فى الطـــرقات الفسيحة ويشربون الماء القـــراح من الينابيع الفوارة ويحتسون الخمـــر تعتصر من أحسن الكروم ·

ولما بلغت نهاية المقبرة أدركت أننى قد صرت فى أقدم أجزائهـــا حيث اختلطت جثث الموتى الذين وافتهـــم المنية منذ أمد بعيد بالتراب ، ولعبت أيدى البـــلى بالصلبان القـائمة على قبورهم · وكان هذا الجزء العتيق من المقبرة مملوءا بأشجار الورد تنمو فيه بلا عناية ولا رعاية ، حافلا بأشـجار الصفصاف القوية الداكنة اللون · يا لها من حديقة خيم عليها الحزن وتغذت بلحم الانسان ·

وقفت بين هذه الاشجار وحيـــدا لا يؤنس وحشتى أحد ، ثم قبعت تحت شجرة خضراء واختفيت تحت أوراقها وأغصانها الملتفة · وأقمت عـــلى هذه الحال مدة طويلة متعلقا بجذع هـذه الشجرة كالغريق يلوذ بلوح الخشب الطافى على وجه الماء ·

فلما جن الليل برزت مـن مخبئى ، ورحت أسير الهوينى مترفقا لا يكاد يسمع لاقدامى وقع وسط هذه الارض

التى ازدحمت بالامـــوات • وظللت أتجول على هذه الحال مدة طويـــلة فضللت عن قبرها • وتابعت السير مادا ذراعى أتحسس المقابر بيـــدى وقدمى وركبتى وصدرى بل برأسى ، ولكنى لم أعثر لقبرها على أثـــر • وأخذت أتلمس طـريقى كالأعمى ، فشعرت بشواهد القبور والصـلبان والاسياج الحديدية والاكاليل المعدنية وباقات الازهار الذابلة • وكنت أرسم بأصابعى على حروف الكتابات المنقوشة على الشواهد فأستطعت قرائتها • يا لها من ليلة لم أهتـد فيها الى قبرها كانت ليلة ليلاء اختفى قمرها وادلهم ظلامها ، كانت ليلة ملأ الخوف فيها قلبى واستبد بى عندما كنت أسير فى الممرات الضـيقة التى تفصـــل بين صفوف المقابر • لم يكن ثمة شىء الا المقابر المقابر ! فقد كانت منتشرة عن يمينى وعن شمالى رابضة أمامى وحولى تكتنفنى من كل مكان • وجلست على قبر من القبور لأننى أصبحت عاجزا عن المشى أكثر مما مشيت ، فقـــد وهنت مفاصلى واشـتد وجيب قلبى فكنت أسمع دقاته ثم سمعت شـيئا آخر ترى ما هو ؟ انه جلبة مختلطـة مشوشة ولم أعرف لها كنها • أتراها كانت تدور فى رأسى أم تنطلـق فى الليل البهيم من تحت أديم هذه الارض التى اكتظت بجثث الموتى • ومددت بصرى وتلفتت حولى أتسمع فى كل اتجاه ، على أننى لا أستطيع أن أذكر كم من الوقت مضى وانا على هذه الحال فقد شل الخوف حركتى وجمـدت أطرافى من الرعب والفزع ، وكدت أصرخ وأحسست أننى أصبحت من الموت قاب قوسين أو أدنى

وخيل الى فجأة أن لوح الرخام الذى كنت أجلس عليه قد تحرك من تحتى لقد كان يتحرك حقا ، وبدا لى انه أخذ يرتفع من موضعه فقفزت الى القبـر المجاور ، فشاهدت هذا اللوح يرتفع ويرتفع ثم برز من جوف القبر الميت الثاوى فيه ، وكان هيكلا عظيما مجردا يدفع بظهره المحدوب اللوح دفعـا • شاهدت ذلك بوضوح على الرغم من أن الليلة كانت حالكة السواد • وقرأت على صليب القبر هذه العبارة « هنـا يرقد جاك اليفـــانت الذى توفى فى الحادية والخمسين من عمره • كان يحب أسرته • وكان رحيما شريفا ، أدركته المنية وهو حائز على رضا ربه »

وقرأ الرجل الميت هذه العبـــارة المنقوشة على قبره ، ثم التقط حجـرا من الارض ، حجرا صغيرا حاد الطرف وشرع يمحو الكتابة بعناية ودقـة • واستطاع هذا الرجل أن يمحو الكتابة ببطء ، ثم أخذ بطرف العظمة الـتى كانت فى يوم من الايام اصـــبعه السبابة ونقش بها العبارة الاتيـة بحروف واضحة :

« هنا يرقد جاك اليفـــانت الذى توفى فى الحادية والخمسين من عمره كان قاسيا فى استعجال موت أبيـــه لانه كان يبغى أن يرث أمـــواله ، وعذب زوجتـــه وأذل بنيه وخـــدع جيرانه وسرق كل من استطاع أن يسرقه ، ثم مات شقيا بائسا »

ولما فرغ من كتابة هذه العبـــارة وقف ساكنا ينظر الى سجل أعماله · وتلفتت حولى فوجدت سائر القبـور قد فغرت أفواهها وخرجت هياكـــل الموتى من بطونها ، وشرعت جميعـا فى محو الكتابات التى نقشـــها على شواهد القبور أهلهـــا وذويهـــا واستبدلت بها العبارات الصـــحيحة التى كان ينبغى أن تكتب · وتبين لى من هذه العبارات أن جميع الامـوات كانوا فى حياتهم يخادعون جيرانهم ! كانوا خبثاء غشاشين منافقيـــن ، وكذابين محتالين ، ومفترين حاسدين كان هؤلاء الاباء الطيبون والزوجـات الصالحات والابناء المطيعين والبنـات الطاهرات والتجار الامناء ، رجـــالا ونساء فوق مستوى الشبهات لا لوم عليهم ولا تثريب · أما الان فقـــد نشروا جميعا صحيفتهم فنطقت بمـا ارتكبوا من سرقات وما اقترفـوا من آثام وما تورطوا فيه من موبقـــات تشمئز لها النفس وتقشعر لهولهـــا الأبدان · كتب كل هـؤلاء بأيديهم على عتبة مأواهم الابدى الحق الصراح الحق البشع السافر المقدس ، الحق الذى كانوا يجهلونه أو يتجاهلونـــه فى حياتهم ·

وراودتنى فى هذه اللحظة فـــكرة أوحت الى بأن حبيبتى لابد أن تكون قد كتبت شيئا على شاهد قبرهـــا ، فانطلقت أعدو فى غير خوف أو وجل بين هذه التوابيت المنشورة ، وبين جثث الموتى وهياكلهم ، فاتجهت الى قبرها وما لبثت أن تبينت هذا القبر ولكنى لم أر وجهها ، فقد كان مغطى بالكفن ورأيت الصليب الرخامى الذى كان منقوشا عليه هذه العبارة :

لقد أحبت ، وكانت محبوبة ثـــم وافتها المنية ·

وتأملت هذه الكتابة فوجدت أنهـا قد انمحت وحلت محلها العبارة الاتية :

« لقد خرجت فى يوم من الايـــام المطيرة لتخون حبيبها فأصابها بـرد واختمرتها المنية » ·

ويبدو أنهم عثروا على فى صبيحة اليوم التالى ملقى على قبرها فاقد الوعى

واقعـــــة هامة

بقلم : لوسين

مرت ست سنوات منذ أن جئت من الريف الى العاصمة ، وخلال هذه المدة سمعت ورأيت ما فيه الكفاية مما يسمى شئون الدولة ، لكن ليس منها واحدة كان لها أثر كبير فى نفسى ..

واذا سئلت كيف أوضح أثرها ، لا أستطيع أن أقول الا انها زادت مشاعرى الحادة سوءا ، وجعلتنى ، وأقولها صراحة ، أكثر وأكثر بعدا من أن أكون بشرا ..

وعلى أية حال ، واقعة واحدة هامة واجهتنى بغرابتها ، وانتشلتنى من مشاعرى الحادة ، حتى أننى لم أستطع نسيانها حتى الان ..

حدث ذلك خلال شتاء ١٩١٧ ، وكانت تهب رياح شمالية عاصفة ، وكان على أن استيقظ واخرج مبكرا ، ونادرا ما كنت أقابل انسانا واحدا فى الطريق ، ووجدت صعوبة كبيرة حتى تمكنت من استئجار «ريكشو» * لحملى الى ميدان المحطة

كانت سرعة الرياح قد هدأت قليلا ، والتراب قد تطاير تماما مخلفا الطريق نظيفا ، والرجل يسرع بالعربة خطاه ، وكنا على وشك الاقتراب من الميدان عندما اشتبك شخص يعبر الطريق « بالريكشو » وسقط فى غير عنف ..

وكانت امرأة ..

.. مفارق شعرها بيضاء ، وترتدى ملابس رثة ، وكانت قد حادت عن الرصيف دون اشارة الى انها ستعبر فى مواجهتنا ، ورغم أن الرجل قد انحرف بعيدا عنها فان يد «الريكشو» اشتبكت بردائها الذى لم يكن مقفلا ، بل متطايرا مع الريح ..

ومن حسن الحظ أن الرجل كان قد أبطأ الى حد كبير ، والا كان من المؤكد أن تسقط المرأة سقطة عنيفة وتصاب بجراح بالغة ..

.. وتوقف الرجل ، وهى راقدة على الارض ، ولم أكن أظن أن المرأة العجوز قد أصيبت ، ولم يكن هناك شاهد لما حدث ، ولذلك استنكرت هذا التفانى الذى قد يوقعه فى متاعب ، ويتركنى أنا معلقا ..

وقلت :

ـ كل شىء على ما يرام .. واصل سيرك ..

قبل الثورة .. ويجر العربة .. رجل ؟!..

(*) نوع من العربات كان منتشرا فى الصين وما زالت فى هونج كونج .. المستعمرة الانجليزية

ولم يعرنى التفاتا ·· ربما لانه لم يسمع ، ذلك لانه أنزل يدى العربة· وساعد المرأة على النهوض فى رفق ، وهو يمسك باحدى يديها قائلا :

ـ هل أنت بخير ؟

ـ لقد جرحت

لقد رأيتها تسقط فى غير عنف ، وكنت متأكدا أنه من المستحيل أن تكون قد جرحت،ولعلها كانت تتظاهر بذلك ، الامر الذى يدعو للضيق ··

لقد بحث الرجل عن المتاعب ، وها هو ذا قد وجدها،وعليه أن يجد بنفسه المخلص منها ··

ولم يتردد الرجل لحظة بعد أن قالت له المرأةالعجوز أنها قد أصيبت، وظل ممسكا بيدها لمساعدتها على المسير ··

·· كنت مندهشا ، وعندما نظرت بعيدا رأيتمركزا للبوليس ، ولميكن أحد فى الميدان بسبب الرياح،ولذلك فان الرجل أخذ يساند المرأة وهما سائران تجاه الميدان ··

·· وأحسست فجأة باحساس غريب ··

ازداد حجم الرجل الملطخ بالطين ، المتباعد بكثير فى تلك اللحظة ، وفى الواقع كان كلما بعد عنى ازدادضخامة، وكان على أن أنظر اليه من عل ، وهو فى الوقت نفسه يبدى شيئا فشيئا سخطا هائلا على ، كما لو كان يهدد بسحق كيانى الضئيل الذى يتوارى تحت ردائى المتسع ··

·· وكنت أجلس ساكنا فى مكانى كما لو كنت قد وئدت حيوتى حتى ظهر رجل بوليس ، فنزلت من « الريكشو » واتجه رجل البوليس ناحيتى وقال :

ـ خذ « ريكشو » آخر ·· لن يستطيع الرجل جرك مرة أخرى ··

وبدون تفكير أخرجت حفنة من النقود من جيب سترتى ووضعتها فى يد رجل البوليس قائلا :

ـ من فضلك اعطه هذا ··

كانت الرياح قد هدأت تماما،ولكن الطريق كان لا يزال سناكنا ، وسرت طوال الطريق أفكر ، ولكنى كنت فى الغالب خائفا من أن أسلط أفكارى على نفسى ، واضعا نصب عينى ما حدث منذ قليل·ماذا قصدت باعطاء الشرطى هذه الحفنة من النقود ؟

وهل كانت رشوة ؟· وماذا كنت حتى أحكم على الرجل ؟ ··

ولم أتمكن من اجابة نفسى ··

وحتى الان · يظل كل هذا حيافى ذاكرتى ، وكثيرا ما يسبب لى آلاما ، ويجعلنى أحاول التفكير فى نفسى ··

لقد نسيت أحداث هذه السنوات العسكرية والسياسية تماماكمانسيت قراءات طفولتى الكلاسيكية ··

·· ولكن هذه الواقعة لا تنفك عن معاودتى بصورة أكثر صعوبة ، كما لو انها تحدث ثانية أمامى ··

مبينة لى ·· العار ··

ملحة فى أن أكون أحسن ··

واهبة لى اياى مزيدا من الشجاعة والأمل ··

ترجمة : عبد الفتاح رزق

الأدب وحقوق الإنسان

(٢)

بقلم : فؤاد دوارة

جنة الحرية ..

كتب الفيلسوف الهندى « رابندرانات طاغور » مسرحية تقوم على فكرة أسطورة بوذية تصور فكرة المساواة بين الناس وتبرز شرور النظام الطبقى ، وأسماها باسم بطلتها « تشانداليكا » ، ومعناها باللغة البنغالية « الفتاة الطاهرة التى لم يمسسها بشر » ، ان هذه الفتاة تتنبه فجأة الى حقوقها الاجتماعية الكاملة بفضل تعاليم واحد من أتباع « بوذا » يعلمها كيف تصدر أحكامها على نفسها وعلى الناس لا على أساس القيم الزائفة التى يقيس بها المجتمع أقدار الناس كالمولد والنشأة ، ولكن بقدرتها على حب الآخرين وخدمتهم .

وطاغور لم يكن شاعرا عظيما فحسب ولكنه كان مفكرا اجتماعيا من الطراز الاول كذلك ، ولعل مضمون فلسفته يتضح فى هذه السطور من قصيدته عن « الحرية » اكثر مما يتضح فى اى مكان آخر :

« حيثما يخلو العقل من كل خوف وترتفع الرأس الى أعلى ، وحيثما تتحرر المعرفة ، وتزول الحواجز الداخلية المصطنعة التى تشطر العالم الى أقسام ، وحيثما تنبعث الكلمات من أعماق الصدق .. هناك يا الهى دع بلادى تستيقظ على جنة الحرية هذه .. »

ولا شك أن هذه الكلمات وتلك المسرحية وغيرهما من أعمال «طاغور» تعتبر مساهمة ايجابية فى تمهيد العقول لاقرار الحريات واشاعة الحب فى النفوس مما كان له أوضح الأثر فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان .

« الدوامة »

ومن كولومبيا نسمع هذا الصوت المعذب :

« كثيرا ما أضبط بعض العمال يسرقون ما جمعته من مطاط ، فنتشاجر بالايدى والمناجل حتى تتمزق أجسادنا ، وتلطخ الدماء المطاط السائل الذى تشاجرنا بسببه ولكن ماذا يهم اذا ما ساهمت عروقنا فى زيادة كمية عصارة المطاط التى تفرزها الاشجار ؟ .. ان الملاحظ يطلب من كل منا عشرة لترات كل

يوم ، والسوط هو المحاسب الذى لا يرحم . فماذا اذا قتلت الحمى جارى فى العمل ؟! سوف أسرق المطاط الذى جمعه ، وحينما أموت أنا سيصنعون معى الشىء نفسه .. »

تلك كانت الظروف التى يعمل فيها « ارتورو كوفاس » كما صورها الكاتب « جوزى ريفيرا » فى روايته العنيفة « الدوامة » فقد صور فيها الجحيم الذى يعيش فيه عمال المطاط فى غابات « الامازون » ، وكانوا يشحنون بالآلاف الى هناك ليشقوا بالعمل المضنى ويظلون فى دين مستمر مرهق .. ثم يموتون دون أن يشعر بهم أحد وكأنهم سائمات .. ويحاول بعض العمال الفرار أحيانا من هذا العذاب ، فيقضى عليهم وسط الأحراش ، وأحيانا ينتحر بعضهم الآخر بشرب سائل المطاط الغليظ المنبثق من جذوع الاشجار ..

ان رواية « ريفيرا » عرض بشع لظروف العمل القاسية المنافية لابسط مبادىء الانسانية ، وتصوير لاستغلال عدد قليل من الرجال لمجموعات ضخمة من إخوانهم فى الانسانية استغلالا رهيبا لا يعرف الرحمة . وقد أثارت الرواية أمريكا اللاتينية وغيرها من البلاد ضد الظلم والتعسف الذى يقاسى منه الكادحون ، وكانت من بين العوامل الهامة التى ساعدت على ابطال هذه النظم الظالمة فى مناطق كثيرة من العالم ، وان ظلت مع ذلك منتشرة الى اليوم فى مناطق اخرى كثيرة فى افريقيا وآسيا .. وقد أثار الكاتب البرتغالى « فيريرا دى كاسترو » نفس المشكلة الاجتماعية فى روايتيه : « الغابة » و «المهاجرون»

لا غرو اذن اذا نص الاعلان العالمى لحقوق الانسان فى مادته الثالثة والعشرين بعد ذلك على وجوب حماية العمال ومنحهم أجورا عادلة ، كما قرر حقهم الشرعى فى تكوين النقابات التى تحمى مصالحهم قبل أصحاب الاعمال ، ونصت المادة الرابعة والعشرين على وجوب تحديد ساعات العمل تحديدا معقولا ومنح العامل أجازات دورية يصرف له مرتب عنها.

العقوبة الجسدية

والأدب الروسى حافل بالنماذج الأدبية الممتازة التى دافعت عن حقوق الانسان ، وهاجمت امتهان الحريات والكرامة على اختلاف صوره ، ومن بين هذه النماذج العديدة نكتفى براوية « فيودور دستويفسكى » : « ذكريات بين الموتى » ، ان بطلها يدعى « الكسندر بتروفيتش » ، ولكن القارىء سيرى دستويفسكى يستطيع أن يدرك بسهولة أنه انتحل لنفسه هذه الشخصية ليتحدث باسمها عما تعرض له فى السجن الطويل الذى حكم عليه به بسبب آرائه السياسية ، ويصف جحيم مستعمرة المذنبين فى سيبريا حيث يعذب الرجال رجالا آخرين ويذلونهم ويهينونهم فيهينون بذلك أنفسهم فى حقيقة الأمر .

لقد قاسى « دستويفسكى » من السخرة والتجنيد الاجبارى ، وذاق مرارة الجوع والخوف لا لشىء الا لأنه

ظن نفسه حرا يستطيع أن يفكر كيفما شاء . وكتابه هذا ليس فى الحقيقة مجرد شكوى فردية ، ولكنه اتهام قاس لكل ألوان السجن والتعذيب الظالمة . وقد هز الكتاب ضمير المجتمع فى القرن التاسع عشر وما زالت كلماته حتى يومنا هذا تحمل معنى كبيرا لمن يتدبرون معناها :

« ان كل من مارس ولو مرة واحدة تلك السيطرة غير المحدودة على جسد زميل له فى الانسانية وعلى دمائه وروحه ، وأصبحت له القوة والحرية الكاملتان ليفرض أقسى أنواع الاذلال على كائن آخر خلق على صورة الله ، مثل هذا الانسان قد فقد كل احساس بلا ريب ! .. ان حق توقيع العقوبة الجسدية الذى يمنح لانسان كى ينزله بانسان آخر يعتبر من أشد منغصات الحياة الاجتماعية ، ومن أقوى العوامل المدمرة لكل بذرة ولكل جهد يبذل فى المجتمع من أجل قيام احساس مدنى ، وهذا الحق كفيل وحده بفناء المجتمع .. »

وقرأ بعد ذلك هذه السطور من الاعلان العالمى لحقوق الانسان لتدرك كيف استطاع الادباء الكبار أن يلهموا الانسانية ويوجهوها فى طريقها نحو الخير والعدالة .. تقول المادة الخامسة من الاعلان :

« لا يجوز تعريض أى انسان للتعذيب ولا لضرب من المعاملة أو العقوبة القاسية المهينة المنافية للكرامة الانسانية .. »

حرية السفر

منذ ما يقرب من ثمانين عاما كتب « جول فيرن » روايته « حول العالم فى ثمانين يوما » وما أن أهل هذا القرن حتى كان هذا الرقم القياسى قد أصبح متواضعا .

وفكرة هذا الطواف « السريع » حول العالم الذى قام به بطل الرواية « فيلياس فوج » والجهود الخارقة التى بذلها لينتهى من طوافه فى الوقت المحدد ويكسب رهانه ، أصبحت تبعث اليوم على الابتسام فى عصر الطائرات النفاثة والقذائف الصاروخية

ورغم ذلك فلو بعث « فيلياس » الآن وحاول أن يراهن على مغادرة ناديه ليعود اليه بعد ثمانين يوما يكون قد طاف خلالها حول الكرة الأرضية فانه سيخسر الرهان بلا ريب ، فانه سيحتاج الى جواز سفر ومجموعة هائلة من « الفيزات » ، وسيتحتم عليه أن يحجز مقدما أماكن فى الفنادق والطائرات ، وان يطلب أذونات عديدة لاستبدال نقوده بعملات البلاد التى سيطأ أرضها . ولابد بعد ذلك من أن يمر بسلسلة من الفحوص الطبية ، ويملأ عددا ضخما من الاستمارات ، ويقدم عددا مماثلا من التعهدات عن هدفه من زيارة كل بلد ومدة اقامته فيه والاماكن التى سيزورها ثم يقرر ميوله السياسية .. الى آخر هذه الاجراءات التى لا تنتهى والتى يتعرض لها اليوم كل مسافر بين أجزاء العالم .. فاذا قارنا ذلك كله بالسهولة التامة التى تنقل بها « فيلياس » فى الرواية من بلد الى

آخر ، فسنستطيع أن نتصور العقبات العديدة التى أقامها تقدمنا فى وجه تمتع الانسان بحقه الطبيعى « فى حرية السفر والاقامة داخل حدود الدولة .. » وحقه « فى السفر من أى بلد ـ بما فى ذلك وطنه ـ وفى العودة اليه .. » وهما الحقان اللذان قررهما الاعلان العالمى فى مادته الثالثة عشرة .

تحرير المرأة

وفى مسرحية « بيت الدمية » ، « لابسن » نلتقى « بنورا » .. انها ليست زوجة يضطهدها زوجها القاسى او يسىء معاملتها ، بل على العكس من ذلك نجده يعاملها برقة لا مثيل لها ويحبها حبا جما ، ولكنها بالنسبة اليه ليست أكثر من فتاة صغيرة أو دمية مسلية . انه يقول لها : « اعتمدى على فقط ، وسوف أبعث الطمانينة فى نفسك وارشدك ، ولن أكون رجلا بحق اذا لم يضاعف هذا العجز النسائى من معزتك فى نفسى .. »

وحينما تثور « نورا » فى خاتمة المسرحية فهى تفعل ذلك لتطالب بحق واحد : هو حقها فى أن تعامل كانسان كامل ، وهى تذكر زوجها « تورفالد » بأن الزواج لايمكن أن يقوم على أساس من عدم المساواة بين الزوجين ، ثم تصفق باب منزل الدمية خلفها فى عزم واصرار ، وتعلن أنها ستحاول أن تصبح كائنا انسانيا معقولا ، وستحاول أن تفهم العالم . اى أنها ستصبح امراة وليست دمية لا عمل لها سوى ارضاء غرور زوجها وأنانيته .

ومع أن « ابسن » لم يقصد بمسرحيته الدفاع عن المراة ، فان « بيت الدمية » أثارت نقاشا عنيفا فى كثير من البلاد ، وكان لها تاثير الضوء الكاشف وسط الظلمات ، فساعدت على اثارة مسالة تحرير المراة وعلاقتها بالبيت والمجتمع ، وما زالت تعتبر من أهم الاعمال الادبية التى دافعت عن حقوق المراة ، ثم جاء الاعلان العالمى بعد ذلك ليؤكد هذه الحقوق فى مادته السادسة عشرة التى جاء فيها : « ويستوى الرجال والنساء فى الحقوق فيما يتصل بالزواج وبالحياة الزوجية وبالانفصال » .

الطغاة والأبطال

ولقد نص الاعلان العالمى على أن « ارادة الشعب هى أساس سلطة الحكومة ، ويعبر الشعب عن هذه الارادة بانتخابات دورية حرة تجرى على أساس التصويت ، ويشترك فيها الجميع على قدم المساواة بطريقة الاقتراع السرى أو ما يعادلها من طرق التصويت الحر .. » .. وذلك حتى لا يضطر الناس الى الثورة العنيفة للتخلص من الظلم والفساد ، وفى كل آداب العالم قصص عديدة تصور صراع البشرية ضد الظلم والطغيان فى مختلف مراحل التاريخ ورويت عن ذلك الصراع أقدم القصص والاساطير ، ومن أشهر هذه القصص قصة « وليم تل » البطل السويسرى أولا ، ثم العالمى بعد ذلك . وثمة روايات عديدة لاسطورة

« تل » ، ففى مسرحيـــة « فردريك شيللر » نرى الطاغيـة « جيسلر » ماضـــيا فى سحق الشـعب بظلمه وعدوانه حتى ينبرى له رامى السهام الماهر « وليم تل » ويطهر الارض من آثامه ٠

وهناك قصة مشـــابهة تروى عن « اجيـــل » فى اسكندناوة ، وعن « طـــوكى » فى هولنـــدا ، وعن « اينـــتريدى » و « آدم بل » فى الشـــعر الانجـــليزى ، وما زالت الانسانية قادرة الى اليوم على انجاب أمثال هؤلاء الابطـــال الذين خلصوا شعوبهم من استبداد الظالمين وبطشهم فى عالم الواقع فى شجاعة لا تقل عن شجاعة أبطال الاساطير ٠

والاعمـــال الادبية بعد ذلك حافلة بالامثلة العديدة للدور الهام الذى قام به الأدباء لتقـــرير حقوق الانســـان وارسائها فى الاذهان قبـــل صدور الاعلان العالمى بسنوات طويلة ،ومهمة الادب فى هذا السبيل لم تنته باقرار الاعلان العالمى لحقوق الانسان سنة ١٩٤٨ ، فما زالت معظم هذه الحقوق مغتصبة وممتهنة فى بقاع كثيرة من العالم ، وما زالت كرامة الانســـان وحريته تنتهك الى اليوم فى الجزائر وفى الولايات المتحـدة وفى أجـــزاء أخرى كثـــيرة من افريقيا وآســـيا وأمـــريكا الجنوبيـــة ، بل ان أوربا نفسها ما زالت تعانى الى اليوم كثيرا من مظاهر كبت الحـــريات واهـدار الكرامات ٠٠ والعجيب أن كبـريات الدول التى اشتركت فى صياغةهذه الوثيقة وتوقيعها ما زالت تقودحملات ارهابية ضخمة تسحق هـذه الحقوق والتنكر لها ٠٠ ومعنى هذا أنه مازال أمام الانسانية جهاد طويل مرير حتى تتحق للانسان حريته كاملة ،وتصبح كل حقوقه المشروعة حقائق ثابتة لا يجرؤ أحد على انتهاكها ٠٠ ومن أخطر واجبـــات الأدب أن يسجل هـــذا الجهاد ويوجهه ٠٠ بل عليه أن يبعث ذلك الجهاد ويقوده ٠

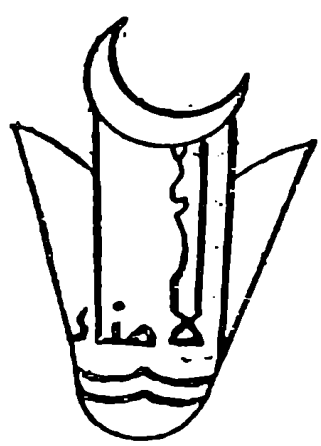

جائزة الأدب التقديرية

نشرت الصحف نبأ تقديم جائزة الدولة التقديرية للأدب الى الأستاذ العميد الدكتور طه حسين

و « الادب » تقدم للاستاذ العميد كل تحية وتقدير ، وتهنئه بقدر ما تكن له من الود المصفى ، والحب العميق ·· ووفاء ذلك من حديث القلوب ، لا من قـــول الالســـنة ·

***

ويطيب « للادب » وهى تعنى فى هذا العدد بالتطور الفنى والادبى فى حياتنا أن تلمح من شخصية الاستاذ العميد معانى تطورية فى حياة « الادب » ومنزلتـه الاجتماعية

لقد تلقى الاستاذ العميد دراسته الادبية ، مطلع هذا القرن ، فى الازهر ·· والادب فى دراسة الازهر وسيلة من الوسائل ، لامقصدا من المقاصد ، فهو يدرس خدمة للمقاصد الدينية والشرعية ، من درس اللغة ، والقرآن ، وأدب العربية

ودرس الادب عند الازهريين اذ ذاك ليس بالدرس الاثير ، ولا الخطيـــر ·· يغشاه طلاب ليسو المثل المرجو عند شيوخ المعقول أو المنقول ·· ويـــوم يجلس اليهم واحد من هؤلاء لامتحان عالميتهم ، فلا يقع عندهم موقع القبول ، يقولون له حين يصرفونه راسبا : قوم اقرأ الجرنال قوم ··

وشيخ الاستاذ العميد فى درس الادب هو الاستاذ سيد بن على المرصفى الذى أجله الدكتور وقدره ، حين وصف طريقته القديمة فى درس الادب ، تقفى على آثار دروس الاملاء فى كبريات المساجد بأمهات المدن الاسلامية

ثم يدرس الاستاذ العميد فى الجامعة الاهلية بمصر ·· وتوفده الى أوربا ·· ويعود أستاذا فيها ، ثم فى الجامعة الأميرية ·· فيساير تطور الدرس الأدبى ، من أزهريته القديمة ·· الى جامعيته فى كلية الآداب بالجامعة المصرية ، فجامعة فؤاد الاول فجامعة القاهرة ·· على اختلاف الاسماء باختلاف الازمان ·· فـــاذا درس الادب مقصد من المقاصد الاصيلة فى حياة الامة ، واذا مناهجه وطرائقه تتطور ·· والسيد العميد ، أطال الله بقاءه ــ يحنو ذلك ويرعاه الى اليوم ·· والى غد بعيد ·· بعيد ان شاء الله

ومضت الحياة فى طريقها الصاعدة ، وتطـــور تقديرها للادب ، ومكانه فى الوجود فترصد للادب جوائز تشجيعية منذ عدة أعوام ·· وينشأ مجلس أعـلى لرعاية الفنون والاداب ـ ثم تنشأ الجوائز التقديرية للفنون والاداب · فتقدم أول مرة للاستاذ العميد ·· وكانها كلمة التاريخ فى تسجيل جهده المساير لهذا التطور ·· فى تقدير الادب ·

***

وكانت الجامعة ، بروحها ، وبيئتها المجال الحى لهذا التطور الفنى ، والعقـلى ، والاجتماعى لبلدنا · فاذا الاستاذ العميد يقوم فيها مقامه المحمود · فى توجيه التطور · وتأييده ··

ومنذ نحو ثلاثين عاما انتخب الاستاذ الدكتور طه حسين عميدا لكلية الاداب بالجامعة المصرية اذ ذاك · واجتمع المجتمعون لتكريمه ، فقلت لهم يومها : لا أفهم أن يكرم طه حسين لان زملاءه اختاروه عميدا للكلية ·· وانما أفهم أن يكرم طه حسين لمعنى فيه هو ·· وأحسب أن أوضح المعنى فيه ·· انه الجامعى الاول فى مصر بل فى الشرق ·· وطليعة هذه الجامعية التى يرجى لها أن تقود الحيـــاة المصرية ·· وبهذا المعنى اشترك فى تكريمه ·· لا بغيره ·

ومضى الاستاذ العميد فى الحياة الجامعية عميدا ·· ومديرا لكنه أستاذ مع كل شىء ·· وقبل كل شىء ـ حتى صار التقليد الجامعى الماثل فى تاريخ الجامعيـة بمصر ·· ولا يزال يغدو ويروح الى كلية الاداب ··وأنا موقن ان لا شىء أحب اليه من أن تكون الجامعة والجامعية كما تمثلتها مصر ، يوم أنشأتها جامعة أهلية ـ وكما أراد ـ ويريد لها دائما

وكذلك يؤرخ طه حسين تطور الجامعية فى مصر ·· كما يؤرخ ، تطور التقدم الادبى والتقدير الادبى فى مصر

وذلك هو اليوم عندى معنى تكريمه ·· كما كرمته بالامس لمثله ·· تحية ·· وتهنئة ··

ا ـ الخولى

تطور .. نبيل

الى العقول القوية والقلوب الكبيرة التى تدرك
من التدين اسمى معانيه وأنبل أغراضه

منذ بضعة وعشرين عاما أهديت بحثا عن « صلة الاسلام باصلاح المسيحية ، الى العقول القوية ، والقلوب الكبيرة ، التى تدرك من التدين اسمى معانيه .. الخ » مايقرأ القارىء فى رأس هذا المقال .. وأردت أن ألفت بها أحرار الفكر ، أطهار القلب ، الى أن هذه الصلة بين الدينين ليست الا أثرا لظاهرة اجتماعية ، فى حياة التدين البشرى .. وان البحث العلمى النزيه المحايد هو الذى انتهى الى هذه الصلة بين الاسلام والمسيحية .. دون اى رغبة فى كسب فخر ، وأى محاولة فى احراز فضل .

* * *

واليوم .. وهذا العدد من «الادب» يصدر عن التطور الفنى والأدبى ، ليحدث عن سنن هذا التطور وواجبنا نحوه ، اليوم .. لا يعجب القارىء من ان أحدثه عن التطور فى ميدان اعتقادى دينى لسببين :

أولهما : ان هذا التدين فى جوهره ولبابه انما هو أمر وجدانى يحلق فى الآفاق التى يعيش فيها الفن ، ويكون التجريد ، وتدرك المثل ، ويسمو الجمال فيكون جلالا .. وكل محاولة متسامية فى هذا التدين توفى بالانسانية على آفاق الجلال والكمال ، يرتفع فيها هذا الانسان على آدميته المثقلة بظلام المادة ، الغافلة عن عناصر الحسن والخير فى كيانها .. وهذا الارتفاع والترفع هو هدف الفن ، وأهله من رواد الجمال ..

وثانى السببين اللذين يبرران الحديث فى دنيا الفن والأدب عن هذا المعنى الدينى الاعتقادى ، الذى دعوته تطورا نبيلا ، هو أن الكيان الانسانى فى جملته الكلية وحدة تتأثر جوانبها المختلفة بما تنفعل به ناحية منها ، سواء فى ذلك المادى الارضى ، والمعنوى المشرق ، فالتطور المادى فى كيان الانسان مهما يكن حيوانى الاتجاه ، له ولا بد أثره على القوى الانسانية » والملكات والطاقات — فمن لم يدرك الصلات بين الفن والتدين فى وجدانيتهما

فانه مدرك ـ فى أى حال ـ هذه الصلة التى لا تنفصم بين ظواهر الوجود البشرى ، مهما يختلف كل مظهر منها عن الآخر .. وهكذا يطيب لقارىء «الأدب» أن يسمع لمثل هذا الحديث عن التطور التدينى فى لحظات تنبهه الى التطور الفنى والأدبى .. بل يجمل به أن يكون له من سعة الأفق مايسمو به الى التماس هذا التطور ، والنظر فيه ، دون أن يكون فى ذلك قدانتهى الى فرض عقيدة بذاتها على الفن ، أو أضفى عليه زنارا ، أوجبة ، أو جعل شارته هلالا أو صليبا .. لأن الحديث ليس الا عن أسمى معانى التدين .. وأنبل أغراضه .. والوحدة الكبرى فى دعواته المختلفة

* * *

ولقد نقلنى الى هذه الآفاق التى تبدو بعيدة مترامية الاطراف ، وأعاد الى ذاكرتى اهداء كتب منذ نحو ربع قرن ، ومضى بى الى ذرى الجلال والكمال وما لفت اليه القارىء من أمثال أولئك الرؤى .. فعل بنفسى كل هذا كتاب فرغت الساعة من قراءته هو كتاب « محمد : الرسالة والرسول » لمؤلفه الدكتور نظمى لوقا ـ فان الكتاب نفسه يحدث عن التطور الدينى ، ويعرض صورا منه فى حياة الأديان الثلاثة الكبرى : اليهودية .. والمسيحية .. والاسلام ، وينتهى من ذلك الى : أن رسالة الاسلام جاءت مناسبة تطور البشرية الطبيعى .. فيدخل بهذا الحديث عوالم التطور التى تمتادها « الأدب » بغدوها هذا .. ولا يدرى ماذا يكون مدى عنايتها بهذا التطور فيما يلى من اغدادها .

على أن من الحق أن أصارح قارئى بأن جو التطور ليس هو وحده الذى حفزنى الى الكتابة عما عنونت له هنا بالتطور النبيل ، بل ان شعورا قويا دفاعا منبعثا من الكتاب هو الذى أجبرنى أوكاد يجبرنى ، على أن أكتب عن هذا الكتاب ، وأبادر فأؤكد لقارئى أن الذى دفعنى أو أجبرنى على هذه الكتابة ليس هو شعور المتدين المتعصب الذى يرى فى الكتاب انتصارا لدينه ، أو كسبا لنصير جديد من شخص يدافع عنه .. أو حجة تؤيده ، أو دليل ينهض فى وجه معارضيه .. كلا .. بل ان الذى دفعنى وأجبرنى انما هو شعور يمضى فى عنفه ودفعه ، الى أن ينقلنى الى الطرف المقابل تمام التقابل لهذا التعصب والتحيز والحمية الجاهلية التى تفمر نفس الافق المحدود ، الغافل عن الوحدة الكبرى ، والغاية العليا للتدين الانسانى فى كل زمان سحيق مضى ، أو بعيد يقبل .. وفى كل مكان ناء من الأرض مجهول .. أو قريب منها معمور .. وتلك الطبيعة الانسانية المترفعة فى الشعور هى التى ذكرتنى بالاهداء القديم : الى الذين يدركون من التدين أسمى معانيه .. الخ .. اذ تمثل لى فى قوة أن الدكتور نظمى لوقا هو أحد هؤلاء الذين هتفت بهم من وراء الغيب منذ بضعة وعشرين عاما فى الأيام والأشهر التى عشت فيها أمس الصلة بين الاسلام والاصلاح المسيحى البروتستانتى .. فى نزوع علمى .. صدرت كلامى فى هذه الصلة بالحديث عنه واللفت اليه بكل نزاهته المحايدة ، ودقته الباحثة .. لقد تمثل

لى الدكتور نظمى لوقا أحد هـــؤلاء المدركين المـرجوين ·· فانه وهـــو القبطى الصليبة ، كما يقول عن نفسه، يملك من أمر تلك النفس مايستطيع معه أن يكتب عن محمد الرســـول ورسالته ، فيقول من القول المترفع ما لا أجد بعضه أحق من بعض بالاشارة اليه ، أو بنقل فقرات منه للقارىء ·· فكل كلمة فيه صالحة لهذا النقـل ، مستحقة لهذه الاشارة ·

انه فى بيان جلى يشرح العـوامل التطورية التى سـيرت حياة الأديان الثلاثة ووجهتها الى أهداف بعينها فى دعواتهم ·· وبفهم تلك العوامل التى وضعت كل رسالة من هذه الرسالات فى مكانها من سائر اخـــواتها ·· وينتهى ، على ضـوء تلك العـــوامل المسيرة للحياة والتاريخ الى تقرير : أن الاسلام ختام الرسالات السماوية وقد استغنت به وعنده ، الدنيا عن توجيه آخر من السماء ··

وفى حب للحقيقة أكثر من حبـه لأفلاطون ـ كما قال أول كتـــابه وفى تمثل ، بل فى تقمص لروح غاندى الذى كان يصلى بصفحات من براهما ، وآيات من التوراة والانجيل والقرآن ·· يمضى فى شرح مقـــارن لأمهات الأسس الاسلامية فى افاضة وصراحة، ووضوح ·· يصـــورهما استشهاده أول ما استشهد بالآية القرآنية : وان من أهـــل الكتاب لمن يؤمن بالله ، وما أنزل اليكم ، وما أنزل اليهم خاشعين لله لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا ·· أولئك لهم أجرهم عند ربهم ·· فاذا كانت مناجاته الروحية لأبى القاسم

وما يتراءى له من جوانب شخصيته الجليلة فذلك ما لا تطيقـــه النفس البشرية الا بعد استشراف لدنيا غير دنيا سكان هذا الكوكب المخـــلد الى أرضه ، المتهالك على أوهامه ، المتفانى فى سبيل تفاهاته ·

* * *

يشـعر قارىء كتـاب « محمـــد الرسالة والرسول » أن باســـتطاعة البشرية الترفع المحلق عن وراثاتهـا ورواسبها الصـــلبة من أفعال آلاف الأجيال ·· واستهواءاتها العنيفة ·· وضعفها المتهالك أمام هذا واشباهـه مما يثقلها ، ويحول دون كل استعلاء منها ·· وهى حال الكثرة الكاثرة ، بل حال الكل والجميـع الا قلة نادرة ·· لايكاد يكون لها حـــكم ·· اننا جميعا بكل ضعف بشريتنا لا ندرك من صلة الأديان المختلفة الا العـــداوة والبغضاء ·· والحقد والســـخط على حطب جهنم المخالفين لنا ·· وتلك هى الآفة التى صب بها أهل الأديان على الحياة فى كل عصور التاريخ شـواظا من نار ، فى محارق ·· ومذابح ·· ومعارك ، من المذهب النقى والعقيدة السليمة على الملاحـــدة الهراطقـــة المبتدعين ·

ان شيئا وراء ذلك كله فى أعماق نفسى ، وطوايا روحى هـــو فى الحق الذى أثار ذلك الشعور الدفاع الغلاب فى نفسى عنـــد قراءة ما وصفت من كتاب محمد للدكتور لوقا ·· انه حلم باهر قد تراءى للنفس حينا ما منـذ سنين لا تقل عن العشرين ·· اذهبت نسمة من تلك النسمات الانسانيـــة

المنعشة فى دعوة ترددت أصداؤها من أقصى الغرب الى أبعد الشرق تريد أن تستنفر أهل الأديان الى أن يجعلوا أديانهم وسيلة من وسائل محـــاربة البغضاء والحقد بين الناس ، وقـوة تعاونهم على تخليص دنياهم من آفاتها ، بما فى عقائدهم من خيرية وروحية .

وفى الجواب عن هذه الدعوى اقترح فى مصر أن يؤلف أهل الاديان جميعا هيئة كعصبة الامم التى كانت وقتها صورة التعاون بين الضمائر العالميـة على تخفيف آلام الانسانية التى ترزؤها بها السياسة والساسة .. واقترح أن تكون عصبة الأديان ، قوة متعاونة ، متفاهمة بين أهل الأديان فى كل مكان على منح الحياة كل ماتستطيع الحقائق الدينية الكبرى المشتركة فيها جميعا أن تمنحها به راحـة وســـلاما .. وسعادة .. وكان حلما لم يطل وقته أكثر من الدقائق التى تشكلت فيهـا صورته لدى صاحب الفكرة فيه ، أو زادت هذه الدقائق دقائق أخرى كتبت فيها هذه الفكرة فى كلمات على الورق .. واجتمع المؤتمر ، وأذيعت فيـه الفكرة ، وسمعها من سمع ، وانصرف عنها من انصرف .. ومضت الحياة فى طريقها المعتم الموحش المفـزع تؤجج الحقد ، وتؤرث البغضـــاء ، وتنشر التفرقة .

والى هذا الحلم الجميل الفـــاتن ، نبهت محاولة الدكتـور نظمى لوقا ، فى سبيل التسامى على أوهام البشرية وردت هذا الحلم القـــديم ظـلالا من الرحمة ، وخيوطا من النور ، تتراءى غير ضعيفة فى أفق الأمل الانسانى ، الذى لا يصرعه اليأس مهما تقس حوله الاحداث ، وتتجسم الفرقات .

★ ★ ★

ان كتاب محمد الرسالة والرسول يرد الى العقول القوية والقلوب الكبيرة الثقة فى بلوغ الحياة على هذه الكرة المظلمة الى ما يسامت أملها فى بلوغ القمر ، والدوران مع الشمس ..

ان هذا الكتاب يقرؤه كل ذى عقل قوى ، وقلب كبير ، من أى دين وأى ملـة . بل مع أى انكـــار فيـــرى أن التدين قدير على أن يكون ترفعـــا نبيلا ، يطهر النفوس ، ويحيى الامال .. ومن أجل هذ رجوت فى ثقة أن يكون هذا الكتاب تطورا .. نبيلا فى نظرة كل ذى دين الى ما يرجى من خير للدنيا بالتدين .

★★★

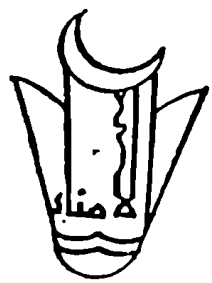

الطوق والأسورة

لنجيب محفوظ

بقلم: توفيق حنا

حصل نجيب محفوظ على الابتدائية عام ١٩٢٥ وبدأ يتردد على الغورية عندما اتجه أحد زملائه بعد حصوله على الابتدائية الى التجارة وافتتح محلا للتجارة بالصنادقية .

وفى اجازة عامى ١٩٢٦/١٩٢٧ كان يجتمع نجيب محفوظ وزملاؤه مع زميلهم تاجر الصنادقية على قهوة زقاق المدق وكانت هذه القهوة من ارقى قهاوى الحى وكان يتردد عليها كبار تجار الصنادقيه والغورية .

وكان نجيب محفوظ فى الرابعة عشرة من عمره وعاشت انطباعات هذه الفترة العزيزة فى قلب وعقل نجيب محفوظ حتى جاءت فترة الحرب العالمية الثانية .

وكان الجو مظلما قاتما قاسيا وبلغ شعور المصريين بالظلم فى جو هذا الظلام أقصاه .. وفى هذه اللحظة اراد نجيب محفوظ أن يصور هذا الظلم الواقع على الناس وكانت الحرب فرصة فنية وواقعية مواتية وملائمة لكى يعبر الفنان المخلص عن هذا الواقع الذى أرهق وجدانه وعمله وحياته ..

كان نجيب محفوظ يعمل فى أعماق نفسه برغبة وحنين الى تصوير هذه الفترة التى عاشها وهو صغير فى الصنادقية فى قهوة زقاق المدق مع أصحابه .

وفى ظلام القاهرة وفى لحظة الحرب الثانية وفى جو الاستبداد والطغيان والظلم فى الداخل وفى الخارج بدأ الفنان المصرى نجيب محفوظ فى كتابة زقاق المدق .

وانتهى من هذه القصة الخالدة عام ١٩٤٥ ولكنها لم تر النور الا فى عام ١٩٤٧ .. ولاول مرة فى تاريخ ادبنا المصرى والعربى يقوم فنان مصرى بالترجمة الدقيقة الامينة لحياة زقاق مصرى بكل ما تحتويه هذه الحياة من مواقف واحداث وشخصيات وبكل ما فى هذه الحياة من نشاط وتجارة وفراغ وانحراف وشذوذ .

فى عبقـــرية وفى ســـيطرة أوركسترالية قدم لنا نجيب محفوظ فى العمل الرائع – زقاق المـدق – مدينة القاهرة ٠

فى هذه المحـاولة العبقرية الخالدة صور لنا نجيب محفوظ معركة المدينة ٠٠ معركة مصر ٠٠ معـــركة زقاق المدق وكفـاحه فى سبيل الحـــرية والسلام وفى سبيل النور والاستقلال

كان نجيب محفوظ يريد فى وعى وفى بطولة وفى بساطة أن يسـجل بفنه القصصى تاريخ مصر القديم ووضع الخطة لهذا العمل الجبار ٠٠ ذلك أنه اراد أن يخاطب الحاضر بحكمة الماضى واحداثه ومواقفه وانتصاراته ٠

وبدأ هذه الخطة بترجمة كتاب عن مصر القديمة ثم قدم للأدب المصرى « عبث الاقدار » و « رادوبيس » ثم « كفاح طيبة » ٠

وفجأة حدث فى حياة نجيب محفوظ الفنية تحول خطير ٠

قرر نجيب محفوظ فى وعى جديد أن يخاطب الحاضر عن طريق الحاضر نفسه فى واقعية فنيـة واجتمـاعية معا ٠

جرب القصة القصيرة ثم تركها ٠

وكانت مجموعة « همس الجنون » هى مجمـــوعة محـاولاته فى القصة ثم انطلق الى القصة الطويلة ٠

وأصدر فى مرحلته الفنية الجديدة « القاهرة الجديدة » ثم «خان الخليلى» ثم « زقاق المـــدق » (١) واسـم « القاهرة الجـديدة » يعلن لنـــا فى صراحة وفى وعى وفى وضوح هـذا التحول الفنى وهذه الانتقالة الواقعية

وأنا أقررهنا أن زقاق المدق أصدق هذه الاعمال تعبيرا عن هـذا التحول الى الحاضر المصرى ٠٠ الى مدينـــة القاهرة ٠٠ الى حى الازهر والحسين ٠٠ الى زقاق المدق ٠

الزقاق هو أول تحقق حضـارى للمدينة ٠٠

والمدق هو أول تحقق للطريق ٠٠ أى طريق ٠

ومع اعجـــابى الذى لا حـد له بثلاثيـة بين القصرين الا انى أعتبر زقاق المدق ادق وابلغ واروع أعمال نجيب محفوظ ٠

ذلك لانه حاول فى دقة ومهـــارة وسيطرة أوركسترالية فنية واجتماعية وفى موضـــوعية مخلصة ووعى فنى يتدفق باللمسات الشعرية وباللمحات المصرية أن يقدم لنا اللحظة التاريخية التى كنا نعيشها أثناء الحرب العالمية الثانية ٠

قدم لنا نجيب محفوظ معـــركة الزقاق فى سبيل الحرية والاستقلال والحياة والنور ٠٠

تحرك الزقاق نحو المدينة ٠٠ الى شارع شريف باشا ٠٠ وهناك فى المدينة المزيفة المنحلة استحالت حميدة – بطلة معـركة الزقاق – الى تيتى ٠٠ الارتست ٠٠ الراقصة ٠٠ التى

---

(١) كما أصدر « بداية ونهاية » و « السراب » وثلاثية « بين القصرين ».

كان يتاجر بجسدها وبروحها وبشرفها التاجر الفاجر والدون جوان المحترف فرج ابراهيم .. وانحرفت حميدة .. ثم قتل عباس الحلو وهو يدافع عن حميدة ضد قوى الشر والاستعمار والطغيان والفساد ..

ولكن الزقاق لا يعرف اليأس أو الاستسلام ـ ففى نهاية قصة الزقاق فى صباح يوم جديد نجد عائلة جديدة وفيها حميدة جديدة .. حميدة الكادحة .. العاملة .. العالمة الاغراء والاغواء وعلى الفساد وعلى الانحراف .

فى صفحة الزقاق الجديدة نجد حميدة الكادحة .. العاملة .. العالمة .. الفنانة .. الطبيبة .. المعلمة .. الشاعرة .. الفارسة .. نجد حميدة أم صابر .. فى هذه الصفحة الجديدة نجد حميدة وقد أصبحت نائبة عن الشعب المصرى .. هذا الشعب العظيم الذى تخلص من الاستعمار والاستغلال والاستبداد .. هذا الشعب العظيم الذى تمكن بعد اكثر من ألفى عام من الحكم الاجنبى أن يحكم نفسه بنفسه والذى بدأ فى السير على سياسة جديدة تنبع من واقعه الكبير كله .. فى المدن وفى الارياف .. فى الشوارع وفى الازقة والحوارى ..

فى صفحة الزقاق الجديدة لا يوجد دراويش لانه لا يوجد الظلم الذى يخلق الدرويش والشواذ .

فى صفحة الزقاق الجديدة سوف يجد كل انسان عملا .

وعندما يجد الانسان عملا فلن توجد فرصة فى حياته للانحراف والشذوذ أو الجنون .

وهكذا أرى أن زقاق المدق من نوع الاعمال الفنية التى تدعو للعمل والنشاط فى ظل السلام والمحبة والحرية العدل .

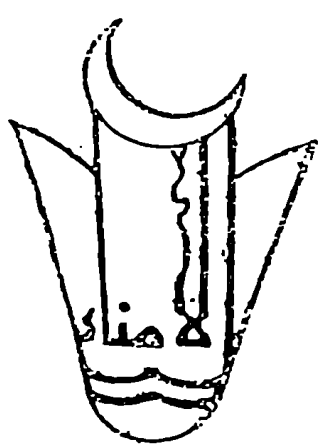

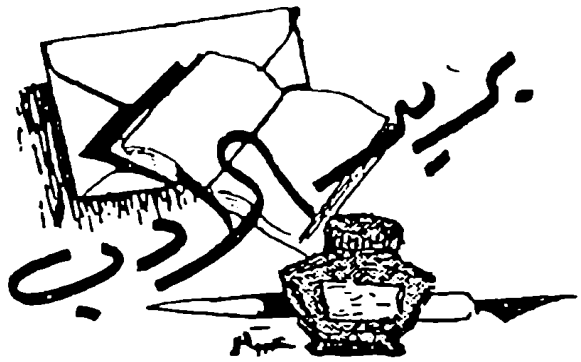

اللغتان ..

الحديث عن حياتنا ذات اللغتين .. لغة عامة فى الحياة كلها .. ولغة خاصة للمثقفين وحياتهم .. حديث طويل .. وان يكن فى مهمة « الادب » اصيلا وهاما .. وبودها ان تفسح له المجال ، وتسهب البحث ، وهى تنتهز لذلك كل فرصة .. لكن مثل هذا لايتناول فى هذا الباب الذى تجرى فيه الأحاديث مع القراء سمرا او كالسمر .. خفيفا ، قصيرا ..

وانما اثار حديث اللغتين هنا نقد بعث به الينا صديقنا الزجال المشاغب ، وهو نقد لا نجد فى وصفه اصدق من انه : نقد برانى .. مهما يكن أدبى الموضوع ، فنى الهدف ، بما هو نقد للأديبة الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى، فى رواية لها نشرتها « الأدب » فى عدد سابق ، ثم لقصة اخرى فى مجلة غير « الأدب » .. لكنا ـ مهما يكن الرأى ـ فى مشكلات حياتنا اللغوية لانستطيع فى سهولة ان نعد نقد زجالنا السيد حمدى شلبى نقدا نفسح له المجال .. اذ كتبه باللغة العامة .. مع أنه نقد لأعمال فنية كتبت باللغة الخاصة ؟ ..

واذا كنا نعترف بما للغة العامة من فن قولى فانا لن نعدها ـ بحال ما ـ خير وسيلة للبيان الثقافى ، والبيان الفنى .. ولو قد عدناها وسيلة لهذا البيان لما عرفنا وجها لاستعمالها فى نقد اعمال ادبية لم تكتب بها .. وتذوق هذه الأعمال يقوم على خبرة أصيلة تحس اللغة الخاصة ، وذوق تعبيرها ، وادراك معانيها .. لهذا وما اليه عرضنا لحديث اللغتين ، بقدر ما نقول للسيد الزجال : اننا نعد نقده خارج النقد ، لما بيناه .. واذا كنا قد نشرنا له كلمة عارضة كالمداعبة للأستاذ باكثير فليس معنى هذا ان ننشر له نقدا مستقلا بهذه اللغة العامة .. ولعله يهيأ له ما رجوناه له من فن قولى باللغة العامة ، وهو فن ليس باليسير ولا الهين ، ولا التافه ، كما يظن بعض الواهمين ..

خارج النقـد :

وحين نضع هذا النقد « خارج النقد » نضع معه ، مضطرين ، كلمة « الموقف الذى أكد حبى لأمى ، لأنها من كثرة الخطأ اللغوى المختلف بحيث ننزلها هذه المنزلة ، كما أسلفنا البيان » ..

ونشير ـ بمناسبة النقد ـ الى ما كررنا فيه القول حتى ما نستطيع أن نعاوده ، ولا نجد له أى طعم .. بل نشعر بعنف ثقله على القراء .. ذلك هو طلب النشر ، أن ننشر لهم ، وننقد ببيان محاسن مايكتبون مع مساوئه لئلا يكون النقد هدما .. ونقول لهم لآخر مرة : لو جعلناها حصة ارشاد فى الانشاء لاستطاعوا أن يدركوا أن هذا الارشاد انما يعنى ببيان الأخطاء ، والتوجيه الصالح ، ولا تتسع الحصة لقراءة الموضوع كله ..

ومعاذ الله أن تكون «الأدب» مجالا لتدريب المبتدئين .. ولو حصل المستحيل ، وكانت شيئا من ذلك لاستحال من جهة أخرى أن ننشر كل محـــاولة بدائية ، لنبين لأصحابها المقبول من كلامهم قبل أن نبين المردود .. فكفى .. وكفى .. كلاما فى هذا أيها المبتدئون .. واقبالا على التمرن .. وجدا فى التدرب الأدبى .

الشعر :

ـ وصلنا منه ـ « صحوة العرب » و « الحرية الحمراء » و « دماء فى .. » وأخرى بلا عنوان .. وكلها انفعـال بأحداث وقتية ، لا خـــير للفن فى الوقوف عندها ، ولا خير للعرب فى الحديث الكثير عنها ، فكيف بالحديث الفنى .. وحياة الفن ، أيها الأدباء ، موقوتة ببقاء موضـــوعه .. وخلوده صدى لجلال مادته .. فالى ما وراء الفقاقيع ، والمظاهر من معان حيـوية عليا .. باقية .. أو خالدة .

ـ ووصلت « القومية العـــربية » وقد سبق القاؤها فى حفل بمدرسـة الثانوية ، و « الأدب » تلتزم عـدم نشر مثل هذا ..

ـ ووصلت « هذا يكفى » . واذا كنا قد نشرنا لصاحبتها شـــيئا من النثر قبل اليوم فانا لانجد فى انتاج اليوم مايصلح للنشر .. ولعلها تجد فى الرياضة الأدبية الطـويلة ، اذا حاولت النظم .

ـ ووصلت « نبع الحياة » وفيهـا اطالة وتدفق .. لكنه تيـــار يحمل الاشواك .. مع بعض الزهر ، فقـد يصح لصاحبها المعنى لكنه لا يتهيـا له اللفظ المؤدى .. وليته يتخـــير ، وينقى ، حتى يسلم له ما ينشر فى حينه .

ـ ووصلت «كيف أنسى» ولصاحبتها حس وذوق يكملهما تدريب . وتريث قبل النشر .

– ووصلت « قصتنا » وقافيتها قلقة فى غير موضع ، تهز المعنى وقد تفسده أحيانا .. وقد نشرنا لصاحبها قبل الآن .. ولكن هذه لاتجد مكانها فى يسر .

– ووصلت « فى معبد الذكرى » ولعلها تجد مكانها فى النشر .

النثر:

– وصلت قصة « سبرتو » وهى لاتقاس بما نشر لصاحبها فى «الأدب» وفى صحف أخرى .. ولعلها صدى لشىء من قلق يعانيه مؤقتا .. ونتمنى له الخلاص منه ..

– ووصلت قصة « العيد » وهى سطحية أفلت من صاحبها الغرض الفنى الذى كان يستطيع أن يناله من شخصية « شعبان » ..

– ووصلت « فسبتان » لصاحب العيد ، ويقول السيد : انها قصة ساخرة .. ولعلها ساخرة من الفن القصصى ، مع سخريتها من شىء أو أشياء أخرى لم أتبينها .. ! وليعذرنى صاحبها .

– ووصلت « كفاح » وهى حكاية كفاح .. لاقصة كفاح .. وفرق مابين الحكاية والقصة واضح .. ففيها عاطفة لا جو لها .. وحوادث لا سياق لها .. وأسلوب يعتمد على لباقة التعبير .. لا على تعبير الحادث .. الذى هو العمل الفنى فى القصة .

– ووصلت القصتان « همسات الشيطان » و « احساس بالحب » وهما غير قصيرتين .. ويعتذر صاحبهما عن ذلك بالانتاج الغزير .. والتنوع الواجب .. ونعتذر له نحن عن تقديرهما بأن هذا العدد المتاخر وقد عنى بالتطور الفنى وواجبنا نحوه ، ليس فيه مكان رحب للقصة .. فالى فرصة أخرى ..

– ووصلت قصة « التخطيط » وفيها محاولة طريفة من الحوار بين بطلها وضميره ، وجعل الضمير فيها شخصا فى القصة .. وهى محاولة تحتاج الى تظليل فنى ينجح فى تشخيص هذا الضمير .. ولا ينتهى الى بيان تقريرى .. أدنى الى الوعظ والنصيحة .

– وقصة « الانتصار » كان قد كتب فى تقديرها محرر هذا الباب ، ولكن بين التحرير والتنسيق أرجىء ماكتب عنها .. وهو فى جملته افتقاد للعمل الفنى الصحيح فيها ، واقامتها على الشرح الواصف ، دون غوص على ما وراء موضوعها الاجتماعى .. مع أنه من بلوى ريفنا التى يحسن اثرالعمل الفنى فيها لو جاء كاملا .. فالى أخرى أتم من هذه وأنضج .

★★★

– ووصلت كلمة عن « السخرية عند المازنى » ولا تسخو الأدب بتسميتها مقالا .. فضلا عن موافقة صاحبها على نعته لها بانها بحث ، وتذييلها بمراجع البحث .. «والأدب» تتحرى الاصالة دائما .

ونعرض لبعض شئون عملية يثيرها قراء كرام تصدق ملاحظات بعضهم ، ولا تصدق ملاحظات اخرى كقول احدهم : ان « الآداب » لم تكن لها اى دعاية فى الجرائد والمجلات الآخرى .. مع أن اعلان العدد الآخير كان فسيح الجنبات فى الآهرام يوم ١١ مارس ، بقدر ما تحتمل الطاقة المادية .. ويسمح تعنت الصحافة اليومية فى أجور النشر .. وكذلك ظن صاحب هذا القول ان «الآداب» لم تصدر فى هذا الشهر .. مع أنها تعتز بانتظام صدورها طوال هذه الاعوام الثلاثة .. ونرجو أن تحتفظ بهذا الانتظام دائما ..

وشكوى هذا السيد من أكشاك التوزيع مما قد نظن صحته .. ونشكو معه منه .. ولكنه الواقع المادى القاسى ، الذى لا يرحم فنا ، ولا أدبا .. بل لا يرحم ثقافة .. ولا علما .. وهو دائما جور الجسم على الروح ، والمادة على المعنى .. ولا بأس من اصلاحه أو على الآقل تحسنه .. والآمل فى ذلك تدعمه الثقة بالمستقبل دائما .. والايمان بحيوية هذه الآمة .. رغم كل شىء ..

وأما اقتراحات السيد القارىء الغيور على مجلته الحبيبة ، وما تفضل به من شرحها ، والارشاد المفصل الى تنفيذها فاكثره مما نعرف مع السيد صحته ، ونقول دائما : ان الواقع قاس لا يعين على ذلك ـ والخلقية الفنية فى المعلنين .. والموزعين .. والمشتركين دون المستوى الذى نرجوه لحيوية هذه الآمة واهمية الفنون فى حياتها .. وحسبنا هذا من البيان .

والسيد أعزه الله قد شعر بما يجده « الآمناء » فى الميدان الصحفى المادى من العنف الدائم عن أعمال تشتبه بالاستجداء .. وصدق اذ يقول : انها مهمة شاقة .. ولكنا لانستطيع أن ننسى المثل القديم : تجوع الحرة ولا تأكل بثديها .. فكيف اذا طلب منها أن تأكل بغير ثديها .. لا تيأس يابنى من تطور يخفف بعض حدة هذا الجشع .. ويغرى بشىء من المعنوية الكريمة .. وهو فى الآمة مأمول دائما .. وفى الجهات العملية غير مستحيل .. وحسبنا من مشقة هذه المهمة ما يستهلك الآعصاب .. ويفتك بالنشاط ، ويودى بالراحة والهدوء .. أما ما وراء ذلك فيفتك بالروح .. والمثل .. وهو ما لن يكون ـ اذ لو أمكن شىء من ذلك لخسر به « الآمناء » من ايمانهم .. وأمانتهم ما لا يعوضه شىء من كسب للمجتمع والمستقبل ـ فنودى بما نملك .. ولا نظفر بشىء مما لانملك .. هذا ان أمكن أن يفعل ـ لكن التفكير فيه ، فضلا عن فعله ، لن يكون أبدا .. وحسب الفن والحياة هذا الايمان العميق .. والتمسك الصلب .. حين يعدى ، ويغرى ، ويقنع ، فيكون الاصلاح ..

فهرس

العدد الأول — ابريل ١٩٥٩ — السنة الرابعة

صفحة

من الفن والحياة ـ السنة الرابعة .. عن الأمناء .. ١
الامناء منذ خمسة عشر عاما .. ٤
الامناء فى اجتماع لهم على راس السنة الاولى صورة .. ٥
الامناء فى عامهم السادس عشر .. ٦

حياتنا الفنية : متى ؟ الى اين ؟ ماواجبنا ؟ الادب .. ٨
التطور الادبى : فى درس الادب وتاريخه الدكتور طه حسين .. ١٢
« « : فى النقد الأدبى .. الدكتورة سهير القلماوى .. ١٥
« « : فى الشعر .. الدكتورة بنت الشاطىء .. ١٨

شاعر من السودان .. عبده بدوى .. ٢٢
أزمة الشعر الحديث .. على شلش .. ٢٧

اتجاه التطور الفنى .. الأستاذ امين الخولى .. ٣١

التطور الفنى : فى الثقافة الفنية .. الدكتور حسين فوزى .. ٣٧
« « : فى التصوير .. الأستاذ حامد سعيد .. ٤١
« « : فى الموسيقى ١ .. الأستاذ محمد جمال عبد الرحيم ٤٢
« « : فى الموسيقى ٢ .. الدكتورة سمحة الخولى .. ٤٤
« « : فى الموسيقى ٣ .. الأستاذ جلال فؤاد .. ٤٦

اغنية يتيم فى عيد الأم .. ابراهيم حماد .. ٤٨
غدا نلتقى .. نجيب الكيلانى .. ٥٠
الحصاد : .. فتحى سعيد .. ٥٢
هل كان حـــيلما ؟ .. ترجمة : ابراهيم خورشيد .. ٥٥
واقعة هامة .. ترجمة : عبد الفتاح رزق .. ٦٠

الادب وحقوق الانسان .. الاستاذ فؤاد دواره .. ٦٢
جائزة الادب التقديرية .. أ. الخولى .. ٦٧

تطور نبيل .. ٦٩
التطور الأدبى لنجيب محفـوظ .. السيد توفيق حنا .. ٧٣
بريد الادب .. ٧٩

عدد ممتاز ـ ٧ قروش

« دار القاهرة للطباعة »

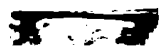

هو الكفن .....

غلام هزيل .. مجدور الوجه .. تدلى مع البلاليص من الصعيد الجوانى فهبط القاهرة بعد شهرين .. ونزل على بلدى له بها .. فى كهف بكفر الطماعين .. قاد خطواته فى حياته .. بين الازهر والكفر .. من الصحن .. الى الليوان .. والخزانة ..

لم يعرف من القاهرة الجديدة .. المتجددة .. المتغيرة فى سرعة وعنف الا طريقه الى غرضين ـ أولهما زيارة أهل البيت .. وثانيهما .. قسحة قصر النيل .. يراوح بينهما فى أيام الجمع .. يخرج لاولاهما مبكرا بعد صلاة الفجر فى الحسين فيغدو ما شيا حتى يزور السيدات : زينب .. وبنكنة .. ونفيسة .. وينحدر الى الامامين الشافعى والليث .. ويعود سائرا على قدميه كذلك الى الكفر ... وهذا عمل دينى يرجو به الفتوح من الله .. ويدعو فى الاماكن الطاهرة ...

وأما غرضه الثانى .. الى كوبرى قصر النيل فدنيوى عملى .. يغدو اليه ضحوة فى رفقة .. فيسير فى شوارع القاهرة الجديدة .. متأذيا بما لا بد من رؤيته من مظاهر الفرنجة .. على قلتها اذا ذاك فى طريقه من العابدين .

يمضى سحابة يومه حول الكوبرى .. فى الشاطىء الغربى .. حيث غيطان المقصب فى موسمه .. وحيث يجد فى فجوة من الشاطىء بقايا أحجار .. يغسل عليها ثيابه .. وينشرها .. ويمص القصب .. بعد غدوة موسعة من عربات اليد .. الواقفة هناك .

عهد شهدناه .. لم تكن فيه دنيا كوبرى قصر النيل فى شىء مما هى اليوم .. بل كانت خلاء وفضاء .. لا زحام .. ولا بناء .. ولا معرض .. ولا هيلتون .. ولا .. ولا ..

ومع السنين المتطاولة صار الغلام رجلا ، جاوز الاربعين .. فصار أشيب

المنظر .. شيخ النفس .. هرم الروح .. صار من العلماء .. مصابيح الظلام .. وهداة الانام .. الذين كانبياء بنى اسرائيل .. يفتون .. ويحللون .. ويحرمون .. والدولة حتى الساعة تستفتى .. فكيف كانت الحكومة .. ومصالحها .. بل محاكمها .. والناس على اختلافهم اذ ذاك يستفتون .. ويسترشدون فى جميع ما يفعلون .. وصاحبنا مرجع من تلك المراجع والشيخ يعرف باب « الحظر والاباحة » الذى يعرض لصور النشاط فى الحياة وعلم الشيخ فيه حجر محجور ، بعبارة الماتن .. يفزع الى محفوظه فيها ، حين يبدهه السؤال ويفجؤه الاستفتاء .. أما ماذا صار اليه أمر الدنيا منذ كتب هذا المتن فالشيخ يستعيذ منه بالله .. فالحياة تعدو .. وتطير .. وهو يقعنسس بل يسره فى صميم نفسه أن يذكر فعل أقعنسس منذ قرأه فى أبواب الفعل وعرف من معناه انه عدم انقياد الفرس أو البعير لقائده .. فيقعنسس على جديد الدنيا .. وحادث الحياة .. فكله من حبائل الشيطان .. وهو فى تقديره يكون بهذا موضع القسطاس ، من العالم .. ومركز التوازن فى الوجود .. ولولا شيوخ ركع ، وأطفال رضع ، لصب عليكم العذاب الاوجع ..

* * *

وحسبى .. حسبى ... كل هذه المعانى طرف يسير .. من كثير .. كثير .. حضرنى .. وتملكنى .. واستبد بانتباهى . ليلة ذاك ، ليلة شهدت بالصالون الاحمر .. المثير .. وراء بناوير الاوبرا .. فى أخلاط من حضار المؤتمر .. رجال ونساء .. وشيب وكهول .. وشبان .. وآفاق .. وميول .. وثقافات واتجاهات .. تتواجه ولا تتلاقى .. ولا تتماس .. ولا تتقارب .. أما أن تتداخل .. وتتمازج .. وتتفاعل .. فهيهات .. هيهات !

هذا الشيخ جالس الى سيدات سافرات .. أو كما هو يقول : كاسيات عاريات ، يستمع اليهن ، ويشاركهن ، بل يقرر .. ويوقع : أن التعبئة الروحية الحاضرة تتطلب من التراث الفنى نشاطا موسيقيا .. سيمفونيا .. كوراليا .. الى أشياء أخرى من هذا الصنف لم أحسن أن أعيها .. ولا استطيع هنا أن عيدها !

يا الله .. ياهوه .. عشنا .. وشفنا .. أين أنا .. ماذا أشهد . وماذا أسمع .. فركت عينى .. ونفضت أذنى .. وهززت رأسى .. وأثرت انتباهى .. وأهجت يقظتى .. فلم يخرجنى ذلك كله من شبه غيبوبة .. لايتيسر لى معها أن أتابع ما يجرى أمامى .. !!

* * *

لم يمض أكثر من أحد عشر عاما ، على السنة التى كان فيها الامناء : مدرسة الفن والحياة .. يقربون كلمة الفن من درس القرآن .. لان الادب ليس الا فنا .. والقرآن هو تاج أدب العربية ومعجزة بيانها .. فلا غرو يكون الفن المجيد .. الخالد .. الباهر ..

وشهد الله والملائكة والناس أجمعون ان الامناء لم يبنوا هذه الدعوة الا على

أساس عريض من التظليل الروحى ·· والتدبير الدينى ·· فالله المصور ·· بديع السموات والارض ، جميل يحب الجمال ، والرسول عليه السلام يسأل : فيم الجمال ؟ فيقول فى اللسان ·· وعلى أجنحة من هذه الفتاوى ·· رجا الامناء أن تتمثل البيئة حولهم معنى الفن ووحدانيته ·· وحيويته ·· وان القرآن فى اعجازه ليس الا فنا ساميا ·· عالى الطراز ·· باهر السنا ·· وفى هذه الاضواء يفسر ·· وتدرس صنوف القول فيه ·· ويجد أصحاب أدب العربية عنده من الروائع والمثل ما يستحيل أن يظفروا منه بشىء فى منظوم العربيـــة أو نثرها على تمادى الادهار ··

ورغم ذلك وأمثاله معه ، طوال السنين ، أبت تلك الدنى ، بشرق القاهرة ، وسفح المقطم أن تقبل حديثا من شىء من الفن والقرآن ـ ورنت الفتاوى بأن ذلك كفر·· كفر ·· صراح بواح ·· وتمضى ثمانية أشهر ·· والدنيا تعج وتضج ·· والصحافة تكتب ·· والالسنة تخطب ·· والاسئلة والاســـتجوابات تشـغل البرلمان بنوابه وشيوخه ·· والدولة تستعدى على أساطين هذا الكفر ، تطالب برءوسهم فان لم يكن ـ وهو المؤسف ـ فتطليق نسائهم ، وقطع أرزاقهم ·· وابعادهم عن معاهد التعليم ·· ومواطن التاثير ·· لانهم لا يعدون أن يكونوا قد جعلوا الله فنانا ·· أو جعلوا رسوله كذلك ·· وحسبهم ذلك كفرا ·

كان ذلك بحدته ووقدته سنة ٤٨ ـ وفى سنة ٥٩ ينعقد مؤتمر للفنون يقتاد الكتائب والفصائل ـ وأمامها شيوخ الدين ، يشاركون فى اجلال الفنون ·· وأصحاب الفنون ·· ويذكون النشاط الفنى ، ويطالبون بالجد الفنى ··

حمدا لله وشكرا ·· ونعمة منه وفضلا ·· وأملا فى الغد ورجاء ·· ورضـا واطمئنانا ·· وثباتا ومضاء ·· هو الفن ·· بجلاله وعظمته ·· هو الفن بأهدافه وآفاقه ···

هو الفن : وحى الجمال
هو الفن : وقع الوجود على الوجدان ·
هو الفن : يزكى النفس ، ويطهر الحس ·
هو الفن : يعبد الجمال ولا يلتهمه ·
هو الفن : يسمو بالروح ، ويجسم الامل ·
هو الفن : يبعث الهمة ، ويحمى الكرامة ·
هو الفن : يقود كل نهضة ، ويتقدم كل وثبة ·
هو الفن : قبل كل شىء ·· والا فالحياة لا شىء ·
هو الفن : جدير بكل جهد وجهاد ·· لأن كل خطوة فى سبيله فتح ·· ونصر
هو الفن : عزت سطوته ، تسخر له قوة ·· ويجند له كل أحد ويتاضل فى سبيله كل حى ·

عبد الرحمن الخميسى

اتجاهات كذوب في عصرنا

أثارت قضية بوريس باسترناك ألوانا من النقد في الصحافة العالمية فكان مسلك الصحافة الغربية اشفاقا على الكاتب الروسي الذي أهلته مواهبه كشاعر وكاتب للحصول على جائزة نوبل في الآداب ، وكان مسلك الصحافة السوفيتية هجوما على الكاتب الذي أعتبر خارجا على اجماع الادباء في بلده ، وحرمت قصة « دكتور زيفاجو » في الإتحاد السوفيتي بينما طبعت منها ألوف النسخ في لعالم الغربي ، وترجمت الى لغات عديدة ، وبلغت أرباحها — فيمايقال — نصف مليون جنيه استرليني .

وليس بوريس باسترناك هو أول كاتب سوفيتي حاز جائزة نوبل في الآداب ، فقد سبقه الى ذلك « ايفان بوتين » الكاتب الروسي الذي تجنس بالجنسية الفرنسية .

ويعتبر « ايفان بوتين » من أبرع كتاب القصة القصيرة في عصرنا .. وهو من أولئك الكتاب الروس الذين بلغوا مرتبة عالية في هذا الفن من أمثال ايفان ترجنيف ، ونيكولاي جوجول ، والكسندر بوشكين وغيرهم من أدباء روسيا الذين خلدهم العالم بنتاجهم الرفيع .

ولعل بوريس باسترناك هو آخر هذه الطبقة من أدباء روسيا ، الذين اتسعت آفاقهم ومداركهم فكانت انسانية شاملة ، تنظر الى الحياة من زاوية الانسان الرفيع الذي يحاول الكمال ، لا من زاوية الايديولوجية التي تفرض فرضا عن طريق السلطان أو الحزب .

ويتضح الفارق بين باسترناك وايليا اهرنبورج ، وهما صديقان ، من هذه الناحية ، فان باسترناك لم يفقد انسانيته الرفيعة التي تحاول الوصول الى الكمال ، شاعرا وكاتبا ، بينما فقد اهرنبورج هذه المزية وأصبح في وقت من الاوقات كاتبا ستالينيا ، يؤلف القصص ويكتب المقالات الادبية داخل جدران الحزب المظلمة ، ويحاول تكييف الحياة طبقا للايديولوجية التي كتبت على تلك

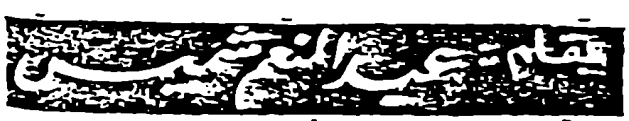

الجدران ، لاطبقا للايديولوجية المنبعثة من ضمير الملايين من البشر فى بلاده

ولذلك كان عمل باسترناك ثورة أدبية لفتت أنظار العالم الخارجى ، فانه منذ وقت طويل لم يظهر كاتب روسى يستوحى فنه من الحياة الواقعية بل كان الكتاب الروس منذ قيام الحرب العالمية الثانية حتى اليوم يكتبون داخل نطاق مرسوم لايستطيعون الخروج من دائرته .

وحينما فر « ايفان بونين » من روسيا ، وعاش فى باريس ثم فى نيويورك ، تعفنت أفكاره ، وأصبح رغم براعته الخارقة فى فن القصة القصيرة ، كاتبا فاسدا وجوديا .. يعالج الموضوعات الجنسية المثيرة ويسرف فى تصويرها ، وأصدق مثال على ذلك قصته «على نهر الفولجا» التى وصف فيها اللقاء بين زوجة شابة جميلة كانت تسافر وحدها على ظهر باخرة ، وبين شاب أمضى معها ليلة فى غرفتها ، وقد ظهرت براعة بونين فى تصوير الانفعالات والحركات والهمسات ظهورا لافتا ، ولكنه كان فاسدا فى تصوره وتصويره .

أما فى قصته « رجل من سان فرنسسكو » . فقد وضح « ايفان بونين » نظرته الى الحياة ، ولخصها فى لقاء الرجل الامريكى بغانيات روما .

ولم يكن « ايفان بونين » هو الكاتب الروسى الوحيد الذى بهرته الاضواء الخليعة بعد خروجه من روسيا فقد ظهر فى هذه الايام كاتب اخر ، صدرت له أخيرا رواية اسمها «لوليتا» وطبعت فى أمريكا وفرنسا ، ثم صودرت فى بريطانيا ، وهذه الرواية تصور حياة شيخ له ولع بالفتيات الصغيرات ، وطبعت آلاف النسخ من هذه الرواية الفاضحة ، وانتشرت انتشارا ذريعا فى أمريكا وفرنسا وتناولتها الصحف والمجلات بالنقد والتقريظ .

وبينما يسرف الادب فى المعسكر الشرقى اسرافا شديدا فى تحديد الايديولوجية الحزبية المظلمة ، يسرف فى المعسكر الغربى اسرافا شديدا فى احتضان لونين من الادب أحدهما جنسى فاضح ، وثانيهما بوليسى مرعب .. وأصبحت القصص فى أوربا وأمريكا تخضع لهذين اللونين الرائجين ، بل انهما أصبحا الكثرة الغالبة على الادب الغربى فى أيامنا ، وأثر ذلك تاثيرا كبيرا فى فن السينما الذى يستمد قوته من القصة ، فاصبحت غالبية الافلام مصطبغة بهذين اللونين المنحرفين .

واشتهر من أدباء الغرب البرتو مورافيا الايطالى ، وجان بول سارتر الفرنسى ، وأسماء أخرى لاتذكر فى أمريكا .

وليس معنى ذلك أن الادب الغربى كله قد انحدر الى هذه الهوة ، فهناك كتاب وأدباء وشعراء يتناولون الحياة بفنهم الرفيع تناولا نظيفا ، ويحسون

فى أعماقهم بانسانيتهم التى تسعى نحو الكمال ، ولكن هؤلاء الكتاب والادباء والشعراء مغلوبون على أمرهم فى مجتمعهم المتحرف ، شأنهم فى ذلك شأن كتاب المعسكر الشرقى ٠

ويبدو أن الصراع بين الشرق والغرب قد أثر أثرا فادحا فى تطور الادب العالمى ، ولعل هذه الملامح التى أشرت اليها توضح بعض هذا الاثر الذى أردت بيانه ، ولعل ما نراه من استعارة الادب القديم فى المعسكرين الشرقى والغربى على السواء ما يدلنا على الفقر الادبى عندهما فى هذا العصر ، فان عدد النسخ المطبوعة من كتب الادب القديم تبلغ عندهما أضعاف ما يطبع من الادب الحديث ، والناس عندهما يعيشون على التراث القديم فى الادب والفن ٠

ولو أننا أحصينا عدد الاوبرات وبرامج التليفيزيون فى العالم الغربى لادركنا من النظرة الاولى أن القوم يعيشون على تراث فاجنر وبيتهوفن وموزار وفردى وغيرهم من أعلام الفن الموسيقى ، كما يعيشون على تراث جوته وشكسبير وموليير وغيرهم من أعلام الفن الروائى الذى يستخدم الان فى برامج التليفزيون ٠

وهذا هو مايحدث أيضا فى المعسكر الشرقى ٠ حيث يعيشون على تراث قديم فى الموسيقى والاوبرا والتليفزيون ٠

ان عصرنا هذا عصر افلاس أدبى فى العالم الغربى والشرقى ، ولعل الامل الوحيد فى استخلاص أدب عالمى وفن عالمى لهذا العصر أصبح معلقا على الهند والبلاد العربية ، وقد بدأت الهند تدخل نطاق العالمية فى أدبها وفنها ، وبدأت البلاد العربية تخطو هذه الخطوة أيضا فى بعض ألوان الادب التى نضجت وأصبحت تقترب من فترة النضوج العالمى والتأثير العالمى ٠

ان فى يدنا الان الفرصة السانحة وأملنا أن يصبح أدبنا العربى من المؤثرات فى تطور الادب العالمى ٠

"أمام القانون"

بقلم: فرانز كافكا

مقدمة : فى عام ١٩٥٨ صدرت الطبعة السادسة لكتاب لـــم يمض على صدوره غير عام ونصف عام ، واسم هذا الكتاب « الوجودية : من دستويفسكى الى سارتر » ومؤلف الكتاب رجل ألمانى يدعى وولتر كاوفمان • ويتحـــدث المؤلف فى أول الكتاب عن دستويفسكى ، كيير كيجارد ، نيتشـــه ، ريلكة ، كافكا ، يسبرز • هيبدجر • سارتر • والبير كامى • ثم يلحق هذه الدراسات بمختارات مما كتبه هؤلاء ، وهذه المختارات تستوعب معظم الكتاب ، وتمتـــد لتشمل ذكريات ومقالات وقصصا ومواقف من مسرحيات كتبها هـــؤلاء • وفى النهاية يتبين القارىء ـ من خلال دراسته لنصوصهم ـ ما يريد كاوفمان اظهاره وهو ان الوجودية ليست فلسفة ، وانما هى ثورات مختلفة متباينة ضـــد الفلسفات التقليدية • وكتاب « الوجودية : من دستويفسكى الى سارتر » متعة أدبية فالقارىء يستطيع ان يطالعه على أنه أدب لا فلسفة، وعلى أنه تعبير فنى خلاق لا ايديولوجية عقيمة

والى القارىء ما كتبه فرانز كافكا الأديب المتشائم ـ تحت عنوان « أمام القانون » :

على عتبة القانون يقف حارس •• ومن أرض الوطن يجىء رجل ، ويتجه الى الحارس ، ويطلب منه أنه يسمح له بالدخول لمقابلة القانون •• غير أن الحارس يقول أنه لايستطيع أن يسمح له بالدخول فى الوقت الحالى ويفكر الرجل هنيهة ليتساءل : هل سيسمح له بالدخول اذن فيما بعد ؟ ويجيب الحارس : «من الجائز ، أما فى هذه اللحظة فمستحيل » ونظرا لأن الباب المؤدى الى القانون مفتوح دائما كما هى العـــادة ، ونظرا لأن الحارس يقف عـــلى جانب منه ، فان

الرجـــل ينحنى ليختلس نظرة الى المدخل • ويرى ذلك فيضـــحك ، ويقول : «اذا كان الاغراء قد سيطر عليك الى هذا الحد فحـــاول اذن أن تدخل دون اذن منى • ولكن ، ليكن معلوما لديك اننى قوى ولا أعدو أن أكون أقل الحراس شأنا ، ومن قاعة الى قاعة يقف الحراس ، عنـد كل باب ، وكل حارس أقوى من سابقه• بل ان ثالث الحراس ذو مظهـــر لاأستطيع أن أتحمل النظر اليه» •

عقبات لم يكن الرجل القـادم من الوطن يتوقع أن تصادفه ، وهو يعتقد أن القانون يجب أن يكون متاحا أمام كل رجل ، وفى كل لحظة ، غير أنه يمعن النظـر فى الحارس الواقف على عتبة الباب ، برداءه المصنـــوع من الفراء ، وأنفه المدبب الضخم ،ولحيته الطويلة الرفيعة التتارية ، فيرى أن من الأسلم الانتظار ، الى أن يسمح له بالدخول ، ويناوله الحارس مقعدا صغيرا لاظهرله ، ويسمح له بالجلوس عليه بجانب الباب • وهناك يجلس الرجل وينتظر ، ينتظر أياما وأعواما وكثيرا ما يكرر المحاولة ، لكى يسمح له بالدخول ، وهو يتعب الحارس بالحاحه • وفى الغالب يندمج الحارس معه فى حـوار مقتضب ، يسأله فيه عن وطنه وبيته ، وعن شئون أخرى غير أن الأسئلة تلقى دائما بطريقـة موضوعية كعادة كبـــار الرجال ، وتنتهى هذه الأسئلة دائما بالقول بأن الرجل لن يسمح له بالدخـول بعد • وكان الرجل قد تزود بأشياء كثيرة لرحلته هـذه ، وهو يتخلى عن كل ماكان يملكه ، مهما غلا ثمنه ، آملا بذلك أن ينجح فى ارشاء الحارس ويأخذ الحارس كل مايقدم اليـه ، غير أنه يقول : — فى كل مرة يتقبل فيها هدية — «اننى آخذها لأعفيـك فقط من الشعور بأنك لم تبذل كل جهدك ، ولم تحاول شتى الطرق» ، وطوال هـــذه السنين يتطلع الرجل الى الحارس بدون انقطاع تقريبا ، وهو ينسى كل مايتعلق بالحـــراس الآخرين، ويرى أن الحارس الواقف أمامه هو العائق الوحيد الذى يحول بينه وبين القانون • وفى السنوات الأولى يلعن حظه العاثر بصوت عال، غير أن الســـــنون تمضى ، وتدب الشيخوخة فى أوصاله ، فلا يسـعه الا أن يتمتم لنفســـه بصـوت غير مسموع ، وكلما تقدمت به السن ، أخذت تصرفاته تكتسب طابعـــا صبيانيا ، وقد طال به الترقب الى حد أنه ألم بكل ماحوله، حتى بالبراغيث المنتشرة فى ياقة الحارس المصنوعة من الفراء ، بل هو يناشـد هـــذه البراغيث أن تساعده وتقنع الحارس بالعدول عن موقفه • وأخيرا تبيض عيناه فلا يعرف ماذا كان الظـــلام يخيم على العالم تدريجيا أم أن عينيه تخدعانه • غير أنه استطاع الآن فى هذا الظلام الدامس ، أن يلمح ضياء ينبعث أبدا من باب القانون وها هى حياته تختتم رحلتهـــا وتقترب من النهاية • وقبل أن يموت يتركز كل ما مر به من تجارب طوال مكثه •• يتركز فى عقله ، فى صورة سؤال واحد ، سؤال لم يوجهه للحارس حتى الآن وهو يومىء برأسه اذ لم يعـــد فى مقدوره الآن أن يرفع جسده المتصلب

ويضطر الحارس الى الانحناء الى مسافة طويلة لكى يسمعه، ذلك لان الاختلاف بينهما فى الحجم قد تزايد جدا الدرجة تتعب الرجل . ويتساءل الحارس «والآن ، أى شىء تريد أن تعرفه ؟ انك لاتقنع أبدا» ، ويجيب الرجل ان كل انسان يحاول ، جاهدا ، الوصول الى القانون ، فلماذا اذن لم يحضر طيلة هذه السنوات رجل غيرى ليطلب السماح له بالدخول ؟ ويرى الحارس أن قوى الرجل قد خارت وان سمعه قد ثقل ، ولهذا يبدو فى أذن الرجل قائلا : « لم يكن فى مقدور أحد الحصول على اذن بالدخول غيرك أنت ، فهذا الباب من أجلك أنت وحدك . والآن ، هاأنذا أوصده» .

وسرعان ماقال ك الذى اجتذبت القصة انتباهه الى حد كبير «فالحارس قد خدع الرجل اذن» .

فرد القس «لاتتسرع هكذا ، ولا تؤمن برأى قبل فحصه وتمحيصه ، لقد حكيت لك القصة كما جاءت فى الكتب المقدسة نصا وحرفا ، ولم يكن هناك ما يشير الى مسألة الخداع » .

فأجاب ك «غير أن المسألة واضحة جدا وقد أصبت فى تفسيرك الأول للقصة . لقد أعطى الحارس للرجل رسالة الخلاص حين لم يعد من المستطاع أن تنفذ هذه الرسالة .

فقال القس : «ان الرجل لم يوجه سؤاله الاخير الى الحارس الا فى النهاية ، ولم يوجه له قبل ذلك . ويجب أيضا أن تذكر أنه لايعدو أن يكون حارسا ، وأنه أدى مهمته ـ كحارس ـ على الوجه الأكمل » .

وتساءل ك : ماالذى يجعلك تعتقد أن الحارس قد أدى مهمته على الوجه الأكمل ؟ انه لم يفعل ذلك ، وربما كانت مهمته تنحصر فى ابعاد جميع الغرباء ، باستثناء هذا الرجل الذى من أجله كان الباب .

فأجاب القس : أنت لا تحترم الكلمة المكتوبة بما فيه الكفاية وأنت تدخل على القصة بعض التغيير والتحوير . والقصة تتضمن تصريحين هامين أدلى بهما الحارس وهو يتحدث عن موضوع الدخول الى القانون .. التصريح الأول فى بداية القصة ، والتصريح الثانى فى نهايتها . التصريح الأول : لايستطيع الحارس أن يسمح للرجل بالدخول فى الوقت الحالى . والثانى : هذا الباب لذلك الرجل وحده دون غيره من الرجال . ولو كان هناك تناقض بين التصريحين لكنت مصيبا فى رأيك ولكان الحارس قد خدع الرجل بالفعل . غير أنه لاتناقض هناك . وعلى العكس من ذلك ، نرى أن التصريح الأول يفضى ـ فى طياته ـ الى التصريح الثانى . بل ونستطيع أن نقول أن الحارس حين أشار الى الرجل باحتمال الدخول فى المستقبل قد تخطى الحدود التى تفرضها عليه مهمته . فمهمته فى تلك اللحظة تنحصر فى منع الرجل من الدخول فقط ، والواقع أن كثيرا من المعلقين قد اندهشوا للتلميح الذى صدر عن الحارس من احتمال الدخول فى المستقبل ، فالحارس على مايبدو

حازم فى وقفته ، وهو يحافظ على واجبه بشدة . ولم يحدث أبدا أن ترك مكانه طوال هذه السنين ، ولم يحدث أبدا أن أوصد الباب الا فى الدقيقة الأخيرة ، وهو يدرك أهمية وظيفته ، اذ هو يقول : «اننى قوى» وهو يحترم من هم أعلى منه رتبة ،اذ هو يقول : «ولا أعدو أن أكون أقل الحراس شأنا » .. وليس الحارس بالرجل الثرثار ، وطيلة هذه الأعوام لم يوجه الا مايسمى : بالاسئلة الموضوعية ، وليس بالذى يقبل الرشوة ، اذ هو يتقبل الهدايا قائلا: اننى آخذها لأعفيك فقط من الشعور بأنك لم تبذل كل جهدك ، ولم تحاول شتى الطرق ، وحين يتعلق الأمر بواجبه نرى أن الشفقة أو الغضب لايزحزحانه عن موقفه ، فنحن نقرأ أن الرجل أتعب الحارس بالحاحه ، وأخيرا نجد أن مظهره الخارجى يدل على تزمته فى اتباع التعليمات ، من ذلك: الأنف المدبب الضخم ،واللحية الطويلة الرفيعة التتارية . هل نستطيع أن نتصور حارسا أكثر منه اخلاصا ووفاء ؟ غير أن هناك بعض خصائص فى هذا الحارس يمكن أن يستفيد منها أى رجل يريد الدخول، خصائص تجعل الحارس يتخطى الحدود التى رسمها واجبه ، ويشير الى احتمال الدخول فى المستقبل . وليس هناك من ينكر أن الحارس ساذج الى حد ما ، وأن به – نتيجة لهذا – شيء من الغرور ، مثال هذا التصريحات ، التى يدلى بها حين يتحدث عن قوته ، وقوة الحراس الآخرين ، ومظهرهم الرهيب الذى لايستطيع –هو نفسه– أن يتحمل رؤيته، وأنا أعتقد أن هذه التصريحات قد تكون صحيحة تماما ، غير أن طريقة الادلاء بها ترينا أن سذاجة التفكير ، والغرور ، يشوشان ادراك الحارس . وفى هذا يقول المعلقون: ان الادراك الصحيح لأى شيء، واساءة فهم هذا الشيء عينه لايتعارضان ،ولا يلغى أحدهما الآخر الغاء تاما .

وعلى كل حال ، يتحتم علينا أن نقول أن هذه السذاجة وذلك الغرور بالرغم من قلة الاشارة اليهما فى القصة ، قد يؤثران فى قدرة الحارس على حراسة الباب، وهما بمثابة ثغرات فى شخصية الحارس . وعلينا أن نضيف أيضا مايبدو من أن الحارس ودود بطبيعته ، فهو لايلتزم وقاره الرسمى دائما . ففى اللحظات الأولى نفسها يتصرف تصرفا يدعو الى السخرية ، فهو يدعو الرجل الى الدخول بالرغم من ذلك الفيتو الذى يحرم الدخول ، والذى حافظ عليه بدقة، والحارس أيضا لايصرف الرجل وانما يعطيه – كما جاء فى القصة – مقعدا ويسمح له بالجلوس بجانب الباب . وان صبر الحارس على الحاح الرجل طيلة تلك السنين ، والحوار المقتضب الذى كان يدور بينهما .. وقبول الحارس للهدايا ، وأدبه وهو يسمع الرجل يلعن أمامه – وبصوت عال – الحظ العاثر الذى يعتبر الحارس مسئولا عنه، كل هذا يجعلنا نكتشف فى الحارس مايدل على عطفه ولو كان هناك حارس غيره لما تصرف على هذا النحو . وأخيرا نرى أن الحارس يستجيب لايماءة الرجل وينحنى الى مسافة طويلة ليتيح للرجل فرصة

توجيه سؤال أخير . ان الحارس يعرف أن كل شيء قد انتهى وهو يقول للرجل : انك لاتقنع أبدا ، وان دلت هذه الكلمات على شيء فانما تدل على نفاد صبر الحارس ، ولكن بطريقة وديعة لطيفة . بل وان هناك من يتطرف بعض الشيء في تفسير هذه الكلمات فيقول أن العبارة تعبر عن اعجاب ودى ، غير أنه اعجاب لايخلو من تنازل وتواضع من جانب الحارس وعلى كل حال ، نستطيع أن نقول أن شخصية الحارس تظهر في صورة تختلف كل الاختلاف عن الصورة التي تخيلتها أنت .

وأجاب ك : لقد تفوقت علي في الدقة التي درست بها القصة ، وفي الوقت الذى أنفقته في دراستها .. وخيم عليهما الصمت لحظة ، ثم تساءل ك : فأنت اذن لاتعتقد أن الرجل مخدوع ؟ .

وحينئذ أجاب القس: لاتسيء فهمي أنني أعرض عليك فقط وجهات النظر المتعددة الخاصة بهذه النقطة ويجدر بك ألا تهتم بها كثيرا ، والكتابات المقدسة لاتخضع للتبديل والتعديل، وغالبا ماتعبر التفسيرات عن حيرة المعلق . مثال هذا أن هناك تفسيرا يقول أن الشخص المخدوع حقا هو الحارس نفسه .

وهنا قال ك : هذا تفسير متطرف على أى أساس يستند ؟

وأجاب القس : يستند على أساس سذاجة الحارس . فالتفسير ينص على أن الحارس لايعرف القانون من الداخل ، وانما يعرف فقط الطريق الذى يؤدى اليه ، وهو يذرع هذا الطريق جيئة وذهابا . ويقال أن فكرة الحارس من الداخل فكرة صبيانية ويبدو أنه يخاف من الحراس الآخرين الذين يصورهم أمام الرجل في صورة أشخاص مرعبين والواقع أنه يخشاهم أكثر مما يخشاهم الرجل نفسه ، فالرجل مصمم على الدخول حتى بعد سماعه عن الحراس المرعبين في الداخل أما الحارس فلا رغبة له في الدخول كما جاء في القصة على الأقل وآخرون يقولون أن الحارس قد دخل بالفعل مادام في خدمة القانون ، وليس هناك من طريقة لتعيينه حارسا الا أن يكون ذلك من الداخل . ويقال ، ردا على هذا الرأى أنه من الجائز أن يكون الحارس قد تم تعيينه بواسطة صوت يدعوه من الداخل ، وانه مهما كان الأمر فان الحارس لايستطيع أن يدخل الى مسافة كبيرة ، مادام منظر الحارس الثالث أكثر من أن يتحمله وعلاوة على ذلك ، ليس هناك مايشير الى أن الحارس أبدى طيلة هذه السنوات — أية ملاحظة تدل على المامه بما في الداخل ، اللهم الا الملاحظة المتعلقة بالحراس . وقد يقال أن الحارس ممنوع من الافضاء بأية معلومات ، ولكن ليس هناك ما يؤكد هذا القول . واستنادا الى هذه الاسباب يقال أنه لايعرف أى شيء يتصل بمظهر ما بالداخل ودلالته ، ومن ثم فهو مخدوع . غير أنه مخدوع أيضا في علاقته مع الرجل القادم من أرض الوطن ، فهو تابع لهذا الرجل دون أن يدرى ، وبدلا من أن يتبع الرجل يعامله كما لو كان هذا الرجل

تابعا له ، ويتضح هذا من التفاصيل التى لا بد أنك ما زلت تذكرها ٠ ولكن من الواضح جيدا ـ طبقا لهذا التفسير للقصة ـ أن الحارس تابع بالفعل للرجل ٠

فأولا: نجد أن العبد يخضع للرجل الحر على الدوام ٠ والواقع أن الرجل القادم من أرض الوطن رجل حر ، وهو يستطيع أن يذهب الى حيث يشاء ، وليس هناك من شيء موصد فى وجهه غير القانون ، وهو ممنوع من الوصول الى القانون عن طريق فرد واحد فقط : الحارس الواقف عند الباب ٠ وهو حين يجلس على الكرسى الذى لاظهر له ، بجانب الباب ، ويمكث هناك جالسا بقية سنى حياته ، فانما يفعل ذلك بمحض اختياره ومشيئته وليس هناك مايشير فى القصة الى وجود أى نوع من أنواع الاجبار ٠ أما الحارس ، فانه مرتبط بمكان بمقتضى وظيفته ، وهو لايجرؤ على الهروب الى أرض الوطن ، ويبدو أيضا أنه لايستطيع الدخول الى المكان الذى يوجد به القانون ، حتى لو أحب ذلك والى جانب هذا نجد أنه بالرغم من وجوده فى خدمة القانون ، فان هذه الخدمة قاصرة على حراسة هذا المدخل فقط ، أى أنه ليس فى خدمة أحد غير هذا الرجل الذى من أجله كان المدخل وعلى هذا الأساس أيضا نجد أن الحارس تابع للرجل ، ولا بد أن نفترض أن خدمة الحارس ظلت سنين عدة ـ سنين تكفى لابلاغه مبلغ الشباب ـ ظلت بمثابة روتين أجوف اذ كان عليه أن ينتظر الرجل القادم الرجل الذى بلغ مبلغ الشباب أيضا ومن ثم كان عليه أن ينتظر طويلا قبل أن يتحقق الغرض من خدمته ، وعلاوة على ذلك كان عليه أن يخدم الرجل ويخدم رغباته ومشيئته ، فالرجل قد جاء بمحض اختياره ومشيئته ٠٠٠ ونحن نجد أيضا أن انتهاء خدمته متوقف على أجل الرجل ، ومن ثم فهو تابع للرجل حتى النهاية ، وهناك مايؤكد فى كل سطور القصة أن الحارس لايدرك ـ على مايبدو ـ شيئا من هذا كله ٠ وليست هذه الحقيقة على جانب كبير من الأهمية ، فالحارس ـ بناء على هذا التفسير للقصة ـ قد خدع فى مسألة أكثر من السابقة فى أهميتها ، مسألة تتعلق بوظيفته نفسها ٠ فالحارس ـ على سبيل المثال ـ يقول فى النهاية وهو يشير الى المدخل الذى يؤدى الى القانون : والآن ، هاأنذا أوصده ٠ هذا بينما نقرأ فى بداية القصة أن الباب المؤدى الى القانون مفتوح دائما ٠ وما دام الباب مفتوحا دائما (أى مادام مفتوحا فى كل وقت وفى كل زمان بصرف النظر عن حياة الرجل أو وفاته ، فمعنى ذلك أن الحارس لايستطيع اقفاله ٠ ولقد اختلفت الآراء حول الباعث الذى يكمن وراء تصريح الحارس : هل قال أنه بسبيل اقفال الباب لا لشيء الا ليرد فقط على السؤال الموجه اليه ؟ أم انه يؤكد ولاءه للواجب ؟ أم انه يريد أن يجعل الرجل حزينا نادما فى لحظاته الاخيرة ؟ بيد أن الآراء اتفقت جميعا على أن الحارس لن يقدر على اقفال الباب ٠ والواقع أن هناك عددا كبيرا من المعلقين الذين يؤكدون أنهم اكتشفوا أن الحارس تابع للرجل حتى

فى مضمار الحكمة ، فى نهاية القصة على الأقل، فالرجل يلمح الضياء الذى ينبعث من باب القانون، بينما يضطر الحارس ، بمقتضى وقفته الرسمية ، الى الوقوف وظهره ناحية الباب ، وهو لايتفوه بشىء يثبت لنا أنه لمس التغير الذى طرأ .

قال ك : أصبت فى جدالك ، قال هذا بعد أن أخذ يردد لنفسه بصوت خفيض بعض فقرات مما جاءت فى شروح القس : أصبت فى جدالك الى حد أننى أميل الى الأخذ بالرأى الذى يقول أن الحارس مخدوع غير أن هذا لم يجعلنى أتخلى عن وجهة نظرى السابقة ، فالاستنتاجان لا يتعارضان الى حد كبير . والقول بأن الحارس ثاقب النظرة أو أنه مخدوع لايحل المشكلة . لقد قلت أنا أن الرجل مخدوع. ولو أن الحارس ثاقب النظرة لكان قولى هذا موضع شك ، ولكن اذا كان الحارس مخدوعا فلا بد أن ينتقل هذا الخداع بالضرورة الى الرجل والواقع أن هذا لايجعل من الحارس شخصا غشاشا ، وانما يجعله مخلوقا ساذجا الى درجة يجدر معها اعفاؤه فورا من منصبه، ويجدر بك ألا تنسى أن أوهام الحارس لاتؤذيه بقدر ما تؤذى الرجل .

قال القس : هناك اعتراضات على هذا الرأى ، وكثيرون يؤكدون أن القصة لاتعطى أحد الحق فى الحكم على الحارس ، ومهما بدا فى نظرنا ، فانه خادم القانون ، أى انه ينتمى الى القانون ، وبهذا لايخضع لأحكام البشر ، وبذلك لانجرؤ على أن نقول أن الحارس تابع للرجل ، وبالرغم من أنه مقيد بوظيفته ، الا أنه حتى فى وقفته على باب القانون يتمتع بحرية تفوق أية حرية يتمتع بها فرد فى العالم . ان الرجل ينشد القانون ويسعى اليه ، لاشىء أكثر من هذا أما الحارس فمرتبط بالقانون بالفعل والقانون هو الذى عينه فى وظيفته هذه ، وحين نشك فى اخلاص الحارس فانما نشك فى القانون نفسه .

وهز ك رأسه وقال : لست أوافقك على هذا الرأى ، فلو سلمنا به لاضطررنا الى تصديق كل شىء يقوله الحارس . غير أنك أثبت بنفسك استحالة هذا .

فأجاب القس : لا ، ليس من الضرورى أن تقبل كل شىء على أنه حقيقة ، وانما يجب أن تقبله على أنه ضرورة .

وحينئذ قال ك : هذا استنتاج يدعو الى الأسف . ان نظام الكون قائم على أكذوبة .

مرة أخرى

أزمة الشعر الجديد

عندما كتبت مقالى عن الازمة التى يعانيها الشعر الجديد ، لم أكن أقصد اطلاقا أن أعتبره نهاية فى ذاته .. ذلك أن ما أشرت اليه لم يكن سوى تخطيطات ، وربما تكون سريعة ، لعناصر هذه الازمة كما أراها حين أتلوق هذا اللون من الابداع على الاقل . وكنت قد أعددت نفسى لتناول الموضوع بشكل أكثر شمولا وتحديدا ثم حدث أن ارجأت البحث الى فرصة أخرى .

غير أننى أجد نفسى الان مسوقا الى الخوض فى هذا الموضوع مرة خرى ، راغبا فى اثارته ، راجيا أن يحتمل رأيى نقاشا أوسع وأبعد .

والواقع أن ما ألح على فى معاودة الكتابة هو تلك المقدمة ، الجديرة بالدراسة التى جعلها الصديق الدكتور عبد القادر القط على رأس ديوانه : « ذكريات شباب » .

وليس مما أجيزه لنفسى أن أعزل المقدمة عما جاءت بصدده من شعر ، ولكن الضرورة تقتضى هذا ، بل يؤكد هذه الضرورة تعرض الدكتور القط رغم محافظته على الشكل القديم للشعر الجديد كلون برز فى حياتنا الادبية ، وادلائه بآراء قيمة جديرة بالمناقشة .

فى بداية المقدمة تسجيل للتردد والاشفاق اللذين سيطرا على الشاعر فحالا بينه وبين نشر مجموعته تلك لفترة طويلة . فيقول : « ومما أكد هذا التردد فى نفسى أن لونا جديدا قد ظهر فى الشعر العربى ، فنبذ هذا الاطار الذى كنت أنظم فيه ، وتلك التجارب الذاتية التى صورتها فى شعرى القديم وأحدث بهذا ثورة فنية كبيرة ، كنت فى اول الامر من أكثر الناس انتصارا لها ، وأحسست أنه ينبغى لى ن أتريث حتى أرى مايكون من أمر هذا المذهب الجديد .. »

وما أحب للدكتور القط هنا ان يتملكه التردد أو الاشفاق عند احتكاكه بهذه الظاهرة الجديدة . ذلك انه يعيشها باعتباره متذوقا وناقدا تقع عليه مسئولية الاسهام فى اكتشاف قوانين الظاهرة وتدعيمها وطرح عوامل تخلفها . والظاهرة الجديدة وليدة ظروف سياسية واجتماعية لازال وطننا العربى الكبير يمر بها ، وهى لازالت تحتمل مزيدا من الجهود المخلصة التى تبدو واجبة البذل

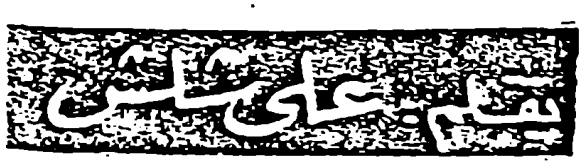

والاداء • ومن الخطأ التجاوز عن الجديد باعتباره باعثا على التردد والاشفاق خاصة اذا كنا فى قلب المعركة ذاتها ولسنا بمتفرجين عزل من السلاح •

ويستطرد الدكتور القط فيضع يده على بعض الامراض والعلل التى أصابت ـ فى رأيه ـ الطريقة الجديدة فى التناول الشعرى ، فيقول :

« ولكن الشعر الجديد لم يلبث أن تحول ـ فى معظمه ـ عن الطريق الذى كان قد بدأ السير فيه ، فغلبت عليه نثرية مسرفة ، واتخذ لنفسه ـ على حداثته ـ قوالب يرددها الشعراء فى معظم قصائدهم ، وطغى على مضمونه جانب الدعاية المباشرة للقضايا السياسية والاحداث الاجتماعية دون نظر كبير الى الجانب الفنى ، وخدع كثير من الشعراء الناشئين بما يبدو فى طريقة نظمه من سهولة ظاهرية ، فأولعوا به وغمروا الصحف والمجلات بقصائد فجة قبل أن يكتمل لهم ما ينبغى من ثقافة لغوية وفنية ، ونضج فى الفكر والعاطفة • وهكذا أدرك كثير ممن آزروا هذا الشعر فى أول الامر أنه ـ رغم النماذج الناجحة التى قدمها الموهوبون المخلصون من أصحابه ـ لم يزل فى دور التجربة التى قد تنتهى به الى مسالك وأشكال جديدة ، أو ترده الى شىء من القصد والاعتدال • وبدأ الناس يشكون فى قدرته على أن يخلف الشعر القديم فيصبح اللون الاوحد فى شعرنا الحديث » •

وأظننى قد أشرت الى ما أصاب القصيدة الجديدة من نثر وتقرير وتجريد وتعقيل وخطابة وشعارات وغير ذلك من العلل • على أننى لا أوافق الدكتور القط فيما قاله من أن الشعر الجديد قد « تحول ـ فى معظمه ـ عن الطريق الذى كان قد بدأ السير فيه » •

ولئن كان ما نتفق عليه هو أن الشعر الجديد لازال يمر ـ بشكل عام ـ بمرحلة التجريب ، وان تخطاها ـ شكل خاص ـ فى بعض محاولات نفر من الشعراء الجدد الذين كانوا سباقين فى هذه المحاولة مثل نازك الملائكة والسياب والبياتى وعبد الصبور وكاظم جواد وأحمد حجازى ونجيب سرور ونزار قبانى أيضا • الا أننى أقول أن طريق الشعر الجديد لم ينحرف لدى هؤلاء على الاقل بالشكل الذى يعطل تقدمه و يعوق تطوره • ليس « معظمه » اذن قد تحول عن الطريق ، وانما الذى يمكن أن نتهمه بالتحول هو كثير من القصائد التى تنشر متفرقة للناشئين واضرابهم أما المجموعات المطبوعة فلم تتحول عن الطريق فى مجموعها ، بل اننا نستشعر فى تذوقها ملامح مرحلة جديدة أخرى مقبلة تزيد من وضوح الطريق وتشذب من طفيلياته •• ولعل ديوان « مدينة بلا قلب » لشاعرنا أحمد حجازى ، باعتباره آخر مجموعة صدرت حتى الان متبينة الطريقة الجديدة ، هو واحد من

المحاولات الطيبة التى يمكن أن تطمئننا على مستقبل هذا اللون الجديد .

أما النثرية المسرفة التى غلبت على أسلوب الشعر الجديد فتنصرف الى كثير من محاولات الناشئين والمبتدئين واذا كنا نلمح نثرية فى نموذج معينة أو اثنين من شعر السابقين فى المحاولة فليس يعنى هذا أنها نثرية مسرفة وليس يعنى أنها تنذر بالخطر .. والحقيقة أن الركاكة والغثاثة فى التعبير لا نلمسها فى التعبير الجديد فحسب ، وانما نلمسها أيضا فى الشعر القديم . وهى تتوقف على مدى أصالة الشاعر الذاتية ، ومدى عمق تجربته ، وتمكنه من الثقافة الفنية واخلاصه فى التعبير عنها .

وليعذرنى القارىء هنا لعدم اللجوء الى التمثيل وذلك لضيق المجال أولا ولصعوبة اجتزاء القصائد الجديدة ثانيا ، لكننى أحيل القارىء الى هذه المجموعات الشعرية الجديدة التى تحمل خصائص المدرسة الحديثة . «١»

تجىء بعد هذا مسألة القوالب التى ينعيها الدكتور القط على الشعراء الجدد .

ولا أعدو الحق اذا قلت : ان هذه القوالب التى يصب فيها البعض ابداعهم ليست الا فهما خاطئا لطبيعة عملية الخلق الفنى ، وقصورا وافتقارا الى الثقافة الفنية الواجب توافرها فى الشاعر . ولهذا نرى القوالب لدى ذوى الثقافة الفنية المحدودة كالناشئين وكذلك لدى محدودى التجارب والمقلدين . وهذا ماعنيت به فى مقالى عند اشارتى الى حدى الازمة فى رأيى وهما : الثقافة وطريقة التناول اللتان يرجع النقص فيهما الى اغفال التراث الشعرى العربى والاحالة على حصيلة الشعر الجديد فقط برغم حداثتها . وهذا خطأ بالغ الضرر بالناشئين يؤدى الى انتكاسهم وضعفهم فى حين أن عليهم أن يكتسبوا التكنيك والخبرة الفنية من تراثنا المتراكم خلال اربعة عشر قرنا ، وليس هذا فحسب ، وانما لهم أيضا أن يستفيدوا بجدية فى التراث العالمى من طرائق ابداعية وخبرات فنية على أن يحتفظوا باستقلال شخصيتهم وتفرد ذواتهم الابداعية .

ومن ناحية أخرى لانجد القوالب عيبا فى الجديد فقط وانما نجدها قد لازمت شعرنا القديم فترة ليست بقصيرة . فبدت فى المعلقات أو « المذهبات » ، وسارت فى القصيدة القديمة سيرا خاصا بحيث يمكن أن نجزئها أجزاء ، يعالج كل منها موضوعا خاصا يتضمن عددا من المعانى ، وكل معنى من هذه المعانى يحتويه بيت أو أكثر . ولهذا أصبح النسيب موضوعا

---

(١) من الممكن الرجوع الى المجموعات الآتية : « شظايا ورماد » وقرارة الموجة لنازك الملائكة ، «اباريق مهشمة» للبياتى ، «الناس فى بلادى» لصلاح عبد الصبور ، « مدينة بلا قلب » لحجازى بجوار أشعار السياب وكاظم جواد ونجيب سرور .

رئيسيا افتتح به أكثر الشعراء قصائدهم ، حتى ضاق المتنبى بهذا الوضع ونقده فى مطلع قصيدة له يقول :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم
أكل بليغ قال شعرا متيم ؟

ولعل من الغريب فى هذا أن نجد كثيرا من الشعراء القدامى لم يقولوا فى النسيب الا فى مطلع قصائدهم • وقد سيطر هذا القالب على الشعر العربى فى جميع عصوره القديمة • ولم يتخلص منه الا فى العصر الحديث •

اما طغيان جانب الدعاية المباشرة للقضايا السياسية والاحداث الاجتماعية على المضمون دون نظر كبير الى الجانب الفنى ، فمع تسليمى بخطأ هذا الاتجاه نسبيا ، الا أننى أعتقد أن الشعر الجديد كما قلت وليد فترة حافلة بالاحداث والثورات السياسية والاجتماعية فى كافة انحاء الوطن العربى • ومن هنا وجد الشاعر نفسه — وكل الشعراء الجدد من الشبان الذين تفتحت عيونهم وأذهانهم على الكفاح والنضال والمعارك المتأججة التى تخوضها بلادنا ضد السيطرة والاستعمار — فى قلب الاحداث •• لايستطيع الا أن يكون قارعا للطبول مثريا لوجدان الناس ، متقدما معهم فى الصفوف •

ولعل من المعروف فى شعرنا العربى القديم أن شعر الحماسة قد غلب على الشعر العربى فى العصر الجاهلى وجانب كبير من العصر الاسلامى بسبب ما شهدته تلك الفترات التاريخية من أحداث ، وماسادها من حروب وأيام وفتوحات • ولهذا نجد هذا اللون قد قل فى العصر العباسى مثلا عندما ساد الاستقرار • وكان ما بقى من شعر الحماسة بعد العصر الاموى هو الفخر •

ان الخطأ — كل الخطأ — يتركز فى التمثل السريع للواقع ، والنظرة العجلى الى الامور •• هذا اذا أضفنا ضحالة الشاعر نفسه وافتقاره الى الثقافة الفنية اللازمة •

على اننى اتفاءل فأقول أننى أنتظر الخير الكثير من الشعر الجديد فى المستقبل ، عندما نكون قد فرغنا من معاركنا ، واستقرت بنا الامور •

وأعود فأتفق مع الصديق الشاعر على أن السهولة الظاهرية فى الشعر الجديد قد خدعت كثيرين من الناشئين فأولعوا به قبل أن يصلب عودهم •• ودون أن ينضج فكرهم أو عاطفتهم ، ظنا منهم أن هذا يتيح لهم نشر محاولتهم •

الحقيقة أن من الاجحاف أن ننكر أن خصائص شىء ما تتضح فى أعلى مراتب صوره • كذلك فان خصائص الشعر القديم لا تتضح الا فى أعمال كبار الشعراء الذين ساروا على نهجه وكذلك أيضا الحال فى الشعر الجديد أما العلل والامراض بل الاتهامات ، فهذه كلها امور تطالعنا فى أعمال المقلدين والشعاريير فى مدرستى الشعر : قديمه وجديده على السواء !

أما ان الناس قد بدأوا يشكون فى قدرته على ان يخلف الشعر القديم فيصبح اللون الاوحد فى شعرنا الحديث .. فهذا ما يستدعى الوقوف قليلا ، ذلك أن الشعرالجديد واجهته حملات هجوم كثيرة شنها كثيرون من شعرائنا القدامى ومن العاطفين على الشعر القديم بقلوبهم . فاتهمه الشاعر عزيز أباظة مثلا بالرطان ، وكتب فى مقدمته لديوان « أصداء الحرية » للشاعر عبد الله شمس الدين يقول فى تقسيمه لمدارس الشعر الحديث :

« ... ثم انشقت الارض عن مدرسة رابعة ارتجلت ارتجالا » ، ووصف شعراؤها بأنهم : أصوات ملهوجة تملأ سمعك بما هو أشبه بهذيان المحمومين .. كما هاجمه الاستاذ العقاد وكثيرون آخرون .. وقد استعرت المعركة بين القديم والجديد ، حتى بلغت حد التشهير بافلاس الشعراء الجدد وصبيانيتهم فى التعبير . وأذكر مرة حضرت فيها ندوة فى نادى الموظفين منذ شهور عادت بى الى أيام من تاريخ الادب الفرنسى فى النصف الاول من القرن الماضى يوم قامت المعركة واستعرت بين الكلاسيكيين والرومانتيكيين ، فبلغت حد القسوة فى الخصام الى ان انتهت بيوم ارنانى عام ١٨٣٠ (١) وفوز انصار الطريقة الجديدة ، وكان الشعر جانبا جوهريا فى المعركة .

فقد قام فى تلك الامسية منتدى الندوة الشاعر خالد الجرنوسى يقدم شاعرا آخر من أتباع الطريقة القديمة وبعد ان ألقى الاخير قصيدته راح الشاعر الجرنوسى يعدد محاسن القصيدة ويقرظها بحماس بالغ ، ثم بلغ به الحماس حدا أكثر ، فراح يقار بين المدرستين ويصب غضبه على الصبية الذين ظهروا فى هذه الايام يقولون شعرا وما هو بالشعر ! ...

وأعرف صديقا اخر من ادبائنا ، عندما تسأله رأيه فى الشعر الجديد ، يروح ينفى عنه تسميته بالشعر .. ثم تسأله : ماذا قرأت ؟ وماذا الم يعجبك ؟ .. ويجيبك ببساطة : انا لا أقرأ هذا الكلام ..

هكذا فى الواقع نجد معظم خصوم الشعرالجديد ، وأكثرهم يكتفون بنظرة جزئية يحددون تبعا لها رأيهم ... ويصيرونه عاما ، ولا يكلفون أنفسهم قراءة النماذج الحقة الممثلة لهذا اللون من الشعر .

ان مسألة الشك فى مقدرة الشعر الجديد متروكة اولا واخيرا ـ كما قلت ـ لكيفية التطور والانتقال من التجريب الى النضج .

ومن نافلة القول مع هذا ان الشكل القديم للشعر عاجز عن تحقيق متطلبات العصر . ذلك أن الشكل القديم ـ كما قال الدكتور القط : قد تطور تطورا كبيرا على يد الشعراء المحدثين ، فانتفت عنه الالفاظ الغريبة

« ١ » راجع مقال « معركة ارنانى فى الادب الفرنسى » لكاتب هذه السطور بمجلة الاداب ببيروت عدد ابريل ٥٩

والصور التقليدية ، واصبحت ابياته أكثر تماسكا واتحادا • وقد تجاوز الشعراء ـ كما هو معروف ـ هذا الشكل التقليدى المحض الى القصيدة التى تعتمد على وحدة المقطوعة والقافية المتغيرة فأتيح للشاعر مجال ارحب للتعبير عن تجربته ، وقلت القيود التى تحد من قدرته على الابداع •• واستطاع كثير من الشعراء أن يأتوا فى هذا الاطار بروائع يعتز بها أدبنا الحديث •

وينتقل الدكتور القط بعد هذا الى مناقشة الذاتية فى الشعر ، ثم يعقب على رأى للاستاذ العالم حول شعره ، ويتعرض لمشكلة الواقعية التى اشرت اليها فى مقالى السابق مبينا اختلاط مفهومها لدى فريق من شعرائنا الجدد والناشئين منهم بصفة خاصة • يقول الدكتور القط :

« وليس من ضير على الادب العربى أن يظل محتفظا بشىء من الرومانسية مادامت تلك الرومانسية تعبيرا صادقا عن جانب مهم من نفوس منشئيه ومتذوقيه » •

والواقع أن اغفال الرومانسية والاعراض عنها ، بل رفضها كلية خطأ وقع فيه كثيرون من الواقعيين لدينا ، مع أننا نجد فى كثير من الاعمال الرومانسية البارزة شريانا من الواقعية ، وعلى العكس نجد روحا من الرومانسية ترفرف على كثير من الاعمال الواقعية المعروفة • والعبرة هنا هى قيمة الرومانسية وصلاحيتها ومدى ما تحتويه من تقدم ونمو •

من الاجحاف والضرر أن نرفض الرومانسية اذن ، فى حين أن مجتمعنا لازال يمر بفترة حافلة بالتطلعات والآمال ، غاصة بصنوف من المعارك تقتضى مواكبتها ومخاطبة عواطف الناس بجوار عقولهم •

وتنتهى المقدمة وتطالعنا أشعار الدكتور القط أو ذكريات شبابه كما اختار هو أن يسميها ، ولكنا نقف عند حد المقدمة تاركين مناقشة ماتلاها من شعر لفرص مقبلة • ثم نعود الى حديثنا عن الشعر الجديد وأزمته فنقول أنه ليس شك فى أن الشعر الجديد ظاهرة فى تاريخ أدبنا الحديث جديرة بالدراسة • وما الازمة التى يعانيها الا سحابات علينا أن ندعها فى طريق العبور بسلام ، وما هى بالخطورة المدمرة التى تهدد كيان ابداعنا الشعرى بوجه عام • انها ظاهرة كما قلت تسعى نحو الاكتمال والتأنى فى اكتشاف قوانينها والابتعاد عن التشيع والاستخفاف ما استطعنا وتتطلب فى الوقت نفسه الرعاية الى ذلك سبيلا •

لقد حقق الشعر الجديد ، رغم حداثة عهده ، تقدما ملحوظا •• واصبحت القصيدة الجديدة وحدة واحدة متكاملة تعبر عن محتواها فى كل عضوى مترابط الجزئيات والصور

وقد تحدثت الدكتورة بنت

الشاطىء فى العدد الماضى عن الشعر فاصابت حين قالت :

« فالقصيدة فى ديوان المدرسة الشعرية الحديثة قد حققت التحول فى المضمون برعاية الوحدة النفسية والتناول الوجدانى وفى الشكل بحرية التوزيع الموسيقى وطلاقة النغم .. وأضافت « العمق » الى أبعاد القصيدة العربية » .

ثم تضيف قولها : « وربما تهيأ لافراد من هذه المدرسة ، أن يحققوا هذا كله فى الديوان مجتمعا لا فى القصيدة الواحدة فحسب ، على نحو ما فعلت « نازك الملائكة » فى ديوانها الثانى « شظايا ورماد » ثم فى ديوانها الثالث « قرارة الموجة »

وما أحب أن أنهى حديثى قبل أن أنقل عبارة أخرى ذكرتها الاستاذة لاوضح مسألة الذاتية التى يفهمها بعضنا مرادفا للشعر . تقول :

« .. ولفظ « الذات » هنا يحتاج الى مزيد بيان ، فليس المقصود بها ذات الشاعر منفصلا عن جماعته أو منطويا على نفسه بمعزل عن الحياة من حوله ، وانما المقصود بها «الذات الممثلة لارهف أفراد الجماعة حسا ، وأدقها شعورا ، وأقدرها على التعبير وأفقهها لسر الكلمة « واصرار الشاعر على حريته الذاتية لا يعنى بحال ما انه ينتزع ذاته من الجماعة ويعبر عنها تعبيرا فرديا انفصاليا منقطع الاسباب بما حوله ومن حوله ، فما الشاعر فى الجماعة سوى قلبها الخفاق ووجدانها الحى ولسانها المعبر عن انفعالاتها ، وحريته هنا تعنى حرية الجماعة التى يمثلها وجدانيا ، واستقلال ذاتيته نابع من صميم مهمته فى القيادة الروحية ، وأى عدوان على هذه الحرية وأى تفريط فى استقلال الشاعر يعد خيانة للامانة التى يحملها عن الجماعة بوصفه حارسا لمقومات وجودها الفنية هو فى الحقيقة عدوان على حرية الفنون(١) .

ان الذاتية بمعناها الضيق ، أى اعتزال الجماعة والتزام الابراج العاجية تنشأ عن احساس الشاعر بالسأم والملل وعدم الانسجام وفقدان الثقة بالجماعة .

والحقيقة أن العيش فى مجتمع أو بين جماعة يحول دون التحرر من هذا المجتمع وهذه الجماعة . وما نحب لشعرائنا الجدد أن يتحرروا من المجتمع أو الجماعة ، وما نحب لهم أيضا أن يتسلحوا بهذه النظرية الضيقة لمفهوم الذاتية .

والواقع أخيرا أننى لا زلت عند رأيى السابق فى ضرورة عقد مؤتمر يناقش هذه الظاهرة الجديدة ، أو على الاقل مناقشتها بشكل جدى متعمق على صفحات مجلاتنا الادبية .

وبعد فلا زالت الرحلة مع الشعر الجديد تحتمل الكثير من الجهود التى أرجو الاسهام فيها من قبل شعرائنا أنفسهم قبل نقادنا وباحثينا .. ولعلنى أوفق مرة أخرى ، لتناول هذه الظاهرة .

---

(١) راجع مقال «التطور فى الشعر» للدكتورة بنت الشاطىء فى العدد الماضى .

الى أرواح الشهداء

من هؤلاء الحـــائون مع النسيم العـــابر ؟..
الراكضـــون الى السماء على جنـــاح طائر ؟..
تسقيهم الحور الحســـان من الرحيق الخـــامر ..
يمضـــــون فى لهف المحب الى الحبيب الآسر ..
وصـــدورهم خفـــاقة بحنين قـــلب ذاكر ..

* * *

من يا ترى هـــــذا المسجى فى رداء حاسر ؟..
عيناه تضرع فى خشـــوع بين دمع طافـــر !..
والبشر والأمل الفسيح على الجبين النـــاضر !..
فى صدره الرحب العنيد آثار جـــرح غائر !..
أتراه أسلم روحه ؟.. فرحا بقلب شـــاكر ؟..

* * *

وأخـــوه يحنو فوقه ، قلقـــا ، بطرف حائر ..
متحـــاملا .. يتفقد الجـــرحى بقلب زافر ..
ما أبقت الروح الحبيبـــة للرفات البـــائر ..
غير العبير ، الطيب ، الرطب ، الزكى ، الطاهر ..
وعلى رقائق وجهـــه الوضـــاء بسمة ظافر ..

* * *

من هؤلاء الراســـخون امام مـــوج هادر ؟..
يتســاقطون مضرجين من الرصاص الغـــادر ؟..
خطـــوا على وجـــه الثراة طريق كل مثـــابر :
اما أنوف فى الســـــماء برغم كل مكابر ..
او فالشـــــهادة ملتقاهم فى النفير الحـــاشر .

محيى الدين عطية

« الى تلك التى تنتظر فى صمت وصبر وايمان »

هل تذكرين ؟؟
لا شك أنك تذكرين مراحنا تحت الخميله
نجنى هوانا الغض أشواقا معطرة جميله
نرنو لعذراء المنى ويلفنا ثوب الفضيله
ونعب خمرتنا الحلال : نسائما تهفو عليله
هل تذكرين ؟؟
أيام كنا ننشر الألحان فى همس خفيض
نلهو ونهرج بالحياة يظلنا أمل عريض
الحب ثروتنا التى تربو ومعزفنا القريض
كنا أصحاء القلوب بعالم دام مريض
باكى العيون
نمحو شقاء البائسين ونرقأ الدمع السخين
فى موكب قلق الأمانى لا يكف عن الانين
وتوسلات المتعبين تضج فى الليل الحزين
كنا نواسى الضائعين بغمرة الألم اللعين
والتائهين
واليوم قد جار الزمان فصرت ضمن التائهين
فى غربتى ، ألقى الأسى متربصا برم الجبين
ما أثقل الليل الطويل على جفون النازحين
الحاملين على كواهلهم تهاويل السنين
هل تعلمين
أن الحياة على الغريب أشق من هول الممات
ممجوجة النجوى ، معذبة الخواطر والسبات

وشروقها مثل الغروب وشدوها لحن النعاة
فهى الجفاف .. هى الفراغ .. ومدفن للأمنيات
وبلا خدين ؟
أنا لست كالرهبان أحيى فى صوامع عزلتى
بل أعشق الدنيا الكبيرة .. لا أدين بوحدتى
الناس ... والأكوان .. والحب الرحيب شريعتى
هل تعجبين اذا صرخت بشكوتى من غربتى ؟
هل تعجبين ..؟؟
أنا لست أرضى أن أعيش بشاطىء الدنيا غريب
فى قمقم الصمت الكئيب على ثرى واد رهيب
الحزن أغنيتى وأحلامى يوشحها الشحوب
أنا لست أرضى أن أكون صدى هزيلا فى الدروب
مثل السجين
قد طال ترحالى فهل لمسافر يوما مآب ؟
أترى أعود لقريتى وتعود أحلام الشباب ؟
وأرى أبى والحاملين فؤوسهم عبر الشعاب
والعائدين من الحقول يلفهم ضافى السراب
الكادحين ؟
هم ـ يا حبيبة ـ أهلنا فى ظلهم ذقنا الحياه
حيث الأوز جوارنا يخطو وتصطرع الشياه
كل يخط على الثرى حقلا بأوسطه قناه
يمضى على سنن الجدود مقلدا فيها أباه
يا للحنين !!
هم ـ يا حبيبة ـ صانعوا التاريخ آمال الغد
قنعوا بما دون القليل قناعة لم توجد
أعطوا .. وما أخذوا سوى ذاك القديد الأسود
الله يعلم أنهم سر الكفاح السرمدى
الصابرون
أترى أعود اليك يا سمراء نمرح من جديد ؟
مترنمين بلحننا الهانى وماضينا السعيد
ونعود للكأس الحلال ونشوة الحب الفريد
متحررين من الأسى والحزن والالم العتيد ؟
هل تضرعين ؟

نجيب الكيلانى

رسالة إلى فتى سجين

للشاعر الانجليزى روى مال فارله

أنا ، من أسير فى وهج الشمس ..
أتعلق بالأمل .. بأيد مشوقة ..
وأكلم الاصدقاء ..
وفوق فمى يختلج ..
ظل ابتسامة سليبة
أرفع قبضتى الكليمتين .. فى ضراعة
تتهاوى كالفراش
اليك .. والى المسيحيين المعذبين
فى كل مكان ..
بخضرة الأشجار ..
ورونق الأزهار ..
وتموج التلال
وانسياب الحقول .. فى ســـلام مع
الدنيا ..
أبعثك اليك
خلال الأسوار النائية الساكنة
أبعث اليك
بالحب الذى حرمت منه
والفرح الذى ضنوا عليك به
والشفاه التى كنت تود لو قبلت ..
بايمانى وايمانك ..
أبعث اليك .
صافيا .. كالسماء .. فى الربيع
واثقة أن الصبح سوف يشرق
فيرى حلمنا فى الليل قد تحقق
والنهار .. سوف يطلق الاسار
عن الاعضاء التى احتجبت عن الشمس
ويفتح بوابة زنزانتك ..
والسجن الذى يضمنا جميعا
بعيدا عن الشمس ..
فى الجحيم !!

ترجمة : محمود عباس الشوربجى

أفراح القمح

على الربوة انشـــــودة وفى القـرية اغـــرودة
وعن الجـرن زغـــرودة تحيى عيد برمـــودة

* * *

وعند الفجـر فى النجمـة بخطو يسـبق النسـمة
مضـــوا للقمح فى همـة يغنـون اناشـــيده

* * *

فحســـان بمزمـاره يغنيهم باشـــعاره
بقـرب السـعد من داره بقرب ڤلاف مســـعودة

* * *

وست الدار والنســـوة رقصن اليوم فى نشـــوة
وتلك الطرحة الحـــلوة على الردفين مشـــدودة

* * *

وعند الجرن زغـــرودة لحسان ومســـعودة
لعيدين : حصـــاد الحب والقمـــح ببـــرمودة

موسكو .

محمد على الخضيرى

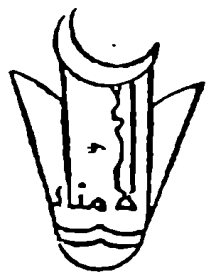

آى تشنتنج

من شعراء الصين المعاصرين الذين يعبرون بصدق واخلاص عن القيم الجديدة فى المجتمع الصينى الجديد الشاعر « آى تشنتنج » فلقد أثرى الوجدان الصينى الحديث باشعاره التى تصور البسطاء من الناس ، وتجمعات العمال ، وانتظار الفلاحين للحصاد ، ومرح الأطفال ، والأمل فى مستقبل الصين الفتية .

وقد امتدت عواطفه فعانقت الناس كلها ، ووهو يأخذ اشعاره من القطاعات المظلومة . ثم يضفى عليها من قلبه ، وروحه ، ولعل أروع قصائده تلك القصيدة التى صور فيها ماساة الزنوج وسحق آمالهم ففيها يقول :

« فى آخر درجات المنزل
كانت فتاة سوداء تغنى
فما الشىء الذى ادخل السرور على
قلبها الفرح
هل تراها كانت تغنى لحبيبها
.. كلا انها تحمل طفلا صغيرا
بينما تغنى له لكى ينام
لم يكن الطفل ابنها
لم يكن الطفل ابنها
ولا أخاها الصغير
فانها هو « سيدها الصغير »
أحدهما اسود
أسود كقطعة الفحم
والآخر ابيض
أبيض كلوزة القطن
احدهما ملفوف بالرقاعية
ومع ذلك يبكى وينتحب
والأخرى تعيسة وبائسة
ومع ذلك فهى تغنى له
تغنى له »

ترجمة عبده بدوى

.. وبهذه الروح الانسانية يعانق المأساة ويرتب عليها ، ويضىء لها فجرا جديد ..

الشيطان شاطر

بقلم : محمد المندى

خرج من المقهى الضيق يتخطر فى ثيابه البلدية الفضفاضة ، ورمق ساعته معصمه المربوطة على كم فانلته البنفسجية الجديدة ، ومشت راحته على «لاسته» الزرقاء المنقطة بنقط دقيقة بيضاء .. وانفرج فمه عن بسمة عريضة .. ولمعت عيناه وهو يرمق ميدان القرية الفسيح .. حيث سيل الهلالين أخذ يتدفق من كل فج .. ثم صاح :

ـ بالله ياحمدان .. نعنشنا . ياميت صلاح الزين .. اللى يحب النبى يصلى عليه .

وبحركة لاشعورية .. امتدت يد حمدان الى الارغول الموضوع فوق الدكة الخشبية التى يجلس عليها . فتناوله وقربه من فمه ، واخذ نفسا عميقا ، وجرت أنامله على فتحات الارغول المدورة فلما استقرت عليها انتفخ صدغاه .. وجحظت عيناه الحمراوان وهز رأسه ، وانسابت الانغام كأنها تغريدات السحر فى ليالى الربيع .

وعلى وقع الدف الرتيب ، خرجت الراقصة من وراء الستار الذى أعده «ابراهيم» بالمقهى الذى افتتحه بميدان القرية الفسيح ، وتوسطت حلقة من الرجال اصنافا ، منهم الكهل ومنهم من لايزال فى عنفوان الشباب ، ومنهم القصير والفارع الطول ، واخذت الراقصة تنثنى على وقع النغم . . والصاجات بين أناملها ترن وتسرى رناتها بين الضوضاء كتمتمات الشياطين ! ومضت تلف حول نفسها وجسمها يرتفع وينخفض ثم يختنج . وثوبها الاحمر الفضفاض يرف حول ساقيها المصقولتين كالفضة .. ولا تلبث أن ترنو الى الشبان ضاحكة غامزة ، والشبان من حولها يتدافعون بالأيدى والمناكب ، وأذرعهم تمتد وترتد .. واجسادهم تنحنى وتنتصب والراقصة بينهم تنساب حينا وتهتز وساقاها العاريتان ترفان بحركة خفيفة كالسحر .

ونظرت الى شيخ الخفراء الفارع الطول ، وغمزت له بعينها ، وضغطت على شفتها السفلى ، فمال شيخ الخفراء نحو جاره طربا .. وضرب كفا بكف وصاح :

ـ يانهار ابيض ياجدعان على دى بلطية .. كمان والنبى ياست . . نظرة ياست .

وقال آخر بجانبه :

ـ ياسلام . دى زى الرغيف الفينو يابوى .. طريه ومنظلطه .

فلكزه شيخ الخفراء بكوعه وقال محتجا :

ـ فينو ايه ياجحش ٠٠ دى بتتبلعط بلعطه ٠٠ دى بلطيه بنت بلطيه ياحلوف ٠

وعندئذ قال ابراهيم صاحب المقهى:

ـ آه ٠٠ دى سكر ٠٠ سكر مدرب

فقال صاحب المقهى :

ـ مش خسارة الواحد يبيع خلقاته علشانها يابوى ٠

فقال شيخ الخفراء :

ـ خلقات ايه ياطبس ٠٠ الخلقات والقطن ٠

ويبدو أن اطراء شيخ الخفراء كان قد أسر الراقصة ، فاقتربت منه بحركة خفيفة ٠٠ ثم مالت عليه فجأة كمن توشك أن تحتضنه ، فعوج لبدته فوق جبهته ٠٠ وخلع البندقية من كتفه ٠٠ ومدها أمامه ٠٠ وخطا نحو الراقصة خطوة ، فازدادت هي اقترابا منه ٠٠ وراح يرقص ـ على الوحدة ـ تميل فيميل ٠٠ وتختلج فيختلج ٠٠ والشبان من حولهما يرمقونهما ، وقد انفرجت اساريرهم طربا ، وأمالت الراقصة رأسها على كتف شيخ الخفراء العريض ٠٠ ونفوس جسمها اللدن كشاربه الاسود الكث المرتفع من طرفيه كحدوة الحصان !! واخذت ترقص فترة وهى بهذا الوضع وحاول شيخ الخفراء عبثا تقليدها ، فأتى بحركات مضحكة غير متناسقة أشبه شيء بفعل المهرج فى بداية العهد بالتهريج ، وخرج «صابر» من منزل ابراهيم ، واندس بين المتفرجين ٠٠ انه متدين ٠٠ ولكن اللحظات السعيدة لاتعوض ٠

وفى بيت شيخ الخفراء الصغير ، الذى يواجه مقهى ابراهيم من الشرق كانت ابنته «جليلة» تقلد والدها مرة وتقلد الراقصة مرة اخرى ، وعندما اخذت تطرقع بأناملها كما تفعل الراقصة ٠٠ تنبهت أمها الواقفة بجوارها ، فالتفتت اليها وقالت تنهرها :

ـ ينيلك ياجليلة ٠٠ ايه اللى بتعمليه يابت ؟

فاشرأبت جليلة بعنقها الى حيث والدها ، وأشارت اليه قائلة :

ـ يوه ياامه ٠٠ هوه آنى عملت حاجه؟ اشمعنى ابويا يرقص وينبسط لوحده ٠

فجذبتها الام من شعرها بعنف ٠٠ وأهوت بكفها على خدها ، فبكت الفتاة وعندئذ رفعت الام يدها لتصفعها ، ولكن يدها توقفت عندما سمعت الشيخ مسعود واعظ المسجد يقول لها وهو ماض فى طريقه الى المسجد :

ـ مش كده ياام عواد ، سيبها ٠٠ بخاطرها ٠٠ دى لسه عيله ، والعيال دول أحباب الله ٠

فغطت ام عواد جانب وجهها بالطرحة السوداء بالرغم من الظلام السائد ثم قالت بحياء :

ـ برضه عيب ياشيخ مسعود ٠٠ ده الادب مليح ٠٠ والتربية مطلوبة وهى لسه كده ٠

واقترب الشيخ مسعود من الحفل فأسبل عينيه ، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ومن فعله اللئيم ٠٠ ومضى فى طريقه وهو مغمض العينين لايكاد يتبين معالم الطريق ، ورآه صابر مدرس القرية ، فتوارى حتى مر الشيخ ، فقد كان يخشى أن يراه الواعظ وهو يتفرج على هذا المنكر !! وعندما ابتعد الشيخ هرول

صابر من خلفه ، فلما لحق به قال والخجل يكاد يبلعه .

ـ خدنى وياك ياشيخ مسعود .

وسارا معا فى طرقات القرية الضيقة المظلمة وعندما خفتت فى أذنيهما صدحات المزهر ، وصيحات الشبان العربيدة الماجنة ، تلفت الشيخ مسعود خلفه وتفل فوق الارض .. ثم قال بشىء من الغضب .

ـ تلاته بالله العظيم ده شغل مسخره . وقلة حيا عينى عينك .. حد فى الدنيا يقول كده .

وعثرت قدمه بقطعة من الارض ناتئة فكاد أن يسقط على وجهه لولا أن سارع صابر وامسك به ، ثم قال مؤمنا .

ـ الرقاصه دى .. حلال فيها جهنم الحمرا .. واللى حواليها دول ناس مجرمين .

فقال الشيخ مسعود :

ـ الشيطان واكل عقولهم .. ومسيطر عليهم .. ولكن .. ربك غفور ورحيم يا صابر يا ابنى ...

وعند باب المسجد خلعا نعليهما .. وازالا ماعلق بها من اتربة وأوحال ، ثم دلفا الى «الميضة» ، ونظر الشيخ مسعود الى صابر نظرة لها مغزاها .. ثم قال وهو يشمر أكمامه الى مافوق المرفق .

ـ اسمع ياصابر يابنى .. لازم ننصح الواد ابراهيم .. دى حاجه عسخرة ومترضيش حد .

وكان صابر قد خلع طربوشه .. واخذ يشمر ساعديه استعدادا للوضوء فالتفت الى الشيخ وقال :

ـ ده واد تلم ياسيدنا الشيخ .. من يوم ما علمته فك الخط بالقسم الليلى بالمدرسة .. واجتهدت معاه فى البيت محد ماعرف يمسك الجرنان فى ايده .. وهوه عامل «ارسطو» البلد يفتى من غير علم . ويتكلم فى السياسة وهوه زى الطور ، المهم لما كلمناه العصرية علشان يستر الرقاصه جوه القهوة قال بزعيق :

«الدنيا بقت حريه ياناس ولازم اشغل القهوة فى موسم القطن .. بس قولوا لى .. ان مكنتش اعمل كده آكل منين ؟

فمصمص الشيخ مسعود شفتيه وقال بأسف :

ـ آخر زمن ياصابر يابنى ، الدنيا بقت حرية صحيح لكن مش كده .. يسترها من جوه القهوة .. ويراعى شعور لناس على الاقل .

ولما انتهيا من الوضوء ، مال صابر على اذن الواعظ وقال همسا :

ـ الحقيقة ياشيخ مسعود انا مش عارف اودى وشى فين من الناس .

فرمقه الشيخ مسعود بدهشة وهو يمسح ساعديه من الماء ، ثم قال بعد فترة صمت :

ـ ليه ياصابر ؟ وانت ذنبك ايه .. لا انت صاحب القهوة ولا انت السبب فى وجود الرقاصه .

فقال صابر بصوت أبح :

ـ ماانت عارف ياشيخ مسعود .. انا ساكن فى أوده من بيته ، والمصيبه سمعت انه حينيم الرقاصه فى نفس البيت ، وناوى يخليها شى والواد الزمار والطبال اللى معاها اسبوع بحاله .

ثم تراجع الى الوراء وقال وعيناه تلمعان :

ـ هيه ٠٠ ايه رايك بقى يا شيخ مسعود فى التهمة الباطلة دى ٠

واخذ صدره يعلو ويهبط وهو ينتظر فتوى الشيخ :

ووضع الشيخ منديله فى جيب جلبابه الاسود ، ثم قال وهو يرمق صابر :

ـ ولو٠٠ انتهلكش دعوة بالموضوع كله البيت بيته والقهوة قهوته ،وانت يادوب مجرد ساكن فيه زى كل الناس اللى بتسكن فى البيوت ٠٠٠ واحنا عارفينك ٠٠ راجل طيب ومصلى وتعرف ربنا كويس ٠

فقال صابر وهما يدلفان الى المسجد للصلاة ٠

ـ أصل كلام الناس كتير ياسيدنا الشيخ ٠ ٠وابن الحرام مخلاش لابن الحلال مطرح ٠

فقال الشيخ مسعود :

ـ ربنا يسترها ياصابر يابنى ، اطلب منه الستر ٠

وتوافد المصلون وأدوا صلاتهم

وبعد ختم الصلاة جعل الشيخ مسعود يحدثهم عن الاشرار الذين يشيعون الفتن بين الناس ، وعذابهم فى جهنم يوم القيامة ٠

وعندئذ تقدم الحاج اسماعيل نحو الواعظ يزحف ٠٠ حيث كان مفرط البدانة ويجد مشقة فى القيام والقعود وتربع ثم قال للشيخ وهو يحدق فيه:

ـ تسمح لى بكلمة ياسيدنا الشيخ انت سيد من يعرف ان بلدنا محافظة على الآداب المرعية ٠٠ وعلى مراسيم الدين الحنيف ، والواد ابراهيم ٠٠القهوجى الهلفوت٠٠ قال ايه٠٠ جايب رقاصه من البندر ونازله رقص وشخلعه فى الشارع عيانا بيانا ٠٠ ودى حاجة ماترضيش ربنا ولا المخلوق ٠ ٠ ايه رايك ؟

فانحنى الشيخ الى الامام قليلا ٠٠ ودار بعينيه فى وجوه المصلين ٠٠ ثم تنحنح وقال :

ـ قال عليه الصلاة والسلام : « من رأى منكم منكرا فليزنه بيده ، فان لم يقدر فبلسانه ، فان لم يقدر فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان ٠ ٠ صدق الرسول فيما قال ٠

وعندئذ صاح الحاج اسماعيل قائلا:

ـ ماشاء الله كان ، واحنا باستطاعتنا أن نزيل المنكر باليد ٠

فقال آخر بصوت جهورى :

ـ سامعين يامؤمنين ؟ هوه احنا عجزه ياناس ! واللا ناقصين ايمان ؟ لازم نضربله القهوة فوق دماغه ودماغ اللى يتصدر له ٠

وعلت اصوات كتيره، منها المعترض ومنها المحبذ ، واختلطت الآراء ٠٠ وتضاربت ، وادرك الشيخ مسعود ان ثمة معركة دموية ستحدث بلا شك ان هو تركهم وهم بهذه الحماسة التى قد لاتنتهى الا بمعارك جماعية ،لذلك رفع كفيه فى وجوههم معترضا ، ثم اهاب بالجميع أن يستمعوا اليه ٠٠ فلما ساد الصمت قال الشيخ بتؤدة:

ـ اسمع ياحاج اسماعيل ، وانت ياعواد ٠٠ تعالى يابنى٠٠ تعالى جنبى هنا ٠٠ ارجوأن تعملوا بالقول المأثور «خير الامور اوسطها» ٠

قال ذلك وتفرس فى وجوههم ليرى تاثير هذا الحديث فى نفوسهم ،ولكنه رأى وجوها كأنما قدت من الصخر ، وعيونا ترمقه بجمود ٠٠ ولكن الشيخ لم ييأس بل استطرد قائلا :

ـ يعنى نعالج الامور بالحكمة ..
وفى مثل حالة ابراهيم يجب أخذه باللين واللطف .. لا بالشراسة والعنف .. وانتم جميعا يابناء هذه القرية .. منكم القريب والنسيب والصديق .. فان لم تكن تجمع بين اثنين منكم رابطة القربى أو النسب، فان رابطة الصداقة والاخوة هى التى تجمع بينكم ، وأرى أن نرشح صابر «افندى» ليحدث ابراهيم فى هذا الشأن ، لانه متعلم أولا .. ولانه يسكن فى بيته اثنيا .. وأسأل الله أن يصلح أحوالنا أجمعين .. آمين .

فرفع المصلون أكفهم ورددوا قائلين بضراعة وابتهال : آمين

ولكن يبدو أن ـ عواد ـ لم يكن ممن يهضمون سياسة الاخذ باللين هذه فقد خبط الحصير بكفه وصاح :

ـ لكن ده واد تلم .. وميجيش

ـ لكن ده واد تلم .. وميجيش غير بالشدة ياسيدنا الشيخ .. يعنى يخاف ولا يختشيش .

فحك الشيخ ذقنه بأنامله .. ثم مشت راحته على شعره الاشيب وقال بلطف :

ـ اسمع ياعواد ، زى ماقلت كده .

وللتو ارتفعت الاصوات مرددة : كلام الشيخ ماشى .. خلاص .

.. .

تسلل صابر الى حجرته وهويشعر بفداحة ماكلفه به الشيخ مسعود ،فقد كان يعلم ان ابراهيم غليظ القلب جاف الطبع ولا يستمع للنصح .. ويعلم ـ بحكم اختلاطه به ـ انه شرير وفاسد وانه ينظر الى قريته نظرة سام ،والى أهلها نظرة بغض وازدراء ، ومشت راحته فوق المتضمة يتحسس علبة الكبريت ، واضاء المصباح ، وتناول المصحف من اللولاب ، وجلس على حافة السرير يقرأ وما لبث أن ، ووضع المصحف ، فقد كانت صيحات الشبان عالية ماجنة ، بحيث جعلته لايحسن التلاوة ، وشعر بالنعاس ، وبشىء يسير من الصداع ، فنهض واشعل ـ وابور الجاز ـ واعد قدحا من القهوة ، ماأن رشفه حتى شعر بزوال الصداع، وجلس بعد ـ عقلما ـ حاسوف يقوله لابراهيم فى الصباح :

سيقول له ! ان أهل القرية فى حالة هياج ، لانه ترك الراقصة ترقص علنا فى الشارع .. وسيقول له ان الشيخ مسعود هو الذى هدأ من ثورة غضبهم وكلفه بأن يحدثه ـ حقنا للدماء ـ بجعل الراقصة ترقص من داخل المقهى وقدر أن ابراهيم لن يقدر هذا كله .. لانه وغد مستهتر .. اذن ماذا يقول؟

وتقدم من النافذة بحيرة .. وأخذ يرمق الراقصة بحذر من خلال فتحات الشيش .. كانت تتلوى كالثعبان .. والارغول كان لايزال فى فم حمدان . وأصابعه لاتزال تجرى فوق فتحاته بنشوة بدت على ملامحه .. والشيخ الخفراء يصفق حينا .. ويهدر كالحيوان وهو يتلفت حوله حينا آخر وعاد وهو يعجب من امر هذه الراقصة التى لاتعرف التعب وهمس : ياسلام دا الهوا ساقع قوى بره .. هوا ينشف الدم .. والبنت نازله رقص وشخلعه ، ولا كأنها بتحس ، وجمدت أقدامه .. وعاد يقول لنفسه : ولكن ايه اللى بيخليني أبص عليها ؟ هوه انا قليل العقل .. والا قليل دين ؟ ..

وشعر برجفة خفيفة تسرى ببدنه وجلس على حافة السرير ولسان حاله يقول : ماكان اغنانى عن هذه الحيرة لو انى رفضت التدخل فيما لايعنينى

كان مالى انا ومال ده كله ! . واحس بالضيق والقلق يستوليان عليه .. وتمنى أن يجد مكانا فيهرع اليه فرارا من هذه المشكلة التى خلقها له الشيخ مسعود خلقا .

ونظر الى سجادته الباهتة اللون ، فقام وجلس عليها ، ومشت أنامله على ثقوبها الخمس .. فاخذت حبات مسبحته الصفراء تتساقط من بين أنامله واحدة بعد الاخرى ، ومضى يستغفر ربه من ذنوب لم يرتكبها .. وبعد برهة بدا وجه الراقصة الباسم يطل عليه من النافذة .. وجسدها يترنح أمامه كالطيف ، فتوقفت حبات المسبحة بين أنامله ، وتوهم أن الراقصة تبتسم اليه من خلال النافذة ، وانها تقترب منه وتقترب .. مفتوحة الذراعين .. ضاحكة غامزة .. كما رآها تضحك وتغمز فى الميدان . . وهى بين أولئك الناس .. ممن سلب الشيطان عقولهم ، واصطكت اسنانه ودق قلبه .. واستعاذ بالله من الشيطان ومكره .

وأغمض عينيه حتى لا يرى طيفها المبغوض .. ولكن دون جدوى . . فقد كانت تتراءى له كما لو كانت تخالط لحمه ودمه .. وتساءل المرة بعد المرة :

لماذا يفكر فى الراقصة ولماذا تتراءى لعينيه ؟ .. ولكن هل هو يفكر فيها حقا ؟ ابدا والله .. انها الروح .. الروح هى التى تتصل بالناس والاشياء .

ووجد ان خير مايقطع به الوقت هو ان يقرأ بعضا من القرآن الكريم .. وقرأ ماتيسر من القرآن ، ولكن اصوات الشبان الماجنة ازعجته عن التلاوة .. واضطر أن يصبغ السمع الى صوت رخيم ينساب مع الارغول:

ياحلو ، واسمك جميل .. وشغلك فى قلبى .

ما اقدرش والله اكتمه .. دا بيظهره حبى

طيف أليف جانى . . مال بغصنه وناجانى

وخياله فى النوم صحانى .. كروانى .. جميل

ساقانى .. وسقيته . . ناجانى .. وناجيته

من يومها والله . . انا .. حبيته

وعند نهاية الموال تعالى التصفيق حتى لكأنه هزيم الرعد ، ويبدو أن الحفل كان قد انتهى ، فقد سكنت الليل وتهادت الاصوات الماجنة . .. وبعد برهة شعر صابر بان الراقصة قد حضرت ، حضرت لكى تنام فى الحجرة التى تقابل حجرته ، تلك التى أفردها ابراهيم الفاسد الشرير خصيصا لها ، ومضت برهة وصابر ينصت بكل حواسه الى وقع اقدامها وشعر بشى مغريب .. شىء كالسحر .. كالنشوة .. يسيطر عليه عندما سمع صوت الراقصة وهى تقول :

ـ تصبح على خير يامعلم .. وتمتم صابر من بين اسنانه :

ـ تصبح على خير يامعلم زفت .. وشعر بالحنق يكاد يسحق راسه وهو ينصت الى وقع اقدام المعلم وهو يهبط على السلم .

وقام صابر .. ثم جلس ، ثم عاد وقام وهو لايدرى على وجه التحقيق ماالذى يجعله يقوم ويجلس ثم يقوم! لماذا قام هل يريد أن يلقى نظرة على الراقصة؟ ابدا . ابدا . اذن . فلماذا القيام والقعود وعلام يدل ان لم يكن

يدل على رغبته . ورغبته الشديدة فى النظر اليها ؟. انه طبعا لايجب أن يراها لانها هى السبب فى هذا الاضطراب الذى يحس به .

ولكن بالرغم من هذا التأكيد ، فقد شعر بقوة غلابة تدفعه الى رؤيتها .. رؤية الانسانة .. الشريرة الفاسدة التى استحوذ عليها الشيطان وأضلها وصدها عن السبيل السوى .

ومشى صابر الى باب حجرته .. فوجده مغلقا .. فثبت عينه على ثقب القفل ، فرأى باب الراقصة لا يزال مفتوحا .. ورآها وهى تخلع ملابسها قطعة بعد قطعة .. وعندما بدت له شبه عارية انتصب واقفا واخذ قلبه يدق .. ويدق بعنف.. وضم ذراعيه حول صدره ، وغمغم يقول لنفسه بهمس :«ياللتهتك يااللخلاعة» انها تخلع ملابسها والباب مفتوح على مصراعيه

وشعر ان قدميه يجمدان ، وشعر بالخجل .. وبالماء تتدفق حارة فى شرايينه .. وهم أن يرجع مستنكرا فعلته .. وأن ينام ، ولكن يبدو ـولأمر ماـ أن صابر قد أخطأ الطريق الى السرير ، فقد عاد وانحنى مرة اخرى على ثقب القفل ، فوجدها قد اغلقت الباب عليها ، وعندئذ صرت أسنانه : ياللمكر ..ان هذه الشيطانة الشريرة الماجنة .. تقفل الباب ولكن بعد أن تكون قد سترت جسمها العارى ، وبأنامل حذرة ، وبأعصاب مترنحة .. فتح الباب .. ولكنه لم يتحرك .. وانما وقف جامدا كتمثال من الصخر .. واخذ يتسمع ، ولكن لاصوت ولا حركة: هل نامت ؟ ومضت فترة شعر خلالها كأن ذهنه قد أصيب بضرب من الشلل ، لماذا فتح الباب ؟ أليرى هذه الراقصة وهى عنه غافلة . يراها ! كيف ؟ ياللعجب .. كيف يكون ذلك .. كيف يراها . .كيف

وقد أغلقت على نفسها الباب ؟ انه لن يتمكن من رؤيتها ، لان بابها قد أغلق وهذه الافكار التى تراوده مضحكة .. ولكن .. لماذا فتح الباب ؟ وما الذى يجعله يقف هكذا مثل الصنم . .

هذا هو السؤال المهم . لماذا .. ماهذا كله ؟ وهل عليه من حرج أن يفتح الباب أو يغلقه .. أو ليس حرا يفعل مايشاء ويريد فى غرفته ؟ نعم .. انه حر .. قطعا حر .. يفتح الباب او يغلقه .. يمشى أو يقف .. يغنى أو يصمت .. يضحك أو يبكى يغنى .. او ليس حرا ؟ نعم .. انه حر .. بكل تأكيد هو حر .. وافتر ثغره عن بسمة هانئة حين أحس بالظما يلهب حلقه ، وطاف بذهنه انه لم يفتح الباب الا لكى يروى هذا الظما والماء هناك فى آخر الممر، وعاد خطوة وتناول الكوب من على المنضدة . . واصطدمت عيناه بالابريق الفخار .. انه يلمع من رشح الماء ، وامتدت يده اليه : انه ممتلىء بالماء .. آه .. انه ممتلىء حتى الحافة العلوية .. ولكن لا .. لن يشرب منه .. لان الماء الذى به عطن .. والابريق نفسه قديم .. قديم جدا.. بحيث لايجعل للماء طعما وارتاح للخاطر الذى أسعفه ، ومضى يتحسس طريقه فى الظلام . . وملأ الكوب وعاد بخطوات حذرة .. انه يخشى أن يحدث حركة فتقوم الراقصة ..تقوم .. وهل نامت ! وخامره سؤال مثل ومض البرق : لم لايلقى نظرة عليها ، نظرة خاطفة من خلال ثقب القفل ؟ ألم يحرم نفسه من رؤيتها حين كانت ترقص علنا فى الميدان .. خوفا من القيل والقال .. نعم خشى ذلك لان السنة أهل القرية كالمبرد .. ونظر نواحنة يلقيها عليها لا اثم فيها ولا وزر عليه ، انه فقط سيرى ماذا كانت تتماوج فى نومها كما كانت ام لا .

وخطا خطوة نحو حجرة الراقصة وقبل أن يصل الى الباب ، تسمرت أقدامه بالارض : لماذا يفعل هذا .. ماهذا ياصابر ؟ .. أيها التقى الورع حامل كتاب الله ، يامن تخشى حسابه وعقابه .. أوه .. ياأخى لماذا كل هذا التزمت .. هل انت « حنبلى» الى هذا الحد ؟ انها نظرة . . نظرة واحدة ايها المغفل .. وبعدها سوف تذهب الى حجرتك .. وتنام وكان شيئا لم يحدث ، ولكن .. أو ليس التلصص على امرأة مهما تكن فيه اثم ووزر ؟ كيف .. كيف أيها المعتوه انها امرأة حقا .. ولكنها من أولئك المتواتى بعن انفسهن للشيطان . . لقد رضيت أن يكون جسمها مباحا لكل العيون .. ونهبا مشاعا لذوى النظرات النهمة ، وهى راضية بذلك أحسن الرضا ، ولكن سرعان ما عاد ضمير صابر يخزه مرة أخرى ،ويشبعه سخرية مرة : اذن فانت تتساوى مع أولئك الناس، ممن باعوا دينهم بدنياهم فعاد شيطانه يهمس في أذنه أقوى مما كان : انك ورب الكعبة لمعتوه . . ومغفل .. اذ تجعل مثل هذه الفرصة النادرة تفلت منك .. انها فرصة قل أن يجود بمثلها الدهر .. خاصة في قرية نائية عن الضمران كهذه القرية وانما في الغد الراحلة عنها .. هذا اذا كان ابراهيم ممن يستمعون للنصح ابراهيم .. آه ابراهيم الماجن الشرير

وشعر صابر برجفة خفيفة تتسلل الى بدنه، عندما تذكر ماعليه من واجب نحو هذه الراقصة .. واجب أصبح يراه أثقل من الجبال الراسخة . . وتمتم : ويل لاولئك القرويين الحمقى الم يجدوا غيره لكى يحدث ابراهيم ؟ يالهم من اغبياء ، انهم يقيمون الدنيا من اجل راقصة وفدت الى قرية موحشة كهذه القرية ، ولكن مابه ولكل هذه الافكار ؟ انه سيقول لابراهيم ماكلفه به الشيخ مسعود .. ويجب أن يأوى الى فراشه .. ومشت به أقدامه .. ولكن الى حجرة الراقصة ! وانحنى وثبت عينه على القفل ، فرآها تروح وتجيء فى الشرفة كالوحش الحبيس ، وجسمها يهتز ويرتج حتى لقد بدت أشبه بدمية فاتنة فتركبت على زمبرك أخذ يهزها عزا ويرعشها رعشا وهمس لنفسه بعجب : يالها من امراة . . يبدو أن جسمها لايعترف بالتعب .

كانت مرتدية روبها المشجر . . وشعرها الطويل الاسود ينسدل على ظهرها ..وعاد يهمس لنفسه: ياسلام ياصابر .. وشها زى القنبار المنور اللى بيضوى . وهم أن يعود .. وان ينام ، ولكن الاغراء الذى يشيع فى قسمات الراقصة جعله أشبه بالمسحور واصطدم ذراعه بالباب فأحدث صوتا خافتا ولكن هذه الصدمة كانت كافية لان تنبه الراقصة الى وجوده ، ومضت برهة قبل أن ينفرج بابها عن نورشف لطيف . امتد حتى منتصف الممر ، والتصق صابر بالحائط وهو يبسمل ويحوقل .. فإسنانه تصطك وبدنه يرتعش ، وسمع صوتا عذبا يقول:

ـ مين .. مين بره ؟

فتشجع صابر وقال وقال بعد أن شرب كوب الماء دفعة واحدة .

ـ أنا صابر .. قلت يعنى ..بس يكون .. لازمك حاجة .. واللا حاجة

فقالت الراقصة وقد برزت بصدرها الى الخارج .

ـ اشكرك .. اتفضل .. اتفضل شويه .. انت مكسوف

واضطرب صابر ظهرا لبطن .. وعدهم قائلا بشفاه ترتعش .

ـ اصل الوقت متاخر ٠٠ اصل يعنى ٠ ٠

فقالت وهى تنظر له باسمة الثغر

ـ تعالى ٠٠ تعالى ٠٠ أنا مولفه على السهر ٠٠ تعالى ٠ بلدكم دى مفيهاش مكان يفتح النفس ٠

وبلع صابر ريقه بصوت مسموع وقال :

ـ آه ٠٠ بس لو تسمحى أعمل فنجان قهوة ٠٠ أصل عندى بن من صنف معتبر ٠

واقتربت الراقصة منه حتى أوشكت أن تلتصق به ٠٠ ثم قالت بصوت عذب ٠

ـ عشت ٠٠ عشت ٠٠ أظن حضرتك المدرس اللى قال عليه المعلم صاحب البيت فقال صابر وهو يرتعش

ـ أى والله ٠٠ هوه انا بعينى ٠

وجذبته من كم جلبابه وقالت :

ـ طيب اتفضل ٠٠ مالك بتترعش قوى كده ٠

وشعر صابر كأنه فى دوامة تدور به بسرعة مذهلة وتوشك أن تبتلعه ودخل وجلس فوق الاريكة وهوأشبه مايكون بصورة لمحب خيبان ! وبرغم ترحيب الراقصة به فقد علا محياه الشحوب ، وتملكته رعدة لم تكن به ، وعلى ضوء الحجرة الشاحب اخذ يتطلع اليها ٠ كانت فى أوج فتنتها ونضارتها ، والتقت نظراتهما فغض هو من بصره وضحكت الراقصة ضحكة مكتومة ، كانت الراقصةماكرة وخبيثة وداهية ٠٠ كانت من أولئك اللاتى يشعرن بجفاف فى حياتهن ٠٠ وفراغ دائم فى قلوبهن ٠٠ وكانقلبها خاويا وما ينفك يبحث عن صيد خام تسلى به وقتها ٠٠ حيث كانت تجد فى ذلك السعادةالمبتغاة واللذةالعارمة لذلك اقتربت منه ٠٠ ومالت عليه ٠ وقالت وهى تضحك ٠

ـ احكى لى حدوته عن أهل الريف

فابتعد صابر قليلا عنها وقال :

ـ حياة أهل الريف نعمة من نعمالله لان الريف هادىء وجميل ٠٠ واغلب أهل الريف ناس طيبين ٠٠ ولكن فيهم بعض الحمقى ٠٠ انهم يسفكون الدم لأتفه سبب ٠

وقالت الراقصة وهى تمط شفتيها:

ـ اعمل معروف بلاش سيرة القتل وسفك الدم ٠٠ اتكلم عن جو الريف ٠٠ الجو الصافى النقى٠٠ وعنشعاع الشمس اللى بلون الذهب ساعة ما يطل على الزرع الاخضر ٠٠ اتكلم عن حب خضره لعوايس ٠٠ وعن الاغانى والاحلام اللى ترفرف عليهم وهما جنب الساقية ٠

وغمزته وتراجعت الى الوراء واستطردت :

ـ اتكلم ياأخى عن حاجة زى كده

وحدق صابر فى عينيها الصافيتين ثم قال وهو يشعر بنشوة غريبة من عطرها المتصاعد :

ـ ياسلام ٠٠ عليكى ٠٠ ده انتى كمان ٠٠ أصل الكلام ده محدش يقوله غير الشعرا ٠٠ ده انتى حاجه جميله خالص ، والنبى ٠٠ آه كده مظبوط ٠

واقتربت منه الراقصة فلم يتحرك وامالت رأسها على كتفه ، وشعر هو بنشوة غريبة٠٠ وتراجع قليلابرأسه ورماها بنظرة توهض كاللهب : لمس فى القرية امراة كهذه ٠٠ فاتنة بدل ومثيرة الفتنة ٠

واستكان لأناملها الناعمة ، التى مضت تعبث بأذنه !.. استكان فى نشوة دونها نشـــوة الفراديس .. وحين هم باحتضانها لاح له وجـــه الشيخ مسعود ، وطنت فى أذنيـــه الجملة التى قالهـــا له حين دلفا الى المسجد : « ربنا يسترها يا صابر يا ابنى .. اطلب الستر من ربنا » .. وعندئذ رفع عينين مستسرتين ، وأخذ يرمقها وأهدابه ترف .. وقد تصاعدت الدماء إلى رأسه فاحمرت وجنتاه ، ثم جعل يسرح الطرف مليا فى هذه الراقصة المـــاجنة .. التى أنسته دينـــه ووقاره .. وأنسته كلمات الشيخ مسعود والمصلين .. فابتعد قليلا عنا وقال بلطف :

ـ ابعدى شوية .. من فضلك .

فأجابت الراقصـــة بفتور وهى تزداد التصاقا به :

ـ آه .. انت حران يا ..

فأسرع صابر يقول وهو يتراجع الى الجانب الآخر :

ـ صابر .. بس من فضلك ابعدى شوية ..

وضحكت الراقصة ضحكة ممدودة أحسها صابر كما لو كانت ســـوطا يلسع بدنه ، ونهض وقال بصوت أجش :

ـ تصبحى عـــلى خير .. الوقت اتاخر قوى .. عن اذنك بقى ..

وخرج صابر وصفق الباب من خلفه .. وعندما صار وحيدا فى حجرته .. احتضن الهواء ، وهمهم محدثا نفسه : « آه دى جميلة قوى يا صابر .. وعلشان كده حتقلب كيانى .. بنت .. » !

ولم يأو صابر الى فراشه ، وانما لبث برهة يمشى فى الحجرة وقـــد توترت أعصابه .. !

وفى الفجـــر لم يذهب صـــابر للصلاة ، ولم يذهب أيضا طيـــلة اليوم ، وافتقده الشيخ مسعود فلم يجده .. وراح يسأل عنه ولكن لم يحظ من أحد بجـــواب ، وفى ثالث يوم لم يكن صابر قد ذهب الى المسجد أيضا .. وخشى الشيخ مسعود ان يكون قـــد ألم به مرض أقعـــده عن الصلاة ، حيث من المعروف عن صابر أنه ممن يؤدون الصلاة فى مواعيدها ، وانه لم يتأخر يوما عن صلاة الجماعة .. ولذلك خرج الشيخ مسعود من المسجد وعـــرج عـــلى منزل ابراهيم ليطمئن على صابر .. وكان الوقت عصرا .. والسكون يسود البيت .. وهمهم الشيخ وهو يرتقى السلم الى الدور الثانى .. لابد أنهم نيام .. من كثرة الســـهر .. ولكن يا ترى صابر بيعمل ايه . وجرا له ايه ؟ »

ورأى غرفة صابر مغلقة ، فنقر الباب نقرة خفيفة لا تكاد تسمع ، ولكن الباب انفرج .. ومد الشيخ بصره ، ولكن قبـــل أن يتقدم رأى ما جعل الدماء تجمد فى عروقه .. رأى الراقصة بين أحضان صابر .. كان يضمها بعنف .. ثم راحا فى

قبلة طويلا غفـــلا فيها عن الوجود ، وأفاق الشيخ من هول المفاجأة التى لم تكن تخطر له على بال ، وأقفل الباب كما كان ، وهبط درجات السلم وهو يشعر كان قلبه يهبط مع كل درجة حتى قدميـــه : أهكذا يا صابر .. يا ولدى ؟ من كان يصدق ! ..

وفى الميدان الواسع رمق المقهى .. ثم نظر الى النخل السامق ، وهمس لنفسه : « ترى لو أن للجدران عيونا ترى .. وأفواها تتكلم .. ما الذى يجرى ؟ .. لا شك أن نظام المجتمع بأسره يختل ! » .

وشعر الشيخ بدمعة تنساب فوق خده المغضن ، فمسحها براحته .. وتمتم بصوت خفيض : « ليغفر لك الله يا صابر .. مسكين يا ولدى .. الشيطان شاطر .. ! »

الآداب

قصية • شهرية

يصدرها الأدباء

الادارة : مصر الجديدة . الحجر ١٣

ت : ٦١٧٥٠

رئيس التحرير

أمين الخولى

تصدر

عاشر كل شهر

الاشتراك عن سنة: فى مصر ٥٠ ج، فى الخارج ٨٠ ج (أو ما يعادلها)

بالبريد العادى

ثمن العدد ٥ ج

البريد الجوى والمسجل بحسابه

القصة الشعبية

ومكانتها في الفولكلور

القصة الشعبية ، عمل فنى غنائى ، كاد يختفى ، أو هو قد اختفى فعلا ، بعد أن غاب رواته الحقيقيون فى زحمة وسائل العصر ، وأسلوبه ، فى نشر القصة ..

وعلى الرغم من أن « القرية » تحتشد حتى اليوم ، بكل ألوان الفن الشعبى ، ابتداء من الحدوتة الساذجة ، حتى الملحمة الغنائية التى ينشدها المداحون أو شاعر الربابة ، الا أن لونا واحدا ، من تراثنا الشعبى الكبير ، قد انقرض منها .. من القرية ، وهذا اللون ، هو القصة الشعبية ..

والقصة الشعبية ، المغناة ، صارت عملا فنيا ، يتوارثه الناس جيلا بعد آخر ، بعد أن انتقل « التحديث » من « المنظرة » الى شاشة « خيال الظل » ذلك لأن المحدث فى « المنظرة » ، كان يقص القصة على سامعيه ، بطريقة مرسلة ، فكانت القصة تختلف تبعا لذلك ، باختلاف اللحظات التى تقال فيها ، وباختلاف سامعيها . بل ، وباختلاف رواتها ، كانت تختلف فى كثير من تفصيلاتها ، وقلما عن آخر ، ولكنها خضعت للانضباط والتجميد عند معين بذاتها ، عندما تحولت من الحديث العادى ، الى الحديث الغنائى ، أى الى الشعر البسيط الذى نسج به الفنانون الشعبيون اعمالهم ..

ولم تنتقل القصة الشعبية من طور أدائها المرسل ، الى طور أدائها هذا ، الغنائى ، الا بدافع من وجود هذا الوسيط الجديد الذى ابتدعه المصريون ، والذى أملى باشتراطات معينة على العمل الفنى المطلوب عرضه على شاشته ، وكان ذلك التفكير ، فيما أجمع عليه أساتذة الفن ، هو المولد التخيلى لهذا الوسيط العصرى الهائل .. السينما .

والفن الشعبى ، بفطرته وغريزته ، فن اجتماعى منذ مولده ، ولذلك ، فقد مالت القصة الشعبية المعروضة بخيال الظل ، الى الأفكار الاجتماعية ، وبدأت القصة تتحول من مجرد قصة

للسمر ، الى قصة تلعب دورا اجتماعيا تنبه الى قيمة ، أو تحرض على فضيلة، أو تسوق الأذهان من خلال السخرية الى الضحك على عقلية الاستعمار التركى والمملوكى ..

ولقد حدثنا المؤرخون ، كابن اياس وغيره ، عن السهرات التى كان يقيمها المصريون ، من وراء البوابات الكبيرة التى كان المستعمرون يغلقون بها منافذ الشوارع والحارات ليلا ، حتى يطمئنوا الى أنهم سجنوا «اولادالبلد» داخلها .. وكانت هذه السهرات ، مليئة بالخفق العاطفى والوطنى ، عندما رسم الفنانون شخصية ابن بلد ضاحكة ، خلعوا عليها اسم « تعاتيل.» وكانوا يوقعونه فى مازق مع « الجندى » التركى لابس الطرطور ويجرون على لسان ابن البلد النكات والسخريات اللاذعة .. تلك التى جمد بعضها على السنتنا حتى اليوم ، مثل عبارة « انا مش خايف من طرطورك » وهى لفتة ذات بال من الفنانين الشعبيين ، تلك التى تركز الانتباه الى طرطور المحتلين من المماليك ..

وجاء السلطان سليم الى مصر ، ونقل الى بلاد آل عثمان كل أسباب الحضارة والفن ، من حفر ومعمار ونسيج ، وكان من بين ما نقله الى بلاده ، خيال الظل الذى تحول بعد ذلك ، الى «القراقوز» أى الأراجوز ..

و المصريون يعشقون القصة من قديم الزمان ، الكوميديا والدراما . فليس بالأمر العادى أن يكتفوا عن الاستماع الى القصة الشعبية المغناة ، لمجرد انتقال وسيطها الى بلاد آل عثمان .. أو لمجرد تحريمه على الناس بأمر من الحاكم .

فكان أن قام بعض الفنانين الشعبيين ، باختيار وسيط آخر لعرض القصة الشعبية على الجماهير، على غرار ما هو موجود أمامهم من وسائل عرض الفنون ، لقد راوا أن السيرة الهلالية وأمثالها من الملاحم كملحمة سيف بن ذى يزن ، وعنترة ، تنشد على الربابة ، كما وجدوا سيرا وملاحم أخرى ، تنشد بواسطة الغناء والتوقيع على الدفوف والمزاهر « المداحة » كخضرة الشريفة ، وذات الهمة ، والعابدة ، وأيوب ، وسارة وغيرها ، ورأوا أن « المواوى » يركب حصانه ويرتجل « فن المربع » انشادا خطابيا وهو يمدح القوم أو يهجوهم ورأوا الفنان القومى الكبير ، منشد الموال ، يغنى بوساطة الأرغول والصفارة .. فلماذا لا يقتبس من كل ذلك مزيجا خاصا ، وينفرد به كوسيط لحكى القصة الغنائية على الناس ..

اختار هؤلاء ، عددا من الفنانين اصحاب الاصوات المتدربة على الأداء الغنائى ، يحمل كل منهم الطبلة الفخار ، ومعهم صفارة ترسم لهم القالب الغنائى ، ثم يروحون جمعهم يغنون صدر القصة . وبعد ذلك يستقل كل منهم بشخصية من

شخصيات القصـــة ، وهو يغنى ، ويحاول أن يجعل غناءه مائلا بالصوت والحركة الغنائية ولهجة النطق معبرا عن أنموذج الشخصية التى انفرد بها، فاذا كان الأنموذج تركيـــا ، دغم المغنى الكلام ، وفخمه ، حتى تخرج الألفاظ وهى تحمل فظاظة الشخصية المحكية ، واذا كان الأنموذج امرأة ، حاول المغنى أن يرقق وينعم من صوته حتى يحاكى الأنموذج الذى يعبر عنه وهكذا كانوا يرمزون بأصـــواتهم ولهجاتهم مع شىء من الأداء المسرحى الفطرى الى النماذج المعروضة عـــلى الجماهير .. ولذلك فقد ســـماهم الناس « بتوع الرمز » .

أين هم الرامزون .. بتوع الرمز .. أين هم اليوم .. لقد اختفـــوا أو كادوا ، ولم نعد نرى منهم الا فرقا قليلة فى اقليم رشيد وما جاورها ..

ولعل « الأدباتى » أن يكون واحدا من هؤلاء الرامزين انشعب من فرقته، وراح بدوافع ظـــروفه المعيشـــية ، يستقل بأداء القصة الشعبية ..

واحب أن أنبه هنا الى هذا الخلط العجيب والخطأ الذى يقع فيه بعض الكتاب ، عندما يقدمون أعمالا فنية بالاذاعة ، ويختارون لها شـــخصية « الأدباتى » كراو لهذا العمل الفنى ، فيجرون على لسانه العبارة التقليدية « الله الله يا سيد وجاب اليسرى » والناس تظن أنها عبـــارة موروثة ضاحكة . يبدأ بها « الأدباتى » حكيه فى الوقت الذى لم يقل فيه أدباتى .. ولا رماز ، هذه العبارة ، بل فى الوقت الذى كانت فيه هذه العبارة ، صيحة تكريم شعبية ، نقلها الفنى ، من ضمائر القوم ، الى السيد البدوى ، الصوفى الزاهد الذى كان يهجر ميدان العبادة الى ميدان النضال ، عندما يدعو داعى الوطن ، ويعود بعد المعركة ، كبطل ، وهو يسوق أمامه الأسرى أو «اليسرا» وهى عبارة بدأ بها المداحون ، الذين يحفظون من سير السيد البدوى ، سبع سير بالاضافة الى سيرتى خضرة الشريفة ، وبنت برى .

ولقد استمعت الى بعض هذه القصص من « بتوع الرمز » ، ولمحت فيـــه عناصر ذات قيمة يجب الكشف عنها للناس فى زماننا الذى انطلقت فيـــه معتقداتنا ، من الضمائر ، وأصبحت شعارات تجميعية للنضال ، فهى سلاح نافذ ضد كل عوامل الفناء الاستعمارية المتربصة بنا .

وهذا نص قصة اسمها «الخيرزان» تعتبر من أشهر ما يقوله الرامزون من قديم الزمان حتى اليوم ، على أن الحقيقة تقضى لتقديم هـــذا النوع من الفن ، أن يسمعه الناس شفاها من أصحابه ، وذلك لأن النغم فى الفن الشعبى عضو أصيل من كيان العمل الفنى .

لنقرأ بعض المقاطع ونحن مع القراءة نقابل بين ما نقرأ وبين شهرزاد :

أصـل الحكاية كان رجل
في دمشق تاجر بانتصاف
يبيع ويقبض في هنـا
والرزق داخـل له جزاف
عبى تجـارة وراح حلب
تسوى لها جملـة آلاف
وخد معاه اتنين شـداد
وشـد عزمه ع السفر
أيام قليـلة يا كرام
خش الساكن والعمـر

***

دخل صاحبنا في حلب
وطن حموله ع الكمال
في وسط خان جوا البلد
بين الخواجات التقـال
يرجع كلامي لزوجتـه
يقع لنا معهـا سؤال
مسكينة مالت للشيطان
وابليس رماها ع الضرر
وكان غرامها مع « عبيد »
له جوز عيون ترمي شرر

***

في أصـل ما قـد عشقته
طاله من الشـباك تراه
تلقـاه كما جزع النخيل
أو سبع كاسـر في حماه
اتولعت بـه الخائنـة
وابليس رماها في هـواه
قالت له يا محبوب عبيـد
اطلع حدايا انت بطـل
أسـهر أنا وانت في صفا
وامتع العيـن والنظـر

***

اتلفت عبيـد وقال لهـا
لا يجي جـوزك هنـا
بيلتقيني يا قمـر
قاعد معاكي في هنـا
يعمـد عـلى قتلي سريع
ومين يخلصـني أنـا
قالت لـه يا محبوب عبيد
أفديك بروحي والنظـر
جـوزي سايبني وراح حلب
بيغيب ويبطىء في السـفر

***

يعقد ثلاث اربع شـهور
لمـا يجي فيهـا فـرج
ومن التعب لو جـه ينـام
وانـا في حلـمي انـدرج
ومين هنـا راح يعلمـه
غير الجوار دول والحـرج
ده كل من جاب سـيرتك
خليت دمـاه تجـرى نهـر
وأرميـه أنا في بير خـراب
والأرض ما تنبى خبـر

***

آمـن لها عبد الخنـا
لا صـفى منهـا الـكلام
سـكروا ونامـو اتنينهم
وابليس رماهم ع الحـرام
والزوج مشـغول في المعاش
ما معاه خبـر بدا الـكلام
امـره مفوضـه للـكريم
رب عظيـم باري السـور
اله يجـازي الخاينـ ـن
أنثى تـكون ولا نفـر

***

بصت وقالت للجـــــوار
كونو اســـمعوا قول ستكم
عيب ان ظهر قـــولى عـــوار
ســـرى اكتمـــوه لى كلـكم
عبيـــد معانا فى الديـــار
طيب وأصـــله أصـــلكم
وانتـــــو تدارو أمـــرنا
لو انـــكشف حالنا ظهـــر
يبقى مقامنـــا فى اندتـــار
ودمنـــا يبـقى هـــدر

• • •

شـوفوا عبيـد من جنسكم
خلـوه معاكم فى أمـــان
ولبســـوه من لبسـكم
عـــدنه جارية فى المكان
لو تندهـــو لـــه كلكم
باســـمه اندهو يا خيزران
وميـــلو لـــه قلبـــكم
لما ييجى الشـيخ م السفر
افـــرح قـــوى من فعلـكم
واعتقكو ٠٠ وتبقو حـــرر

***

ونحن اذا اكتفينا من الفنان الشعبى ، الشاعر ، بملكته القصصية التى أعطتنا فرصة الانسجام مع السياق ، خاصة وأمامنا رجل عاشق خلعت عليه صاحبته ملابس النساء ٠٠ ونحـــن نراه فى غدوانه وروحاته فى تضاعيف القصة ، ونعرفه انه عبيد وليس الخيزران ٠٠ فى الوقت الذى اذا رآه الزوج ظنـــه جارية من الجوارى ٠٠ اذا اكتفينا منه بذلك ، سلكناه فى عداد القصاصين ولا شك ٠٠

والقصة تتصل بالاحداث ولكـــن القصاص الموهوب يعلم بالفطـــرة ان القصة تفقد حرارتها لدى المستمع اذا تركزت على خط واحد ، وهو لذلك ينشىء خطا آخر جانبيا ، قصة اخرى مذابة فى اطار القصـــة الأصلية ، فيعود بنا الى الزوج التاجر فى رحلته الى حلب ، لقد باع أقمشته الثمينـــة بفضة كثيـــــرة وذهب الى الصرفى ليغيرها بذهب ، واذا برجـل غريب يتبعه ٠٠ انه لص قرر ان يسلب أمواله فى طريق العودة ٠٠ والشىء العجيب حقا ، ان يحس الفنان الشعبى بحقيقة المجتمعات المتخلفة ، تلك التى يحكمها اجانب ويستولون على ثرواتهـــا ، ويتركون أولاد البلد يتضورون فقرا ٠٠ فاللص فى نظر الفنان الشـــعبى مزيج اجتماعى وليس ذاتا فحـــارة بطبعها ٠٠ ودليله دليله على ذلك ان اللص يعتبر السرقة رزقا ويدعو الله أن يحققه له ٠٠

وقام صـاحبنا وقتهـــا
وآدى الذهب مصـرور معه
جـــوا ملايـه معقـــده
قـام الحـــرامى اتبعـــه
لمـــا اتى خـــان التجار
عـــرف الحرامى موضـــعه
قال الحـــرامى فى فـكرته
وحيـــاة قادر مقتـــدر
ترزقنى يـــا رب الـــذهب
واخد نصـــيبى م البـــلد

ويظل اللص فى ذبذبة ، بين النجاح والفشل تبعا لظروف دخول البطـــل

الأماكن ، الى أن يفشل اللص ، ويدخل التاجر بيته ، واللص فى تصميم على نوال رزقه ..

وانى لأقرر أن هذا الذى فعله الفنان الشعبى ، من حيث البناء القصصى، هو نفسه الذى نفعله ونحن نصمم عملا فنيا كبيرا فى أيامنا .

ويعود الحظ الأول من القصة ليحتل مكان الصدارة ويبقى الحظ الثانى فى الخلفية :

دخل صاحبنا منزله
وجابو له الزاد والطعام
أكل وامراته معاه
فى لذة القول والكلام
أكل وايديه قد غسل
شالوا الطعام حطو المدام
بعد ما شرب وانبسط
فرزن جواره بالنظر
يلتقى فيهم جاريه
كيف جزع نخل بلا ثمر

وأحب أن أنبه الى أن الوزن فى الشعر الشعبى ، يقوم أساسا على الايقاع النغمى ، فاذا ماقرأناه مكسورا لم يكن معنى ذلك انتفاء سليقة الوزن عند الفنان الشعبى ، وانما العادة أنهم يؤلفون وهم يتغنون ، فالعروض عندهم الطبلة وليس التفعيلات ..

وكذبت المرأة على زوجها ، ولكن قلبه استشعر كذبها ، فأشعرها بأنه مصدقها .. ولكنه أضمر كشف الحقيقة بنفسه

واذن فالحبكة القصصية فى نماء ، وهى أكثر نماء عندما تطمئن المرأة الى أنها خدعت زوجها ، والخيزران رائحة غادية بالبيت ، الى أن أدرك العاشق أنه الزوج يراقبه بدقة فجرى الى الزوجة يقترح عليها أن يقتلاه .. وتثور هى لقدرة الرجل على المكر الذى غلب مكر النساء .. وهى قضية كثيرا ما يحب الفن الشعبى مناقشتها ، وتميل الى قتل الرجل ومكره بحادث يذكرنا بما صنعه « تيمورلنك » مع أحد خصومه .. ولكن العاشق أصر على تنفيذ جريمته بقتل الرجل بالسم .. وطلب الرجل قدح شراب ، وأعطته الجارية « الخيزران » القدح المسموم .. وشغلها الرجل بأمر وهو يصطنع دور المخدوع ، ورمى بالشراب ، ومثل دور الشارب .. ولكنه لم يمت .. وهنا أصرت المرأة على تنفيذ خطتها ، بأن يكتف عبيد الرجل .. ويتساقيان تحت سمعه وبصره ..

وقالت له اقول لك يا عبيد
البس ثياباته الحرير
ولف شاله القرمزى
والبس لى كشميره الكبير
يالله انا وانت يا فتى
نسكر قباله ع السرير
ولا يموت الا كده
والقلب منه منفطر
قامت ساعتها الخاينة
جابت لها جرة خمر

وثملا ، وهو يساور التعب بنداءات حارة :

يا رب دولا سـكرانين
وانـا كتـافى من ورا
اشـكى وجيعتى لميـن
يا ذو العطـاء والمغفـرا
ولا حـد فى البيت عنـدنا
ما تحضـرى يا طاهـره
يا سـيده يا منجـده
سـمعت أنا عنـك خبـر
انك منجيـه الشـباب
وتنجديهـم من الضـرر ..

***

ويبرز الحظ الثانى، فاللحظة أنسب ما تكون لانقضاض اللص على الذهب .. التاجر مكتوف اليدين .. والاخران ثملان .. ونرى كيف استطاع الفنان استغلال ذلك اللص :

قـام الحرامى وقشـها
لـم المصـاغ ويا الدهب
جـوا مـلاية معقـده
وكل أمـر ولـه سـبب
شـالهم وجاى يطلـع بهم
انشـقت الحيطـه عجب
طلت من الحيط يا كـرام
الباتعـة جت ع الأثـر
وف ايدها عود خـرزان
يذكـر آله مقتـدر

***

شـافها الحـرامى اندهش
وقال لهـا يا ست انتى مين
ما حـد فى البيت عنـدنا
وأصـحابه أهـم سكرانين
قالت : تادب واختـشى
يا واد أنا أخت الحسـبن
لمـا ندالى ده الرجـل
فى دمشق جيته من مصـر
وازاى أتخـلى ما أجيش
وهـو نـده ياام الفخـر
ازاى أتخـلى مـاجيش
وهو نده يا سـيده
ومـن ندهنى أنجـده
لـو كان فى حـالات الردى
لـو كان متضايق قـوى
ومحـاوطاه كل العـدا
حاشـا يضـام محسـوبنا
وجدنا لان له الحجـر
وانا بنت الكرار عـلى
فارس قريش ورجال مصـر

***

ان طعتنى يـا ذا الرجـل
قوم رجـع المال رجعـه
وحـط المصـاغ ويا الدهب
وكل شىء فى موضـعه
أوع الدنيـا تغـريك
وتطاوع ابليس مطمعـه
لأديك ضـربة بيـدى
تـسكن بها لحود القبـر
ده لا ينـوبك يـا فتى
غيـر المعاصى والضـرد
وان طعتنى يا ذا الرجل
حتبقى سـيره فى الورى
وبعـد مـا تفـك الكتاف
كتف عبيـد ويالمـره
وخـدهم لحـاكم البلد
واحـكى له ع اللى جـرى
اوعى تلخبط فى السـؤال
يا حر يا جيد يا بطـل

وراحت بقت فى عـــلم كان
يا سامعين صـــحوا الخبر
وتمضى القصة على هذا المنوال الحلو
.. واذا باللص الذى صحت فيـــه
انسانيته وعواطفه الخيره .. ينفـذ
أمر السيدة ويذهب الى الحاكم ليروى
له القصة ويتوب على يديه :

* * *

قـال الحاكم للحاضـــرين
هيا احرقوا دى الخائنـــة
دى ناكره فعـل الأصـــول
وناكـــره بنت التنـــــا
فتحولها جـــوره واسـعه
بقت لهاليبهـا محـــــزنه
ورموا فيها الفاجـــــره
وعبـدها يا من حضـــــر
هذا جـــــزاء الخائنيـن
انثى تـكون ولا نفـــر ..

* * *

وبعد ، ان قيمة الفن الشعبى ، فى أنه كان التحريض الشفاهى ضـــد الفساد والظلم والباطل والاحتلال .. اذ لا يستطيع أحد أن يصادر الـكلمة المنطوقة .. ولكن هذه القيمة نفسها هى سبب ما نعانيه من متاعب فى جمع هذا التـــراث وتدوينه ، ولـكن الله المستعان

بنك مصر

درج بنك مصر منذ نشأته على مسايرة النهضات التقدمية . فلما تفجرت النفوس وانبعثت الثورة وانبثق نور الشعلة المقدسة تجاوبت كل هذه الطواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر ومع الأهداف العليا التى رمى اليها فى عهد الاستعمار الاقتصادى فانشأ شركاته التى كانت جيوشا حارب بها الاستغلال الأجنبى فى شتى ألوانه والرق الرخيص فى مختلف صوره

اتجاه التطور الأدبي
من اليقظة .. إلى النهضة

— ٢ —

قنمت لمحة عن الوجهات العليا للحياة العقلية والاجتماعية فى مصر الحديثة ننظر على هديها ، فى تقدير صنيع الأجيال الثلاثة التى رسمنا أن نرقب اتجاه التطور الأدبى فيها ..

ونبدأ بالجيل الأول ، الذى علمنا .. وفى هذا الجيل كان المرحوم عاطف بركات هو قائد تلك الكتيبة المؤلفة من الأساتذة الذين أستهللنا قولنا بالترحم عليه وعليهم .. وهى كتيبة كانت تعمل فى الميدان الأدبى عملا جادا ، يوجهه عاطف توجيها ننعته حقا وفى اعتدال ، بانه كان توجيها ساميا ، فسيح الافق ، جريئا فعالا ، متجددا . وكان توجيه «عاطف» لعمل تلك الكتيبة بقوى متعددة منها ١ ـ شخصيته هو الخاصة ـ ٢ ـ ومنها تدريسه الفعلى فى القضاء ـ ٣ ـ ومنها ادارته الحازمة الحرة معا .. وتلك وما اليها نواح يجب ان تفرد بالدرس فى كتاب خاص يكتب فى ترجمة عاطف ، ولا نلم هنا الا باشارات خفيفة بل خفيفة جدا ، عن بعضها ، لا عنها كلها ايضا

فأما شخصية عاطف ، فالطبيعى منها هو وراثة خصائص خئولته التى عرفت فى سعد زغلول ، الجرىء ، المعتد بنفسه ، النفاذ ..

وأما شخصيته المعنوية فتلك الثقافة التى أنضجتها حياته فى انجلترا مبعوثا ، وهى حياة يبدو انها كانت بعيدة الأثر على كيانه العقلى والنفسى الذى أمدته الوراثة باصول معدة لهذا الانضاح فقد أبعدت عنه هذه التربية كل أثر للجمود أو الرضا باليسير ، او النفعية الفردية الضيقة المجال .. كما ان هذه الحياة انضجت جرأته واعتداده ، ودعمت شعوره بانه يستطيع ان يؤثر فى الحياة العامة ، بل يوجهها ، ويقف جهده على ذلك ، كأنما هو عمل خاص ، او مصلحة ذاتية ، وقد أكدت هذا تصرفاته فى الاكتفاء بادارة مدرسة القضاء ، وعدم

التعلق بغيرها من مراكز اجدى واظهر ولم يفته عرضها عليه

وبهذه الشخصية مارس عاطف قيادته للكتيبة المذكورة ، وتجاربه الحرة فى مدرسة القضاء ، بروح من الميل القوى ، الى عمله والشعور بقيمته فى سير الحياة العامة ، وكان هذا الذى يمارسه من العمل ليس الا عملا شخصيا أو مصلحة له دون غيره ... ولقد سمعته بأذنى يقول ، وهو يزودنا بنصائحه ، عند سفرنا الى الاسكندرية لمحاجة الحكومة أو اخر سنة ١٩١٩ ، وكانت حكومة محمد سعيد ـ على ما أذكر ـ وقد فكرت فى ارضاء الازهر بالغاء مدرسة القضاء ، فكان مما قال رحمه الله ما معناه ـ ولعلى أثبت بعض لفظه ـ : ليس لى ولد ، وهذه المدرسة هى ابنى ، ولولا انى أعدها هكذا لكانت لى مندوحة عنها فى فرص متعددة ، من وظائف أخرى فى الدولة اخطر واجدى من نظارة هذه المدرسة ولكنها ابن لا وظيفة ، ومن مات له ابن بضعة أشهر يحزن عليه ، فكيف وسن ابنى هذا بضعة عشر عاما ... الخ ما قال فى سياق استعداده لأن يتركها لتعيش اذا كانت الحكومة ضجرة به هو . ـ قال هذا أو ما قال وجالت الدموع فى عينيه الواسعتين الحادتين ، وهو الجلد الصلب ، الذى لم اره خلال عشر سنوات ، فى مثل هذا الموقف تأثرا ..

هذه هى عاطفة عاطف التى كان يوجه بها الكتيبة المعهودة ، ويجرى بها تجاريب حرة متجددة ، فى بيئة مستقلة ، ليحقق الغرض الكبير فى التأليف بين الثقافتين الشرقية والغربية ليخرج منهما مزاجا جديدا صالحا للبقاء ، قادرا على الحياة ، محتفظا بطابعه الخاص المستقل

ولم يكن عاطف يهيىء للتطور المنشود بتلك الكتيبة وحدها بل بجنود آخرين اجتمعوا له بل جمعهم هو بجهده ، من عناصر متعددة ، من الازهر ومن مدرسة الحقوق ، ومن مدرسة المعلمين العليا ، ومن مدرسة الفنون والصنايع لشهرتها اذ ذاك بالرياضيات .. فكان هؤلاء جميعا مواد من خليط يجىء معهم « عاطف » وهو المادة التى تحول هذا الخليط بعناصرها وبحرارتها ، وبضغطها ، الى مزيج ، هو مادة جديدة ، ذات خصائص خاصة ، غير خصائص كل عنصر من عناصر المزيج ..

وبينما كان هذا الأتون الكبير المتقد بحرارة عاطف يصهر تلك المواد فى بوتقة التطور كان عاطف يمد العملية الكيماوية بمشاركة فعلية فى التدريس ، بعد حرارة الاخلاص وحرارة الاندفاع المجرب ، وحرارة الأمل البعيد .. الخ .. كان عاطف يدرس الفلسفة الأدبية ، أى الأخلاق يترجم فيها عن الانجليزية ، مثل رسالة المنفعة لاستيوارت ميل ، وكتاب

الاخلاق لماكنزى ، ولكن ليس هذا هو الهام ، بل العمل المؤثر هو : مزج التفكيرين ، الشرقى والغربى فى مسألة الخير ، وهو تطبيق المذاهب الفلسفية الخلقية القديمة والمحدثة ، على التفكير الاسلامى دينيا ومدنيا ، وتفسيره بها .. وكل أولئك بطريقة ، لما تستقر فى الجامعة رغم أنها عاشت أكثر من ربع قرن .. وتلك الطريقة هى ألا يملى أمالى ، ولا يعطى مذكرات ، ولكنه يشرح ليفهم الطلبة ، ثم يكتبوا ما فهموا بأقلامهم ، وأساليبهم ، ولهم الله فى الامتحان وأسئلته التطبيقية على صور من نشاط الحياة الجارية المتجددة

وليس عمله فى التوجيه العقلى هو هذا التدريس ، لموضوع جديد ، بطريقة شاقة ، بل هو عامة يومه يغشى قاعات الدرس فى فرق المدرسة التسع ، بفصولها المتعددة ليتدخل تدخلا مباشرا فى المواد المختلفة ، فهو يحل بيده على التختة مسألة حسابية أو تمرينا هندسيا ، بغير الطريقة التى حل بها المدرس ، ويدفع الطلبة الى الموازنة بين الحلين ـ وهو يدخل على مناقشة فى أصول الفقه فاذا هو ينقلها الى ميدان لها فى أصول القانون وهو يعلق على حكم فقهى من حيث صلاحيته للزمن اليوم ، وهو يتجه فى تفسير آية قرآنية أو شرح حديث نبوى الى غير ما فى كتب التفسير والشروح ويدع الطلبة وأستاذهم يشتغلون بالمتنين أو الموازنة بينهما ..

وهو لا يقصر نشاطه على قاعات الدروس ، بل هو يدور فى حديقة المدرسة وفنائها فى الفسح ، ليثير موضوعات للنقد والمناقشة ، من سلوك للطلاب ، أو حديث بينهم أو .. أو .. وتلتف حوله حلقات من الطلبة ، يدفعها الى أن ترى ، وتفكر لتخالف وتعقب ، وهو يركز هذا باجتماع أسبوعى دورى ثابت للخطابة والمناظرة ، والمناقشة ، لا يتخلف هو عن حضوره مرة واحدة ، الا لأشد الاعذار قهرا ، ليدفع هو وكتيبته المختارة ، طلبتهم الى التفكير وابداء الرأى ، ودرس الموضوعات للمحاضرة بذلك كله ، والمناقشة فيما يلقى منه

ومن شخصيته ، وتدريسه تكونون الفكرة ، عن ادارته للمدرسة التى يمنحها يومه أجمع ، ويشترك فى كافة شئونها أعمق اشتراك وأدخله ، ولن نجد وقتا لوصف هذه الادارة ودقتها ، فتمثلوها لتتمثلو بكل أولئك البيئة التى كان يتابع التطور فيها عمله بتلك الكتيبة من أبناء دار العلوم ، وبسواها من كتائب المعاهد الاخرى . واذ خصصنا هذه الكتيبة بالحديث فقد كانت تعمل بصاحبها ومع صاحبها «عاطف» مستجيبة للتطور ، فرجالها يتجددون ويكتبون ، ويؤلفون ، بالروح التى بها يوجهون ، وهكذا نضجت فيهم ملكات ، واستوت قوى ، وكان من أبناء دار العلوم ، فى مدرسة القضاء فقهاء ، وأصوليون ، ومفسرون ،

أنضجتهم هم أنفسهم هذه البيئة بدفعها العنيف الدائب لهم ، الى النماء والتكمل ، والتجدد

والحديث عن تفاعل طرائق عرضهم المهذبة ، مع المادة المركزة الأزهرية بمنطقها العميق المفتعل ، ثم مع النماء الجديدة من الحقوق والمعلمين وعقليتهم العلمية أو الرياضية، وما كسبت الحياة المصرية من ذلك ، حديث يفرد بالعناية ولا يتناول استطرادا هنا ـ مع أنه ليس الا قوة تمد التطور الادبى امدادا حقا .

ولكن بحسبنا ان ننظر الى التطور الأدبى بمعناه الأخص ، فترى : ان تلك الكتيبة ، بقوتها الدافقة وهاديها الموجه « عاطف » كانت تعمل فى الميدان الأدبى أعمالا بارزة . فهى تطوع اللغة العربية للحياة تطويعا ، وتواجه مشكلات ذلك التطويع ، فتعالج النحت والبحث فى المعاجم عما يصلح للاستعمال العصرى فى المحدثات ، وتحدث عن الترجمة وخير طرائقها ، وعما يمكن وضعه من الكلمات بالاشتقاق وعن .. وعن .. وهى تنشىء المجمع اللغوى فى صورة ما .. ثم هى تزاول درس الأدب وتاريخه ، وكان قد نقله اليهم من أوربا زميلهم المرحوم حسن توفيق

وهم مع ذلك لاينسون نصيبهم من الثقافة الاسلامية بل من المشكلات العملية نفسها ، وصحيفة نادى دار العلوم حين تحفظ آثار عملهم الأدبى تفرد فى الوقت نفسه كتابا لاجزاء من اعدادها ، عن الربا وتحريمه فى الاسلام وجريان الحياة المعاصرة على استعمال الفوائد . ولا ننسى أنه فى ذلك الوقت كان ابن دار العلوم المرحوم الشيخ عبد العزيز شاويش يناضل فى الميدان الاسلامى ، مع نضاله السياسى والصحفى ، فيصدر مجلة « الهداية الاسلامية » التى كان من كتابها الدكتور طه حسين ، ومن أطرف ماكتب فيها ، حملته على زواج الأجنبيات .

والباحث الاجتماعى لا ينسى فى هذا المقام أن مجلة الهداية الاسلامية هذه كانت تحتفظ بطابع دينى خاص ، واتجاه فى التفسير العصرى للدين قد جاوز مصر الى استنبول محاولا اصلاحا دينيا متئدا ، لكن التيار كان جارفا فلم تكفه محاولات الشيخ عبد العزيز شاويش ، ولا اتجاهاته . وجرف ذلك كله بالتجديد الكمالى .. وما نستوفى عن ذلك حديثا ، ولكنما استطردت به لأنه مثل من تسرب التيارات التطورية ، ووجوب تتبع مجاريها ، كما تتبع مسارب المياه الارتوازية فى جوف الارض

* * *

وحين كان يبلغ ذلك الجيل الأول شأوه ، ويترعرع جيلنا الثانى تحت اشرافه ورعايته ، وقد انتهى هذا الجيل الاول الى خط نهايته ، على النحو الذى أشرت اليه مجملا فى الميدان الأدبى .. حين كان ذلك يجرى كان تيار الحيوية المصرية الباطن يجرى

خفيا ويتصل امداده ، وتتوالى دفعاته وتهيىء للظهور انتفاضات أخرى ٠

ولعلنا لو أردنا استكشاف ذلك التيار الازلى الخالد للحيوية المصرية فى هذا العصر لوجب أن نقف حيث نحن لنحفر عما تحت أقدامنا ، بل قد يجب أن نرجع قليلا لنتبين سير التيار جيدا ، فلنفعل : لنقدر ان الوعى المصرى المتزايد ، والشعور المصرى بالذاتية النامى تباعا ، كان قد نقم من الاحتلال افساده التعليم بجعله آليا يخرج موظفين ، لا يكون لهم شخصية ، ولا يبث فيهم ذاتية ، ولا يعدهم لغير تراب الميرى ، ووظائف الحكومة التى يكونون فيها أزرار آلة كاتبة ، ترقم بالضغط ، وتخبط بالضرب ٠٠ ففزعت الحيوية المصرية من هذا ومثله ، واتجه تدبيرها ، وتجمع نشاطها فكانت انتفاضة أخرى أخرجت الجامعة المصرية الأهلية الى عالم النور حوالى سنة ١٩٠٨ ، لتكون مباءة حرة لتحقيق الوعى القومى ، وامداد الشباب به علاجا لانيميا الشخصية التى أحدثها الاحتلال فى أنفس من يشرف على تعليمهم ٠٠ وقفوا بنا لنتأمل : هذه مصر قبل الاحتلال حاولت تنظيم ثقافتها فى شكل عصرى حيوى ، مع امدادها بشىء من الغذاء الجديد ، وقد شعرت أن ثقافتها الشرقية بصورتها فى الأزهر وبطريقتها فى التعليم لا تترك على ما هى عليه ٠٠ فانشأت ما أنشأت من مدارس ، وانشأت دار العلوم مركزا للاعداد والامداد ٠٠ ويجىء الاحتلال فيجفف ذلك النبات ، ويوقف امداده ويتحكم فى نمائه ، ويمتد نفوذ مستشار المعارف الرهيب الى كل شىء ، والى دار العلوم نفسها ، فهى مدرسة وزارة المعارف ، ويتحكم فى البعثات ، وما تأخذ وما تدع فلا يمكن المبعوثون من رى ظمئهم ولا من اجتلاب الغذاء لجياع واديهم ٠٠

ومصر الخالدة يقظة فهى تتململ وتنتفض لتنشىء دارا بمنجاة من هذا الاحتكام ، فتنشىء القضاء الشرعى والطابع الاسلامى فيها بين ، وصلتها بالازهر واضحة ، وأخذها من الثقافة الغربية موجه بهذا الطابع ، وتلك الصلة ٠٠ لكن هناك بعد ذلك شعورا بالظمأ ، واحساسا بالجوع لا يرويه ، ولا يشبعه ذلك الذى تقدمت به القضاء فى الجمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، جمعا بطيئا ، مستقلا ، لا يخلو أمره من قناعة لا تشبع النهم الذى يجده الداعون ٠٠ فتنشأ الجامعة الأهلية فى أثناء الخمس السنوات الثانية من العقد الاول من القرن التاسع عشر ، وهى الخمس السنوات نفسها التى انشئت فيها مدرسة القضاء ٠٠ وكذلك لا يسهل على الباحث الاجتماعى أن يسلم بأن من الاتفاق الصرف ، ولا من الصدفة المحضة أن تنشأ الجامعة بعد فترة وجيزة من انشاء مدرسة القضاء ٠٠

وكلتاهما منشأة بمنجاة من الاحتلال والتدخل ، وان كانت القضاء أميرية تنفق عليها الدولة ، ولا تعدم الوسيلة الى التدخل غير المباشر فى أمرها ..

نعم لا يسهل على الباحث الاجتماعى احتساب هذا من المصادفة .. فهو يدرك أن الجامعة المصرية الأهلية قد كانت خطوة تالية للخطوة التى سبقتها قريبا .. ان الجامعة تستقدم الاساتذة الاوروبيين وتأخذ بنظم الدراسة الجامعية الاوروبية ، وتتخلص تماما من النظام المدرسى الضيق بطبيعته ، والمعنت بتدخل الاحتلال ودانلوبه

ويتعرض الجيل الثانى ، جيل ، وجيل زملائى من دار العلوم لمؤثرات جديدة ، ويثار شوقه لأشياء تعد من الخطوط التى وقفت عندها الكتيبة السابقة ، ويتداخل النشاطان ، ليوجها التيارين .. ها هى ذى كلية الاداب فى الجامعة الاهلية بعملها الاكثر تجددا فيها الاساتذة الاوربيون من غربيين ومستشرقين ، فرنسيين وايطاليين ، وانجليز ، واسبانيين ثم مكانهم أو الى جانبهم مصريون ، كان منهم أساتذة فى القضاء ، منهم جنود الكتيبة العاطفية ، من دار العلوم ومن غيرها أيضا .. فالخضرى أستاذ التاريخ الاسلامى ، والمهدى استاذ الأدب ، ومحمود فهمى استاذ التاريخ بالقضاء هو أستاذ التاريخ القديم فى الجامعة الأهلية ..

وينتسم جيلنا ، الجيل الثانى أنسام المعرفة الجديدة ، فيخرج بعد دراسته فى القضاء ، ليستمع الى محاضرات الأوروبيين والشرقيين جميعا فى الجامعة الاهلية مساء ، وفى يوم الشتاء ، وهو صلب الموسم الدراسى ـ أحتاج الى تمضية ساعات ما بين آخر اليوم الدراسى فى القضاء بعد الساعة الرابعة والنصف وموعد المحاضرة المطلوبة من المساء الدراسى فى الجامعة وهو السابعة أحيانا والسادسة أحيانا فلا استكثر ان أمضيها بأى شكل ، وفى أى مكان ، وفى أى جو ..

ويتطور الاستماع الى انتساب كامل ويظل التيار يجرى ، فاذا الجامعة الاهلية تصير أميرية بعد بضعة عشر عاما ، واذا بين هيئة التدريس فيها أعضاء من اولئك المستمعين والمنتسبين من جيلنا هذا الثانى

* * *

انما نحدث عن اتجاه التطور الادبى فانظروا الى الخطوط الامامية التى تعد خنادق الجيل الثانى ، مع تداخل الظروف وتشابك التيارات ، وتلاقى التوجيهات فانظروا : ١ـ ها هم أولاء الطلاب الكبار أبناء هذا الجيل الثانى يحاولون ان يتعلموا اللغات الاجنبية ، ويحتاطون لذلك مع مشغلتهم بالدراسة التى اجتمع عليهم فيها الدراسات الشرقية والاسلامية ، مع الدراسات المدنية الحديثة بمثل ما فى المدارس والمعاهد المدنية ، أو أكثر أحيانا ..

وفى هذه الناحية أيضا يروى ان «عاطف» أخذ بيد أحد خريجيه الكبار

السن الى مدارس برليتس ليدفع المبلغ اللازم لتعلم الانجليزية دفعة واحدة حتى لا يرجع عن عزمه .. وفى مثل مدرسة الأزهر الفرنسية بالغورية متسع لمن لا يجدون المبالغ التى تتقاضاها برليتس ومثلها ..

٢ ـ وها هم أولاء الطلبة لا يجدون الغذاء الأدبى القديم كافيا لما يطلبون من النماء العقلى فهم يقبلون على قراءة المترجمات بنهم وشهية مفتوحة

٣ ـ بل ها هم أولاء بعد ذلك يرضون أقلامهم على الفنون الادبية المحدثة ، فيكتبون مسرحيات ، وتمثل تلك المسرحيات غير مرة فى موسم الاوبرا الحكومية ، ويكون ذلك منذ أربعين عاما ، وهم شيوخ معممون يخافون رقابة الدوائر المحافظة ، بل يرهبون بطشها فيتنكرون

٤ ـ ثم ها هم أولاء الطلاب يتهامسون ويتسارون بما ينقص الدراسة الدينية من ثقافة عالمية يلقى بها الدين التيارات الحديثة ، فهم يقرءون فى فترات الراحة شروح مذهب داروين ومقدماتها الالحادية التى يكتبها شبلى شميل

٥ ـ وأخيرا ها هم أولاء الطلاب يتهاتفون تندرا بما يكتبه بعض رجال الكتيبة المعهودة فى الادب وتاريخه . لقد دفعهم التطور دفعة ، اذ دفع الحياة العامة الى أمام .. ثم يعد يكفى التواؤم بين الثقافتين الغربية والشرقية ، بل لابد من حظ موفور من الثقافة الغربية ولا بد من اصطناع الاسلوب المحدثة فى درس الثقافة الشرقية نفسها لتنقد بمقاييس جديدة نوعا ما ولتقوم بموازين ومقادير جديدة ، لان الغرب بدراسته الانسانية ، فوق دراسته العلمية قد رجحت كفته .. ولأن الشرق قد استيقظ يفرك عينيه ويقول له المنتبهون نوعا ما من ابنائه: ان الغرب قد سرق علمنا وأخذ كل شىء من كتبنا ، واننا قد سبقنا الى كل شىء ، ولكن ما سبقنا به وما سبقنا اليه قد ضاع .. فيستمع الشرق لهذه النغمات .. ثم اذا هو يشعر بعد ما خلص من تناسل النوم انه لن يكفيه أن يكون أباؤه قد فعلوا الكثير اذا لم يفعل هو بعدهم شيئا ... ولن يفيده ادعاء أنه عرف الكثير اذا كان ما عرفه بالأمس قد جهله اليوم .. وهكذا يكف الشرق رويدا رويدا عن البحث المضنى لينظفر باشارات تثبت للعرب اكتشاف أمريكا ، ومنابع النيل وفلسفة التطور ، والديمقراطية البرلمانية ، ونظرية الجاذبية .. وما الى ذلك من تعللات وأوهام تشبه استخراج جميع العلوم من القرآن عن طريق حساب الجمل .. الخ

ان التطور فى عامة الامر قد اتجه الى ما ينبغى أن يأخذه فى تقدير واخلاص عن الغرب وثقافته الاجتماعية والفنية ، مع ثقافة الغرب العلمية والعملية السريعة التقدم ، الواسعة المطامح .. الآن قد تمت أحداث وتحولات أنتجت

تطورات ..واذا قلت الآن ، فما أعنى عاما بعينه ، بل لعلى لا أعنى ثلاثة أعوام أعينها لأن هذه الظواهر الاجتماعية ليست تحدد بمثل هذا ، ولان عواملها ـ كما قد شرحنا آنفا ـ تتداخل وتتصل وما مثل الأجيال المتلاحقة الا كمثل الابناء والآباء : كل منهما جيل ، والابناء يشاطرون الآباء حياتهم ، يأخذون ما عندهم ، ويتلقون معه سواه ، فيكتمل ـ الابناء ـ وينتهى الآباء

وقد رأينا هذا التداخل فى حياة الجيلين الأول والثانى ، فبينما كان جيلنا الثانى فى كفالة ، الجيل الأول ، من الكتيبة التى ذكرنا خبرها ، كانت الدنيا تسير ، والتطور يعمل عمله ، ونحن الطلاب نتأثر بمؤثرات، لايشعر بها شيوخنا ، وان شعروا لا يهشون لها ، وقد يغضبون عليها ويقاومونها .. ولهذا التداخل الذى بيناه لا نحدد عاما ولا أعواما لما كان من تحولات وأحداث ، بل نقول : انه أو اخر العقد الثانى ، وأوائل العقد الثالث من القرن التاسع عشر تمت تلك التحولات

كانت تجربة الاصلاح السياسى والاجتماعى بالاسلام ، واصلاح الاسلام نفسه ليحقق الاغراض السياسية والاجتماعية ، قد عرفت نتيجتها فخفت حدتها ، وهدات دوافعها ..

وكانت الحرب العالمية الاولى قد هزت من اسس الحياة الاقتصادية والسياسية ما هزت ، وهو كثير ، وأوسع المدى

وكان الوعى القومى ، والشعور المصرى بالذات قد اتخذ طابعا عمليا عنيفا ثائرا ، كما هو طابع سياسى خالص ، لم يعد يناوئه دعاة الاصلاح

ولم يعد يشتغل بمناوأتهم ، بمثل ما كان بين محمد عبده ومصطفى كامل مثلا .

وكان اتجاه القوى كلها الى احراز ظفر وطنى باقرار وضع سياسى غربى ديمقراطى ، واقتباس ذلك الى جانب الاقتباسات الغربية فى ألوان النشاط الأخرى وكذلك تقول : كانت الجامعة بنظامها الغربى هى صورة المعهد المرجو خيره ، على أساس من الأخذ السافر ، بايفاد المبعوثين مع استقدام الاساتذة المقيمين والزائرين ، بعد استقدام الخبراء المشيرين المنظمين .. ولم تعد تبذل العناية كثيرا فى سبيل الملاءمة بين الثقافتين الشرقية والغربية بل وضح الشعور بحاجة الثقافة الشرقية نفسها الى دراسة جامعية ، فالفلسفة الاسلامية ، والتاريخ الاسلامى ، فى الجامعة ، الى أن تثبت أقدامها فيكون تاريخ الأديان ومقارناتها فى الجامعة ، بل قد اقترح على الجامعة انشاء كرسيه فعلا منذ نحو عشرين عاما مضت ـ وحين يمضى التطور فى طريقه يكون درس الدين بمعناه الأخص ، من الدراسة الجامعية . حيثما كانت جامعته

ووضوح الشعور بالحاجة الى الجامعة والجامعية هو الذى حول الجامعة

الأهلية جامعة حكومية ، بعدما عجزت تلك الاهلية عن احتمال ضغط الحرب على امكانياتها ٠٠ فتم ذلك كما تعرفون سنة ١٩٢٥

* * *

ولا يعنينا سبق الحوادث بالكلام عما سيكون فى الجامعة قدر ما يعنينا فهم ما كان بين الجيلين الثانى والثالث من أحداث وتحولات مضت وقدر ما يعنينا الالتفات الى ظواهر التطور الأدبى التى بدت ، بعد استقرار نظام الجامعة

فنرى : انه لم تمنح العناية كلها لتطويع اللغة على النحو الاول ، بل وجهت عناية لفهم قواميس الحياة اللغوية والانتفاع بها فى التدبير اللغوى ٠٠ ولم يعد الادب يدرس وسيلة للشريعة ، بل على أنه حاجة حيوية للأمة

وفترت العناية بتاريخ الأدب ، لانه يجب أن يتأخر عن جمع الأدب وتحقيقه ، ثم درسه وتذوقه وأصبح هيكل تقسيم حياة الأدب الى عصور هيكلا متداعيا ٠٠

ولم تعد المقررات القديمة فى علوم العربية أو علوم الأدب ذات قدسية أو سطوة دينية ، بل التهمتها النظرات ولمسها الفاحصون ، ونفوا منها واثبتوا

ولم يصبح من اليسير الاكتفاء بالتناول الشامل السطحى للأدب بل ساد الشعور بأن ينال من العمق ما يلائم المستوى الانسانى اليوم فى الثقافات الأخرى

وتلك وما اليها من تتمات وتطبيقات لهذا التطور هى التى عمل الجيل الثانى ـ بقدر ما استجاب اعله ـ لانقائها الى الجيل الثالث الجامعى

واذا ما أذن لى ـ وهو لابد ماذون به ـ فانى أتحدث اجمالا عن دار العلوم أمام هذا الاتجاه للتطور الادبى ٠٠ وهذا الحديث ـ على اجماله ـ يقتضينى اشارة الى أن تيار التطور لا يسلك سبيله ذللا ، بل ان الأجيال وهم كالآباء ، والأبناء ـ على ما أشرنا ـ يكون أمرهم كأمر الآباء مع ابنائهم ، فمنهم من ينكر فرق الزمن ولا يسلم بأن بنيه ولدوا لزمان غير زمانه ، فهو يغضب حين يرى عليهم آثار ما يواجهون من تيارات الحياة حولهم ، ويجزع لهذا ويعده شرا ، فلا يبلغ فى ذلك مبلغا ولا يعوق تطورا ،، وامثال هؤلاء الآباء قد يكونون مخلصين فى الايمان بقديمهم واعتقاد خيريته ، فلهم فضل الدفاع عن عقيدتهم تلك، ولهم فضل الشجاعة التى تحتمل ما تحتمل فى سبيل توفير ماساة الخير لأبنائهم ٠٠ ولكن أمثال هؤلاء الآباء لا يعفون أمام التاريخ من احتمال تبعة الخسائر الناجمة عن مقاومتهم ، وتعويقهم سير التطور حينا ما ، حتى تنفد مقاومتهم أخيرا ولابد ٠٠ وبعد هذه الاشارة ننظر الى دار العلوم وعملها فى مواجهة التطور ٠٠ لقد بدات انتفاضة متطورة ومضت فى سبيلها وقدمت ما قدمت ٠٠ وكانت دائما بحيث ينالها من سياسة التعليم فى وزارة المعارف ما ينالها ٠

ولهذا ـ وهو وحده كاف ـ أقدمت

دار العلوم واحجمت كذلك ، وعلى سبيل المثال لذلك ما راينا من اتجاهها الى توحيد التعليم رغم ما لها من صفة دينية او صفة خاصة ، وكانت تلك منها ومن مدرسة القضاء محاولة اجتماعية صالحة ، لكنها عادت فرفضت ، ولم تعن بتوحيد التعليم حتى فى عهدها الذى دخلت فيه حظيرة الجامعة ، فأخذت من هنا وهنالك ـ

ولما مضى الموجهون الواعون المستشرقون « تعاطف بركات » كان فيها آباء لا يريدون أن يسلموا لابنائهم بفروق الزمن ، ولا يريدون أن يتركوا الثقافة الاسلامية والشرقية فى مهب الريح ـ على رايهم ـ ولذا ابوا ان يسلموا معاقلهم فى حماية الاوضاع ، التى يجد التطور فى تغييرها الا بعد آخر طلقة ، وبعد آخر جندى ، بل فكروا حين واتت ظروف مؤقتة أن يكون دخولهم الجامعة سبيلا الى تغيير اتجاهها ، كما حاول ذلك المرحوم الشيخ السكندرى .. الا أن اتجاه التطور الادبى كان كما وصفنا وكان التيار قويا ، فلم يصده التعويق بل لم يعطله كثيرا ..

فلما كان الجيل الثالث ، فى دار العلوم ، وهم تلاميذ جيلنا الثانى كان فى فورة شبابهم ، وحميته ما قضى على المعوقات ، وبشعور خفى او ظاهر ادرك هذا الجيل أن الجامعية هى وجهة اليوم ، وان الجامعة هى معهد اليوم . فهبوا يطلبون اللحاق بالركب .. وبعد لأى ادركوا ساقته ، وها هى ذى التجربة الجامعية لدار العلوم تمضى بين جذب وشد ، ومد وجزر ..

وبيسير من الشجاعة استطيع ان اقرر ان آثار التعويق السابقة قد تركت بقاياها فى حياة هؤلاء الطلاب أبناء الجيل الثالث

ولئن حكمت ايمانى الوطيد بالتطور فانى مشير على اخوانى من الجيل الثانى فى دار العلوم أن يبذلوا المعونة الممكنة ـ لهذا الجيل الثالث حتى يتوافر له معهد اليوم ، وهو الجامعة ، وتتوافر له خطة اليوم ، وهى الجامعية .. غير جازعين من سير الجامعة والجامعية مهما يكن ارتباك او اضطراب ، لأن التيار الحيوى التطورى لا يسلك سبيله ذللا كما قلت ، وهو كذلك لا ينثنى ابدا ، مهما تكن الصعاب ..

وقد وضعت بين يديه ما اطمئن الى انه اتجاه التطور الأدبى ليعينوه ، ويقوموه ايضا

وقد ألمحت بشىء جانبى من اتجاه التطور الثقافى الاسلامى .. وكنت وشيكا ان اتولى هذا التطور الدينى بالبيان حتى النهاية ، لكن الموضوع اوسع من ذلك واعمق .

والآن وقد قلت اكثر ما احب ان اقول عن اتجاه التطور الأدبى ، واشرت الى موضوعات يتولاها بالبيان من يعانى العمل المفصل فى سير الدراسة الأدبية .. الآن احييكم وارجو لكم التوفيق فى معاونة التطور الأدبى على المضى فى اتجاهه .

والله يوفقكم .

تعالى نرقص

لمحمد التوبجى

انه لمن دواعى الرضا ان نرى بين يوم ويوم انتاجا جديدا لشباب نذروا انفسهم لخدمة الأدب وخدمة الفكر .

واذا ما كان هؤلاء الشباب يطرقون باب الابداع للمرة الأولى ، فانا نرجو ان نجدهم دوما يهدفون الى الغاية المثلى التى وهبوا انفسهم لها

ظهر منذ أيام كتاب جديد لأديب قرانا له مرة كتابا هو أقرب الى التسابيح البسيطة منه الى مجموعة قصصية .. واذا هو نفسه يسير وقد كرس قلبه وروحه للهدف الذى من اجله نحيا . كتب القصص . وابدع فيها احيانا ، وبالغ أحيانا أخرى مبالغة شديدة ، حتى لتكاد تخرج القصة عنده من المفهوم العام الى الصورة العادية السريعة .

وكثيرا ما ابدع ، وكثيرا ما بالغ .. وكأنه آمن أن من لايخطىء لا يصل ابدا الى الطريق السوى .

واجد نفسى اليوم أقرا الكتاب بسرور . . . واحاسب نفسى على ما أقرا .. واحاسب الكاتب على ما يكتب ، وأسجل ما أخرج منه أخيرا فى تحفظ شديد واكرام جليل .

اسم الكتاب « تعالى نرقص » ومؤلفه هو الاديب الشاب « محمد التوبجى » .

الكتاب فيه اثنتا عشره قصة أغلبها عاطفى الموضوع ، يكتبه المؤلف باحساس رقيق مرهف ..

القصة الاولى ـ تعالى نرقص ـ وهى القصة التى تحمل اسم الكتاب .. وفيها أهداف جديدة فى القصة الحديثة .

وقبل ان أدخل فى تحليل القصة وسردها وتبسيطها أحب أن أقول ان القصة الحديثة اليوم تمتاز بمفهومها الذى يقول بواقعية الحوادث وتبسيط معالمها على أضواء التجارب الصحيحة .. والقصة التى تأخذ بهذا المفهوم تلاقى العناية لدى القارىء ، وتهدف الى ما يبغى المؤلف نفسه منها .

* * *

القصة ـ قصة الكتاب الاولى .. تتلخص فى أن فتاة جميلة تجلس على عرش الالهام الفنى لوالدها الفنان العبقرى .. يحب هذه الفتاة شاب

يؤخذ بمحاسنها ويفتن بها ·· وتدبر صديقة لهما لقاء فى صالة السينما ، ويراها على أضواء الفيلم لأول مرة ·· فيلمحها فى ثوب ناعم جميـــل يكاد يلتصق بجســـدها ·· ويحدثهـا ، فتستعجل الحوادث ·· وتلتصق به وتندمج بقربه ·

ويخرجان من الصالة ، فيؤخذ بها فى بنطال قصير وقميص ضيق وحزام مشدود ·· كأن المؤلف نسى الفتـاة وقد كانت تلبس ثوبا رائعا قبـــل لحظات ···

وتمضى أيام وتدعو الفتاة صديقهـا لحظة فى بيتها ·· وهنـاك يتم لهما التفاهم ·· فهى لا تستطيع أن تترك عملها كملهمة لابيها فى موسيقاه ·· اذ حينما يريد الأب أن يستلهم فنه يجرد ابنته من ثيابها ويتركها عارية أمامه حتى من الخـاتم فى أصبعها والقرط فى أذنها ·

والمؤلف يأخـــذ بالقـــارىء الى نهاية القصة ··ولكن ما يوجه للمؤلف هنا فى هذه اللفتـة الخاطفة ·· وما يقال من نقد لهذه القصه بهـــذا ـ الشذوذ العبقرى ـ لدى الموســـيقى الفنان والد الفتاه ···

أنا لم أسمع بوما فى كثر من القصص الساذ قصه بهذه الصوره التى ساقها المؤلف هنا

واعتقد أن الفنان هو اخر النـــاس تفكيرا بالجسد والماده لاسيما بجسد ابنته من الان وساعد حتى يجرد

ابنته من ثيابها ليتخـــذها انموذجا للوحاته ··؟

وما عساه يستلهم من جسد ابنته من الحان ·· ؟ !!

* * *

والقصـــة الثانيـــة فى المجموعة « تلميذتى السمراء » :

قصة ذكرى صديق احب فتاة واحبته من وراء الدرس الذى كان يلقنها اياه كل يوم فى منزلها ··· ينقطع الاستاذ فجأة عن الدرس ·· وتعرف التلميذة أن أستاذها ذهب لاحد المصحات ·· ويكتب لها شـعرا تعجب به وتزداد تعلقا ··

ثم يعود ثانية ، ولا يراها ·· بل يكتفى بأن يترك لها رسالة شـــعرية يقول لها فيها ما معناه :

« لقد انتهيت »

وبعد أيام يطرق باب الفتاة الأخ الاكبر للاســـتاذ ويعلمها أن أخاه قد مات ···

وتذهب التلميـذة ـ مع والديها ـ لتعزية أهل الاستاذ ··ويبكون هناك، وتستلم التلميذة من أخت الراحـــل مذكرات تركها لها أمانة قبل أن يفارق الدنيا ·

وتقرأ المذكرات وتكتشف انه كان مريضا بالسل فاحب أن يبتعد عنها ولم يرغب أن تكون بقربها مريضـــا عليلا ·

انهى القصه فيهـــا العقابه حـ ـ وأضاف من المؤلف قصه كما

يقول نحو صديقه الاستاذ الشاعر ..

وكنت احبذ من المؤلف ان ينهج فى القصة منهجا آخر او ان يوضح مثلا هل يجوز لفتاة تحب شابا ـ وما زال الحب فى مجتمعنا عملا منبوذا ـ ان تذهب حين يموت لتعزية أهله .. ومع والديها أيضا ..؟

* * *

« أبو صياح » هى القصة الثالثة فى المجموعة .. وتتلخص فى أن أحد العمال يسوء به الحال يوما ، ويسقط أثناء العمل ويظل طريح الفراش .. وتكون قد ربطت بينه وبين أحد الطلاب معرفة بطريقة يسردها المؤلف ..

ويفتقد الطالب أبا صباح ويستدل على بيته ويذهب اليه فى عمارة منسية من البلدة .. ويسرد المريض على زائره قصته وحكايته .. كيف التقى بزوجته أيام ثورة فلسطين وانقذها من براثن اليهود وتزوجها ، وانجب منها اولادا ثلاثة .. وهو اليوم فى حيرة من امرهم .. ويشير عليه الزائر ان يبعث بهم الى ـ جمعية رعاية الاحداث ـ وسوف يساعده فى ذلك .

ويحمد المريض ربه ان زوجته تشتغل وزملاءه يساعدونه ببعض المال واولاده سيذهبون ـ لجمعية الاحداث ـ

أريد ان اشير الى ان المعروف هو « اصلاحية الاحداث » كما هو معلوم ـ وهى ليست مدرسة بالمعنى المتعارف عليه .. وهى تضم بين جدرانها الاطفال الجانحين او الذين ارتكبوا جرائم يلزم سجنهم من اجلها .. وليست سوى مكان تهذيب .. فهل يريد المؤلف ان يقول بان ابناء (ابو صباح) جناة حتى يدخلهم المؤلف الاصلاحية .. ؟

* * *

قصة أخرى بعنوان « القبلة الثانية » .. قصة وطنية تصور بشاعة المستعمر فى أرض يحكمها بفساد .. وراقت حاكم المدينة الفرنسى زوجة أحد الناس ، ـ عبد الوهاب ـ وأراد الحاكم أن يحصل عليها .. فسأل الزوج أن يمنحها له .. وابى الزوج ، ولكنه عذب وضرب .. وأذعن للامر اخيرا وذهب بصحبة الحاكم الى بيته ... وهناك قبل زوجته وأغمد فى صدرها سكينا وتركها جثة هامدة .. وشكرت الزوجة صنع زوجها حينما علمت بالنهاية المحتومة ..

القصة ذات مفهوم جيد ، ونضج لا بأس به كذلك .. ولكن الانستغرب الحادثة نوعا ما اذا ما عرفنا دناءة المستعمر فى ارضنا .. الم يكن باستطاعة الحاكم أن يحصل على المرأة عنوة واغتصابا دون ان يستأذن من زوجها فى أخذها ..!!

ويبلغ الحدث القصصى شاوا بالغا فى قصة « سارق الرغيف » القصة التى تتجلى فيها كل معانى الانسانية فيصور لنا المؤلف حوادث القصة خالية من كل شائبة ، ويظل يسير بها الى ان تبلغ نهاية فنية رائعة ... تلك قصة الفقر والحرمان والجوع والحاجة .. القصة غنية باحاسيسها ، رائعة بمشاعرها .

ليست هـــذه كل قصص المجموعة فهناك « الفارس الاسمر » الاحـدوثة السريعةالتى أراد أنيجعل منها المؤلف قصة٠٠هى لمحة عن كرم العربوحبهم للضيف ٠٠ واكرامهم للضعيف أراد الكاتبأنيوسعها ــ وقد وفق ــ وهى تكاد تخلو من الحدث القصصى ٠٠

وقصة « قصة بلا حب » تعتمد على اللحظة الحاسمة ، وهـذا النوع من القصص محبب ٠٠حيث يسرد الكاتب فى قصته حينمااستدرج البطل البطلة فى القصة وتحادثا ٠٠ وتاملت الفتاة أن يحدثها الفتى عن الحب وعن كل شىء ٠٠ عن الاحلام والآمال ، ولكنه لم يقل لها سوى انه يريد أن يتعرف بوساطتها على رفيقة لها ٠

أما القصة الرائعة فىهذه المجموعة فهى « مع هند وافنان »

والقصة تصور أروع صـور الحب فى أبهى رونق وأجمل حلية ٠٠٠

قصة تثور على التقاليـــد وتحطم العادات٠٠٠قصة الحب الذى لايعرف العقبات ولا يؤمن بالسدود ٠٠

القصة تخلو من اية شائبة وتحتل لمحمدالتونجى٠٠أحببت أنأستعرضها لدى القارىء المكان المرموق ٠٠

هذه بعض قصص « تعالى نرقص » هنـا من غير تكلف ولا تزمت ، انما رغبت أنأقوم ببعض الواجبعلى ، وهو أن أشكر للمؤلف ثمرته الطيبة ٠٠٠ وليعلم اننا سننتظره وننتظر ثمراته دوما

* * *

وقبل أن أختم كلامى أحب أن أشير الى لغة الكتاب وأسلوبه :

فالكتابة عند الاستاذ التونجى فن وفن اصيل ، وتمتاز كتاباته باللغـة السليمة الصحيحة٠٠واسلوبه مبسط فى تعقيد ، معقـد فى تبسيط ٠ ٠ اى انك لا تعرف متى يتعمد البساطة ولا متى يلجأ الى التعقيد ٠

والقصة برأيى لا تحتاج الى تعقيد لغوى أو تفنن كلامى كما يلجأ المؤلف فى كتابه هنا ٠٠ واذا كانت اليـــوم اشارتى للكتاب قصـيرة مختصرة فأنا على موعد مع الاديب الشابفى الكتاب المقبل الذى سيكون ثمرة أخرى أكثر نضجا واشد روعة وبهاء ٠٠٠

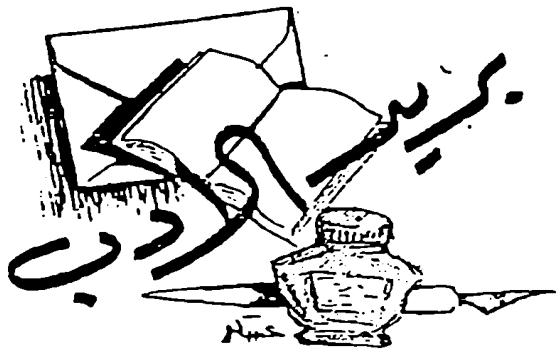

بين اللغتين

كتبت « الادب » فى عددها الماضى ، عن حياتنا ذات اللغتين : العامة ، والخاصة .. وبينت فى ذلك الرأى الذى يمليه منطق الاجتماع اللغوى ، وهو ما ترجو أن يتقبله ـ مع الوقت ـ من لا يقدر هذا المنطق ، ولا يرجع اليه .. ويصر فى عناد على مناطحة الاشفى .. كما قال الاولون .. !!

وكان ذلك بمناسبة نقد كتب باللغة العامة ، لاثر أدبى مكتوب باللغة الخاصة ، فرأت « الادب » ألا تنشره بلغته هذه ، لانها تقدر أن المكتوب بالفصحى يحتاج نقده الى خبرة أصيلة بحسها وذوق تعبيرها .. الخ ، وتستجيب لهذا كله اللغة الخاصة التى كتب بها الا الاثر المنقود .

وقد كتب الينا صاحب هذا النقد يعقب على ذلك تعقيبا طويلا ، كتبه باللغة العامة كذلك ، وهو ما قد تقبله ، لو صحت الفكر فيه ، وأسعفها البيان ... لكن السيد ـ فيما يبدو لنا ـ لم يول موضوعه العناية الوافية ، بترتيب التفكير فيه ، وتسلسله ، واتساقه .. فعرض لاشياء كثيرة لم يستوفها ، وألقى أحكاما عامة واهية ، كقوله : أنا فى اعتقادى أن برواز اللغة العربية مسألة شكلية ، ولو لحين .. لحين ما الشعب يتعلم اللغة العربية » .. ولو كان السيد يقدر ما يعرض له من شئون فنية .. ويذكر أن هذا الادب ليس الا فن الكلمة ما قال فى سهولة واستهانة : ان برواز اللغة مسألة شكلية ..

ولا نرد الحديث معه الى أكثر مما أشرنا اليه قريبا من أن هذا الادب انما هو فن أداة الكلمة .. وفى هذا جملة ما أشرنا اليه فى العدد الماضى من أن المكتوب بالفصحى ، أو اللغة الخاصة للغته ايحاؤها .. وروحها .. وجوها ، وهو ما لا يسهل أداؤه باللغة العامة .. واذا كنا ـ رغم قوة المنكرين ـ نعرف للغة العامة ايحاء لفظها ، ودلالته الخاصة ، التى ربما لا يتهيأ للغة الفصحى أداؤها .. فهل ننكر ذلك على اللغة الادبية !! دون ذا ـ يازجالنا ـ وينقق أدبك .. والامثال لاتغير ...

وليت لنا متسعا لمناقشة ما عرضت له من كثير الشئون الفنية والادبية ، فلم تستوفه ولم تبينه .. فلندع ذلك الى فرصه المناسبة .

عتاب الشباب

وحديثنا الى الشباب متصل لا ينقطع أبدا ·· وحق الشباب علنا وعلى الحياة مقرر أكيد ، كحق الحياة عنده ، وواجب الحياة عليه ··· ومهما يشتط الشباب في مطالبه فانا مستمعون ·· ومهما يقس في عتبه فانا محتملون ·· ومهما تكن رغباته من الشئون الفردية الخاصة فانا منصتو ن ·· لا يعوقنا عن الاستجابة الدائمة لكل ما يشاء الشباب ويريد الا اعتبارات أصيلة ·· وموانع عنيفة·· نحب دائما أن نذللها ما أمكن التذليل ·· ونحاول في ذلك كل ما يطاق ويرام

ونرجو أن يكون بين « الادب » والشباب من الثقة المتبادلة ما يجعله يطمئن لكل ماتقوله ،ويصدقها فيه ·· كما يعتذرلها عما لاتستطيق ولا تبلغ ·· وكما يحتمل منها كل ما قد يعده ـ غير المنصف ـ قسوة ، او صراحة ·· او ما هو من هذه وتلك بسبيل ·· ومع الشباب دائما ·

ونقول للشاب صاحب قصة « الانتصار » التي حدثنا عنها قبل الآن : نقول له : ان « الادب » تكتب ما تكتب الآن عن عتاب الشباب وهي تتمثلك قبل سواك من أصدقاء شبابها ·· وتذكر ما لعلك لم تنسه أنت مما كان لك من قسوة على « الادب » لم تمتنع عن نشرها ·· كما محت آثار ذلك عودتك اليها بمشبوب عواطفك ، وطيب قلبك ·· وهي تذكرك بهذا من الصلة بينكما ، لترجوك في أن تعفيها من معاودة الكلام على قصتك « الانتصار » ·· بعد الذى كررت وشرحت ·· من الاعتذار ··· عن مثل هذه المعاودة ·· في أعداد كثيرة منها خلال سنواتها السابقة كلها ··· وهي بهذا السكوت لا تريد أن تغير من رايك في قصتك وتقديرك الخاص لها ·· و « الادب » اذ ترجوك في هذا الاعفاء ، طامعة في قبولك تشكرك وتشكر أصدقاءها الشبان أولا على خالص تهنئاتهم لها ، ولاسرتها « الامناء » ·· وتحرص دائما على ان يكون شكرها على هذه العواطف السامية تزودا بحيوتها في سبيل ارضائهم واسعادهم ·

ثم نقول بعد ذلك لصاحب « لحظة حب » : اعذر ياصديقي ·· ولا تهول ·· بل هون كل شيء يكن هينا ·· واحسب ظروف العمل الصحافي القاسي ·· الى جانب ظروف أقسى منه وأعنف ·· ومن حالك اعذر اخوك ·· كما تقول الحكمة الشعبية ·· ونحن نتقبل احسن التقبل حسابك العسير لنا ·· ونسلم لك قبل كل شيء بأن واجبنا في رعاية الشباب والاخذ بيده لايحده حد ، ولايقف عند مدى ··· ولكن هناك واقعا أقسى من الارادة ·· والعزيمة ·· وطاقة بشرية تقع دون الامل ، والطموح البعيد ··

ومثل هذا يحول دون الوفاء بما يرضيك من العمل الفعال في مشكلتك الخاصة .. ولوددنا .. بكل استعداد .. واستجابة .. أن نهيىء لخدمة الشباب ففي حل مشكلات كهذه قوى للدولة .. وعناية من الامة .. وهيئات من الحكومة .. والكثير الكثير مما يرصد لهذه الغاية .. ولكن .. ولا أزيد هي الاجسام تكل عن مراد النفوس ...

وأما حقوقك الفنية فلها قدسيتها كذلك .. بقدر ما للواقع احتكامه .. فهل تدري : ماذا يجب أن نفعل لنحقق هذه الرغبات كلها ؟ ! .. ومن نرضي ومن نغضب ؟!.. رب اشارة أبلغ من عبارة — على أننا لن نتأخر عن أي شيء نستطيعه ، ويتقبله الواقع .. وتسمح به حقوق الاخرين .. ولك العتبى .. يا أبا علي .. والى الرضا ، ولا تهول .. بل هون .. والذي كان أيسر كثيرا مما صورت .. وما سميت ...

وأخيرا نعتذر لصديق « الادب » و « الامناء » في دمشق ، عن عدم نشر مقاليه الاخيرين بعد الذي نشرنا له .. الاعتبارات فنية وعملية يكفي فيها هذا الايجاز .. وهو يقدر فرق المستوى بين مقاليه هذين .. وبين غيرهما .. وله تحية واجلال .. للذكريات الفنية الروحية التي يحملها له غير واحد من « الامناء » .. وهو عندنا موضع الامل والرجاء .. شابا .. وأديبا .. وصديقا ..

***

والى رسائل القراء في :

الشعر

— فقد وصلت « امرأة لغيري » ومنها : لماذا وحيد ؟ .. لماذا شريد ؟ .. لماذا تحيد ؟ .. وهي تمثل عندي لونا من حيرتي في تقدير مثل هذا من القول ... !! فليحكم القراء ..

مثل : فهو العز لكل مظلوم شكا .

وهو الذل لكل عبد مفتر .. يارب ان البغي قد عم الورى .. الخ .. وهو من جو المتون المنظومة .. ونتنظر سواها ..

— ووصلت منذ زمن « الزار » وقد نشرت الادب لصاحبها ما نشرت .. وتقول له عن هذه .. انا مدرسة الفن والحياة .. فالى أي مدى تشعر الحياة اليوم بالزار .. ؟

— ووصلت « عشت للحب » وقبلها « غناء قلب » من قلم واحد لصاحبهما كيان فني .. يؤمل منه الخير في عالم أجلى حيوية .. وأنفذ روحا .. ونحن لمتتابع نتاجه مراقبون ..

— ووصل زجل « غرام الملائكة » لصاحبه المشاغب المعروف .. ويطلب مني صاحبه أن أزحزحه لقدام شوية

٠٠ وللترقيات مواعيد موسمية ٠٠ وليس الآن وقتها عندنا ٠٠ وزجله هذا يشتمل على اشارات وعبارات ربما كانت غمزات خاصة ٠٠ والافهى غامضة علينا ٠٠ وعلى القراء أيضا حتى ما نستطيع فهما لقوله :

جايز جمـــالك أســـير

خدام « أســـير » العبد

والوحدة الفنية يامشاغب معلومة أو تكاد ٠٠ والمعانى متدافعـــة ٠٠ متخاذلة ٠٠ ويمكنك أن تعيد النظر!

ـ ووصلت « الى شاعرة » و « فى معبد الذكرى » و « وردة أمام حجرة الاعدام » «وأغنية من بغداد » وهى تنتظر ظروفها فى النشر ٠٠

النثر

ـ وصلت « محاورات بخيـــل » وصاحبها يذكرالجاحظ ، وانه لو كان حيا لحشد بخيله هذامع أهل مرو فى صعيد واحد ٠٠ ونحن معه بل قبله٠ نذكر الجاحظوبخلاءه ونلتمس للكاتب نفحات ما من هذا المستوى ٠٠ حتى يكتب ما يستحق أن يذكر عنـــه الجاحظ ٠٠

ـ ووصلت « محاولة الفهم دون كيشوت » ٠٠ولعلها تجد يوماسبيلها للنشر ٠

ـ ووصلت اقصـــوصة « الضمير الحى » وكنا نرجو لبطلها المتحدث أن يكون له شيء من شعور « أبو شقة » بعد الذى وصف عن غيه العريان ٠٠ المكتوب ينقصه الاتساق ٠٠ والطابع ٠٠ والوجهة الفنية ٠٠ فالى غيرها ٠

ـ ووصلت قصة «العكاز» و «ذات الوجه الملائكى » و « أنا مظـلومة » و « ضربة القلم » و « صراع الحياة » للسيد المسرف النشاط ٠٠ وقد عز علينا أن يتابع تقويمنا نشاطه فبيننا وبينه النشر : نقدم له ما قد يستحق ذلك ٠٠ ونضع ما عداه تحت التقويم فى فرصة واسعة ٠

ـ ووصلت قصة « عدو المجتمع » وأردف السيد الصديق صاحبهايقول انها ليست للنشر ٠٠ وما دام الامر كذلك فليهبنا سعة من الوقتللتقويم

ـ ووصلت «العجين» ٠٠ وصاحبها كما بدا من قصته الماضية تخـــايله محاولات فنية من تجسيم الضمير ومحاورته ٠٠ وابرازالخيال ومحادثته ٠٠ وهى محاولات نقدرها ٠٠ ونأمل منها أثرا فنيا ٠٠ فى اطار من سلامة الفطرة ، وصدق الحوادث ٠٠ لكنهفى العجين يهيج هذه الذكريات بعدخمس سنين من وفاة الزوج٠٠وهلايذكرنى بمثل غربى يقول « الزمن يضـــيع الحب ٠٠ والحـ ب يضيع الزمن » ٠٠ والمعلم صاحب الفرن المرهوبالجانب يظل هذه الســـنوات الخمس يراود الارملة فلا يصـــل ولا يكل ٠٠ ثم لا يجد فى يوم القصة الاخير مايدعو الى استجابتها المسرعة بعد هذا كله ٠٠ وكلام فى أذن الصديق :الكتابة على الماكينة تجعل اصـــلاح الاخطاء المتنوعة مؤلما ٠٠ وشاقا ٠٠ فسيئا من العناية بالتصحيح كبعض العناية بالكتابة ٠٠ الى الامام ٠

فهـــرس

العدد الثانى　　مايو ١٩٥٩　　السنة الرابعة

هو الفن .. .. عن الأمناء ٨١
اتجاهات الادب فى عصرنا .. .. الاستاذ عبدالمنعم شميش ٨٤
أمام القانون .. .. فرانز كافكا ترجمة : محمد عبد الله الشفقى ٨٧

أزمة الشعر الجديد ـ ٢ ـ .. .. الاستاذ على شلش ٩٤
الى أرواح الشهداء .. .. شعر السيد / محيى الدين عطيه ١٠١
أغانى الغرباء .. .. شعر السيد / نجيب الكيلانى ١٠٢
رسالة الى فتى سجين .. روى ماك فادن ترجمة : عباس الشوربجى .. ١٠٤
أفراح القدح .. .. شعر السيد/محمد على الحضيرى ١٠٥
آى تشننج .. .. ترجمة : عبده بدوى ١٠٦

الشيطان شاطر .. .. قصة السيد / محمد المندى ١٠٧
القصة الشعبية ومكانتها فى الفولكلور .. الاستاذ ذكريا الحجاوى ١١٨

اتجاه التطور الادبى ـ ٢ ـ .. .. الاستاذ أمين الخولى ١٢٦
تعالى نرقص .. .. الاستاذ عدنان الداعوق ١٢٦
بريد الادب: بين اللغتين ١٤٠ ـ عتاب الشباب ١٤١ ـ الشعر ١٤٢ ـ النثر ١٤٣

دار المعارف للطباعة

الأدب

العدد الثالث نوفمبر ١٩٥٩ السنه الرابعة

دين ... وفن

؟؟ .. ؟؟

كتب الى « الأدب » سيد قارىء ، رسالة مطولة بتوقيع ١٠١ ، ولعل حرية رسالته الواضحة هى التى جعلته يرمز لاسمه ،ولا يعلنه .. وكانت «الأدب» تحب للسيد المرسل أن يوقع باسمه الصريح تأكيدا لحقه فى حرية الكتابة الناقدة .. وننشر هذه الرسالة هنا ، لانتقادها مقال « من الفن والحياة » المنشور فى العدد الماضى ـ ثم نعلق عليها بعد أن تكون أمام القارىء

قال السيد المرسل بعد الديباجة الموجهة الى كاتب المقال الذى يوقع « عن الامناء » « .. أظن انك تسمح لى أن أقول لك ـ بصراحة وحرية ـ ان مقالتك من الفن والحياة ، فى عدد مايو الماضى كانت كلاما عن الفن فقط .. ولم تكن كلاما عن الحياة يلزم أن يقال .. ولا أعرف ان كنت ستقوله فى مناسبة أخرى ، أو لا تقوله .. ولذلك فضلت أن أكتب اليك هذا الخطاب الطويل عن هذا الكلام لتنشره اذا وافقت عليه ، أو لتتعرض للموضوع على الطريقة التى تعجبك أنت ..

انك ـ يا سيدى العزيز ـ لم تقل فى مقالك المذكور شيئا عن الحياة ، واقصد الحياة الفنية ، فى الوقت الذى أهجت فيه الأشجان على ما فى الحياة حولنا من شجون فنية ، فلم يكن مقالك كافيا ولا شافيا .. واعذرنى اذا كان تعبيرى هذا شديدا فى نظرك فانى ـ على ما أذكر ـ قرأت لك شيئا صريحا عن تصديع وحدتنا اللغوية وما لذلك من تأثير فى تصديع وحدتنا الاجتماعية ، والثقافية فكيف لا ينبهك ذلك الى ما ذكرته فى عدد مايو عن الفن ومؤتمر الفنون، واشتراك الفتى الذى عرضت صورة حياته فى هذا المؤتمر، وفى شئونه الفنية والموسيقية بالذات كيف لم يذكرك هذا كله ومن حدثت عنهم من رجال شرق القاهرة وسفح المقطم بالمعنى الذى اكتب لك بشانه ، وهو تصديع حياتنا الفنية .. !! ولعل ما حصل لكمن نشوة بتقدير الفن ، بعد حربهم العنيفة له منذ أحد عشر عاما فقط هو الذى أخذ انتباهك كله ، ولم يلفتك الى ما دفعنى الى تحرير هذا الخطاب لك ، وهو ما فى حياتنا الفنية والاجتماعية من تصديع بل من تحطيم وتهديم ، بسبب الحالة التى

اشرت اليها واندهشت من اجلها فى رسالتك الاخيرة من الفن والحياة ، ولم يدفعك ما وصفته الى الشعور بأن اشباه هذا الذى وصفته ممن ينفردون بالتحليل والتحريم ، ويتخصصون فى الافتاء والارشاد ، والتوجيه لحياتنا وحياة غيرنا من الشعوب العربية والمسلمة ، انما يحدثون فى حياتنا ما أقلدك فى تسميته تصديعا لها من الجوانب الآتية :

اولا ـ ان هؤلاء الناس يربون آلافا مؤلفة من ابناء المستقبل ، على أساس قتل الاحساس الفنى فيهم ، بما لابد انك قرأته فى الجرائد من قول أحد الرؤساء منهم مبينا تحريمه للموسيقى فى النشاط التعليمى : يقولوا عليه رجعى رجعى ولا ازمرش .. فيقتلون بذلك الشعور الفنى فى عدد وفير جدا من رجال المستقبل .. حتى فى الأدب والبلاغة والنقد حين يعلمونها لهذه الألوف لا يسهل أن يشعروا بأى صلة ، أو ارتباط بين فن الكلمة وغيره من الفنون .. وأما ما رأيته من سوق بعضهم لشهود مؤتمر الفنون ، والموافقة المكرهة على شئون موسيقية فيه فانه لا يدل على شىء من التغير ، بل هو مما يسمونه التقية ، والمسايرة المضطرة ، مع الانكار بالقلب !! وحسبك أن المحكمة الشرعية حرمت طالبة من النفقة على أبيها لأنها اختارت الدراسة فى معهد موسيقى عال !!

فهل يجوز أن تستمر هذه الحالة فى شطر كبير من أبناء الأمة مع ما تبذله الدوله حولهم من جهد ونشاط فى انهاض الفنون جميعا !! او أن هذا تصدع فى حياتنا .. بل تصدع خطير

ثانيا ـ أن هذا المعسكر الكبير يقوم بأعمال ايجابية فى عرقلة الفنون ، وهى الهجمات المضادة على حياة الفنون كلها ، واظن أنك سمعت ـ ولم تنس ـ قصة مدرسهم صاحب الهواية الموسيقية ، واضطهادهم له ، وتشريده من أجل ذلك .. وهم يصبون فى آذان الناس فى مناسبات الارشاد والوعظ والتعليم الكراهية للفنون ، والاحتقار لها ، وتحريمها ، ويتهددون مرتكب هذا الحرام بنار جهنم ، بل وبأشد العذاب فيها ..

فهل يتفق هذا مع ما تبذله الدولة من جهد ونشاط فى انهاض الفنون جميعا !! أو أن هذا تصدع فى حياتنا .. بل تصدع خطير

ثالثا : أن هذا المعسكر بأعداده الضخمة ، وبتأثيره الروحى ، وتهديده المرعب يناوىء بموقفه من الفنون حركات الاصلاح الدينى الحديثة ، التى توفق وتلائم بين العقيدة والعمل فى الحياة العصرية ، وبمناوأة الاصلاح الدينى يسببون بلبلة فى الأفكار نحو صلاحية الدين لحياة العصر ، ويتجرأ الناس على مخالفة الدين والتدين علنا .. ولهم عند نفسهم العذر فى قسوة الواقع الذى تؤيده الحكومة بكل قوتها . واذكر لك مثلا من هذا ما كتبه المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

منذ أكثر من خمسين سنة ومعناه كما أذكره جيدا هو : أن التصوير شعر صامت والشعر تصوير ناطق ·· وهو كلام يصور لك رأيه فى الفنون ، ولكنك تقرأ فى الصحف اليوم بالخط العريض على عدة عواميد مثل قولهم : أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون ، فكيف يجد الناس الطمأنينة النفسية مع هذا الوضع ! وكيف يوفقون بين هذه التيارات المتضاربة ! وكيف تعمل الحكومة بيمينها ما تعمله فى سبيل الفنون وتشجيعها ، واكتشاف مواهب الموهوبين فيها ، وانشاء المعاهد والهيئات لها ، واقامة المعارض والمتاحف ، والمسابقات ، ومنح الجوائز ·· الخ ·· ألخ ، ثم هى فى الوقت نفسه تنفق الآلاف الهائلة على تعليم الذين يلقنون الناس تحريم هذا وسخط الله عليه ، ويحرمون متعلمه من النفقة على ما رويت لك !!

فهل هذا يتفق بعضه مع بعض ، ويخدم غرض الأمة والدولة فى انهاض الفنون !! أو هو تصدع فى حياتنا ·· بل تصدع خطير ·

رابعا : أن هذا المعسكر بنشاطه الداخلى والخارجى ، واتصالاته بالأقطار العربية الأخرى يعوق الوحدة النفسية والقومية التى تتوجه اليها حياتنا ، وتعتمد عليها سياسيا واقتصاديا وغير ذلك ، فان البعثات الكثيرة من تلك الأقطار التى نؤاخيها ، ونعمل للاتحاد معها تتوارد على مصر من أجل هذه الدراسة : وكذلك الوفود توفد من مصر الى تلك الأقطار للتعليم والتوجيه ، الذى يتجه كله الى ما عرفناه من الموقف نحو الفنون ، والرأى فيها والفتوى بشأنها ، والتصرف فى أهلها فتتأصل تلك الأفكار عنها ، فى الوقت الذى تتداعى فيه هذه الأمم الى الوحدة الثقافية ، والفنية التى تؤسس الوحدة القومية المنشودة ، والتى تمد الجميع بالقوة وتساعدهم فى مقاومة ما حولهم فى كل جانب من القوى المعادية ، الكائدة ·· وما أساس هذه القومية الا التفاهم الفنى ، والاحساس الواحد والأمل الواحد ·· ولا مصدر لشىء من هذا كله الا الفنون وحدها ، وهذا ما تعمل الحكومات والشعوب لأجله

فهل يتفق هذا مع جهود الحكومات والأمم فى سبيل الفنون ، والفنون قبل كل شىء ؟

أو أن هذا التناقض تصديع لوحدتنا المنشودة ·· بل تصديع خطير جدا ··

خامسا : أن هذا الجو يجسم فى حياتنا صورة من الخلاف بين الضمير والعمل ، حيث يعتقد هؤلاء اعتقادا ، وتعمل الدنيا حولهم ، على خلافه بنشاط وفير ، ثم لا يوفقون بين أنفسهم وبين ما حولهم من هذا كله ، بل يعلنون خلافه ، ويقررون خلافه ، ويفتون بخلافه ، ولا يفكرون فى حل هذه العقدة بصورة تريحهم وتريح الناس معهم ·· الخ

وسادسا .. وسابعا .. بل ثامنا .. وتاسعا .. مما لا يمكن ان يتسع لـه خطاب ولا أنا من أهل البيان الكافى له كله ..

وأظن أنك بهذه الأمثلة التى اجتهدت فى بيانها قدر الامكان وعلى قدر جهدى المتواضع قد فهمت الغرض الذى قصدته حين قلت لك — ولو فى لهجة غير لطيفة — انك فى مقالك « هو الفن » كتبت شيئا عن الفن ، ولم تكتب شيئا عن الحياة التى تتجسم فيها هذه الحالة ، واذا كان الأمناء الذين تكتب عنهم هذه الموضوعات « من الفن والحياة » هم كما يسمون أنفسهم مدرسة الفن والحياة فانى لذلك أكون معذورا فى أسلوبى ، ويكون لى الحق فى أن أكتفى بأقل من هذا البيان لتفهمنى وتفهم غرضى ، وتتناول هذا الموضوع تناولا يدعو الأمة كلها .. ويدعو هذه البيئة نفسها الى رفع هذا التناقض ، ولأم هذا التصدع ، واتخاذ موقف واضح متسق .. متحد الأهداف والغايات لتظفر الأمة من جهودها لانهاض الفنون بنتائج مناسبة لهذه الجهود .. ولا يعوقها مثل هذا التصديع الخفى ، ولا تضطرب النفوس ، وتتبلبل الأفكار ، وينجسم التناقض الذى يظهر كالحا فى حياتنا من الناحية الفنية والاجتماعية ..

وانى حين أدعوك الى العمل لمثل هذه الغايات لأرجو — مع ذلك — أن تعرض لنا حديثا مستنيرا حرا عن الدين والفن .. وموقف الاسلام من هذه الناحية الحيوية مع البعد عن الفتاوى والأقوال والمذاهب التى ربما تكون قد طرأت على الاسلام ، وعلى تفكير أهله لظروف وأسباب خاصة .. نريد يا سيدى بيانا فنيا عن الدين والفن — ومع هذه الاطالة التى وان كانت قد أملتك فانها لم تشف نفسى .. ثم انك كانت جريئة أيضا فانها لا تريحنى ولا تريح أمثالى الذين ينتظرون العمل ، لرأب هذا الصدع ، وارواء النفوس ببيان عن مكان الفن فى الدين .. وأخيرا تقبل .. الخ

———★★★———

نشرنا هذا الخطاب غير ناقمين شيئا من صراحته ، أو ما يسميه شدة ، ولا مستكثرين طوله ، بل راضين عنه .. بيانا لما أشار اليه مما سماه بحق تصدعا فى حياتنا يحتاج الى تعاون على علاجه من البيئة الدينية نفسها أولا ، ومن الهيئات العامة حكومية وغيرها ثانيا .. وانا لنعتبر نشر هذا الخطاب عملا أول كافيا ، الآن فى هذا السبيل ..

وأما البيان الفنى الذى يطلبه الكاتب فسنتحين له أول فرصة تسنح ان شاء الله .. وقد أملى علينا خطاب السيد الأديب عنوان المقال الذى نشرنا تحته هذا الخطاب وهو : دين .. وفن ، كما جسم لنا النواحى الرئيسية التى توجب على الامناء : مدرسة الفن والحياة الخوض فى مثل ما طلبه السيد المرسل عن مكان الفن فى الدين .. وما كللفا به من عمل فى هذا السبيل ان شاء الله

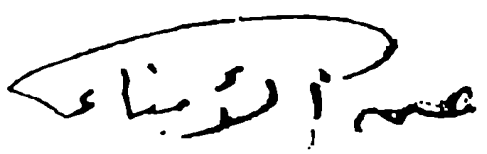

المسرح الأمريكي الحديث

كان من أوضح ما حدث فى عالم المسرح بعد الحرب العالمية الثانية هو ضعف مستوى المسرحيات الامريكية اذا ما قورنت بمسرحيات ما قبل الحرب • فحتى الحرب العالمية الاولى كان شعور أمريكا نحو أوروبا هو الاحترام والتقيد •

كان الكتاب بما فى ذلك هنرى جيمس ، يريدون تقليد النماذج الاوروبية ، ولكن فى الفترة ما بين ١٩١٨ و ١٩٣٩ تغير الموقف بين العالم الجديد والعالم القديم ، وبدأت أمريكا تتقدم فى النطاق الادبى والمسرح تماما كما بدأت تتقدم فى النطاق السياسى وبدأت المسرحيات الامريكية تستعيض عن حجرات الاستقبال التى امتازت بها المسرحيات الانجليزية بالبارات وأوكار العصابات ومكاتب الجرائد وذلك فى مسرحيات أونيل ، وكاوفخان ، واوديت ، رايس ، وشتاينبك ، واردى •

كان عالم هؤلاء الكتاب بدائيا وخشنا ولا يمتاز بأية شاعرية أو رقة ولكنه كان عالما له قيمته الخاصة وأهمها الهجوم المباشر والحيوية الصارخة •

وقد استمرت حيوية المسرح الامريكى خلال الحرب العالمية الثانية ومرت على برادواى فى الفترة ما بين هاربور واسقاط قنبلة نجازاكى فترة من أكثر فتراتها ازدهارا ولكن ••• سرعان ما انتهت تلك الحيوية وبدأ المسرح الامريكى فى الاضمحلال وبدأت المسرحيات الاستعراضية تظهر بدلا من الدراما •

واذا أردنا أن نشرح هذه الظاهرة فيجب علينا أن نرجع الى الاسباب السياسية والاجتماعية التى أثرت فى المجتمع الامريكى • ان سبب الازدهار الشديد فى المسرحية الامريكية فى الفترة ما بين ١٩٢٠ ـ ١٩٤٥ يرجع الى شعور الفخر الشديد الذى أحس به المؤلفون والجمهور الامريكى تجاه أمريكا •

فبعد الحرب العالمية الاولى بدأت أمريكا فجأة تظهر كقوة كبرى بل كأكبر القوى العالمية • وبدأت شخصيات المجتمع الامريكى تتبلور ممثلة فى رجل الاعمال صاحب الجسم الضخم وصاحب السيارة البراقة •• وفى الفلاح الامريكى والعامل ، بدأت هذه الشخصيات تبدو اذا ما قورنت بنظيراتها فى أوروبا ، لا كمجرد شخصيات خشنة غير مصقولة ، بل كرمز لطريقة حياة جديدة غنية مزهرة

بقلم : مرسى سعد الدين

وواثقة من نفسها ٠

ومسرحيات « الحيـــاة مع أبى » و « بلدتنا » تعد من نتاج قومية عاطفية تشعر بالسعادة والامن والثقـة ٠٠ وحتى المسرحيات التى كانت تنقـد بعض نواحى الحياة الامريكية ، مثل مسرحية شتاينبك « فيران ورجال » كانت تنتقد عن قوة لاعن عنف ، ولم تكن فى نقدها تحاول آن تبين أن ثمة هناك حضارة أحسن من الحضـارة الامريكية ٠ كان ذلك الفخر الـذى ساد أمريكا يشبه الى حدكبير ماحدث فى انجلترا أيام اليـزابيث والذى انتج أكثر المسرحيـات الانجليـزية حيوية ٠

وكان الكثير من ذلك الفخر أساسه الاعتقاد بأن أمريكا بلادثورية تقدمية وحتى قيام الحرب العالمية الثانية كان المواطن الامريكى يعتقد أن بلاده هى القائد فى نطاق التطور الاجتماعى ٠ لم ينس الامريكى آن اسـتقلال بلاده مبنى على القوة وأن « اعلان الاستقلال» وثيقة ثورية ٠ كانت تلك أشياء ذات معنى خاص له ، أعطتـه الحق فى أن يشعر انه فى طليعة التقدم الاجتماعى

ولكن منذ عام ١٩٤٥ بدا تغير كبير يحدث فى امريكا ٠ فقد بدات ترى أن ثورتها قد آخذت الاتجاه الخاطىء وانها لم تعد تعمل فى سبيل طريقة الحياة الامريكية المبنية على الثـورة والتحرر ٠ لقد انتال عالم الثورة من العالم الجديد الى العالم القديم ، ولم تستطع أمريكا حتى هذه اللحظة أن تعود نفسها على هذه الخسارة ٠ لقد صارت أمريكا التى قامت على الثورة من أكثر البلاد محافظة بل رجعية ولم تعد متأكدة من نفسها أو واثقة برسالتها فى هذا العالم ٠ وعنـدما كانت أمريكا ترى آن فكرتها عن الحق متصلة بالتيارات الثورية فى المجتمع كانت تشعر بالسعادة والثقة بقدرتها على الخلق ، أما الان بعد آن تغير الموقف وبعد أن اتبـع ساســتها طريقـا

استعماريا مضادا لاساس ثورتها فقد

بدأت تشعر بالقلق وعدم الثبات ٠

وقد شاهدت فى لندن مسرحيتين أمريكيتين تعبران تماما عن هذا القلق وعدم الاستقرار هما « موت البائع المتجول » و «عربة ترام اسمها اللذة» كان بول مونى الممثل المشـهور فى الاولى وقد استمرت ستة شهور فى لندن ٠

ان هذه المسرحية تشكك فى أسس الأخلاقيات الأمريكية ، وبطلهـا شخصية مألوفة ، تعكس المثل العليا الامريكية ٠ انه الرجل الذى يستطيع فى اخر كل عام آن يقيس تقدمه فى الحياة عن طريق احصاءات مضبوطة بالدولار والسنتيم ، لقد أخـذ آرثر ميللر هذا الرجل الذى يملأ الحيـاة الامريكية بصخبه وأناقته ٠

وكشف لنا ميللر حقيقته ، فهو ليس بالرجل القوى ، بل انه ضعيف حزين يستحق الشفقة والعطف ، وان

نهايته ، وهى فى نفس الوقت نهاية طريقة الحياة الامريكية ستكون المرارة وخيبة الامل وأخيرا الموت ٠

وتعد هذه المسرحية من أحسن ما جاء من امريكا بعد الحرب ، وبها فقرات استطاعت أن تصل بالمسرحية الى مستوى الشعر ، ولكنها كغيرها من مسرحيات تلك الفترة ، ليست الا مجرد نقد سلبى ، ولا تعكس أية قوة خالقة ايجابية ، انه يعكس فى هذه المسرحية طبيعة البائع المتجول وكما يقول صديقه تشارلى :

« كان ديك بائعا ٠ وللبائع لا يوجد أساس قوى للحياة ٠ انه ليس بالعامل ولا برجل القانون أو الطبيب ٠١ نه رجل يعيش فى الفضاء معتمدا على ابتسامته وحذائه اللامع ٠ وعندما لا يبتسم له الناس يحدث الزلزال ٠٠ ان البائع يجب أن يحلم ، ان أحلامه جزء من حياته ٠٠

وبين المؤلف أيضا مدى قسوة الحياة فى المجتمع الامريكى على أبنائه فهم يعيشون حياة قاسية خادعة ٠٠ سطحيتها تختلف عن أعماقها ، حياة ليس للرجل الصغير فيها مكان ٠٠ ومن أحسن أجزاء الحوار فى المسرحية ما يجىء فى آخر الفصل الاول حين تحاول زوجة ويللى أن تدافع عنه ٠

لندا : انى لا أزعم أنه رجل عظيم ٠

انه ويللى لومان لم يكسب المال الكثير ٠ واسمه لم يظهر مطلقا فى الجرائد ٠ واخلاقه ليست بأحسن أخلاق فى العالم ٠ ولكنه انسان ٠ وهناك شىء فظيع يحدث له الآن ، ولذلك يجب أن نرعاه ٠ لا يجب أن نتركه يقع فى قبره كالقلب العجوز ٠ يجب أخيرا ان نهتم بمثل هذا الرجل ٠ لقد وصفته بالجنون

بيف : لم أقصد ٠

لندا : لا ٠٠ هناك الكثيرون الذين يعتقدون أنه فقد ميزان عقله ٠ ولكنك لا تحتاج الى أية مهارة لتعرف ماذا أصابه ٠١ انك منهك

هابى : لا شك ٠

لندا : ان الرجل الصغير يحس بالانهاك تماما كالرجل العظيم ٠

* *١ *

ومسرحية تنيسى ويليامز « عربة ترام اسمها اللذة » تعكس أيضا التعب والانهاك والحزن وروح الهزيمة التى تميز الحياة الامريكية الحديثة ٠ ان تنيسى ويليامز يتحدث عن الجنوب ٠٠ الجنوب المنهزم الذى طغت عليه فلسفة الشمال ٠ ان الجنوب فى هذه المسرحية يمثل الجزء البائس المنحل الذى يعيش بلا أخلاقيات وبلا حيوية وبلا تماسك ، الجنوب الذى يتعلق كالاعمى أو كالسكران بتلك الاسس العليا التى يحتقرها أهل الشمال ٠ ففى أحد احياء « نيو ايرليانز » الفقيرة لا تزال بلانش دى بدا تشعر بالحنين الى السلوك الحسن ، لا تزال تتأثر بأعمال الشفقة ٠ ان تنيسى ويليامز

يرى ان امريكا لا تستطيع ان تجمع بين الثقافة والخلق الطيب • انه يرى أن المعركة مفقودة ، فقد قضت قوى الشمال المتوحشة على القوى الضعيفة الحساسة المتدفقة والتى لم يعد امامها الآن الا الشراب والخلاعة • ان قلب المؤلف مليىء بالشفقة ، الشفقة الجميلة أحيانا والقاسية أخرى، ملىء بحب الرقة والدعة ، وهى أشياء يبكى عليها دون أن يبدو فى كتابته أى أثر من الأمل فى عودتها •

والآن تأتى الى مسرحية هامة فى تاريخ المسرح الامريكى ، انها تنتمى الى فترة ما بين الحربين ، وبالتحديد الى فترة الركود العالمى حين سادت البطالة فى امريكا وبدأ الشعور الطبقى فى الظهور • ويطلق النقاد على مسرحيات هذه الفترة « مسرح الوعى الاجتماعى » وكان كتاب هذه الفترة متأثرين برجل المسرح الروسى ستانلافسكى وبالاشتراكية وكانت كتابتهم مباشرة تعكس احساسا عميقا ودراية بالمشاكل الاجتماعية • ومن أشهر كتاب هذه المدرسة ألبرت مالنز مؤلف « السلام على الارض » ، وهى المسرحية التى تهاجم صانعى الذخيرة الحربية ومؤلف « المنجم الاسود » التى يعالج فيها حياة عمال المناجم ، ومنهم أيضا جون هوارد لوسون مؤلف «اغنية المسير»••ومنها ما يعالج مشكلة أسرة اضطرت الى الحياة فى بناء مصنع غير مستعمل لانهم طردوا من بيتهم بسبب آراء الاب التقدمية • ومحور المسرحية اعمال التهديد التى يلجأ اليها صاحب العمل للقضاء على الاضراب فى المصنع والتى لاتقف حتى عند حد القتل والاغتيال •

وروبرت أردرى مؤلف « صخرة الرعد » ينتمى الى هذه المدرسة ، وكانت اولى مسرحياته «كاس جونز» تعالج مشكلة العمل والعمال • وفى عام ١٩٣٩ كتب مسرحية « صخرة الرعد » ولكنها لم تلاق النجاح المنشود فى امريكا بل ان النقاد حاولوا أن يحطموها ، وعندما عرضت فى لندن ثم عرضت بعد ذلك فى اوروبا لاقت نجاحا منقطع النظير • وتعكس المسرحية مقدرة خارقة فى الرؤيا العميقة وفى محاولة الكاتب الربط بين ظلال الماضى والحاضر والمستقبل •

وموضوع المسرحية هو الحرب وهروب بطلها الى الفنار النائى ليبعد عن المجتمع فما كاد يتغلب على الازمة الناشئة من حرب ، الا وقد بدأ يفكر فى حرب أخرى • وفى هذا الفنار يعيش البطل مع شخصيات الماضى ممثلة فى ركاب السفينة الغارقة •

وهو بذلك يحاول ان يربط بين هؤلاء المسافرين الذين تركوا اوروبا مهاجرين الى الدنيا الجديدة محملين بالآمال فى المستقبل وبالآم الماضى فهناك العامل من برمنجهام الذى يمثل الطبقة المسخرة التى تعيش بلا

امل والتى يموت أفرادها من سوء التغذية وكثرة العمل . وهناك الطبيب الذى يهرب من الجهد بعد أن كان قد أوشك على اكتشاف المخدرات فى فيينا ولكن الجمهور يصفه بالسحر والشعوذة فيضطر الى ترك بلاده والهجرة الى هذه الدنيا الجديدة . وهناك العانس التى لم تستطع الزواج فى انجلترا فجاءت ساعية وراء زوج فى هذا العالم الجديد ، كل هؤلاء غرقت بهم السفينة وغرقت معهم آمالهم ، وان كان المؤلف يشككنا فيما كانوا سيجدون فى انتظارهم فى العالم الجديد .

★ ★ ★

وتعد هذه المسرحية من الناحية الفنية محكا للاخراج بل انها تستعمل فى معظم معاهد التمثيل للتدريب على الاخراج .

فالحياة فيها على مستويين ، مستوى الواقع ممثلا فى حارس الفنار وفى صديقه الطيار ومفتش الفنارات وطاقمه ، ومستوى الخيال كما يعكسه ركاب السفينة الغارقة . هناك الماضى ذو المائة عام والحاضر والمستقبل . وجميعها مركزة على خشبة المسرح . فالمؤلف يعطى الازمنة الثلاثة وحدة متشابكة ، فالانسان يناضل طول حياته فى سبيل الوصول الى هدف معين ، هو السلام والرخاء . وما قيام الحرب مرة بعد الاخرى سوى الدليل الظاهر على أن الانسان لم يستطع حتى الان أن يحقق هذا الهدف . فلو أن الانسان القديم حقق هذا الهدف لما قامت الحروب بعد ذلك . هذه هى فلسفة اردرى وهى تعكس رأى المفكر الحر ، ولكنها فى نفس الوقت تعكس حيرته ، فهو يعرض لنا المشكلة عرضا جديدا مؤثرا ولكنه لا يعطى لنا الجواب ، فصديق تشارلستون تسقط طائرته فى القتال مع الصينيين ضد اليابانيين ، ولكن هذا لايحل مشكلة الحرب ، وتشارلستون نفسه يقرر أن يذهب كصحفى ليكتب عن الحرب الثانية وليشاهد انهيار الحضارة .. والمسرحية تنتهى بنغمة متشائمة .. هى نفس النغمة التى نسمعها فى هذه الايام حين اشتد الحديث عن الحرب انها نغمة تذكرنا بما قاله الكاتب الفرنسى جوليان جرين عم ١٩٤٦ وهو يصف الجو الذى ساد العالم منذ انتهاء الحرب الثانية .

ان هناك حديثا يدور عن التسابق فى التسلح ومن شأنه أن يبدأ حربا جديدة بعد خمس أو عشر سنوات . وعندما أقرأ مثل هذا الحديث فانى أعجب مما يجعلنا نتعلق بهذا العالم ان مستقبلنا لا يقدم الينا الا الحرب أو الثورة ، وذلك حسب ما تنشره الشائعات اليومية التى أراقبها دون أن اعرف حقا هل أصدقها أم أنكرها هناك شبح يجثم علينا جميعا .. ومعنى بذه كتاب جديد هو نحن نضع فى المستقبل ثقة لا يستحقها .

المسرح عند شوقي

بقلم: رجب البنا

عبقرية شوقي متسعة رحبة ، متعددة الجوانب ، منطلقة أبدا الى فسيح الآفاق . فهو لم يقنع بان يكون بين شعراء العربية أميرهم ، ولم يقنع بان يبلغ شعره الغنائي غاية من الجودة والغنى ، وانما يختار لنفسه أن يكون رائدا الى مجالات جديدة تعد فتحا للشعر العربي .

وأقصى مراحل النضج الفني بالنسبة للشعر هي المسرحية ، فهي تحتاج الى مرونة بالغة ، وقدرة ممتازة على تطويع الاسلوب الشعري للبناء المسرحي ، وتستلزم أيضا قدرات متفوقة في التخيل ، ورسم الشخصيات والتسلسل بالاحداث والمواقف الحسية والنفسية في نطاق التصميم المسرحي

ومن هنا نستطيع أن نقول ان شوقي الى جانب كونه عبقريا بالنسبة لانتاجه الرائع في الشعر الغنائي ، فهو رائد جليل سلك بالشعر العربي ، ولاول مرة ، سبيلا جديدا نحو آفاق أكثر رحابة واصالة ، تحتاج الى الجهد العبقري الفذ .

ولقد تهيأت لشوقي الاسباب ليكون فاتح هذا الميدان الجديد ، فقد أتيحت له فرصة الالتقاء المباشر مع روائع المسرح العالمي حين كان في فرنسا التي أوفده توفيق اليها ليدرس القانون والآداب الفرنسية ، وهناك التقى في مسرح الكوميدي فرانسيز بالأعمال الكلاسيكية الخالدة خاصة ما سي كورني وراسين وفولتير .. وملاهي موليير ، وليطلع على نتاج الحركة التأليف المسرحي الخصبة في فرنسا . وليرى مدى اهتمام الفرنسيين بالمسرح وتفوقهم في ميدانه وتقديرهم لرجاله .

ولقد اتسعت ثقافة شوقي بعد ذلك وعمقت ، وانفسح مجالها ، فتناولت مسرحيات شيكسبير وجيته وغيرهما من أعلام المسرح الشعري . وظهر تأثره بشكسبير خاصة في مسرحيته الاولى «مصرع كليوباترة» فثمة تشابه بينها وبين مسرحية « انطونيو وكليوباترة » لشكسبير في منظر لقاء كليوباترة وانطونيو ، ومنظر موت انطونيو ، وكذلك منظر موت كليوباترة

وحين قامت ثورة الشعب في سنة ١٩١٩ كان من نتائجها ان تبلور الرأي

العام ونضج ، وسرت فيه روح المطالبة بالاستقلال والحرية السياسية ، ثم وجدت الاحزاب ، وظهر المطالبون بالاصلاح الاجتماعي والسياسي والأدبي وظهرت مشروعات للاصلاح في التعليم والمشروعات الاقتصادية ، وزاد اتصال مصر بالحضارة الغربية ، وظهرت طبقة من الكتاب الذين تثقفوا بثقافتها وأغنوا بروافدها تيار الثقافة العربية .. أثرت كل هذه العوامل دون شك في شوقي ، فكان من أثرها أن عاد شاعرنا الى صفوف الشعب ، والتأم معه ، واتصل بقضاياه ، فكان من الضروري أن ينطلق الى المسرح باعتباره فنا للجماهير ، عن طريقه يستطيع أن يتغلغل في الوجدان الشعبي ، ولبجعل من المسرح مركزا من مراكز التعبئة القومية .

ولعلنا لا نغفل دور النقد حين نحاول استقصاء العوامل التي دفعت بشوقي الى الكتابة للمسرح ، فلقد اشتدت عليه حملة النقد تطالبه بالا يكون امتدادا للمتنبي والمعري فحسب وانما عليه ، اذا اراد أن يقول ، أن يساير العصر وان يخطو بفن الشعر خطوة نحو التطور والرقي ، فيخرج به عن الاغراض التقليدية من مدح وفخر ورثاء وهجاء .. كان طه حسين والعقاد يقسوان عليه ، وكانت حملة التجديد التي قادها المازني والعقاد ذات أثر عميق جعلته يبحث عن مجالات جديدة للابداع والتفوق .. واصبح مسئولا منذ ولي اميرا للشعراء أن يحقق للنقاد آمالهم ، والا يخيب رجاءهم فيه .

على أنه حين ولج باب المسرح لم يستطع أن ينتقل اليه طفرة واحدة ، فقد حمل معه في البداية تقاليد فنه القديم ومقوماته حتى لنرى شعره في بعض الاحيان مقطوعات غنائية اكثر منه حوارا مسرحيا ، ونستطيع أن نعطي مثلا على ذلك من مسرحيته « مصرع كليوباترة » في المشهد الذي يعلم أنطونيو فيه بانتحار كليوباترة ، فنراه ينطلق في حديث طويل مسرف في الطول يستغرق اربع صفحات ونصف ، وبالتحديد يبلغ ٥٦ بيتا ، فهو اشبه بقصيدة من الشعر الغنائي منه بالحوار المسرحي الذي يتبادله ابطال المسرحية . ولم يكن انطونيو وحده حين يتحدث هذا الحديث الطويل وانما كان معه المبوس الطبيب الذي انباه بالانتحار ، ومعه أوروس تابعه ، ومن غير المعقول أن يظل هذان صامتين طوال هذا الوقت الذي يستغرقه نشيد انطونيو الذي يبلغ ستة وخمسين بيتا ، فان هذا يعني ان تقف أحداث المسرحية ، وتتجمد . وتكف عن النمو والتدرج لتصل الى قمة الأزمة وكذلك نلمس الطول المسرف في الحديث الذي يناجي به انوبيس كبير الكهان الأفاعي فقيمته ليست ذات بال في نمو الأحداث المسرحية . وكذلك الشان في كثير

دن مواقف هذه المسرحية ، وفى مجنون ليلى ، وفى غيرهما . هذا الاسراف أدى بالشخصيات أحيانا الى نوع من الجمود والتفكك ، وأفقدها الكثير من حيويتها .. هذه الظاهرة وان وضحت فى كليوباترة ومجنون ليلى فقد أخذت تختفى حدتها فيما بعد فى مسرحية «قمبيز» وما بعدها ، مع ازدياد خبرته المسرحية حتى أوشكت أن تتلاشى .

* * *

يقول الاستاذ العقاد : « هذه الروايات التى نظمها شوقى خلت من الشخصيات ، والتبست فيها ملامح الأبطال أيما التباس ، مع أنها كلها أو بعضها تاريخية ليس فى تحضيرها وتصويرها فضل كبير بالنسبة الى فضل الانشاء والابداع . »

والاستاذ العقاد محق الى حد ما . فالشخصيات عند شوقى كثيرا ما تصطدم اصطداما حسيا ولكن دون أن يبين حقيقة الصراع النفسى الذى تعانيه ، رغم أن شخصياته مليئة بالتعقيد ، ومأساتها انها تعيش أزمات نفسية حادة ، وواقعة بين منطقتى جذب شديدتى الأثر . فليلى تعانى من الصراع بين حبها لقيس وبين حرصها على التقاليد البدوية المتوارثة ، وكليوباترة تعانى من الصراع بين حبها لأنطونيو ، وواجبها نحو وطنها وشعبها وتنتصر التقاليد على ليلى ، وينتصر الوطن على كليوباترة ، ولكن شوقى لا يعمد الى التحليل النفسى العميق للشخصية والموقف ، ولا يكشف لنا الا على أقل عمق ، فلا يبين حقيقة الصراع الهائل الذى يكون الخط الأساسى للعمل الدرامى فى المأساة .

الاستاذ العقاد محق الى حد ما ، فالمسرحية الشعرية ليست مجرد حوار يدور بين أبطالها شعرا ، ولكنها حدث مسرحى ينمو ويتطور ، وشخصيات تنمو من خلال تفاعلها مع الأحداث ومع غيرها من الشخصيات ولذا فلا بد من أن ترسم الشخصية بدقة وبراعة ، ولكن فى بعض مسرحيات شوقى الأولى نجد بعض الشخصيات الهامة باهتة ، أو مهزوزة أو غير كاملة التحديد ، وأحيانا نجد فيها تناقضا يؤدى بها الى الاضطراب والتفكك . والتناقض فى حقيقته هو القوة الديناميكية التى تدفع الشخصية الى النمو فى اطارها المسرحى ، حين يكون التناقض واضحا محددا ، ولكننا نرى فى بعض مسرحياته — لا كلها — أن الشخصية ضعيفة البناء . ولنتخذ لذلك مثلا كليوباترة ، فنحن لا نعرف محور شخصيتها الأساسى ، فهى حينا وطنية مخلصة تؤثر مصلحة الوطن على كل ما عداه ، ونراها تتخذ من حب أنطونيو لها سبيلا للنفاذ الى اغراضها بل نراها فى بعض المواقف لا تحب أنطونيو حقيقة ، ولكنها مضطرة لأن تصانعه ، ولا ترى بأسا من أن تخدعه فى موقعتين . فهى تخدعه بحبها . ولكن فى مواقف

اخرى نراها تحبه أكثر مما يحبها ، ويبدو وكأنه سيدها المسيطر عليها قد أذعنت له وضحت بوطنها من أجل حبها له . ولا نعرف على وجه التحديد أهى وطنية تصانع أنطونيو بالحب لصالح الوطن ، أم هى محبة أعماها الحب حتى لترضى أن تضحى بوطنها من أجل الحب .. ؟

لابد من محور أساسى للشخصية يدور حوله الصراع . ويظهر هذا الخلط حين نحاول أن نعرف :

لماذا انتحرت كليوباترة ؟ نراها تقول لأنوبيس الكاهن الأكبر :

أبى لا العزل خفت ولا المنايا
ولكن أن يسيروا بى سبيا
أيوطأ بالمناسم تاج مصر
وتمت شعرة فى مفرقيا

فندرك أنها آثرت الموت على عار الهزيمة . وهى تحس بالضعف الانسانى وتوشك أن تتردد ، ولكنها تتماسك ، وتتغلب على ضعفها حين نسمعها تقول :

وان تك بى خشية النساء
فلى جرأة الملكات الكبر

فهى اذن تؤثر ان تموت ملكة على ان تعيش سبية لجيش اكتافيوس . والصراع قائم فى نفسها بين حرصها على كرامتها كملكة ، وبين حبها الطبيعى للحياة ، يتبين هذا من قولها :

بروحى وان لم تبق منى بقية
صغار ورائى ذوق اليتم لوح
أذوب لبلواهم ، وأعلم أننى
حملت عليهم ما يجل ويفدح
وقد أشتهى عيش الذليل لأجلهم
فلا المجد يرضى لى ولا النبل يسمح

فهذا صراع طبيعى ، ومقبول ، تتأكد لدينا نتيجته حين نراها تقول وهى تتناول الأفعى :

يا موت ، أنت أحب أسرا فاسبنى
ولا تعط روما والشيوخ عقالى

ويغدو هذا السبب يقينا حين نسمعها تقول :

أأدخل فى ثياب العز روما
وأعرض كالسبى على الرجال
وأحدج بالشماتة عن يمينى
ويعرض لى التهكم عن شمالى
وألقى فى الندى شيوخ روما
مكان التاج فى فرقى خالى
وأغشى السجن تاركة ورائى
قصور العز والفرق الخوالى
وتحكم فى روما وهى خصمى
وتسرف فى العقوبة والنكال
يرانى فى الحبائل مترفوها
وقد كان القياصر فى حبالى
اذن غير الملوك ابى وأمى .
وغر طرازهم عمى وخالى
سانزل غير هائبة اذا ما
تلمظت المنية للنزال
أموت كما حييت لعرش مصر
وأبذل دونه عرش الجمال
حياة الذل تدفع بالمنايا
تعالى حية الوادى تعالى

فالكبرياء اذن هى الباعث على

الانتحار ، ولم يعد لدينا شك فى انها لم تمت الا لأنها تحرص على ان تظل محتفظة بكبريائها وكرامتها ، وهى لا ترى داعيا لمواصلة الحياة ما دامت ستصبح خاضعة ذليلة تحكم فيها روما وتسرف فى العقوبة والنكال . واذن فقد خفتت كل عناصر الصراع، وانتهى التجاذب فى نفسها الى قرار بعينه ـ الانتحار ـ لسبب بعينه ـ الترفع عن ان تكون سبية لروما .

ولكن بعد قليل نرى شوقى يعرضها لنا وكأنها آثرت الموت لسبب آخر ، كأنها انتحرت من اجل انطونيو ومن أجل حبه ، فهى تموت لتلتقى به ، ولأنها لا تستطيع أن تعيش بعده ، فنسمعها تقول لوصيفتيها :

يا ابنتى ودى علما
زينانى للمنية
غلانى طيبانى
بالأفاويه الزكية
البسانى حلة تعجب
م- أنطونيو سنيه

فحين ننتظر أن يكون نشيدها لمصر التى ماتت من أجلها ، نشيد الملكة التى آثرت أن تموت على أن ترى وطنها موطئا لأقدام أعدائه ، ولا باس من ان تذكر بعد ذلك انطونيو ، رغم ان علاقتها السابقة ـ كما عرضها شوقى ـ لا تجعلنا نقتنع بان حبها له كان صادقا !!

علم شوقى انه شاعر قبل كل شىء وان المسرح لم يكن له الا مجالا جديدا لشعره ، أما التصميم المسرحى الدقيق والبناء المسرحى الجيد ، ورسم الشخصيات بدقة واحكام ، فلم يكن قد اعد نفسه له ، ولا كانت ثقافته وجمهوره وظروف عصره تساعد على كل ذلك ، وبخاصة ان أحدا لم يسبقه فى هذا الميدان ليستفيد من تجاربه ويضيف اليها ، وانما كان يشق طريقا جديدا كان هو اول مرتاده

وبالنسبة لطغيان النزعة الغنائية فى بعض مسرحيات شوقى بحيث ينقلب الحوار احيانا الى مجموعة من القصائد ينشد كلا منها احد الممثلين فلا نستطيع ان ننسى ان شوقى كتب للمسرح بعدما كتب الشعر الغنائى اربعين عاما فعانى صعوبة ليست قليلة فى تطويع شعره للأداء المسرحى ـ والحقيقة الثانية ان مقطوعات بعينها كانت تنظم لتلقى غناء فى المسرحية وكانت تحظى حينذاك باعجاب الجمهور واستحسانه بغض النظر عن قيمتها فى تطوير الحدث المسرحى ونموه . والحقيقة الثالثة ان شوقى لم يكن مزودا بتجارب فى هذا السبيل ،فبينما نرى النزعة الخطابية فى مسرحيات عزيز اباظة توشك ان تكون معدومة لا تراها كذلك عند شوقى ، لأن عزيز اباظة استفاد من خبرة شوقى ومن تجاربه ، اما شوقى فقد تحمل مسئولية ارتياد طريق جديد لم يسبقه اليه احد فى الشعر العربى على ان هذه المآخذ اخذت تتضاءل

فى الاعمال الاخيرة التى اصبحت اكثر حرصا على القيم المسرحية الفنيـــة ، واصبحت أكثر عمقا فى التصـــوير والتشخيص والدلالة ، وبدا فيهـــا الجهد الذى بذله ليكيف شـــعره للاغراض المسرحية ،فقلت فيها النزعة الى الاسترسال الغنائى ، وازداد الحوار مرونة وقدرة على الايحاء ، وصـاحب هذا تطور جديد فى ازدياد العنـــاية بصور الصراع النفسى فى الشخصيات والحوادث الناجمة عن طبيعة التطور الذاتى للموضوع • نلمس ذلك فى قمبيز ، وعلى بك الـكبير ، والست هدى • وقد بذل شوقى مجهودا جبارا خلال السنوات الاربع الاخـيرة من حياته حتى بلغت أعماله درجة طيبة من النضج والاجادة تجلت فى مسرحيتـه الاخيرة « الست هدى » التى تبدو فيها حيوية الحركة ،ومرونة الحوار، والاجادة فى رسم الشخصيات النابعة عن حقيقة الواقع المعاصر •

* ★ ★

وأمامنا الآن سؤال هام طالما تردد : لماذا اختار شوقى موضوعات مسرحـه من التاريخ ، ولم يلتقطها من الحيـاة الجارية بين يديه ليسهم بمسرحه فى عملية النقد الاجتماعى وتعميق الوعى وحفز النفوس على التقدم والتـــرقى والانتصار ؟

لن نستطيع ان نجد جوابا بعينـه حين نطرح هذا السؤال ، فثمة اسباب متعددة تضافرت لتنجه بشوقى الى اختيار شخصيات وعصور واحـداث تاريخية لمسرحه •

السبب الاول :أنه يكتب مسرحياته شعرا ، والشعر اصـــــلح ما يكون للتعبير عن الابطال والمـــــلوك ، والشخصيات التاريخية والاسطورية، ولكنه يجافى الصـدق اذا اصار لغـة للشخصيات المعاصرة التى نشهدهـا والتى تفقد جلال التاريخ وعظمة القدم فالمسرح الواقعى الذى يتخذ مادته من الواقع الحى المعاصر ، يتخذ اسلوبه أيضا من الواقع الحى المعاصر ليتـم التكامل والانسجام بين الشـــكل والمضمون فى العمل المسرحى ، أمـا ان تأتى بشخصيات عادية من حياتنا ونجعلها تتكلم بحوار منمق اختيـرت الفاظه بدقة وعناية بالفن ، فان هـذا يفقدها واقعيتها من ناحية ، ويحدث ـ من ناحية اخرى ـ تخلخلا فى البنـاء المسرحى العام • فنستطيع أن نقول ان الاسلوب الشعرى هو الذى جعـــل موضوعات التاريخ اقرب اليـه ، أو بعبارة اخرى : ان الشـكل هو الذى حتم المضمون بالنسبة لشوقى

السبب الثانى : ان التاريخ يعطى مادة جاهزة للكاتب المسرحى المبتدى• فمهمته فيه ليست الانشاء والابداع بقدر ما هى فى الاختيار والتنسـيق والتصرف بحيث تلائم هذه المـــادة الجاهزة ضرورة العـرض المسرحى • وحين اراد شوقى ان يكتب للمسـرح كان من الطبيعى ـ وهو لم يعد نفسه

له ـ أن يتخذ موضوعات أعماله الاولى من التاريخ ، فكليوباترة ومجنون ليل وعلى بك الكبير وغيرها قريبة المأخذ من مصادرها التاريخية ، بل لقد استفاد فى مسرحيتيه الاوليين بنظيرتيهما عند شكسبير،ومن السهل أن نجد أوجه تقارب بين مصرع كليوباتره ومجنون ليل لشوقى وبين انطونيو وكليوباتره وروميو وجولييت عند شكسبير

السبب الثالث : ان شوقى تأثر بالمسرح الكلاسيكى الفرنسى والانجليزى فانفعل بمسرحيات كورنى وراسين ، وشكسبير بصفة خاصة ، ومسرحياتهم فى أغلبها مستمدة من التاريخ وتدور حول الأبطال والملوك والشخصيات الأسطورية

السبب الرابع : ان شوقى ربما كان قد استهواه من المسرح الانجليزى السلسلة التاريخية القومية التى نظمها شكسبير فى تاريخ بلاده القومى مثل : الملك هنرى الرابع ، وهنرى الخامس ، والملك لير ، وغيرها

السبب الخامس : يورده الدكتور محمد مندور مؤداه أن شوقى انما لجأ الى التاريخ ليظهر بغض نواحى العظمة فى تاريخنا القومى

واخيرا فليست كل مسرحيات شوقى تاريخا ، فلقد تنبه هو نفسه الى اهمية انتزاع موضوعات لمسرحه من احداث الحياة الجارية فى عصره ، وبدأ بمسرحية « الست هدى » ولكن العمر لم يمتد به طويلا ليتابع السير فى هذا الطريق الجديد الذى اهتدى اليه نتيجة لتطور تجاربه المسرحية ، والتصاقه اكثر بواقع مجتمعه

على اننا لا نستطيع أن نقول ان شوقى قد انعزل عن واقع مجتمعه حين عاش مع التاريخ ، فنحن نرى فى كثير من مسرحياته لمسات تمس من قريب الحياة المصرية فى ذلك العهد ، وفى مسرحية واحدة هى «مصرع كليوباتره» نراه يتجه الى الشعب يبصره بالخداع الذى يسوقه ، والاكاذيب التى تساق اليه عن الاستقلال ، وعن تحقيق الرخاء والنهضة الاجتماعية ، يريد أن يقول للشعب تيقظ ، وافتح عينيك ، ومحص كل ما يلقى اليك من أقوال ، وتلمس وجه الصواب فيها فطالما ضلل الملوك شعوبهم من قبلك ، وعلى لسان حابى يقول شوقى لشعب مصر :

اسمع الشعب ديون
كيف يوحون اليه
ملأ الجو هتافا
بحياتى قاتليه
أثر البهتان فيه
وانطلى الزور عليه
يا له من ببغاء
عقله فى أذنيه

وشوقى فى نفس المشهد يصرخ فى الناس ، فى عهد فؤاد :

أترضى أن يكون سرير مصر
قوائمه الدعارة والبغاء

وفى المشهد نفسه ايضا يصور لنا

الوانا من المنافقيـــن الذين ينشرون قلوعهم دائما مع كل تيار ، ويخضعون لكل سيد . هذا النموذج الذى انتشر فى البيئة المصرية فى هذا العصـــر . فنسمع امين المكتبة يهتف لكليوباتره :

تمنيت رأســـــين لا واحدا
اذا مست الأرض هام الرجال

فنسمع أنشو يقول عنه :

أما يفنيه عن رأســـين
ـم ـ رأس فيه وجهـان
فحينـا هـــو مصرى
وحينـــا هـــو يونـانى
وفى مجلـــس يوليوس
وأنطونيـــوس رومـانى
وان لاقى أغـــا القصر
فنـــوبى وســـودانى

فكم من صاحب رأس فيه وجهـــان عاش فى هذا العصر ولا يـزال يعيش بيننا الى اليوم ؟

والشواهد كثيرة مبثوثة فى ثنايـا مسرحيات شوقى تدل على أنه لـــم يتهرب من معالجة الواقع ، ولم يتهرب من واجبه ازاء الشعب ، وانما قام به عن طريق مباشر فى شعره الغنائى ، وعن طريق غير مباشر فى مسرحياته . ويكفى أن يعرض للناس مباذل الملوك وكيف يجر هواهم على الشعوب الهول والدمار ، ويعرض طغيان التقاليـــد بالناس حتى تهلكهم ظلما ، الى غيرهما من القضايا المعاصرة التى لفها شوقى فى غلالة من عصور مضت ، ولكنهـا تصور جوانب انسانية حية باقيـــة دائمة . وهو يعالج ـ الى حـــد ما ـ مشكلات العصر من خـــلال احداث مسرحياته التاريخية

◆ ◆ ◆

بقى أن نتعرض لقضية أخرى تثيرها مسرحيات شوقى ، فبعض النقـــاد يعيبون على شوقى عدم التزامه لحرفية التـــاريخ . ففى مسرحية مصرع كليوباتره مثلا نرى شوقى يغير بعض الاحداث التاريخية ، فقد ذكر التاريخ أن كليوباتره انما فرت بأسطولها من اكتيوم غدرا منها بأنطونيو بينما يصور شوقى هذا الفرار على أنه كان وفـق سياستها فى أن تدع أنطونيو وحده فى الميدان مع أكتافيو دون أن تتدخل لصالح احدهما لكى تضعف الحـرب جيشيهما معا وتظل هى محتفظـــة بقوتها وجيشها . وليس فى التاريخ ما يدل على أن كليوباترة فرت بجيشها من واقعة الاسكندرية البرية ، ولكن شوقى يقرر لنا انها فـــرت فى هذه الموقعة تمشيا مع سياســـتها هذه ـ وذكر لنا التاريخ أن كليوباتره بعثت الى أنطونيو من يخبره انها انتحرت ، ولكن شوقى جعل أنطونيو يعلم نبأ انتحارها عن طريق المبوس وهـــو طبيب رومانى فى بلاط كليوباتـره ، ينبئه بانتحارها دون أن توفـــنده كليوباتـــره ، ودون أن تكون قـد انتحرت حقيقة ، ولكنها خدعة أقـدم عليها المبوس بعدما خان كليوباتـره

وانطونيو معا وانضم الى معسكر اكتافيوس .

هؤلاء يعيبون على شوقى تدخله لاضافة او اغفال احداث تاريخية او اعادة تفسيرها بوجهة نظر تخالف ما ورد فى مصادر التاريخ . ولكن الفنان من حقه ـ دون شك ـ ان يتصرف فى احداث التاريخ على النحو الذى يجعلها ملائمة للعمل الفنى ، وبحيث توائم القواعد والاصول التى ينبغى مراعاتها فى البناء المسرحى ، وربما ليعلن وجهة نظره بالنسبة لتصرفات الشخصيات التاريخية وبالنسبة للاحداث نفسها . فالدقة والحياد من شأن المؤرخ الدارس لا الفنان الخالق وغاية ما يطلب من الفنان الا يعبث بالتاريخ الى الحد الذى يجعله زيفا بأن يقلب الحقائق ، ويزور فى الاحداث الرئيسية .

للفنان ان يباشر حقه فى الخلق والابتكار ما دام يحافظ على منطق التاريخ العام ، ومنطق حوادثه الهامة حينذاك يلتقى التاريخ بالفن فلا يتعدى أحدهما حدود الآخر وانما يكمله بطبيعته فيكتسب العمل رواء

الفن وعرض التاريخ

الأدب

قصيرة • شهرية

يصدرها الأستاذ

الادارة امبابة الجديدة . النجم ١٣٠

ت : ٦١٧٥٠

رئيس التحرير

امين الخولى

تصدر

عاشر كل شهر

الاشتراك عن سنة: فى مصر ٥٠ ، فى الخارج ٨٠ (أو ما يعادلها) بالبريد الجوى

ثمن العدد ٥

البريد الجوى والمسجل بحسابه

د. ه. لورنس
بروميثيوس عصرنا

الفنان الحق بؤرة تجمع تيارات فردية ، واجتماعية ، وانسانية ،وهو : بوتقة تنصهر فيها الذاتية والموضوعية معا وينطلق فيهـــا اللاشـعور الى الشعور ، ويرتد فيها الشعور الى اللاشعور .

مقال مهدى للدكتورة نور شريف ،ذات الفهم المتعمق ، المتحرر ، العادل

★ ★ ★

انها قضية خطـيرة ان نحـاول اخضاع الفنان لمقاييس مدرسةمعينة. غير أن هناك قضية لاتقل خطورةوهى اللجوء الى التفسير القائم على العامل الواحد . ان عملية الخلق لفنى ليست بالامر لهين تفسيره ، والعمـل الفنى كائن ملىء بالقوى والرموز ، والفنان الحق بؤرة تجمع تيـارات فردية واجتماعية وانسانية وهو بوتقـة تنصهر فيها الذاتية والموضوعية معـا وينطلق فيها اللاشعور الى الشـعور ويرتد فيها الشعور الى اللاشـعور . وما أحسب فنانا عانى من مثل هـذا التفسير القاصر مثل ماعانى لورنس ، فكاتب مثل مدلتون مرى لا يستطيع فهمه الا فى ضوء عقـده أوديب ، ويغيب عنه أن لورنس قد حلل نفسه فعلا بكتابه ابناء وعشاق ، دليل ذلك العلاقة التى يصور بها اباه فى اعماله التالية ، وان لورنس قد تعرض لقوة تحريرية كبرى فى فريدا لورنس . المسألة اذن ليست بهذه البساطة .

كان لابد من ظهـور لورنس فى الفترة التى برز فيها (١٨٨٥ – ٩٣٠) ولفهم ذلك لابد مـن اسـتعراض الظروف الفنية والانسانية التىمهدت لظهوره .

عجز فنانو عصر الملكة فيكتورياعن الارتقاء الى مستوى الآفاق العلميـة والفلسفية التى ارتادها الانسان فى النصف الثانى من القرن التاسـع عشر . قد علمهم شعراء الرومانسية أن الطبيعة هى ملجأ الانسان من ظلم الجماعة ، وترسب فى نفوسهم أنهناك قوة عليا تدبر شئون هـذا الكون وترعى ربيبها الانسان . فما أن ظهر داروين بآرائه الثـورية حتى اهتزت الارض تحت أقدام هـؤلاء الفنانين

بقلم : أنيس توفيق

واندثرت كل أحلامهم ، ولم يروا فى المستقبل الا الفوضى واليأس والظلام. انتهى حلم «تنسون» برثائيته الكبرى للذكرى . وعجز فنان كبير مثل براوننج عن أن يأخذ دورا قياديا فى دحض ذلك الظلام الروحى ، واذا هو ينكص على عقبيه تحت ستار من تفائل لايستطيع اقامة دعائمه ، ولايستطيع اقناعنا به ، وبدلا من أن يعلمنا كيف ينبغى أن يحيا الانسان المعاصر يروح يصور لنا كيف كان يحيا الانسان فى الماضى . وروائية مثل «جورج اليوت» تستبيح ادانة الانسان ، ويغيب عنها أن الفنان الحق هو الذى تتسم نظرته للحياة بالفهم والحب الكامل . ويجىء بعد ذلك هاردى وجيسنج ليصورا التشاؤم الانسانى فى أحلك صوره ، وينتهى القرن التاسع عشر وقد وجد الفنان نفسه فى مدينة الليل المرعب.

ومع ذلك فهناك صوت لا يمكن تجاهله ـ صوت « صمويل بتلر » وفلسفة بتلر تكمل الفلسفة الداروينية .. لقد دحض علماء الحياة فكرة اليد العليا ، وتركوا للانسان أن يجد طريقه فى الحياة مشيرين بذلك الى مسئوليته الضخمة حيال نفسه . وينادى « بتلر » بوجوب خلق بيئة فكرية اخلاقية روحية نستطيع بمقتضاها أن نتجاوز موقفنا الحالى ، لابد أن نعيد توجيه الثقافة والحضارة آخذين فى اعتبارنا امكانيات الانسان بعد أن كونا فكرة علمية غير متعصبة ولا متحيزة عن طبيعته . ويقول : اننا نجىء الى الحياة حاملين رواسب منذ فجر الحياة الحيوانية فعلينا ان نتعلم كيف نحرر الجانب الحيوانى من الطبيعة الانسانية ، وعلينا ان نخلق توازنا بين ديونيسيوس وابولو .

كانت البشرية اذن فى حاجة الى محرر جديد يعيد التوازن الى الانسان ، يحرر اخلاقياته ويصحح مثله . ولورنس هو هذا المحرر .

ان لورنس لا يريد للسماء ان تمتص الارض ولا للارض أن تفقد كيانها فى نشوة السماء :

« لم يكن يعود الى ميريام الاحين يرسم ، فى المساء حين يكون الآخرون عند الزنوج ، فيحادثها بلاتوقف ، عن حبه للخطوط الافقية وكيف ان آفاقية الارض والسماء فى (لنكولنشير) تعنى له أبدية العزيمة تماما كعقود الكنائس النورماندية المقوسة ، التى تعبر باعادة نفسها عن الروح الانسانية المثابرة فى قفزها العنيد الى الامام ، قفزها الدائم الى حيث لايدرى انسان ، بعكس الخطوط العمودية ، والعقود القوطية التى تقفز الى أعلى نحو السماء وتمس النشوة وتفقد نفسها فى القدسية .. (١)

وفى الرجل الذى كان قد مات يبعث المسيح ليتجاوز رسالته ، ان يهوذا محق اذ سلمه لجلاديه فهو قد اراد ان يذيب الارض فى السماء :

(١) ابناء وعشاق ـ الفصل السابع . SONS AND LOVERS CH.7.

« دع الارض تبقى أرضية وتثبت على مالها ضد السماء ، لقـــد كنت مخطئا فى محـــاولتى رفعها ، كنت مخطئا فى محاولتى التدخل » ٠

وهو كان يعظ الحب الميت لا الحب الحى :

«خذوا كلوا ــ هذا هوجسدى (١)

ويقول :

« لقد اردتهم ان يحبوا بأجســام ميتة ، ولعل يهوذا ما كان ليقبلنى قبلة الموت أبدا لو كنت قد قبلتـــه بحب حى ٠٠ »

وتحييه كاهنة ايزيس ، لقد كانت هى الاخرى فى انتظار أوزوريس ، واذ تحييه الكاهنة يقول :

« ابتاه ، لم اخفيت عنى هذا ؟ »

وتنطبق فلسفة لورنس الدينيةعلى العلاقات الانسانية وعلى تجربة الحب بالذات وهى أعمق التجارب الانسانية وأكثرها بعثا للحياة ، فهـــو لايريد للمرأة أن تمتص الرجل ولا للرجل أن يمتص المرأة ، ولا يريد أن يفرض أيهما ذاته على الآخر فيفسد توحده الداخلى ، لا بد ان يجىء كلاهمـــا للآخر من «طرف الليل الآخر» (٢) أما مجيئها فهو حتمى :

« وساجىء ثانية ، ان الشموس تجىء فى مواقيتها ، وســـاجىء انا ثانية ٠ » (٣)

ويستدعى ذلك ان يعيد لورنس بناء الرموز التى اختلطت علىالانسان طيلة القرون ، فيحملعلى تلكالحضارة السطحية المادية التى تريد ان تثمر كل ماهو غنى بالحياة اذ فى وجوده بيان لتفاهة هذه الحضارة ومواتها ٠ ففى القصة القصيرة « سانت مور » ST. MAWR

يصور النضـــال بين الحصان وبين ريكو الانسان الاجتماعى الخاوى من الحياة ، والحصان هنا له مدلولرمزى كالحوت فى «موبى ديك» للفيل ٠ وفى قصيدة الثعبان يحمـــل لورنس على الثقافة التى علمته مهاجمة الثعبـــان ــ ملك العالم السفلى ــ ملك الظلام ٠

لا يعظ لورنس النزوات الجسدية كما يتوقع منه السوقة ، انما هـــو يريد أن يخلق توازنا بين النـــور والظلام ، بين العالم العلوى والعالم السفلى ــ يريد أن يعمق النور بالظلام وينشد بعث آدم وحواء جديدين بأن يعيد لهما رموزهما التىضاعتمنهما٠

أما كيف تجد هذه الفلسفةكساءها الفنى فهذا موضوع آخر أرجـــو أن أتمكن من معالجته فى مرة قادمة ٠

---

(١) الانجيل ٠٠

(٢) الرجل الذى مات ٠٠ THE MAN WHO DIED.

(٣) الرجل الذى مات ٠

الشعر

وردة أمام حجرة الاعدام

أيبسم ثغرك الوضاء للأيام جذلانا ؟
أيرقص جيدك الملياس للأنداء نشوانا ؟
ويهمس عطفك الريان للأنسام هيمانا ؟
ويذكى لاعج الأشواق فى عينيك تحنانا ؟
فأفيقى وانظرى الدنيا بعين تبصر
واقذفى بالكأس تنجى من زعاف يسكر

فحمرة خدك المرموق فى كفى تشتعل
وهائج شوقك المجنون لم يلحظه مرتحل
يرى فى بسمك المخبول غدر الدهر يعتمل
يرى فى خدك الضاحى دما والناس قد جهلوا
فأفيقى وانظرى الدنيا بعين تبصر
واقذفى بالكأس تنجى من زعاف يسكر

أتضحك وردة المبكى وحبل الموت عن كثب
وتشمخ فوق أتراب لها فى برزخ الرهب
وخيلاء تظللها .. أما حنت لمغترب
فتيهى كيفما تهوين . . حبل رداك عن كثب
فأفيقى وانظرى الدنيا بعين تبصر
واقذفى بالكأس تنجى من زعاف يسكر

سأفسو وردة المبكى وأسهب فى ملاماتى
رأيتك فى كرى عنى وعن محزون أناتى
كأنك صغت من عبث ومن جور واعنات
وأين شذاك ـ اذ يهفو طليقا ـ من شكاياتى ؟
فأفيقى وانظرى الدنيا بعين تبصر
واقذفى بالكأس تنجى من زعاف يسكر

حسبتك وردة المبكى من الأحلام تصحينا
لكى ترثى لدى شجو ثوى فى الياس مغبونا
رأيتك وردة المبكى مع الأحلام تسرينا
وخلت بكاى ـ اذ يهمى عليك ـ ندى جرى حينا

فأفيقى وانظرى الدنيـــــــا بعـــين تبصر
واقذفى بالكأس تنجى من زعـــاف يســـــكر

تعالى وردة المبـــــكى ، فعندى حكمـــة الأبد
ولست أقولهـــــا زهوا فما تخفى على أحـــــد
جمال كلها الدنيا اذا غمر الرضى خـــلدى
ويأس ان طـــوى قلبى ظلام البؤس والنـــــكد

فأفيقى وانظرى الدنيـــــــا بعـــين تبصر
واقذفى بالكأس تنجى من زعـــاف يســـــكر

أتعقل وردة المبـــكى حـــديث الثـــاثر البـاكى ؟
أتلمح فى مقاطعه ضراع الضـــائع الشـــاكى ؟
أيرفأ دمعـــه الملتـــاع اشفاقا بيمنـــاك ؟
ألا شتان ٠٠ اذ ليست كدنيـا الناس دنيـــاك

لا تفيقى ٠٠ وانظرى الدنيـــــا بعين تحـــلم
واســـكبى الـكأس على ثغر شغوف يبســـم

ليبســـــم ثغرك الوضاء للأيام جـــذلانا
ليرقص قـــدك الميـــاس للأنداء نشـــوانا
ليهمس عطفـــك الريان للأنســـام هيمـــانا
ويذكى لاعج الأشـــواق فى عينيك تحنـــانا

لا تفيقى ٠٠ وانظرى الدنيـــــا بعين تحـــلم
واســـكبى الـكأس على ثغر شغوف يبســـم

على طلل الهوى البـــــاكى تهاوت كل أوتارى
وقمقم مجـــــدى الخالى هوى فى قـاع أبحـار
فلا ايقـاع أنمـــلة ولا أحـــلام أســـحار
ولا حب ليلهمنى ولا ترجيـــع أشـــــــعار

لا تفيقى ٠٠ وانظرى الدنيـــــا بعين تحـــلم
واســـكبى الـكأس على ثغر شغوف يبســـم

هى الأيام ، واأسفا ٠ ٠ ٠ تجود لنا لتستلبـــــا
لها فى عمرنا الباهى مطـــامع لم تزل عجبـــا
وتنشـــــد فى نضـــارتنا وفى آمالنـــا اربا
أتدرى زهرة المبـــــكى لعسف زماننا ســـببا ؟

لا تفيقى ٠٠ وانظرى الدنيـــــا بعين تحـــلم
واســـكبى الـكأس على ثغر شغوف يبســـم

نجيب الكيلانى

يتيم !!

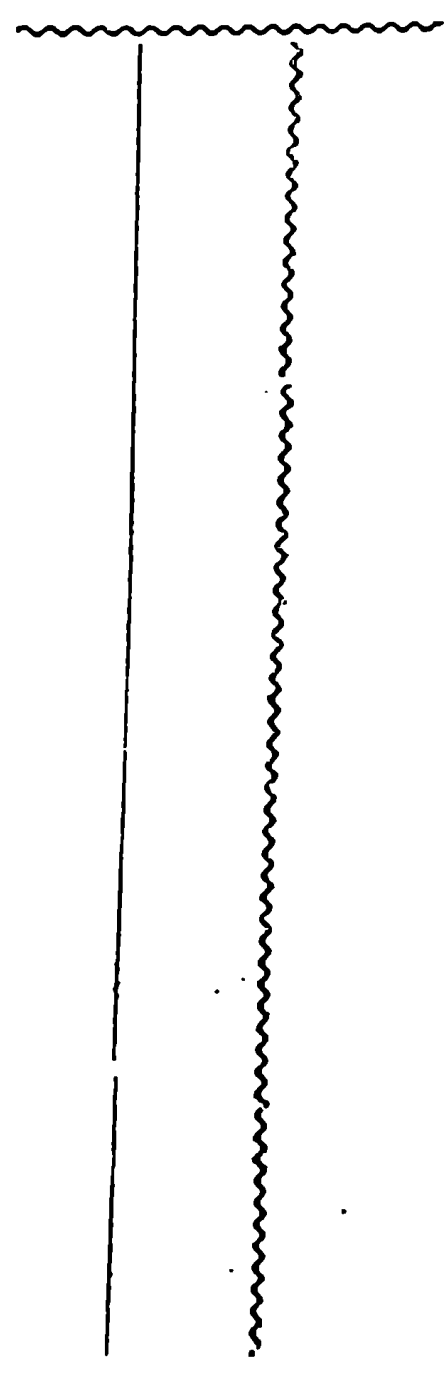

أخطأت .. أم جار الـــزمن
فجئت بى عـــلى وهـن ؟!
ودرت حيث لا أمل .. مع الحياه
يشد خطوك الملـل .. حتى مداه
وكنت كالنعامة أخطأها الصواب
فشـامت السلامة فى ظلمة التراب

★ ★ ★

أخطـــأت أنت .. والقـــدر
فجئت فى عمر الزهـــر !!
وكنت أما .. ولـم أكن سوى رضيع
سعت بـــه حتى افتتـــن روح البيع
وانطوت الأيام وجـاء عزرائيل
يصنع للأيتام ارجوحـة العويل

★ ★ ★

وكان .. يامـــا كان منى !!
حطمت أرغـــولى ودنى !!
وانتفض الضباب حولى بلا حـــدود
يعمل فى سمعى وعقلى ويســـتعيد
وكلما مشـــيت خشيت من ظلالى
فعـدت وارتميت أعمـل فى خيالى

★ ★ ★

والناس من حولى عيـــون
بشدها ذل وهـــــون
لا تنتهى الا .. الى .. حيث أقيم
كأنها وقف على أنـــا اليتيـم
ولست أدرى متى تخطئنى العيـون
فلســـت الا فتى أهون ما يـكون

★ ★ ★

لا .. ليس لى خال وعـم
وليس لى فى الناس رسـم
أمضى الى حيث أريد .. بلا أمـل
كأننى روح جديد .. مختبـــل
يدفعنى الاحساس بفـكرة العـدم
كأننى والنـاس أنشودة الألـم

بل كان لى خـــال مضى
الى بعيـــــد .. وارتضى
يعمل فى صمت الزمن .. ويألم
ينسج من خيط الكفن .. ويحلم
والناس يحسبون أن العلا هـباه
فكلهم شـــجون تحطم فى نهـــاه

* * *

وكان لى عـــم وجـــد
وكان خلـــق لا يحـــد
وكان .. يا ما كان .. ناس .. حيث كنت
واليوم وهم وانتـــكاس .. فأين أنت ؟!
وحدى مع الخيال أنفض احساسى
فتلتقى الظـــلال فى قدس أقداسى

* * *

وتـــرعش الـرؤى بعينى
مدامعـا تحـــرق جفنى
وتحطم الاوهام راسى .. فلا أكاد
تهز ايمانى وقدسى .. فلا رشـاد
وتنتهى الأيـــام فى الشاطئ المجهول
تفيـض بالآلام عن قدر مشـلول

* * *

وليس من يبـــكى معى
ومـــا تجف ادمـــعى
وليس من يرحمنى .. فيبسـط
وليس من يلعننى .. فيفـــرط
يصغون فى انتباه وكلهم ظنـــون
فتصـدق الشفاه وتـكذب العيون

* * *

وليس من طبعى النفـــاق
ونحن نشقى فى سبـــاق
نهدم من ايماننـا .. فلا خلاق
نبدل من أيماننـا .. فلا وثاق
فـــكيف يا أماه أعمـل للخـــلود
وعلم الحيـــاة ترسف فى قيود ؟!

* * *

قد حـرت لا أدرى طريقى
فى ذلك التيه العميـــق
الأفق مشبوح الصور .. فى خيوط
تعكس فى عمق البصر .. اخطبوط
وكلمـا مشـيت مادت بى الاوحال
كأنمـــا اتيت أمرا من المحـال

يا ويـــح يا امـــاه لى !!
يا ويـــح حين اختـــلى
بالليل .. بالوهم العريض بالفشل
بالصمت .. بالحس المريض بالملل
تهتـــز أحـلامى كالطـائر الذبيـح
كالمرقـص الدامى فى خاطر جـريح

* * *

ومـــا تـــكاد اعظمى
تقـــر .. حتى ترتمى
أمام عينى صور .. مـكتئبة
وتشتهينى فـكر .. ملتهبـة
ويصبح الوجود كالفـكرة الغبية
تسود أو تقـود للهوة الشـــقية

* * *

وانشـد الذكرى فمـــا
تبـــدو لعينى كلمـــا
نشدتها .. الا هموما .. تصفق
لا شحوبا .. وغيوما .. تختنق
فى المرفا البعيـــد كالفكرة الحيرى
فى خاطر عنيـد فى اعين سكرى !!

* * *

يا ام .. للأيـــام تمضى
فى قبضة الياس الممض !!
اذا أضاءت السـماء .. فالبروق
وان تهلل الضـــياء .. لابروق
لا خير فى الفجر يـكشف لى ظلمة
مـا دمت لا ادرى أمرى . . يا امة

* * *

التبست كل القيـــــم
حتى الوجـــود والعدم
واشكل الماضى على .. فى صوره
وضاع ما ابقى لدى .. من قدره
ولم أعـــد أرى فى جانب الحدق
سعار ما عـرى بقية الرمـــــق

* * *

فاســـتغفرى لى الاله
فـليس الا رضـــاه
وعن قريب نلتقى .. فى الضباب
فى مشهد ممزق .. كالسحاب
فهيئى لنـــا حتـــام نستريح
فاننى هنـــا فى عالم قبيح !!

كامل سعفان

المجنـــون . . !

ما انت يا مفتـــون يا خفقة الحب .. ؟
يا ايها المجنـــون اى انت يا قلبى ..!
تمشى مـع الركب
اعمى على الدرب !
وها هـــو الحب يدعـــوك يا قلب
فاحذره يا مجنون ..!
بالليل والقيثـــار قد عشت فى القمر
تسمو مع الأفـكار فى اجمل الصور .
فى ســـبحة الوتر
او موكب البشـــر
يمشى لـــك الحب يدعـــوك يا قلب
فاحذره يا مجنـون
كالتـــائه المدعـور تمضى ولا تـدرى
والســـابح المقرور فى لجة البحـــر
يسـعى الى ســر
غرقان فى الغـور
فى طيـــه الحب يدعـــوك يا قلب
فاحذره يا مجنـون
فى ذهلة الأوهام تهفو الى الأمـــل
ورعشـــة الالهام تعـــروك فى خجل
وفى يـــدى دنى
وحـــــانتى فنى
فى كاسـها الحب يدعوك يـــا قلب
فاحذره يا مجنـون

الزورق الحيـــران غرقان فى اليـــم
والقائم اليقظـــان روح بـلا جسـم
ينساب كالنغم
مـاض الى العـدم
فى بعثـــه الحب يدعـــوك يا فنب
فاحذره يا مجنـون
اياك يا قلبـــاه يا باقة الأنغـام
تنساب خلف صداه فى سكرة الأحـلام
فعيشـــنا أوهـام
وعمرنا ايـــام ..
عنوانهـــا الحب يدعوك يـــا قلب
فاحذره يا مجنـون
قد عشت يا مسكين توهان بين النـــاس
ايامهم فى الطـــين مبهـــورة الأنفاس
وانت فوق النـاس
موزع الاحســـاس
يهفـــو تلك الحب يدعـــوك يا قلب
فاحذره يا مجنون..
الليـــل والكأس تدعوك يا عطشـان
وهـــا هـــو الأمس فى خاطـرى نسيان
والغـد يا حـــيران
فى خاطـر الأكوان
غـــنى له الحب يدعـــوك يا قلب
فاحذره يا مجنون..
تشـــتاق للمجهول بغمـــوض لهفتـــه
وخفقك المخبـــول فى تيـــه حـــيرته
يشقى بعزلتـــــه
وظـــلام وحـــدته

ونـــوره الحـــب يهـــديك يا قلب
فاحذره يا مجنون..

ماذا سوى الاشـــواك في عالـم الارواح ؟
وهـــذه نجـــواك تعوى بها الأشباح..
والعمر يا ســـواح
ليل بغير صياح ..

وفجـــــره الحب يدعـــوك يا قلب
فاحذره يا مجنون..

اشرب .. فما نحيا الا بمعنـــاه . !
حـــتى متى تخشى يا قلب لقيـــاه ؟
أو أنت تخشـــاه !
مـــا أنت الاه ! !

انى أنا الحـــب أدعـــوك يا قلب
لبيـه يا مجنون ..

هات اسـقنى هات من خمـره العـــذب
وأطفىء صـباباتى . وارقـص مع الركب
فهـــا هـــو حبى
قـد لاح فى الدرب
يدعـــوك يا قلبى
لبيـه يا مجنون ..

فتحى سعيد .

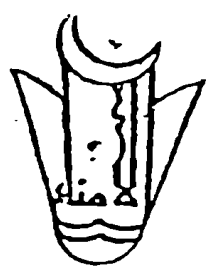

دون كيشوت

الى الصديق الدكتور عبد العزيز الاموائى ، تحية تقدير ومحبة ..

• فى حركةالانتحار نجد نشاطين .. نشـــاط هاملت واندفاع دون كيشوت .

• أراد هاملت أن يكون دونكيشوت لأنه خاب كدون جوان ..وفشل مثل فاوست .. واغضب ربه مثل اليهودى التائه .

• الانتحار حركة فردية .. بل هى قمة التعبير الفردى عن ثورةالفرد ضد المجتمع بكلقوانينه وقيوده والتزاماته واخلاقياته .

• الانتحار اما تخلص من حياة كنت نرجوها اجلواغنى واسعد، واما تعبير عن عبث كل هذه الحياة التى تبدأ وتنتهى فى غمـــوض

• الارادة التى تحرر هـاملت ارادة غامضة مضطربة انتهتبصاحبها الى الجنون .. والى القتل ... والى الموت .

• أما دون كيشوت فهو ارادة بريئة صافيـــة صارت وتجســدت اعمالا كثيرة .. جميلة .. طيبة

• كانت ارادة دون كيشـوت ارادة غير عملية ..ارادة اسطوريةغير مرتبطة بواقـــع حى .. ارادة مندفعة منطلقة بلا قيود ، وبـلا التزامات .. ولكنها ارادة طيبة حررت الروح الاسبانية من هذه النزعة المتطرفة الى الفروسية .

• دون كيشوت ـ عندى ـ بارادته الطيبةالبريئةارقىروحياوانسانيا واجتمـــاعيا من هاملت صاحب الارادة المريضة المعقدة الملتـوية المسكينة .

• الارادة الطيبة فعل منطلق حر

بقلم: توفيق حنا

• واذكر هنا سقراط وعلاقة المعرفة والفضيلة فى حياته النبيلة الرائعة .

• واذكر نوفالس وكليست وتسفايج الثلاثة الذين اندفعوا فى حركة رومانتية الى الخلاص من هذه الحياة .

• الارادة هى الفعل .. والفكر هو العمل .. واذا فسدت العلاقة بين الباطن والظاهر .. بين الداخل والخارج .. بين الفرد والمجتمع .. لم يكن ثمة وسيلة للتمرد والخلاص غير الانتحار ، وهذا مايحدث فى حركة «الهاراكيرى» اليابانية .

• ولكن الفرد الذى يرتبط ارتباطا ديناميا حيا بالمجتمع الذى يعيش فيه لايفكر ابدا فى هذا الخلاص الفردى .. انه يجاهد ويكافح حتى ينتصر هو ومن معه فى هذا المجتمع .

• أنا أفضل أن أكون « دون كيشوت » ولا أحب أن أعيش تجربة « هاملت » أو حياة « فاوست » .. ولعنة اليهودى التائه .

• نحن فى حاجة الى دراسة الروح الاسبانية التى قدمت للانسانية هذه الشخصية الرائعة الجميلة الطيبة المحبة للانسانية .. العاملة للحرية، والمحبة، والسلام والعدل : شخصية دون كيشوت

بنك مصر

درج بنك مصر منذ نشأته على مسايرة النهضات التقدمية . فلما تفجرت النفوس وانبعثت الثورة وانبثق نور الشعلة المقدسة تجاوبت كل هذه الظواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر ومع الأهداف العليا التى رمى اليها فى عهد الاستعمار الاقتصادى فانشأ شركاته التى كانت جيوشا حارب بها الاستغلال الأجنبى فى شتى ألوانه وارق الدخيل فى مختلف صوره

القصة

أبو مدنة

لم يصدق شيحة عندما قالوا له : الورقة أم مية اتلغت .. اقسموا له بالله ثلاثا ولم يصدق .. قالوا له : يا شيحه غير اللى عندك ليخسر عليك .. ولكنه ثار وارغى وازبد وقال : يا عالم مفيش عندى فلوس وهيبقى عندى ورق كبير منين .. يا شيحه اسمع الكلام ربنا يهديك .. ما بسمعش .. هاودنا يا شيحه .. مبهودش .. مبنهدرش صدقنا .. مبصدقش .. ولم يصدق شيحه فقد كان يعتقد أنهم بيضحكوا عليه .. أسبوع كامل وكل الناس تقول له هذا الكلام .. يروح ياخد حسنته الاسبوعية من حد يقوله : غيرت فلوسك يا شيحه ؟ ابو مية وخمسين هيبطل .. يبطل يا حاج .. شوف اذا كان عندك ورقتين ولا تلاتة هات اغيرهملك .. مفيش .. انبش هنا ولا هنا فتش كويس يمكن عاين ورقة وناسي . افتكر كويس .. ومنين بس يا حاج وانا على باب الله .. يعنى مفيش ولا ورقة .. ؟ ولا اصلى شوفتها كمان .. يا شيحه متعنتش نفسك .. بكره تندم .. مال الاقرع للنزهى .. يا حاج والله ما فى ..

نصيبة وكبست عليه .. الكل طمعان فيه .. كل اللى يقابله يقله : ابو مية لغوه .راحت ايام الورق العريض يا شيحه..الحق وطلع اللى تحت البلاطة غير اللى فى الزلعة من البنك .. بعدين تقول يا ريت .. اسمع الكلام .. مبسمعش .. حاجة تجنن .. البلد كلها اتآمرت عليه ..الزباين طامعين فيه .. زملاته حاقدين عليه .. حاسدينه . محدش سايبه فى حاله أبدا ..الناس مالها بس وماله .. عنده معندوش .. يغير ميغيرش .. محوش مش محوش مالهم وماله .. حتى زملاته فى الكار .. البيسى يقابله يقول له : فكك اللى تحت البلاطة . احمد سجاع بعبطه الذى يدعيه يقوله: اكسر الزلعة ..وزادت وغطت بالقرش اللى بيبلغ على الدفن قالها له راخر .

بقلم : مصطفى الأسمر

معدش حد فى البلد الا وقالها له ..
يعنى يسبلهم البلد ويمشى .. يطفش
ويغور من وشهم .. ولا يعمل ايه
فى كلامهم .. مهى حاجة توغوش
برضه كتر الز ن خلى الفار يلعب
فى عبه .. ومش معقول الكل
بيضحك عليه .. وهيضحكوا عليه
ليه ..يكنش الزباين عايزين يتجروا
فى فلوسه .. ولا يمكن زملاته
مضيقين منه .. يمكن .. هيا برضة
ضحكة .. ما هو كمان مش معقول
الحكومة تبطل الورق العريض .. هما
بس عايزين الفار يلعب فى عبه
ويتفرجوا عليه هيعمل ايه ..واحسن
طريقة يجاريهم ويضحك معاهم ..
اللى يقوله غير يا شيحه .. يقول له
غيرت ..واللى يقول له فكيت اد ايه
يا شيحه ؟ يقوله عشر ورقات واللى
يقوله كان كام فى الزلعة ؟ .. يقول له
عشرين ورقة عريضة .. يعمل ايه
مهو غلب معاهم .. أقربها امبارح
بس .. الحاج عوض وهو بيعطيله
العادة قال له غير يا شيحه .. منين
يا حاج انا مبضحكش اسمع الكلام
يا ابنى .. اديني سامع يا حاج ..
الحق يا شيحه النهاردة آخر ميعاد
وابو مية يبطل .. يبوظ .. يخسر
عليك ..يخسر على اللى عنده ..انت
مبتاراش جرانين .. وانا اصلى رحت
كتاب يا حاج .. مبتسمعش اذاعة
.. ما انا طول النهار داير فى
الشارع ها اسمعها فين .. يا جدع
الوقت بيجرى .. يجرى ياحاج
وماله .. ماله ماله وانا مالى انا
نصحتك وخلاص .. كتر خيرك
يا حاج ..

حاجة تجنن .. حاجة توغوش
.. يكنش الكلام صحيح .. مهو
الحاج عوض ملوش عادة يهزر معاه
.. مش بعيدة برضه .. فيها ايه
يعنى لو خطف رجله لحد البنك يطمن
.. واما زملاته يشوفوه ويفضحوه
ولا لما الزباين يشوفوه وياطعوا العادة
بتاعه ويقوله دا محوش .. حاجة
تجنن .. حاجة تغيظ .. لكن
هيسكت على دى الحالة ..مش معقول
.. مهو يمكن الكلام صحيح ..يروح
واللى يحصل يحصل .. يشوفوه ..
مايشوفهش .. يقطعوا العادة
ما يقطعوهاش.. اهو يطمن وخلاص .
ومن صبحية ربنا رابط شيحه بجوار
البنك .. دخل متلصصا ثم خرج
وقد فقد عقله يردد فى ذهول .. ابو
مدنه باظ .. باظ ابو مدنه ..

حكم الصنعة

بقلم : فتحى صادق سالم

بينما الاتوبيس منطلق والكل مشغول بمشاغله امتدت يد قوية الى يد من وسط الايدى الممسكة بالعمود اللاصق بسقف العربة المزدحمة . التفت صاحب اليد المقبوض عليها واجف القلب الى من امسكها وقد طامنته نفسه لعله صاحب قديم او زميل أو ذو صلة قرابة .

لكن كل هذه الاحتمالات ذهبت هباء . فعندما وقعت عيناه على صاحب اليد القابضة جمدت عيناه وخفق قلبه . وتقلصت عضلات وجهه أمام نظرة المخبر له . انه يعرفه حق المعرفة من زمن غير قصير وهما بلا انكار أعداء الداء فلا أمل فى الخلاص من خداعه . او رؤية ابتسامة او نظرة عطف وحب له منه .

وعندما وقف الاتوبيس نزلا فى هدوء كانهما أصدقاء فرق بينهما الزمن والتقيا صدفة . ولما جمعهما الرصيف قال : ماذا ؟! ماذا تريد منى !

قال المخبر باقتضاب شان من يريد قطع باب حديث اتفتح وبعد ان نظر اليه نظرة كلها دلالة يدركها : الضابط طالبك فى القسم ..

كرر عليه السؤال عسى ان يستدل من حديثه على شىء يبين له سبب القبض عليه . حمل حاجة » أجابه بصرامة : الكلام ده يخبرك عنه الضابط . سارا فى الطريق الى القسم كحبيبين امتلكهما الهوى فى لحظات النشوة والسعادة التى طالما تغمر الاحباب فتجعلهما يتماسكان بيديهما . لكن هيهات المسكات لا تتشابه . وقد تملكته الهواجس والمخاوف أمام اصرار المخبر وكتمانه الامر . ترى ماذا حدث حتى بعثوا فى طلبى ؟ تنبه من شرود فكره على تحية المخبر للضابط وصوت حذائه الذى بدا كدقات ناقوس الخطر وقوله : أفندم . وهو يعظمه . النشال أبو يد خفيفة وجدته مخالف التعليمات وراكب أتوبيس مزدحم ومندس وسط الركاب .

نظر اليه الضابط نظرة طويلة عميقة قبل أن يخاطبه :

كانت الشيلة كبيرة . قالها فى بطء ملحوظ ..

اجابه النشـــال بمسكنة : والله يا سيادة الضابط مظلوم . انا كنت ذاهب للمطرية لشغلانة هناك .

قاطعه الضابط : ايه الشـغلانة دى . عرفنا ركبت على الفاضى لتصل لشغلانة قاصـدها . صارحنى بدل وضعك فى الحجز ..

تمالك النشال نفسه وهو يقول : انت يا سـيادة الضـابط بتغير فى الكلام . قصدى شغلانة نجـارة . اتعلمتها فى السجن وبهـا تبت عن السرقة . أنا كنت ذاهب لواحـد معرفتى فى المطرية قال لى تعـالى انا عارف مقاول محتاج لنجار وهيرحب بك . واخد لى ميعاد معاه النهاردة.

قال الضابط باستخفاف : الكلام ده على غيرى .اللف والدوران شبعان منها . استطرد النشـــال : والله العظيم انى صادق فى كلامى . قلت لسيادتك انى تبت من زمان . تبت .. خلاص . مفيش كلمة تصدقوها .. يعنى علشان اطلع من العباسية للمطرية آخدها كعابى . لو كان معى فلوس كنت اخـــدت تكسى .. من يومين مسكونى فى الجيزة . راكب ليه . رايح فين . لايه . واخيرا فى الحجز نمت ليلة . ياناسى تبت .. مافيش فايدة . اذا كنتم على هـــذا الحال كل يوم متقعدونى عندكم هنا . على الاقل لأستريح واريحكم من اللف ورائى ..تصدقنى يا سيادة الضابط

شعر الضابط بحرارة : اصدقك

انا أصبحت راجـــل نافع بطلت سرقة.ثم قبل يديه وقال : باشتغل واكل من عرق جبينى وتاكيدا لصدقى . خذ اقرأ هذا الجواب .. وبعد انتهاء الضابط من قراءته حـــدثه : انت بهذا اثبت حسن قصدك ويمكنك ان تذهب لتلحق ميعادك مع المقـاول . يسهل لك الرزق الحلال ..

تمهل النشال وقال : الحمد لله . اعطينى ورقة أبرزهـــا لاى مخبـر يجدنى كهذا فيسىء الظن بى .

أجابه الضابط : ليس هذا بيدى ولا يمكن عمله ..

سأله النشال وقد ازداد مسكنة : مـا السبب ؟ انا تبت وانت اقتنعت بذلك .

قال له : السبب انت عارفه ربمـا ناسيه . كسرك للقانون . عنـــدما يخرج شخص عليه لا يحميه وانت لك سوابق وسجنت ولكى تزيل مامضى وتكفر عنه . تحمل فى صبر كل ظن نحـوك حتى تمحوه باليقين . وانك أصبحت رجلا يوثق به شريفـا وهذا أعظم من ورقة اعطيها لك ولا تفيدك

لم تمض ساعات على انصرافه حتى

تناهى لسمع الضابط بمكتبه اصوات متضاربة تعالت محدثة ضجة أمام مكتبه . نادى على أثر استئذان منه : ادخل ..

تبين له من بين الوجوه التى يتصفحها وهى داخلة وجه النشال مطأطا الراس . قال للعسكرى الذى معهم : ما هؤلاء ؟

أشار العسكرى الى شخص : هذا مقاول . اما هذان فشاهدان . واما هذا فنشال امسكوا به وبيده محفظة المقاول . وعندما وجدتهم على هذه الحال قدتهم لتحقق معهم سيادتك .

خاطب الضابط النشال : ايوه يا صادق . رد عليه ..

أنا كذبت عليك . والله ما كذبت. انا قلت لسيادتك ذاهب لاشتغل نجار عند مقاول وفعلا لحقته ونجدته .. ولسوء حظى .. صدقت وإلا مصدقتش . حكم الصنعة لازم يدفعنى لاقول لك ما حصل والا كنت خنت المهنة .

ران سكون شمل الجميع قطعه الضابط مشيرا للمقاول وقد ظهرت ابتسامة على ثغره . اقبض عليه وادخله الحجز لحين عمل المحضر اللازم . ظن الجميع ان الضابط اخطأ والاشارة للعسكرى الذى تحرك . واذا بالمقاول ينسل من بينهم لينفذ الامر . فغر النشال فاه ماخوذا دهشا لمفاجاة الضابط له بحقيقة المقاول . وقبل ان يهم بالنطق وهو يسير امام المقاول قال له الضابط :

مفيش فايدة امام حكم الصنعة ..

ضيف ... من الشرق

مجموعة قصص للاستاذ فاضل السباعى
من منشورات دار الآداب ببيروت

مصر
فى أدب توفيق الحكيم

آمن توفيق الحكيم بمصر والمصريين وآمن أن مصر التى كانت تقود العالم فى قديم الازمان فىَ الحضارة والعلم والفن هى هى مصـــر الآن ، وأن الروح التى بنت حضارتها القديمة ، والتى حققت لها المعجزات لا تزال كامنة فى ارضها .. فى نيلها ، ودماء ابنائها واعماقهم .

لهذا كان داب توفيق الحكيم أن يكشف عن أسرار هذه الروح . وان يجلو الصدأ عن ملامحها التى غطتها الســـنون والدهور الطويلة ، تحت ســـتار غليظ من الكبت والظلم والاستبداد والقهر .

وكتب أولى رواياته الطويلة « عودة الروح » ليعبر عن حيوية هذه الروح وعن الارهاصات التى بدات فى مصر فى نفوس النـاس تبشر بعودتها . كتب هذه القصة مصورا فترة عظيمة من أهم فترات تاريخنا الحديث ، فترة ثورة ١٩١٩ . تلك الثورة التى انتفض فيهـا المصريون لتحرير بلادهم من الظلم والاســـتعمار .. لقد كانت انتفاضة من انتفاضات هـــذه الروح وبعـــدها .. حدثت انتفاضات .. وتحدث فى المستقبل غيرها وغيرها ..

فقد بدت الروح التى عرفهـا توفيق الحكيم ..

تحدث فى هـــذه القصة حديثا طويلا عن مصر ، وما بها من مقومات، فى حوار أجراه بين مفتش انجليزى وآخـر فرنسى عالم فى الآثار يقول الفرنسى لصاحبه :

« .. نعم ان هـذا الشعب الذى تحسبه جاهلا ليعلم اشـــياء كثيرة ، ولكنه يعلمهـــا بقلبه لا بعقله ، ان الحكمة العليا فى دمه ولا يعلم ، والقوة فى نفسه ولا يعلم . هذا شعب قديم جىء بفلاح من هـؤلاء واخرج قلبه تجد فيه رواسب عشرة آلاف سنة من تجاريب ومعرفة رسب بعضها فوق بعض ، وهـــو لا يدرى .. نعم هو يجهل ذلك ولكن هناك لحظات حرجة تخرج فيهـا هـــذه المعرفة وهـذه التجاريب فتسعفه وهو لا يعـــلم من أين جاءته .. هذا ما يفسر لنـا نحن الأوروبيين تلك اللحظات من التاريخ التى ترى فيها مصر تطفر طفرة مدهشة

بقلم : محمد زغلول سلام

فى قليل من الوقت ، وتاتى بأعمال عجـــاب فى طـــرفة عين .. كيف تستطيع ذلك ان لم تكن هى تجاريب الماضى الراسبة قد صارت فى نفسها مصير العزيزة تدفعهـا الى الصواب وتسعفها فى الأوقات الحرجة وهى لا تدرى » .

ويدفع الحكيم عن مصر الخمـول والتهـاون ، والتـــراجع عن ركب الحضارة الغربية التى يدافع عنهـــا الغربيون ، ويتباهون بها أمام غيرهم من الشعوب المتخلفة انما هى حضارة سـطحية ، مسروقة من حضـــارات عريقـــة قديمـة اصيلة كالحضـارة المصرية .

« نعم ان أوروبا سبقت مصراليوم ولكن بماذا ؟ بذلك العـلم المكتسب، فقط .. الذى كانت تعتبره الشعوب القديمـة عرضـا لا جوهرا ، ودلالة سطحية على كنز دفين ، لا أنه هو ذاته كل شىء ! .. ان كل ما فعلنـا نحن الأوروبيين الحديثى النشاة ان سرقنا من تلك الشعوب هذا الرمز السطحى دون الكنـــز الـدفين . لذلك جىء بأوروبى وافتح قلبه تجده خاليا خاويا .. الأوروبى انما يعيش بمـا يلقن ويعلم فى صغره وحياته .. لانه ليس له ماض يسعفه بغير أن يعلم . احرم الأوروبى المدرسة يصبح أجهل من الجهل .. قوة اوروبا الوحيـــدة هى العقل .. تلك الآلة المحـدودة التى يجب أن نملأها نحن بارادتنا ، اما قوة مصر فلى القلب الذى لاقاع له .

ولهذا كان المصريون القدماء لا يملكون فى لغتهم القديمة لفظة يميزون بهـا بين العقل والقلب . والعقل والقلب عندهم كان يعبر عنهما بكلمة واحدة هى « القلب » (١) .

وهـــذا القلب هو مكمن القوة ، والروح التى تكمن فيهـــا قوة مصر الحقيقية وقوة شعبها .. ويتسـاءل الانجليزى فى عجب عن هـذا القلب .. عن هذا الجوهر فيرد عليه صاحبه الفرنسى :

« — انك ترتاب فى قولى ، ولكنى اكتفى بأن أقول لك : احترسوا من هذا الشعب ، فهو يخفى قوة نفسية هـــائلة .. فى البئـر العميق الذى خرجت منه تلك الاهرامات » .

لقد كتب توفيق هـــذه القصة من أكثر من ثلاثين عاما ، ولكنه استطاع بحاسة الفنان الصادق أن يتعرف على مواضع الانطلاق فى الشعب المصرى ، لقد تنبأ بوحى الاديب الكبير القلب بما سـيكون عليـــه الشعب المصرى فى المستقبل القريب .. فقال منذ ثلاثين عاما او يزيد :

« أتسمع هـذه الأصوات المجتمعة الخارجة من قلوب عـــدة ، الا تخالها خارجة من قلب واحد ؟ انى أؤكد لك أن هؤلاء القوم يحسون لذة فى هذا الكفاح المشترك . هذا ايضا الفرق بيننا — أى الغربيين — وبينهم .. ان اجتمع عمالنا على الألم أحسوا جرائم الثورة والعصيان وعدم الرضا بما هم فيـــه ، وان اجتمع فلاحوهم على

١ — عودة الروح ٢ : ٥٣

الألم احسوا بالسرور الخفى واللذة بالاتحاد فى الالم .. ما أعجبهم شعبا صناعيا غدا » (١) .

وهذا الصبر ، والكفاح ، والتعاون وهذه القدرة والجوهر الكامن تحتاج الى من يثيرها ، ويرسم لها الطريق ، ويقودها .. تحتاج الى القائد المخلص الصادق الذى تثق فيه الجماهير .. لتعمل واياه المعجزات .. لتبنى اهراما جديدة ..

يقول على لسان الفرنسى :

ـ لا تستهن بهذا الشعب المسكين اليوم .. ان القوة كامنة فيه ، ولا ينقصه الا شىء واحد .. ينقصه ذلك الرجل الذى تتمثل فيه كل عواطفه وأمانيه ويكون له رمز الغاية ..عند ذاك لا تعجب لهذا الشعب المتماسك التجانس المستعذب للألم ، المستعد للتضحية اذا أتى بمعجزة أخرى غير الأهرام ..

وهناك مثل عامى فى مصر يجرى على السنة الناس يقول : « قلب المؤمن دليله » وقد كان قلب توفيق الحكيم دليله فى رؤية المستقبل لشعب مصر .. لقد سلط بصيرته على مكمن القوة فكشف عنه .. لقد شهد فى شعب مصر العزم والتصميم وعرف فيه الايمان العميق ، الايمان الراسخ فى القلب ، الذى لا تزحزحه السنون وان عدت بالآلاف .

لقد عاش المصريون على ارضهم واحبوها ، وقدسوها ، ولم يرضوا بغيرها فى حياهم ومماتهم ، حتى لقد فزعوا من فراقها فى الموت ، فتصوروا عليها البعث .. لقد كان الزمن يضربهم متمثلا فى الموت ، لأنه يبعدهم عن الأرض التى أحبوها ، فاحبوا الخلود عليها .

وقد صور توفيق الحكيم الخوف من الزمن فى « أهل الكهف » ، واعتبر الزمان والمكان ، تنين المصريين الذى دارت حوله فلسفتهم ، يعكس الحال عند اليونان الذين دارت مآسيهم حول صراع الانسان مع « القدر » (٢) .

وقد طبع الايمان العميق ، وحب الارض الخيرة مصر والمصريين بطابع الحب والطيبة والسلام .

يقول : « ثم أليس من دلائل الاصل العريق ، تلك الطيبة التى طبع عليها الفلاح ، وذلك الهدوء وحب السلام عنوان المدنية والاستقرار ، بينما هذا البلوى لا يزال على الوحشية وحب الحرب والثار والدم .. بقايا الحياة الاولى القلقة غير المستقرة .. ان طيبة الفلاح وحبه للسلام ان هو الا نتيجة أصله الزراعى العريق وماتطلبه الحياة الزراعية من السلم والاطمئنان »

وهذا الحب للسلام متمثل فى حياة الفلاح المصرى فى هذه المعايشة السلمية بينه وبين حيوانه ، فهو يحب هذا الحيوان على اختلاف صنوفه حبه لنفسه وأولاده بل اكثر فى غالب الاحيان ، وهذا الحب عنده نتيجة شعوره بالمشاركة فى العمل وفى الارض

١ ـ عودة الروح ٢ : ٥٨

٢ ـ تحت شمس الفكر ص ٩٢

الطيبة ، بل وفي وحدة الكون والوجود وراء هذه الظاهرة المادية .. ويصور لنا المسألة الوديعة بين الحيوان والفلاح في هذه الصورة

فقد رأى محسن بطل عودة الروح بقرة أمامها حمل برسيم وبين رجليها الخلفيتين عجل رضيع جميل يشب الى ضرعها . غير أن ما أوحش محسن أنه شاهد بجانب هذا العجل الرضيع طفلا رضيعا أيضا ـ لعله ابن أصحاب الدار وهو يزاحم العجل ويدافعه على ضرع البقرة . والبقرة ساكنة هادئة لا تمنع هذا ولا ذاك، وكأنها لا تفضل احدهما على الاخر . كأنما الطفل والعجل كلاهما ولداها .. ما أجمله منظرا وما أروع معناه (١) .

هذه الطيبة تجمع أيضا الحب لبنى الوطن والتضامن والارتباط بين المصريين على اختلاف ألوانهم .. ويمثل لنا هذا في مشهد بالدرجة الثانية من قطار حيث جلس في « الديوان » محسن وحوله جماعة من الناس بينهم أفندى وشيخ معمم .. وقد بدا الافندى الكلام بعدما أفسح الجالسون لراكب كان يروح ويجيء في الممشى ـ وقد أعجبه من الجالسين افساح المكان لمواطنهم ، واحتمال الضيق في سبيل راحته ، فذكر في اعجاب عواطف الارتباط والتضامن القلبي بين أهل مصر .. وقال :

ـ لو أن هذا حدث في اوروبا لما تحرك أحد من المسافرين ، ولو كانت تجمعه والقادم صلة معرفة أو صداقة، فهو لن ينقص من راحته لاجل أحدهما كان .

وهنا تذاكر الجلوس أحوال الناس في مصر وتضامنهم على اختلاف نحلهم وعقائدهم مسلمين وأقباط وغيرهم وتسامحهم الديني بعكس الحال في أوروبا حيث تتطاحن النحل في الدين الواحد وترتكب الآثام ..

هكذا وردت بعض ملامح لمصر والمصريين في رواية توفيق الحكيم ، وتكررت هذه الملامح والصور وعمقت في أعماله الأخرى ، في قصصه ومسرحياته ، ومقالاته ، حاول أن يغذيها ويبرزها ، ويجعلها عقيدة .. يحملها المصريون في نفوسهم ... كما يحملها هو ويبشر بها ..

انها الروح القوية .. المختزنة في ذلك البئر العميق ... الذى خرجت منه الاهرامات الثلاث

---

١ ـ عودة الروح ٢ : ٣٥

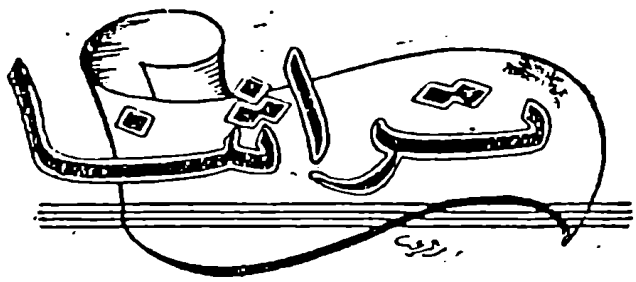

فى مؤتمر الأدباء

لعل قراء « الأدب » يذكرون ما أشارت اليه حين كتبت غير مرة عن مؤتمر الأدباء المنعقد بالكويت فى ديسمبر سنة ١٩٥٨ ، وانه كان من أعماله المؤتمرية الجديرة بهذا الاسم عمل اللجان فيه ولو أن الذين دبروا للمؤتمر قصروا أعمال اللجان فيه على الكتاب العربى !! اذ أن لجنة للتراث فيه قد تخطت حدود ذلك التدبير كلها ، وتعمقت موضوع التراث ، وتناولته من أساسه ، فى جملته وتفصيله ووضعت لذلك كله تقريرا مفيدا جعل المؤتمر فى جلسته الاخيرة للتوصيات والقرارات يوصى جامعة الدول العربية : بتوسيع اختصاصات معهد المخطوطات الموجود بها بحيث يشمل خدمة التراث ، بتحقيقه ونشره كما يوصى بجمع الفهارس المكتبية لهذا التراث للاستعانة به .. وهذا ما والخاصة فى كل قطر من الاقطار .

ثم لم يلبث عقب ذلك ان قدر فائدة تقرير لجنة التراث كله فأوصى: أن يدرس معهد المخطوطات تقرير لجنة التراث من جميع المكتبات العامة جعلنا نفكر منذ بعيد فى الاستفادة من هذا التقرير بنشره اذاعة له وصيانة ..

وقد اشترك فى لجنة التراث هذه مندوبون من جميع البلدان العربية ، وكانوا أكثر من واحد عن كل قطر كما شهده كثيرون من المدعوين للمؤتمر مستمعين ومناقشين أيضا فكان عدد أعضاء هذه اللجنة بضعة وعشرين عضوا ، وكانت أكثر لجان المؤتمر عددا ، كما كان لها من النشاط كفاء هذه الكثرة فى عدد الاعضاء ، والأهمية للموضوع ، فاجتمعت اللجنة فى أيام ٢١ و ٢٢ و ٢٤ ديسمبر ١٩٥٨ ..

وبعد انتخاب السيد صالح الحرفى مندوب الجزائر الشقيقة سكرتيرا لها واختيار رئيس تحرير مجلة «الأدب» مقررا لها ، أقبلت على العمل حتى وضعت التقرير الذى نسجل هنا نصه :

- ١ -

قد يكون ايسر ما لهذا التراث من قيمة انه مادة مغنية لثقافة ورثته اليوم .. لكنه قبل ذلك عنصر اساسى من كياننا الاجتماعى ،ومقوم جوهرى من مقومات وجودنا النفسى والعناية به واجب علمى علينا لتاريخنا الحيوى ، الذى لن يفهم على وجهه ،

ولن يكتب صحيحا الا اذا عرفنا تراثنا معرفة كاملة دقيقة .. نعرف فيها انفسنا .. ونحقق وعينا ، ونثير قوى النهضة والعزة فينا ، ونتقدم على هدى ما أنار الماضى من طريقنا . وما بعث من ثقتنا .

والى جانب ذلك كله اعتبار آخر ارهب من كل أولئك جميعا هو : أن أعداءنا الجاثمين فى جنبات ديارنا من يهود يستبقون الى استلاب ذلك التراث الثقافى لمناطقنا وانتهابه بنشاط عنيف يزرى بأكبر ما يبذل فى هذا السبيل أشد أبناء العروبة وعيا وجدا .. حتى صار المبتغى لشىء من معرفة او درس لبعض ذلك التراث يشعر ان مطبوعات اسرائيل وفهارسها ، ومقتنياتها قد ذهبت من ذلك بالنفيس القيم .

ومن هنا تدخل لجنة التراث مهمتها لتمضى الى الاسس البعيدة فى بحثها والى الآفاق الفسيحة من آمالها ، وفاء ببعض واجبنا نحو تراثنا .

- ٢ -

وضع التراث بين مشكلات الكتاب العربى فذكر ذلك اللجنة بما يسبق الى الوهم من ان تراثنا هو الكتاب ، لا غير ، بل قد يفهم أن الكتاب الأدبى دون سواه ، او قبل سواه هو الذى يوجه اليه النشاط بل هو الذى قد اتجه اليه النشاط الأكبر ، حتى اليوم ، فيما كان من محاولات لخدمة التراث .

ولهذ حرصت اللجنة على ان تقرر أن التراث هو : كل ما يحفظ لنا اثرا من الحضارة العربية والاسلامية فى ميادينها المختلفة .. من علوم متنوعة، أو فنون سمعية أو بصرية تشكيلية .. الخ ..

والى هذه كلها توجه العناية بالتراث وان كانت اللجنة هنا ستعنى من ذلك بالتراث المكتوب بالعربية فقط .

- ٣ -

بدأ « مشروع وسائل البحث » الموضوع للجنة التراث ، بالنشر ، مقدما ما تقرر بشأنه فى الدورتين الثانية والثالثة لمؤتمر الأدباء ، ومثنيا بمعونة دور النشر المهتمة ببعث التراث .. والزامها باخراج الكتب اخراجا أنيقا ، بأثمان معتدلة ، وتمكين المتخصصين فى دراسة التراث من زيارة المكتبات العالمية التى تحتوى نسخا من المخطوطات النادرة للانتفاع بها .. ولكن اللجنة وقد تمثلت من الأصالة لأهمية التراث ما تمثلت ، وعرفت من عدم استقرار العناية بأمره ما عرفت لم تقف عند ما حدد مشروع البحث من مسائل ومضت الى بحث ما هو أسبق من ذلك وآصل ونظمت بحثها فى خطوات طبيعية مرتبة لخدمة التراث هى :

أ - التعرف على تراثنا تعرفا تاما مستقرئا .

ب - احصاء ما يعرف منه احصاء شاملا .

ج - استرداد ما ليس فى أيدينا منه .

د ـ وصفه بفهرسة فنية ٠

هـ ـ اعـداده للدرس ، بتحقيقه ونشره ٠

واتخـذت فى كل تلك الخطوات القرارات والتوصيات التالية :

قدرت اللجنـة ما يعترض الخدمة المجدية للتراث العربى من عقبـات مثـل : عدم التعـاون المنسق بين الاقطار العربية فى هذه الخدمة ،وعدم توافر الأموال اللازمة لها ، وهى غير قليلة ، وعدم وجود هيئة نظاميـة لشىء من هذه الخدمة فى بعض الاقطار العربية ٠

وازاحة لهذه العقبـات قررت ، بعد الدرس الدقيق ما يأتى :

أ ـ توصية جامعة الدول العربية بأن تنشىء فى هيئتها الثقافية مركزا لخدمة التـراث يتكامل مع معهـد المخطوطات بها ٠

ومهمة هـذا المركز هى : تبـادل التفاهم والتعـاون الايجـابى بين الهيئات النظامية التى تعمـل لخدمة التراث فى الاقطار العربية ،كادارات التراث لوزارات التربية ، والثقافة ، ـ حين توجد ـ والمكتبات العـامة للدولة ٠٠ والمتـاحف الفنيـة ٠٠ والهيئات الأخرى الرسمية والأهلية، التى لها نشاط فى هـذا السبيل ، حين تعرف فى قطر عربى ٠

ومن مهمة هذا المركز بالجامعـة العربية أيضا : طلب انشاء مكاتب او ادارات ثقافية فى الأقطار العربية ، التى لم توجد فيها بعد هذه المنظمات ٠٠ مع تنظيم هـذا المركـز الآن للاتصالات الواجبة بتلك الأقطار التى لم تنشىء بعـد هـذه المؤسسات ، والتدابير المجدى للوصول الى الحقائق والبيانات والاحصـاءات المطلوبة من تلك البلاد ، عمـا لديها من هـذا التراث ٠٠وحملها على معرفته وصونه ٠٠ وتمكين الدارسين فى الأقطـار العربية الأخرى من دراسته ٠

كما يتصل ذلك المركز بالمنظمات الدوليـة كاليونسكو ، انتفـاعا بخدماتها فى هذا الميدان ٠٠ وبذلك وما اليه يكون فى هذا المركز ـ اول ما يكون ـ أوفى المعلومات عن التراث العربى فى كافة أقطاره العربية ٠٠ وغير العربية كذلك ، وأن يقدمهـا للدارسين ، بطريقة منظمة ، سريعة مضمونة الفائدة ٠٠ كما يمكنهم من درسها ، والانتفاع بهـا بمختلف وسائل التمكين ٠

وكذلك ينظم هـذا المركز ما لديه من المعـلومات الكاملة عن التراث بوضع بيبليوجرافى جامع للمخطوطات العربية ٠٠ وما يشبه ذلك فى غير المخطوطات من صنوف التراث ٠

ب ـ مناشـدة الأدباء العرب ألا يكتفوا بما تبذله الحكومات العربية من مال فى خدمة تراثهـا ـ رغم الأمل فى زيادتهـا لهذه الأموال ـ وأن يعمـل اولئـك الأدباء ، بتأثيرهم الشخصى ، والجمـاعى على انشـاء صندوق أهلى لتمويل هذه الخدمة فى نواحيها المتعددة ٠٠ ويكون دخـل هذا الصندوق : من هبات الأثرياء ، وأوقافهم فى الأقطار العربية كافة ،

وهم خيرون لن يقلوا عن أسلافهم الكرام ، فيما وقفوا على خدمة العلم .. كما تبتكر الوسائل المختلفة المتجددة لتنمية هذا الدخل ، من معاونات تقدر على الهيئات الأدبية ، أو الأفراد ، أو خلق الفرص الحديثة لهذه التنمية ، من أسابيع للكتاب .. أو حفلات .. وما اليها .

وتهيب اللجنة باتحادات الأدباء فى الأقطار العربية التى عرفت هذا الاتحاد ، أن يتواصل بعضهم ببعض بهذا الشأن ـ كما يتصلون بالهيئات الأدبية ـ غير الاتحاد ـ فى سائر الأقطار ، والبيئات الأدبية ، لينظموا لتنفيذ اقتراح هذا الصندوق .

والمكتب الدائم لمؤتمر الأدباء يستثير الهمم ، ويقوى الصلات ، ويرعى نشاط الأدباء بهذا الشأن ، حتى تتحقق فكرة وجود هذا الصندوق الأهلى ، وتوافر المال له .

وكل عضو فى وفود هذا المؤتمر مسئول مسئولية أدبية عن العمل فى بلده ، لخدمة هذا الغرض ، والوصول فيه الى نتيجة تقدم لمؤتمر الأدباء فى دورته التالية .

واذا ما نظم التفاهم والتعاون فى خدمة التراث ترجو اللجنة أن يتحقق صائر ما أشارت اليه قريبا من مراحل هذه الخدمة .

ـ ٤ ـ

التعرف على التراث :

وهذا التعرف هو العمل الأول .. ووسائله هى :

ا ـ جمع الفهارس المكتوبة لهذا التراث ، من المكتبات جميعها ، عامة أو خاصة ، فى خارج الاقطار العربية، ومن كل قطر من هذه الاقطار حين توجد .

أما البلاد التى لا توجد فيها هذه الفهارس ، ولا يعرف ما عندها من التراث ـ كاليمن والحجاز وسواهما ـ فيتصل بها المركز السابق ذكره للحصول على بيان ما فيها من التراث ـ ومن الآن الى أن ينشأ هذا المكرر تتصل الادارة الثقافية للجامعة بهذه البلاد .

ب ـ تعين الحكومات العربية على تحقيق هذا التعرف للتراث بتكليف المكتبات فيها موافاة الجامعة العربية بكشوف عما عرفته منه .

كما تعين على ذلك **باصدار تشريع يلزم الأفراد** والهيئات بحصر ما لديهم من مواد هذا التراث، والمبادرة الى التبليغ عنها .. وللدول تجارب كثيرة فى مثل هذه الشئون الآن .

حـ ـ تعد بذلك كله قوائم مرتبة ترتيبا ابجديا ، مبينا فيها مكان كل شىء من مواد التراث تكون لدى الجهة المختصة بالجامعة العربية .

ويلى هذه الخطوة خطوة ثانية هى :

استرجاع التراث المفقود

بعد التعرف على تراثنا ، ومعرفة ما عند غيرنا منه يكون العمل على استرداد ما فقدناه .. وأيسر ذلك أن نسترد صور ما ليس لدينا ، فى أفلام له .

ويشارك كل قطر عربى – قدر طاقته – فى هذا الاسترجاع ، متتبعا من التراث ما يكون اقرب اتصالا به. فتبذل حكومته وهيئاته ما تبذل فى ذلك .

وهنا تبدأ مساهمة صندوق التراث حين يتم ايجاده وتمويله ، فيقدم المعونة المجدية فى سبيل استرجاع تراثنا المفقود .

وتعتبر الجامعة العربية منذ الآن – ثم بخاصة بعد انشاء مركز التراث – موضع الارتكاز لمعرفة ما يتم من تصوير أفلام هذا التراث .. وعن طريق الجامعة تتبادل الأقطار العربية الأفلام ، وتسعف الدارسين بما يحتاجون اليه منها فى تحقيقهم له ونشره .

التعريف بالتراث :

ان الانتفاع بالتراث درسا وتاريخا لا يكون الا بعد وصفه وصفا صحيحا تاما ، بفهرسته فهرسة فنية صحيحة والفهرسة الفنية الصحيحة غير وافية عندنا ، وترجو اللجنة أن يكون اهتمام مؤتمر الأدباء بالتراث فرصة مواتية للتعاون بين المتخصصين فى تلك الفهرسة الفنية من الأقطار العربية المختلفة التى لديها نفر من اولئك المتخصصين .

وتأمل اللجنة : **أن تضع الادارة الثقافية بالجامعة العربية نظاما لايجاد لجنة من خبراء الفهرسة تعمل على اتمام هذه الفهرسة المفيدة للتراث .**

نشر التراث :

تهيىء الخطوات السابقة للنشر العلمى المحقق لهذا التراث ، فتظفر بحياة بالأهداف والغايات العلمية والاجتماعية التى أشير اليها فى صدر هذا التقرير .

ويغلب على الظن أن منهج التحقيق العلمى لما ينشر من المخطوطات قد استقرت أصوله ، الى حد ما ، فى بعض الأقطار العربية ، بما يغنى اللجنة عن الكلام فيه هنا .

وانما يعينها الالتفات الى ما يسهل هذا النشر ، ويقرب التراث الى المنتفعين به فتشير هنا الى نوعين من النشر له .

الاول : النشر العلمى .

ومع تقدير الصعوبات فى سبيله ، وبعد التوصية بانشاء « صندوق التراث » و « مركز التراث » ، تقرر اللجنة :

١ – أن تقدم الدول العربية فى مختلف الأقطار ، التسهيل الكافى لدور النشر فيها ، من حيث الحصول على الورق ، وآلات الطباعة ، وأدواتها وما الى ذلك .

وأن تمنحها من المعونة المادية ما تسمح به ميزانيات تلك الدول ، على أن يكون لكل دولة فى مقابل ذلك التسهيل والمنح أن تصدر تشريعات تنظم من أمر التراث ما ياتى :

أ – الزام دور النشر بأن يكون من مطبوعاتها السنوية نسبة مئوية من

المخطوطات المحققة تحقيقا علميا كافيا .

ب ـ **تحديد نسبة ربح الناشر فى مطبوعات التراث بما لا يزيد عن** نسبة معتدلة مثل ٦٪ **من التكاليف.**

حـ ـ **أن يكون حق طبع المخطوطات ملكا كاملا لمحقق المخطوط ، مثل ما للمؤلف من حقوق** ثابتة له ، ولورثته ، حسب العرف الدولى المقرر ، دون تحكم فى هذه الحقوق من الناشر . **ويكون كل اتفاق مخالف للمقرر الدولى باطلا من تلقاء نفسه .**

٢ ـ **أن تبين وزارات الأوقاف أو هيئاتها ، فى الاقطار العربية ، ونظار الأوقاف من الأفراد والهيئات** المختلفة ، جميع ما لديهم من أوقاف على مكتبات أو نشاط علمى يتصل بالكتاب ، **وما لهذه الأوقاف من ريع، وكيفية** صرفه ، وحال المكتبات المرصودة لها هذه الأوقاف .

ويكون هذا البيان الدقيق وسيلة لتنظيم الانتفاع بمحتويات تلك المكتبات ، حسبما تمليه المصلحة العامة ، وصرف ريع أوقافها الى خدمة التراث : تصويرا .. وفهرسة .. ونشرا .. الخ .

٣ ـ تناشد اللجنة الحكومات العربية كلها أن تشترى قدرا صالحا مما ينشر من التراث نشرا علميا لمكتباتها أو كلياتها ، ومعاهدها .. وهيئاتها العلمية المختلفة . وتساعد على ترويج مطبوعات التراث لتمضى دور النشر فى خدمتها له .

الثانى : النشر العام

وتقدر اللجنة واجب الشعوب العربية ، فى تقريب تراثنا ، وتحبيبه الى جمهرة القراء ، وجعله مادة لثقافتهم تزيد معرفتهم بماضيهم ، وتدعم شعورهم بذاتهم ، ووعيهم لقوميتهم ..

وفى سبيل هذه الغايات الكريمة ترى اللجنة :

١ ـ **البدء بان يقدم السادة الذين حققوا شيئا من التراث ونشروه ، صورة من هذا الذى حققوه ممثلة له ،** معطية الفكرة العامة الوافية عنه ، لتكون تلك الصورة مادة لثقافة القارىء العربى الحديث ، من غير ذوى التخصص والتفرغ .. وتتولى دور النشر اخراج هذه الصور الجديدة المحببة المقربة لمواد التراث ، على اختلافها .

ويتتابع هذا التقريب والتحبيب ، وتبتكر له الوسائل المتجددة ، المسايرة للظروف والاتجاهات الاجتماعية .

٢ ـ تؤلف الآن فعلا لجنة من مختلف الأقطار العربية للاشراف الفعلى على تنفيذ هذا الاقتراح ، ويتبادل أعضاؤها الاتصال فيما بينهم .

وتتكون هذه اللجنة من السادة :

اعضاء

١ ـ الأستاذ عبد العزيز حسين ـ الكويت ـ رئيسا
٢ ـ الدكتورة بنت الشاطىء ـ ج٠ع٠م ـ سكرتيرة
٣ ـ الأستاذ رئيف خورى ـ لبنان ـ
٤ ـ الدكتور سامى الدهان الاقليم الشمالى : ج٠ع٠م
٥ ـ الدكتور شكرى فيصل الاقليم الشمالى : ج ٠ ع ٠ م
٦ ـ الأستاذ محمد كاظم الطريحى ـ العراق ـ
٧ ـ الأستاذ ابراهيم القطان ـ اليمن ـ
٨ ـ الأستاذ مصطفى عوض الكريم ـ السودان
٩ ـ السيد محمود الباجى ـ تونس ـ
١٠ ـ الاستاذ السيد أحمد صقر ـ المدرس بالكويت

وتبادل السادة الاعضاء عناوينهم ونظموا اتصالهم بالسكرتارية ٠

وعلى اللجنة أن تدبر لتحقيق هذا الغرض ، بما تراه ميسرا لعملها ، كما تستعين بمن ترى الاستعانة به من الهيئات والافراد المعنيين بالتحقيق والنشر ٠

سكرتيرا اللجنة
أبو صالح الخرفى

مقرر اللجنة
أمين الخولى

وأخيرا انعقد مؤتمر الثقافة والفنون، واتجه الى التراث فألف له لجنة نرجو أن تكون خطوة عملية فى تنفيذ مقترحات هذا التقرير وتوصياته ٠

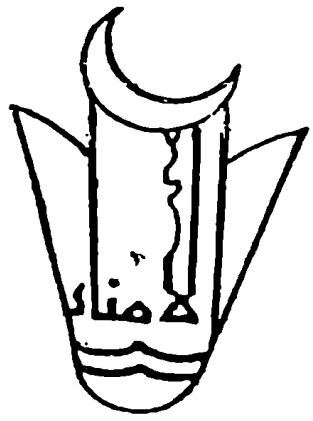

اذاعتنا .. تعيد

على ظهور الجمال

والسيد يقترح على محرر هذا الباب نشر أسماء أصحاب الرسائل .. ويقول : و « الأدب » نفسها قد شعرت بذلك ، وكتبت عن الاذاعة قبل ذلك .. فالاذاعة أوسع مجال فى حياتنا للعرض الفنى ، وعملها من أقوى الأعمال الحيوية تأثيرا على الفنون جميعا ـ أدبا وغيره ـ ولقوة شعورى بواجب « الأدب » فى هذه الناحية أوجه اليها هذه الكلمة عن اذاعتنا فى عيدها الفضى ، آخر يوم من مايو ١٩٥٩

وليس من الغريب أن يكون مظهر شعورى نحو الاذاعة فى هذه الكلمة انما هو لمحات نفسية ووجدانية ، أستشفها من شواهد ودلائل قد تبدو بسيطة أو عابرة عند النظر غير المتأمل ، أو المتسرع .. لأن دنيا الفن هى وحدها دنيا هذه اللمحات ، وعالم هذه اللفتات ، التى يشعر بها أهل الفن ، والذوق ، والحس ، حقائق كبرى بارزة .. وأولئك هم قراء « الأدب » المجلة الفنية .. وهذا اعتبار آخر يوجب توجيهى هذه الكلمة عن اذاعتنا حين تعيد الى ناقد الأدب » وأصحابه الأمناء

والشعور الذى ملأ نفسى وتجسم لديها من تعييد الاذاعة .. فى تنظيمه .. وجوه العام .. وايحائه .. هو شعور يمكن أن يتلخص فى كلمة واحدة هى : أن اذاعتنا .. تخليفة .. اذا قال الناس عن شىء انه تقدمى .. يطمح الى ما بعد يومه الحاضر .. ومعاذ الله أن نريد بها ما يسمى الشيوعية ..

ومصادر هذا الشعور بتخلفية اذاعتنا هى ـ كما قلت ـ لمحات نفسية .. ووجدانية .. وملاحظ نقدية .. ايحائية ، لما سمعت من الكلام ـ والغناء ..

والموسيقى ·· والتمثيليات ·· وبرجرام هذا التعييد ·· الذى احتفلت له الاذاعة بالحاضرين والغابرين ، والسالفين والسابقين من أهلها ، وقرابتها ، وجيرانها

وأول هذا الايحاء ما فى كلمة السيد مدير الاذاعة ، التى القاها على أنها كلمة الاذاعة فى عيدها ، لأنه الشخص الذى يمثل شخصيتها المعنوية طبعـا ·· واذا هو يتحدث عن عهدها الأول فيقول : كانت القافلة صغيرة ·· والزاد قليل ·· والحادى·· أبصر ومدرى ·· وهكذا ينقلنا ـ أعزه الله ـ الى البادية ·· والصحراء ·· ويعيد على ظهور الجمال ·· كما يسبق الى لسانى ·· حين سـمعت هذه الكلمة ·· بسجعها ·· المصنوع

وشىء آخر عام ، واضح ، طبع برنامج العيد ·· وهو الذى ذكرنى بما يقوله العوام السذج حولنا حين يعيد بعضهم على بعض ، فيقول فى العيد الصغير : العيـد الجاى تكون فرحان بأولادك ·· العيد الجاى تكونى فرحانه بعوض يجيلك ـ وكل وكل واحد بما يناسبه ·· كما يقولون فى العيد الكبير ·· عيد الحج ··

العيد الجاى تكون على عرفات ·· العيد الجاى تكون زى الحجاج ·· وهكذا يذكرون فى عيدهم عن هذا العام آمال العام المقبل ، وينظرون الى الغـد ، والى الأمام ··

أما الاذاعة فلم يحل لها أن تذكر غدها ، ولا مستقبلها فى عيدها ، بل شـغلها الماضى ·· والأمس ·· والقديم ·· وحتى حينمـا تحدثت عن الغـد ـ بقصـد أو بغير قصد ـ فى تمثيليتها : الاشعاع رقم ٧ ، وهى حديث عن اشـعاع منتظر يؤثر على الراديو ويسكته ·· وهى تريد بذلك ـ كما قالت هى نفسها ـ بيان ما تكون عليه حالة الدنيا ، حين يجىء هذا اليوم ، ولا يكون فيها راديو ، اذ يسكته الاشعاع رقم ٧ ·· فحين ذكرت هذا الغد ، والمستقبل ، لم تتجه فى تذكرها الى الماضى ، فكان الحل عندها فى تعويض العريس لعروسته عن الراديـو بشراء اسطوانات بثلثمائة جنيه ـ بس ·· لاغير ـ ولو كان فى عينها نظر الى المستقبل يجده ، وروحه لأدركت أن هذا اليوم الذى يعرف فيه اشعاع يسكت راديو ستكون فيه كذلك وسائل للنشر والاذاعة ·· واساليب للتسلية من واديه الاشعاعى ·· غير الراديو ·· وغير الأسطوانات لكن اذاعتنا فى خيالها ، حين يحلق ·· كما هى فى عملها ، ونظامها ، وتفكيرها ، تخلفية ·· كما شعرت ، فى عيدها ، وفى ماضى حياتها طوال هذا الربع القرن من السـنين ·· تعيش فيما سـبق الـه تشبيهها ·· على ظهور الابل ، حين تتعامل فى عالم اللاسلكى !!

واذا كنت أكتفى بهذه اللقطة الواحدة فى وصف اذاعتنا فما ذلك الا لأنى أفهم من معنى التخلفية ٠٠ كل معانى النقص الكبرى والصغرى ، وكل نواحى الشكوى المزمنة ، والدائمة ، من الاذاعة ، أمس واليوم ٠٠ وفى العيد ، وقبل العيد ٠٠ فأفهم مثلا أنها متخلفة عن سير الحياة ، فيما تقدمه ٠٠ لا تشعر أنها اليوم فى عصر الفضاء حينما تقدم حديثا دينيا ـ أو دنيويا ـ عن وصف ما يتكون منه كل سماء من السموات السبعة ٠٠ كما أفهم أنها متخلفة عن طبيعة الحياة فى عملها السريع الدقيق ، بما تتعثر فيه ، من تساهل ، وفوضى ، وتهاون ٠٠ وعدم دقة ، يشعر بها سامعوها ، والمتعاملون معها ٠٠ والتفصيل بالبوستة

وكذلك أفهم أنها متخلفة عن التطور الاجتماعى الذى صارت فيه الدولة والأمة ، والشعب والحكومة وحدة متعاونة ، وقوة متماسكة ، يجب أن يخلص الفرد فيها النصح للكل ، ويشعر الكل بادق ما يحس به الفرد ـ

***

تحت الطبع

تحت الطبع

الادب

يصنع التاريخ

رسالة الفن : سيادة ٠٠ وقيادة

كيف تطلع الأدب ؟ وكيف وجه مصر الحديثة ؟

كتاب جديد من قلم الأستاذ امين الخولى

نقد الكتب

محاولة نقد

قصة الجبل

لفتحى غانم

سبق أن رايت هذه الرواية تنشر على حلقات فى مجلة «روز اليوسف» ومنعت نفسى من قراءتها حينئذ ،ذلك لأنى لاأحب القراءة «بالتقسيط» خاصة اذا كان الشىء المقروء رواية كاملة متماسكة ، ولبثت منتظرا حتى ظهرت الرواية كاملة فى سلسلة « الكتاب الذهبى » فى شهر فبراير من عام ١٩٥٩ ٠

وربما كان هناك دافعان وراء قراءتى لهذه الرواية بالذات ، دافعان ذاتيان اذا شئت الدقة ، أولهما : أن العنوان استهوانى الى حد كبير ٠ انه عنوان غامض بعض الشىء (اتضح معناه بعد ذلك فى ثنايا القصة، بطبيعة الحال) والغموض قد يكسب العمل الفنى (احيانا) جمالا وبهاء ٠ ان عنوان الرواية يفتح المجال أمام التأويلات والتفسيرات والايحاءات ٠ ثم عرفنا ـ ونحن نقرأ ـ سر العنوان ،وضاع السحر ، وان لم يضع سحر الحديث وسحر القصة فى كتاب «الجبل» ٠

أما الدافع الثانى وراء قراءتى لهذا الكتاب فهو ان اسم فتحى غانم ـ ارتبط فى يوم من الايام ـ بمعركة خاضها هو والدكتور رشاد رشدى ٠ على صفحات مجلة آخر ساعة ، موضوعها فن القصة القصيرة ، ولست أذكر الكثير عن تفاصيل هذه المعركة الان ، غير انى أذكر انها أحدثت ضجة كبيرة صاحبت ظهور مجلة الرسالة الجديدة ، التى اشتركت بدورها فى المعركة ٠

واليوم ، أردت أن أقرأ « الجبل » لأعرف كيف كتب فتحى انم قصته وهو الذى كتب عن فن القصة يوما ٠

انها قصته هو ، أو على وجه التحديد ، قصة قطاع من قطاعات حياته ، بل هو يذكر اسمه فى الصفحات الاولى ٠ فالمتحدث اذن فى هذه القصة هو فتحى غانم ، وفتحى غانم يقوم بدور «الراوية» ويحكى لنا

بقلم : محمد عبد الله الشفقى

فى هذه القصة تجربة مر بها ، وهنا نتعرض لمشكلة كبرى : ان الذين يكتبون عن قطاع من قطاعات حياتهم باسهاب ـ وفى صورة رواية ـ قد يخلطون بين فن القصة وفن كتابة «تاريخ الحياة» .. ان بينهما خيطا رفيعا رفيعا جدا ، ولكنه خطير ! ان القصة قد تروى وقائع حياتك ووقائع حياتك قد تسردها أنت فى قالب قصة ، ولكن هناك فارق فى التسمية ، وفى الموضوع ، ان الذى يتحدث عن تاريخ حياته أو عن ذكرياته يتحدث عن كل شىء يحدث له ، او عن كل شىء يذكره على الاقل ، أما الذى يريد أن يحول تاريخ حياته الى قصة ، قصة يطالعها من يعرفه ومن لايعرفه ، من يهتم به ومن لايهتم ، فانه يحتاج الى شىء آخر لاغنى عنه لمن يريد أن يحذق فن القصة ، هذا الشىء اسمه الاختيار .. ان كتابة القصة تتطلب اختيار مواقف ، واريد أن اقول أن هذا الاختيار ليس قاصرا ـ فى رأيى ـ على القصة القصيرة وحدها . وانت حين تؤلف قصة لاتكتب كل شىء . غير ان فتحى غانم كاد يهمل شرط الاختيار ، فهو فى الصفحات الاولى مفتش تحقيقات بوزارة المعارف ، كلف باجراء تحقيق فى حادث بالصعيد ، ويسافر الشاب فى القطار ، ولكنه لاينسى ان يسرد للقارىء كل شىء ، كل الانفعالات التى وردت على خاطره فى هذه اللحظة ، وكل الانفعالات التى وردت على خاطره قبل ذلك بسنوات (وبعد ذلك بسنوات ايضا) مثال هذا خواطره عن ركاب الدرجة الثالثة وركاب عربة تكييف الهواء ، فى الوقت الذى أخذنا نعجل فيه أحداث الرواية فى البداية لنعرف ماذا تم ، وبذلك ضيقنا ذرعا باسهاب المؤلف فى هذه الخواطر . ان أحداث روايته تكاد تشبه ـ فى أبعادها وموضوعها ـ أحداث «يوميات نائب فى الارياف» ، بيد ان القالب الذى اختاره توفيق الحكيم لكتابه أتاح له حرية السرد ، وحرية الاسهاب . . فالكتاب «يوميات» أما «الجبل» فرواية وقد مضى عهد الخواطر ، والمقالات الزائدة التى يدمجها الروائيون فى قصصهم ، مضى عهد تلك الروايات التى تكتب على طراز «الحرب والسلام» للكاتب الروسى ليو تولستوى ، وقد بلغ من ضيق بعض القراء بالاشياء الزائدة فى رواية مثل «الحرب والسلام» ان هرعوا الى الملخصات التى صدرت بعد ذلك . وكان أول ما فعلته هذه الملخصات حذف الاشياء «الزائدة» التى كان من الممكن أن يقولها تولستوى فى كتب أخرى بدلا من ادخالها فى روايته . واليوم تسلط الاضواء على روائيين مثل ارنست همنجواى . ان همنجواى لايقول فى روايته كل شىء انه يختار .. يختار من المواقف والخواطر مايخدم القصة . وهو لايقحم خواطره الا فى النادر ، ولا يلقى بمواعظ أبدا ، بل يجعل أحداث الرواية تلقى بالموعظة فى سكون .. وبطريق غير مباشر .

بل لقد ابتدع ارنست همنجواى مايسمى بأسلوب«جبل الجليدالعائم» فجبل الجليد العائم لاتظهر منه الا قمة صغيرة ، هذه المساحة الصغيرة هى التى تظهر فى روايات همنجواى اما الجزء الباقى من الجبل الثلجى العائم فمغمور فى الاعماق ، لا يراه أحد الا اذا غاص ، الى الاعماق ، ان هذا الجزء المغمور موجود ، ولوجوده قيمة ! هذه المساحة الكبيرة الباقية تظهر من خلال السطور ، ولكنها لاتظهر أبدا بطريقة سافرة ، خوفا من أن تبدو فى صورة الشىء الفضولى الذى يقحم نفسه دون ان تكون ضرورة كبيرة .

والمفروض فيمن يطالع هذا المقال انه قرأ رواية «الجبل» بالفعل ،ذلك لانى لن أتعرض لحوادثها بالتفصيل سأشير الى بعض الاحداث على اعتبار ان القارىء ألم بها وهو يطالع الرواية اما الذى لم يطالعها ، فقل أن يعنيه قراءة هذا النقد ، أو قليلا ما يفيده .

ولكن يجدر بى أن أشير الى نوع آخر من التلخيص المستحب وهو التلخيص التحليلى . ففى ثنايا هذا التلخيص للقصة المعروضة على بساط البحث يقوم الناقد بادخال بعض اللمسات والتغييرات للمواقف الغامضة ويجمع شتات الحوادث ويدمجها فى اطار يبين منطقها ومراميها ، ومن ثم يعتبر عرضه للقصة عرضا تفسيريا يجعل معانيها أشد عمقا .

ولكن يكفى هنا أن أقول أن وقائع القصة تقع فى قرية اسمها «الجرنة» ، هناك ، عند الجبل الغربى المواجه لمدينة الاقصر ، وفى القاهرة يعيش مفتش التحقيقات الذى يروى لنا القصة بأكملها، وبذلك يتحدد مسرح الحوادث فى مدينة (القاهرة) وقرية (الجرنة) ويدور بينها صراع يتمثل فى الصراع بين مفتش التحقيقات ومن يمثلهم .. وأهالى قرية الجرنة . ويمتد الصراع ليشمل معانى أشد عمقا . الصراع بين المدنية وبين البداوة ، بين وجهة نظر أناس لاينفعلون بالمشاكل ووجهة نظر أناس لاينفعلون بها انفعالا تاما ، تصل الى مفتش التحقيقات شكوى بتوقيع حسين على، وهو من أهالى قرية الجرنه أهالى القرية لايريدون الانتقال الى المساكن النموذجية التى أقامها لهم المهندس «فى ظل حكومة العهد البائد» ويذهب المفتش الى الاقصر ، ويقابل المهندس المسئول ، ويقابل بعض السياح ، والسائحات . ثم يذهب الى قرية الجرنه بالرغم مما يحيط بها من غموض وطلاسم، وبالرغم من تحذيرات الناس من حوله . وهناك يقابل العمدة ويقابل حسين على نفسه، ويعيش يوما حافلا بالاحاسيس وان لم يحفل بالحوادث ، ويعرف وجهة نظرهم .. ويتعرف على أناس لاتعثر على طرازهم فى المدينة مطلقا ، وينفعل الراوية بمطالبهم وآمالهم ، ويحزن لنوبات اليأس التى تنتابهم ، ويكتشف ايضا أن أهالى القرية ارتبطوا بالجبل .جبل

الجرنه ، لا يبرحونه ابدا ولا يريدون مغادرته ، وهم يأملون العثور عـــلى كنز فرعونى فى يوم من الايام ،ويدرك ايضا أن الاهالى يخشون النزوح الى القرية النموذجية خشية البطالة ٠ ٠ فالقرية الجديدة ستكفل لهم المســكن غير انها لم تفكر فى ايجاد عمل لهـــم وعملهم الحقيقى هنا ، عند الجبل ٠٠ فى قرية الجرنه ، حيث يبحثـون عن كنو زأجدادهم ، ويبيعون التماثيـل التقليدية للسياح ، ويصنعون اطباق القش٠ويقفل مفتش التحقيقات ومحضر التحقيق وقد عزم على ألا يكتب شيئا٠ ويعود الى القاهرة ويغضب منه رؤساؤه ويستقيل ، فى يوم من الايام ٠

ولقد تعرض المؤلف فى هذه الرواية لمشكلة ضخمة هى مشكلة اللغة او على وجه الصحة : مشكلة اللهجات المختلفة فنحن فى هذه القصة أمـــام مصريين قاهريين (مدير التحقيقـــات ، مفتش التحقيقات ، وكيل النيابة،المهندس) وأمام «صعايدة» (الصعيدية الشـــقراء التى تتحدث الفرنسية أيضا ، العمدة حسين على ، مسعده) ، وامام اجانب (ســـــياح وسائحات ، والخوجايه الفرنسية» التى تلعب دورا كبيرا فى قرية الجرنه) ونحن ايضا امام شيخ معهم يتكلم بالعربية الفصحى،الى جانب أن المهندس متحلق جبان اشبه فى نعومته بشخصية «ميمى بيه») ٠

ان المؤلف يريد أن ينقل اســلوب هؤلاء كلهم بامانة، فالصعيدية الشقراء تتحدث بلهجتها المحلية وتقول لزوجها الأسمر :

ـ«متنساش تجفل البيبان والشبابيك مليح ٠٠ وتشيل خلجاتك فى اللولاب جبل ماتمشى ٠٠ وتجفل اللولاب ٠٠ اوعى تنسى كوبس النور ٠٠ يعمـل حريجه بعدين ٠٠ نبجى نجولو ياريت ٠٠ ماينفعش » ٠

ومفتش التحقيقات يستخدم اللهجة الدارجة التى نستخدمها فى القاهرة:

ـ «دى استراحة الآثار ٠ ٠ انت متأكد » ٠

والمهندس يتحدث فى نعومة :

ـ «أوه ٠٠ ياربى ٠٠ آو ٠٠ لا ٠ شوف البنت اللى ماشية هناك ٠٠ بتعمل صورة جميلة على جدار الجامع ٠٠ بس ياخســـارة كان لازم تلبس فستان برتقالى علشان الالوان تنسجم مع بعض ٠ »

والذى لاحظته أنه نجح فى نقـــل لهجـــات « الصـــعايدة » والمصريين و «الخوجايه الفرنسية» الى حد كبير، غير انه كان مفتعلا فى نقله لأسـلوب الشيخ طلباوى ، وأسلوب المهندس ، ولقد اخفق فى محاولته التى نقل بها حديث المراتين الاجنبيتين ، وحديث الشقراء الصعيدية وهى تتحـــدث بالفرنسية ، اذ جعلهن يتحدثن باللغة العربية الفصحى على اساس انه «يترجم» كلامهن من اللغة الاصلية ، وكنقـله لحديث المهندس وهو يتكلم بالفرنسية مع السيدة الاجنبية ٠

«سيدتى ان أعصابى لا تحتمل كل هذا .. ان ما تفعلينه لا يليق .. آه ياربى كم أعانى فى هذه المهمة اللعينة التى أقوم بها» انها مشكلة كبيرة فعلا : كيف ننقل الى القارىء العربى حوار رجل يتحدث بالفرنسية مع الاحتفاظ بروح المتحدث ، واقناع القارىء بأنه كان يتكلم الفرنسية بالفعل ؟ ان الحل لايتحقق أبدا بأن ننقل الحوار الى لغة عربية فصحى على زعم أن هذا «ترجمة» للحوار الفرنسى اذ أن عنصر الافتعال واضح فى هذا واقترح ـ حلا للمشكلة ـ أن ينقل الكاتب الحوار باللغة الاصلية وبالحروف الاجنبية ، وتوضع ترجمة له فى أسفل الصفحة .

وفى قصة «الجبل» راوية آخر غير الراوية الاصلى ، راوية اسمه حسين على .. وعندما ننتقل الى قرية الجرنه نسمع منه قصته ، وقصة الجبل .. وقصة القرية بأكملها ، كما يرويها لفتحى غانم ، ومن ثم لاتتضح وقائع القصة الا من زاوية حسين على ، ان حسين على هو الذى يسيطر فى الواقع على القصة بأكملها ، ومن ثم ننظر الى القرية النموذجية نظرة حسين على اليها .. ونحب الجبل لان حسين على يحبه ، ونأمل أن يؤدى « الكحت » الى فتح كنز فرعونى مجهول لان هذا الامل يراود حسينا ويغلبه على نفسه والمؤلف نفسه ـ لا القراء فقط ـ انفعلوا برواية حسين على ، وبوجهة نظره ، ولو كانت القصة من وجهة نظر المهندس ـ على سبيل المثال ـ لتغير موقفنا منها ، ولكان رد الفعل من جانبنا غير رد الفعل الحالى .

لقد جلس المؤلف الى حسين على يسمع منه ويعرف منه جوانب كثيرة لايعرفها مدير التحقيقات ، ولا وكيل النيابة ، ولاالمهندس ، غير أنه وقع فى خطأ كبير (وقع فيه أيضا عندما تعرض لرواية العمدة) . فلقد أحسسنا أن فتحى غانم هو الذى يحكى الحكاية ـ حكاية حسين على وقريته ، وان حسين على كراوية قد ابتعد عن القصة تماما والمفروض هنا أن المؤلف يكتب قصة حسين على كما سمعها من حسين على نفسه ، والمفروض أنه ينقلها من وجهة نظر هذا الرجل الذى عاش فى الجبل ومن ثم لايحتاج الامر الى تعليق أو موعظة ، أو الى ادخال شىء من خواطر المؤلف وثقافاته ومقارناته ، ومن أمثلة تدخل المؤلف فى رواية حسين على قوله:

«كانت علاقة حسين بأبيه علاقة صوتية ، علاقة نداء متصل من الأب وتلبية للنداء من الابن» .

ان هذا شىء لم يقله حسين على بالطبع ، وانما الذى قاله ـ أو أفحمه ـ هو فتحى غانم نفسه .

وكان يقول عندما يحكى كيف باع أهل القرية بعض التماثيل المرمرية «لخوجاية» .

والعمدة هو الذى حدد الثمن .. قالت لـ «الخوجاية : اللى تطلبه ياعمدة وفكر العمدة طويلا ، ثم رفع رأسه وقال لها فى انفعال وحماس : الف

جنيه . قالتها وكأنه يطلب منها القمر ولم تقل الخوجاية شيئا ، مدت يدها الى صدرها وأخرجت القمر . أخرجت من بين ثدييها الالف جنيه .

وفى صفحة ١٣٤ ، وصفحة ١٣٥ خواطر لايمكن أبدا أن تدور فى ذهن حسين على . ان فيها تفلسفا يفضح أفكار المؤلف نفسه، وما يريد أن يقوله على لسان حسين على، واقول مرة أخرى أنه من المفروض اننا نسمع قصة حسين من حسين على نفسه ، (ومن ثم يجب أن تكون ساذجة ومن وجهة نظره هو) والدليل على أن حسينا على هو الذى يروى القصة للمؤلف ، قول فتحى غانم فى نهاية اتراوية :

«سكت حسين على عندما وصل الى هذا الحد من حكايته التى يرويها لى ، كان من الصعب عليه أن يواصل الكلام» صفحة ١٤٨

وهو يقع فى نفس الخطأ عندما ينقل لنا رواية العمدة ، فالمفروض أن العمدة هو الذى يحكى لفتحى غانم، وان فتحى غانم لايعرف الا ما يرويه العمدة له . . ولكنه يفاجأ بقوله : «كانت الاميرة وأصدقاؤها ينظرون الى العمدة وهو يتكلم ويشير بيديه فى حماس وكأنه راقص باليه ، او ممثل فى تراجيديا صينية غير مفهومة (ص٨٧) .

هل يقول عمدة الجرنة كلاما كهذا؟

والذى يقرأ «الجبل» سيتكشف أن عنوانها لا يقتصر على مجرد الاشارة الى الجبل الموجود فى قرية الجرنة ، والذى يبحث فيه الاهالى عن كنوز اجدادهم الفراعنة ، فالعنوان رمزى ايضا . انه يرمز الى حسين على .

حسين على هو الجبل نفسه ، فى نظر المؤلف ، وفى نظر اهالى الجرنة وفى نظر المراة الفرنسية . والى القارىء الدليل :

حسين على فى نظر المؤلف : «تحت جديد ، وسرداب جديد ، وضحايا جدد ودم مسفوك جديد . . هذا هو مايعنيه البئر . . ان أى انسان لا يستطيع أن يتحمل كل هذا الشقاء فى حياته مرتين . . انه موقف جنونى ، كنز موجود فيه الامل الوحيد فى الحياة ، وعقبات قائمة فيها كل اليأس من الحياة ، كيف يتحمل حسين هذا الموقف ؟ لقد بدأ يروى لى حكايته ، وهو يضحك كأنه لايحمل هما . . قابلنى شامخا مترفعا كالجبل . . انه الجبل فعلا ، لا قيمة لكل هذه المناظر الطبيعية التى تحيط بى . . الجبل وكهوفه ، الصحراء ورمالها ، السماء ونجومها . . كل هذه الطبيعة لاقيمة لها بغير حسين . . انه اقوى منها وأشد احتمالا منها . . واجمل منها » . (ص ١٤٩) .

وحسين على (جبل) فى نظر أهالى القرية انهم لاينسون ابدا كيف عاد اليهم بعد أن رفض العمل فى القرية النموذجية ، وامتنع عن دفع الاتاوة اليومية للمقاول . (ص١٢١) .

اما المراة الفرنسية فكانت كلما ضمها حسين على اليه بذراعيه القويتين احست كأنه يضمها الى الجبل كله

ولقد سبق ان اشرت الى مشكلة الحشو فى أول المقال ،وقد واجهتنا هذه المشكلة فى آخر القصة ايضا ..

ويبدو أن الخواطر ـ الموجودة فى ذهن المؤلف ـ كانت تستبد به وتسيطر عليه بصورة عنيفة لقد كانت تضغط الأحداث ، وتضغط على الأحداث .

والواقع أن احساسنا بوجود الحشو كان كبيرا لالشىء الا لان القصة مشوقة ومن ثم كان الصبر ينفد عند وجود «الحواجز» والافكار الكثيرة التى تعترض السياق دون مبرر.. بالرغم من جمالها فى ذاتها .

واريد هنا أن أشير الى واقعة المرأة الفرنسية وهى تنتظر نبأ اكتشاف الكنز . اننا ننتظر معها هذا النبأ ، غير أننا نحس بالملل لكثرة خواطرها ، ولكثرة تداعى المعانى ، ثم تدخل مسعدة ـ زوجة حسين على فى المستقبل ـ تدخل ويدور بين المرأتين حوار طويل . ويقع المؤلف فى هوة الحشو مرة أخرى . لقدكان من الممكن أن ينقل لنا حوارا مباشرا يدور بين المرأتين ، حوارا يتخلص فيه من التعليقات ، والخواطر والتوجيهات المسرحية .

(جاء الصوت واضحا عبر الباب ـ رفعت الخوجاية صوتها المنفعل ـ أجابت مسعدة فى نفاذ صبر ـ تقدمت مسعدة الى داخل البيت ـ جلست الخوجاية على مقعد آخر .)

كان من الممكن أن يعتمد فتحى غانم على الشحنات الهائلة التى تحويها كل كلمة تنطق بها مسعدة او تنطلق بها المرأة الفرنسية ، دون حاجة الى اطار لالزوم له . ولقد اقدمت بنفسى على تجربة طريفة لأرى ماذا كان الحوار وحده يكفى . قرأت الحوار فقط دون سابق قراءة لما بعد الحوار ، ولما قبله ولما بداخله من وصف وتعليق وملاحظات ... أهملت كل الجمل الاعتراضية ، والاستطراد ، والتفسير ، فماذا كانت النتيجة ؟ خرجت بمتعة جمالية قوية ولم أفقد شيئا من الحقائق التى جاءت على هذه الصفحات ، وأرجو من القارىء أن يقوم بنفس التجربة ويطبقها على الحوار المنشور فى الصفحات ١٥٨ الى ١٦٣

وليس هذا بالشىء الجديد ، لقد كتب جون ستاينبك الروائى الامريكى المشهور ـ ثلاث روايات يمكن أن نرفع منها الوصف، والتعليق ، والتوجيهات المسرحية ونخرج بحوار درامى كامل وقصة محبوكة ، وهذه الروايات هى على التوالى :

ـ عن الرجال والفئران .

ـ قد غاب القمر .

ـ اللظى الساطع . (راجع مقدمة ستاينبك لقصة اللظى الساطع ،وفيها أوضح هذه النقطة .

والان لنتجه الى بعض مبادىء أثارتها الرواية . ماهى المشكلة فى قصة (الجبل) ؟

المشكلة تتلخص فى أن البعض قد يبنى ويعمل لا لخدمة غيره ، وانما لمصلحته ومجده ، هذا مافعله المهندس

لقد شيد قرية نموذجية دون ان يفكر في ايجاد عمل للدين سينزلون فيها ، بنى هذه القرية لانها صادفت هوى في نفسه ولانه ظن أن مشروعه سيقيم الدنيا ويقعدها .

هذه هي مشكلة أهل (الجرنة) انهم لايستطيعون أن يذهبوا الى هذه المباني الحديثة ، فليس لديهم عمل هناك .. أضف الى هذا انهم فقراء بطبيعتهم فما هو الحل ؟

لقد انتصر أهل القرية في هذه المعركة التي لم تقم من أجل هدف نبيل ، يقول مفتش التحقيقات (ص١٨٩) .

« وسمعت بعد ذلك عن أهل الجبل قرات يوما في الصحف نبأ عدول الحكومة عن مشروع القرية النموذجية واسكان الاهالي فيها .. لقد انتصروا

وأثبتوا في انتصارهم فشل كل مشروع يقوم من أجل أسباب لا صلة لها بالاصلاح الحقيقي » .

لقد انتصروا على المهندس وعلى من يقفون وراء المهندس ، ولكن هل انتصروا على فقرهم ؟

لا ! ..

غير ان المؤلف يقترح عليهم الحلول .

انه يقول : لماذا لا يبلغون مصلحة الاثار عند عثورهم على كنز ؟ ان هذا سيجلب الخير الى بلادهم ، وسياتي آلاف السياح ، وفي نفس الوقت تقوم نساء الجبل باعداد أطباق القش .. ويقوم الرجال بصنع التماثيل . (ص ١٧٤)

فاذا حدث وتم يعثروا على الكنز ؟

حسن . فليعملوا ! فليصنعوا التماثيل وأطباق القش . ان العمل هو الكنز الحقيقي .

هذا هو الدرس العميق الذي يكمن وراء الرواية .

هذا هو الكنز الحقيقي الذي اكتشفه اهل الجبل ، تماثيلهم التي يصنعونها بايديهم هي الكنز الحقيقي .. هي الآثار الحقيقية .. انها ليست مزيفة لانها من صنع أيديهم .. لانها نتيجة لعملهم .. لانها ترمز للعمل .

العمل هو الكنز الحقيقي (ص ١٧٦)

نعم .. العمل هو الكنز الحقيقي ، ولهذا الحل فلسفته وعمقه .

وللقصة اتجاه جميل من حيث اهتمامها بقطاع من قطاعات شعبنا .. فلطالما نادى الكتاب بالاهتمام بالريف ومشاكله واهله .. وفي نفس الوقت نجد من يهتم بالجنوب ، بالصعيد الجميل ، وهناك نكتشف (والفضل يرجع لرواية الجبل) أن صلابة الرجال لاتدل على أن (دماغهم ناشفة) وانما على اعتزازهم برايهم واحترامهم لكرامتهم ، والتزامهم لمبادىء صارمة جادة ، وهم وان كانوا على شيء من الغلظة والخشونة الا انهم يتمتعون بالرقة ، الرقة التي يتميز بها كل ماهو فطري وبدائي ، هذه الرقة شيء يختلف كل الاختلاف عن (النعومة) فالنعومة صفة من صفات المهندس المخنث .

ويخيل الى أن جميع من قرأوا هذه الرواية عاشوا فى أحداثها بكل أحاسيسهم. والفضل يرجع الى الكاتب الذى عرض علينا أماكن واقعية وشخصيات واقعية ، ان الكاتب يصف هنا مكانا كاننا بالفعل ، وزمانا كان بالفعل، وأشخاصا تستطيع أن تقابلهم وهو لم يكتف بالاحداث التى وقعت ، وهو مفتش للتحقيقات وانما نقل الينا الاطار الزمنى الى وقت قريب جدا يوم أن قام الرئيس وضيفه سوكارنو بزيارة منطقة الاثار التى دارت فيها أحداث الرواية .

ولأن القصة صورة لقطاع من قطاعات حياتنا ، ولانها تمتاز بحيوية دافقة ، اقترح ترجمتها الى الانجليزية أو الفرنسية أو غيرها من اللغات التى يهتم أصحابها بأدبنا .

كما اقترح على المؤلف أن يعدها للاذاعة فى صورة تمثيلية مسلسلة تذاع على حلقات على نمط التمثيليات التى نسمعها فى الاذاعة كل شهر .. فهى تصلح جدا ، والعقبة الوحيدة التى ستكون امتحانا لاجادة الكاتب هى الحوار .

وقبل أن أختتم هذه المحاولة النقدية أشير الى نقطة هامة كانت بمثابة اللحن الثانوى الذى يطغى عليه اللحن الأساسى انها : موقف الفنان من واقع الحياة ، بمعنى : هل يستطيع الفنان أن يوائم بين مبادئه الفنية وبين المبادىء التى يعيش عليها الناس ، والتى قد تكون فاسدة ؟

ان فتحى غانم يفشل فى النهاية فى وظيفته ، وظيفة مفتش التحقيقات ويفشل فى اقناع المسئولين بوجهة نظره .. وتمضى فترة ، ويستقيل . لماذا ؟ لان الفرد فيه غلب على امره وهو يواجه المجموع .. المجموع الممثل فى هديزه ، وفى المهندس ، وغيرهما ولان الفنان تمرد فيه على الحيوان الاجتماعى الذى يطلب منه المجتمع أن يخضع له بدعوى «التكيف مع البيئة» .

والفنان ، كل فنان أصيل ، متمرد بطبيعته ، وللفنان وجهة نظر ، اذا تدخلت تدخلا عمليا بحتا أدت الى أوخم العواقب بالنسبة لغيره من الافراد .. ان الفنان لايستطيع أن يؤثر بطريقة عملية بحتة، انه يؤثر بفنه، اى بطريقة معنوية ، لهذا عجز مفتش التحقيقات أن يؤثر على من حوله . غير انه يستطيع الآن ـ بوصفه فنانا ـ أن يؤثر على هؤلاء الاشخاص انفسهم ، عن طريق قصته وظن البعض أن مفتش التحقيقات خان وظيفته ، ورسالته .. والواقع أنه خانها بالفعل ـ اذا نظرنا الى الامور نظرة المجتمع ـ غير أنه أخلص لروح الفنان .

فهذه الروح هى التى جعلته يتعاطف مع العمدة ، ومع حسين على ، ومع غيرهما .

وهذه الروح هى التى دفعته فى النهاية الى الاستقالة .

وهذه الروح هى التى جعلته يكتب أخيرا هذه الرواية .

رواية الجبل .

ان الرواية دراسة عميقة لموقف الفنان من العالم .

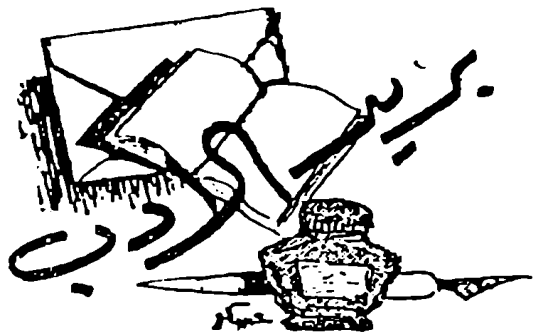

فى اللغة ..

تعرض هذا الباب منذ شهرين للحديث عن اللغة العامة ، واللغة الخاصة ، ردا على مكاتبات لأحد القراء ، وهو الزجال المشاغب ، ولكن يبدو من حال الصديق انه جدير بلقب « المشاغب » بصفة عامة .. وهو يعرض لأشياء كثيرة ، ويحكم أحكاما واسعة غير محدودة ، ويدخل فى قروض غيبية ، و .. و .. مما يطول فيه الحديث معه فوق طاقة القراء ، دون أن نستوفيه ، فكيف اذا أسهبنا القول فيه حتى يرضى أو يقتنع ؟! وهو لن يرضى ، لأنه يقول مقدما : « وأما من حيث الوقت أو الصفحات مش متسعة للكلام فى هذا الموضوع فهذا تقصير كبير » .. ولا ندرى كيف يكون الواقع والنظام تقصيرا .. ولكن هكذا أحكامه !!

ونعرض ـ ما استطعنا واستطاع القارىء الاحتمال ـ لرسالتين متلاحقتين له فى اللغة العامة لنشير منها الى مواضع للملاحظة فى اجمال تام ، يلزمنا به ـ طبعا ـ الواقع من الوقت والصفحات !؟ فمن ذلك مثلا :

ا ـ قوله : ان كل الأديان ، والأذواق ، والشعوب لا يهمها التزمت فى مسألة اللغة ـ وهو كلام يبطله الواقع الاجتماعى والتاريخى !!

ب ـ وقوله ـ احنا بنلقى مجلتكم الموقرة بتتناول موضوعات كتبت فى الأصل بالانجليزية والايطالية والصينية وتنقلوها .. يبقى من باب العدل لا من باب قراقوش يرفع الخطر عن استعمال العامية فى نقد الفصحى فهية أقرب لأختها العربية الفصحى من الانجليزية والفرنسية » وهو قياس .. مضحك !! فهل ننقد الصينية بالصينية فى مجلة « الأدب » ..

ج ـ وأحب أن أعرف سيادتك ان ربنا سبحانه وتعالى ، لو كان أنزل القرآن فى هذه الأيام كان صاغه باللغة العامية ، ولكن فى اطار فنى كبير » .. وسيادتى لا تستطيع أن تعرف شيئا عن طريق هذه الفروض الموهومة ! .. ولا تعد هذا الكلام وسيلة لأى نوع من المعرفة !!

وللسيد من أمثال هذه السوابق جولات فى رسالتيه يمس بها حقائق .. وأشخاصا .. مساسا ينقصه الكثير من دقة العامية . فى تعبيرها ، وذوقها فى

استعمالها ·· ومع كل هذا نسامحه فيما خصنا ·· ونستر عليه فيمـــا يخص أشخاصا آخرين ·· قذفهم السيد بأنهم مثله فى نحو العربية وفقهها وصرفهـا ·· ولعل مستوى ما قدمنا من تفكيره يجعل التعبير بالقذف غير مسرف، ولا مبالغ

واهم من هذا كله أن نعرض لمسـألة جوهـــرية خفيت على الســـيد صاحب الرسالتين على رغم أن محرر هذا الباب قد أشـار اليها غير مرة فى الاجابة عن رسائل هذا السيد نفسه ··

وتلك هى : أن اللغة التى يسميها هو العامية ـ ويسميها المحرر « العامة » وبين التسميتين بعد ما بين السماء والأرض ـ ولعل سيادته يقدر هذا البعد ·· هذه اللغة العامة ، أو العامية كما قال هو نفسه ـ فى احدى رسالتيه الأخيـــرتين ، ترديدا وتقليدا لما سمعه من قبل دون تنبه ـ « هى لغة حياة الشعب وأدبه ·· وطرق تعبيره ، ولها أدبها وفنها ، وطرق تعبيرها » ·· وهذا هو الأساس الذى نقدنا عليه بعض ما طلب نشره من آثاره لأنه ليس مكتوبا بلغة حياة الشعب ·· وطرق تعبيره ·· ولا له أدب هذه اللغة وفنها وطرق تعبيرها ·· اذ أن الكتابة ـ أو القول الفنى ـ يطرق تعبير هذه اللغة العامة وأدبها وفنها ليس من الســهولة بالدرجة التى يظنها السيد المرسل ·· وقد يظنها كثيرون سواه ·· ولأنه ليس من هذه اللغة ما كتبه هو ، ويكتبه ·· وما أرسل الينا ، ويرسله سواه أيضا من المكتوب بغير لغة حياة الشعب ، بل هو مدخول عليها ومزور فيها ، وهو عبارات من اللغة الخاصة قد حرمت مقوماتها من التصريف ، والاعراب والرسم ·· وما الى ذلك ، فكاتبوها لم يتهيأ لهم شىء من المقدرة على تمثل لغة الحياة ، ولم يسم لهم ذوق الى استعمالاتها الفنية ·· ولكنهم أشخاص قد وقع اليهم بعض عبارات من لغة الكتابة لم يتذوقوها ، ولم يجيدوا استعمالها فأرادوا أن يكتبوها فى صورتها الضعيفة التى لم ينالوا سواها ·· على أن يعدوا لحنها واضطرابها هو العامية ·· وهو أدب العامية ·· وهو فن العامية ·· مع أنه ليس من لغة حياة الشـــعب فى شىء ·· ولا له حظ ما من ايحائها ووقعها ·· ولا هـو من اللغة الفصحى فى تكوين ولا تركيب ،وليس له وسط هذا الخليط الا فضل زيادة النشاز ، واظهار ضعف المقدرة الفنية الكتابية ··

ولقد قال محرر هذا الباب ذلك المعنى اجمالا غير مرة للسيد وقدم له أمثـــالا من أزجاله ·· ويعود فيقول هنا له ولغيره ، فى شىء من التفصيل ، ومع تقـديم الامثلة ، فمن ذلك قوله :

ـ فالسبب فى ارسال ده وراء المقال السابق تداعى المعانى وانصهار روحى من تأثير الموضوع ··

وقوله : واذا كنت انا ملحد ·· اننى ملحد ، ولكن كافر مع ايقاف التنفيذ

وقوله : تتوفر فيها قوة التأثير والموسيقى الداخلية والصورة الجميلة · فهل هذه هى عبارة لغة حياة الشعب ·· وهل مثلها الكثير فى رسالته من الاستعمالات

الفنية الاصطلاحية والعبارات المسلخة من اللغة الخاصة تحسب على فن لغة الشعب .. أو أنت وأمثالك لستم الا ـ كما قلت لكم ـ لم تستطيعوا تذوق هذه العامية ، والقدرة الفنية على الأداء بها .. كما لم يتهيأ لكم من الفصحى ما تفعلون به شيئا من ذلك .. فمسختم الفصحى .. وادعيتم على العامة ولغتهم .. فظلمتم الطرفين وأضعفتم قضية اللغة العامة .. وحققتم قول معارضيها : ان الدعوة الى الاعتراف بها ليست الا أثرا للضعف والعجز يسترهما الداعون الى شيء من تقدير الأدب الشعبى بنصرة العامية .. مع أن اسم الأدب الشعبى لا يمنح بحق الا لقول فنى له وقعه وايحاؤه ، وقوته وتأثيره .. الذى يجده كل ذى حس فنى .. ولا يجزع لشيء من عدم اعوانه ، وعدم مسايرته للفصحى فى شكلياتها !!

الفرق أيها السيد المشاغب ـ فيما أرجو وآمل ـ واضح .. وان لم يكن قريبا .. انك لم تمتلك ناصية لغة حياة الشعب فتعبر بها تعبيرا فنيا يعد من أدبها .. وعلى طريق تعبيرها .. ولم تظفر من الفصحى بما تدخل به ميدانها .. وهكذا ليس من السهل ، بل ليس من الممكن أن يؤدى احتماؤك فى ظواهر لغة الشعب ، من عدم الاعراب ومثله ، الى أن يعد عملك فى حساب العمل الفنى لاحدى اللغتين !!

وهذا الذى أسرفت فيه وأطلت ليس فيه جديد سوى ما أشرت اليه فى كلمتى السابقتين عن وقع اللغة ، وحسها الفنى وايحائها .. والحق يفهم .. والتكرار بعد هذا كله يكفى ..

والسيد يقترح على محرر هذا الباب نشر اسماء اصحاب الرسائل .. ويقول : وكل واحد مسئول عن نفسه ـ ولكنا لا نرى ضرورة لنشر الأسماء ما دمنا لا ننشر ـ بل نستطيع أن ننشر الرسائل المقومة كاملة ـ فلا يعنى القراء بعد ذلك أن يعرفوا اسم صاحب الرسالة المقومة اجمالا ، بل حسبهم من الاستفادة ما يحتكم المحرر اليهم فيه من مواضع النقد .. ولا خير لصاحب الرسالة المنقودة فى أن ينشر اسمه ، باعتباره صاحب رسالة لم تقبل .. ولطى الاسم أثر ما فى حرية المحرر ، حين يعقب فى صراحة ، أو دعابة .. والى رسائل

الشعر

ـ ولنا مع احد شداة الشعر ما يشبه حال صاحبه الزجال الذى أطلنا الحديث معه ، فهو لا يسلم بحق محرر هذا الباب فى نقد ما يرسله هو الا أن ينشره كله ، أو بين محاسنه قبل مساويه ، أو أرسل اليه رسالة خاصة فى البريد .. وطال كلامنا فى هذه المضيعة للوقت والجهد ـ ثم عاد السيد الناظم للمرة السابعة يرسل لنا شيئا مما خطه ومعه رسالة متهافتة الجوانب ، اذ يقول فيها مرة : لم أفهم فى نقدكم هذا شيئا لغموضه ـ ولأنه يستند على نقاط لا تأتى على بال الكاتب اليكم .. ثم يقول بعد ذلك .. ما دمتم توجهوننا الى ما فيه الخير والسداد .. وفقكم الله .. الى خدمة الفن والحياة .. !!

ـ ومع هذه الرسالة ما عنوانه « سمراء » ومنها مثل قوله

وآه من فتنة كالنور ذوبها
فينوس فى عالمى المحزون فى عمرى
فمن فينوس عندك وما المعنى الأسطورى المناسب لما تريده ؟ وما تذويب فتنة النور فى عمرك !! وما تذويب فتنة النور فى حزنك !! قد يكون كل هذا فوق مستواى أنا .. فلا تؤاخذنى

ـ ووصلت « الى عذراء الفجر » وفيها مثل قوله :

كخيال الصباح فى جنبات الأفق يسمو وحاملا قنديله .. والخيال .. والقنديل هنا لا يجدان مكانا

وقوله : هزة الغصن للرياح العليلة .. والعليلة لا تكون رياحا

وقوله : عذبة أنت .. كالزهور العطرية المطلولة .. فما المطلولة هنا .. وفى الزهور !!

والكلمة كما يقول صاحبها ترجمة عن وقع حادث عاناه .. فلم تخل مما يرجى معه غد أحسن ..

ـ ووصلت « آلام قلب » وقد راينا لصاحبها ما هو خير من مثل قوله هنا :

وتلفت .. لارى غير ليل مكفهر .. وظلمة مكفهرة

وقوله : وماس موصولة مستمرة ـ وقوله : وتمهل ان الهوى مكتوب .. فتنتظر له ما هو ارتفاع لمستواه الذى عرفناه

ـ ووصلت ترجمة «البلبل والوردة» لاوسكار وايلد ـ بتصرف ـ ولعلها نشرت قبل الان فى غير موضع .. فمعذرة الى السيد المترجم

ـ ووصلت ترجمة « الطائر الازرق» لفيليه جريفيه ، وترجمة « اغنية » لماترلينك ، ولعلهما تجدان مكانهما فى النشر

ـ ووصلت « الفضائل الدخيلة » ونرجو أن تظفر بمكان للنشر

النشر

ـ وصل مقال « الشرقاوى الشاعر» ومسلك الأدب ، فى الحديث عن الاحياء معروف ، وان نشرت من ذلك شيئا فكما قالت مرة انها تنشره تحت انسياب ، حتى يحين الوقت للتقدير التام لآثار هؤلاء الاصدقاء .. اطال الله حياتهم .

ـ ووصلت قصتا « فنان » و «لحظة السقوط » للسيد الذى اتفقنا معه منذ العدد الثانى أن بيننا وبينه النشر ، فان نشرنا فبها ، والا فللتقويم فرصة واسعة ، ولا عيب فى أن نقول : ان نشاط التقويم للقصة فى هذا البريد لا يساير نشاطه هو فى الارسال رغم وعده انه سيتخير .. وليست المسألة بالكم .. أبدا

ـ ووصلت قصتان لكاتب واحد لا نسميهما لأن السيد لا يريد أن يقوم فى هذا الباب فاما نشر ، واما رسالة خاصة .. والمراسلة الخاصة لايحتملها العمل مطلقا .. واما غيرها فعلى حكم التقدير الناقد .. وللكاتب ما يشاء .. لكن مع الوقت اذن ..

فهرس

العدد الثالث | يونية ١٩٥٩ | السنة الرابعة

من الفن والحياة : دين وفن .... عن الأمناء ١٤٥
المسرح الامريكى الحديث ..... مرسى سعد الدين ١٤٩
المسرح عند شوقى ..... رجب البنا ١٥٤
د . ه . لورنس ..... أنيس توفيق ١٦٣

وردة أمام حجرة الاعدام ..... شعر نجيب الكيلانى ١٦٦
يتيم ..... « كامل سعفان ١٦٨
المجنون ..... « فتحى سعيد ١٧١

محاولة لفهم دون كيشوت ..... توفيق حنا ١٧٤
أبو مدنة ..... قصة : مصطفى الاسمر ١٧٦
حكم الصنعة ..... قصة : فتحى صادق سالم ١٧٨

مصر فى أدب توفيق الحكيم ..... محمد زغلول سلام ١٨١
تراثنا فى مؤتمر الادباء ..... *** ١٨٥

اذاعتنا : تعيد على ظهور الجمال ... *** ١٩٢
قصة الجبل ..... نقد : محمد عبدالله الشفقى ١٩٥

بريد الادب : فى اللغة ٢٠٤ ـ الشعر ٢٠٦ ـ النثر ٢٠٧

دين .. وفن

— ٢ —

نشرت « الأدب » فى عددها الماضى رسالة السيد ا ٠ ا ، تحت هذا العنوان وقد طلب السيد فيما طلب من « الأدب » أن تنهى اليه رأيا عن الدين والفن ، يرد عن حياتنا ما سماه هو تصديما ٠٠

وقد آثرت أن اقدم بين يدى هذا الرأى عن الدين والفن هتفات من ذوى النفوس الشفافة من الرجال ذوى الصفة الاسلامية الجليلة ٠٠ ولعلى قد أحسنت الاختيار بأن أسوق فى ذلك خواطر لمفكر اسلامى ، جمع الى الدين والفقه ، الفلسفة والتصوف ، ومارس من الرياضة الشخصية ، والمعاناة النفسية ، والممارسة الذاتية ما يجعل لقوله فى ذلك تقديرا جليلا ، ووزنا رزينا ، ذلكم هو الامام « الغزالى » حجة الاسلام ٠

والى القراء بعض خطراته ، عن الجمال والفن ، تمهيدا لما قد تعرض له « الادب » من الرأى الدينى فى الفن ، والمنزع الفنى فى الدين ٠

الجمال

٠٠ كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال ٠٠ والله تعالى جميل يحب الجمال ٠٠ ولكن الجمال ان كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون ادرك بحاسة البصر ، وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة ، وحسن الصفات ، والاخلاق ، وارادة الخيرات لكافة الخلق ، وافاضتها عليهم على الدوام ، الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك بحاسة القلب ٠

الاحياء ـ ٣ : ٢٤٧

الاحساس

.. للانسان عقل ، وخمس حواس ، ولكل حاسة ادراك ، وفى مدركات تلك الحاسة ما يستلذ .. فللذة النظر فى المبصرات الجميلة ، كالخضرة ، والماء الجارى ، والوجه الحسن ، وبالجملة سائر الالوان الجميلة ، وهى فى مقابلة ما يكره من الالوان الكدرة القبيحة ؛ وللشم الروائح الطيبة ، وهى فى مقابلة الانتان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة ، كالحلاوة والحموضة ، وهى فى مقابلة المرارة المستوخمة ، وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة ، وهى فى مقابلة الخشونة والضراسة .

وللعقل لذة العلم والمعرفة ، وهى فى مقابلة الجهل والبلادة .. فكذلك الاصوات المكدرة بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ، ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها .. فما أظهر قياس هذه الحاسة على سائر الحواس وتذاتها .

الاحياء ـ ٣ : ٢٣٩

الأصوات

.. الاصل فى الاصوات حناجر الحيوانات ، وانما وضعت المزامير على أصوات الحناجر ، وهو تشبيه للصنعة بالخلقة ، وما من شىء توصل أهل الصناعات بصناعاتهم الى تصويره الا وله مثال فى الخلقة التى استأثر الله تعالى باختراعها ، فمنه تعلم الصناع ، وبه قصدوا الاقتداء ، وشرح ذلك يطول ، فسماع هذه الاصوات يستحيل أن يحرم ، لكونها طيبة أو موزونة ، فلا ذاهب الى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور ، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ، ولا بين جماد وحيوان فينبغى أن يقاس على صوت العندليب الاصوات الخارجة من سائر الاجسام ، باختيار الآدمى ..

الاحياء ـ ٣ : ٢٣٩

الأنغام

.. ولله تعالى سر فى مناسبة النغمات الموزونة للارواح ، حتى انها تؤثر فيها تأثيرا عجيبا ، فمن الاصوات ما يفرح ، ومنها ما يحزن ، ومنها ماينوم ، ومنها ما يضحك ويطرب ، ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ، ولا ينبغى أن يظن ان ذلك لفهم معانى الشعر ، بل هذا جار فى الاوتار ، حتى قيل : من لم يحركه الربيع وأزهاره ، والعود وأوتاره ، فهو فاسد المزاج ، ليس له علاج ، وكيف يكون ذلك لفهم المعنى ، وتأثير مشاهد

فى الصبى فى مهده . فانه يسكته الصوت الطيب عن بكائه . وتنصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه : والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة . ويستقصر لقوة نشاطه فى سماعه المسافات الطويلة ، وينبعث فيه من النشاط مايسكره ويولهه فترى الابل اذا طالت عليها البوادى واعتراها الاعياء والكلال ، تحت المحامل والاحمال . اذا سمعت منادى الحداء تمد أعناقها وتصغى الى الحادى ، ناصبة آذانها ، وتسرع فى سيرها ، حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها ، وربما تتلف أنفسها ، من شدة السير ، وثقل الحمل ، وهى لا تشعر به لنشاطها .

فاذن تأثير السماع فى القلب محسوس ، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص ، مائل عن الاعتدال ، بعيد عن الروحانية ، زائد فى غلظ الطبع ، وكثافته على الجمال والطيور ، بل على جميع البهائم ، فان جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة ، ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام ، لاستماع صوته ، ومهما كان النظر فى السماع باعتبار تأثيره فى القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم ، بل يختلف ذلك باختلاف الاحوال والاشخاص ، واختلاف طرق النغمات .

الاحياء — ٣ : ٢٤٢ ، ٢٤٣

***

ولحجة الاسلام « الغزالى غير قليل ، من مثل هذا الشفيف الروحى .. ولسواه من الصوفية مثل هذا او أكثر منه ، لكنى كما قلت آثرت الرجل الذى تفقه ، وتفلسف ، وتصوف ، وكان فى كل أولئك شيئا مذكورا ، بل علما مرفوعا .. واجل من ذلك كله انه كان فى كل أولئك يبحث عن نفسه .. ويعانى كل تجربة من هذه التجارب ، فى بيئتها ، وعلى منهجها ، وبأسلوبها ، وباخلاص فى طلب حقيقتها ، فكان لذلك ما تحس فى عباراته الآنفة ، من تعبير شخصى ، وشعور ذاتى ، ووعى استقلالى .

ولعل القارىء قد شعر انى تركت ما عرض فيه الغزالى لأمر الحل والحرمة وان كان له فيه ماينبعث عن شفيف تلك الروح التى شمتها فى هتفاته الآنفة ولكنى اردت ان اكشف عن الجانب الانسانى المتسامى ، الذى هو هدف الفن

الحق ، ومطلب الوجدان الكريم .. وعند آفاقه تسمو الروح الى ما وراء تلك الحدود القريبة ، من منع او حرج ، او خوف من جموح ، أو خطر من شرود .

***

هذا ، والسيد ا . ا قد طلب ان يسمع شيئا من الراى الدينى فى الفن .. أو الحس الفنى فى الدين ، مما وراء المذاهب والاختلافات ، والاقوال والآراء وهو ما اعتزمت أن اعرض له ، واقصد منه الى ما اراد السيد ا . ان يكون من انطلاق مترفع .. ورايت ان فى مثل هذا الذى وضعت بين يديه اليوم من قول عرفته البيئة الدينية الخاصة ، وسعت به الكتب الدينية الخلقية ، غير مشاحة . تمهيدا طيبا وتهيئة نفسية صالحة .

وآمل أن أضع بعد بين يدى السيد صاحب الرسالة ، وسائر قراء « الأدب » ، ما هو جدير بما سمعوا اليوم من راى فى الدين والفن .

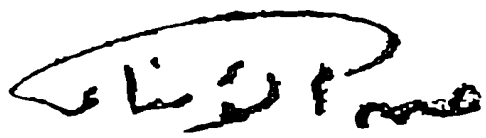

الأدب

قصيرة • شهرية

يصدرها الأدباء

الادارة بمصر الجديدة . العجم ١٣ :

ت : ٦١٧٥٠

رئيس التحرير

أمين الخولى

تصدر

عاشر كل شهر

الاشتراك عن سنة بالبريد العادى (أو ما يعادلها)

فى مصر ٥٠

فى الخارج ٨٠

ثمن العدد ٥

البريد الجوى والمسجل بحسابه

بشار بحث في
محاولة تفسير لدرسه

هدف

من أهداف الامناء ، مدرسة الفن والحياة :

ان لا يكون درس الادب وتاريخه تناولا سطحيا ، وترديدا تقليديا ، لما لا يساير تقدم الانسانية ، ورقى الحياة العقلية

وأن يكون درس الادب وتاريخه على منهج تصححه الخبرة الانسانية بالحياة ، والنفس والجماعة ، ويمثل التقدم الانسانى ، والرقى العقلى

و

وهو هدف ينطلق اليوم نفر كرام من الجامعيين والجاميات لتحقيقه فى الدراسات الادبية، بجامعاتنا فى الاقليمين ، وفيما يمارسون من الشئون الأدبية العامة ، ويأخذ طريقه فى مراحل الدراسة المختلفة ، على يد جيل ناهض من الدارسين .

***

منهج

والسيد الامين الاستاذ عبد الله خورشيد البرى أحد هؤلاء المجاهدين ، ينزع نزوعا أصيلا نحو واقعية علمية فى فهم الادب والادباء ، وتفسير الظواهر الادبية تفسيرا عمليا : اجتماعيا ونفسيا

ولم ينس قراء « الادب » بحثه القيم : **تفسير حيوى لتطور الادب العربى** الذى نشر فى بضعة أعداد من سنتها الثانية

وهذا بحث للسيد البرى عن بشار ، يتبع فيه هذا المنهج المجدى ، وتتابع « الادب » نشره ، فى حلقات ، راجية للسيد كل قوة وتوفيق فى تاصيل هذا المنهج، مع زملائه الاكرمين .

وبشار ، ممن تناولهم غير واحد من المحدثين ، فى هذا الاتجاه المرجو — ويجمل بالقراء أن يوازنوا بين هذه الأبحاث عن الشاعر الكبير

تمهيد :

علم النفس هو علم السلوك . فاذا اردنا دراسة أديب ـ مثلا ـ دراسة نفسية كان معنى ذلك اننا ندرس سلوكه ككائن حى فى المجالات الحيوية الرئيسية : المجال الغذائى ، والمجال العائلى (الجنسى) والمجال الاجتماعى

ولا يقتصر الامر على تعيين نوع السلوك ، بل يتعداه الى تحديد الاسباب الاصيلة التى أدت به الى انتهاج سلوك بعينه ، وهنا يلزم تحديد سمات الشخصية المدروسة: قوة جسمانية أو ضعفا ، جمالا أو قبحا ، شذوذ تكوين أو استواء ، مهارةحركة أو عدمها ، توترا انفعاليا أو هدوءا ، ذكاء أو غباء ، حصافة أو حمقا ، انبساطا أو انطواء ، رجولة خلقية أو أنوثة .. الى آخر كل ما يميز الشخصية خلقيا وعقليا

وبما أن الشخص عضو فى مجتمع يؤثر فيه ويتفعل به ، فلابد من تحديد عوامل المجتمع الغذائية ، والجنسية ، والاجتماعية كذلك .ولما كان الشخص يسلك سلوكه الفردى وسلوكه الجماعى فى آن واحد ، كان من الافضل ـ منهجيا ـ ألا ندرس كلا منهما على حدة ، بل ندرسهما معا وفى وقت واحد .

على هذا الاساس نتقدم لدراسة بشار فنرى كيف ولم سلك غذائيا ، ثم جنسيا . ثم اجتماعيا . واخيرا نعرض لحياته العقليةذكاء . وثقافة ، وابداعا

بيد أن هناك ملاحظة نحب أن نلفت النظر اليها قبل البدء . تلك هى أنه اذا صح أن بشارا قتل سنة ١٦٧ هجرية ، وأنه عمر سبعين عاما فى متوسط ما تزعمه الروايات المختلفة (١) وأن الدولة العباسية قامت سنة ١٣٢ هـ ـ نقول اذا صح هذا تتكون لدينا الحقائق ـ أو الفروض المحتملة ـ الآتية :

أولا ـ قضى بشار نصف عمره الاول (حوالى ٣٥ عاما) الذى تتحدد فيه الشخصية وتثبت على قواعد قلما تتغير فى أواخر الدولة الاموية التى يمكن اجمال وصفها مع الجاحظ بأنها « عربية اعرابية (٢) » ، وأغلب الظن أنه قضاه فى البصرة ،

ثانيا ـ أنه قضى الأعوام الستة والعشرين التالية من عمره فى عهد تأسيس الدولة العباسية الجاد المقتصد الجاف .

ثالثا ـ وكانت أعوامه التسعة

بقلم : عبدالله خورشيد البرى

(١) فى الجزء الثالثمنالأغانى ط دار الكتب) رواية عنعمر بنشبة : أن بشارا كانت وفاته ، وقد ناهز ستين سنه ـ ص ٢٤٧ .
وعن أحمد بن خلاد عن أبيه : أنه مات سنة ثمان وستين ومائة ، وقد بلغ نيفا وستين ومائة ، وقد بلغ نيفا وسبعين سنة .
(٢) البيان والتبيين : ٣ ـ ٢٠٦

الاخيره فى أول الطريق الجديد ـ طريق الحرية واللهو والمال ـ الذى عبرت اليه الدولة الاسلامية على جسر الانقلاب العباسى ، فاصبحت كما يقول الجاحظ أيضا « أعجمية خراسانية (١) »

واذا كان من المحتمل أن يكون قد قضى النصف الاخير من فترته الثانية متنقلا بين البصرة وبغداد ، فانه يكاد يكون يقينا أنه قضى الكثير من أعوامه الاخيرة فى بغداد

١

ان الصورة التى رسمت لبشار فى أذهاننا ونحن نقف منه موقف المتفهم ليست صورة شاعر عود الناس أن يخرجعليهم كل يوم بالابيات والقصائد ، ولا صورة فنان وهب ارهاف الحس ودقة التصوير فوقف يعبر عما يحس ويلقى ، ولا صورة صاحب مذهب آمن برأى أو عقيدة بعينهما فراح يدعو اليهما ويناضل عنهما .

كلا ، وانما نحن نتصور كائنا حيا خرج الى الحياة ، ومضى يعمل لحفظ هذه الحياة أى لاشباع جوعه الغذائى واشباع جوعه الجنسى ، واثبات ذاتيته فى مجتمعه ، مستعينا فى كل ذلك بذكائه وعقله ومواهبه

فكيف نجد بشارا على هذا الاساس ؟

منذ اللحظة التى استطاع فيها بشار أن يعقل ويدرك وجد كيانه محوطا من كل جانب بالاعداء تتهدده وتريد أن تنده وتسلبه الحياة : فقره (٢) يعادى كيانه البيولوجى . ودمامته (٣) تعادى كيانه الجنسى . وضاعته (٤) تعادى كيانه الاجتماعى وعبوديته (٥) تعادى كيانه العقلى .

وكان بعض هذا كله كافيا لينفر بشار ويجابه كل هذه الاعداء ليردها عن كيانه أى عن حياته . واذا كان عماه قد أقعده عن أن يعتمد على ساعده وجسمه الناميين ، فانه أتاح لأذنه من الارهاف ما جعلها تعى كل ما يتطاير اليها من أقوال الثمانين الشيوخ الفصحاء الذين ربى بشار فى حجورهم ، ومن أقوال نسائهم اللائى كن أفصح منهم (٦) ، ومن البادية التى أرسل اليها يافعا .

كان الصبى ، المولى ، ابن الطيان الدميم يلقى عنتا أينما سار من الصبيان

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٠٦

(٢) ولد بشار لأبيه وما عنده درهم ، وباعته أمه على أم الظباء العقيلية بدينارين فاعتقته .

(٣) ولد بشار أعمى ، وكان عظيم الخلق والوجه ، آدم ، مجدورا جاحظ المقلتين ، قد تغشاهما لحم أحمر ، فكان أقبح الناس عمى ، وأفظعه منظرا .

(٤) كان « يرجوخ » جد بشار من سبى المهلب بن أبى صفرة ، وأبوه برد من قن خيرة القشيرية امرأة المهلب ، وكان طيانا .

(٥) نشأ بشار فى بيوت بنى عقيل يخدمهم .

(٦) الأغانى ـ ٣ : ١٥٠ ـ ط دار الكتب .

او اللبد ، وبشار لم يفعل أكثر من أن اكتسب جمالا جديدا هو : الغزل

ولم يتناول بشار المرأة فى غزله على أنها مخلوق شعرى يتوسل اليها بالدموع ، ويعاش معها فى الاحلام ، وانما تناولها على أنها أنثى تطلب الذكر ويطلبها الذكر وتناولها بما هى به امرأة من وجه وجسد ، من جسم ولحم ، من تمنع واستسلام ، من مجازفة ، وندم .. ناصحا بألا :

.. يؤيسنك من مخبأة
قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة
والصعب يمكن بعد ما جمحا (١)

غير خاضع لدين ولا عرف فى علاقته بها

قالوا : حرام تلاقينا ، فقلت لهم :
ما فى التلاقى ولا فى قبلة حرج (٢)

قانعا من هذا التلاقى « بالحديث والنظر ، أو قبلة فى خلال ذاك ، أو تبادل عض الذراع ، أو لمسة ذيل المرط ، أو مص ريق .. » الى اخر ما فى قصيدته :

قد لامنى فى خليلتى عمر
واللوم فى غير كنهه ضجر (٣)

والحاصل أن بشارا فى غزله قد تعرى وأوقف المرأة أمامه عارية فقسرها على الخضوع لرجولته حتى كان النساء المتظرفات يدخلن اليه فى كل جمعة يومين فيجتمعن عنده ويسمعن من شعره (٤) ، وحتى لم يبق بالبصرة غزل ولا غزلة الا يروى من شعره (٥) ، وحتى لم يعد شئ أدعى لاهل هذه المدينة الى الفسق من شعره (٦) وحتى أصبح من أخدع حبائل الشيطان وأغواها كلمات هذا الاعمى الملحد فى رأى واصل بن عطاء (٧) ، بل حتى ألح عليه الخليفة المهدى الحاحا فى ترك التشبيب بغير طائل وهو يتساءل : أى حرة حصان تسمع قول بشار فلا يؤثر فى قلبها فكيف بالمرأة الغزلة والفتاة التى لا هم لها الا الرجال ؟ (٨) ثم أنشد قوله :

قد لامنى فى خليلتى عمر ...

وهكذا وجد الشاب بالناشئ الدميم سلاحا ناجحا ينتصر به فى معركة الجنس ، ووضعت الحياة لكيانه أساسا ثانيا ما زال يتصرف به حتى نهايته ، ولعله كان يدرى ما يفعل اذا صح ما قاله عن فاطمة أولى عشيقاته :

عجبت فاطمة من نعتى لها
هل يجيد النعت مكفوف البصر ؟ (٩)

- ٣ -

لم يكن بشار وهو يقاتل فى ميدان الغداء مرة أو فى ميدان الجنس مرة

(١) المصدر السابق ص ٢٢١ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٠ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٨٣ .
(٤) المصدر نفسه ص ٢٠١ .
(٥) الأغانى - ٣ : ١٤٩ .
(٦) المصدر السابق ص ١٨٢ .
(٧) المصدر نفسه ص ١٨٢
(٨) المصدر نفسه ص ١٨٣ .
(٩) المصدر نفسه ص ١٧١ .

اخرى يقاتل فى معركة واحدة ، بل كان فى الواقع يقاتل فى ميدانين معا ويجابه عدوين جميعا ، فكان يجمع الى ميدان الغذاء أو الجنس ميدان المجتمع ، وكان يجانب الفقر او الدمامة يصارع الوضاعة

لم يفقل بشار ـ او لم يترك مجتمعه فى الاصح يغفل ـ لحظة واحدة عن أنه فارسى ، مولى ، ابن قن ، حفيد أسير فى مجتمع تضطرب فيه غالبية تعتز بجنسها العربى ، وسيادتها الاسلامية وحريتها المظفرة

ولم يغفل كذلك عن أنه من أسرة أفرادها مابين قصاب(١) وقصار(٢) بين أسر ما تزال أصداء النعرة البدوية قوية فى دمائها ، لا تهتم من العمل الا بما كان رياسه ، والا فلها فى الفراغ أكرم منزل

كان بشار اذن مدركا لأنه يحيا فى مجتمع لا يكتفى بضرب الفقر عليه والتهزىء بدمامته ، بل يحتقره وينظر اليه كدخيل وضيع .

ان الشخص المشارك فى مجتمع لابد له من سلوك من ثلاثة : تعاون ، أو منافسة، أو اعتزال . فكيف سلك بشار ؟

لم يفكر ولم يتدبر ، وانما انصاع لما تمليه ارادة الواقع الأصم ، وتفرض حاجة الحياة الدافعة

لم يستطع أن يضع يده فى أياد قبضت دونه حذر التلوث ، ولم يكن له من المورد الثابت ما يغنيه مع الاعتزال ، فلم يكن أمامه الا أن ينزل الى الميدان منافسا .

كان المجتمع يزهو بعروبته ، فنافس بشار بفارسيته .

وكان المجتمع يعتز باسلامه ،فنافس بشار بمجوسيته .

وكان المجتمع يتمجد بقرآنه ، فنافس بشار بشعره

وكان المجتمع يتمسك بتقاليده وقيمه الأخلاقية ، فنافس بشار باباحيته .

وكان المجتمع يفاخر بفصاحته ، فنافس بشار بمثلها .

حتى الزى نافس فيه بشار بزى غريب !

وهذا الضرب من المنافسة هو ما نسميه مثلما سماه العصر وقتذاك بالزندقة

لا نستطيع ـ أو لا يعنينا ـ أن نجزم بأن بشارا كان مؤمنا ـ أو جادا فى الاقل ـ فى زهوه بأنه من قريش العجم (٣) وأن أصله أكرم من الذهب وفرعه أزكى من عمل الابرار (٤) ، أو فى اعتناقه المجوسية واعتقاده أن:

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٨ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٣٦ .
(٣) الأغانى ـ ٣ : ١٣٨ ، يقول بشار : نمت فى الكرام بنى عامر فروعى وأصلى قريش العجم .
(٤) المصدر السابق ص ٢٠٣

الارض مظلمة ، والنار مشرقة

والنار معبودة منذ كانت النـار (١)

او قسمه أن بعض شعره ـ وقد طرب له اذ تغنيه جارية ـ أحسن من سورة الحشر (٢) ، أو دعوته رفاقه الى تناهب العيش تناهبا (٣) واجابته أن آثر متاع الدنيا عنده ، طعام مز ، وشراب مر ، وبنت عشرين بكر (٤) واعترافه بتلونه وتقلبه فى قوله :

وما كنت الا كالزمان : اذا صحا
صحوت ، وان ماق الزمان أموق (٥)

ونفعيته الممثلة فى مخاطبته خـالد ابن برمك :

أخالد بين الأجر والحمد حاجتى
فأيهما تأتى فأنت عماد
فان تعطنى أفرغ عليك مدائحى
وان تأب لم يضرب على سداد (٦)

أو ثورته الجامحة على كل من طعن فصـاحته ولو كان الاخفش (٧) أو سـيبويه (٨) أو اتخـاذه زيا « ذا جيبين : جيب عن يمينه وجيب عن شماله ، فاذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه ، واذا أراد نزعه حل ازراره وخرج منه » (٩) ـ نقول : لا نستطيع ـ بل لا يهمنـا ـ أن نجزم بأن بشارا كان مؤمنا بذلـك كله ، أو جادا فيه ، ولكنا نستطيع أن نطمئن تماما الى أنه قصد الى ذلك قصدا ، وعمد اليه عمـدا ، مكافحا لاثبات ذاتيته فى مجتمـع يريد ان يمحوها . والمحافظة على شخصـيته الاجتماعية فى ذلك المجتمـع الذى يريد ليدوسها ـ ان لم يكن داسها بالفعل ـ بحذائه

وهكذا حصن بشار كيانه الاجتماعى وأقامت له الحياة من « الزنـدقة » أساسا ثالثا يرسى عليه سلوكه الى جانب الأساسين السابقين : الهجاء ، والغزل .

وربما تمثل هذا الاسـاس فى قوله :

الا أيها السائلى جاهدا
ليعرفنى : أنا أنف الكرم
نمت فى الكرام بنى عامر
فروعى ، وأصلى قريش العجم
فانى لاغنى مقام الفتى
واصبى الفتاة فما تعتصم (١٠)

وقوله :

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم
مولى العريب ، فخذ بفضلك فافخر
مولاك أكرم من تميم كلها
أهل الفعال ، ومن قريش المشعر
فارجع الى مولاك غير مدافع
سبحان مولاك الأجل الأكبر (١١)

---

(١) المصدر نفسه ص ١٤٥ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢١١ .
(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٢
(٤) المصدر نفسه ص ٢٠١ .
(٥) الأغانى ـ ٣ : ٢٤٠ .
(٦) المصدر نفسه ص ٢٠٢ .
(٧) المصدر نفسه ص ٢٠٩ .
(٨) المصدر نفسه ص ٢١٠ .
(٩) المصدر نفسه ص ١٤٠ .
(١٠) المصدر نفسه ص ١٣٨ .
(١١) الأغانى ـ ٣ : ١٣٩ .

المسرح المصرى.. ؟

« ... وانا انظر أحيانا الى أسرة مصرية عادية من آلاف الأسر التى تعيش فى العاصمة.
الأب مثلا .. فلاح معمم من صميم الريف .
والأم .. سيدة منحدرة من أصل تركى .
وأبناء الأسرة .. فى مدارس على النظام الانجليزى !
وفتياتها .. فى مدارس على النظام الفرنسى!
كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ، ومظاهر القرن العشرين .
انظر الى هذا ، واحس فى أعماقى بفهم للحيرة التى تقاسيها ، وللتخبط الذى يفترسنا
ثم أقول لنفسى :
سوف يتبلور هذا المجتمع .. سوف يتماسك .. وسوف يكون وحدة قوية متجانسة ، انما
ينبغى أن نشد أعصابنا ونتحمل فترة الانتقال »

ص ٤٨ من فلسفة الثورة
لجمال عبد الناصر

واذن .. فلم تكن الأزمة التى كنا نعانيها نحن أبناء الطبقات المتصاعدة بالضرورة أزمة عامة فحسب ، ولكنها فى الواقع أزمة مفروضة على النفس الواحدة ، ومعركة تعمل فى كيان كل فرد من المجموع الذى قدر له أن يكون ميدانا لكل هذه المتناقضات التى لا مثيل لها فى العالم ..

والتعبير عن الأزمة لا يتاح قبل الاحساس المتكامل بأسبابها العميقة .. أسبابها السياسية والتاريخية .. ولا يتم دون ايصاله الى الآخرين بالوسيلة التى يتقنها المسئولون عن التعبير من رواد الفنون المختلفة ..

وبين القدرة على الاحساس بالأزمة والقدرة على التعبير عن الاحساس بها كانت المشكلة .. مشكلة الفنون المصرية جميعا .

ونحن فى هذه المحاولة المتواضعة لتفسير موقف الفن والفنان المصرى ، وتسجيل دوره الفعال فى اجتياز هذه المرحلة ، نتجه مباشرة الى الفن الحوارى فى المسرح أولا ، ثم فى السينما باعتبارهما أخطر أنواع الفنون ، لا لشىء الا لشمولهما أنواع الفنون الأخرى ، وبالتالى لأنهما يقومان أصلا على الجدل الذى يعرض مشاكل الحياة الأصيلة ويلتزم تفسيرا محددا للعلاقات الاجتماعية أو على الاصح لما يجب ان تكون عليه هذه العلاقات ـ موضوع كل جدل ـ فى النهاية ..

والحق ، اننا نجد انفسنا مطالبين قبل المضى فى البحث عن وظيفة المسرح

بقلم . محمد على ماهر

والسينما فى مصر خلال اخطر وافعل مرحلة فى تاريخها ·· أن نحدد أولا وقبل كل شىء دور كل منهما فى هذه الفترة ··

أما عن المسرح

فبالرغم من أن الخديوى اسماعيل قد أوجد ايجادا ليتسلى ضيوفه الوافدون من أوربا فى افتتاح قنال السويس بالفرجة على «عايدة» المصرية التى مثلت بلغة مؤلف موسيقاها الايطالى « فردى » ··

فان المسرح قد استطاع برغم كل ذلك أن يجتاز المحنة التى أرادها اسماعيل وطبقة الحاكمين من الاتراك والأجانب ، بقسره على التسلية وازجاء الفراغ ، فقدم فى عهد اسماعيل نفسه روايات باللغة العربية والشعبية أدت فى النهاية الى تعطيله ومصادرته ·· بالرغم من أن معظم هذه الروايات ان لم يكن كلها مترجما عن اللغات الأخرى ·

وفى ثورة ١٩١٩ كان الحاكمون والمستعمرون يتمنون مخلصين أن يعرض المسرح المصرى هذه الروايات التى صودرت فى عهد اسماعيل ·· ولكن الذى حدث شىء آخر ·· شىء رهيب لم يكن يخطر اطلاقا على بال الذين تحالفوا بفضل المصالح الواحدة ضد الشعب ·· فمن كان يتصور أن هذا الشعب الذى نقل اليه المسرح شكلا وموضوعا يستطيع أن يبدع مسرحا مصريا خالصا لا يعبأ بالشكل والقواعد المألوفة ، ويقدم المضمون الثورى لشعب ثائر فى روايات قد لا تكون منتزعة من الواقع وانما تؤدى وظيفتها التاريخية فتدفع هذا الواقع دفعا الى الأمام ·· وتسكب فى القلوب الثائرة غمر الشعور بنشوة الكفاح والنضال والتضحية والانتصار ··

وانتهت ثورة ١٩١٩ بالمصالحة المعروفة بين المستفيدين التقليديين من بقاء الاستعمار ، وبين المستفيدين الناشئين من بقاء الخصمين فى ميدان الحكم والسياسة · واجتازت مصر فترة مضطربة حاشدة بكل أنواع الدجل والنفاق والديماجوجية ، وانحرف المغرضون بالوعى الشعبى متجها فى اصرار وبشكل مباشر الى العدو الواحد وهو الاستعمار الى صراع متشعب متعدد ·· وتقاسم المتصارعون جميع أدوات التعبير ووظفوا أصحابها ، الذين فرضت عليهم الضرورة الاقتصادية أن يختاروا جانبا من الجوانب ما داموا لا يستطيعون رفض كل الجوانب !

والمسرح الذى يعتمد على الكلمة عاش هذه الفترة التعسة على الميلودراما الرخيصة التى يكمن فيها الوباء الخبيث ·· وباء العصر البغيض ·· وهو المصالحة المغرضة بين الشعب وحكامه المستغلين برغم ما كانت تحتشد به هذه الميلودرامات من جعجعة وخطابة واثارة المقصود منها تعبئة عواطف الجماهير للسخط على شىء ·· أى شىء غير السبب المباشر فى اذلالها واستغلال

لواها لأصحاب المصلحة الواحدة وأدواتهم فى مصر ٠

ومع الميلودرامات كانت الكوميديا التى تنقل حرفيا عن المسرح الفرنسى قد نجحت الى حد بعيد فى التنفيس عن صدور الجماهير بالضحك على المفارقات التى يزخر بها مجتمع يقوم على المتناقضات العجيبة فى كل شىء ٠ ولم يكن من المعقول أن تتعدى الكوميديا المنقولة دور الاضحاك والسخرية التى تمس العلاقات والمفاهيم المتنافرة بين أبطالها الدائمين الذين تبلوروا فى العمدة كشكش والخواجه خريستو والشامى الأبضاى والفلاح المصرى زعرب ٠٠ الخ ٠٠ ثم بعد ذلك غنى الحرب وأفراد عائلته الموقرة

وفى الاعوام القليلة التى سبقت قيام الثورة لم يكن يستطيع المسرح بالشكل الذى آل اليه أن يقوم بدور تاريخى فعال ، ففى ميدان التراجيديا انعدم الاحساس بالبطل الحقيقى أو على الاصح انعدمت القدرة أو الجرأة على عرض مأساة البطل الذى لم يكن يصارع قدرا غيبيا بقدر ماكان يصارع القدر الاجتماعى المتمثل فى الملك والطغمة المستفيدة من شكل الحكم الملكى الاقطاعى ٠٠ وفى ميدان الكوميديا ٠٠ لم يكن من اليسير عرض المشاكل الاجتماعية على حقيقتها ٠٠ والسخرية العميقة من المتناقضات بنقد أسبابها ودوافعها الاصيلة ٠٠ ولم يكن القادرون على الكتابة للمسرح غافلين عن خطورة مهمتهم فى هذه الأعوام الرهيبة ، ولكنهم أيضا ، وفى نفس الوقت ، لم يكونوا بقادرين على اغفال الضرورات التى تحيط بمصائرهم لو قدموا للمسرح انتاجا مسئولا ملتزما ، فجنح الشرفاء الى السكوت المطلق عن تزويد المسرح المصرى بشىء ، واضطر غيرهم الى مجاراة السوق بازجاء البضاعة الرائجة

وفى كل ميدان وجدت الثورة دما جديدا وامكانيات جديدة تستطيع القيام بمهمتها ٠

أما فى ميادين الفنون عموما ٠٠ وفى المسرح والسينما على الخصوص فلا !

أما فى المسرح فقد حدث شىء آخر ، ان المسرح المصرى الذى وجدته الثورة على الحال الذى عرضنا له بايجاز لم يكن ميدانا مفتوحا للشرفاء جميعا ، لسبب بسيط هو أن أمور هذا المسرح كانت فى أيدى الفنانين الذين أصبحوا فى النهاية أصحاب سعادة وعزة ومعالى أيضا ٠٠ يرون فى أى انتاج يعرض للأزمة التى كان الشعب يعانيها ٠٠ أزمة الاحساس بالتناقض ، والشعور بعوامل السقوط بين عوامل الخير والشر الاجتماعية ٠٠ يرون فى هذا الانتاج عدوا مباشرا لهم أولا ، وبالتالى للطبقة التى أصبحوا منها ٠٠ وأيضا للأصول والقواعد الفنية المقدسة ٠٠ فلا يجب أيضا أن يرى النور !!

وكان طبيعيا أن يؤدى ذلك الى ما حدث ٠٠ وهو قصور المسرح المصرى

عن التجاوب الصادق السريع مع مبادىء الثورة التى وقع ظهورها المفاجىء وقع الصاعقة على كل العناصر المتعفنة التى لم تكن تستطيع احساس الأزمة وفهم الحيرة التى كان يعانيها مجمـــوع الشعب .. وأدت الى قيام الأحـرار بثورتهم التى استطاعوا الاعداد لهـا أعواما طويلة ..

وكان طبيعيا ايضا أن يجد الكتاب الأحرار أنفسهم عاجزين عن تزويد المسرح المصرى بعد قيام الثورة بانتاج سريع . لأنهم عندما أبعدوا عن الميدان قبل ذلك وقعوا فى خطأ فاحش ، وهو الانصراف التام عن الاعداد للمستقبل فلم يكن لديهم انتاج مختزن ، ولم يكن لديهم أيضا دراسات وافية عن المسرح بحيث تؤهلهم للقيام بدورهم التاريخى عند اتاحة الفرصة لهم اثر قيام الثورة

أما الجمهور .. فليس من الحق ان يطالب بمظاهرة انتاج لم يوجد بعد ، وليس من العدل أيضا أن يعاب عليه التفرج على أعمال موجودة فعلا مادامت تؤدى اليه ..

ومع ذلك فان الثورة قد نجحت فى اشـاعة وعى ثورى بين الجماهير ، وأتاحت لهم فرصة التفكير من جديد فى كل القيم الفنيـــة والاجتماعية السابقة ..

ان هذه الفترة تتطلب منا أن نشد أعصابنا ونتحملها فى كل الميـادين الحيوية ، تتطلب منا مجهودا أكبر فى ميدان المسرح .. تتطلب منا الصبر على انعدام المسرح الذى ورثناه كله ، حتى بزغ فجر المسرح الجـــديد .. المسرح المصرى .. مسرح المجتمع الذى هو فى طريقه الى أن يتماسك ويكون وحدة قوية متجانسة ..

شعرنا المعاصر

بين الحرية والتقييد

اختلف الحديث فى تلك السنوات الأخيرة ، حول مشكلة من أخطر مشكلاتنا الأدبية التى ينبغى أن نقبل عليها بمزيد من البحث والدرس حتى نصل فيها الى رأى ثابت ونتيجة واضحة محددة يمكن أن يلتقى عندها المتخالفون ويرحب بها كل من المقيمين على القديم والواكبين للجديد ، ويجد فيها الشعراء من شبابنا قانونا يلتزمونه ويستهدون به فى ثقة واطمئنان ، ويسلمون من ذلك الاضطراب الذى كاد يشل قدراتهم الفنية ويسلمهم الى نوبة من التعصب الذى لا يجنون ولا يجنى الادب من ورائه خيرا . اما تلك المشكلة فهى مشكلة الحرية والتقييد فى الصياغة الشعرية .

ومن المعروف أن كل ظاهرة ادبية جديدة تلقى - كغيرها من الظواهر - فى دور نشأتها وبداية عهدها بالحياة شيئا قليلا أو كثيرا من الاستنكار والمقاومة وتحتدم موجة من الصراع العنيف بينها وبين الظواهر أو التقاليد الأدبية القديمة التى ألفها الناس وألفتها أذواقهم وتعمقتها أحاسيسهم ومشاعرهم ، ففريق يتشبث بالقديم ويتعصب له ولا يفتح قلبا ولا عقلا لتلك الظاهرة الجديدة ، وفريق آخر أشد حساسية بالتطور يقبل على تلك الظاهرة ويتشبث بها ويدعو اليها .

ويظل هذا الصراع فترة تطول أو تقصر ولكنه سينتهى حتما الى احدى نتيجتين :

فاما أن تثبت الظاهرة الجديدة كفايتها وملاءمتها للذوق ومسايرتها لطبيعة التطور وقدرتها على التعبير عن احتياجات المجتمع ، وحينئذ سيتاح لها البقاء والاستمرار ويكثر حولها المؤيدون والأنصار ، واما أن تثبت الظاهرة الجديدة عكس ذلك وحينئذ لا يتاح لها من بقاء ولا يمد لها فى أجل ولكنها لا تلبث أن تموت مختنقة بضباب الفشل والهزيمة .

ومن المعروف أيضا أن كل ظاهرة أدبية جديدة تكون - كغيرها من الظواهر كذلك - وليدة ظروف واحداث ، ونتيجة لتطورات عميقة ومختلفة سياسية واجتماعية وثقافية وفنية

بقلم : عبد الحكيم بلبع

وأخلاقية . ولا يمكن أن يظهر تيار ادبى جديد ما لم تكن له مقدمات ومبررات . وما لم تكن له من البيئة فى عمومها قواعد صلبة يرتكز عليها ويبنى كيانه فوقها،والذين يتمرسون بدراسة تاريخ الآداب العالمية قديمها وحديثها يستطيعون فى غير معاناة ملاحظة هذه الحقيقة ، فتلك التطورات الأدبية الضخمة التى حققها ظهور المذاهب الأدبية المتلاحقة فى اوربا منذ القرن السابع عشر لم تكن الا استجابة طبيعية لاحتياجات المجتمع فى تطوراته المختلفة ، ولم تكن الا تطبيقا لمناهج جديدة فى حياة الناس الفكرية والشعورية ، ثم لم تكن بعد هذا كله الا الا رصدا وتسجيلا لأحداث الحياة فى مختلف حدودها وأبعادها .

وكل بناء أدبى ينشأ فى ظلال البيئة الاجتماعية الملائمة له والموحية به لابد أن يفرض سلطاته عليها ويؤكد وجوده فيها تأكيدا ، مهما لقى فى اول أمره من عنت واستنكار ومقاومة ، ذلك لأن الصلة قائمة بالضرورة بين الفن والحياة ، ولا يمكن لهذه الصلة أن تنقصم او تتخلف ، ولا يمكن لفن ان يتصل بمشاعر الناس او يحرك ارادتهم نحو اهداف معينة الا اذا استمد كيانه من اعماق الاحداث التى تعيشها بيئته . يقول « لالو » : « ان صلة الفن بالحياة قائمة لا شك فيها والابداع فى الفن هو نوع من مضاعفة الحياة واكمالها وهو فى هدفه الكبير يطهر لأزمانها وسمى دائب وراء اصلاحها » . ويقول شبنهور : « ان الفن يبدو من ناحية الابداع تعبيرا مباشرا عن الارادة التى هى جوهر الحياة »

* * *

والتحرر من التزامات الشعر القديم من حيث أوزانه وقوافيه هو ظاهرة من تلك الظواهر الأدبية الجديدة التى انبعثت فى ركاب ذلك التطور الضخم الذى شهدته حياتنا فى هذه السنوات الأخيرة ، ذلك التطور الذى احسسنا معه بالنقلة الهائلة فى كل شىء فى ثقافتنا وسياستنا وقيمنا واهدافنا واحساسنا بالحياة وموقفنا من المشكلات الانسانية والأحداث العالمية فلم يكن بد من أن ينبض الأدب بهذا كله ، وينفعل به ، ويعبر عنه فلم يكن بد من ان يثب ويتطور ويلاحق هذه الحركات السريعة التى خفقت بها حياتنا فى كل جانب من جوانبها ، لم يكن بد من أن تنبثق مضامين أدبنا الجديد من ذلك الواقع الجديد ، وان تطوع اشكاله ومناهج صياغته طبقا لما تتطلبه هذه المضامين من تعبير سهل طبيعى لا مجال فيه للافتعال او التلفيق او الفضول ، بل يكون ملائما اشد الملائمة لطبيعة التجربة التى يصوغها مطاوعا لابعادها النفسية التى قد تختلف بين الطول والقصر فيقف معها من حيث تقف ويسير معها حيث تسير .

لقد حدث كل هذا لشعرنا حينما واكب طلائع الحياة الجديدة فراينا ذلك

النتاج الذى يحمل لنـــا فى شـكله ومضمونه كل ملامح هذه الحياة . رأينا الشعراء يضيقون بقيود الشعر العربى والتزاماته من وزن ثابت وقافية مطردة ويرون فى ذلك كله نوعا من الضغط الذى قد يتحكم فى اتجاهات عواطفهم وتشكيل مواقفهم من التجـربة التى يصوغونها فهم ازاء ذلك لا يجـدون غضـــاضة فى أن ينطلقوا من تلك القيود ويتخففوا من هذه الالتزامات ويصوغوا تجاربهم فى تلك الاشكال الجديدة التى نسميها بالشعر الحر .

ولقد أثار هذا الشعر ـ كظاهرة جديدة ـ كثـــيرا من ألوان الجدل والمناقشة ، ولقى ولا يزال يلقى كثيرا من ألوان الاستنكار والمقاومة ، فقد اختلفت عنده آراء الأدباء والنقاد ، ففريق ينكره كل الانكار ويقـــاومه أعنف المقاومة ويرى فيه جراة وخروجا لا مبرر لهما الا القصور والعجز عن التمسك بتقاليد الشعر العربى ذلك الشعر الذى لم يعجز أبدا عن مطاوعة الحياة ومتابعتها فى سيرها وتطورها ولم يضق صـــدره بالتعبير عن أدق مشكلاتها واعمق احداثها متى تهيات للشعراء موهبته وتوفرت له مقوماته .

يقول « عيسى الناعورى » وهـــو واحد من هذا الفريق فى مقال نشرته مجلة الآداب فى العدد السابع سنة ١٩٥٢ :

« ثم هناك هذا النوع الجديد من الشعر الذى اخذ يظهـــر بكثرة فى السنوات الأخيرة على أقلام الشباب فى العراق والذى رأينا أنه قد اساء كثيرا الى شاعرية نازك الملائكة .. وهو شعر متعب للقـارىء وبدلا من ان يدخل السرور والارتياح الى النفس بتقطيع موسيقى منسجم نراه يدخـل اليها الملالة والتعب ، وقد يكون فى معانيه حيـــاة وقوة الا أن تشـكيلة تفعيلاته غير المتجانسة تمنع من رؤية الجمال واخيوية فيه » .

* * *

والى جانب هذا الفريق فريق آخر يدافع عن هـــذا الشعر أحر الدفاع ويتحمس له تحمسا يوشك أن يكون تعصبا ، حتى لقد بالغ بعضهم فى ذلك التحمس الى درجة انكار الشعر القديم جملة ، والحكم عليه بأنه شعر جامد لم يستطع مراكبـة النهضة أو التعبير عن يقظتنا العربية الشاملة ، وأولى بهـذا الشـــعر أن يوضع فى المتاحف ولا ننظر اليه الا كما ينظر الانسان الى آثار التاريخ ومخلفـــات العصور .

يقول « صالح العلعمة » وهو واحد من هذا الفريق فى مقال نشرته مجلة الآداب فى العدد العاشر سنة ١٩٥٣ « لم يستطع شعرنا القديم مواكبة النهضة الحديثة لالتزام قيـود الوزن والقافية ، ولسنا ننكر ما للقافية من اثر غـير حميد فى توجيـــهه حسب مشيئتها ، ولا ريب أن مثل هـــذا التحرر يسعف الشاعر العربى لا على تنويع النغم فحسب بل على ملاحظة

مسلك المعنى وعلى اهمال الحشو والجوازات التى كثيرا ما يفرضها التقيد بالوزن والقافية » .

ويقول « محمود العالم » فى تقديمه لديوان : « الطين والاظافر » للشاعر « محيى الدين فارس » : « فالظاهرة الشعرية الجديدة تنمو معها ظاهرة بلاغة جديدة من حياتنا الاجتماعية وما ينبثق منها من مواقف واحداث وقيم ، وما تقتضيه من أشكال تعبيرية جديدة ، وانها ظاهرة تنتظم الشعر العربى عامة اليوم فى السودان وسوريا والعراق والاردن ومصر ، لقد انتهى عهد البيت الجزل والعبارة الشرقة والمقطع الذى ينفرد بجوامع الكلم وأصبح الشعر تجربة فنية متماسكة تعبر عن حركة الحياة تعبيرا صادقا » .

تلك صورة مبسطة عن المعركة القائمة الآن بين أنصار القديم وأنصار الجديد ، ويضيق المقام هنا عن الاحاطة بتفاصيل تلك المعركة التى تتسم بالجدية حينا وباللجاج والمهاترة حينا آخر .

* * *

ولكن الذى نريد ان نقرره هنا هو أن تجربة الشعر الحر — اذا استثنينا ما لها من نماذج قوية رائعة — كانت بابا فسيحا تسلل منه طائفة من الادعياء المتطفلين الذين لا يمتون بسبب الى الفن ولا الى الثقافة والذين قد اساءوا الى انفسهم والى الشعر اساءة بالغة وزعموا انهم يخلقون ويجددون وهم فى حقيقة الامر يسفون ويعبثون وتعلقوا بالفاظ وتشدقوا بعبارات لا يعون مفاهيمها او يقدرون مسئولياتها ولكن ذلك لم يغن عنهم شيئا فقد انحسر عنهم بعد قليل ذلك البريق المفتعل وتمخضوا عن ثقافة ضحلة وعقول خاوية ونفوس لم تختلج لحظة باحساس صادق ، ان على هؤلاء اولا أن لا يتثقفوا فان النضج الأدبى يحتاج منا أولا وقبل كل شىء الى ثقافة فنية وانسانية ، وعليهم كذلك أن ينفعلوا قبل أن يقلدوا فان الانفعال — كما يقول برجسون — يخصب ذات الشاعر ويؤدى الى نوع من الخلق يضفى على النفس يقينا تتهافت اليه مشاعرنا قبل أن تدركه عقولنا . وعلى أية حال فان هذه الطائفة المفتعلة ليست هى موضوع حديثنا ، ولكن القصد هو أن نتحدث عن الشعر الحر كظاهرة جديدة أو كمرحلة من مراحل التطور فى موسيقى الشعر تمثلت فى وضوح وقوة على أيدى طائفة من الشعراء الناضجين المثقفين الذين تمكنوا من هذا الفن وتهيأت لهم مقوماته فطلعوا علينا منه بنماذج قوية رائعة . والحق الذى لا نستطيع أن نتمارى فيه او نتجادل عنده هو أن ذلك الشعر بنماذجه تلك القوية الرائعة قد استطاع أن يفرض وجوده على واقعنا الأدبى وأن يحقق مرحلة من التطور فى موسيقى الشعر لا يسعنا الا أن نعترف بها ونشعر بوجودها .

والتطور ـ كما هو مقرر ـ سنة من سنن الحياة وليس في مقدورنا أن نمسك بعجلة الحياة من أن تسير وليس في مقدورنا أن نتحكم في طرقها ومساراتها فهي تسير وفق ظروف لا يسعنا في آخر الأمر راضين أو مكرهين الا أن نعترف بها ونستسلم لنتائجها . ومع ذلك فان التطور لايتم مصادفة أو اعتباطا ولكن لابد له من ملابسات وأسباب ولابد له من قواعد أساسية يرتكز عليها من مشاعرنا وقيمنا وعقولنا . ولا يمكن لأية ظاهرة جديدة مهما كانت أن تنسجم مع بقية الظواهر التي تركزت عليها حياتنا في مختلف نواحيها الا اذا تهيأت لهذه الظاهرة مشاعرنا وأفكارنا ، والا اذا تعاونت مع بقية الظواهر على تحقيق الأهداف التي تحررها المرحلة التي نعيش فيها .

والادب ـ بصفة عامة ـ ظاهرة من تلك الظواهر التي تخضع لقانون التطور بل هو قبل هذا قوة دافعة تستحث الحياة دائما على السير وترسم الطريق الى الغايات البعيدة التي ينبغي أن يتجه اليها سيرنا في قافلة الحياة وهو بهذا المفهوم لابد أن يتشكل بظروف الحياة وأحداثها ويتعمق قيمتها وأهدافها وأن ينبثق في شكله ومضمونه عن وجدانه العميق الذي يعج بمختلف المشكلات والأحداث ولهذا فليس من حقنا بل ليس في مقدورنا أن نقف في وجه الأدب اذا أراد أن يتطور ليحمل عبء الحياة الجديدة ويشارك في توجيهها ويعبر عن أحداثها ما دام هذا التطور طبيعيا لا يتجافى مع القيم الفنية الثابتة التي يجب أن تظل هي الأساس الذي يرتكز عليه كل عمل فني مهما أصابه من تطور .

والشعر الحر في نماذجه القوية الرفيعة ليس الا نوعا من التطور في طريقة التعبير دعت اليه ظروف الحياة وبررته المفاهيم الجديدة لوظيفة الادب ورسالته . فليس من حق انسان أن يصادره أو يعترض عليه أو يتهمه بالقصور والعجز ما دامت قد اكتملت له عناصره الفنية التي بها يستطيع أن يحرك المشاعر نحو الاهداف التي يرسمها والتجربة التي يعالجها .

ومن ناحية أخرى فليس من حق رواد ذلك الشعر أن يصادروا الشعر المقيد ويقفوا منه ذلك الموقف الساخر فيسموه أحيانا بالمحنط ، وأحيانا بالمجمد، وأحيانا بشعر المتاحف وأخرى بشعر المحفل . ثم يذهبون في التحامل عليه والسخرية به كل مذهب .

تلك هي المشكلة . مشكلة القديم والجديد . وفي الحق ان المسالة ليست مسالة قديم أو جديد، وانما هي أولا وقبل كل شيء شاعر أو لا شاعر ... مسالة استعداد وأصالة فنية يتيحان لصاحبهما أن يفرض عمله الفني مهما اختار لنفسه من اشكال التعبير .. أو فضولية وادعاء يزريان بصاحبهما

ويهـــويان به الى حضيض النكران والابتذال ، وعـلى ذلك فليس ينبغى لأنصار الشعر المقيد ان يقفوا فى وجه الشعر الحر ذلك الموقف الجامد ، ويحكموا عليه جملة بأنه هراء ، وعجز ، وقصور . يجب عليهم ان يفسحوا صدورهم لذلك الشعر وان يميزوا قبـل أن يصدروا حكمهم عليه بين خبيثة وطيبة وغثه وسمينه .. يجب ان يعترفوا بضرورة التطور ، وأن ليس من حق انسان أن يتحكم بذوق جيل من الناس فى ذوق جميل آخـــر ، وليس ينبغى كذلك لأنصار الشعر الحر ان يولوا ظهورهم لأنصار الشعر المقيد ، ويعتقدوا انه بقيوده لايمكن ان ينهض بمطالب الحياة الجديدة ، او يعبر فى سرعة وصدق عن أدق مشكلاتها واعمق احداثها . ان على هـــؤلاء واولئك اذا اردوا لفنهم خيرا ان يقلعوا عن ذلك التعصب الذى لا يجنون ولا يجنى الشعر من ورائه خيرا .

ثم على النقاد ان يفسحوا المجـال للشعراء جميعـــا احرارا ومقيـدين يصوغ كل تجاربه وفق ما توحى به الوان الصياغة ووسائل التعبير وليس من حق ناقد أن يفرض على الشعراء قوالب معينة يصبون فيهـا عواطفهم فالفن شخصية حرة مستقلة لاتخضع لجبرية القوانين .. والمعول كله اولا واخيرا على الشاعر نفسه ، وعلى قوة روحه الشـاعرة وذاته الخصبة وثقافتـــه الواعية ، وتجاربه الانسانية الصادقة .

اننا نريد الشـــعراء الذين تنبهر نفوسنا لأعمالهم وتتهافت مشاعرنا على فنهم قبـــل ان نفتش فى لون الصيغة التى صاغوا فيهـــا تجاربهم ونريد النقـــاد الذين يتسامون عن اللجاج فى قضايا جوفاء ، ويقـدرون مسئوليـــة الكلمـــة التى يقولونها والقانون الذى يشرعونه . اننا نريد هذا كله حتى نقيم نهضتنا الفنية على اسس قوية ركيزة لا يمكن ان ينـال منها عبث العابثين .

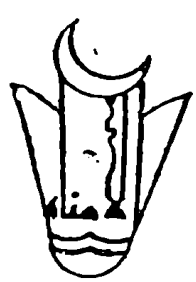

الشعر

وسط التيه . . .

لو جاء غدى .. وركام الأمس هنا فى القلب يؤرقنى
وسياط الماضى المتبقى .. تجرى خلفى وتطاردنى
وهواتف عمرى تدفعنى .. لقوى المجهول تباغتنى
وموات يمرح فى وترى .. وفراغ يركض فى دنى
وقيود الأرض تلقفنى فى قبضة شىء .. يجذبنى
شىء يتضارب فى صدرى لا ادريه !
يتناقل مبهمه عمرى .. وسط التيه !

وبغور القلب نداءات شتى تتسلل من هجس
فتؤوب لروحى عزلتها .. ويفيق على خدر حسى ..
ورؤى فى الوهم تزاحمها تتقحم جدران النفس
ويلوح ضبابا لى أفقى .. وتضل بمسراه شمسى ..
وأنا والوحدة تفزعنى .. ومنى تتواثب فى يأس .. !
واشد على صمت وترى كى أنسيه
لحن الحرمان .. فلا يجرى نغم فيه .. !

وهناك على الليل الممدود الغارق فى نور القمر
تنساب الروح على مهل فتمارس الوان الفكر
وغموض اللهفة يفجؤها وتعانقها شتى الصور
وشرود يوغل فى خطوى يتقاذف فى ملل عمرى ..
وسدى اترقب فى امل .. وافتش عن لون الفجر .. !
والى شىء .. يهفو قلبى فأداريه
واحس جمودا .. اتمنى لو يطويه ..

ويلوح على المرأى حب .. يضوء له درب حياتى
فاشد على فرح وترى .. ويعود الى النبض مواتى
واحس نقاء يغمرنى .. ويرف الحب على ذاتى

حب يترجرج فى وهم لا يدنيه
ولروحى بعث يوقظها فترتل فرحا صلواتى ..
ذهلان الخاطر لا أدرى .. بعثا أم عدما طرقاتى !
يتأرجح فى قلبى وهج من خافيه .. !
لو جاء غدى .. وفرشت لأمسى أملا فى الحانى
وملأت الفارغ من قلبى وعرفت مغالق أكوانى
أيعود النائه من نفسى .. وأحس وجودا لكيانى
وتفارق روحى حيرتها .. ويسير مع الركب زمانى
وحدى فى التيه ولا أدرى .. أأنا التوهان أم الثانى !
واشد على حب وترى كى أنسيه ..
حبا .. يترجرج فى وهم لا يدنيه
يتناقل مبهمه عمرى .. وسط التيه ..

« فتحى سعيد »

الفضائل الدخيلة

رام الرذيلة وهى مهما عز صاحبها رذيله
فرأى خيار الناس قد وقفوا ليعترضوا سبيله !
فاحتال كى يخلى الطريق ولن تفوت المرء حيله
واستبدل الأسماء وابتدع الأكاذيب الهزيله
فدعا النفاق سياسة ترضى مشاعره النبيله
والبطش حزما صارما تهفو له الهمم الجليله
ورأى التهور جرأة محمودة ترضى ميوله
قلب الحقائق ثم صدقنا فضائله الدخيله
وغدا مثالا للرجولة تستعز به الرجولة
نزهى به وكأننا لم نلق فى الدنيا مثيله
نهب الحرام كما يشاء وجر مختالا ذيوله !
أكذا الرذيلة ترتدى فى الناس أثواب الفضيلة
أكذلك التمويه يحسب كل جرداء خميله !
أكذلك التضليل يزعم كل زاهرة محيله !
ما صح ذلك عندنا ، لولا بصائرنا العليله !

محمد رجب البيومى

عائد إلى القرية

انا قد قد عـــدت يادنيای للأحـــلام والنـــور
لأرض لم تزل تنمـــو • وتزهر بين تفـــكيرى
لحقـــل قرب الأهـــــداب من فوق الأساطير
ونام عـــلى ذراع مترع بالوشـــم • مقـــرور
أنا قد عـــدت أشـــواقا تحدق فوق أهـــدابك
وعصـــفورا ينقر ماســـة للفجر فى بابك ••
فمـــضى الذى قد ضـــاع متـــكىء بأعمـــاقك
يطل بصـــوته • ويعـــود مختبئا بأوراقك !
رجعت لقـــرية تهتـــــز بالأوراق فى نفسى
أغانيهـــا على الثغر • وجرتهـــا عـــلى الرأس
وحاضرها وما ضيهـــا يرى عريان فى الفـــأس
يرى فى أوجـــه ســـمراء تحمل رهبة الشمس !
فقـــد علقت أيـامى ثـرثـرة الشـــــجر
وصاحبت ارتعـــاش البذر حتى دار فى الثمـــر
وعـــــدت لمنزل فى شارع سأمان • منحـدر
وفى شـــــفتى موال خصيب • يانع الصـــور !
أســـير به فتـــذكر خطوتى الأبواب ، والـدور
ويمضى يستعيد شقاوتى فى المنحنى الســـور
وتقفز طفلة •• وتصيح فى وجـــه أســـــارير
« لقد عاد الغريب اليوم تحمله الأعاصـير •• »
هنـــا أقـــــوامى البســطاء منكسرين كالعشب
على أجفـــانهم ما بين دنياهـــــم من الحب ••
أحبهم فهـــم فى الارض ما أملك • هـــم شعبى
هـــم العش الذى يأوى اليه مرفرفا قلبى •• !
سأصحبهم هنا للموسم الـوشى •• للثـــــورة
لترفـــع أعـــين للبعث فى اشراقـه نظـــره !
لتضحى الأرض للكف التى نسجتْ بهـا الخضره
لتنمو فوق عالمهـــم • وفى أعماقهـــم زهره ! !

الشاعر عبده بدوى

تحيـــة من مصر

من مصر .. تاج الشرق .. من قلب العروبه .. من بلادى الباســـمه
من خطوة للمجد .. بين ربوعهـــا الفيحـا .. من شطئانهـا المتناغمة
من بسمة الأطفال .. من خطواتهـم عبر الدروب .. كفرحة متبســمه
من همسة بين النخيل .. طليقـــة تنسـاب فى الوادى .. اغانى حالـه
من قطرة تلضوء .. ترقص فى الربا طربا .. وتسرح فى السهول مرنمه
من كل ركن فيه ذكرى شـــاعر غنى .. وشاعرة هنـالك هائمـــه
نسج الســـلام لمقلتى خميـلة فمشت بموكبى الحيى مســـلمه
عبرت مســـالك . لم تكن لترودها لو لم تكن بهوى العروبة .. مغرمـه
حملت ندى الـــذكريات بخـــاطر وعلى الهوى ضمت قـلوبا ملهمـــه

***

أنا يا أخى منها صـــدى أنشـــودة تخطو ببـابك خفقـــة متنسمـــه
حملت أشـــواق الضفاف .. رطيبة وخواطر الأهرام نحوك .. مفعمـه
وحملت من أمجـــاد شعبى قصـــة عربية الأحداث .. روحا مسلمـــه
هى قصـــة التاريخ يجثو راكعـــا للعـــاملين .. بأمتى المتقـــدمه
هى قصـــة « المحتل » يخرج صاغرا من موطنى .. متهالكا .. كالجمجمه
يمشى الى النسيان .. للأبد الحزين الى الضياع .. الى الليالى المظلمـــه

***

وبقيت يا شعبى .. برغم الحـادثا ت .. تهز جدران الظلام القاتمـــه
فأزحت عن « أفريقيا » .. ذل العبيد الضائعين . . رفعت من قدر الأمـه
وزرعت فى الغابات .. أمجاد الظلال زرعت أمجاد الوجـــوه الصـــارمه
حتى استوى «العملاق» يهزأ بالردى ويدق أبواب الخـــلود .. المحكمه

***

هى قصة «الاحرار» .. قصة «ثورة» هزت بصيحتها القـــلوب النـائمة
هى قصـــة الاصلاح قصـــة « ثائر » أنحى عـلى الظلـــم البغيض فهـدمه

***

يامصر .. أنت بخاطرى .. وبهجتى نغم .. عميق اللحن .. منضورالسمة
القـــاه فى كل الوجوه ... قداســة وأراه فى أرض العـروبة ملحمـــه

* * *

يا اخوتى عند « الخليج » .. تحيـة من مصر .. صادقة المحبة .. مغرمة
طافت بجانحتى .. فجئت أبثهـــا حبا .. واكبـــارا .. وروحا هائمة

على عبد الفتاح عيسى

أنشودتي

لا ·· ياغادرة
بالحب اقسمت ولم تكوني مجبرة
ما زلت اذكر كلمة بالأمس مرت عابرة
حين التقينا والعيون اسيرة او آسرة
ووجيب صدرك دافق متكلم · ·ما اقدره !
هل كان يعزف منشدا ·· للحب غنوة معطرة ؟
ام كان ينسج خدعة كبرى وقتلة مدبرة
ياتي الأصباح بعدها متجهما عيونه مغبرة
والروض عار موحل ·· دارت عليه الدائرة
وفتات زهر ناضر ·· داسته رجل جائره
مقبرة جديدة لكنما ·· لا دمعة ·· لا شيء فوق المقبرة
انا هنا من تحتها ·· قلبي رياض مزهره
يهتز يهتف كلما احسست ريحا عابرة
اى ·· يا طاهرة
هل عدت لي بالحب ام بالمعذرة
ماذا تضم يداك ياحبي وعيني لم تره
الورد ؟ لا لاتفعلي لاتتركيه فوق المقبره
عودي به للبيت ·· للعش الذي لن نهجره
للأمسيات وسحرها وحديثنا ياساحره
ولضحكنا ولصمتنا والأمنيات الصابره
قلبي به انشودة تحيا وترجو المغفره
لاتنتهي من بسمة الا لدمعة معبرة
مازلت احلم بالذي قلنا وقصة محيره
انشودتي ·· اى ·· ياطاهرة
لا تجعليها ·· لا ·· يا غادرة

السيد ستيت

أليفتى ...

(اليها .. شاعرتى الصغيرة)

احببت فيك (البعض) والقلب الحنون
احببت فيك (الكل) والروح الأمين
احببت قلبك ملهما قلبى الحزين
احببت روحك مؤنسا روحى السجين !
واحت فيك الحب .. لهفان العيون
للعشق .. للأحلام .. للأمل الضنين !
للحب .. للأشواق .. للسر الدفين ..
للشعر يبدع فيك منغوم اللحون

★★★

انت الحياة .. وانت وهم الشاعرين !
انت الوجود .. وانت حلم الحالمين !
انت الخلود .. وانت لحن الخالدين ..
وانا الأليف ـ اليفتى ـ طير الغصون
أحيا بدنيا الشاعرين .. الواهمين !

★★★

واروح انشد غنوتى .. عبر القرون
لحنا ترددده ضلاة الهائمين ..!

★★★

لولاك انت ـ اليفتى ـ فى المعجبين ..
ما كنت للاوتار .. أو كان الرنين ..
انى لأذكرك الحياة .. ولا اخون
اتراك عند منيتى .. هل تذكرين ؟!

عدنان أسعد

جنتى

امسيت فى غربة طالت لياليها ... أشدو فتهمس فى صمت دياجيها
كأن همس الليالى وهى غارقة ... فى صمتها آية غابت معانيها
وأننى شبح لفته ٠ ٠ عاصفة ... من الشجون وغطته سوافيها !

البيد مثلى فى الآباد سابحة ... والكون حولى أطياف أناجيها
والفجر توقظه الأحلام فى فزع ... فيرتمى الليل فى أحضان واديها
والورق فى سربح الاوهام حائرة ... كأن لحن الليالى من أغانيها
وشاعر بين أدغال الدجى عصفت ... به الحياة ، وهدته عواديها
ينساب منه الجوى لحنا فيحرقه ... شوق ، ويلهب فى البيداء حاديها
والناس فى موكب الآزال لاهية ... فليت شعرى ، هل يدرون ما فيها ؟

ياروضة فى ربوع النيل ما سعدت ... بالأنس يوما ، وما رقت حواشيها
كأن نشوى العذارى من سلافتها ... وأن دهم الأمانى من قوافيها

ذوائب من بقايا الدوح باكية ... ونائحات على أطلال ماضيها
وأمسيات كأحلام المنى طويت ... فلست أدرى متى تصحو غوافيها ؟

تمضى الليالى سراعا ، وهى حالمة ... ترنو الى الكون أو تبكى شواديها
ياليت شعرى ٠٠ هل نامت سواجعها ... واستشهد الدوح ؟ أم نامت روابيها
أرى رسوما على الآباد باكية ... تنعى الى الناس والدنيا مغانيها
يا جنتى مات فى فجر الصبا أملى ... وبت فى غربة طالت لياليها

صابر على رمضان

الأذرع الخمسون

يا ليل
يا ليل الأحزان السود
ذا عرس الدم
قد فح سعيرا من صدر اليم
فى ليلة عيد ..
ما زال الموج يجاذب كثبان شباك ، وحبال
قد عادت من غير رجال
لا زالت فى اليم
خمسون ذراعا
وعلى الشاطىء قطعان .. تنتظر الراعى
دملمة حرى من أم
من سمراء تحن الى الغائب فى لهفة
من شيخ لحيته كالزبد الفائر :
ـ يا قادر .. ارحمهم يا قادر
.. ويموت دعاء
الريح الهوجاء تولول فى الأسمال
فى الأفئدة المقرورة من هول المجهول
وعلى الشاطىء لا زالت ترقد
اشلاء سفينة
وبقايا مما لفظته امواج الليل المنهومة
ما زال رجال يطويهم كهف الآفاق الدكناء
خمسون ذراعا
وعلى الشاطىء قطعان تنتظر الراعي
حسنله عيناها فى لون الموج اذا يصفو
تاهت عيناها وسط التيه الأهوج
تبحث عن جسم يطفو
عن فارسها ياتيها حيا
لكن الريح تولول فى الأسمال
وفتاها الأسمر فى فك الأمواج

الأزرق ارسى فيه انيابه
الأعين حيرى تتنهد ادمع
لكن الليل بلا أذن تسمع
فالريح .. الريح الهوجاء
ما ابقت لليل ضياء
الموكب يتأرجح فى بطن الظلمة
فى كل فؤاد تنبض شمعه ،
تمسى دمعه
وعلى الشاطىء قطعان تنتظر الراعى :
ـ ياليت (الريس) ما غرب
ـ لكن القدر .. لا بد يدور
وتغوص الأعين فى اللجة
لا خفق شراع
لا موال يترجع محموم الأنفاس
فالأزرق أرسى فيهم أنيابه
الافق جدار من طين معتم
سور منهار ما يفتأ يتهدم
والموج يلعدم محموما
تنين يصرع تنينا
فتفح الأنفاس اللهفى لعرائس فى فجر العمر
الحناء بأيديهن تحاكى لون الدم
والحزن مطارف سوداء تحدر من قمقم
وتمر الساعات كسالى
كسلاحف عرجاء حطيمه
لا أمل يخفق ، لا نأمه
الا صرخات الريح المخنوقة
وأما تهوى مسحوقة ..
وتعود القافلة الثكلى
فيصاعد من أكواخ الطين زفير الحسرة
ومع الليل تدب خطى عملاق مخبول أعمى
فى أنيابه جمر والقلب صقيع

عملاق يدعى الجوع

محمد زكريا عنانى

انســـــان

الموسيقى . . انها فلسفة الحس كما
أن الفلسفة هى موسيقى العقل

تضع «الادب» بين يدى كل ذى شأن فى رعاية الشباب وحمايته ، هذه الصفحات التالية .. وعنوانها كما كتبه صاحبه « إنسان » وكان يمكن أن يكون العنوان « شاب » فيكون أصدق وأدق .

فراغ

ان فيما يلى صفحات من القول ربما لا نحسن أن نصفها تحت صنف بعينه من صنوف القول الفنى — وصاحبها نفسه قد شعر بهذا فقال فى خطابه الذى بعثها به : — ربما هو وصف مشاعر .. وخواطر ، أكثر منه قصة — وهو يحدث فى هذا عما يسميه حينا « عملا » — وحينا يسميه (انتاجا) .. وربما لا تسلم له (الادب) باسم من هذين الاسمين .. وانما هو اعتراف — أو ما يرادف ذلك ، وصاحبه يقول خطابه بعد أن حار فى وصفه وتسميته :

و

.. ولكن ياسيدى هذا الكلام ألح على كثيرا لو أكتبه — وكان ... و «الادب» لهذا الاعتبار ، لا لسواه ، تنشر هذا الكلام لتضعه تحت نظر كل ذى شأن ، وصفه ، ومقدرة فى التدبير لسلامة أنفس هذا الشباب .. وصيانة مواهبه .. وتوجيه طاقاته الفنية ، والعملية ، على السـواء — وتغذية طموحه ، وتعلية مشاعره

حرمان

تنشر « الادب » هذا الكلام لأنه تعبـير عن أنفس آلاف ، أو آلاف الآلاف من الشـبان .. يجدون — ثم

لا يعبرون ، أو لا يحسنون الانتباه لأنفسهم ، فلا يستطيعون أن يقولوا .. فيكون جموح ، ويكون انحراف ويكون كبت ، وتكون خسارة على الفرد والجماعة .. بضياع تلك القوى

وتقول « الادب » لصاحب هذا الكلام ، وهى تنشره ، انه ليس عملا . وليس انتاجا . بل هو أهون من ذلك .. ولكنه فى الوقت نفسه ـ أشد خطرا ، وأبعد أثرا ، فى حياتك وحياة رفقائك .. وقد يكون هذا الوعى منك سبيلا لنتاج صالح من فن ، أو علم ، أو عمل طيب ، يعينك عليه رعاة الشباب ، فى كليتك ، وفى دنيا الشباب عامة .. و « الادب » من ناحيتها تحدوك ، وترقبك ، أنت وكل شبيه لك ، وتتابع اللفت الى حاجتكم لما يكشف عن آمالكم وآلامكم ، وطاقاتكم ، ورغباتكم

ووحدة

تسألنى يا صديقى عما بى .. وتريد منى لو أسايرك مرحك الذى يبدو .. وفرحك الذى يشجى وتنحى على باللوم .. أنا فى هذه الايام .. أعقد البسيط ـ وأوسع كل شىء نقدا .. وأنت تنكر على شرود العقل .. وحيرة الفكر وعميق الآلام .

صديقى .. وما أندر الاصدقاء فى حياتى .. ولو انك أعز الناس .. وأخلص من عرفت وأوفى الا أنه .. فى ذات كل انسان .. من الآلم ومن الخوف .. ومن الآمل ومن الرجاء أو التمنى .. من الشعور بالضعف والنقص والاحساس بالعظمة والكمال .. من الافكار وضيعها وساميها ومن الاحلام .. ما يصرح الانسان به .. أو يسلى نفسه بالحديث فيه .. حتى مع أقرب وأعز وأحب الناس هذا ما دام .. لنفسه متمالكا .. وفى عقله وجسمه متحكما ..

ولكن .. فى حياة كل انسان .. ساعات ضعف .. وربما صفاء وشفافية .. يود أثناءها لو يبدى كل ما يخفى .. من حسه .. وفكره .. ويعوزه فى هذه الحال .. القلب العطوف والحس الرقيق والعقل المقدر .. يعوزه انسان .. قادر على بذل الحب .. ومشاركة من الوجدان .. هو يحتاج ليفصح .. لمن هو مثلك . رقة وعطفا وحنانا .. وها أنت ذا معى يا صديقى .. وها أنذا فى ساعة من ساعات ضعفى .. ولنا سأقص عليك .

هى آمالى وأحلامى .. هو فكرى وخيالى .. فى كل ساعة فكرة تراودنى وأمل يداعبنى .. ويسير بى خيالى الى ما لو تحقق .. لجعل منى شيئا مذكورا .. آمالى تتوالى مع لحظات

عمرى ... وتعظم بازدياد عقلى قربا من نضوج .

افكر .. وآمل .. واحلم .. هكذا كانت حياتى منذ شهور ..

وعرفت ان شيئا لن يتحقق من تلقاء ذاته .. وانه لا بد من عمل .. ولكن اى سبيل ارتاد ..؟ لقد عشت فترة فى صراع فكرى وروحى عجيب .. احيانا أقوى وأساير آمالى .. فاثور وأتحرك .. واغنى .. وأترنم .. واحيانا أخر يعترينى ما قد يشبه اليأس فى سكونه .. وكمونه .. وفى لحظات أجدنى معلقا بين أمل ويأس حتى لا أحس راحة ولا تعبا .. ولا ثورة .. ولا هدوءا ..

اى نفس هذه التى بين جنبى .. ؟ اى عقل هذا الذى يعذبنى بالتفكير الدائم فى اشياء غريبة متناقضة .. والنتيجة .. اللا شيء .. ؟ اى قلب يتألم .. واحس آلامه شديدة موجعة ..؟ اى ضمير يناشدنى الوصول الى الكمال فى كل حين .. ؟

انى لعجيب .. حتى لا أكاد أفهم نفسى ..

عهدك فى بشوشا مرحا .. آملا متفائلا فى كل حين .. غير مقيم لشيء وزنا .. وفى أيام .. اتغير هكذا .. واصبح جادا حادا .. دائم التفكير والتدبير ..

انه الهدف .. والأمل .. غيرانى كل التغيير ..

من شهر زرت ابن عم لى .. صحفى انت تعرفه .. وابديت حاجتى لعمل .. هنا بمصر .. حتى اظل فيها مدة الاجازة .. وكان ان طلب منى تعلم الآلة الكاتبة .. لانه لا سبيل لذاك .. الا بتلك .. ودفعت كل ما معى لمكتب آلات كاتبة .. وأقبلت عليها بكل آمالى وتلهفى .. وتصورت فى اتقان استعمالها .. تحقيق كل شيء كما افهمنى ابن العم ذاك .. كنت أذهب الى المكتب صباحا لاقضى ساعة .. مكبا على تلك الآلة .. مركزا كل أعصابى فى أصابعى وعينى .. وبعدها الى الكلية .. وأعود .. لا أكاد أحظى براحة .. لانه فى المساء هناك موعد آخر .. مع تلك الحروف البارزة الصلدة .. كل ذلك لانتهى بنتيجة مع نهاية الامتحان .. فأتسلم العمل .. وأحقق آمالى ..

ولا تدرى .. لم أتمسك هكذا بالبقاء .. على خلاف عادتى فى الاجازات .. وانى لآسف .. أن لا أوافيك بأحوالى أولا بأول .. وكنه تقصيرك فى زيارتى وربما تقصيرى أنا .. أو تقصير كلينا .. أو لنقل هى الدنيا ..

منذ بدات أفكر محسا .. أو احس مفكرا .. وأنا أهوى الموسيقى .. أحبها كل الحب .. وأتأثر بها كل التأثر .. واعجب بأعلامها غاية الاعجاب .. اجدنى متسعا لشى منها من هنا أو هناك .. وأرانى دواما متأثرا .. مرة باكيا وأخرى سعيدا فرحا .. وفى كل ساعة متخيلا نفسى فاهما لما اسمع وأحس ، عارفا باسرار ذاك العالم الكامل .. عالم رقة

الشعور .. وسمو الفكر .. وصفاء الروح .. عالم الانسانية برفيع مسنواها .. وخير مراميها .. عالم سعادة الروح .. وتفتح القلب لكل جميل ..

يا للموسيقى .. فى جمالها ذاك .. تلمس الروح برقة .. فتهيم واياها .. وتتجاذب العاطفة .. بعاثة لجميل الاحاسيس .. حتى المؤلم بينها .. جميل .. انه ألم جميل .. وبكاء جميل .. ذاك الذى تسببه الموسيقى انفقط .. لرقة فى الحس .. وشفافية فى الوجدان .. وصفاء فى النفس ..

الموسيقى .. انها جزء من كيانى .. تجرى ودمى .. تتلمسها مشاعرى .. وتعتمل فى ذهنى فاتسمعها .. ولكن ليس باذنى .. وانما بكيانى كله .. عقلا ووجدانا ..

الموسيقى .. انها غذاء لروح كل انسان .. وهى كذلك غذاء لعقل الفاهمين العارفين المتمتعين بأسرارها .. وفى دنياها ..

انها فلسفة الحس .. كما ان الفلسفة هى موسيقى العقل ..

و«البيانو» هو رمز لكمال الآلات الموسيقية عندى .. نغماته دواما .. الى قلبى .. أحب النغمات فى كل مرة أراه فى مناسبة ما .. كنت أتمنى لمسه .. واقترب .. وتمتد يدى .. واعود اخشى جهلى .. واحترم كمال الآلة الحبيبة .. فاسترد يدى .. متقلصة أصابعى .. باكية مشاعرى وفى كليتنا .. وجدت سبيلا لاشباعى مما أحب واهوى .. مع فرقة الموسيقى .. وذهبت الى الاستاذ هناك .. واستغربوا منى محاولة الانضمام .. مع اقتراب الامتحان .. ولكن الرجل كان كريما فوافق على البدء معى من الصفر ..

ولا تسل عنى جالسا امام البيانو اول مرة .. مستعدا لتحريك أصابعى ضاغطا بالفعل على الاصابع البيض ، عازفا الخمس نغمات الاول فى السلم الموسيقى .

أى سعادة شعرت بها .. واى تاثر تاثرته .. من تلك النغمات البسيطة المتدرجة .. ولكن .. انا كنت عازفا .. انها البدء لحياة كاملة .. فى نظرى ..

ويومها ظللت طويلا .. واستاذى يراقبنى .. محركا أصابعى بلا ملل أو كلل .. غارقا فى عرقى .. وانتهى اول درس .. واتقنت عزف السلم الموسيقى كله .. وابدى أستاذى رضا واعجابا .. وواظبت على الدرس ولم أكن بحاجة للتشجيع العظيم الذى حبانى به أستاذى .. فقد كان يكفينى تلك اللذة الروحية .. والمتعة النفسية .. والراحة العامة .. لحسى وفكرى .. وتقدمت بسرعة .. وصرت بعد أسابيع قلائل .. فى مستوى زملاء سبقونى بستة شهور .. وكنت آتى الى هنا .. تصورنى فى يقظتى آملا .. وفى نومى حالما .. تصورنى فى وحدتى متألما لبعدى عن «البيانو» متمنيا لو كان بين يدى ..

ثم تصورنى حين كان يعزف استاذى مقطوعة لأحد الاعلام ..

وعيناى على اصابعه التى تجرى بسرعة ومهارة .. لايفارقانها أبدا ..وحسى كله مع تلك النغمات الجميلةالحنونة.. واحس الدمع .. يتراكم فى عينى.. حتى أضطر الى تجفيفه ..

ويقترب العام من الانتهاء .. وفى الاجازة سيكون عمل متواصل .. لجماعة الموسيقى .. استعدادا لحفل افتتاح العام القادم .. وكانتأمنيتى أن اوجد معهم .. لاتلقى ما ينقلون من دروس .. مستزيدا .. فلقد ازددت نهما وحبا .. بالفهم البسيط الذى اكتسبته .. ولكن يا صديقى.. لقد انهكتوالدى طوال العام بتكاليفى ولا أستطيع الطلب .. أكثر .. اننا ننتهى من العام الدراسى .. شبه محطمين .. وفىالاجازة .. يسترد والدى انفاسه .. مستعدا لعام قادم.

ولكن .. كان لا بد من بقائى هنا .. ولذا ذهبت الى ابن عمى ذاك .. وأتممت تعلم الكتابة بالآلة الكاتبة .. وحسبت أنه اهتم بمطلبى ووجد لى شيئا .. ولكن .. لقد ضاع وقتى ومالى سدى .. ذهبت اليه مرات متسائلا .. وفى كل مرة كان يلقانى .. متصنعا الطبيعية فى ابتساماته .. والرقة فى كلماته .. مفهما اياى .. ألا شىء بعد ..وفهمت انا .. أن لا شىء أبدا .. واتركه وامضى .. قلبى مفعم بالآلامى .. وعقلى مشتت وعيناى تكادان الاتربا.. وآتى .. هنا .. لأقف جوار هذه النافذة .. حيث رسمت على قاعدتها أصابع بيانو .. لتمرين أصابعى فى صمت .. وان كانت النغمات واضحة تماما فى ذهنى .. أقف واعيا بدمع لا يسيل .. مفكرا فى ألم .. ويزيد من ألمى عظيم الامل .. ويضنى نفسى كثرة الاحلام .. يا أخى .. لا أدرى ما انا .. ؟ أمريض ..؟ أمجنون ..؟ لا ادرى .. وانما فقط أعرف .. أنى شقى بوحدتى ..

وآه .. من الوحدة .. انها قتالة .. لجميل وفذ .. فيما سيطر على انسان وحيد .. يأس أو شر ..

ولكنها .. خلاقة .. تلك الوحدة .. اذا ما توجت بالخير واستشعار الامل .. هكذا اكتشفت مؤخرا ..

كثيرا ما كنت أستلقى على سريرى هذا .. ضاغطا وجهى فى الوسادة.. ويفيض بى التأثر .. فأدعو ربى .. وأتمنى البكاء .. ولكن دمعى عنيد .. فيعصيانى .. ألا ليت دمعى يطيع قلبى .. فى تلك اللحظات .. وينساب .. لترتاح نفسى .. ويهدأ فكرى .. ولكنه يأبى .. الا أن يظل فى عينى معلقا .. يغطيهما بغشاوة .. حارة .. مؤلمة .. واعتصر عينى اعتصارا .. لتزول الآلام .. ولكن .. أنى .. وكيانى كله يبكى .. روحى .. وعقلى .. معا ..

وكثيرا ما استبد بى اليأس .. فاجدنى لا أرى فى الدنيا .. الا اقفارا .. من النفوس الطيبة ..

والقـــلوب العطوفة .. والاحاسيس الرقيقة .. وافتقد الاخلاص فى البشر .. والمروءة .. والحب .. وكل ما هو انسانى .. فاحزن .. واغضب .. واحتقر .. واتشاءم .. واسب.

ولكن .. اعود .. وافكر .. انا لم اتعرف بالكثيرين ..

وقد اكثرت من الاحلام فى يقظتى .. واختلقت جنات فى خيالى ..وانا فى صـحراء الواقع .. الملموس .. الذى لابد من مواجهته .. بأى حال

بعد انتهاء الامتحان .. سأذهب الى هناك .. حيث الناس الطيبون.. حيث الحب الحق .. والحنان الصدق .. حيث من يسـعدهم وجودى كل السعادة .. حيث ابى وامى .. انى لاكاد اراهما .. متنظرين ..متلهفين .. مشـــوقين .. داعيـين .. لى ، بالتوفيق ..

وحيث ايضا .. لن يشعر بحـالى احد .. لأن احدا لن يقدر ..وهناك .. فى بلدتنا .. سابحث عن مجال .. يشغل وقتى .. وقد اتمكن من بعض الكسب .. من عمل ما .. اتعلم .. ؟

ان الجميل فى امر الانسان .. انه لا يتوقع الغناء بين يوم وليلة .. وان الأمل يتغلب فى مديد حياة .. وهذا ما يريح المرء احيانا .. حين يتمنى او يأمل .. فما لم يتحقق اليوم .. سيكون غدا .. ولكنه .. ربمايكون بين ساعة واخرى .. قدتموت مشاعر .. وقد تموت أفكار .. بسبب حدث ما .. وهذا ما اود لو احصن نفسى ضده ..

اريد الحفـــاظ على فـــكرى .. ومشاعرى .. اريد الحفاظ على آمالى .. وحتى احلامى .. واود الا انسى ابدا .. اننى تمنيت واتمنى .. أن أحقق شيئا ما .. له قدره ومن هنـا ساستمد .. العزم .. والتصميم .. وان هما الا اولى مراحل التحقيق .

محمد فتح الله سرور
كليـة المعلمين

مصر
أصـــل الحضارة

لسلامة موسى

حاولت هنا توضيح الفكرة الرئيسية التى أراد سلامه موسى أن يقدمها لنا فى مؤلفـــه القيم « مصر أصـــل الحضارة » .

حاولت أن اقـــدم الملخص بنفس كلمات سلامه موسى .. هذه الكلمات البسيطة الدقيقة التى تحمل الفكرة فى غير تكلف أو تصنع او بهرجة أو زينة ..

يقول سلامه موسى فى هذا الكتاب الذى ظهر عام ١٩٣٥ فى عنفـــوان الاحتلال الانجليزى وفى أثناء سلطان الاقطاع والاستبداد والاستغلال :

« لقد احتل الانجليز بلادنا والتاريخ يثبت أننا احتللنا بلادهم قبل ٢٥٠٠ سنة وان أسماءنا المصرية لا تزال حية فى مدنهم وأنهارهم وخلجانهم ، بل ان لعبة الكرة التى يتوهم العـــالم أنهم اختصوا بها انما هم قد اخذوها عن مصر ، بـــل لا يزال الجنيـــه الانجليزى يحمل فى نقش التنين ربا مصريا قديما »

من هذا النص يتبين لنا فى وضوح أن سلامه موسى ألف هـــذا الكتاب للدفاع عن الشعب المصرى ولدفعه الى استعادة الشعور بنفسه والثورة ضد الظلم والطغيان فى سبيل استرداد حريته واستقلاله وهذا عن طـريق الوعى الذاتى بنفسه وبتاريخه .

كان هدف سلامه موسى اذن مقاومة الاحتلال والاقطاع والاستبداد .. وكان هدفه أيضا اعادة الثقة الى المصريين .. بناة الحضارة الانسانية الاولى .. ودفعهم الى بناء حضارة جديدة .

بقلم : توفيق حنا

يقول سلامه موسى :

« اذا كان واجبا على كل انسان أن يدرس تاريخ بلاده فانه يجب على المصرى أن يدرس تاريخ مصر لا لانه تاريخ مصر فقط بل لانه تاريخ الدنيا كلها .. تاريخ هذه الحضارة القديمة التى أخرجت الانسان من العصر الحجرى . وجمع الطعام والرحلة فى الغابات والبرارى الى عصر الزراعة واستنتاج الطعام والاقامة فى المنازل وانشاء الاسرة والحكومة .

ونحن حين ندرس تاريخ مصر القديم نعرف كيف نشأ الطب، وما العلاقة بين تحنيط الجثة، وتوبلة الطعام ولماذا اجمعت الامم على الاكبار من شأن الذهب وكيف عرفت الراية للحرب وما الذى بعث على التجارة بين الامم ولماذا تسمى الكيميا الآن باسم مصر القديم ولماذا أخذت أوروبا التقويم المصرى بل ولماذا تقدس البقرة فى الهند حتى الآن .

كل هذا نستطيع أن ندرسه عندما ندرس تاريخ مصر لان الحضارة الاولى التى اخترعها جدودنا انتشرت فى العالم كله ولها آثار فى الصين والهند وفى أفريقيا وفى ايطاليا وانجلترا وفى جزيرة العرب وفى أمريكا أيضا .

ولدرس هذا التاريخ يجب أن تؤلف عندنا اللجان فى كل مدينة كما يجب ان نصنع الافلام التاريخية تحت اشراف العلماء المصريين لعرض الحياة المصرية القديمة . كما يجب أن تؤلف الكتب بالغة العربية فى تراجم قدماء المصريين فقد استطاع « ارثر ويجال » ان يضع كتابا فى ٣٠٠ صفحة عن اخناتون .

* * *

ينتمى الشعب المصرى الى السلالة الميديترانية التى تعزى الى البحر المتوسط والتى تنتشر الشعوب المنتمية اليها فى جزيرة العرب وفى العراق وفى مصر وفى الحبشة وفى بعض انحاء انجلترا وبخاصة ويلز وفى افريقيا الشمالية وفى ايطاليا وفى اسبانيا وفى فرنسا الجنوبية .

هذه السلالة هى التى سكنت مصر وشرعت فى اختراع الحضارة بعد ان علمها النيل مبادىء الزراعة .. وجاهد الشعب المصرى الطبيعة واحتال على فهم الدنيا وقاوم آلاف السنين قبل أن يصل الى عهد الفراعنة ..

* * *

علم النيل بفيضانه السنوى فى الوادى المصريين أصول الزراعة .

تعلم المصريون أن الماء ضرورى للنبات وانه يمكن الاستكثار من الزراعة بالجذور أو البذور وانه خير لهم أن يزرعوا ويستنجبوا الطعام بالزراعة من أن يجمعوه من الغابات والنباتات البرية

نشأت الزراعة فسكن كل منهم فى مكان لا يبرحه واصبحوا فلاحين لهم بيوت وعندئذ ظهرت الحكومة فى صورة شيخ يرجع اليه فى المنازعات ثم بتوالى الزمن وتوافر التجارب ظهر المهندسون الذين ادركوا كيف يمكن

تدبير الماء بالحياض وكيف ينظم التقويم على نظام فلكى يتفق ومواعيد الزراعة

ولعل المهنـــدس الاول او الفلكى الاول هو اول الفراعنة ولكن هـذا الفرعون الاول الذى هدى البلاد الى خيرات الزراعة وأنشأ لهم الحيـــاض ونظم التقويم قضى عليه كما يقضى على كل حى بالموت فاحتفظ جدودنا بجسمه وهم فى سلاجتهم يحسبون ان الاحتفاظ بالجسم يؤدى الى الاحتفاظ بالحيـــاة فعرفوا الدفن والتحنيـــط ثم كانوا يستشـــــيرونه بعد موته كما كانوا يفعلون فى حياته فنشأت الاديان الاولى وعرف المعبد ٠

زراعة ، وديانة ، وملك ، وعبادة وهندسة ، وتقويم ، وبناء للمنزل ، واستئناس للماشية فماذا يبقى بعـد ذلك لتكوين المدينة الاولى ٠

* * *

ان الذهب يبهر العين بجماله فكيف اذا اضيف الى هـــذا الجمال خاصية اخرى هى انه يطيـــل العمر ويمنع الموت ٠٠ هذه هى العقيدة الاولى التى آمن بها المصريون القدماء وهـذا هو السبب فى وضعه فى توابيت الملوك ٠٠ وعلينا ان نذكر دائما ان الملك فى تابوته ليس ميتا وانما هو فى حال اخرى من الحياة يحتاج فيها الى الذهب لكى تطول ٠

كان الذهب يجمع من الاقطار البعيدة ويحمل الى خزانة فرعون وهى فى ذلك الوقت خزانة الدولة ومن هنا صار الذهب نقدا للتعامل ٠

وكان الذهب وسيلة لنقل الحضارة ٠٠ من مصر الى آسيا الى افريقيا الى أوروبا والى امريكا ٠

اقام المصريون حيث وجدوا الذهب ٠٠٠ وزرعوا وعلموا من حولهم التقويم الشمسى وتحنيط الموتى وبناء الهرم ٠٠ وبذلك نقلوا الانســـان من العصر الحجرى الى الزراعة والى الحضارة ٠

تقديس الذهب اذن عقيدة مصرية قديمة فهم كانوا أبـــناء الشمس اى أبناء رع ٠٠ وكان يجرى فى عروقهم سائل الذهب الذى ورثوه عن رع ٠

* * *

كان النعش أول ما صنعه النجارون

وكان القبر أول ما بناه البناؤون فى العالم ٠

ومن التحنيط نشأت وقويت فنون النحت اى نحت التماثيل والاصنـــام واقامة القبور التى صارت بعـد ذلك معابد كما كان التحنيط ايضا الاصل فى الكيميا والتشريح والطب ٠

ومن انشاء المعابد بالحجـــر قامت العمارة وصارت القصور تبنى منـــه للاحياء ٠

وكما استحال التمثال الذى يصنع لقبر الملك الى صنم يعبد كذلك استحال القبر الى معبد ٠

والاغلب أن الكاهن الاول كان هو الملك .. يقصد قبر أبيه فيقوم بهذه الشعائر ويترضاه بالدعاء ثم يستشيره ومن هنا نشأت الآلهة الاولى .

ودخل الاسفنكس - اقدم الآثار المصرية - وهو أسد له وجه انسان فى ثقافة الاغريق بوجه امرأة وجسم حيوان ومن هذا الاسفنكس ظهرت صور الملائكة وتماثيلها فى العصر المسيحى لان الملك هو وجه انسان وجناحى طائر .. ألهمت مصر صناعة النحت وتفوق الاغريق فى هذا الفن وتوخوا منه الجمال بينما كان المصرى يتوخى الحقيقة والعظمة الآلهية والهدوء الروحى

وقد ثبت أن الفن الهندى يرجع الى ايحاء الاغريق الذين زرعوا بذرته فى حملة الاسكندر المقدونى على الهند.

ثم انتشر هذا الفن من الهند الى سائر أنحاء آسيا وانتقلت بعد ذلك الى القارة الامريكية .

وما حدث فى النحت حدث ايضا فى البناء .

فالمصريون هم الذين اخترعوا العمود ونقله الاغريق عنهم .

كما ترجع جميع الاساطير التى ذكرها هوميروس فى ملحمته الالياذه الى قصص مصرية نقلها الاغريق عن مصر واذا كانت الالياذة أساس الادب الاغريقى جاز لنا أن نقول ان هذا الادب يقوم على أصل مصرى (١) .

كما اثبت برستد أن الفن الاغريقى القديم انما نهض على الاساس الذى وضعها المصريون القدماء .

ومع قصص مصر وفنونها نقل الاغريق ايضا اشياء اخرى فى الدين والاسرة والزواج والزراعة والحكومة

كما اخترع المصريون حروف الهجاء وكانت تصويرية أولا ثم اختصرت حتى صارت الى ما تؤديه لنا حروف الهجاء الآن .

وفى كتاب « فجر الضمير » يقرر برستد أن المصريين هم الذين علموا العالم مبادىء الاخلاق وأشعروه بأن له ضميرا يحاسب به نفسه قبل أن يحاسب غيره .

ففى حكم أمينوموب التى تعود الى القرن العاشر قبل الميلاد نرى أن ادراك المصريين للضمير وللشخصية قد بلغ القمة .. هذه الحكم التى ترجمت الى العبرية كانت ينبوعا عظيما اقتطر لكتاب الامثال الذى يعزى الى سليمان الحكيم ومقابلة بسيطة بين نصوص الحكم والامثال تبين لنا هذه الحقيقة فى وضوح وجلاء .

كما أن لفظة طوفان مصرية وليست عبرية .

اما كلمة آمين فهى محرفة عن امون الرب المصرى القديم بل اعم الارباب المصرية ورب الدولة الذى حاول

---

١ - مقالات الاستاذ عبد القادر حمزه

أخناتون أن يزيل سلطانه فلم يقدر وكان اسمه ختام الدعاء والصلاة عند المصريين ·

* * *

مصر هى المهد الاول للحضارة ·· هى التى اخترعت الزراعة واكتشفت المعادن وهى التى نحتت الحجر وشيدت المبانى وهى التى أوجدت الأسس الأولى للدين والاجتماع والقانون ·

واليونان هى المهد الثانى للحضارة ·· هى التى عممت التجارة والنقود وهى التى أقامت حكومة المدينة الديموقراطية وهى التى وضعت الرأى فوق العقيدة وبدأت حركة التفكير الحديث ·

حضارة مصر القديمة هى حضارة الزراعة ·

وحضارة اليونان القديمة هى حضارة التجارة ·

* * *

هذا الدرس لتاريخنا يغذى غيرتنا للاصلاح ·

فاننا نحن الذين اخترعنا الكتابة والقراءة يجب الا نترك فلاحنا يجهلها بعد ٦٫٠٠٠ سنة من اختراعهما ·

ونحن الذين اكثرنا الطعام بالزراعة يجب ألا نجيع الفلاح والعامل فى عصر شبع فيه جميع الناس بعد ٨٫٠٠٠ سنة من اختراعهما ·

ونحن الذين بنينا اول بيت سكنه انسان يجب أن نبنى البيوت للمصريين جميعا ·

مصر التى اخترعت الحضارة يجب أن تتقدم جميع الامم فى هذا الميدان ·

واذا كان هذا هو شأن العقل المصرى فلنا ان نستعيد الثقة بعبقريتنا الكامنة وأن نضع نصب اعيننا ان العقل المصرى الحديث جدير بان يأتى بما اتى به العقل المصرى القديم من المعجزات فهذا الوجدان الانسانى الذى أشرق نوره فى مصر هو نتاج النيل المصرى وهو نتاج هذه الارض السوداء الممتدة على جانبيه وهو نتاج هذه الشمس السافرة وهذه السماء الصاحية الضحوك ·

وغاية ما نحتاج اليه هو أن نفلح الحديقة كما يقول « فولتير » ·

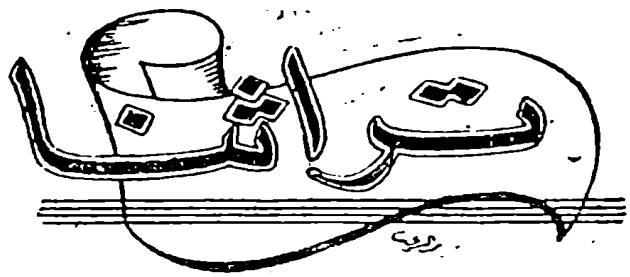

في يد غيرنا

يجب أن نعرف كل ما قيل عنه

— ١ —

درسنا لتراثنا

دار حكمة جديدة ندعو لانشائها
جميع الشعوب والحكومات العربية

لاسباب سياسية واجتماعية وعلمية أقبل الغرب على اختلاف أممه — منذ بضعة قرون على جمع تراثنا العلمي في ميادين المعرفة المختلفة .

وجعل يتعرف ذلك التراث ويقومه، ويحققه وينشره ، ويقوم بدراسات مختلفة عليه ، ورصد لذلك الاموال، والمعاهد والجهود ، وانشأ الصحف ، وسخر القوى، لاعتبارات سياسية وغيرها كما اشرنا .. ومهما تكن الاغراض والاهداف فقد ظلت تلك الجهود دائبة على الدراسة الاستشراقية ، في عمق وقوة ، خلفت حول تراثنا الشرقي — بسائر مواده — قدرا كبيرا من الوصف والشرح ، والتحقيق ، والتعليق ،

بقلم : أمين الخولي

وتكونت حوله المدارس المختلفة والآراء المتنوعة .

وذهبت بالكثير الجم من ذلك ، او بالقليل النادر ، لغات الغرب المتعددة وتوزعت تلك الآثار أمم من أقصى الانحاء وأقربها الينا .. على السواء

وأمست تلك الدراسات الاستشراقيه لتراثنا نحن ، العلمى ، والفلسفى ، والدينى ، والفنى من ألزم ما تلزمنا الاحاطة به ، والتعمق فيه ، والاستفادة بمناهجه ونتائجه .. والنقد له ، والتعقيب عليه تعقيبا بصيرا خبيرا ..

وتحت هذا الشعور بقوة حاجتنا الى هذه المعرفة النزيهة أو المغرضة لتراثنا أقبل المترجمون على ترجمة شيء من تلك الدراسات الاستشراقية .. واخراج دائرة المعارف الاسلامية التى تمثل خلاصة مجملة من هذه الدراسات الى العربية أو سواها من لغات الشرق ..

وأقبل الدارسون المحسون بالمنهج الصحيح للدراسة ، العاملون لاحياء الدراسات العربية فى ميادينها المتنوعة .. أقبل هؤلاء جميعا على النظر فى تلك الدراسات الاستشراقية للاستفادة بنتائجها .. والاحتذاء لها .. والاقتباس منها .. وأحيانا لادعائها وانتحالها .

وشعر بنقص الدراسة من لا يجد السبيل الى الاتصال بالدراسات الاستشراقية ، واحتالوا لهذا الانتفاع بالمجدى وغير المجدى .

* * *

ومع كل هذه المحاولات المقدرة لاهمية هذه الدراسات الضخمة للمستشرقين ، ومع انها من الناحية العلمية ضرورة منهجية وحاجة حيوية يعتبر عدم الوفاء بها اخلالا صارخا بتصحيح المنهج ، كما انها من الناحية النفسية ضرورة يشعر بها المخلص لماضيه ، المقدر لاسلافه ، الوفى لتراثه .. حتى ليعد عدم الاتصال التام بها خيانة منا ، ـ نحن ورثة أولئك الاسلاف الكرام ـ لآبائنا وماضينا ، وتقصيرا ومخجلا فى واجبنا نحو متابعة رسالتهم فى تقدم الحضارة بالامس .. ومايجب أن نخلفهم فيه من ذلك ، اليوم .

مع كل هذا الذى أجملنا من اعتبارات فان المعرفة الحقيقية الصحيحة ، أو التامة بكل ماقيل عن تراثنا ، وجهادنا ، وماضينا ، تعتبر ـ رغم كل رغبة واهمية ، وجد ـ متعسرة غير محتملة ، بل متعذرة غير مستطاعة لاكبر مثقف حسن الرغبة ، دائب العناية .

وسبب ذلك التعسر ، أو الاستحالة تقريبا بسيط واضح ، هو : ان هذه الدراسات قد دونت فى لغات متعددة كالالمانية . والروسية ، والهولندية ، والاسبانية ، والايطالية ، والانجليزية ، والفرنسية ، واحيانا المجرية ، والسويدية مثلا .. وذهبت كل واحدة منها بالاصيل والهام من النتائج .. كما ذهبت بمختلف الاتجاهات والمنازع

وجلى ان الاحاطة بتلك اللغات احاطة تمكن من الاستفادة بما كتب فيها لانزال غاية بعيدة الى اليوم ، على أى مثقف متخصص فينا ، مهما يكن جده .. فنحن أمام الاستفادة المحققة ، والواجب

المحتم فى معرفة ما قيل عن اسلافنا وثروتنا الثقافية بين واحدة من اثنتين: النقص الكامل، والعجز التام .. وهو حال الاكثرية الكبرى التى لا تعرف لغة غربية .. أو النقص الواضح الذى لا يقبله المنهج .. وهو حال الكثرة الدارسة التى تعرف لغة أو لغتين أو حتى بضع لغات أوربية .. لانها لن تكون أكثر اللغات التى كتب فيها ما كتب عنا وعن حياتنا العقلية، والدينية والفنية .

ونظرة الى مراجع مادة من ترجمة دائرة المعارف الاسلامية، ترينا تنوع تلك المراجع ، وذهاب اللغات المختلفة بها ، مع أنها ليست الا الامهات ، أو المشهورات، ووراءها فوق ذلك مراجع أخرى للقوم ، لا يهملهـــا من يحترم دراسته ، ويقدر واجبه .

☆ ☆ ☆

هذه هى الحاجة العلمية والنفسية التى يشعر بها كل مثقف بيننـــا ، ويحس بعنفها وقوتها من يعانى بحثا عن ناحية من نواحى ثقافتنا .

وهى حاجة ماسة قاسية الى تمكين مثقفينا العارفين بلغات أجنبية ، أو غير العارفين بها على السواء ـ من الاتصال اليسير القـــريب بالدراســـات الاستشراقية .. وهـذا ما هييء له مشروع جليل ، اشعر بجلالتـــه ، وضخامته ، وطول مداه ، وعظمـــة الطاقة التى تبذل له بان كل شعب عربى مطالب بالتدبير له .. وكل دولة عربية مطالبة أن تبذل فى ســبيله كل ما تستطيع بذله فى سبيل المعرفة ، وفى سبيل تحقيق الشخصية الاجتماعية وبين يدى كل أولئك أضع :

ـ ٢ ـ

تخطيط المشروع

ولعله تبين فى وضوح أن الغرض هو: اخراج جميع الدراسات الاستشراقية فى جميع اللغات التى كتبت بها الى اللغة العربية ـ بعد اليســير النزر الــذى ترجم منها .

ثم تقديم هذا النتاج الثرى الهام فى نشرة دورية محترمة تقدم منه فى كل فترة قطعـــة من كل فرع من فروع المعـرفة ، بحيث يجتمع ما كتب فى الفن الواحـــد باللغـات المتعـددة ، ويلتقى ما كتب عن المسألة الواحدة، والموضوع الواحد ، فى تلك اللغات ليجدها الدارس مجتمعة متلاحقة .. لا أن تترجم تلك الدراسات كتبا متفرقة أو رسائل متناثرة .

وهذا بعض البيان لخطوط المشروع الكبرى التى تبدأ بها دراسته وتكوين الفـكرة وتقـدير العدة له .. وتلك الخطوط هى :

ا ـ انشاء دار للترجمة من اللغات التى عرفت الدراسات الاستشراقيـة كلها .. وهى دار تعيد ذكرى « دار الحكمة» القديمة .. ولو سميت اليوم دار التراث لكان حسنا .

ب ـ يختار لهذه الدار مترجمان ـ على الاقل ـ فى كل لغة من تلك اللغات للترجمة والمراجعة ، ويكون اختيارهما دقيقا يستعان فيه بأصحاب تلك اللغات أنفسهم ليكون مستواهم كفيلا بالدقة المرجوة فى المادة التى ستترجم محررة سليمة ·

ج ـ يضم اليهم موظفون فنيون ، من ذوى الخبرة بالثقافة العربية فى فروعها المختلفة ليشاركوا فى المرحلة الاولى من جمع الدراسات الاستشراقية وتصنيفها ، وتنسيقها ، وضم أشباهها وليعاونوا بعد ذلك فى المراجعة اللغوية والاصلاحية لما يترجم ، وصقله صقلا عربيا نقيا ·

ويتبعهم من لابد منهم من المستخدمين الكتابيين ، والاداريين ، اللازمين لمثل هذا العمل الثـــقافى ، ثم الصحفى الهام ·

العمل الثقافى ، ثم الصحفى الهام ·

د ـ ينظم الاتصال بدوائر الاستشراق فى أوروبا وامريكا ·· والتراسل معها لمعرفة ما عندها من قديم تلك الدراسة وحديثها المتجدد أيضا ، كمـــا ينظم الاتصال بملحقيها الثقافيين فى سفاراتها ببلادنا لانهم وصلة قريبة لتنظيم هذا الاتصال واستمراره ·

هـ ـ بتلك الجهود المتعاونة يجمع ما كتب فى الدراسة الاستشراقية ، بكل لغة ، حتى لا يفوت من ذلك شىء ·· ويميز منه ما سبق نقله الى العربيـة لئلا تتكرر ترجمته ·

و ـ ينسق ذلك فنونا وموضوعات فيكون العلم وحده ، فالفلسفة ، فالدين فاللغة والادب ، فالفنون عامة ·· الخ وتحت كل فن فروعه واقسامه

وتعد بذلك قوائم مستقصية تدل على ما كتب فى كـل فن فى مختلف اللغات ·

ز ـ يقسم كل فن أبوابا ومسائل حسب ترتيب تقسيمه المعروف فيه·· ويبين ما كتب فى كل قسم أو فرع بمختلف اللغات ·· وتعد بذلك قوائم مستقرئة ·· كاملة التتبع ·

ح ـ يترجم المكتوب فى كل فرع فرع من اللغـــات المختلفة ، بحيث يجتمع ما كتب فى اللغات كلهـــا عن موضوع واحد ، لا أن تخرج المترجمات كتبا مفردة ، ورسائل مستقلة ، يحتاج الباحث الى أن يتتبعها بالمعرفة والجمع حينما يريدها ·

وان أدى ذلك الى توزيع الكتاب الواحد او الرسالة على مواضع متعددة أو الاشارة اليها فى غير فن واحد ، فلا بأس بذلك تحقيقا لهذا التجميع المفيد ، وانتهاء الامر الى أن يجد الدارس والباحث مرجعا متصلا متكاملا عن دراسات المستشرقين جميعا فى المسألة او الفن الذى يعنيه ··

ط ـ يخرج ذلك اولا بأول فى مجلة تتقسمها الفنون المختلفة وتدار عليها ابوابها فتكون ـ مثلا ـ كما يأتى :

العلم ـ الفلسفة ـ الدين ـ الادب ـ الفن ·

وفى كل عدد منها صفحات مقسومة متتابعة الترقيم ، عن الموضوع الواحد فى كل باب من تلك الأبواب .

ثم يعقبها باب مفرد عن حيـــاة الاسنشراق اليوم : يتتبع اخبار هذا النشاط وجهود اصحابه ، ونتائجهم فيه .. وان كان فى تلك النتائج ما يتصل بقديم أشير اليه عـــند نشره

فتكون أبواب المجلة ستة مثـلا ، يذهب كل باب منها بملزمتين ـ ٣٢ صفحة ـ فتبلغ صفحات الجزء منهـا نحو مائتى صفحة ..

وهو ما يليق بمجلة ستؤلف ملازمها اجزاء متضامة متكاملة ، لكل باب من ابوابها، ليستفيد الباحثون والدارسون من تتابعها ، ولا ينتظرون خروجهـا كاملة بعد مدى يطول سنين وسنين .

ـ ٣ ـ

تفصيلات تحت البحث

أ ـ تسمى المجلـة مثلا ـ الشرق والغرب ـ أو اسما كهذا يشـــير الى مادتها الخاصة .

ب ـ تصدر كل شهرين مثلا لتخرج صحيحة دقيقة فى فترة كافية للاخراج الملائم .

ج ـ تختص المجلة بنشر نتائج دار الحكمة فى الترجمة، وحياة الاستشراق اليوم ، فلا تجاوز ذلك الا الى مايكون تصحيحا لشىء مما نشرته أو تعقيبا عليه له أثره فى التحقيق العلمى ، ويوضع مثل ذلك فى الباب الخاص به

د ـ ما وراء ذلك من تفصيلات يمكن التحدث فيها بعد درس هـذا التخطيط العام .

◆ ◆ ◆

وأخيرا .. ان أهمية هذا المشروع، وأصالته ، وجلال اهدافه جديرة بكل ما يبذل فيه ، اذا سخت الهمـــة بالتوسع فيه ، على ألا يكون ذلك الا تدريجيا ..

وان عمره الطويل ، وفائدته المتجددة وتفرد صحيفته ، ليهيىء للمشروع أن يكون مصدر كسب مادى ، يمكن أن يقال انه محقق .. وان لم يكن مبكرا

والله ولى التوفيق .

اذاعتنا..!!

السيد محرر بريد الأدب

.. أرسل هذا الخطاب باسمك لأنى أعرف أن لباب البريد عندكم محررا خاصا ، وان كان لا ينشر فى هذا الباب من بريد الأدب الا ما هو خاص بالشئون الأدبية الصرفة ، ولذا لم يشر الىرسالتى السابقةعن « اذاعتنا » فىالبريد العامبل نشرت تحت عنوان الأدب والحياة .

ولكنى يا سيدى ـ محرر بريد الأدب ـ رغم عدم نشر رسالتى السابقة فى بابك أوجه خطابى الثانى هذا اليك لأنى أطمع فى أن استشهد بك على تصرف السيد رئيس التحرير فى رسالتى السابقة ، ان كان هو الذى تصرف ، ولأرجوك أن تطلب منه عدم استعمال سلطته فى رسالتى هذه لأن المسألة فى رأيكم خاصة بالأدب والحياة ، وما دامت حيوية فانها تحتاج الى كل ما يمكن من سعة الصدر ، وحرية النشر . ونعم هى حيوية جدا كما قلت فى جوابى السابق عن أهمية تاثير الاذاعة على كل أنواع النشاط الفنى وأولها الأدب . . . .. لأن ذلك لا يكاد يمكن لشخص يحسب لوقته حسابا .. ومع أنى لا أمد يدى الى مفتاح الراديو ابتداء أبدا ، ولكنى أجده مفتوحا وأنا فايت فأسمع بكيفى أو بالغصب فانى ـ ياسيدى ـ وأكد عنى للسيد رئيس تحرير « الأدب » ـ لا أستطيع فى كل مرة من هذه المرات التى توجدها الصدفة الا أن أترك المكان الذى فيه الراديو وأنا ساخط لأسباب متعددة .. وهذا السخط الحامى هو الذى يدفعنى اذا ما تكرد الى كتابة رسالتى هذه بعد الرسالة السابقة ..

قلت فى رسالتى الأولى : ان اذاعتنا ٠٠ واقول فى هذه الرسالة : ان اذاعتنا كالساعة المأخرة ٠٠ ولا أدرى ماذا يكون شعور الانسان عندما تكون ساعته مأخرة تفوت عليه مواعيد سفره ، أو مواعيد عمله ، وترتيب شئونه !! ويمكنك ياسيدى ان تشعر بدرجة الضغط اذا كنت قد جربت ـ ولا بد أنك جربت ولو مرة ـ شعورك عندما تجد ساعتك مأخرة ٠٠ ومأخرة كثير ٠٠

اذاعتنا ٠٠ ساعة مأخرة لأنها فى مساء ليلة ٩ من ذى الحجة فى هذه السنة كانت تذيع ـ من القاهرة طبعا ـ حديثا عن مناسك الحج ٠

حسن وجميل أن يكون المتحدث هو حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر ، الذى تعرف وقع صوته فى الاذاعة ، حتى لو كنت من صنفى الذى يسمع بالاكراه أو الصدفة ٠٠

وحسن أن يتحدث شيخ الأزهر عن ركن من أركان الاسلام ٠٠ ولكن ـ ياسيدى ـ كان الحديث ليلة الوقوف بعرفة ، حديثا عن الطواف ٠٠ والسعى ٠٠ وقد فات وقتها على الذين فى الحجاز نفسه ٠٠ وفات وقت المناسك كلها على الذين لم يكونوا فى الحجاز نفسه حتى ليلة الوقفة !!

وخذ بالك : ان الحديث من القاهرة ، فيا ترى هو للحجاج هناك ؟ أو للمسلمين فى غير الحجاز ؟! ولا واحدة من الاثنين نافعة ٠٠ لأن الذين هنـاك كما تعرف يسلمون أنفسهم للمطوفين ، وهم الذين يوجهون كل حركة لهم ، وهـم الذين يلقنونهم كل دعوة ، وكل كلمة ، حتى ما يقرأ فى هذه المشاهد من القرآن ٠٠ وان قرءوه بحالة يعلم بها ربنا ٠٠ ولاشك أن الحديث عن مناسك الحج من القاهرة لا يبلغ أى عدد من آذان الحجاج بمكة مساء يوم التروية ، وليلة الوقفة ٠٠ وهو حديث ـ حقيقة على الهواء ٠٠ وفى الهـواء ٠٠ وحتى اذا بلـغ فهو كما قلت لسيادتك عن أشياء فات وقتها ٠٠ وفات ٠٠ فما معنى الحديث عن آداب الطواف ٠٠ والسعى ٠٠ فى هذا الوقت

واذا كان الحديث لمن ليس فى الحجاز ليلة الوقفة عن مناسك الحج فمـاذا يكون ٠

البساطة ضرورة فى قصصنا ... ولكن ؟

بقلم : حسن محسب

محاولة تقديم عمل أدبى كامل فنيا وانسانيا، ومفهوما لعامةالشعب ليست بالشيء الهين ، ففى سبيل ذلك قد يزل الكاتب ويتساهل فى شيء ، قد يكون كثيرا ، من فنية القصة ، وشروطها • وفى سبيل ذلك أيضا يتعب الكاتب ، ويجهد كى يقدم هذا العمل المفهوم للعامة ، لا للخاصة وحسب ••

وهذا نفس الشيء الذى يجعل من بعض أعمال كتابنا أعمالا ممتازة ، كما قد يجعل منها « شيئا » ممسوخا ، ومقدرة الكاتب وعنايته فى كلا الأمرين هى القياس •

واذا نظرنا الى » مجموعة قصص أرزاق » للأستاذ سعد وهبه على هذا الأساس ، وجدناها تبرز لنا محاولة الكاتب الصادقة لكى يقدم عملا أدبيا متكاملا ، فنيا، ومفهوما للعامة أيضا • أى لا يحتاج الى « مترجم » عند قراءته على فرد عادى •• محدود الذكاء ••

فقد راعى الكاتب البساطة فى أسلوبه • والبساطة هنا ليست غير البعد عن اللفظة الجافة ، العتيقة •• وان كانت هذه البساطة هى عين السبب فى أن جاءت احدى قصص المجموعة ـ وأعنى بها قصة « اشارة » ••جاءت سطحية الاسلوب ، لاغراقها

أنا طولت ، وقلم رئيس التحرير ـ حسبما رأيت فى رسالتى السابقة ـ قلم جرىء كالمقص ـ فهل يتركنى لأقول :

المغصوب على السمع

« الأدب » تقدم هذا الخطاب للنشر دون أن نمسه ، كرغبة السيد محرر باب البريد ، ولاحترامنا الدائم لحرية النشر ، ما لم تحتكم فيها اعتبارات قوية ليس فى الوسع مخالفتها •• وللسيد المرسل ، وللقراء جميعا كل ترحيب وتشجيع •

فى العامية دون مبرر ـ كما سنرى ٠
وسنحاول هنا أن نعرض جوانب هـذه المحاولة من خلال قصتين فقط من قصص المجموعة ٠٠

والقصـــة الاولى ٠٠ هى قصـــة « هريسة » التى تمتـاز فكرتهـــا الانسانية بأنها ذات أبعـاد كثيرة ، تنمو ، وتمتد ، مقدمة لنا معـــانى ومشاكل مختلفة ، ولكن هذه الأبعاد تلتقى أخيرا فى ذروة القصة مـكونة حدثا متكاملا نما مع بطل القصة نموا طبيعيا ٠٠

فالبطل ٠٠ صـــبى ريفى جاء الى مدينة « دســـوق » ليتم تعليمه الابتدائى واستأجر له والده حجرة فى بيت الحاج الـــكائن خلف (ضريح سيدى ابراهيم) ٠ وأخذت ناهـــد ابنـــة الحاج ٠٠ بائع الهريسة ٠٠ تساوم الصبى على قبلة فى مقـــابل قطعة هريسة ، ورغم خوفه من ذلك لأن أمه قالت « العيـــال هـــم اللى يتباسو » فقد فشل فى مقاومة اغراء الهريسة ، التى التهم منها الكثير ، وترك الفتاة المراهقة تقبله ولكنهـــا تقول له « انت لسه صـــغير ٠٠ ما تعرفش حاجة » وفى الاجازة تعلم الصبى من قريب له ـ جامعى ـ هذه « الحاجة » التى كانت تريدها منه ناهد ٠٠ فعاد بعد الاجازة ، وهـــو مصمم على أن يثبت لها أنه عرف ٠٠ ما كانت تريده ، ولكنه فوجىء بمدرس الألعاب فى مدرسته وقد شـــغل حجرته فى بيت ناهد ٠٠ فيحزن ، ولكنـــه سرعان ما يفرح عندما يرى ناهد ومدرس الالعاب سائرين فى زفة كبيرة الى القسم بعد أن ضبطا فى وضع مشين ، حيث تم زواجهمـــا (فالأول الهريسة وبعدين المأذون) !

٠٠ وبهذه الطريقة تم زواج ثلاثة بنات للحاج ، بائع الهريسة !٠٠

وهكذا نرى أن القصة قد قدمت لنا لوحة رائعة لقطاع من حياة أسرة ٠٠ كانت الهريسة عامـــلا مشتركا فى وجودها ٠٠

وهذه القصة تمتـــاز بخلوها من التقرير ٠٠ فلم نجد الكاتب يقرر لنا شيئا ، أو قولا ، بل وجدناه يعتمد على الحوادث التى تجسم لنا المعنى والهدف ، فالحوادث وحدها هى التى قدمت لنا ناهد المراهقة الظمآنة الى حب ٠٠ أى حب ، حتى أنها لترشو الصبى ليمنحها قبلة ، وان ذلك ليفتح أمامنا مجالا آخرا ٠٠ وهو حيـــاة الاسرة المصرية التى لا تعـرف معنى صحيحا للتربية والتنشئة ، فهذا هو الصبى يرتعد خوفا لأن ناهد تقبله٠٠ لأن أمه علمته أن ذلك عيب كبير ٠٠ رهيب ٠٠ ويظل هذا الخوف مخزونا فى أعماقه ، فى اللاشـــعور ، حتى يستيقظ دفعة واحدة ويكون عنيفا مخربا ٠٠ كما حدث لناهد ٠٠

وكانت ميزة القصة حقا فى تقديم هذين النمـــوذجين ٠٠ الصبى ٠٠ وناهد ٠ فالصبى تقيده تقاليد وعادات وكلمات وتحذيرات مخيفة ويترسب ذلك كله فى أعماق الصغير ٠ ثم ناهد الفتاة الظمآنة لشىء ٠٠ انها تمثـل

النهاية الحتمية للصبى .. كما انه يمثل لنا بداية حياتها ايضا ، فهما اذن يكونان معا صورة حية ، وصادقة لكل شاب وشابة فى مصر .. وخاصة فى ريفها ، المحروم من التفاهم ، الذى هو أساس قيام الاسرة السعيدة ولذلك يتسبب الحرمان منه فى هدم وتقويض أساس الاسرة .. كما قدمت قصة « هريسة » فى لمحة مقتضبة ، ولكنها جاءت موحية ..

ولكن .. هل خلت القصة من الخطأ ؟.. لا .. فيها عيب كان يجب ألا يفوت الكاتب ، ذلك هو ، أنه قدم لنا بطل قصته على أنه يخاف من مدرس الحساب ، ويضيق به . بل يكرهه . ثم قدم لنا شخصية مدرس «الالعاب» فى آخر القصة على أنه هو الذى حرم الصبى من حبه .. أى من ناهد .. وقد كان من صالح البناء الفنى للقصة أن يكون مدرس الحساب ، هو نفس المدرس الذى أخذ ناهد وسكن مكان الصبى ، حتى يكون التحول النفسى عند البطل فى النهاية أكثر معقولية ، وأوضح أثرا ، وخاصة اننا لم نجد مبررا واحدا يدعو الكاتب الى ادخال هذا الشخص الجديد فى القصة .

وغير ذلك فالقصة لا تخلو من اللمسات البارعة ، وتعتبر دليلا ناجحا على أن الكاتب لو اراد ان يقدم اعمالا أدبية كاملة وبسيطة ايضا لنجح بشىء من العناية فقط !..

واقول مع شىء من العناية ، بكافة شروط القصة ، لأن هذا شىء مهم..

وليس أدل على ذلك من قصة «اشارة» لنفس المؤلف ، التى طغت عليها البساطة ، فجاءت كالنغمة النشاز فى المجموعة كلها .. رغم أن موضوعها على جانب كبير من الاهمية ، اذ انها تقدم لنا عامل التليفون فى الريف ، ومدى جهله رغم أنه يقوم بدور كبير بل خطير فى الحياة البوليسية .

ولعل أنسب تلخيص للقصة هو قول « عبد المولى » بطل القصة وهو يملى اشارة عاجلة تلقاها من المركز .. يمليها على زملائه فى القرى « الله يخرب بيتكو .. مواشى صحيح .. انتم مين اللى قاعدكم على التلفون » لأنها تبدأ باشارة تلقاها «عبد المولى» ويمليها على زملائه . وخلال املائه تكاد تتكامل لوحة ساخرة خفيفة ، تحز فى النفس بقدر ما تبعثه من ابتسامات .. لوحة تعرض جهل عامل التليفون وأفكاره ومعتقداته ، وأسلوب معيشته ..

فهذا عامل يترك المكالمة ليضع «عودين برسيم للنعجة» وآخر يتركها ليصلى العصر ، وثالث لا يعرف كيف يبرى القلم ، بل أن « عبد المولى » نفسه مشغول « برطلين زبده » كان قد طلبهما من عامل تلقى منه سبابا طيلة املاء الاشارة.. «المستعجلة» !.

انها كما قلت لوحة تعرض لنا أبعادا كثيرة وعميقة لطبقة من الناس ، وتكاد تكون متكاملة.. لولا أنها جاءت خفيفة لدرجة تقربها من الاسكتش الفكاهى ، وتخرج بها من دائرة العمل الأدبى الجاد ـ للأسف ـ والسبب

هو أنها كانت ضحية البساطة التى جعلت فى نفس الوقت كل أعمال الكاتب ، قوية ، وذات طابع انسانى خاص .. لأن للجهد والعناية أثرهما بغير شك .

أما وقد أفلت زمام البساطة من يد المؤلف فى قصته « اشارة » فقد مسخها .

وقد اخترت هذين النموذجين فقط من قصص الاستاذ سعد وهبه لكى أدلل على مدى ضرورة .. وخطر « البساطة فى أدبنا المعاصر » .

وليست البساطة هى النقل عن الواقع بدقة الكاميرا ، فنكتب كل الحوادث ، بنفس أسلوب وقوعها .. كما أنها ليست أيضا فى أن نحشد كل غريب فى اللغة العامية فى قصة لنقول أنها « بساطة الواقعية وصدقها » !..

انما البساطة ، فى أن يجعل الكاتب من نفسه محدثا لبقا ، يحكى قصته بأسلوب عربى ، ولكن فى حدود مستويات الناس ، بحيث لا يجنى فى نفس الوقت على أصول القصة ، وفنيتها .. وبذلك نضمن كسبا أدبيا فى أعمال الكاتب ..

بنك مصر

درج بنك مصر منذ نشأته على مسايرة النهضات التقدمية . فلما تفجرت النفوس وانبعثت الثورة وانبثق نور الشعلة المقدسة تجاوبت كل هذه الظواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر ومع الأهداف العليا التى رمى اليها فى عهد الاستعمار الاقتصادى فانشأ شركاته التى كانت جيوشا حارب بها الاستغلال الأجنبى فى شتى ألوانه والرق الدخيل فى مختلف صوره

نقد الكتب

ذات الخـــال

مجموعة قصصية تاليف : عدنان الداعوق

أهدى الى الأديب الأستاذ «عدنان الداعوق » كتـــابه (ذات الخال) فتلقفته شـاكرا كما تتلقف الأرض العطشى ديمة دفاقة ·· وأمضيت مع الكتاب الساعات أقرؤه متلذذا متأملا، وسابحا فى أجواء الخيال مع شخوص قصصه ، مطوفا بأرجاء فسيحةوعوالم رحيبة حملنى اليها على أجنحة أسلوبه الشاعرى الرقيق ··

وما أن انتهيت مـــن قراءته حتى وجدتنى متأثرا بتلك الباقة الناضرة من القصص ·· أعيشها بذاتي وكانى أحد أبطـــالها ، وجمح بى الخيال فتداعت لخاطرى الذكريات ترجعنى الى الماضى حيث عرفت الصديقعدنان منذ سنوات قاصـــا بارعا تروق لى قصصه وتستهوينى عباراته المنمقة. وأنا بطبعى شاعر تخلبنى اللفظـــة الرقيقة وتطربنى العبارة الرشيقة ، ويأسرنى المعنى الجميل المبتكر ··

وكانت بينى وبينه صداقة معنوية لحمتها الخيال وسداها الصـــحف والمجلات التى تقدم الى نماذج قصصه

ومـــرت الأيام وأنا قـانع بتلك الصداقة الروحية لأحاول تجسيدها فى الواقع رغم تجاور الدارين ·· الى ان ضمنا مجلس أدبى منذ شهور ·· فكان لقاء زادنى تقـــديرا للأستاذ عدنان وحببـــه الى نفسى لأنه أديب يغمس قلبه بدم قلبه ويسهر الليالى مريقا أعصابه على السطور ساكبـــا روحه على الورق ، معبرا عنأحاسيسه ومشاعره ··

اجل بيننا صداقة تقربه الى ولكنها لن تجعلنى أبدا اتنـــكب الحق ··

بقلم : شكرى هلال

واميل الى اطراء صاحبى والتغاضى عن هفواته ·· كلا ان الحق صـــديقى أيضا ، وأعرفه قبل أن أعرف الأخ الأديب ·· ولهذا سأكون مخلصا لقلمى وللأدب وللحقيقة فى هـــذه الكلمة عن كتابه ··

فى اعتقادى أن القصة القصيرة لا تختلف عن الرواية من حيث كونهـــا حياة حافـــلة وحادثة ·· فهى ذات فكرة عميقة وتشخيص رائع وحيوية كبرى فى أسلوب رصين فصيح ··

والقصة القصيرة ليست جانبا من مشهد أو جزءا من صورة أو فـكرة بسيطة تقدم ألهية فى ساعة فراغ يتخلص بها القارىء من ملل الوحدة كما يظن الكثير من الناس ·· وحسب هذا الاعتقاد سأنظر الى القصص ··

والقصة الممتـــازة هى تلك التى تنتزع اعجاب القارىء وتقديره وهى التى تحقق الانسجـــام الفنى بين مختلف عناصر القصة من : موضوع وتحليل نفسى ـ وحوار ـ وتصـــور للبيئة المادية والاجتماعية ـ ونظـرة من الناس للحياة ـ وأسلوب ··

***

فى الكتاب أربع عشرة قصـــة تتفاوت درجاتها من حيث الجـــودة والموضوع وتختلف فى مشاهدهـــا وأجوائها ·· ولكن السمة الواضحـة بين غالبيـة القصص هى (الحب) بموضوعه الكبير الشامل وماينضوى تحت لوائه وما يحدث فى عالمـــه الفسيح ··

فى (القلوب عنـــد بعضها) ، (وحفنة من تراب) ، وعندما يخطىء الحب) ، (وذات الخال) ·· تبرز صورة الحب البرىء النقى ·· وتهب علينا أنسام العاطفة الرقيقة السامية ونلمح اللفتات الشاعرية الهفهـــافة وانفعالات الوجدان المحترق بسعير الهوى اللاهب ··

وفى هذه القصص الاربع نرى الحب من جانبه اليائس الحزين ·· كلها تنتهى بخاتمة مؤثرة وخيبة أمـــل ولوعة ذكرى وحرقة حرمان ·· وتبدو فيها عاطفة الكاتب مضطرمة صادقـة تؤثر فى نفوسنا وتحرك نار قلوبنا·

وفى (أعمى) ، (والتمثـــال) يصور لنا الكاتب مشـــكلة الجنس الكبرى ، وما تتركه فى نفوس الشباب من ثورات انفعال وجموح رغبـــات وانفجارات مشاعر ··

يصور لنا الجوع الجنسى العنيف المحتدم أصدق تمثيل بصورتيه عند الرجل ، والمرأة ·· فيعطينا بذلك صورة كاملة له ، وترتبط بمشـكلة الجنس قضية الزوجية وما ينتج عنها من مفارقات وفواجع فى بلادنا ··

ففى (فتحية) يكاد البيت ينهـدم وتتفـكك روابط الاسرة ·· لولا أن يتدارك الزوج الامر بنصيحة أحـــد أصدقائه ·· وهنا يقدم لنا الكاتب علاجا للقضية يمنع حدوث الـــكارثة فى البيت ·· ولعـــل المشكلة التى عالجها فى هذه القصة مشكلة السيطرة فى البيت أللرجل أم للمراة ··؟ ·· وهى من أجدر مشـاكل الأسرة فى

مجتمعنا بالمعالجة ·· وقد اســـهم الكاتب فى ذلك ولو اسهاما بسيطا ، فالموضوع أعمق مما بدا بكثير ··

أما (بسيمة) ، (والغامضة) فتبينان نفسية المرأة وتظهرانها جلية واضحة ، فالقلق النفسى والعالم الخاص الوجدانى والفكرى الذى تعيشان فيه هو بيئة تعيش فيها الكثيرات مـــن فتيات عصرنا القلق المضطرب ·

وفى (عشرة قـروش) ، (وابو صادق) ، (والعم عزيز) ، (وبلا عنوان) نلمح صورا واقعيـــة من مجتمعنا ، وتعالج أمور الحياة المادية وأزمة الفقر المدقع وصراع الحيـــاة الاقتصادية ·· وتبـــدو واضحة فى الاطار العام لهذه القصص ·· كمـــا توفر فيهـــا كذلك الجانب الخلقى والمثل العليا ، وهذه دعوة طيبة من الكاتب أن يبشر بالخير ويقف قلمه للحق والاخلاق الفاضـــلة ويبعث السجايا النبيلة فى النفوس ·

أما قصة (اغنيـــة الربيع) فهى رمزية فيها الكثير من غموض المعنى ·· وهذا النوع من القصص جديد على أدبنا ، ولا يفهمه الا نفر من ذوى الثقافة الرفيعة المتشعبة النواحى اذ أن طبيعة العربى الوضوح والصراحة ·· واذا جردنا هذه القصة من المعنى الرمزى لايبقى لدينـــا من الحـادثة القصصية شىء ·· سوى حوار شعرى جميل غير مترابط ·

وهكذا نجـــد فى مجموعة « ذات الخال » قصصا مختلفـــة الالوان والاجواء ··

***

هذا ونجد أن التشخيص والوصف والتحليل النفسى متوفر بقدر كبير فى القصص ·· وان الوصف جيـد فى أكثرها ·· كما يرقى التحليل النفسى الى مرتبة الكمال ·

ففى النواحى النفسية يتعمق الاستاذ الداعوق ويكشف لنا خبايا شـتى ويظهر لنا آفاق نفسية مجهولة ·· ولـــكن السرد القصصى ، وتحـــرك الاشخاص ضمن اطار الحوادث ليس على وتيرة واحدة فحينا يوفق الكاتب وأحيانا يبدو السرد ضعيفا مفككـــا وتفقد القصة ترابطها الفنى وتتخلخل حبكتهـــا الصياغية ·· كمـــا ان الاشخاص لاتتحرك بخطة فطرية بل تبدو حركتها مفتعلة مرتجلة ·· وكلما تعقدت الامور أوجد لها حلا تلقائليـا اختاره ، وكان عليه أن يترك أبطـال القصص يتحركون بطبيعتهم وواقعهم ويرافقهم فى جميع تحركاتهم ·

أما عنصر الحوار فهو العنصر الذى لم يخطئه التوفيق فيه أبدا ، فى كل القصص بل ان جودة الحوار ســـمة ملحوظة فى هذه المجموعة مما يرشح الكاتب ليكون من كتاب المسرحيـــة المجيدين ·

لقد كان الكاتب موفقا فى تصوير الاجواء التى جرت فيها قصصـه ·· من هذه القصص ما اتسمت بالواقعية الصادقة ·· ومنها الخيالى ، ولـكن

جوانب البيئة ودقائقها وحجومهـــا وتشخيصها كان جيدا ومنسجما تماما مع القصص .. كما ان تنوع البيئة يدل على خصب قريحة المؤلف وعلى سعة آفاقه الفكرية .. وانطلاق خياله يرسم ويصور تلك الامكنة .. فهو ينتقل من بلدته الى المصيف السورى .. فالآخر اللبنانى .. وهذا ان دل على شيء فعلى تاثير الطبيعة الجميلة فى نفس عدنان الداعوق الرقيقـــة واحساسه المرهف وخياله المجنح .. وعلى حبه لأرض هذا الوطن المقدس ..ولعل تصويره الاماكن التي يتحدث عنها يعود الى معرفته التامة .

وكذلك بث الكاتب آراء قيمة خلقية واجتماعية فى غالبية القصص .. ولم تخل قصة من رأى او فكرة فلسفية أو اجتماعية غايتها الاصلاح والبناء . كما أننا نلمح بعض الحكم .. فهـو يناقش آراء ذات شأن .. السعادة مثلا فى الحياة .. أهى فى المال ؟ أم الزواج .. أم الحب ..؟

وأفكاره احيانا تبدو صريحة..واخرى يتركها خلف اقنعة شفافة لينزعهـا القارىء فيتلقفها بعد انتهائه من القصة وتمثلها .. لكن هـــذه الآراء التى يعرضها الكاتب بسيطة ولا تحمـــل مذهبا فلسفيا معينا او مذهبا اجتماعيا خاصا.. كما انها ليست من لون واحد فهى متنوعة الألوان .

اما اسلوب الاستاذ الداعوق فهـو اسلوب مشرق جميل ، وعبـــاراته حلوة منغومة .. فيها سلالة وحيوية وطـــاقة تعبيرية كبرى .. فالجمل تطـــول وتقصر حسب الموقف .. والألفاظ منتقـاة مانوسة .. وفى السطور حرارة عاطفية تلفحنا ، ودفقة من ذوب الوجدان وعطر الأنفاس ..

واذا كانت المجموعة لاتربطها فكرة واحدة او رأى واحد .. فان الاسلوب الوجدانى خير رابط لها .

وهناك قصص توفرت فيهـــا كل عناصر القصـــــة الناجحة ، وبلغت مستوى جيدا مثل : (حفنة من تراب) (وابو صـــادق) ، (واعمى) .. والبقية تليها فى المرتبة وتتارجح بين المستوى المتوسط والجيد .

وقد كان بمقدور الكاتب أن يقدم لنا مجموعة كلها من المستوى الجيـد او تعالج ناحية واحدة فى الحياة .. الا أنه لم يفعل .. فقد ضحى بجودة بعضها فى سبيل عرض الوان مختلفة .. ولا ادرى لماذا ..؟

لعله اراد ان يعطى للقارىء نمـاذج مختلفة من المواضيع .. وليبـين انه يعالج الحب كما يعالج الفقر والزواج والجنس والرمز .

الاقليم السورى

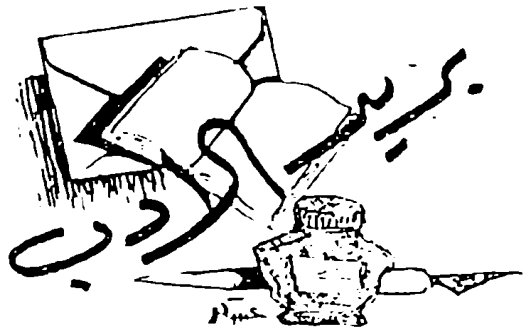

الكرامة .. الإنسانية

وأسائل نفسي بعدما خططت هذا العنوان : فيم هذا العنوان الضخم ، وأنا انما أقصد أن أتحدث الى القراء ببساطة ـ كالعادة ـ عن الألقاب التي يمكن أن تصدر بها أسماء الأدباء والمتفننين ، والدارسين من الذين يشاركون في حياة « الأدب » وما حارت فيه « الأدب » من ذلك ، وما انتهت اليه أخيرا ..

ومثل هذا الموضوع العادي يكفي فيه عنوان أيسر من هذا وأقرب!! .. ولكني لا أعرف لماذا تشبث هذا العنوان برأسي منذ فكرت في كتابة هذه الكلمة ، بل استبد بي حتى شعرت بضرورة قصوى لكتابته ، وأحسست أني لا أستريح الا اذا وضعته على رأس هذه الكلمة .. ثم مضيت بعد ذلك أتحدث حديثا مسهبا عن الكرامة الانسانية .. من حيث هي هدف لجهاد الانسانية في الحياة منذ عرفتها الى أبعد مستقبل بعيد .

ولو رحت أفسر ، أو ألتمس تفسير سبب هذا التشبث بتلك الضخامة في العنوان لتهت في غيابات من طوايا النفس البشرية ، وطرائف من الدعاوى النفسية ، القديمة أو الحديثة .. فهل هو شيء في الحياة يدفع شهوده الى اثارة هذا الشعور ، حتى صار الحديث عنه متنفسا ؟ ربما ؟ أو هل هو شيء من الشعور الداخلي تهيجه عوامل متنبه اليها أو غير متنبه ، فتدفع الى هذه الطلبة المفتقدة ؟ .. لا أدري .. ولا أخال القارىء سيدري اذا ما شغلته بطلب تفسير هذا التصرف مني ، أو بالأدق ، من قلمي حين وثب مصرا ، الى وضع هذا العنوان .. وليسمح معي الى تلك الخواطر ، المبهمة الأسباب ، عن الكرامة الانسانية .. وانها كانت في الدين والتدين أسبق منها في غير هذا الميدان فتمجد الانسان ، وتكرمه ، في شخص أبيه آدم ، وهيأت له الأديان على اختلافها

أن يتصل بالله ·· ويغنى فيه ·· وتسمو روحه الى علاه ، فى الدنيا والآخرة على السواء ·· ويكون خير ما يتمتع به من النعيم هو الشهود ، والرؤية ·· الخ ، ولم تعق الأديان أحدا عن هذه المنزلة السامية ، والمرتبة العليا ، فلم تجعل الناس طبقات، ولا فصائل، ولا فاضل فيهم ولا مفضول ·ولا منازل لأجناسهم ولا درجات لفصائلهم ·· بل كلهم لآدم ·· وآدم من تراب · لكن هذا التقدم والسبق من الأديان والتدين الى هذه الكرامة ، وتوفيرها ، وصونها ، وتقريرها القوى لم يهيىء للبشرية على الأرض ما أحبت لها الأديان أن يكون ·· بل راح الناس يثب بعضهم ·· ويقفز بعضهم ·· ويستبد بعضهم ·· ويحتكم بعضهم · ويتفرد بعضهم ·· ويزعم بعضهم الوصاية على بعض ·· والكفالة لبعض ·· والحجر على بعض ·· والاقصاء لبعض ·· واتخذ ذلك صورا مختلفة ، وألوانا متعددة ، والتمست له الوسائل المتنوعة ، وبررت الغايات فيها الوسائط ·· وكانت الحياة على الارض منذ عرف لها تاريخ ، بل قبل أن يعرف لها تاريخ ، ليست الا نضالا فى سبيل التخلص من وسائل الانكار لهذه الكرامة الانسانية من بعض الناس على بعض ·· وحين قسمت الارزاق على الأقدار زادت النار استعارا ، وزاد الصراع شناعة وبشاعة ·· وكانت المذاهب الفلسفية ، أو الاجتماعية ، أو السياسية ، أو ما شئت أن تنعتها ـ ليست الا محاولة عقلية وعملية فى سبيل هذه الكرامة الانسانية ، التى يتقرر أصلها ، فتكون منازل الناس ، ومعايشهم ومراميهم ، وآمالهم على قياس حقهم فى تلك الكرامة ، ونصيبهم من ذلك التقدير للبشرية ·· وجعلت الحياة تتتابع ، ويسلم فيها جيل لجيل تلك الراية التى تلوذ بها الانسانية فى جهادها ـ والتى طاحت حولها رءوس ، وفاضت أرواح ، وقطعت أياد وأعناق ، لو راحت الانسانية تتخذ منها صرحا لبلغت بارتفاعه أسباب السموات ·· ووصلت ماديا الى عالم المثل الذى رأت له فى السموات منزلا ومقاما ، ولا تزال هذه الانسانية المعذبة تقدم القرابين ، وتبذل الضحايا لهذا الآله المحجب ·· والمعبود المحبب من الانسانية الكرامة ·· السعيدة ·· ويشارك جيلنا ، وتشارك بعده أجيال فى هذه الحرب المستعرة ، التى لا يرجى لها سلام قريب ··

ومن ظواهر هذا التزيد المدعى ما اخترعه المفرقون المتحكمون بمن درجات وطبقات وصنعوا لها صفات ، وشارات ، وألقابا ·· وأمارات ·· وخصوها برتب لها الملبس ·· والمركب ·· والمنزل ·· والمقام ·· وناضلت الانسانية فى سبيل كرامتها فحطمت من ذلك ما حطمت ·· وهدمت من ذلك ما هدمت ·· وكان قد تعدى هذا التمييز والتفريق ، الى دنيا العلم ·· وعالم الفن ، وأفق المعانى والمثل ·· فاذا أصحاب هذا كله لا يسعدهم ما لفتت اليه الأديان من

كرامة ، ولا يمتعهم ما جاء به الفن ، والعلم ، وعشق الحقيقة ، وحب الحكمة من منعة سعيدة ، ولذة كبرى ، فتعلقوا بالألقاب وتشبثوا بالنعوت ..

وواجهنا الحياة ، وذلك شأنها ، فحارت « الأدب » فيما تفعل : ان منعت الألقاب تتوج بها المقال ، وتنسق بها الفهرس ، سخط ساخط ، وغضب غاضب وان أسرفت فى ذلك تنفق منه عن سخاء ، وتبذل فى سرف فجعلت اكل أساتذة، برم بذلك من يرى الدقة فى التقدير ، والتصون للأقدار .. وان دققت فى ذلك فقدرت ، وجعلت هذا « سيدا » فقط ، وذاك « أستاذا » أنف من ذلك من لا يسلم فى سهولة بأساس هذا التقدير ، وغضب وعتب .. ووراء هذا وذاك نفر دقيقو الحس ، كرام النفس ، تمتعهم المعنويات ، وتسعدهم الروحيات يرجون فى تشدد ، أن تجرد أسماؤهم من الألقاب، ويرون التلقيب مظهرا من السذاجة لا يجمل بهم ، وهم يجلون عنه أنفسا ، ويرتفعون شعورا .. وأخيرا رأت « الأدب » شعورا منها بالكرامة الانسانية التى قررت حقها الأديان .. وحاربت فى سبيلها الأجيال رأت أن تعد هذه الكرامة حقا انسانيا لا يملك أحد منحه بلقب ، ولا يملك أحد منعه بتجريد .. كما رأت ان أصحاب الفن ، وذوى الحس، وقادة الفكر ، وملهمى الوحى أقوى فى ذلك حقا ، وأمنع جانبا .. فهم لهذا فوق أن يحرموا أو يمنحوا ، وأسماؤهم هى ألقاب التكريم ، وتجريدها من كل لقب أعزاز لكرامتها .. وكذلك مضت منذ مدة على أن ترسل أسماء كتابها فى غير لقب ما ، من ألقاب العلم أو سواه .. وان كان شىء من ذلك عفوا يسبق الاسم فى ثبت المقالات وفهرس الموضوعات .. وهى عند ذلك تشعر أنها تزيد حق أصحاب المعنويات فى الكرامة الانسانية ، بهذه الظاهرة البسيطة اليسيرة .. ولا غرابة فى هذا فأولئك هم الذين تسعدهم اللفتة .. وتمتعهم اللمحة .

وليغفر لى القارىء ما كان من تشبث بوضع هذا العنوان الضخم لذلك الغرض البسيط .. لأسباب له أن يبحث عنها معى فنعرفها أو لا نعرفها .

خارج النقد

وقبل أن أتقدم بعد هذا الى الحديث عن رسائل القراء وشئونهم ابدأ فأضع خارج النقد ـ وقد شرحت هذا العنوان قبل ـ أشياء من النظم أو النثر هانت على التقويم ، وان أتعبت فى المراجعة والمطالعة .

ومن ذلك شىء من كلام يدعى انه نظم أو شعر بعنوان « الى الدهر » ، وشىء يدعى انه قصة بعنوان « ابنة الشاعر » . ومن العناء أن صاحبه يتوجه بقوله : أرجو أن تتشبث ببعض الصبر حتى تستطيع قراءة هذا الخط الهيروغليفى .. وعافاك الله يا أخى مما ابتلينا به ، ولو نسخته على يد صاحب خط بملاليم أو

قروش ثم ارسلته محولا بها على بريد الأدب ٠٠ لدفعناها لك ، واشترينا اعيننا ووقتنا ٠٠ وان صبر ايوب لأقل من أن يسعف على الخط الهيروغليفى ـ مع الكتوب الذى لا يتقدم زمنه عن تلك العصور السحيقة ٠

ومما هو خارج النقد كذلك قصة « ابو اسماعين » فاخطاؤها فى اللغة والرسم ـ قبل هوانها الادبى ـ تقضى على صاحبها أن يتريث ٠٠ ويتريث ٠٠ قبل أن يبعث واذا دخلنا أفق النقد ، وبدأنا الحديث عن رسائل :

الشعر :

التقينا بصاحب « دعاء » وهو يكتب الى « الأدب » للمرة الثامنة ، وتعيد « الأدب » وتزيد فى الاعتذار عن البيان التفصيلى لما يعده من المحاسن، وتراه هى ، ان حسن رأيها ، شيئا مقاربا أو مقبولا ، لا ينبغى أن يشغل القراء بمثله ، لأن مثله كثير وكثير لو نشر لأغرق ، وزاحم كل قيم أو مفيد !! ولكنه بعد ذلك كله ، وبعد أن يكتفى بالسؤال : هل تقدم فى مدى هذه الشهور الثمانية ، أو مازال كما كان ٠٠ ومع استعدادنا لاجابته عن هذا السؤال بأنه تقدم شيئا ما ٠٠ لا يذكر ، فانه لا يلبث أن يعود ويطالبنا بما يقوم به الأساتذة فى المدارس والمعاهد من نقد القصائد كلها ٠ فلماذا نختار من مقطوعاته بيتا واحدا وننقده ؟ ! بينما هؤلاء النقاد الأساتذة فى تدريسهم يختارون القصيدة بأجمعها ؟!! وهكذا رجعت ريمه ٠٠ ورجا صاحبنا أن يعرف موطن الضعف ، وموطن الاجادة ٠٠ وفى سبيل الله يا زمرى !!

« دعاء » ياسيدى الذى لا يريد أن يسمع ، ولا يكفيه كل هذا التكرار ٠٠ فيها أخطاء لغوية ونحوية ٠٠٠ وليس لها موضوع ٠٠ وكل ما فيها معنى واحد من الحيرة مكرر فى املال ٠٠ وبمعانى ليست صحيحة فى واقع الحياة ، كقولك : ان الله لا يسمع لك ولا ٠٠ ولا ٠٠ لأنك فقير !! فاقرا ما كتبت فى صدر هذا البريد عن الكرامة الانسانية لتعرف ببساطة تامة أن الله لا يقصى الناس عن حضرته ٠٠ لأنهم فقراء !!

ـ ووصلت « الوردة » ونرجو من صاحبها ، كما وجدنا غير مرة ، ونشرنا ، شيئا أعمق ، ذا وحدة ، لا يبدو فيه فقر الألفاظ وضيق القاموس ٠

ـ ووصلت « رسالة الى ندى » وبما بعد هذه سيكون بين « الأدب » وبين السيد المرسل ما نحب ويريد من صلات على مدى الأيام ٠٠ ولعله يوافقنا على هذا الاجمال ، والاستغناء عن ذكر المثل والتعبيرات ٠٠ التى دفعت الى هذا الارجاء

ونكتفى بهذا من الشعر ، لأن الحديث عما بعده طويل ، فتتقدم الى :

بريد الادب

النثر :

فقد وصلت منه كلمة عن «معارضات شوقى » وهى قريبة المدى ، وحسبى هذا فى التقويم ·· وان أبى السيد الا تفصيلا ، فليقدر أنه لافائدة للقراء فى سوق ما حملته كتب مطبوعة من حديث المعارضة ، أو الآراء الناقدة لتلك المعارضات كآراء المرحوم الدكتور زكى مبارك ·· ويحسن ، بل يجب أن تبدأ من حيث انتهى من قبلك لتكون شيئا فى الخالفين لا تكرارا للسالفين ·

ـ وقد وصلت قبل الآن قصة « الأجير » ولم نهملها فيبعث السيد صاحبها بنسخة أخرى منها ·· وهى أهون شأنا مما عرفنا وعرف القراء لصاحبها : انها صورة قلمية ·· وصورة تملأ القرى ، والمدن ، وعرضها تقريرى وصفى يشبه المقال كثيرا ، وربما لا يشبه القصة قليلا ·

ـ وقصتكم التى من وحى بريد « الأدب » وهى « فى طريق العدم » تبدو قريبة الغور جدا ، وليس فيها عمل قصصى ·· وتزحمها خواطر أو بالأحرى ـ أغراض ـ وعظية العبارات تبعدها كثيرا عن الجو الفنى الجدير بهذا الاسم ·

ـ ونفرغ ـ فى رحابة صدر ـ للسيد الأديب الذى نهنئه اولا على ما يقوله : من انه نشر فوق المائتى قصة فى المجلات المصرية والعربية ، وأن له كتابا يطبع حاليا يضم قصتين طويلتين ، كتب مقدمة احداهما الأستاذ محمود تيمور ، وكتب الأخرى الأستاذ يوسف السباعى ونرى أنه مع ذلك كله يحسن منه أن يخفف من حدته التى كتب بها كلمته « موازين الأدب ·· مختلة » ينعى فيها حظ أدباء الأقاليم ، وبعدهم عن الأضواء ، واهمال آثارهم ·· الخ · ونعتذر اليه اذا لم ننشر هذه الكلمة ، لأنها خاطرة غاضبة ، تعوزها الاناة ، ودراسة النواميس الاجتماعية فى الحياة العامة ·· والحياة الفنية ·

وقد تكرم السيد أعزه الله فوافانا بثلاث قصص هى : « ··· » و « ··· » وكتبت « الأدب » فى بريدها عن اثنتين من هذه القصص ملتزمة الخطة التى رسمها لها السيد الأديب من عدم التصريح باسمه أو التقويم لآثاره فى باب البريد ، مع ذكر عناوين هذه الآثار ، لأن ذلك لا يرضيه ، ولكن يبدو أن السيد لم يقرأ عدد « الأدب » الذى وردت فيه هذه العبارة الواضحة ـ ولا شك ـ وهو طالب ذلك الطلب القديم الذى اعتذرنا عنه بالواقع الذى يجعله شاقا كالمستحيل ·· فلا نستطيع أن نرسل رسائل خاصة لكل مرسل ·! واذا كنا قد ذكرنا آثار السيد مضطرين فانا نمسك بعد ذلك عن تقويمها فى باب البريد ·· وما دامت الرسائل الخاصة مما لايدخل فى طوقنا ، فاننا ننتظر اذنه لنا بأن نقومها تقويما علنيا فى هذا الباب والا ·· فله ما يشاء ·

فهرس

العدد الرابع يوليه ١٩٥٩ السنة الرابعة

٢٠٩ ـ من الفن والحياة : دين .. و .. فن ..... عن الأمناء

٢١٣ ـ بشار بن برد محاولة نفسية لدرسه ..... عبد الله خورشيد البرى

٢٢١ ـ المسرح المصرى ..... محمد على ماهر

٢٢٥ ـ شعرنا المعاصر ..... عبد الحكيم بلبع

٢٣١ ـ وسط التيه ..... شعر فتحى سعيد

٢٣٢ ـ الفضائل الدخيلة ..... محمد رجب البيومى

٢٣٣ ـ عائد الى القرية ..... عبده بدوى

٢٣٤ ـ تحية مصر ..... على عبد الفتاح عيسى

٢٣٥ ـ انشودتى ..... السيد ستيت

٢٣٥ ـ أليفتى ..... عدنان أسعد

٢٣٧ ـ جنتى ..... صابر على رمضان

٢٣٨ ـ الاذرع الخمسون ..... محمد زكريا عنانى

٢٤٠ ـ انسان ..... محمد فتح الله سرور

٢٤٦ ـ مصر أصل الحضارة ..... توفيق حنا

٢٥١ ـ تراثنا : فى يد غيرنا ..... امين الخولى

٢٥٦ ـ اذاعتنا ..... * * *

٢٥٨ ـ البساطة ضرورة فى قصصنا .. ولكن ؟ ..... حسن محسب

٦٦٢ ـ مجموعة : ذات الخيال ..... شكرى هلال

٢٦٦ ـ بريد الادب : الكرامة ـ الانسانية ـ الشعر ٢٦٩ النثر ٢٧٠

٢٧١ ـ فهرس ..... * * *

٢٧٢ ـ اجازة الادب ، وبديلها ..... * * *

إجازة

الأدب

وبديلها

تستأذن اسرة التحرير قراءها الكرام فى فترة استجمام ، من هـذا الصيف ، وتضع بين يديهم بديلا عن هذه الفترة :

وهو كتاب ينبغى أن يقرأه كل ذى نشاط قيادى او ريادى أو توجيهى ، فى الميدانين : المدنى والعسكرى على السواء .. وما اوجب أن يكون كل فرد فينا صاحب نشاط من هذا الصنف .. فكلكم راع .. وكلكم مسئول

والكتاب فى الوقت نفسه ، من صميم رسالة « الأدب » الفنية ، وكريم هدف أصحابها الأمناء : مدرسة الفن والحياة ، لأنه ليس الا تطبيقا على أحدث نظريتين فى الدراسات القرآنية الأدبية ، وهما :

١ ـ نظرية : الاعجاز النفسى للقرآن .. وانه اعجاز لا يبين الا من الناحية النفسية الانسانية .. كما شرح ذلك صاحب هذا الكتاب فى رسالة عن : البلاغة وعلم النفس .

٢ ـ نظرية : التفسير الفنى ، او الأدبى ، او البيانى للقرآن ، وهو التفسير الذى يجب أن يتقدم ويتفرد فى فهم القرآن ، كما شرحه صاحب هذا الكتاب فى رسالته : التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم

ولكل اولئك يكون خير بديل عن عددى أغسطس وسبتمبر من « الأدب » هو كتاب :

القادة ... الرسل

من قلم : امين الخولى

وثمن هذا الكتاب ١٥ قرشا ، ولكنه يقدم للمشترك فى « الأدب » عن عددين ثمنهما نحو ٨ قروش

وإلى اللقاء .....

الرسالة

مجال الفكر العالى والثقافة الرفيعة
تظهر فى اليوم السادس من كل شهر

صدر العدد الواحد والثلاثون

يولية ١٩٥٩

اقرأ فيه

* * *

حديث الشهر	الدكتور سلمى النمان
زعيمان عربيان	« عبد العزيز صالح
الوحدانية فى مصر القديمة	« أنور عبد العليم
الآثار العلمية للسنة الجيوفيزيقية الدولية	الاستاذ سعد الخادم
قومية الثوب الشعبى	الدكتور محمد منذور
عباس محمود العقاد ناقدا (١)	الاستاذ يحيى حقى
... الا القراءة !	« حسن كامل الصيرفى
الى وكرك يا قلبى ! (قصيدة)	« السيد فرج
واجب المكتبة بعد الوحدة	الدكتور جمال الدين الرمادى
انصراف الشباب عن القراءة : أسبابه وعلاجه	جان فال ترجمة الاستاذ فؤاد كامل
من تاريخ الوجودية	
الشاعر القروى قديس الوطنية العربية	الاستاذ فاضل السباعى
العلاقات العامة للبوليس	المقدم حسين محمد على
الأخلاق والسياسة	الاستاذ حليم مترى
الصورة الشعرية فى المذاهب الادبية واثرها فى النقد الحديث	الدكتور محمد غنيمى هلال
خطرات فى فن الشعر	« زكى المحاسنى
اليها .... (قصيدة)	الاستاذ حسين رشيد خريس
جورج أبيض شيخ الممثلين العرب	« فتوح نشاطى
مشكلات فنوننا التشكيلية المعاصرة	« راجى عنايت
أفلام الرعب .. اتجاه غير انسانى	« صلاح التهامى
السيمفونية أكثر نماذج الموسيقى حيوية	« محمد رشاد بدران

وغير ذلك من أنباء وآراء فى الادب ، والمسرح ، والفن ، وأهم الاخبار الثقافية

رئيس التحرير الدكتور على الراعى

١٣٦ صفحة **١٠ قروش**

الصحف وبالمكتبة القومية ٥ ميدان عرابى وسائر المكتبات

دار القاهرة للطباعة

الأدب

العدد الخامس اكتوبر ١٩٥٩ السنة الرابعة

دين ... وفن

— ٣ —

كانت اجازة « الادب » سببا فى تباعد عهد القارىء بهذا الموضوع ، الذى بدأ الحديث فيه منذ العدد الثالث من هذه السنة ـ يونيو ـ

وكانت فاتحة القول هى رسالة السيد أ ـ أ ـ التى يشكو فيها ما يصيب حياتنا الاجتماعية من تصديع وتفكك ، بسبب موقف المنتسبين الى الدين من الفن فى الوقت الذى تجد فيه الدولة والامة ، لتأصيل النشاط الفنى ، تدعيما لنهضتنا ، واقامة لها على الاساس الاقوى ، لكل النهضات طوال التاريخ .

وقد طلب السيد أ ـ أ الى « الادب » أن تتحدث عن الراى الدينى فى الفن حديثا يرتفع عن الافق الساذج ، وعن الخلاف المذهبى البعيد عن روح التدين .

وتمهيدا للحديث عن هذا الرأى قدمت « الادب » فى عددها عن يوليو السابق نفحات دينية من قول حجة الاسلام الغزالى ، فى الجمال ، والاحساس ، والاصوات ، والانغام ، يحس فيه القارىء شفيف الروح المؤمنة ، وصفاء النفس المتدينة ، حين يرتفع بها الايمان الاصيل عن أوهام السطحيين الذين لا يدركون من التدين الا صورا ، واشكالا ، ومبانى ، والفاظا ..

ونرجو ان تكون هذه النفحات التى طهرت جو القارىء قبل اليوم ، الجو النقى للحديث عن الدين .. والفن ..

٠ ٨٧/٤٠ ٠

* * *

والدين فى جوهره وحقيقته : انما هو عقيدة وايمان ، أول شىء ، وخلاصة كل شىء ، واساسا لكل شىء ينعت بأنه دينى .. من سلوك ، أو تخلق ، أو تشريع ، او غير ذلك .. بهذه العقيدة وذلك الايمان تستبين المعرفة الدينية

من غيرها من المعارف .. ويفترق العمل الدينى عن سواه من الاعمال ... ويتميز التفكير الدينى عما عداه من تفكير ..

والعقيدة فى جوهرها وحقيقتها : انما هى عنصر نفسى مسيطر .. والهام لا شعورى متغلب ، نحو معنى يمنحه المؤمن من اجلاله ، وايثاره ، وحرصه ، وتقديسه كل قوة .. ويراه امنع من أن يمس ، او يهاجم ، او يهان .. حتى ليبذل فى سبيله الروح .. والمهجة .. وكل ما ملكت اليد .. شاعرا انه يتقرب بكل ذلك .. ويتطهر ..

ولا يمنح الانسان هذا كله لاى فكرة .. او معرفة .. او حقيقة لا يظللها الايمان .. ولا يغشيها الاعتقاد .. ولا تحل هذا المحل الوجدانى ولمنيع المكانة الممنع المنزلة .

ومن هنا يكون الايمان الصحيح .. والتدين الراسخ .. والاعتقاد القوى ، على قدر القوة الوجدانية .. والسيطرة النفسية .. وبهذه الوجدانيات بقدر الايمان .. ويقاس التدين ..

وما هذا الافق الاعلى .. والعالم الاسمى الا جانب الكون الذى يتنفس فيه الانسان انسام الجمال .. ويشيم انوار الجلال .. فيطور .. ويشف .. ويسمو .. ويتجرد .. فيستروح الاطمئنان .. ويستشعر اليقين .. ويجد السلام النفسى .. والأمن الروحى .. بل يظفر بالاتساق الجسمى المادى العضوى ..

بهذه المعانى من حقيقة التدين .. ولباب الدين يصف الصوفية احوالهم ، ويحدثون عن وجدهم .. ويكملون بفنائهم .. ويعيشون بأرواحهم .. يغترفون من الشوق ما كابدوه برياضتهم .. ويجدون من الصبابة ما عانوه فى تطهرهم ..

وهل التدين الكامل ، على هذه الحال ، والايمان الحق بهذه الصفة .. هل كل أولئك الا تلك السلامة الوجدانية ، والصحة الروحية ، التى يصل اليها ضاحب كل فن ، يدق حسه ، ويشف ذوقه ، ويتمثل المجردات .. ويلمس المعنويات ..؟

وكذلك يلتقى التدين والتفنن فى تلك الآفاق العلى ، التى تجد الانسانية فيها كمالها ، وتنسى آلامها ، وتحطم سجونها ، وتبدد أوهامها .. ومن عجب انك قد ترى هذا الانسان المعذب على الارض ، فى تطوره وتقلبه ، يفسد عليه المفسدون من فاقدى الروح ، خربى الانفس دنيا التدين ، وآفاق الايمان ..

.. فيجدف ، ويتمرد ويكفر ويلحد ، لسوء ما قاسى من اولئك المحترفين للدين المتجرين بأوهام الايمان .. لكن هذا المارق الصابىء لا تلبث أن تراه يستعيض عن سلام النفس الوجدانى المؤمن بتسامى تلك النفس المجردة ، فى كون الفنون .. فاذا هو يتمثل الأسمى .. والأكمل .. ويتصل بروح الكون فى معبد الفن ، حين أقفر عليه المذبح ، وتلوث الهيكل ، وطارت حمائم الأقداس .. وخرست أصداء القباب .. وصمت هتفات المحاريب اذ سدتها شياطين الانس .. بجشع نفوسهم ، وعتم أرواحهم .. وقفر قلوبهم .. وضيق عقولهم .. فعجزوا عن انعاش الارواح .. واستعاف الافئدة .. وخانوا الامانة .. وضيعوا الرسالة ..

فهل ترى ذلك ، وهو ماثل أمامك شاخص ، فى واقع اليوم ، وماضى الأمس بعيدا أو قريبا ؟.. وهل ترى هذه الظاهرة من سيطرة الفن على أرواح المحرومين من سلام الدين ، وسعادة اليقين الا تعويضا لما تفتقده النفس ولا تحيا بدونه ، ولا موت لها الا بالحرمان منه .. ألا وهو الوعى الوجدانى .. .. والاستعلاء النفسى .. أو قل بلفظ مرادف .. هو : التمثل الفنى .. والتجريد الروحى .. يؤمن بالجمال .. ويدين بالجلال فى صورة التدين .. أو التفنن

* * *

هذا الاكسير الروحى .. الذى يحول معادن الانفس البشرية .. ويهيىء لها المستوى العالى بين أحرار المعدن ، وكرائم الجوهر ، حين تلتمس الترقى والكمال .. هذا .. هو الذى يمنحه التدين .. والتفنن ، دون أى شىء سواهما من النشاط الانسانى ، مهما تختلف ألوانه ، ويعنف اندفاعه ، ويعمق أساسه ، وتشمخ أعلامه .. لا العلم يمنحه .. ولا العمل يكسبه .. ولا الجبروت يقربه .. بل يرجع الانسان بعد كل ذلك فارغ النفس ، خاوى الروح ، أجوف الكيان فاترا ، تافها ، حائرا ، ملولا ، الا أن تهيأ له قبس من وجدان ، أو نفحة من جمال ، يفتح بصيرته عليه شىء من قوة الروح فى عروج متدين متفنن .. تستروح فيه تلك الانسام .. والانغام .. فتسترد الثقة ، وتظفر بالامل ، وتؤمن بالغد ، وتلوق طعم الحياة .. وتترفع على الوهم ، وتخلع ظلام الجسم

وكل ما لا يكسب هذه النفحات فليس ايمانا ، وليس فنا ، ولا فيه من اكسير الروح شىء .. وهذا ملاك الامر ، ومعقد الراى ، اذا ما شئت ان تمتحن تدينا ، أو تقدر تفننا .. فالتمس ما فيهما من عزوف عن المادة .. وشعور بالروح ..

وتجريد للمحسوس ·· وتمثل للمعنى ·· فلا شيء من تدين أو تفنن يكون بغير ذلك ·· وان رأيت متدينا قد مضى تدينه أعمى عن الجلال ، أعشى عن الجمال ، أصم عن مفاتن الكون ·· ومحاسن الفطرة ·· فاعلم أنه تدين لم يشارف الآفاق الوجدانية ، ولم تسلم له من الايمان حقيقة

وان وجدت متفننا أو دعى تفنن ، يلتمس لذة المادة ، ومتعة الجيفة ، أعمى عن رهبنة المتعبد ، بليدا عن تجريد المتزهد ، أغلف القلب عن تاليه الجمال ·· فاعلم انه مجرم الدعوى ، وضيع الروح ، لم يشارف الآفاق الوجدانية ، ولم تسلم له عن الفن فكرة ··

★ ★ ★

ما أراني يا مسايرى الا قد أبعدت بك شيئا من البعد ، فاليك فترة استرواح أترك فيها واياك دنيا الصوفية الوجدانية ، العاشقين ، الواصلين ، الى عالم المتكلمين المنطقيين الواقعيين ، الذين راحوا يناضلون عن العقيدة والايمان بسلاح الجدل ، وقوة البرهان ، وطاقة العقل ، فهل تراهم في هذه الغمرة قد أحسوا بما نسينا انفسنا فيه ، من حديث عن وحدة الآفاق في التدين والتفنن؟ وأدركوا شيئا من وجدانية الدين ، فيقبلون هذا الذى نجد من دينية الفن ؟

نعم ·· ان المتكلمين كانوا رعاة العقيدة ·· وأساة الايمان ·· وقد راحوا يحاولون اكساب الايمان ، وتقوية الاعتقاد بوسائل مادية ، وعقاقير حسية ، من منطق ، وبرهان ، وقول ، وحديث عقل ، لا يعدون ذلك الافق ، ولا يجاوزون ذلك المدى ·· لكنهم لم يلبثوا أن وجدوا هذه الصدمة في أنفسهم هم ، فصرخ فحل منهم بعدما أفنى عمره ، في علم الكلام ، المخلوط بالفلسفة النظرية ، صرخ بعد ذلك كله : اللهم ايمانا كايمان العجائز ·· اذ أحس في الم ان التدين شيء فوق هذا الذى اشتغل به ·· والاعتقاد المؤمن أمر وراء ما خاض فيه: هو الذى فاض حديثنا هذا بشرحه ·· من الوجدانية ·

ومن هنا لم يخل الميدان الكلامي نفسه ممن أدرك هذه الحقيقة ، واشتغل بالتاليف فيها اشتغال الآخرين من المتكلمين بالمحاولات المادية السطحية ·· وخلف لنا هذا التنبه كتابا تحت اسم : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، لمؤلف يمني في القرن التاسع الهجرى ·· وفي هذا الكتاب نقرأ مثل قوله في بيان النظر الذى هو أول واجب المكلف عندهم ، ان هذا النظر : انما هو تجريد القلب من الغفلات ·· ويذكر أن هذا المعنى مما أشار اليه أعيان من المتكلمين « كالجويني » ·· وبمعنى مبينا ما يؤيد هذا الاتجاه الوجداني ، من

الآيات الكثيرة ، والآثار ، وأحوال السلف الابرار ، فقد كانوا أشد الناس يقينا ، مع عدم خوضهم فى ترتيب الادلة، وشروط الانتاج ، وتقسيم الاشكال، وتحرير الجواب والاشكال ، وينظر من ذلك الى الآية الكريمة « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله ، التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم » ، ويقول انه لو لم يكن الا هذه الآية لكفت فى افادة ان الدين والايمان ليس عملا عقليا برهانيا .. وهذا مما يرجح عنده صنيع القرآن الغنى الاعجازى ، وأساليبه فى ذلك على أساليب اليونان بمنطقهم ، واستدلالهم الخارجى ..!

وما هذه المحاولة القديمة من المتكلمين ، شعورا من افرادهم ، وتأليفا من كتابهم الا ما تبينه الدرس النفسى الحديث من ان الاعتقاد عنصر نفسى مسيطر ، كاللذة والألم .. وأن تأثير البرهان فيه ليس الا كتأثير البرهان على الجوع والعطش .. فان شبع الجائع بالبرهان أو روى الظمآن ببرهان ، اطمأن طالب الاعتقاد ببرهان .. وهيهات .. هيهات ..

وكذلك تجد فى ميدان المتكلمين نفس الذى وجدت فى دنيا المتصوفين ، وهو ما يؤيده الدرس النفسى ، ونقول معه فى اطمئنان: ان الدين حركة وجدانية .. وهو بهذا المعنى فن ..

ولئن كان الفن ـ فيما قيل ـ وحى الجمال .. فما الدين ـ فيما يقال ـ الا وحى الجلال .. واذا ما كان الفن تعبيرا عن الاحساس بالجمال .. فما الايمان الا تعبير عن الاحساس بمصدر هذا الجمال .. وتلك مكانة الدين من الفن ، وهذه منزلة الفن الحق فى التدين .

* * *

أرأيت أيها السيد ! .. ! ما رأى الدين فى الفن .. وما حكمه على ما شكوته من تصديع لحياتنا بعمل أصحاب الدين نحو الفن والفنون .. وان عليهم بذلك تبعة اجتماعية .. ومسئولية حيوية .. لا أتجوز كثيرا اذا ما عددتها اثما دينيا .. وما هذا الذى شعرت به ـ وأشعر معك ـ من هذا التصديع الاجتماعى الا جماع الاثم الذى اعنيه .. فهم جناته المأخوذون به ، وعندهم دون سواهم دواؤه وبرؤه ، لو صلحوا لزمانهم .. وعاشوا مع قومهم ، وشاركوا فى حياتهم ، وعرفوا كيف يتحدثون اليهم بكل ما فى أساليب القرآن من تأثير ، وقدروا انه وهو كتاب دعوة الاسلام قد كان عملا فنيا معجزا .. وكان اعجازه الفنى آية هذه الرسالة ، وبرهانها النفسى

وما استطيع ان اضع القلم ، وهاتف يصرخ فى اذنى : لقد ذكرت الحياة حولهم ، فهلا يروعك ما فى هذه الحياة واهلها من كفران فنى ، ينزل بالفن عن ايسر المستوى النفسى ، ويبعده عن اقرب حظيرة روحية .. ولئن نسيت هؤلاء الادعياء فى دنيا الفن حولك ، وما هم فيه من جهل ، وغفلة ، وقتام روح ، وما الى ذلك ، فهل تنسى حملة الاقلام ممن يدعون صحافيين ، ينزلون فى الدنيا منزلة الموجه ، المشرف ، الناقد ، الهادى !. أما ترى وتسمع ما يقول هؤلاء وما يكتبون !..

وماذا ترى فى صحيفة يومية لهم حين تكتب ان عبد الحليم حافظ قد عاد من لندن .. وانها تقدم للمعجبات رقم تليفونه ! .

وماذا ترى فى أسبوعية لهم تكتب : ان شبان نادى المعادى فى حالة حزن لأن« مايسة » أجمل وأخف العضوات دما قد نقص وزنها ٣ كيلو !

هكذا يصرخ الهاتف فى اذنى فينزلنى مما انا فيه من آفاق يوحى فيها الجمال الفن .. ويوحى فيها الجلال الايمان .. وافيق فى ذعر .. لكن لأصرخ بالذين يعيشون من الدين ، وللدين ، لو دخلتم الدنيا لأصلحتم ذلك كله .. ولو عرفتم للفن الحق قدره ، لوسعكم أن تزعوا بتأثيركم ما لا يزعه السلطان .. ولكنكم خرجتم منها بالصمت والعجز ، فزاد شعور هذه الحشرات بأن لا مكان للدين ، ولا لكم فى الحياة .. وان الدين لن يدنو من دنيا الفن .. وان الفن ليس الا ما لا يعرف الدين .. الذى قدمتم لهم صورته ..

فهل فى الأمل بقية يطمع معها الطامع فى أن تقيموا الحياة على انها : دين .. وفن

عبد الرحمن الشرقاوى

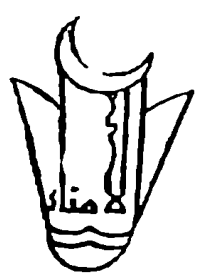

تطور فكرة الزمن
عند
توماس مان

اكتسبت الرواية الحديثة بعدا جديدا ، فان « الرواية المطردة النسق» le roman fleuve التى سادت فى القرن التاسع عشر ، تدل باسمها نفسه على أنها تمتد فى البعد الافقى أولا وبالذات. فهى بتكوينها الاطرادى واستمرارها تتقدم مع الزمن ، وان امتدت الى الامام أيضا بطريقة ما ، لترتبط بمنابعها ومنشئها . ولكن الرواية بعد (دستويفسكى، وبروست وجويس ، وكافكا) أصبحت تغوص نحو الاعماق ، مستفيدة من البعد الرأسى ، فهى أشبه بشكل « الفيوج » فى التأليف الموسيقى ، تنبنى من طبقات متعددة ، أو مستويات كثيرة بعضها فوق بعض تتتابع فيها — فى وقت واحد — أفكار متعددة تترابط عن طريق البناء .

ويعد «توماس مان» من بين الروائيين الذين استخدموا هذا الشكل التأليفى بطريقة مستمرة ، حتى أن تكوين طبقات العمل لايدل على فنية (استيتيك) جديدة فحسب ، بل يكشف عن نفسية المؤلف . وهذه الكثرة فى السطوح ، والغنى فى المستويات ، يمنحان عمله ذلك العمق وذلك التعقيد اللذين يجعلان قراءته جهدا غير يسير .

ولكن اذا كان (توماس مان) يبنى رواياته — بطريقة واعية — وفقا لهندسة متعددة السطوح ، واذا كانت الافكار فى جميع هذه المستويات تتجاوب وتتداعى ، فان من بين هذه الافكار ما يفلت من سيطرة الفنان ، ولا يظهر فى عمله عن طريق اختيار واع ارادى . فان العمل الفنى لا يحمل بالمعنى الذى أراده الفنان وظن أنه ينقله فحسب ، بل ان بجانب الاغراض والافكار التى تحدد المضمون العقلى ، أو الموضوع ، **معنى انسانيا يدخل فى الشكل ، ويظهر فى فكرة**

بقلم : هيلدا زالوستسر — ترجمة : شكرى عياد

ذات تحولات ، يتشبع بها الفنان دون ان يعيها • وهـذا المعنى الذى يظهر احيـانا بقوة يبلو الفنان عاجزا عن التخلص من سيطرتها ، يكون دليلاً على نفسيته حتى لنتساءل ان لم تكن الفكرة هى التى اختارته ، وهو فى حال من السلبية ، للتعبير عنها •

ان معرفة هـذه الافكار الخفية ، وميثولوجية الكاتب الباطنية ، لازمة لفهم أعمال الروائى الكبير ودلالتها •

فاذا كان للموضوع المختـار دلالته ، واذا فرض هذا الموضوع نفسه بالقيمة النموذجية للمضمون، فان هذه العناصر التاليفية (motifs) وهذه الافكار الخفية التى تتكرر ـ مع خفائها ـ فى العمل الفنى ، وتنبثق فيه باستمرار هى التي تلقى الضـوء على اشـكالية العمل وصاحبه • وحتى لو كانت هذه الافكار غير الواعيـة مدينة بوجودها لتـكوين نفسى خاص بالمـؤلف ، أى لأصل خارج عن الفن ذاته ، فانهـا تحدد اختيـار الموضوع ، بل تكوين العمل الفنى، وكذلك تكوين شخصياته •• او باختصار ، العالم الفنى للرواية

وقد قال «بودلير» فى بعض كتاباته: **انه يكفى ان تحسب الكلمـات التى تتردد فى العمل الادبى بكثرة غير عادية لتحصل على مفتاح عالمه الخيالى •**

واعمال « توماس مان » تشمل عالما متميزا باتساعه ، فهو يمتد من عصر ما قبل التاريخ ، الى وقتنا هذا • ومع ذلك فان هـذه الموضوعات المتباينة تظهر فيها فكرتان ، او على الاصح حلقتان من العناصر التاليفية ، بتواتر والحاح وشـدة تجعلهمـا أشـبه بالوسواس •

فاحدى هاتين الفكرتين اللتين تعلنان عن نفسـيهما فى جميع مسـتويات الرواية ، فكرة الاثنينية • فهى تتخذ **شكل النقيضين ، أو ازدواج الارادة، أو الاسـتقطاب ، أو الجدلية ،** على حسب المجال الذى تظهر فيه ، ولكن الذى يظهر دائما هو ذلك الاصل العقلى العتيق

ان كون (توماس مان) كون ممزق، وعالمه تحكمه قوى متضادة ، وسلالم من القيم التى لايمكن التوفيق بينها ، فى توتر حاد يعكس التنـاحر الابدى القائم فى الواقع •

نعم ان (توماس مان) ليس أول من شعر بالازدواج فى عالمنا وعبر عنه ، ولكن هذا التمزق لايظهر ضخما كاملا جاسما كما يظهر فى أعمـاله • فهو يظهر حتى فى أدنى مناطق الحيـاة والروح • و (توماس مان) لايتصدى لاكتشاف ظاهرة الاثنينية فى ذاتها ولكن الفكرة تنبثق باستقلال وعنف والمؤلف لايكاد يشـعر • وحتى لو فرضنا أنه ليس ثمة صلة ما بين الفنان والانسان بوصفه انسانا ، فان هذا الانسان يدخل ، رغم كل شىء، تجربته الانسانية ونظرته الفعلية واشكاليته الشخصية فى انتاجه كله • ان الشكل الفنى يعمره دائما وعى الفنان •

والفـكرة الثانيـة التى ترتبط بترددها وشـدتها مع تلك الفـكرة

الاساسية ، فكرة الاثنينية ، هى فكرة أو على الاصح ، مجموعة من الافكار ، يجمع (توماس مان) بينها جمعا تلقائيا : **فكرة الموت ، وفكرة الزمن ، وفكرة الموسيقى . فهذه الافكار الثلاث يتحد بعضها ببعض ، ويحل بعضها محل بعض ، ويمتزج بعضها ببعض ، حتى ليبدو من المستحيل ـ لاول وهلة ـ أن نفصل بينها ، وأن نقدم بعضها على بعض .**

وقد أشار « فوجير » (١) فى دراسة قيمة الى مبلغ جاذبية الاغراء . ولئن لم يكن « توماس مان » هو الوحيد الذى عالج هذا الموضوع فى الادب الحديث ، فان فكرة الموت لتبلغ فى أعماله حدا من العظم والاكتمال والتأثير الوجدانى بحيث تبرز الى الامام وتحتفظ مدة طويلة بالمنزلة الرئيسية ولم يكن بد ـ وهو تلميذ لفلسفة « شوبنهور » التشاؤمية ـ أن تصبح فكرة الموت عنده هى الفكرة الرئيسية المتغلغلة فى كل شىء . وبهذا يمكننا أن نفهم النبرة الرومنسية لهذا الحنين الى الموت الذى يصل أحيانا الى درجة المرض . **فاذا كان فنانو عصرنا ، من (كافكا) الى (مالرو) ومن (هيدجر) الى (سارتر) ، قد أظهروا ما فى الوضع الانسانى من سخف تراجيدى، فان هذا الظهور عند (توماس مان) أكثر اتصالا بشخصه ، وتغلغلا فى باطنه ، وامتزاجا بوجدانه .** فليس ماعنده هو الموت وحده ، وانما هو « أن نموت » بكل مافى ذلك من فزع نهائى : خوف المحكوم عليه بالاعدام من المصير المحتوم . ولم يدرس كاتب آخر بمثل ذلك الاصرار ـ الممتزج بالتقزز ـ الانسان أمام الموت ، ولا تتبعه بمثل ذلك القرب فى تجربته الاخيرة هذه

ان فى أعمال توماس مان من الوحدة مايجعل عددا قليلا من الافكار هى وحدها التى تتناول مرة بعد مرة من زوايا جديدة أبدا . ومن هذه الافكار فكرة الموت . انها أشبه بمقالة حديثة فى « فن الموت » **أهو ضعف بنيته ، ومعايشته للموت باتصال وثيق ؟ أهى ذكريات شبابه المتزنة ، عندما ماتت اثنتان من أخواته منتحرتين ؟ أهو مولده بعد سلسلة طويلة من الاجيال فى عائلة توشك أن تندثر ، وفى مجتمع وعصر يشرفان على الزوال؟ أم هى حساسيته الهائلة ـ نعمته أو نقمته ؟ أم هى كل هذه العوامل مجتمعة ومتحدة ؟** مهما يكن من أمر فان الواقع أن كل عمل من أعماله ـ منذ قصصه الاولى ـ يظهر فيه هذا الوسواس : وسواس الموت .

ففى « الموت فى البندقية » ترتبط فكرة الحب الافلاطونى الذى يكنه الفنان « آشنباخ » للفتى (تادزيو) بوباء الكوليرا الذى يستشرى فى المدينة .. وفى (تريستان) و (السحر فريدمان العجوز) ، وأخيرا فى أول الروايات الطويلة : (بودنبروكس)

1 Jean Fougère. Thomas Mann ou la séduction de la mort (éd. du Pavais.)

التى يدور موضوعها الاساسى حول انقراض أسرة ابوية فى جميع هذه الاعمال يظهر الفنان تلك الصلة الحميمة بالموت أو ذلك القرب الوسواسى منه . فمنظر موت زوجة القنصل ، أو منظر موت (توماس بودنبروكس) مرسومان بغاية التفصيل الذى يكشف ثورة الكائن ومقاومته حين تذهب كل عزة، ولا يبقى الا الخوف النهائى : خوف الكائن المطارد المذهول . كل ذلك موصوف بمزيج غريب من الواقعية والموضوعية والهول . وانك لتشعر بجاذبية الموت (لتوماس مان) نفس الجاذبية التى تتجلى فى تصاوير المذبح « لجرونفالد » حيث يبدو المسيح داميا متورما ، والمصابون بالطاعون تغطيهم قروحهم المنتنة ، أشبه ببضع لوحات من كتاب تشريح ، أو بكابوس خارج من قلم « أدجار ألان بو » وبعد خمس وعشرين سنة يعود « توماس مان » الى بحث جديد عن الموت فى (الجبل السحرى) . فهذا الجبل السحرى خير مكان لمثل ذلك البحث . فالموت يظهر فيه بكل صوره : التافهة والتراجيدية ، والبطولية ، والمضحكة أيضا، وكأنه فى انبوبة مقفلة ـ المصحة حيث يأتى المرضى ليموتوا . ومن الجدير بالذكر أن كلا من (كنوت هامسون) و (هرمان هسه) نشر له عمل كبير فى الفترة نفسها ـ بعد عام تقريبا كان بحثا فى الموت أيضا . وكان جزء كبير منه يدور فى مصحة . وهى مصادفة عجيبة .

و « الجبل السحرى » يبدو بين أعمال (توماس مان) وكأنه ملحمة المرض ، وأغنية التحلل . فان فكرة الموت تعالج فى القصص الاولى «الموت فى البندقية » و (تريستان) و(السيد فريدمان الصغير) كما تعالج فى (بودنبروكس) علاجا جماليا رومنسيا ، فى بعض الاحيان . فتربط الحب بالموت . وقد كان (توماس مان) متأثرا فى هذا (بفاجنر) نجد أمامنا ما يشبه أن يكون أغنية زفاف للموت . أما الجبل السحرى فانها نقطة تحول فى تطور هذه الفكرة . نعم ان فيها مناظر تذكرنا بمنظر زوجة القنصل .. يصل وصف الموت فيها الى أقصى ما يحتمل ، ولكن هذه المناظر تتغير قليلا قليلا ، وتصبح ثانوية ، وتتراجع الى الظل أمام فكرة جديدة ، هى فكرة الزمن . واذا كان (الجبل السحرى) قبل كل شىء مقالة فى (فن الموت) واذا كان الموضوع قبل كل شىء هو استكشاف أهل المصحة للحياة والموت، فانه أيضا بحث متصل عن ظاهرة الزمن . (فهانس كاستورب) هذا الشاب الساذج ، يصعد الى المصحة فى زيارة قصيرة لقريب مريض . وهناك يبقى سبع سنين . ويفقد كل فكرة عن الزمن ، عندما يصيبه المرض هو نفسه . وبفضل المرض يدق فهمه ، ويصبح حساسا لاشكالية الحياة والموت . ولكنه يكتشف وهو ممدد على كرسيه الطويل ، أمام الفسح الخالدة

يكتشف بدهشة ظاهرة الزمن، فيبدأ بعيـــداً عن الحياة الجارية بوقفاتها العادية ، بعيدا عن حياة « الخضم » ، عن الحياة البورجوازية ، يواجه هذه الظاهرة بتطلع ، ثم بانفعال • ويعكف عقله الساذج ، الذى لم يألف التأملات الفلسفية ، على هذه المشكلة التى برزت أمامه فجأة ، ويفكر فيها مرة بعد مرة من زواياها المختلفة •

حقا ان ظاهرة الزمن كانت من أهم الكشوف فى ذلك العصر • ففى أوائل القرن كان برجســون يلقى محاضراته الاولى فى الكوليج دى فرانس ، وكانت مقالته عن (المعطيـــات المباشرة) قد ظهرت فى سنة ١٨٨٩

وفى تلك الاثناء كان (المستقبليون) يكتشفون ــ بدورهم ــ فى الزمن مقولة يحاولون ادخالها فى الرسم لاغنـــاء سكون العـــالم التصـــويرى بحركة الانسياب الزمنى • وشارك الادب من جانبه فى هذا الكشف الجديد ، فجعل منه (بروست) الشخصية الاولى فى اعماله ، واحتذى على منواله (جويس) و (فرجينيا وولف) وآخرون •

أما عنـــد توماس مان فالزمن بحث طويل بطىء • فالفكرة تظهر لاول مرة فى «الموت فى البندقية» ، تظهر خافتة، وكأنهـــا فكرة ثانوية • فبينما كان أشنباخ » راقدا على الشـــاطىء ، يمسك بالرمل ثم يتركه ينساب من بين أصابعه ، يتذكر الساعة الرملية التى كان يلعب بها وهو صبى • ويفكر فى قصر الزمن الذى كان يحـــدده حجم الساعة الرملية ، ويقارنه بالمســـاحة الشاسعة التى تحيط به، وفى تهويماته يفقد فكرة الزمن ويشعر فى الوقت نفسه بما فى هذه الفكرة من تعقيد • وفى « الجبل السحرى » تناول الفكرة باستاذية تتفق مع سعة العمل وامتلائه •

ففى هذه الاعالى ، حيث يسقط الثلج فى الصيف بينما تبعث الشمس بدفئها وأشعتها الملوحة فى الشتاء ، وحيث تختفى كل الاكنان العادية ، يشـــعر « هانز كاستورب » بالزمن ، ويشعر بوجوده • **ولكن ما الزمن ؟ أهو موجود** مستقل ؟ أهو اصطلاح ؟ أهو شرط **للمكان ؟ انه يظهـــــر فى الديمومة** durée **ولكن هذه الديمومة متغيرة، فهى تبـــدو بطيئة مرة ، وسريعة مرة أخرى • هل يمكن قياس الزمن حقا؟ ان « هانز كاستورب » يكتشف بعقله الســـــاذج الفرق بين الزمن الفلكى والزمن المعيشى • وهو يفهم أن ديمومة الوعى ليست هى ديمومة الآلة الزمنية**

ويكتشف « كاستورب » الفلسفة الحديثة من «برجسون» الى «اينشتين» يكتشفها من جديد بتجربته الخاصة، ويفكر فيها من جديد بعلمه المتواضع • وتتجلى بصيرته وهو جالس على شرفته. فوق تلك القمم الصافية ، وجها لوجه أمام الخلود

واذا كان « الجبل السحرى » ممثلا لمرحلة اكتشاف فكرة الزمن ، فان ثلاثية « يوسف واخوته » ، هذا العمل الضخم ، هى قمة هذا التفكير وجماعه وتمامه • **فالفصل الاول ــ وهو أشبه بمقدمة موســـيقية ــ يحتوى على تأمل لفكرة الزمن ، ويبدأ بهذه العبـــارة « عميقة هى بئر الماضى » ألا يحق لنا**

ان نقول انها بئر بغير قـــرار ؟ » و « لعازر » الشيخ يشرح لتلميـــذه يوسف ، وهو جالس على حافة بئر ، تكوين الزمن والتـــاريخ ، الذى هو مظهرانسانى للزمن · وقد حفل «الجبل السحرى » بتأملات ومناقشات حول الزمن ، ولكن « توماس مان » يقـدم فى ثلاثيته المستوحاة من الكتاب المقدس مفهوما جديدا للزمن · لقد كان الموضوع يدور حتى الآن حول الزمن الفردى، الزمن الذى يعيشـــه الفرد ، الزمن الانسانى · أما التاريخ التوارثى القديم، الذى تدور فيه أحداث الثلاثية ، فانه لا يخضع لمقياس الفرد · فهو يمتـد لأجيال ، ويغيب فى ظلال الزمن الاول وأصول الانسان الاولى · ليس هذا هو الزمن المتقدم المعروف فى الغرب ، عند الانسان الغربى ، الزمن الذى تتتابع فيه الاحداث بعلية ومنطق محـددين فالشرق الذى تدور فيه قصة «يوسف واخوته » لا يعرف التاريخية ، انه لا تاريخى · وكذلك يكتسب الزمن فى الثلاثية مبدأ جديدا · « فلعـــازر » المنحنى على البئر يتأمل فى أعماقها ، يرى طبقات الماء المتتـــابعة كأنما هى نفسها طبقات التاريخ ، طبقا عن طبق · كل شىء هناك ، الماضى فى القـرار ، والحاضر أقرب وأعلى ، تحت الطبقات الاخـــيرة من الصيرورة والغد · ان « توماس مان » يضـــع بازاء الزمن التقدمى الغربى زمنا سكونيا ، يضع التزامن بازاء اختلاف الزمن ، الزمن البئر بازاء الزمن النهر · هذا البئر أشبه بمستودع للزمن الســـكونى الموجود أبدا · وهنا يلتقى « توماس مان » بمفهوم التكعيبيين الذين يحاولون فى أعمالهم الفنيـة ابراز التجـــربة نفسها ، تجربة الزمن غير المتحرك ·

ولكن ماذا عن اقتحام «الزمن المكانى» كما يظهر فى « يوسف واخوته » ؟ ان هذا الزمن الرأسى يستدعى اكتشافا آخر · فالغوص فى ظلمات ما قبـــل التـــاريخ ، فى الازمان الاسـطورية القديمة ، هو فى الوقت نفسه نزول الى أعماق الوعى الانسانى ، الى أن تلتقى الطبقات المتزايدة العمـــق من النفس الانسانية مع المستويات المتزايدة البعد من التاريخ، وتلتقى الأنا القديمة مع الزمن القديم لتتحد معه ·

وهكذا تضعف فكرة الموت، وتتحول، بنوع من الانتقال غير المحســـوس · فالشكل الزمنى الوجـدانى للمـوت يزول ويحل محله الشـــكل الأبدى المعنوى · ويصبح الزمن فى تحولات الفكرة عند « توماس مان » أقنوما من أقانيم المـوت : فموت الأب يعقوب ، وموت الحبيبة راحيل ، لم يعودا صراعا رهيبا مدمرا ·· صراع جسد لجسد يقوم به الانسان مع المجهول المخيف · ان هذه المعركة لم تعد محقا للفرد فى عملية فيزيقية وكيميائية ، لم تعـد تحللا خبيث الرائحة، بل رسما مقدسا وسراوعملا رمزيا اختفى منه كل رعب · ان هذا الموت يتم على مســتوى آخر ، والوجدانية تخلى مكانها لموضوعيـــة ميتافيزيقية ·

ونجد محاولة بالغة التفنن لشرح هذه الفكرة الذهبية عن الزمن فى قصة « لوطه فى ويمار » · ففى فترة يوم تتخلله ذكـــريات واثارات وقصص شارحة ، تنبسط حياة جويته كاملة ·

وهنا محاولة عجيبة فى الفن ، كأنما أخذت أجسام ذات شكل وجردت من مساحاتها الخاصة بها ، وعكست على سطح مستو .

ولكن الابحاث عن الزمن لا تقف هنا . واذا كان الزمن تحولا للموت فحسب ، فان الزمن يخضع بدوره لتحول جديد . ألم يكن « هانز كاستورب » فى صراعه مع ظاهرة الزمن ، يضع بالحاح متزايد مسألة الامكانيات الجمالية للزمن : هل للزمن مضمون فنى ؟ هل الزمن يخلق أشكالا فنية ؟ ان تجربة الزمن تتحقق فى الموسيقى ، فى الشكل الصوتى . فان الزمن جزء من حقيقة الموسيقى . وبعد تحليل الزمن يهجم « توماس مان » على تحليل البناء الموسيقى .

وقد لعبت الموسيقى ، دائما ، دورا فى أعمال توماس مان ، وصاحبت فكرة الموت فى قصصه الاولى .

ونحن نعلم ان اهتمامه الاساسى وموضوعه الاول والجوهرى هو ظاهرة الخلق والفناء ، ولكن المؤلف الموسيقى بخاصة هو الذى يتيح له العكوف على هذه المشكلة . فاذا كان « آشبناوخ » فى « الموت فى البندقية » و « تونيو كريجر » كاتبين فان بازائهما صفا طويلا متصلا بين الموسيقيين الذين يقدمهم الينا « توماس مان » ليصل أخيرا فى عمله الضخم ، « الدكتور فاوست » الى بحث من أكمل البحوث حول الظاهرة الصوتية فى مجموعها . فهذا البحث يمتد من تحليل البناء الموسيقى الى التحليل السيكولوجى والتاريخى ، الى تحليل ماهية الموسيقى نفسها .

وينبغى أن نلاحظ ـ فى هذا الصدد ـ الاهتمام المتزايد الذى تبديه الاسطاطيقا الحديثة نحو الموسيقى ، وهو اهتمام يظهر من جوانبه المختلفة فى الرسم كما يظهر فى الأدب . فهذه الظاهرة تبدو لنا عظيمة الدلالة ، وتستحق ان تبحث من قريب .

لقد اهمل فن التصوير الآلة الموسيقية من بين أشياء الطبيعة الصامتة منذ عصر « الباروك » ولكنها أصبحت فى فن التصوير الحديث موضوعا محببا . فقد حلت محل الزهور والفاكهة والغلايين والسمك المملح . ومنذ العصر التكعيبى « لبيكاسو » الى « براك و « شاجال » و « كلى » و « ديفى » ـ ولنكتف بذكر أشهر الاسماء ـ يزداد استعمال فن الرسم للآلة الموسيقية على أنها موضوع مفضل . وفى الفترة نفسها تظهر الموسيقى فى الادب . فنجد « رومان رولان » و « فرفل » يدخلان الى عالم الموسيقى أيضا من خلال ترجمة لحياة مؤلف موسيقى حقيقى أو خيالى . أما « بروست » فانه يعنى بالظاهرة الموسيقية فى ذاتها لا بالفرد الموسيقار . وقد أصبح تحليل فكرة « السوناتة الصغيرة » لفنتى ، التى عزفت فى حفلات « فردوتان » الموسيقية ، تحليلا شهيرا ، وبازاء هذا التحليل للظاهرة الصوتية وموضوع الفكرة الصغيرة ، نجد فقرة أخرى فى تحليل الانفعال الذى يشعر به « سوان » وهو تحليل للأثر الجمالى والسيكولوجى الذى يشعر به المستمع للموسيقى .

وان اساتذة الموسيقى ليدهشون لتحليل الاعمال الموسيقية الذى يدخله

الاساسية » Leitmotif على طريقة « فاجنر » ، ليس الا عنصرا ثانوياوان تكن له دلالة ·

ومع ذلك ، فان كان ثمة تأليف أكثر التصاقا بالـ Contrepoint وطريقة الفيوج من « بودنبروكس » فهو « الدكتور فاوست » ! فان تراجيدية ألمانيا النازية ، ألمانيا هذه التى تنسى كل القيم الانسانية بل كل قيم الانسان، وتسلم نفسها الى قوى الشعور الباطن المدمرة غير العاقلة ، تراجيدية ألمانيا هذه تعالج فى خط مواز لدرامة المؤلف الموسيقى « أدريان ليفركون » الذى يدفعه حرصه على اكتساب العبقرية **الخالقة الى أن يوقع عقدا مع الشيطان، كما فعل فاوست القديم · فهو لكى يصل الى الالهام يبيع روحه للشياطين · · للامور الشيطانية · والصوت الثالث للفكرة تمثله الظاهرة الموسيقية نفسها· وكل صوت ينتمى الى مستوى زمنى مختلف · فزمن فاوست التاريخى هو القرن الخامس عشر · وزمن « أدريان ليفركون » هو زمن ما قبل الحرب · وزمن الشاهد هو ألمانيا النازية وخرابها ·**

ولكن « توماس مان » بعد أن يحلل العمل الموسيقى ويستعير البناء الموسيقى يتقدم الى بحث جديد · **فهو يتساءل عن المضمون الوجدانى للموسيقى · ولا يجده ـ أول الامر ـ الا فى الجانب الرومنتيكى حيث تلتحم الموسيقى والموت تحت تاثير « فاجنر ». ولكنها لا تلبث أن تثبت جانبها المقلق ·** فهناك فى « الموت فى البندقية » موسيقى متجول يعزف على أرغنه الآلى لحنا مرحا داعرا فى نفس الوقت ، ويحمل الموت ـ الكوليرا التى كانت تعيث فى المدينة ـ الى الفندق الذى يأوى اليه الابطال· و « تريستان » باعتمادها على أوبرا «فاجنر» تربط مرة أخرى بين الموسيقى والموت · فان البطلة تموت وهى تعزف تلك الموسيقى المثيرة الكئيبة، موسيقى «الموت حبا» « لايزولد » أغنية الزفاف للموت ، اذ لا تستطيع أن تقاوم الانفعال القتال الذى تبعثه هذه الموسيقى · وتحت تأثير الموسيقى أيضا ينتهى مصير « السير فريدمان الصغير » · و « الدم المحرم » عمل غريب ، يصعب تحديد معناه ، من أعمال « توماس مان » · فهو يقوم على طريقة « النقل » المحببة الى « توماس مان » · نقل فكرة الاتصال الجنسى بين المحارم ، الذى عرف عن الآلهة الجرمانية، والذى نجده فى «زيجفريد» « لفاجنر » الى الوسط البورجوازى فى برلين · **وعلى طول الرواية تلعب الموسيقى دورها المساعد ، فهى لاتثير عواطف الانسان الا لتحررها · وفى الموسيقى أيضا ينتهى مصير أسرة «بودنبروكس» القديمة · ومرة أخرى** يصاحب نهاية هذه الاسرة المنقرضة تحليل قطعة موسيقية مزعجة مريضة، ألفها « هانو » ، ذلك السليل الاخير الذى يقعد به ضعفه عن حياة أجداده السليمة النشيطة ·

والى هنا تظهر **الموسيقى، التى يربطها الكاتب بالموت فى مفهوم رومانتيكى ، وتظهر قبل كل شىء فى تاثيرها على الفرد** · وأخيرا يعالج « توماس مان » **الموسيقى بوصفها مظهرا لمدنية او**

«توماس مان» فى رواياته (١) • فهناك تفسيرات وتحليلات « لفاجنر » ،الذى اهدى اليه الروائى دراسة ممتازة (١)، وهناك تفسيرات وتحليلات «لبيتهوفن» و « باخ » وسائر الموسيقيين العظام ـ الى احدثهم «شونبرج» فى «الدكتور فاوست » ولكن هناك أكثر من ذلك•

هناك تحليلات لاعمال موسيقية ضخمة ولكنها متخيلة ، تحليلات تقدم الينا بثروة من التفصيلات، ومعرفة بالصنعة، وفهم للقوانين الخاصة بالموسيقى ، وادراك لها باعتبارها موجودا خاصا ، حتى أن « كلاوس برنجسهايم » (٢)، ومعه كثير من النقاد ، ما زالوا يعجبون ويتساءلون : الا يمكن كتابة هذه الاعمال المتخيلة بالاعتماد على أوصافها الدقيقة ، وبذا نعكس الترتيب، فنسير من التحليل الى العمل ، بدلا من السير من العمل الى التحليل •

ولكن هناك استعارة اهم من هذا الموسيقى ، وذلك عندما تقدم (٣) الموسيقى قوانينها الخاصة ، وقواعد تاليفها ، بل بناءها ، الى العمل الادبى•

الم يكن « أندريه جيد » قد قرأ «بودنبروكس» حين تساءل فى «مزيفى النقود » : لماذا لا تبنى الرواية على حسب الشكل التاليفى « للفيوج » بل ان عنوان هكسلى

Point and counterpriod

ليعلن عن نمط « الفيوج » فى تاليف الرواية، فى نفس الوقت الذى تتضمن فيه تحليلا من أجمل ما كتب عن موسيقى باخ (٤)

ولكن « توماس مان » يتقن هذه الطريقة منذ «بودنبروكس» ، فيصبح هو ـ فيما نعلم ـ أول من يستخدم التاليف الموسيقى فى عمل أدبى ، والتاليف المقصود هنا هو نمط «الفيوج» والواقع أن « بودنبروكس » هى حتى فى أدق تفاصيلها فيوج من ثلاثة أصوات : انحلال طبقة اجتماعية ، انحلال أسرة ، سقوط انسان • فهذه الاصوات الثلاثة لفكرة واحدة هى أصوات مستقلة ومع ذلك فانها شديدة التمكن فى هندسة العمل الفنى ، وهى تمتد الواحدة فوق الاخرى ، وتتحد ، ويروغ بعضها من بعض ، ثم تعود فتتصل بعضها ببعض ، وفقا لقوانين الفيوج • وان الاستعمال الكثير «للفكرة

---

(١) فى تاريخ تكوين « الدكتور فاوست » (die Entstehung des Doctor Faustus) يذكر توماس مان دينه لصديقه أدورنو ، العالم الموسيقى والفيلسوف ، الذى افاد من اتصاله المثمر به ، ومحادثاته ومناقشاته معه ، فى تكوين الرواية •

Abdel des Geistes (Berman Fischer-Verlag) Leiden und Groesse Richard Wagners Richard Wagner und der Ring.

2 - Heinz Pringsheim. Thomas Mann und die Musik (Schweizerische Musik-Zeitung. 7-8 Juli 1955).

3 Hilde Zaloscer. de la composition musicale dans les oeuvres litteraires ... No. 2, 1953. Alexandrien

(٤) عن المطابعة ـ فى نعم صفحة كبير

تعبقرية معينة . ذلك بأنهـــا تعكس موقفا اسلاميا أو « نظرة الى الحياة » (Weltanschaung) . ومن ثم تنصب المحاولة على الوصـــول من تأثيرها السيكولوجي الى سيكولوجيتها الخاصة

وقد وجدنا في « الجبل السحري » من قبل أن « ستمبريني » وهو ممثل قيم انسانية، يكشف الجانب الشيطاني في الموســـيقى ، ويحذر تلميـــذه « كاستورب » من هـــذه القوة التي لا تضبط ، ومن سيطرتها على الروح. ولا يترك «توماس مان » المشكلة هنا. فان هذه الظاهرة القلقة تشغله وتلح عليه . ان في الموسيقى جانبا خطرا ضارا . فهي تنتمي الى الطبقات التي لا تستر من الانســـان ، وتخرج من الاعماق التي تفوت سلطان العقل . ومن ثم نفهم لماذا يتخذ « توماس مان» الموسيقى وخالقها ـ المؤلف الموسيقي ـ رمزا للاتجاهات اللاعقليـــة المميزة لالمانيا ، حتى يكشف الانحلال الخلقي في ألمانيا النازية ويقدم عريضة اتهامها. ويعتقد «توماس مان» أن هناك نقيضة تمسك الموسيقى وتحفظها مع هاتين الامكانيتين : الموســـيقى الشعائرية والموســـيقى الحضارية . فالموسـيقى الشعائرية هي الموسيقى البـــدائية ، موسيقى قرع الطبول ذات النغم الهيج المسكر ، انها الاطلاق المعربد للرقصات والاغاني البـــدائية . و « الفيوج » بهندستها تضبط ـ بقوانين صارمة ـ الفيضان غير المنظم للايقاع وحده . وهكذا تبدأ مع « باخ » الموسيقى التي تدعي حضارية ، أي الموسيقى المحكومة المذللة (١)

ولكن بحث توماس مان عن الموسيقى لا ينتهي هنا . فانها لم تسلم اليه بعد سرها كاملا. وهكذا يستمر التساؤل، ويقوده الى مستوى جديد . ألم يسأل «هانز كاستورب» في «الجبل السحري» ان كان الزمن يمكن أن يخضع للشكل؟ ان « توماس مان » حين يهجم أخيرا على المشكلات الخاصة بالموســـيقى ، حتى على أسسها وجوهرها، يكتشف الجواب عن سؤال « هانز كاســـتورب » ألم يسأل : ان كان للزمن مضمون جمالي، بل شكلي ولكن كيف يمكن أن يخضع العيش » الخالص لعالم الاشـــكال ، ولكننا نجد أن الزمن المعيش يتمثل في الشكل الصوتي . فالموســـيقى هي تجربة الزمن والتعبير عنه . والزمن يتحقق ويظهر في الموسيقى .

وهكذا وصل «توماس مان» الى نهاية بحثه . فقد كشف تحليل البنـــاء الموســـيقي : ان العمـل الموســـيقي يتضمن دائما قطعة من الديمومة الحية.

---

(١) سعى تولستوي في « سوناتة كروتزر » الى معالجة التأثير الضـــار للموسيقى التي تحرر الغرائز المدمرة تضعف قوانين المدنية . فلا يقتصر الامر على أن العاشقين الزانيين يعزفان هذه الموســـيقى المثيرة الشهوانيـــة ليبنيه من، بل ان الزوج يرتكب جريمته تحت تأثيرها . فالموسيقى تقوم بدور ايجابي حـــاســـم . وهي المسئولة عن الجريمة في الواقع. وسيكثر تولستوي بعـــد بحوثه من تأكيد الجانب الخطر الضار . وبخاصة الموسيقى .

والصيرورة الموسيقية ، اى تنمية فكرة موسيقية ، تعتمد كما تعتمد الصيرورة الحقيقية فى الشعور ، على قياس مستمر • والصيرورة ، او النهاية هى ، على التحديد ، ما يجعل للزمن الموسيقى معنى ، كما يجعل للديمومة المعيشة معنى • فكما قال « جيزل بريليه » (١) بحق : ان التفكير الموسيقى يخضع لمجموعتين من المقولات : المقولة الهارمونية والمقولة الزمنية •

وهكذا نجد عند نهاية هذا البحث : ان الشكل الزمنى للعمل الموسيقى يمتزج مع الديمومة الباطنية الخالقة ويصبح تعبيرا عن الديمومة التى يعيشها بشعوره • فهو كهذه الديمومة يتضمن صيرورة تولد وتنتهى ، ومن ثم يصبح الزمن الموسيقى هو نقطة التقاء الديمومة السيكولوجية والزمن الموضوعى الذى انساب فى شكل •

أهى مصادفة أم اشارة خفية حافلة بالمعنى تلك التى تدفع « توماس مان » الى تلك المشابهة العجيبة بين تحليل « لعازر » للزمن البئر ، هذا الزمن الساكن ذو الطبقات التى بعضها فوق بعض، بدلا من تتابع الزمن الكلاسيكى، الزمن النهر ، وبين تحليل « ادريان ليفركون » لموسيقى « الكونتربوان » مقارنة بالموسيقى الهارمونية • ففى هذه ـ كما فى الزمن النهر ـ يطرد الزمن افقيا ، وفى تلك ـ كما كان فى الزمن البئر ـ يتكون الزمن المتزامن من طبقات صوتية بعضها فوق بعض وفى الاثنين هناك التقاء ، يظهر فيه تنوع النغم polyphonie

واذن فالموسيقى هى ذلك الشكل الجمالى للزمن كما يتصوره « هانز كاستورب » • فالشكل الزمنى تعمره موسيقية اصيلة تمنح العمل قوامه وحقيقته الحية • وحين يعطى الفنان العمل الفنى ديمومته الصيقة به يصل الشكل الموسيقى بتجربته الزمنية • فان الشىء الجميل يجب ان يعترف بحق الشىء المعيش ، ولكن هذا الشىء المعيش يشترط فيه الشكل •

وهكذا نجد الموت ، والزمن ، والموسيقى ثلاثة أفكار وثيقة الترابط يبدو ان بعضها يحل محل بعض ، او على الاصح تحولات لفكرة واحدة • فهى ليست الا نواحى مختلفة ، لشىء واحد، او اقانيم ثلاثة •

فالانسان يخضع للزمن فى شكله الذى ينفى كل شكل ، حيث يصبح تميعا محضا ، بتجربة الموت • وهو يصل الى شكله الذهنى بفكرة ان الزمن المحض هو ديمومة محضة • ثم لكى يصل اخيرا ـ بفعل خالق حر ، الى عالم الفن ، يتخذ الشكل البنائى للموسيقى •

1. — Gisele Brelet. Esthétique et création musicale (Press universitaire de France.

بشار بن برد
محاولة نفسية لدراسته

— ٢ —

بدانا بالحديث عن سلوك بشار الغذائى ، ثم سلوكه الجنسى ، ثم سلوكه الاجتماعى ، ونريد الآن لنتحدث عن سلوكه العقلى :

ولا يكون بحثنا علميا دقيقا ان كنا عمدنا الى هذا الترتيب وذلك العزل ، فمن الواضح أن بشارا — وكل شخص — يكون له الى جانب سلوكه الغذائى او الجنسى مثلا سلوك آخر اجتماعى أو عقلى ، ومن الواضح ان الشخص يعتمد فى السلوك الواحد على غيره من انواع السلوك ، ومن الواضح كذلك أن كل سلوك يؤثر فى غيره ويتاثر به ، ومن ذلك نرى ان ضروب سلوك الشخص الواحد تتفاعل ، وتتعاون ، وتتبادل الاثر ابتغاء غاية عظمى بعينها هى : المحافظة على بقاء الذات خاصة والنوع عامة .

والآن ننظر الى سلوك بشار العقلى من زوايا ثلاث : الذكاء ، والعقل ، والابداع .

ا — الذكاء :

اذا كانت المذاهب اختلفت قديما وحديثا فى تعريف الذكاء فانها اتفقت جميعا على أنه فطرى ، وموروث ، ومطلق بالنسبة الى الشخص الواحد أى لا يزيد ولا ينقص ، وانما الذى يزيد وينقص هو الشروط التى تسمح بظهور الذكاء . فهل أتيحت لبشار ظروف تظهر ذكاء ؟

الواقع أن هذه الظروف أيا كانت ليست الا « مشاكل » ، وفهم سلوك الشخص ازاء هذه المشاكل يهدينا باطمئنان الى معرفة مقدار ذكائه وكنهه .. فماذا كان حظ بشار من المشاكل ، وكيف سلك ازاءها ؟

ان الفقرات السابقة تعرض لنا بعض هذه المشاكل مثل : الفقر ، والدمامة ، والعمى ، والوضاعة ، والعجمة . وهى كلها مما دفع ذكاء بشار الى أن يصحو مبكرا جدا ، فقد كان يتعثر فى كل خطوة بمشكلة تلجئه

بقلم : عبد الله خورشيد البرى

(١) الاغانى : ٣ — ١٣٩

الى استبراخ ذكائه على نحو ما يبدو فى :

هجائه الناس ، وسخريته منهم ، وتنـــدره عليهم ، وسرعة خاطره ، واحتياله على النسوة ، وردودهالمفحمة على من تتهـــكم به منهن ، واعتماده البارع على ذاكرته وعلى حاستى سمعه ولمسه .

ووجه بشار اذا بحشد من المشاكل جعل ذكاءه يظهر مبكرا ، ويظلمشهرا دائما ليحل هذه المشاكل بنجـاح فى اغلب الأحيان ، فاذا كان الســلوك الذكى عادة يبتدع للوصول الىالغرض حيلة تكون اما : حركة التفاف ، أو استعمال أداة ، أو اختراع أداة،فمن اى هذه كانت حيلة بشار ؟

لعله واضح أن الهجاء عنده ليس الا اداة يستخدمها لرد تحقير الناس اياه عنه ، لولظفر بمالهم الأكثر؛وأنفخره بفارسيته أداة يستعملها لاكتســـاب نسب عريق ، ولكن أخص وأبرز من هذا أن يطلب اليه حاجب محمد بن سليمان الصبر فيرده بأن « الصبر لا يكون الا على بلية (١) » مستعملا بنجاح ، هذه المغالطة للدخول: أو أن تعجب امراة من خشـية الناس اياه على قبحه فيجيبها : « ليس من حسنه يهاب الأسد » مستخدما هذه الحقيقة المالوفة للتخلص من الحرج الجـارح الذى تحاول هذه المراة ايقاعه فيه ، اما ايحاؤه الى أبيه ـ وهو بعد صبى ـ بالاعتذار الى الناس عن هجوه اياهم بقوله تعالى : « ليس على الاعمى حرج» فهو استخدام لأنجح أداة بأمكر ذكاء حتى لقد كان ينصرف الناس قائلين: فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار(٢).

من هذا نستطيع أن نرجح أن ذكاء بشار كان يعتمد على استعمال الأداة لحل المشكلة وبلوغ الغاية ، ولعـــل عماه هو المسئول عن هذا التحديد .

ب ـ العقل :

قلنا ان عبودية بشار كانت تهـدد كيانه العقلى ، والواقع أنها كانت الى جانب ظروف نشاته الأخرى تهـــدد هذا الكيان بصورة تتضح اذا عرفنا أنه من المقرر أن العقل ينمو ويزداد ، وأن نموه هذا يتناسب طرديا مـــع النمو الجسمانى ، ويتوقف الى حـد كبير على نمو الجهـــازين العصبى والهرمونى بخاصة ، ويخضع لمقـدار ونوع ما يصيبه الشخص من ثقافة .

ولقد نستطيع أن نطمئن على سلامة نمو بشار الجسمانى اعتمادا عـلى ما يوصف لنا به من ضخامة الجسم وعلى بلوغه السبعين أو أكثر بل قابليتـــه لأن يعمر أطول لو لم يقتله المهـدى جلدا ، وبذلك يبقى علينا أن نتلمس حظ بشار من الثقافة .

لثقافة بشار وجهان : وجه أدبى ، ووجه علمى .

اما الادبى فذلك الحظ من اللغـــة والشعر والأخبار ـ وربما القرآن ـ الذى أصابه من شـيوخ بنى عقيل ، ومن البادية التى أبدى اليها صغيرا ،

---

(١) الاغانى : ٣ ـ ١٦٧

(٢) المصدر نفسه : ٢٠٨

ومن البدو الذين كان يختلف اليهم ويسمعهم ويسمع منهم كلما تيسر له ذلك (١) ، ومما بدأ يشيع من قصص وحكم ومعان فارسية .

واما العلمى فذلك الحظ من الكلام الذى اصابه من الحسن البصرى وواصل بن عطاء أو أمره (٢) ، والمانوية وما يتبعها من بحث علمى وقد أصابها مع أصدقائه الذين كانوا يجتمعون على الشراب ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضا هزلا وجدا من مثل : عبد الكريم بن أبى العوجاء الذى أفسد الحديث ، وحماد الراوية الذى أفسد اللغة والأدب ، وصالح بن عبد القدوس الذى دس فى الأشعار معانى زندقة ، ويونس بن أبى فروة الذى عمل كتابا فى مثالب العرب (٣) .

ربما لم يكن بشار يستطيع أن يحصل اكثر أو اكثر مما حصل ،وانما يجب أن نلتفت الى مدى اهتمام بشار بثقافته .

المانوية ثنوية ، وزهد ، ورهبانية . وبشار واصحابه الذين تزندقوا تزندقا علميا فدانوا بدين المجوس عن علم ثم تظاهروا بالاسلام تقية أو توسلا الى اضلال الناس(٤) مانويون ، بل أن حماد عجرد ليقسم بأن بشارا « اعلم بالزندقة من مانى (٥) ، وبالرغم من ذلك نرى الحياة المثلى عنده هى : «طعام مز ، وشراب مر ، وبنت عشرين بكر »

اذا كان بشار كفر بالاسلام ، فانه كذلك لم يؤمن بالمانوية فقد كان شيئا آخر غير هذين .

ولعل ابرز ما يميز طبيعة عقلية بشار هو : الواقعية ، التى تتمثل فى قوله : « لا أعرف الا ما عاينته أو عاينت مثله » (٦) ، وقوله :

وما أنا الا كالزمان : اذا صحا
صحوت ، وان ماق الزمان اموق

والحتمية التى يعبر عنها بقوله :

طبعت على ما فى غير مخير

هواى ، ولو خيرت كنت المهذبا
اريد فلا أعطى ، وأعطى ولم ارد

وقصر علمى ان انال المغيبا
فأصرف عن قصدى ، وعلمى مقصر
وأمسى وما أعقبت الا التعجبا(٧)

واذا كانت ابياته الحكمية تدلنا على مدى تعمقه الأمور فان مثل قوله :

ان الكريم ليخفى عنك عسرته
حتى تراه غنيا وهو مجهود

أو قوله :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أو قوله :

اذا كنت فى كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

---

(١) نفس المصدر : ٢٠٦
(٢) كان بشار ، اصحاب الكلام الستة فى البصرة
(٣) ضحى الاسلام: ١ ـ ١٥٠ ، ١٥١
(٤) نفس المصدر : ١٥١
(٥) الاغانى ـ طبعة الساسى : ١٣ـ٧٦
(٦) الاغانى ـ دار الكتب ـ ٢٢٧
(٧) نفس المصدر : ٢٢٧

نقول ان مثل هذه الأبيات فوق انها ماخوذة من الخبرة اليومية فانها تدعو دعوة خاصة ، وتحرض على سلوك بعينه يهم الشاعر .

واخيرا ـ نحن لا نستطيع أن نحكم لبشار بالثقافة العالية الواسعة العميقة ولا حتى بالاكتراث بما أصاب من ثقافة عصره . فقد كان له فى مذهبه الخاص ـ أو فلسفته ـ دافع الى عدم الاهتمام بشىء من هذا ، وان كان هذا لا يمنع أن يكون لبشار عقل منظم وفكر منطقى يبدوان فى مثل قوله الذى يكاد يصور مجلسا من مجالس المتكلمين :

قد لا منى فى خليلتى عمر
واللوم فى غير كنهه ضجر
قال: افق. قلت: لا. فقال: بلى
قد شاع فى الناس منكما الخبر
قلت : واذ شاع ما اعتذارك مما
ليس لى فيه عندهم عذر
ماذا عليهم ، وما لهم ؟ خرسوا
لو انهم فى عيوبهم نظروا
أعشق وحدى ويؤخذون به
كالترك تغزو فتؤخذ الخزر
يا عجبا للخلاف يا عجبا !
بقى الذى لام فى الهوى الحجر

ح ـ الابداع :

لابد للفنان لكى يبدع من ثقافة واسعة (١) .

هذا صحيح ، ولكن علم النفس اذ يقرر مع هذا أن الدافع الوجدانى لدى الشاعر والروائى والفنان خاصة أشد خطرا من العوامل العقلية للابداع(٢) ولعل فى الهجاء والغزل والمديح كان يجد بشار دوافع وجدانية قوية تسمو بشاعريته الى عالم الابداع ، فهل فعل ؟

انه نفسه يصف شعره الذى أزرى به الأذان(٣) بانه : كروض النور لاءم بينه بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

ويلعن قصائده الاثنتى عشرة ألفا ويلعن قائلها ان لم يكن فى كل واحدة منها بيت عين(٤) . والاصمعى ـ وهو مكافح الشعوبية ـ يشهد لبشار بانه خاتمة الشعراء ، ويقسم أن لو لا تأخرت أيامه لفضله على كثير منهم (٥) .. والجاحظ ـ وما أدراك ما الجاحظ ـ يخلده فى (البيان والتبيين) على انه « من المطبوعين ، أصحاب الابداع والاختراع ، المفتنين فى الشعر ، القائلين فى أكثر أجناسه وضروبه » (٧)

فهل يحقق بشار كل هذا الظن الحسن اذا تلمسنا الابداع عنده على أساس مما يقرر علم النفس . من أن التمثيل ـ وهو نزع الشىء المالوف عن محيطه وملابساته لوضعه فى محيط جديد وملابسات جديدة ـ هو الأداة السحرية التى يستخدمها الشاعر والفنان والعالم على السواء فى خلق المعانى المبتكرة وافتراض الفروض العلمية (٨)

---

(١) مبادىء علم النفس العام ليوسف مراد : (مراحل الابداع وعوامله ص : ٢٤٣ ـ التعلل العلمى للالهام ص ٢٤٦
(٢) نفس المصدر : ٢٤٣
(٣) الاغانى ـ دار الكتب : ٣ ـ ١٤٣
(٤) نفس المصدر : ١٤٤
(٥) نفس المصدر : ١٤٣
(٧) الاغانى ـ دار الكتب : ٣ ـ ١٤٥
(٨) مبادىء علم النفس العام : ٢٤٧

كأن مثار النقع فوق رءوسنا
واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

هذا بيت لبشار مشهور ، والصورة التى يعرضها اعجب بها هو نفسه اول الناس ، بل اعترف بأنه مازال يتربص بها حتى وقعت له رغبة فى محاكاة امرىء القيس بتشبيه شيئين بشيئين ، ثم ظل النقاد والشعراء يعجبون بها من بعده • فاذا ماحاولنا تطبيق نظرية التمثيل الابداعية عليها استطعنا أن نقول فى كثير من التساهل انها استخدام لليل المظلم والشهب الخاطفة المتهاوية فى أعماقه استخداما جديدا ، أى نزع لهذه الصورة التى ألفت الابصار رؤيتها ، عن محيطها وملابساتها المألوفة ووضعها فى محيط جديد وملابسات جديدة هى : الأرض بعد السماء ، وميدان المعركة بعد جوف الفضاء •

ولكن كم بيتا غير هذا نستطيع أن نحلله هذا التحليل الذى يشبه الافتعال ؟

اذا تنبهنا الى أن الشعر العربى كان الى ما قبيل بشار ما يزال ذلك الشعر التقليدى الجاهلى : شعر الديار والاطلال والناقة والصحراء ••• ثم التفتنا الى ما فى شعر بشار من زهر وعطر ، ونساء وخمر استطعنا أن نعرف لم حكم الأقدمون لبشار بالابداع والاختراع •

لعلنا ـ بعد الفقرات السابقة ـ لا نتردد فى ان نقرر أن الظروف قد مهدت لبشار أن يتحرر ، وما زالت تعينه حتى انتهى الى التحرر من كل قيد، دينا كان أو عقلا، أو عرفا، أو خلقا، وما كان عليه من حرج ـ بعد هذا أو معه ـ أن يتحرر فى فنه • ولكن يجب أن نفرق هنا بين تحرر الابداع الخالق الذى يوجد الشىء ولكن لا على مثال ـ وهو ما لم يؤته بشار ـ وبين التحرر من صور ومعان وتعبيرات قديمة فقدت حيويتها واستعمال غيرها مقبوس من بيئة اليوم ووراثة الامس وتطور الزمان ، وهذا ما فعله بشار •

لم يفعل بشار اذن الا أن طلى حجرات المنزل بطلاء جديد لم يركبه فى معمله الخاص ، وانما ابتاعه مما يعرض وقتذاك فى الحوانيت •

والآن ننظر كيف فعل بشار فى الوصف مثلا •

نستطيع أن نسمع اليه فى قصيدته:

يا ليلتى تزداد نكرا
من حب من أحببت بكرا(١)

وفى قوله يصف احداهن :

وجارية خلقت وحدها
كأن النساء لديها خدم
دوار العذارى اذا زرنها
أطفن بحوراء مثل الصنم(٢)

وفى قصيدته التى يصف فيها سهرة له مع قينة لبعض ولد سليمان :

وذات دل كأن البدر صورتها
باتت تغنى عميد القلب سكرانا(٣)

---

(١) الاغانى ـ دار الكتب : ٣ ـ ١٥٥
(٢) نفس المصدر : ١٦٤
(٣) نفس المصدر : ١٦٥

وفى قوله من ارجوزته « يا طلل الحى بذات الصمد » التى مدح بها عقبة بن سلم :

قامت تراءى اذ رأتنى وحدى
كالشمس تحت الزبرج المنقد
صدت بخد ، وجلت عن خد
ثم انثنت كالنفس المرتد (١)

وفى قوله منها :

ما كان منى لك غير الود
ثم ثناء مثل ريح الورد

وفى قصيدته التى أسلفنا لها ذكرا:

قد لامنى فى خليلتى عمر
واللوم فى غير كنهه ضجر(٢)

وفى قصيدته الى الفتى المنقرى وقد غير عادته فارسل اليه اضحية كبيرة غير سمينة :

وهبت لنا يا فتى منقر
وعجل وأكرمهم أولا (٣)

وفى قصيدته التى يرثى بهاأصدقاءه :

يا بن موسى : ماذا يقول الامام
فى فتاة بالقلب منها أوام؟(٤)

نستطيع أن ننظر فى أقوال بشار هذه ـ وهى فى الوصف ـ فنرى بوضوح الجديد الذى صبغ به بشار الشعر العربى .

نرى فارسيته تظهر فى أسلوبه القصصى الذى يجعل من القصيدة قصة لها بدايتها وزمانها ومكانها واشخاصها ونهايتها ، ونرى كلاميته وجدليته تظهران فى أسلوبه الحجاجى الذى يملأ شعره تساؤلا وجدلا واعتراضا ودفعا ونقاشا وحجاجا ، ونرى بساتين فارس، ورياض العراق تلون أبياته بصور زاهية متنوعة من الألوان والأزهار وتنشر فيها جوا عبقا بالعطر والمسك والعنبر ، ثم نرى مجوسيته وتحرره العقل يظهران على لسانه صنما ووثنا وسحرا ، ثم نرى فى خلال ذلك كله دقة تصويريةعجيبة تجعل بشارا الأعمى ـ بل الأكمه ـ لا تند عنه حركة ولا لفتة فهو يستطيع أن يرى محبوبته وقد قامت تراءى له اذ رأته وحده « تصد بخد وتجلو عن خد ، ثم تنثنى كالنفس المرتد » ، وهو يستطيع أن يرى الشارب وقد تركته الصهباء يرنو بعين « نام انسانها وليست تنام » .

فاذا انتقلنا الى الغزل وجدنا بشارا يضغط على صور بعينها حتى ليكاد أن يستأثر بها دون غيره من الشعراء .

يهتم بشار بالصوت أيما اهتمام حتى لقد كان عنده المقياس لجمال المرأة والداعى الى الكلف بها أو الاعراض عنها :

كان لسانا ساحرا فى كلامها
أعين بصوت للقلوب صيود

تميت به البابنا وقلوبنا
مرارا وتحييهن بعد همود (٥)

يا قوم أذنى لبعض الحىعاشقة
والأذن تعشق قبل العينأحيانا

---

(١) نفس المصدر : ١٧٥
(٢) نفس المصدر : ٢٣٤
(٣) نفس المصدر : ٢٢٨
(٤) الاغانى ـ دار الكتب ـ ٣ : ١٨٩
(٥) الاغانى ـ دار الكتب : ٣ ـ ١٩٨

قالوا : بمن لا ترى تهدى ! فقلت لهم
الاذن كالعين توفى القلب ما كانا (١)

واذا كان من الواضح ان بشارا استخدم اذنه فى مقام عينه ، فيجب الا نغفل عن ان اذن بشار لم تكن اذن اعمى فحسب وانما كانت كذلك « اذنا موسيقية » ـ بالتعبير الحديث ـ فقد كان مفتونا بالسماع محبا للغناء ولا سيما اذا كان بشعره على النحو الذى يبدو فى قصيدته :

وذات دل كأن البدر صورتها
باتت تغنى عميد القلب سكرانا

اهتم بشار لعماه بالصوت اذن ، ولكن ذكاءه وعقله كانا يجعلان الصوت الجميل اكثر فتنة له اذا كان ينطق بحديث فطن ذكى ، فغير مرة عشق بشار ممن كن يجلسن اليه فى بيته يسمعن منه ويسمع اليهن :

وكان رجع حديثها
قطع الرياض كسين زهرا (٢)
وكان تحت لسانها
هاروت . ينفث فيه سحرا
ودعجاء المحاجر من معد
كأن حديثها ثمر الجنان (٣)

لم يستعض بشار باذنه عن عينه فقط ، وانما ضم اليها شمه كذلك ، فاصبحت الرائحة من اهم ما يعتمد عليه ولا سيما فى تقدير محاسن النساء :

وتخال ما جمعت عليه ثيابها ذهبا وعطرا

واذا كان اسحق الموصلى قد رمى بشارا بالتخليط عائبا عليه قوله :

انما عظم سليمى حبتى
قصب السكر لاعظم الجمل
واذا ادنيت منها بصلا
غلب المسك على ريح البصل (٤)

فقد كان لبشار عذره فى مغالاته فى الاعتماد على حاسة شمه كل هذا الاعتماد اذا لم نقل ان بشارا لم يكن يبغى بهذين البيتين سوى السخرية ، والا فلننظر كيف تستأثر رائحة العطر النافذة الغالبة بانتباهه من زائراته .

وكأنهن اهلة
تحت الثياب زففن شما
باكرن عطر لطيمة
وغمسن فى الجادى غمسا (٥)

او كيف يعلل ايثاره ريح الجنوب تعليلا شميا فى قوله :

هوى صاحبى ريح الشمال اذا جرت
واشفى لقلبى ان تهب جنوب

وما ذاك الا انها حين تنتهى
تناهى وفيها من عبيدة طيب (٦)

او كيف يصور جاريته الزنجية تصويرا شميا :

كأنها صيغت لمن نالها
من عنبر بالمسك معجون

والى جانب اعتماد بشار فى ادراكه الاشياء والحكم عليها على اذنه وانفه ، نجده يعتمد على اللمس كذلك :

أو لمسة دون مرطها بيدى
والباب قد حال دونه الستر (٧)

---

(١) نفس المصدر : ٢٣٨
(٢) نفس المصدر : ١٥٥
(٣) الاغانى ـ دار الكتب : ٣ ـ ١٥٤
(٤) نفس المصدر : ١٥٥
(٥) نفس المصدر : ١٥٦
(٦) نفس المصدر : ١٦٩
(٧) نفس المصدر : ١٧٧

• وغادة ســـوداء براقـة
كالمـاء فى طيب وفى لين(١)

• ويحهـا كاعبا تدل بجهـم
كعثبى كانه حمـــام (٢)

ويبدو هذا أكثر من قصته مع المراة التى عشقها فى مجلسه، وذهب يزورها فى بيتها فجعل يحدثها ساعة ، ثم سألها عن اسمها فقالت : أمامة ، فقال:

أمامة قد وصفت لنا بحسـن
وانا لا نراك فالمســـينا(٣)

كان عمى بشار اذن مسئولا عن هذه الصور وتلك الألوان التى لجأ اليها بشار فى غزله حتى كان يستقل فيه بلون خاص به يعبر عن عالمه السمعى الشمى اللمسى • واذا كان بشار قد حرم حاسة البصر التى لا يخفى خطرها من حيث قيمتها العقلية والثقافيـــة والفنية فانه قد ضوعف فى حاسة هى « أقل الحـــواس مادية ، وأقواها اســـتخداما للرموز والاشـــارات العقلية »(٤) : حاسة السمع • « وهل من رموز أكثر تحررا من المادة وأشمل دلالة من الرموز اللغوية التى يصطنعها التعبير اللفظى ! »(٥)

عميت جنينا ، والذكاء من العمى
فجئت عجيب الظن ، للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافـدا
لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاعمت بينه
بقول اذا ماأحزن الشعر اسهلا(٦)

ولعل هذه الكيفية هى التى تفسر تلك الصور الغريبة التى تخطف فى شعر بشار كقوله :

يا ليتنى كنت تفاحا مفلجـــة
أو كنت من قضب الريحان ريحانا
حتى اذا وجـدت ريحى فاعجبها
ونحن فى خلوة ، مثلت انسانا(٧)

او قوله فى هجاء العباس بن محمد:

وللبخيل عـــلى امواله عـلل
زرق العيون عليها أوجه سود(٨)

وأخيرا ـ كان لمجون بشار فى غزله وايثاره الصراحة العارية والســـفور غير المحتشم ضلع فى أن يظهر هـذا الغزل بمظهر الجديد على نحو ما بينا فى تحليل سلوكه الجنسى فى الفقرة الثانية من هذا البحث •

يبقى بعد هذا أن ننظر فى الهجاء عند بشار فنجده يقول فى بنى سدوس حين استعداه مواليه بنو عقيل عليهم :

كأن بنى سـدوس رهط ثور
خنافس تحت منكسر الجـدار
تحرك للفخار زبانيهـــا
وفخر الخنفساء من الصغار (٩)

ويقول فى هجاء رجل من بنى زيد شريف :

شهدت على الزيدى أن نساءه
ضباع الى آير العقيـــل تزفر
يلفون أولاد الزنا فى عـدادهم
فعدتهم من عـدة الناس أكثر

---

(١) الاغانى ـ دار الكتب : ٣ ـ ١٩٣
(٢) نفس المصدر : ٢٣٥
(٣) نفس المصدر : ٢٢٣
(٤) ، (٥) مبادىء علم النفس العام : ٦٤
(٦) الاغانى ـ دار الكتب : ٣ ـ ١٤٢
(٧) نفس المصدر : ١٦٥
(٨) نفس المصدر : ١٩٥
(٩) الاغانى ـ دار الكتب ـ ٣ ٣١٠

ولو فارقوا من فيهم من دعارة
لما عرفتهم أمهم حين تنظر (١)

ويقول فى هجاء صديق جار له :

ألا ان أبا زيـــد
زنى فى ليلة القـدر
ولم يرع ، تعالى اللـ
ـه ربى حرمة الشهر (٢)

ويقول فى هجاء اعرابى :

أحين كسبت بعد العرى خزا
ونادمت الكرام على العقـــار
تفاخر يابن راعيـــــة وراع
بنى الاحرار ؟ حسبك من خسار
وكنت اذا ظمئت الى قـــراح
شركت الكلب فى ولغ الاطار
تريغ بخطبـــة كسر المـــوالى
وينسيك المكارم صـــيد فار
وتغـــدو للقنافد تدريهـا
ولم تعقـــل بدراج الديار
وتشمخ الشمال للابسيهـا
وترعى الضأن بالبلد القفار (٣)

ويقول فى هجاء الخليفة المهدى :

خليفـــة يزنى بعمـــاته
يلعب بالدبوق والصولجـان
أبدلنـــا الله به غـيره
ودس موسى فى حر الخيزران (٤)

ويقول فى هجاء وزيره يعقوب :

بنى أمية : هبوا ، طال نومكم
ان الخليفة يعقـــوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم ، فالتمسوا
خليفة اقى بين الزق والعود (٥)

قلنا فى الفقرة الأولى من هـــذا البحث ان بشارا قد لجأ الى الهجاء يرد به عن كيانه الحيوى غوائل الفقر والتهكم والاحتقار ، وهذا السلوك العقلى البيانى الفنى ليس فى طبيعته الحيوانية الأولى الا سلوك « الكفاح والمقاتلة » ، ولذلك لا نعجب اذا راينا بشارا لا يعتدل فيه ولا يقتصد فما كان فى الكفاح والمقاتلة اعتدال أو اقتصاد .

واذا اردنا استخراج الصور الجديدة التى قاتل بها بشار فى هجائه وجدناه يطعن المهجو فى : عفته ، أو شرفه ، أو خلقه طعنا تغلب عليه الناحيـــة الجنسية دائما حتى لنكاد نعده امتدادا لهجاء جرير والفرزدق . وكل ما ميز بشارا بالهجاء أنه كان عنده الأصل ، وأنه كان ينال به الجميع حتى الصديق حتى الخليفة فى صفاقة لا تحترم عهدا وجراة لا تخاف عاقبة .

واذا كانت هذه حال بشـــار فى الهجاء وهو وسيلته الى القوت اذ راى المؤلم منه « آخذ بضبع الشـــاعر من المديح الرائع » ، فكيف تكون حاله فى المديح ؟

يراه أبو عمرو بن العلاء امدح الناس فى قوله :

لمســـت بكفى كفه ابتغى الغنى
ولم ادر أن الجود من كفه يعدى
فلا انا منـــه ما أفاد ذوو الغنى
افدت ، واعدانى فأتلفت ما عندى (٦)

ويقول فى مدح عقبة بن مسلم :

---

(١) نفس المصدر : ٢٠٤ (٢) نفس المصدر : ١٨٨
(٣) نفس المصدر : ١٦٦ (٤) الاغانى – دار الكتب : ٣ – ٢٤٣
(٥) نفس المصدر – نفس الصحيفة (٦) نفس المصدر : ١٥٠

انما لذة الجواد ابن سـلم
في عطـاء ومركب للقـاء
ليس يعطيك للرجـاء ولا الخـو
ف ولـكن يلذ طعم العطـاء
فعلى عقبـة السـلام مقيما
واذا سار تحت ظل اللواء (١)

ويرتجز كذلك في مدحه :

أسلم وحييت أبا المجـد
مفتاح باب الحدث المنسـد
مشترك النيـل وري الزند
أغر لبـاس ثياب الحمـد
لله أيامك في معـد
وفي بني قحطان غير عد (٢)

ويقول في خالد بن برمك :

لعمري لقد أجدى على ابن برمك
وما كل من كان الغنى عنده يجدى
حلبت بشـعري راحتيه فدرتا
سماحا كمادر السحاب مع الرعد (٣)

أين زهر بشار وعطره ، وألوانه وصوره ، وقصصه وحواره ؟

لا شيء الا الالفاظ والمعاني والصور الصخراوية القديمة المبتذلة ، وهنا يجب أن نتنبه الى امور :

منها : أن المديح كان بدأ ينتشر في عهد بشار اسـتجداء حتى « أصبح الشاعر يرى أن قليلا من الفن وابياتا من الشعر ـ اذا لوحظ فيهـا ذوق الممدوح لا ذوق الفن ـ تدر عليه من الاموال ما لا يحلم به »(٤)

ومنها : أن بشارا نفسه كان لا يؤمن بالمديح ـ أو لا يجيده ولا يواتيه فيه طبعـه في الأصح ـ ذلك بانه كان مكافحا مقاتلا والمديح احتيال وتصيد، وما أعجز الأسد الذي لا يعرف الا المهاجمة عن اصطناع حيلة الثعلب ! يؤيد هذا احساس بشار نفسه بفراغ مديحه وصدوره عن نفعية لا عن عاطفة حية على نحو ما اعترف به لما مـدح المهدي فلم يعطه شيئا فقيل له : لم يستجد شعرك ، فقال : والله لقد قلت شعرا لو قيل في الدهر لم يخش صرفه على أحد ، ولكنا نكذب في القـول فنكذب في الامر .(٥)

ومنها : أن بشارا كان لايلجأ الى المديح الا كسلاح استثنائي أو ـ ربما ـ كمقدمة للهجاء ، والا فما معنى أن يمدح عقبة بن سلم فيأمر له بخمسين ألف درهم فيؤخرها عنه الوكيل ثلاثة أيام فيأمر غلامه أن يكتب على يمين باب عقبة :

ما زال مـا منيتني من همي
والوعـد غم فازح من غمي
ان لم ترد حمدي فراقب ذمي (٦)

أو يفد على خالد بن برمك وهو على فارس يمدحه فيقول :

فان تعطني أفرغ عليك مدائحي
وان تاب لم يضرب على سـداد
ركابي على حرف ، وقلبي مشيع
وما لي بارض الباخـلين بلاد

(١) نفس المصدر : ١٨٩
(٢) الاغاني ـ دار الكتب ـ ٣ ـ ١٧٦
(٣) نفس المصدر : ١٩٢
(٤) ضحى الاسلام ـ ج ١ ـ ١٣٠
(٥) الاغاني ـ دار الكتب : ٣ ـ ٢١٦
(٦) نفس المصدر : ١٨٢

اذا انكرتنى بلدة او نكرتهـــا
خرجت مع البازى على سواد(١)

ومنها : ان بشارا لم يكن ـ الكبريائه ـ ينسى نفسه فى مديحه ، فيقول لخالد هذا مثلا :

أخالد لم أخبط اليك بلمـــة
سوى أننى عاف وانت جـواد

او يمدح عقبة بن سـلم بأرجوزته التى سبق لها ذكر فيختمها بقـــوله المنتفخ كبرياء أو ـ فى الاصح ـ ادعاء

كل امرىء رهن بمـا يؤدى
ورب ذى تاج كريم الجـــد
كـأل كسرى او كـأل برد
انكب جاف عن سبيل القصد
فصـــــلته عن ماله والولد

وشىء اخير يلاحظ على مديح بشار هو تحريضه الممدوح عـــلى البذل او ايحاؤه به اليه كمثل قوله لخالد :

اخالد ان الحمد يبقى لأهـله
جمالا ، ولا تبقى الكنوز على الكد
فاطعم وكل من عارة مستـردة
ولا تبقيها ان العوارى للرد

فاعطـاه خالد ثلاثين الف درهم ، وكان قبل ذلك يعطيه فى كل وفادة خمسة آلاف درهم ، بل وأمر بكتابة هذين البيتين فى صدر مجلسه ، وكانا آخر ما أوصى به ابنه يحيى (٢) .

وكقوله وان كان فى الهجاء :

ان الكريم ليخفى عنك عسرته
حتى تراه غنيا وهو مجهـــود
اورق بخير ترجى للنوال فمـا
ترجى الثمار اذا لم يورق العود

بث النوال ولا تمنعك قلتـــه
فكل ماسد فقرا فهو محمود(٣)

وبالرغم من ذلك كله أعطى بشـار الآلاف على مديحه لا لأنه كان رائعا فى المديح ، ولا لأنه كان صادرا عن عاطفة أو حتى عن رهب وطمع ، وانما لأنه كان فى كل حال خيرا من هجائه واسلم منه عاقبة .

هكذا اذن نستطيع ان نفهم تجديد بشار أو ابداعه فى رأى الاقدمين ، فنجده كان فى الوصف والغـــزل استبدال صور جديدة بأخرى قديمة ، وفى الهجاء والمديح سبا صريحـــا فاضحا أو معانى مكررة معادة أكثر منه ابداعا وابتكارا .

وبالرغم من نصيب بشار من الابداع فى معناه الضيق هـــذا ، فانا نراه ينتكس فى بعض شعره الى القـــديم كقوله :

أبى طلل بالجـــزع أن يتكلما
وماذا عليـــه أجاب متيما ؟

وبالفـرع آثار بقين وباللوى
ملاعب لا يعرفن الا توهما (٤)

أو قوله :

تناول خودا هضـــيم الحشى
من الخوار محظوظة عالية (٥)

وقصيدته التى لا تكاد تفترق عن شعر الجاهلية فى شىء مادحا بهـــا سليمان بن عبد الملك :

وقائلة لى حين جـــد رحيلنا
واجفان عينينا تجود وتسكب(٦)

---

(١) الاغانى ـ دار الكتب : ٣ ـ ٢٠٢
(٢) نفس المصدر : ١٩٢
(٣) نفس المصدر : ١٩٥
(٤) الاغانى ـ دار الكتب ـ ٣ : ١٤٨
(٥) نفس المصدر : ١٧٠
(٦) نفس المصدر : ٢١٧

التطور الأدبي

قضايا تطورية

حديث التطور فى الأدب العربى اليوم ، حديث التمذهب فيه ، والتمذهب الادبى اليوم تمذهب ارادى ، واع .. فكم من دعوى أدبية اليوم ، تضطر صاحبها الى الجهد ، والصنعة ، ليوفر فى تحقيقها قيمها الفنية ، والأدبية ، وكم من أسلوب أدبى ، حديث ، ينشئه صاحبه اليوم ، بجد وكد ، يجيب فى صنعه داعى التجديد والفن ..

الالتزام ، والواقعية ، والغنائية ، والرمزية ، مذاهب أدبية تعيش اليوم فى أدبنا العربى الحديث ، فى بيئات مختلفة ، لكل مذهب منها فنه ، وطريقته فى التعبير ، فالواقعيون اليوم يؤثرون القصة القصيرة ، والرواية ، والمسرحية ، فى حين يؤثر السلفيون القصيدة العربية ، حتى فى المجال الملحمى ، أو المسرحى ، بينما يفضل الغنائيون ، أو الرمزيون القصيد الحديث ، من موشح ، أو شعر ، أو منثور ..

مرد هذه المذاهب الأدبية ، أو ايضا الأساليب الجديدة التى تصطنعها ، وعلى الخصوص القصة ، أو المسرحية ، الجدة التى لحياتنا العربية نفسها ، وأخذها بأسباب المدنية الحديثة .. والنماذج اليوم على التمذهب الأدبى ، وأساليبه ، فى أدبنا العربى الحديث ، نماذج جيدة ، موفقة ، فالقصة القصيرة ، والرواية ، والمسرحية ، النثرية والشعرية ، أساليب مزدهرة اليوم ، والشعر الموشح ، والنثر ، والمنثور أساليب مطروقة اليوم بنجاح ..

والتطور فى أدبنا العربى ، أمر غير أمره فى آداب الأمم الغربية ، وهو فى نظرنا عامل ثانوى ، ليس له الاولوية ، فى التأثير التى له عند الغربيين ..

ودراسة المذاهب الأدبية اليوم ، أو التمذهب الأدبى دراسة عادية ، لا تختلف عن دراسة الأدب العادية ، من ضبط ، وشرح ، وتحليل ... وقد عرجنا فيها على الناحية الاسلوبية

بقلم : عدنان ابن ذريل

لأنها اقرب الى طبيعة الأدب ، وبلاغته ، فموضوع الدراسة ، الاسلوب ومقوماته ، وموضوع التقييم الشكل ، والمضمون ..

هل انصفنا اليوم الحياةالاسلوبية حقها ؟.. هل أدركنا جمالالاسلوب، والفن الذى فيه ؟..

المشكلة فى نظرنا أساسية ، وهى مشكلة بلاغية ، نقدية ..

البلاغة الربية الحديثة اليوم ، فى مظم جامعاتنا ، هى دراسة الاسلوب، ومقوماته ، وكذلك النقد الأدبىاليوم فيها ، نقد فى أساسه أسلوبى ..

واصلاحالبلاغةالعربية ، والتاسيس فيها ، مشكلة ما تزال قائمة ، فجدة الحياة الأدبية ، الأسلوبية ، تدفع بلاغيينا اليوم ، بالفعل، الى الاصلاح، أو التاسيس فيها ، وهم فى ذلك جادون ، وقد حاول كثير منهمانصاف الاسلوب ، ودراسته ، ففعلوا ، ومن خير هذه المحاولات ، محاولة العلامة الجليل أمين الخولى ، وقد هدفت تصيير البلاغة فن القول (١) .

ولا بد فى نظرنا اليوم ، من ضبط المصطلح البلاغى العربى الحديث ، وضبط المصطلح النقدى العربى الحديث ايضا ، ولا بد ايضا من توحيد سبل البلاغة ، والنقد ، ودعمها على أساس متين من فهم للتراث العربى القديم فى ذلك ، او خبرة بحياتنا العربية الحديثة ومنازعها ، والله الموفق ..

---

(١) كنا درسنا فى مقالات عدة ،فى الأدب الغراء ، العدد الثالث ، وما بعده ، من السنة الثالثة ، فنالقولللعلامة الجليل أمين الخولى ، فوقفنا على خطته ، ومراميه الاصلاحية فىالأدب ، والأساليب ..

المتشوقون...

قد طال شوقى للطيور الراجعات الى الشمال
لمواكب الاحرار تزحف • ثم تزحف فى نضال
لصبية لم ينعقد فى ثغرها كرز التلال ••
فأنامل الرسام فى الهدب المصفق لا تزال
•• أترى على صدرى تثرثر بالاناشيد الطوال
والليل قرب شفاهها وبرأسها .. خال وشال ؟

فى ظل « يافا » كان لى بيت يخبئه الشجر
قفزت به أيامى الخضراء قرب المنحدر ••
جدرانه المرح الذى نسجته أقدام الزهر
وعلى نوافذه ستائر من أغاريد السحر !
•• أترى سيوقظنى به سرب الطيور اذا عبر
وتعانق الاشواق فى جفنى أفقا من صور ؟

أواه للقدس الجريحة وهى تفهق بالدماء
لما تزل فى أفقها الصلوات تقطر بالبكاء
ما زال فى الافق المخضب •• ما تقطع من دعاء
وبقية من ساجدين تجمدوا قرب السماء
الذل فوق جبينهم تطفو عليه الكبرياء
أترى على الارض الحزينة سوف يبتسم البكاء
وتشع من صوت المؤذن فرحة ، ومنى وضاء ؟

أأعود للصبح المزقزق فى زراع المزرعة
فأغادر القمح الخجول مع الطيور المسرعة
وأنام فى حقل رضيع تحت هدب طيعة
يجرى به طفل الصغير ، ويشتهى ان أتبعه
فاذا رنا نحو الديار • وود أن أعدو معه
سابقته وعليه أشواقى الحرار مجمعة !

سأعود للارض الجريحة فى صباح مضرم
بالشعب •• بالشعب الذى لم ينكسر • لم يهزم
بالجوع • بالحقد العجوز • بغربتى • بجهنمى
فأعيد ارضى للظلال ، وللطيور الحوم
لسنابل خضراء تجرى فى الخيال وترتمى ••
للمسجد الاقصى الذى قد كان قبلة مسلم !

عبده بدوى

الزبد الخالد ...

قلبى يخفق ..
دبت فيه حياة حلوة ..
عذراء .. كأحلام الاطفال ..
بيضاء .. كانداء الفجر ..
تنساب على كأس مسحور ..
فى كف آله !

× × ×

قلبى يخفق ..
لا يألو جهدا فى تهويمه .
يصبو لحنين فضى ضاحى الابهاء ..
يشدو بنشيد مخمور عارى الاضواء ..
تعروه غمرة احلام .. فى كل صباح ..
وبكل مساء

× × ×

ولكل خيال ملفوف فى هالة نور
ولكل فتاة ناضجة .. زفتها الحور
لآله الحب !

× × ×

هذا قلبى ..
من ايام ..
كأس المحزون .
الذابل لا يندى ابدا ..
كغصون الوهم
التاعس لا يقضى وطرا
من فرط الهم
تمتد به دنياه الى اعماق الظلمة
مثل سراديب رهيبة !
حتى كانت .. من أيام ..
والموكب يزحف فى قبسوة ..
والدنيا تلهث مبهورة ..
وكأنى انشد جلادا يمضى بالناس
فى بحر الدم
لتكون نهاية كل الناس ..
الفيت قريبا من دارى ..
عينين تطلان بقسوة ..

تصلان الى قدس الاقداس ..
فتأملت وجودى يعرى ..
اكفانى مزق بالية ..
قلبى ينزو كالمسوس ..
دبت فيه حياة فجأة

× × ×

هل احببت ؟ !
انا لا أدرى !
لكن أعلم انى زوج ..
تبعاتى تثقل أكتافى ..
وأكاد أحس بأن الناس جميعا تحصى اولادى ..
واخال الدنيا تهزأ بى لو قيل بأنى احببت
من كانت تدعونى عما .. فى يوم ما ..
لكنى اقسم بشبابى ..
انى لم أسمعها يوما تدعونى عما ..
لم أشعر قبل اليوم بها ..
لم نلتق ..
هل نلتقى ؟ !

× × ×

انى ارتاح الى الخلوة ..
واخط خطوطا غامضة ..
وامزق أوراقى فى عنف ..
وأظل أحرك مفتاح المذياع ..
لعلى أسمع أغنية ..
تشفى قلبى ..
فاطيل النظر الى المرآة ..
واكاد أطوف حول البيت ..
سبعا .. سبعا ..
اثناء زياراتى للسوق ..
وما أحلاها طول اليوم ..
واود لو انى فزت بها
وظفرت بذات العينين
ترنو من ثقب المفتاح ..
او ترقبنى خلف الشباك ..
او تفتح باب الشقة ..
وتعود لتغلقه فى عنف ..
واحس بأن الجدران ..
لا تهمس الا عن حبى
عن قصة عينى فاتنتى
لكنى لا ادرى ابدا ..
انى احببت !

ان كان بحق ما زعموا .. ان الحب :
يرمى العشاق بسعار الجوع
ويشد قلوبهم شدا بحبال الجنس
ويصب دلاء باردة فوق العذال
ويصوغ « محاضر » مسهبة عند « البوليس »
فأنا ـ وحدى ـ لا .. لم أعرف طعم الحب آ

× × ×

أنا من خلف الدنيا ـ وحدى ـ أرعى الدنيا ..
أستغرق في صمت الاحلام وأتلو صلواتى
ابنى من دفق لحونى درعا يحمينى
وأعيش بقايا الاسطورة ..
من دون الناس ..
أصغى لحكايات الحب ..
من كليوبترة .. للمجنون وليلى ...
لعزيزة ويونس ..
وأود لو انى كنت قويا .. قوة شمشون ..
أو كنت غنيا .. مثل « أبو رجيلة »
أو كنت بحيث أطير بعيدا كالصاروخ
لأطير بها ..
لتكون فتاتى ملك يدى ..
وأرى بعد .. هل أحببت ؟ !

× × ×

انا فى حيرة !
أحيانا أحسبنى محموما .. أو انى مسحور
فأظل أراقب عينيها .. وأراقب كل عيون الناس
لأفتش عن سر ضار .. من خلف ظلال الاهداب
لكنى لا أدرى أبدا .. عن هذا السر !
أيكون لخمر الشفتين .. ولورد الخدين الناعم ..
وتألق جبهتها الغراء .. ونبر اللحن المنغوم .
وتطلع نهديها أبدا ..
ونضوج القد المشوق ..
ـ أثر فى تلك الاسطورة ؟!
انا فى حيرة .. !

× × ×

فى حيرة مسكين ضاقت فى عينيه سبل العيش
وتعرته العلل الكبرى .. وتولاه كوخ هش
فاذا بالصدفة .. بالاقدار تسوق اليه ملء الكوخ
ذهبا .. ذهبا !
وجواهر لا تحصى عدا !
ما يفعل هذا المسكين بالكنز ؟ !

سيحار .. ستعروه رعشة ..
ويكاد يجن !!
والحق اقول ..
انى سأظل على صمتى .. اخفى من امر علاقتنا
حتى أتأكد من انى أحببت بحق ..
من ان فتاتى بى شغفت حبا ..
من ان الناس قد احترموا سلطان الحب ..
سأظل على صمتى حتى أتأكد من انى :
أصحو وانام اذا شئت ..
وبوسعى أن أطفىء نارا تشوى قلبى ..
واذا أيقنت بأن صغارى يؤذيهم هذا الحب ..
أخلى طرفى ..
واذا كانت زوجى الحسناء ستعلن حربا دامية
سأظل على صمتى حتى أتأكد من انى اقوى
أختار السلم ..
من هذا الحب
ان كنت احب !!

كامل سعفان

الآداب

فنية • شهرية

يصدرها الأدباء

الادارة: مصر الجديدة . التجم : ١٣

ت : ٦١٧٥٠

ترسل الرسائل
جميعها باسم
رئيس التحرير
أمين الخولى

تصدر
سابع كل شهر

الاشتراك عن سنة: فى مصر ٥٠ ص، فى الخارج ٨٠ ص (أو ما يعادلها) بالبريد العادى

ثمن العدد ٥ ص

البريد الجوى والمسجل بحسابه

القصة

حياة مدام باركر

في هذا الصباح ، عندما فتح الاديب المهذب الباب لمدام باركر العجوز التي تنظف شقته كل يوم ثلاثاء سألها عن حفيدها .. وعلى عتبة الباب ، في الدهليز المظلم الصغير ، وقفت مدام باركر ومدت يدها لتساعد سيدها على غلق الباب قبل أن تجيب : « لقد دفناه أمس ياسيدى » .. قالتها بهدوء ..

« أوه .. انني آسف اذ أسمع هذا » . قالها الاديب المهذب في نبرة مؤثرة .. كان في منتصف افطاره ، يرتدي ثوبا فضفاضا قديما جدا ، ويحمل جريدة مكرمشة في يده .. لكنه شعر بالحرج ، وبصعوبة استطاع أن يعود الى غرفة الجلوس الدافئة دون أن يقول شيئا ما ، ولما كان هؤلاء الناس يعلقون أهمية على الجنائز قال باشفاق :

« أرجو أن تكون الجنازة قد سارت على ما يرام »

عذرا ياسيدى .. قالتها مدام باركر مختنقة ..

مسكين طائرنا العجوز ! .. لقد بدت مغلوبة على أمرها ..

« — أرجو أن تكون الجنازة ..آ.. آ .. موفقة » .. قال هو : لكن مدام باركر لم تجب ! .. أحنت راسها وأخذت تعرج الى المطبخ ممسكة حقيبة السمك القديمة التي تحوى أدوات التنظيف وزوج أحذية من اللباد .. ورفع الاديب المهذب حاجبيه ثم عاد الى افطاره ..

« مغلوبة على أمرها فيما أعتقد » .. قال بصوت عال وهو يعين نفسه على تناول المربى .

مدام باركر سحبت الحربتين الصدئتين من قبعتها وعلقتهما بجانب الباب ، وخلعت الجاكتة البالية وعلقتها أيضا ، ثم ربطت مرولتها ، وجلست لتخلع حذاءيها .. كان لبس الحذاء أو خلعه أمرا مؤلما بالنسبة لها ، لكنه أصبح ألما مزمنا منذ سنوات ، فقد تعودت على الالم حتى لقد تجهم وجهها وتجعد استعدادا للعذاب من قبل أن تفك رباط الحذاء ! .. وما كادت

بقلم : كاترين منسفيلد - ترجمة : رجب البنا

تنتهى حتى تنفست الصعداء ، وربتت برقة على ركبتيها ..

حفيدى .. حفيدى ..

حفيدها الصغير كان يجلس فى حجرها بحذائه ذى الازرار عائدا لتوه من اللعب فى الشارع ..

« شايف عملت جونلة جدتك ازاى .. انت ولد شقى » .

لكنه وضع ذراعه حول رقبتها وحك خده فى خدها وهو يتملقها :

ـ جدتى .. ادينى مليم ..

ـ ابعد عنى .. جدتك مامعاهاش ملاليم ..

ـ أيوه .. انت معاك ..

ـ لا .. مامعاييش ..

ـ أيوه انت معاك .. ادينى واحد

وعندئذ كانت تتحسس كيس نقودها الجلد الاسود الرخو ..

ـ طيب .. رايح تدى لجدتك إيه ؟

لكنه أعطى ضحكة صغيرة خجولة .. وعانقها بقوة حتى شعرت برموشه وهى تختلج على خدها وتمتم :

ـ مش حاديكى حاجه ..

وقفت السيدة العجوز ، ورفعت الغلاى الحديدى من على موقد الغاز ، واتجهت به الى الحوض .. كان صوت الماء فيما يبدو يميت آلامها وهو ينصب فى الغلاى ، وملأت الجردل أيضا واناء الغسيل .

ان وصف حالة هذا المطبخ تحتاج الى كتاب كامل .. خلال الاسبوع كان السيد الاديب يخدم نفسه .. كان يفرغ أوراق الشاى فى اناء للهربى وضعه بجانبه لهذا الغرض ، واذا احتاج الى تنظيف شوكة فانه يمسحها فى المنشفة ، وبتعبير آخر ـ كما كان يشرح لاصدقائه ـ كان نظامه فى غاية البساطة ، وهو لا يستطيع أن يفهم لماذا يحدث الناس كل هذه الضجة حول تدبير المنزل !

« انك ببساطة توسخ كل شىء تستعمله ، ثم تستدعى امرأة عجوز مرة فى الاسبوع لتنظف وتعد كل شىء .. »

وكانت النتيجة تبدو كصفيحة زبالة ضخمة ، حتى الارض كانت مغطاة بفتات الخبز والاكياس وأعقاب السجاير .. لكن مدام باركر لم تكن تحمل له أى كراهية ، كانت تعطف على الشاب المسكين الذى لايجد أحدا يعنى به .

خارج النافذة الصغيرة الملوثة بالدخان كنت تستطيع أن ترى فضاء وكانت السحب تبدو ممزقة ، سحب هرمة متآكلة عند حافتها ومليئة فسيحا ، وتبدو السماء حزينة ، بالثقوب أو البقع الداكنة كالشاى .

بينما كان الماء يسخن بدأت مدام باركر تمسح البلاط .

« نعم » .. وانساب تفكيرها مع دقات المكنسة : على أى حال أخذت نصيبى .. كانت حياتى صعبة ..

حتى الجيران كانوا يقولون ذلك عنها فى أوقات كثيرة ، بينما هى تعرج فى طريقها الى البيت بحقيبة السمك ، كانت تسمعهم وهم ينتظرون عند الاركان أو متكئين على الحواجز يقولون لانفسهم : حياتها كانت صعبة مدام باركر ..

وكان هذا حقا ، بحيث لم تكن

فخورة بها ·· كان هذا تماما بحيث يمكنك أن تقول انها عاشت فى بدروم بالرقم ٢٧ حياة شاقة ··

فى السادسة عشرة هاجرت من ستراتفورد ، وجاءت الى لندن كخادمة فى مطبخ ·· نعم ، لقد ولدت فى ستراتفورد ، شيكسبير ياسيدى ؟ لا ·· لقد كان الناس دائما يسألونها عنه ، لكنها لم تسمع أبدا عن اسمه حتى رأته على المسارح ·

لم تعد تذكر شيئا عن ستراتفورد ماعدا الجلوس بجانب النار عند المساء حيث تستطيع أن ترى النجوم من خلال المدخنة ، وأمها وهى تجلس دائما تحت شريحة من لحم الخنزير معلقة فى السقف ، وكان هناك شيئا ما ·· شجرة صغيرة أمام الباب

كانت رائحتها لطيفة ، لكنها كانت شجيرة غامضة جدا ، تذكرتها مرة أو مرتين فقط فى المستشفى حين كانت مريضة ·

كان مكانا مخيفا حقا ، موطنها الاول لم يكن يسمح لها بالخروج منه ، ولم تكن تصعد أبدا الى الطابق العلوى الا للصلاة صباحا ومساء ·· كان البدروم أنيقا ، وكانت الطباخة امرأة قاسية تعودت أن تنزع منها خطاباتها قبل أن تقرأها وتلقيها فى المدفأة لانها كانت تجعلها حالمة ··

والصراصير ! ·· هل تصدق ذلك ؟ ·· حتى مجيئها الى لندن لم تكن قد رأت خنفسة ، كانت أمها تضحك ضحكة مغتصبة لم تر خنفسة ؟ ·· اذن فكما لو كنت لم تر قدميك طول حياتك ·

وعندما أفلست هذه الاسرة عملت كخادمة فى منزل طبيب ·· وبعد سنتين من الجرى من الصباح الى المساء تزوجت ، كان زوجها خبازا ·· كان الاديب المهذب يقول « خباز يامدام باركر ! »

كان حينذاك مستلقيا بين مجلداته وهو يصغى اليها بنصف سمعه ويعلق فى النهاية على نتاج هذه الحياة الحافلة :

ـ شىء لطيف أن تتزوجى خبازا ·· لكن مدام باركر لم تكن واثقة من ذلك ··

ـ عمل لطيف ·· قالها السيد ، لكن مدام باركر لم تقتنع ·

ـ ألا تحبى أن تسلمى الخبز الطازج للزباين ·

قالت مدام باركر :

ـ ياسيدى أنا عمرى ما اشتغلت فى دكان ، وعلى أى حال كان عندنا ١٣ واحدا ، دفنا سبعة منهم ، أظنك حتقول دى لو ماكانتش مستشفى حتبقى ملجأ ··

ـ بالتأكيد كانت كذلك يامدام باركر ·· قالها السيد مرتعشا وأخذ قلمه ثانية ·

نعم ·· سبعة ذهبوا ، وبينما كان الستة الباقين صغارا أخذوا زوجها مريضا بالسل ·· أخبرها الطبيب حينذاك أن الدقيق كان على رئتيه ·· كان زوجها جالسا على السرير وقد رفع قميصه على رأسه ، واصبع الطبيب ترسم دائرة على ظهره وهو يقول لها : « دقوقت لو قطعنا من هنا يا مدام باركر تجدى الرئتين ممتلئتين بالدقيق الابيض ·· تنفس ياصديقى العزيز »

ولا تعلم مدام باركر فى يقين ما اذا كانت قد رأت فعلا ·· أم أنها تخيلت

انها رات مروحة كبيرة من مسحوق ابيض تخرج من شفتى زوجهـــا العزيز المسكين ..

لكن نضالها من أجل تربيـــة أطفالها الستة الصغار ، ومن أجل المحافظة على نفسها كان مرهقا دون شك ، عندما بلغوا السن التى يمكنهم عندها الذهاب الى المدارس جاءت أخت زوجها لتقف الى جانبها وتساعدها فى أمور خدمتهم .. لكنها لم تمكث أكثر من شـــهرين عندما وقعت على درجات السلم وجرح عمودها الفقرى .

وبعد خمس ســـنوات جاء لمدام باركر طفـــل جديد ، واحد جديد ليصيح .. يطلب الرعاية .

عندئذ تاهت « مودى » الصغيرة وأخذت معها أختهـــا « أليس » .. وهاجر الصبيان ، وذهب « جيم » الصغير الى الهنـــــد مع الجيش ، و « أيثـل » أصغر بناتها تزوجت جرسونا صـــــغيرا عديم النفع مات بالقـرحة فى نفس السنة التى ولد فيها « لينى » الصغير ـ والآن لينى الصغير ـ حفيدى ..

أكوام الاطبـاق والاكواب المتسخة كانت قد نظفت وجففت ، والسكاكين السوداء بلون الحبر كانت قد نظفت بقطعة من البطاطا وجففت بقطعة من الفلين ، ومسحت المـائدة والمطبقيـة والحوض الذى كانت تسبح فيـــه ذيول السردين ..

لم يكن أبدا ولدا قويا .. أبدا منذ البداية .. كان واحدا من هؤلاء الذين يحبهم الناس بناتا لجمالهم .. كان لديه خصلة شعر فضـــية ، وعينين زرقاوين وخال صغير كالماسة على جانب من أنفه .

المتاعب التى عانتها هى و « ايثل » لتربية هذا الطفل ! .. الاشياء التى كانا يعثران عليهـــا فى الصحف ، ويحاولان علاجه بها ، كل يوم أحد فى الصـــباح كانت « ايثل » تقرأ بصوت عال بينما كانت مدام باركر تغتسل .

« سيدى العزيز ..

لحظـــة واحدة لاعرفك أن إبنتى « ميرتل » الصغيرة كانت راقدة على وشك الموت .. بعد أربع برطمانات سعة ٨ أوقيات فى ٩ أسابيع .. شفيت على الفور »

وعندئذ يجىء الحبر الذى وضـــع فى اناء البيض من على المطبقيـــة ، ويكتب الخطاب ، وتشترى مدام باركر اذن بريد وهى فى طريقها الى العمل فى الصباح التالى .. لكنه لم يكن ثمـــة جدوى من كل ذلك .. لاشىء كان يمكن أن يشفى « لينى » الصغير .. أخذوه الى المقبرة فلم يفده ذلك حتى فى اكســـابه لونا .. الهزة اللطيفة فى الاتوبيس لم تكن تحسن شهيته أبدا .. كان ابن موت منذ البداية ..

« أى ولد أنت » .. كانت تقولها مدام باركر وهى تعتدل من أمام الموقد متجهة نحو النافذة المدخنة ، لكن صوتا صغيرا ، دافىء وحبيب ، يجعلها تختنق ـ كان يبـــدو كما لو كان فى صدرها ، تحت قلبها ـ يضحك ويقول :

« أنا صغيرك » !

فى هذه اللحظة كان ثمة صوت خطوات ، وظهر الاديب المهـــذب فى ملابس الخروج :

ـ أنا خارج يامدام باركر ..

ـ طيب ياسيدى ..

ـ ستجدى النصف ريال بتاعك على قاعدة المحبرة ..

ـ شكرا ياسيدى ..

ـ آه .. على فكرة يامدام باركر .. قالها الاديب المهذب بسرعة .. ثم انفجر فيها :

ـ ألم تلق الكاكاو فى المرة السابقة ؟

ـ لا ياسيدى ..

ـ غريب جدا .. أنا أقسم لك أنى تركت ملعقة كاكاو فى الصفيحة

قالها بهدوء وحزم :

ـ لازم تقولى لى دائما لما ترمى أى شىء .. فاهمه يامدام باركر ؟

وسار راضيا عن نفسه تماما ، ومقتنعا بأنه قد أظهر لمدام باركر بوضوح تام أنه متنبه لكل شىء كامرأة !

أغلق الباب ، وأخذت مدام باركر فرشها وخرقها الى غرفة النوم ، لكنها عندما بدأت تنظم السرير ، وتساوى ، وتطوى ، وتربت عليه ، كانت أفكارها عن « لينى » الصغير لا تطاق .. لماذا كان عليه أن يقاسى هكذا ؟ .. هذا مالم تستطع فهمه .. لماذا كان على الطفل الملائكى الصغير أن يستجدى تنفسه ويناضل من أجله ؟ .. لم تكن هناك حكمة فى جعل طفل يقاسى هكذا .. كان صوتا يأتى من القفص الصدرى الصغير « للينى » ، كما لو كان شيئا ما جاثما على صدره دون أن يستطيع التخلص منه .. عندما كان يسعل كان العرق يفيض على رأسه ، وتجحظ عيناه ، وتتشنج يداه ، وكانت عقدة عنقه ترتفع كقطعة من البطاطا تتخبط فى وعائها .. لكن الشىء الذى كان يخيفها أكثر مما عداه عندما لا يسعل .. كان يجلس تجاه الوسادة دون أن يتكلم أو يجيب ، وكان يبدو كما لو كان لا يسمع أيضا ، فقط كان يبدو متكدرا .

« ليست جدتك العجوز المسكينة هى التى صنعت هذا ياحبيبى » ..

كانت تقولها مدام باركر وهى تربت على شعره المبلل عند أذنيه القرمزيتين الصغيرتين ، فكان ينظر اليها بفزع متكدرا ويحنى رأسه بخشوع ، وينظر اليها من كل ناحية كما لو كان لايصدق ذلك عن جدته .

لكن فى النهاية .. مدام باركر نشرت الملاءة على السرير .. لا ، انها لم تستطع أن تفكر فى ذلك ببساطة ، فقد كان أكثر من طاقتها .. لقد كان عليها أن تحتمل الكثير فى حياتها وقد احتملته حتى الآن ، رعت شئونها بنفسها دون معين ، ولم يرها أحد مرة وهى تهم بالبكاء .. أبدا والروح الحية ، حتى أطفالها لم يشاهدوا مدام باركر تنهار .. كانت تحتفظ دائما بوجه متشامخ .. لكن الآن ! .. لينى ذهب .. ماذا بقى لها ؟ .. لم يبق شىء .. كان كل نصيبها من الحياة ، وهاهو يؤخذ أيضا « لماذا كان يجب أن يحدث كل هذا لى » ..

تساءلت مدام باركر «ماذا فعلت ؟» .. وبينما كانت تقول هذه الكلمات سقطت منها الفرشاة فجأة ، ووجدت نفسها فى المطبخ .. كانت تعاستها قد بلغت القمة وهى تثبت قبعتها ، وترتدى الجاكتة وتسير خارج الشقة كما لو كانت تحلم .. لم تكن تدرك ماذا فعلت ، كانت كانسان أفقده الرعب صوابه فلم يملك الا أن يجرى

الى اى مكان كمـــا لو كان يستطيع بالجرى أن يهرب ٠

كان الجو باردا فى الشارع ٠٠ كان ثمـة ريح كالثلج ، والنـاس يمرقون بسرعة فائقة ، كان الرجال يسيران كالمقص ، وتتحرك النسـوة كالقطط ٠٠ ولا أحد يعلم ، لا أحد يعبأ ، حتى لو تحطمت ، فاذا ماصرخت فى النهاية بعد كل هذه السـنين فستجد نفسها فى نفس السجن الذى ستعانيه لو لم تصرخ !

ولـكن عندما فـكرت فى الصراخ أحست كأن « لينى » الصغير يقفز على ذراعيها ٠٠ آه ، هذا هو ما أرادت أن تفعله ، يمامتى ، جدتك تريد أن تصرخ ٠٠

لو كانت فقط تستطيع أن تصرخ الآن ، تصرخ لوقت طويل ، وعلى كل شىء ، بادئة بمكانها الاول ، والطباخة القاسية متابعة الى حياتها عند الطبيب ٠٠ ثم على السبعة الصغار ، وموت زوجها ، والطفلتين اللتين تركاها ، وعلى كل سنى التعاسة التى انتهت بها الى « لينى » ٠٠ ولـكن الصرخة التى تناسب كل هذه الاشياء تحتاج الى وقت طويل ، ولقد حان وقتهـا المناسب ، يجب أن تطلقها ، انهـا لا تستطيع أن تكتمها وقتا أطول ، انها لا تستطيع الانتظار أكثر من ذلك ٠٠ أين تستطيع أن تذهب ؟

« لقد عانت حيـاة قاسية مدام باركر »

نعم ٠٠ حياة قاسية بالتأكيد ! وبدأت ذقنها ترتعش ٠٠ ينبغى ألا تضيع الوقت ، ولـكن أين ؟ ٠٠ أين ؟ انها لا تستطيع أن تذهب الى البيت ، « ايثل » هناك ٠٠ ستطيح الصرخة بما تبقى لها ، انها لاتستطيع أن تجلس على مقعد فى أى مكان ، سيتجمع الناس حولها ويوجهون اليها أسئلة ، ولا تستطيع أيضا أن تعود الى شقة السيد ، فليس لهـا الحق فى أن تصرخ فى بيوت الغرباء ٠٠ اذا جلست على درجة سلم سيستجوبها الشرطى ٠

أوه ، ألا يوجد مكان ما تستطيع فيه أن تختبىء ، وتحس بانهـا وحدها ، وتستطيع أن تمكث فيـه طويلا كما تحب دون أن تضـايق أى انسان ، ودون أن يضـايقها انسان ؟

ألا يوجد مكان فى العالم تستطيع فيه أن تطلق صرختها أخيرا ؟

مدام باركر وقفت ، وأخذت تنظر فوقها وتحتها ، الريح الثلجية هبت ونفخت مريلتها وجعلتها كالبالون ٠

والآن بدأت الدنيا تمطر !

لم يكن ثم مكان !

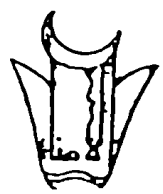

كعكة العيد

بقلم : درويش الجميل

لم تكن راغبة في النوم تلك الليلة. لقد استطابت جلسة القرفصاء عند باب المخبز واسندت ظهرها الى الجدار المتهدم والقت بذراعها على المقعد الخشبي الصغير الذي اعتاد «خريستو» ان يجلس عليه . في الاوقات التي لا يجد فيها عملا سوى مراقبة عماله والقاء التحية التقليدية على زبائنه القدماء وهم يدخلون ويخرجون من مخبزه الصغير .

ولكن المقعد الليلة خال .. فالعيد سيقبل مع الصباح ، ولا يزال سيل من صواني الكعك والفطائر والحلوى ينتظر دوره في الفرن ولذا فخريستو في اوج نشاطه يدور في الدكان لا يستقر . وتسمع بركة صوته من كل مكان . امام الفرن وهو يدفع بصينية من الحلوى الى الموقد الملتهب وقرب الباب وهو يهيب باحد صبيانه ان يترفق بما يحمل من كعك رقيق حتى يسلمه الى اصحابه كانضر واشهى ما يكون الكعك . وكانت ترى الصواني تدخل تحملها الخادمات احيانا وخلفها واحدة او اثنان من البنات النضرات الانيقات اللواتي اقبلن ليأمرن وينهين .

وتمتلىء خياشم بركة بهذه الرائحة النفاذة الشهية فتمد راسها كلما جاء الى سمعها أن صينية توشك ان ترفع الى الفرن وترسل ابصرها حول القطع الناضجة المصفوفة في انتظام وكأنها تحس حرارتها تلهب شفتيها وشكلها المستدير ونقوشها الدقيقة فتشتهاة تتفتت تحت اضراسها وتملا فمها وتنتشر في اشداقها فتزدرد لعابها كالتي شرقت وتمط رقبتها كانما تتيح لقطعة ان تهبط وتنزلق.

كانت تعرف طعم الكعك .. فقد ذاقته مرارا ..

ولكن المرة الاخيرة كانت منذ عامين

وكانت وقتها تزحف بجسمها الضئيل الناحل نحو الرابعة من عمرها توزع أيامها بين اللعب الحر السعيد في أعطاف الحارة المنحدرة المتقاربة البيوت . وبين ملازمة العربة الكسيحة التي وقفت بها أمها عند مدخل الحارة وحملتها صنوفا متنوعة من الفاكهة الرخيصة . وكان العيد يقبل فتبتهج به بركة كما يبتهج به سائر الاطفال الذين قرت عيونهم بما خصهم به الآباء والامهات من ملبس جديد وطعام مرفه وقروش متفاوتة العدد لشراء هذه اللعب التافهة ذات الضجيج التي لا تتم لطفل فرحة عيد بدونها وكانت تذوق الكعك ..

لعندما تتحرك الصواني الساخنة داخلة او خارجة من مخبز خريستو وتبدأ الرائحة العطرة تملأ الاجواء حول بركة ، كانت الام تلمح الرغبة النهمة في عين ابنتها وتبتسم حين تراها تهجر لذاتها وتديم البقاء قربها وترفع صوتها الصغير أحيانا بالنداء على البلح والجوافة امعانا في ارضائها.

وفي الصباح تمشي بركة الى مخبز خريستو نشيطة كهؤلاء الفتيات النشيطات الانيقات خلف صينية ملأتها أمها بالكعك المرتقب .

ولكنها لم تكن تدري هذه السعادة التي تهيأ لها فقد كان مكسب الام ضئيلا يعجز احيانا عن مطالب الحياة الهزيلة التي تحياها ، وكانت تعول ام زوجها الذي مات في ربيع العمر ، واخا في قوة الثور الهائج .. كان يحترف حماية مواكب الزفاف وهي تمر بموسيقاها وعرباتها المزينة بالمنطقة التي يسكنها . ثم كف بصره فاقلع عن هوايته وقنع بمقعد في المقهى المجاور لمدخل الحارة وترك امر كفالته الى أم بركة .. وكانت أم زوجها تلومها على هذا الاسراف الذي لا مبرر له فتقول :

ـ « من أجل اليتيمة .. »

كان هذا اليتيم قد جعل لبركة في قلب امها مكانا ممتازا أطمأنت الى دفئه ونعمت بحنانه غير انها أصبحت يوما فاذا بنعيمها يتبدد ومكانها الممتاز تتقوض أركانه ، ويد جافية قاسية تخرجها من الدفء الى الريح الباردة الصارخة ..

فجأة ماتت الام ولم تترك لبركة سوى ذكريات الامومة الحانية وعربة الفاكهة الكسيحة ..

وبدأت الطفلة تحنى راسها وتنتظر عربات الزمن الطائشة . وتزوج خالها الذي كف بصره بامرأة شوهاء كانت تنافس أم بركة في تجارتها ليضمن لقمة العيش ومقعده في المقهى ، وسلم لها عربة الذكريات .

وارادت الزوجة أن تستعمل بركة فكلفتها بما لا يدخل في طوقها ان تعمله ولا يستطيع كيانها الصغير أن يحتمله ، فجأرت بالشكوى ولما لم يستمع اليها احد آثرت المراوغة وتجنبت السرعة في التلبية وطال هذا الامر بينها وبين هؤلاء الذين يريدون استعباد طفولتها الحرة حتى يئسوا

منها وتركوها ترك الاهمال ٠

وفرحت بركة بهذا ، ولكنها احست فجاة انها طريدة ٠٠

اهملها الجميع وبالغت ربة العائلة الجديدة فى الانتقام من بنت منافستها الذاهبة حتى اصبحت الغرفة الارضية التى يسكنوها ، السجن الذى تساق اليه بركة كلما ذخل المساء واضطرها برد الليل ان تذهب الى النوم كارها وتقلصت دنياها المحسوسة يوما بعد يوم ، ولكنها كانت اذا فرغت من لعبها وتناولت عشاءها الكافه الذى تلقيه اليها زوجة خالها القاء الكارهة ، قبعت قرب مقعد خريستو الخباز وتسللت بخيالها كالذاهلة الى دنياها الثانية حيث ترى نفسها مرة أخرى وقد صارت فى عالم كله حنان ورفق ورحمة ٠٠ احبت ركنها الصغير الذى تنتقل فيه الى هذه العوالم المحبوبة ٠٠ من هذا الركن كانت ايضا تشاهد ايضا كل ما يجرى فى تلك البقعة المزدحمة بالتجارب الصغيرة التى لا ينقطع صخب اصحابها ولا تنتهى حركتهم الا فى ساعة متاخرة من الليل ٠ فكان يحلو لها ان تراقب بائع الغازوزة وهو يزيح غطاء زجاجته للشاربين فيكون لها ذلك الصوت الضخم المثير وان تستمع الى المشادات الحامية التى تقوم بين زبائن المقهى وهم يلعبون الورق ويقامرون على المشروبات ، وان تضحك ملء فمها على السكارى فى الحانة الضيقة وهم يتمايلون كالاراجيح ويطلقون حناجرهم باصوات متهتكة يزعمونها لحناء شجيا ٠ ثم يدخل الليل دخوله العنيف ويثقل النوم جفون بركة فتقوم الى الغرفة المظلمة تدفع بابها برفق وخشية ٠٠ وترقد عند الاقدام٠

أما الليلة فالنوم لا يدعوها ، ولا هى تنوى ان تستجيب له اذا دعاها برفق او بشدة ٠ فرائحة الكعك الناضج الذى تذكره وتحس طعمه فى فمها تغريها بالبقاء ٠ كانت تامل ان يهبها خريستو واحدة ٠٠ واحدة من ذلك الكعك الكبير المكلل بالسكر المطحون ٠٠٠

وتاتيها طفلة من صويحباتها حرمت مثلها من حنان البيت وعطف الوالدين فى ليلة العيد ويذهبان فى حديثهما الساذج عن كل شىء فى نطاق دنياهما الصغيرة ٠ ولمحت الصديقة لهفة بركة على مخبز خريستو فذكرت هى الاخرى الكعك والفطائر وسالتها :

ـ هل ذقت هذا الكعك ٠ واشارت بيدها الى صفوفه المصفوفة فى واجهة المخبز فذهبت بركة تصف لها كيف كانت امها تصنعه وكيف كانت هى تاكله بعد ان ترش عليه سكرا ناعما فتغص به لنعومته فتحتاج الى جرعات متوالية من الماء ٠٠ فقالت صاحبتها وهى تبلع ريقها ٠

ـ «اننى لم اذقه ٠٠ لا ريب انه لذيذ جدا ٠٠»

فقالت بركة ـ «جدا٠٠» ونظرت الى المخبز نظرة طويلة ٠

وقالت الطفلة ـ « الى ماذا تنظرين ٠٠ هل تخبزين كعكا هذا العام ٠٠»
وكذبت بركة بسرعة ـ «طبعا٠٠»

فنظرت اليها صاحبتها فى حسد وقالت ـ «من صنعه لك ..»

«خالى ..»

ـ «الاعمى ..»

ـ «نعم ..»

« اتعطينى واحدة .. الست صديقتك ..»

واطرقت بركة . تمنت لو تنسى صديقتها هذا الطلب الغالى الذى لا تستطيع أن تحققه لها الا فى قصورها الخيالية التى تبنيها قرب خريستو وحين رفعت راسها احست بنظرة صاحبتها المتوسلة تخزها كالابر . تلفتت حولها فرات بنتا وحيدة تخرج من المخبز وعلى راسها الامل المنشود .. فقالت فجاة .

ـ « انتظرى ساحضر لك من كعكنا واحدة ..»

وعبرت الطريق خلف الفتاة الثقيلة الخطى وهى تنوى ان تخطف واحدة لو حالفها الحظ .

ووصلت المنزل فوقفت مع اهله تعاون فى انزال الصينية وغافلتهم ودست كعكة ساخنة فى جيب ردائها ثم تسللت فى هدوء الى الشارع ..

لم ينتبه احد الى فعلتها ، ولكن صاحبة الفطائر قالت لزوجها .

ـ « اننا لم نعط الطفلة شيئا فقد جاءت مع البنت وتعبت معنا .. انها بنت ام بركة بائعة الفاكهة عند باب الحارة »

وقال الرجل فى بساطة ـ «نسيت كنت منتبها الى العدد ..»

واخذ كعكة واسرع خلف بركة . ورآها على بعد فناداها فحسبته كشف سرقتها فركبها الذعر وانطلقت كالقذيفة تعدو حتى اختفت فى الظلام فاسرع يلحق بها ولكنه وقف فجاة فقد سمع أصواتا مذعورة ترتفع فجاة دفعة واحدة ثم ذلك الصفير المجفف الذى ينبعث من عجلات السيارة مسرعة يوقفها سائقها بغتة وتلا هذا صرخة الم ثاقبة .

وحين وصل الشارع كان الناس ملتفين حول الطفلة الصغيرة والدم ينبثق من صدرها كما ينبثق من نافورة مكسورة . وكانت تئن اناتها الاخيرة وتململت ، عندما حاول احد الرجال ان يسد جرحها الدامى بخرقة نظيفة .. ومد احدهم يده يخلص من اصابعها المتشنجة بقايا الكعكة المحطمة التى كانت لاتزال تقبض عليها ، فلم تلن له وسمعها تقول فى صعوبة وشدة .

ـ« هذه كعكتها .. »

ثم سكت قلبها الصغير ..

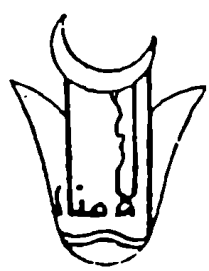

تفرغ الأدباء

لعل «الادب» ـ على راى الصحافة اياها ـ اسبق من تناول هذا التفرغ الادبى والفنى تناولا دارسا .. اذ نشرت فى عدد فبراير ١٩٥٩ مقالا للاستاذ نجيب محفوظ عنوانه « تفرغ الادباء » .. أبرز منه قوله : لو ضمنت لى الدولة مائة جنيه فى الشهر لقدمت لها انتاجى دون مقابل ..

وقد اختلفت نظرة أسرة الادب الى هذا الموضوع منذ عرض عليها المقال المذكور فقال ذو سن منهم : أنا لا أؤيد هذه الفكرة أبدا ، لانها تجنى بلا شك ـ على الروح الفنية ، وتفسد جوها الالهامى الحر ، ويضطر معها القلم الى ان يجرى ليسود صفحات بما لا يجد الاديب حاجة نفسية اليه ، ولا دافعا فنيا نحوه ، فيقول لأنه قد تعهد بأن يقول ، لا لانه يجد ما يقول .. واى جناية على «الادب» أقبح اثرا من أن يكون الادب شيئا غير وجدانى ! وحكى ذو السن لاصدقائه وبنيه انه عندما ظهرت مسرحيته الاولى منذ كذا وأربعين عاما ، ولقيت نجاحا طيبا على المسرح عرضت عليه شركة ترقية التمثيل العربى باسم المرحوم طلعت حرب أن تعطيه عشرين جنيها ذهبا كل شهر ويعطيها أربع مسرحيات فى السنة .. وكان هو فى ذلك الحين لا يمكن أن يزيد دخله عن جنيهين اثنين شهريا او جنيه ونصف ، كما كان لا ينتظر يوم تخرجه البعيد الا أن يعين فى الدرجة من ٨ ـ ١٢ اى بثمانية جنيهات لو ضمت اليها بقايا علاوات الغلاء التى خلفتها الحرب الاولى فى المرتبات لبلغ مرتبه احد عشر جنيها وقروشا .. واين هذا الدخل المامول من عشرين جنيها ذهبا ناجزة اليوم لبضع سنوات ، وقد تستمر الى ما بعد توظيفه فتقارب ضعف مرتبه المنتظر ..

لكنه رفض وقال لأصدقائه : لقد كان ردى على هذا العرض بسيطا وهو : من يضمن لى أن اخرج اربع مسرحيات فى السنة ! وهل انا اغرف من بئر ! .. انه تجل .. انه الهام .. انه دائما ليس الا شيئا من هذا الصنف .. والفن بهذا يشبه ما يقول اهلنا عن صبد السمك : انه رزق غيبى ..

تلك ـ بكل بساطة ـ هى ذكرياتى القديمة ، التى تنبعث عنها مشاعرى الحاضرة ـ وتؤكدها تجربتى الممارسة خلال الكذا والاربعين عاما بعد ذلك .. وعنها ينبعث اول راى لى ، بل أول احساس نحو هذا التفرغ ، الذى يعرض له فى مقال اليوم ..

وانتم يا اصدقائى تعرفون رايى فى الادب الموجه ، وانكارى البات له .. وما كتبت على يديكم من أن الفنان سيد .. غير منازع .. فهو لا يساد ، ولا يقاد ـ فاذا تفرغ فتلك اشد صور التوجيه !

على انكم لو تركتم كل هذا تذكرتم اول ما تذكرون اسبق هدف لكم ، وطليعة اهدافكم وهو : الا يكون الفن ارتزاقا ·· الخ ما ساقه ذو السن من قول فى تاييد رايه المخالف لفكرة مقال « تفرغ الادباء » للاستاذ نجيب محفوظ ··الذى ارسل للنشر احتراما لحرية الراى··وتواعد الامناء، ان يكيبوا فى هذا الموضوع منكرين ومؤيدين··واعلنت هذا شخصيات مختلفة منهم ، من ادباء متخصصين، او ادباء هاوين يمارسون شئونا هندسية وعملية وغير ذلك ·· وكان الذين وعدوا بالكتابة فى موضوع التفرغ ، واثارته على دائرة واسعة ، اكثر من اربعة اشخاص ·· وترقبت سكرتارية التحرير ما يرد بهذا الشان ، لتقدمه للنشر عملا بهذا القرار ·· فاذا كل واحد من السادة ينتظر صاحبه ·· او يترك له الكلمة الاولى ، فلا ينزل شىء لعدد مارس ··

وتتجه العناية الى موضوع « التطور الادبى والفنى » الذى افرد له عدد ابريل وامتدت آثاره الى عدد مايو ·· وغمرت الحوادث موضوع التفرغ حتى اخرجت وزارة الثقافة والارشاد القومى بنشاطها الموفور نظام التفرغ الادبى والفنى الى حيز التنفيذ ·· ووضعت له اللائحة التى ننشرها فيما يلى بنصها ، لنفتح بذلك الباب للتعقيب على هذا النظام استفادة منه باوسع حدود الاستفادة فى التشجيع الادبى ، مع اتقاء ما يمكن ان يصحبه من خطأ قهرى فى التنفيذ لايسهل اتقاؤه ·· او سوء اثر على حياة المتفرغين حين يخشى ان يسددوا خانات وفاء بالالتزام ·· او حين تتورط اقلامهم فى غير تنبه الى ما لا خير فيه للفن والحياة ·· او ·· او من احتمالات اخطار لهذا المشروع يجب اتقاؤها ·

و « الادب » تعطى المكان الفسيح فى صفحاتها لما يكتبه اصحاب الراى عن هذا التفرغ وتضع تحت نظرهم :

اللائحه الداخليه لمنح التفرع

اهداف منح التفرغ

مادة ١ ـ الغرض من انشاء منح التفرغ هو :

ا ـ تمكين المتازين من الفنانين والادباء ورجال الثقافة من التفرغ للانتاج بعيدا عن العوائق المادية والاجتماعية ، التى تعترضهم وتحد من انتاجهم الفنى ·

ب ـ مساعدة الموهوبين الناشئين من الفنانين والادباء ورجال الثقافة على استكمال تكوينهم الفنى او الادبى او الثقافى ·

مادة ٢ ـ الاشراف الفنى :

تشكل لجنة تسمى «اللجنة العامة لمنح التفرغ » من خمسة عشر عضوا يختارون من كبار الفنانين والادباء ورجال الثقافة ومن بينهم خمسة اعضاء يمثلون الفنون الجميلة منهم مدير الادارة المختصة فى الوزارة ومدير ادارة الفنون التعبيرية ومدير ادارة الثقافة العامة ، وتنقسم اللجنة العامة الى ثلاث لجان فرعية يكون مدير الادارة المختص

بالوزارة مقررا لكل لجنة من هذه اللجان ، على ان تجتمع اللجان الفرعية على هيئة لجنة عامة ، للبت فى توصيات اللجان الفرعية .

تختص هذه اللجنة : بتنظيم اغراض كل منحة وحدودها ، ووسائل الاستفادة منها واختيار المرشحين لعضوية التفرغ .. وتقدير مكافآتهم ، والاشراف على اعمال العضو المتفرغ ونشاطه الفنى .

ويصدر بتشكيل هذه اللجنة وتحديد اختصاصاتها قرار من وزير الثقافة والارشاد القومى ولا تكون قرارات اللجنة العامة لمنح التفرغ نافذة الا بعد التصديق عليها من الوزير .

مادة ٣ ـ عضوية منح التفرغ :

يشترط فى المرشح لعضوية التفرغ :

١ ـ ان يكون متمتعا بجنسية الجمهورية العربية المتحدة عن المواطنين بالاقليم الجنوبى .

٢ ـ ان يكون اما من الفنانين او الادباء او رجال الثقافة الممتازين ، واما من الناشئين الموهوبين فى ميدان الفن او الادب او الثقافة .

٣ ـ ان تزكيه احدى الجهات الآتية :

ا ـ هيئة من الهيئات الفنية او الادبية او الثقافية المعترف بها .

ب ـ ثلاثة من كبار الفنانين او الادباء او رجال الثقافة بشرط ان يكونوا من ذوى الاختصاص الواحد .

ج ـ ادارة او هيئة او مصلحة تابعة لوزارة الثقافة والارشاد القومى .

مادة ٤ ـ تقوم اللجنة العامة لمنح التفرغ ببحث طلبات المرشحين لعضوية التفرغ وتختار من بينهم من تجد فى اعماله واستعداده الصفات التى تحقق الغرض من منح التفرغ . ويصدر بمن يقع عليه اختيار اللجنة قرار من الوزير .. ويتضمن القرار تحديد منحة التفرغ وطريقة الانتفاع بها والغاية منها وحدودها .

مادة ٥ ـ مدة منح التفرغ :

مدة المنحة سنة واحدة قابلة للتجديد لمدة اخرى بقرار من الوزير بناء على توصية اللجنة العامة لمنح التفرغ وبشرط ان تكون قد حققت فى السنة المنتهية النتيجة المرجوة منها .

مادة ٦ ـ واجبات العضو الحاصل على منحة التفرغ والاعمال المحرمة عليه :

١ ـ يحرم على العضو الحاصل على منحة التفرغ الاشتغال باى عمل آخر اثناء مدة المنحة .

٢ ـ لا يجوز للعضو الحاصل على منحة التفرغ ان يتصرف فيما انتجه أثناء مدة العضوية بالبيع او العرض او بالنشر او باية وسيلة اخرى ، الا بعد انقضاء ستة شهور على انتهاء مدة المنحة ويكون للوزارة بعد هذه المدة الاولوية فى التعاقد معه على نشر انتاجه او عرضه او بيعه او التصرف فيه باية وسيلة اخرى

٣ ـ على العضو ان يقـــدم للوزارة فى نهـــاية مدة المنحة ثمرة جهوده فى هذه المدة ٠

٤ ـ على العضو بمجرد صدور القرار الوزارى باعتماد ترشيحه أن يقدم اقرارا بقبوله الشروط والالتزامات المنصوص عليها فى هذه اللائحة ٠

مادة ٧ ـ لاينظر فى اى طلب بالتفرغ مقدا بالحصول على درجه علمية أو شهـادة من أى نوع ولا يجوز للحاصل على منحه أن يقدم انتاجه الى هيئة علميه بقصد الحصول على درجة او شهادة علمية ويكـون العضو الحاصل على منحة ملزما برد قيمة ما حصـــل عليه اذا خالف هذا الشرط ٠

مادة ٨ ـ المكافآت :

يمنح العضو الحاصل على منحة التفرغ مكافأة شهرية تقـدرها اللجنة العامة للمنح فى الحـدود الآتية :

١ ـــ من ٣٠ ج الى ٥٠ ج للناشئين ٠

٢ ـــ من ٥٠ ج الى ١٠٠ج للممتازين ٠

ويجوز لوزير الثقافة والارشاد القومى منح منحة التفرغ لرواد الثقافة والفنون بشروط أخرى

واذا كان العضو الحاصل عـلى منحة التفرغ موظفـا ورخص له باجازة دراسية بمرتب أو بمكافأة من الجهـة التى يعمل بها وكان هذا المرتب أو المكافأة دون المنحة المقررة له دفعت له الـــوزارة الفرق بين مرتبه أو مكافأته وبين المنحة المقررة له ٠

مادة ٩ ـ انهاء المنحة : ٠

اذا ارتكب الحاصل على منحـة التفرغ عملا مخلا بالامـــانة أو الشرف أو أمرا يتنافى ومـــواد هذه اللائحة جاز انهاء المنحـــة بقرار من الوزير ٠

الفائز : عبد الرحمن فهمى

الذى عرفه قراء « الأدب » فى قصصه مثل « تحت الحذاء » و « تراب » و « المعلم الاول » وغيرها ، وبلغ من تقديرها ان طلب كبير من اســـاتذة الادب الانجليزى بجامعة الاسكندرية موافقة « الادب » على ترجمتهـــا الى الانجليزية

وقد فاز الاخ عبد الرحمـــن فى مسابقة اتمام قصة الرئيس جمـال عبد الناصر باحدى الجائزتين الاوليين ٠٠ فتستأذن « الادب » قـراءها فى نهضة احد افراد الاسرة ٠٠

بين الاذاعة .. ومستمعيها

كتب أحد القراء الكرام الى « الادب » أكثر من مرة بتوقيع «المغصوب على السمع» يشكو من « اذاعتنا » فيقول مرة : انها اذاعة متخلفة تعيش فى عهد الابل .. ويقول مرة انها متأخرة .. وانها تذيع ما يكاد يكون لغوا ، بفوات مناسبته وعدم تهيىء أحد لسماعه ...

ويخاف على الاذاعة من يخاف .. ويخفف عنها النقد من يخفف .. ولذلك وسائل مختلفة ، لكن الامر أشد أهمية من ان يتأثر بشيء من الخوف او التخفيف .. لأن هذه الاذاعة مصدر اشعاع توجيهى وثقافى أوسع دائرة وأبعد تأثيرا من كل ما يملك المجتمع من مصادر الاشعاع والتأثير .. فالاذاعة أوسع دائرة وأبعد أثرا من المدارس ، والمعاهد ، والجامعات على تعددها ، وتنوعها وكثرتها- لأن المستعدين للاصغاء اليها والمعرضين للتأثر بها هم التلاميذ والطلاب فى تلك المعاهد كلها .. مضافا اليهم أضعاف أضعافهم .. من مثقفين وغيرهم .. وساعات المحاضرات أو الدروس لا تصل الى نصف ساعات ارسال الاذاعة ووسائل الايضاح ، وطرق العرض فى الاذاعة أكثر . وأقرب .. وأشد

والاذاعة أوسع دائرة .. وأبعد تأثيرا من الصحافة .. مع كل ما يحسب للصحافة من انتشار وتغلغل .. ولفت .. وذلك لان الاذاعة بحيث يسمعها ضعاف أضعاف الذى يقرءون جيدا أو رديئا من الأمة والسماع يهيىء من أسباب التأثير أكثر مما تستطيع العين ان تجد فى الصحافة أو المقروء مطلقا من تنسيق أو تصوير - أو تكوين .. وما الى ذلك .. لأن سهولة التلقى وصحبته أولا .. ثم الصوت ومؤثراته .. وملقيه .. وما يجسم من قوة تأثير لعبارة أنفذ الى النفس .. وأشد لفتا لها .. مما يقرؤه القارىء .. وهو منصرف النفس - او غير مجيد .. لا يحسن الفهم .. أو ما سوى ذلك مما يحتف بظروف القراءة .

والامر فى سعة دائرة الاذاعة ، وبعد تأثيرها أوضح من أن يحتمل أكثر من «الادب» من أمر الاذاعة . وما تحرص عليه من الا يكون لأى نوع من العوامل يد فى منع ما يرد دفع الاذاعة له من يقظة .. واستجابة لواقع الحياة .. ومسايرة لركب التطور - ووفاء بحاجة مجتمعنا الديمقراطى .. الاشتراكى .. التعاونى .. على ما يتردد من تلك الاوصاف الباهرة .

ومن هنا نشرت « الادب » ما جاءها من رسائل القارئ الكريم فى نقد الاذاعة مهما اثرت الظروف فيما نشر من ذلك ، فقللت وضوحه او وقعه ..

ثم من هنا ما اريد ان ادخل فيه الآن من توسط بين اذلاعة ومستمعيها لاقول للناقد حين يصدق ولا يتجنى انك محق .. ولاقول للاذاعة حين تتخلف وتؤخر انك تضيعين على المجتمع خيرا كثيرا .. جدا .. جدا ..

ولى من قديم العهد باذاعتنا ما قد يجعل لى الحق فى أن اقول هذا شيئا اطمئن الى صوابه ، ويطمئن قارئه الى مثل هذا الرأى فيه .. فانى منذ كذا وعشرين عاما اتصل باذاعتنا اتصالا مختلف الصور ، من استماع .. الى اصغاء .. ومشاركة فى نشاطها الصحافى ، على اختلاف صوره .. مع عناية بمعرفة العمل الاذاعى عند الامم المختلفة التى تقدمتنا فى هذا الميدان .. والتى نقتفى اثرها فيه دون غضاضة على انفسنا فى ذلك .

وكل اولئك المعانى اشعر ان شيئا ينبغى ان يقال عن اذاعتنا .. وقد يكون فيما قاله « المغصوب على السمع » كل المعنى المفيد فى هذا الباب .. وربما لا يكون الكافى الملائم .. وان كنت انا شخصيا ـ اميل الى ان وصف اذاعتنا بالتخلف .. والتاخير يحوى الكثير الجم من المعانى التى ينبغى ان نقولها نقدا لهذه الاذاعة .. وطلبا لحياتها ـ واحيائها ـ

ومن عادتى ان يكون نقدى دائما اجتماعيا عاما .. لا فرديا شخصيا ـ وفى هذا السبيل اشعر بأن لى ان اقول كل ما يقال من الناحية الاجتماعية ، ما دامت المسالة مسالة مبدا وحقيقة عامة .. ومن السفور بهذا المعنى احسست ان كلمتى « المغصوب على السمع » تنبعثان عن احساس صادق .. يضع الامر موضعه الاجتماعى العام دون غيره ..

واكبر المعنى واجله : ان الاذاعة تجاوب متصل مع التطور الاجتماعى والتقدم الذى تتطلع نحوه الامة وتسير اليه .. وتشعر بأن فى طريقها عقبات .. وبين ابنائها انفسهم متخلفين يسيرون متثاقلين ، ويعتقدون مع الخطأ كل الخطأ ان عليهم تعويق هذا الركب الذى يخشون خطر اندفاعه ـ مثلا ـ او يعتبرون تقدمه فى هذا الطريق شرودا .. او ضلالا .. او كفرا .. او ما يشبه هذا مما تحسبه الرجعية صوابا .. وتعتبره خيرا .. وتعده جهادا .. وهى مخطئة !!

وعلى هذا تكون الاذاعة مطالبة بضرب من اليقظة الالمعية .. وابصرة النفاذة المستشفة لترى فى وضح النهار ، وتحت النظارات المقربة ، والمكبرة ، ما فى حياة قومها من عوامل مشجعة .. واخرى مثبطة ، خطا .. وعن حسن نية .. وعن هذه المعرفة تجنب آذان الناس وعقولهم وقلوبهم تلك الاصوات التى لا خير فى ان ترتفع ، وتتردد اصداؤها ... ومن هنا ترى اهمية عمل الاذاعة .. بل بالغ خطورتها فى الحياة ـ وعنف الاثر الذى تتركه فى سير الحياة .. ما دامت الاذاعة تستشف ، وتميز .. وتفرق بين عوامل التطور الصالحة .. ومعوقات التقدم الخاطئة ..!!

وانها لمنزلة كبيرة .. بل كبيرة جد .. ومهمة اشد خطرا مما تقدر من مهمة اى رائد .. او قائد .. او مصلح . او موجه .. فى اى عصر .. انها لكبيرة

لا على الصابرين .. الصادقين .. المقدمين .. بل المضحين أحيانا .. ولأجل ذلك تكون المعذرة .. ويكون تخفيف الوقع .. ويكون تهوين الامر .. لانه ليس من اليسير الى هذا الحد أن نجد الفرد .. بل نجد الجميع .. والهيئة والمجلس الذى يتاح له من هذا التقدير العميق .. النزيه البصير الجرىء ما يفرق فى وعى وخبرة بين تيارات التقدم والاصلاح المخلص البرىء .. المؤمن .. وبين تيارات السذاجة .. والبساطة التى تردد عبارات الاصلاح .. وشعارات التقدم .. لكن فى غفلة بسطحية .. أو عن فساد طوية .. وسوء نية .. واذا كان هذا الاشتباه مما قد ينخدع فيه الحس الشفاف ، والعين الفاحصة .. فكيف بغير هؤلاء .. انها كما قلت ، لكبيرة .. وكبيرة .. على الاذاعة ..

ياسيدى المغضوب على السمح : ان ما شعرت به من أهمية الاذاعة .. وجلال قدرها .. وبعد أثرها صحيح صحيح .. وان تحقيق هذا الهدف كذلك دقيق .. دقيق .. وأن الظفر بمن يستطيع هذا التحقيق فى يقظة جليل جليل .. فاعذر الاذاعة فى كل ما تراه ، وقد تظل تراه طويلا من تخلفها وتاخيرها .. وادع الله لها ولذوى الشأن فيها أن يظفروا بما قد يحقق ذلك ، ويصيره واقعا تشترك به الاذاعة فى ركب التطور الموفق .

وأوشك أن اندفع لاحدث القارىء عن غير مشروع وغير اقتراح أعرف انها قدمت للاذاعة فاذا بها — فى طبب قلب — تردها مناهج طفلة ساذجة .. وأركانا طنانة .. رنانة .. لكنها فى ادراكها المتطلع متخلفة متأخرة — ومأخرة ..!!

وخلاصة موقفى بين الاذاعة ومستمعيها : اننى عاذر .. اكثر مما انا لائم — وانى مع ذلك آمل .. بل آمل جدا جدا .. لا يائس ابدا .

ا . الخولى

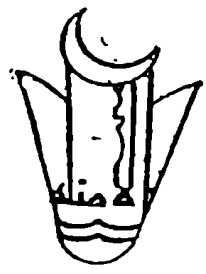

نقد الكتب

ضيف من الشرق

مجموعة قصص — تأليف فاضل السباعى

شىء مألوف فى العنوان أغرانى بقراءة الكتاب ، وليس هذا الشىء على التحقيق ، أنه ذكرنى بعصفور من الشرق لتوفيق الحكيم ، فايحاء كل منهما يختلف بقدر ما بين « ضيف » و « عصفور » من بعد ، فلعل مبعث الألفة ، أننى لكثرة أسفارى ، أقضى شهور الصيف غالبا، ضيفة من الشرق .

و « ضيف من الشرق » عنوان لمجموعة من قصص ثمان . والمألوف عندنا فى مثل هذه المجموعات القصصية أن يختار عنوان القصة الاولى ، للمجموعة كلها . لكن الاستاذ فاضل — على غير المألوف — آثر أن يعطى مجموعته هذه ، اسم القصة الثامنة والاخيرة منها . وهو لم يذكر لنا سبب عدوله عن مألوف عادة أمثاله من كتاب القصة القصيرة ، لكنى ارجح أنه انما أراد أن يحتفظ للقارىء بتأثير القصة المختارة ، ومن أجل هذا ، استبقاها الى نهاية المجموعة ، لتكون آخر ما يطالعه القارىء .

ولكن ، هل هى حقا ، خير القصص الثمانية ؟

لو ترك لى الحكم عليها ، لجاء ترتيبها السادسة — على افضل تقدير — وهذا يلفتنى الى ما وجدت من تفاوت الشعور ، بين قصة وأخرى ، الى حد قلما وجدت مثله فى مجموعة أخرى . ومرجع هذا أن قصص ضيف من الشرق ، تفاوتت — فى تقديرى — ما بين القمة العالية والمهبط الدانى .

ولا أريد أن أتعجل بيان هذا التفاوت ، قبل أن أسجل ظاهرة عامة لا يخطئها القارىء فى أية قصة من المجموعة ، وهى ظاهرة التفاؤل

برنامج نادى الشاطئ

والايمان بالخير ، تلقانا حتى فى أحلك المواقف حين يوشك اليأس أن يغلب.

وأختار هنا مثلا واحدا ، يوضح بجلاء الى أى مدى يسيطر التفاؤل على الكاتب :

ففى قصة « ذقون فى الهواء » نرى حلاقا فقيرا يكافح من أجل استرداد مبلغ له فى الديوان ، فيقضى الساعات متنقلا من مكتب الى مكتب ، جريا وراء حقه ، والوقت يطير ، وتطير معه ذقون كانت تنتظر الحلاق على الرصيف .

وكانت القصة بحيث تنتهى عند هذا ، لكن الكاتب أبى الا أن يضيف اليها « زائدة » ديوانية هذا نصها :

« حاشية » : بعد أن عاد المواطن ابراهيم شيخ الحلاقين الى عمله ، حكى ما جرى معه الى أستاذ محام كان يتردد على صاحب الخان ، فابدى عجبه مما كان ، وافهمه أن هذه أمور ينبغى ألا يسكت عنها ، وحضه على اخبار النيابة العامة فانها الساهرة على حسن تطبيق القوانين ، وهى ترحب بكل شكوى من هذا القبيل.. وصحبه الى هناك حيث قص حكايته جميعا ، فضرب على أيدى المسيئين بيد من حديد » !!

ولا حاجة لى بعد هذا الى ذكر أمثلة أخرى ، فليس وراء « الضرب على أيدى المسيئين بيد من حديد » من مطلب .

وقديما قيل لجرير : « أفسدت شعرك بهوزع » والروم أقرن للاستاذ فاضل : أفسدت قصتك بهذه الزائدة التى سميتها حاشية !

وملحظ آخر أسجله للاستاذ فاضل ، وهو أن خمس قصص من مجموعته ، لا تدور حول العشق والغرام ، ولا شك أنها شجاعة من الكاتب ، تعوز كثيرين من كتاب القصة عندنا ، حيث يلجئون عادة الى « كيوبيد » ليغطى شعورهم بالنقص وفقرهم فى المشاعر ، وليسد الفراغ النفسى الذى يحسونه وهم يعالجون القصة !

أجل هى شجاعة ، مصدرها فيما أرى ، خصب الشعور وغنى الوجدان وطواعية القلم . وأقوى ما يبدو هذا فى قصة « الشمس تشرق من جديد » التى لا أتردد فى الحكم لها بالتفوق والامتياز على قصص المجموعة كلها ، لا أستثنى منها قصة « ضيف من الشرق » التى آثرها الأديب واختار اسمها عنوانا لمجموعته .

والقصة تصور موقفا لشيخ مقعد، يؤويه ماجا العجزة مع زوجته بعد أن حطمهما الزمن. وقد ظل المسكين يقسو على زوجته ، ويغيظه أن يراها تتحرك أمامه على ساقيها ، وهو عاجز عن الحركة . ويغيظه أكثر ، أن يرى الموتى من نزلاء الملجأ ، يزيدون فى الاحصاء على من يتخطف الموت من النزيلات . ولم يكن يدرى أن زوجته تسمم بداء القلب ، حتى ماتت بغتة ، فاذا الدنيا من حوله موحشة ربداء ، واذا هو يحس فجأة ، فيخما من

مشاعر الحب والألفة والحنان ، نحو هذه الراحلة الغالية التى لم يسعدها فى شتاء حياتها بكلمة حنان تدفىء شيخوختها المريضة • ويظل يحدق فى الفضاء ، عبر النافذة المواجهة لفراشه ، شقيا محزونا ، يتمنى لو عادت الراحلة لحظة واحدة ، ليفضى اليها بما يملأ قلبه من حب لها ، وليمسح بأنامله الواهنة ، تلك الدمعة التى طالما رآها تنحدر فى صمت من مآقيها الكليلة ، فتتلقاها بكم ثوبها •

وتأخذه غفوة من نعاس ، فاذا هو مع زوجته الحبيبة فى حياة أخرى ، بلا مرض ولا قسوة ولا خوف ، فلا ينسى — وهو فى غمرة سعادته — أن يحدق فى كم ثوبها ، ليرى ان كان فيه أثر بلق من دموعها !

والقارىء يرنو مبهورا الى الشيخ فى عطف مستثار ، وقد نفذ الأديب الى أعماق وجدانه البشرى بما يطوى من مشاعر متناقضة وعوالم غامضة •• هناك فى الصميم ، حيث يلتبس الحب بالبغض حينا ، وبالأنانية حينا آخر ، وحيث يغلف الحنان بقناع من الجحود والنكران والضجر، لا يلبث أن يتمزق بددا أمام صدمة الموت بما يعقبه من حرمان طويل طويل ، وما يعنى من فراق مر لا لقاء بعده فى هذه الدنيا •

ومع هذه القصة ، قصص أربع أخرى : « ذقون فى الهواء ، وحياة جديدة ، وصورة الشيخ العجوز ، والأكذوبة » ، يبدو فيها الاستاذ فاضل فى أفضل حالاته ، ويبلغ أرقى مستواه ، على حين يخطئه التوفيق فى القصص الثلاث الاخرى • ونقطة الضعف فيها جميعا ، أن بطلاتها اناث ، وقد أعوزت الأديب فيها المشاركة الوجدانية التى تتيح له معاناة التجربة ولو على وجه التمثل • وهذه المعاناة هى جوهر العمل الفنى وسر حيويته وأصالته •

فالقصة الأولى « الصيت والحب » يمكن أن تكون شيئا آخر غير القصة ! •• انها معالجة ساذجة لفكرة شائعة مبتذلة ، وأعنى بها حيرة الفتاة الجديدة بين الصيت والحب • ولم يفعل الكاتب فيها ، أكثر من الجمع بين فتاة مشهورة طامحة عالية المكانة ، وبين شاب مثقف مغمور جاء يعمل مرءوسا لها ، واقتصر دور الكاتب على أن يهيىء لهما فى مكتب الرئيسة ، فرصة الألفة وجو الصداقة ، لكى تتخلى الفتاة فى سرعة مذهلة ، وببساطة لا تصدق ، عن طموحها وأمانيها ، وتزهد فى الصيت والمجد ، مكتفية بمرءوسها الفتى ، دون أن يبدو أنها عانت فى هذا الموقف أى عسر من اجهاد الحيرة وعناء التردد !

وقصة « الموعد الازوردى » — ودعك من هذا اللفظ الثقيل — تعالج موقفا مكررا مبتذلا كذلك ، وقف صبية فقيرة حسناء تلجئها الضرورة القاسية الى العمل فى احدى المؤسسات ، فيعجب بها المدير ويضرب لها موعدا عند البحيرة الازوردية • وهناك

نراها قد جاءت مبكرة تنتظر ، وتحدثنا عن خواطرها المشحونة بالشوق واللهفة . واعجب مافى الموقف ، أن الصبية الغريرة لا تشعر فى أول موعد غرامى لها ، بغير الشوق واللهفة والفرح ! ولا يساورها ادنى خوف أو اضطراب أو ارتباك أو سوء ظن ، مما تفرضه طبيعة الموقف على فتاة شرقية ، عربية ، من بيت فقير محافظ !

وثالثة القصص - أو الاخيرة منها - هى التى تحمل العنوان اللافت « ضيف من الشرق » ويصور بها الأديب موقف لقاء على غير موعد، بين شاب حلبى ذهب الى ألمانيا ، وبين زوجة صديق له ألمانى تعرف به قبل عام ، حين كان هذا الصديق يجوب آفاق الشرق فى رحلة مغامرة . وفى بيت الالمانى ، التقى الضيف الشرقى بالزوجة الحسناء التى طالما حدثه صاحبه عنها وحدثها عنه . وفى انتظار عودة الزوج من عمله ، أخذ الضيف يتملى مفاتن الشابة ، ثم فوجىء بها تغيب لحظة ، لتعود وقد استبدلت بثياب النهار ثياب الليل ، واقبلت عليه تستجدى ساعة متعة ، وتشكو قسوة زوجها المشغول عنها برحلاته التى تمتد الواحدة منها عاما أو عامين ! ولكن الضيف يلقى عليها محاضرة خلقية طويلة ، فى حفاظ الشرقى ووفائه وايثاره الهلاك على أن يخون صديقا له ، ثم لا يكاد ينتهى من محاضرته حتى نرى هذه المتهالكة على الالمانى تستجديها فى ذل مجنون من ذوى طارق ، قد تأثرت بخلق الضيف الشرقى وعلوها رشدها الذى ضاع منذ لحظة ، وكان الظن به ألا يعود ...

والصورة كلها - صورة حواء - مهزوزة الى حد أليم ، فمثل هذه المرأة التى تعرض نفسها على ضيف غريب فى أول لقاء ، لا يمكن أن تكون تعرضت لحرمان طويل ! وهل عز عليها أن تجد من يؤنس وحدتها عندما يغيب زوجها لعام أو أكثر من عام ، لتاتى آخر الامر فتلتقط هذا الضيف العابر ، وزوجها قريب منها قد أعدت له الغدر ؟!

ثم كيف يعقل أن ترتدع مثل هذه المتهالكة على اللذة ، لمجرد سماعها موعظة الضيف ، وهى فى خلوتها به شبه عارية ؟

وأظن القارىء بعد هذا ، يستطيع أن يفهم سبب ذلك التفاوت البعيد ، بين هذه القصص الثلاث ، وبين القصص الاخرى التى لخصنا احداها، والتى يرجع سر امتيازها ، الى أنها ليست من دنيا حواء الخاصة ! فالكاتب فى قصة « الشمس تشرق من جديد » وأخواتها ، أديب أصيل فى ذروة اقتداره الفنى . أما صور لحواء ، فمهزوزة ساذجة ، بادية التكلف والغرابة .

فمن ارتاب فى هذا ، فليقرأ قصة « الصيت والحب » لفاضل السباعى ، قصة « الظل الكبير » لسديرة عزام ، ليدرك الفرق الرهيب بين معاناة أصيلة فى أوج حيويتها .

وبين تناول سطحي ساذج ، بلا حرارة ، ولا شبه عمق !

اقول هذا وانا اقدر ما فيه من قسوة المؤاخذة وصرامة النقد ، لكن يشفع لى اننى انما اعبر عن راى لى خاص ، غير متاثرة فيه الا بحكم الوجدان .. وليس يضير الاستاذ فاضل، أن أراه يجيد نوعا من القصص ويخطئه التوفيق فى نوع آخر ، فليس ثبات المستوى شرطا فى الفنية ، وحسبنا من الاديب الحلبى ان يتجلى ابداعه فى مجال من هذا الفن الصعب ، قل من كتاب القصة عندنا من بلغ فيه ذلك المدى من الاقتدار .

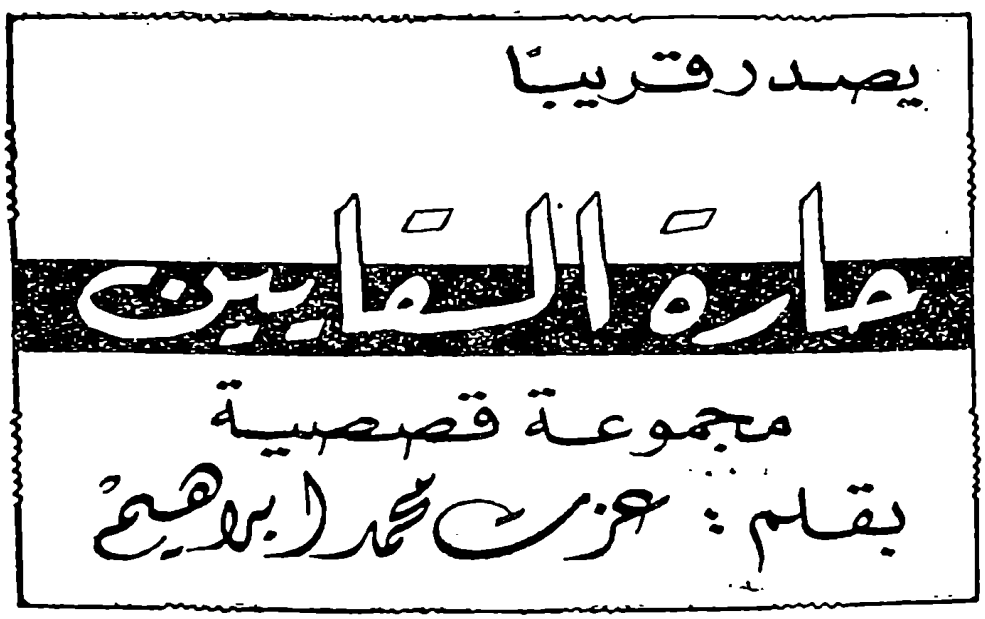

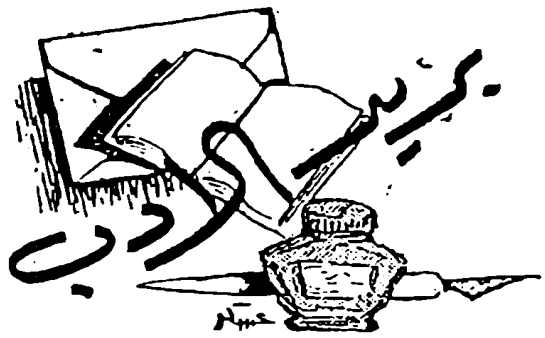

نقد الشباب

نقدنا للشباب .. أو نقد الشباب لنا كذلك .. نريد المعنيين على السواء .. وسلوك « الادب » الفنى نحو النقد .. ونحو الشباب معروف، قد تقررت معالمه .. « فالادب » تؤمن بالنقد ايمانا خالصا اصيلا .. وتعده دينها الفنى .. وترجو وتأمل أن يكون عملها فيما مضى ، وفيما يأتى صادرا دائما عن هذا الايمان مؤيدا به .. وأن تتقدم ـ فى شجاعة ـ لتنقد ما ينبغى أن تنقده .. كما تتقدم ـ فى رضا ـ لتتلقى ما ينبغى أن يوجه اليها هى من نقد .. وتنشره وتفيد منه .

و «الادب» تؤمن بالشباب ايمانها بنواميس الحياة .. وتراه صاحب الغد المحتكم ، الذى اليه تنتهى كل الحقوق ، وبه تعقد كل الآمال ، فى وجودنا .. وفى سبيل خيره يبذل كل شىء .. ويتجه كل عامل .. وبمستوى قوة الشباب وسلامته تقاس الامة وسلامتها ويتحدد مستقبلها .

و « الادب » حين تؤمن بالنقد هذا الايمان القوى .. وتؤمن بالشباب ذلك الايمان المخلص تعرف ما يجب أن تحتمله فى سبيل الابتلاء ، وتتلقاه من الايذاء .. وتصبر على ذلك وتتقى ، غير ضجرة بشىء منه ، ولا شاكية .. أبدا .. ولن تشير من ذلك الا الى ما لابد منه لخير الشباب نفسه ، وفى سبيل سلامته .. ومن أجل هذه الغايات الكريمة تعتب على بعض الشبان ، أو تشهر اخطاءهم .. فى شىء من حزم .. أو شىء يرونه هم قسوة .. وقد دلت التجربة على أن شبابنا ـ أصلحه الله ـ يغضب .. ويجمح .. ويعنف على بعض ما تقول «الادب» فى هذا الشأن ، لكنه لا يلبث أن يدرك الحق .. ويرجع راضيا مستفيدا ، بل شاكرا أيضا .. فلا يسوء «الادب» ولا يسخطها أبدا ما جمح فيه الشباب .. من قول أو فعل ـ وما عنف من ذلك .. أو نبا .. ولعل القراء يذكرون غير واحدة من هذه الحوادث حملتها صفحات « الادب » اليهم .. وبخاصة فى هذا

الباب ـ باب البريد ـ ولعل ما لم يتناه الى القراء خبره من ذلك الجموح ، او العنف الشباب لا يقل عما عرفوا منه .. وقد قوبل من « الادب » بالصبر .. او بالصمت .. او التسوية بغير النشر .

ونحن نعد هذه الحوادث امارات حياة في الشباب .. وفي « الادب » جميعا اذ بها يشعر الشبان بحقوقهم ويطلبونها في جد .. وتشعر « الادب » بأثرها فيهم وثباتها على مبادىء تدعوهم لها .. وتروضهم عليها .. والخلاف دائما امارة وجود ، ومظهر نشاط .. مهما تحط به أخطاء او تضع بسببه فوائد .

وعلى هذا الاساس من النظر .. والتصرف .. تحب «الادب» وتتمنى ان يؤمن الشباب بالنقد مثل ايمانها به .. بل يؤمن الشباب بنفسه هو مثل ايمانها هي به .. كما تطمع وترجو ان يستفيد الشباب من خطئه .. بل من خطأ «الأدب» نفسها الاستفادة الواعية الحكيمة من الخطأ ... وبالشجاعة الكريمة في الرجوع الى الحق ... وقبل ذلك كله تحرص «الادب» وتصمم على ان يكون مستوى نقدها .. ونقد الشباب لها مستوى رفيع الاسلوب ، طاهر القلب ، بارىء السريرة .. كريما مترفعا .. لقد يضطغن فيه العقل .. ولكنه لا يضطغن به الصدر ابدا .. وهي تلقى الشباب بهذا .. وستظل تلقاه بهذه الحال مهما يزل له قلم او يشتط له تعبير .. مع حرصها دائما على أن تؤاخذ نفسها ، ويؤاخذها الشباب بكل كلمة تقولها ، في غير هوادة ولا تساهل ، ليجد الشباب حلاوة التسامح معه فتخف حدته وسورته .. ويجد في الوقت نفسه الدقة والاستعداد للمحاسبة فيألف هذا ويحاول أن يأخذ نفسه به .

وتمادى بنا الحديث عن نقد الشباب .. لأنه الحديث المحبب عن احب الاشياء .. واكرم الاهداف .. وقد مهدنا بذلك كله لننشره في جو التفاهم مع شاب قد جاذبته « الادب »الحديث غير مرة ، في هذا الباب ، فكان بينها وبينه ما يكون بين كل ذوي نظرتين .. وكان منه ما يكون ـ عادة ـ من عبارات الشباب ، غير المتريثة ، فكان من « الادب » ما يكون دائما من الرغبة الاكيدة في الاغضاء .. والارضاء ايضا .

وقد كان من هذا الشأن ما كان في عددي مايو ويونيو ، لهذا العام ، من حديث عن اللغتين .. وما جهرت به « الادب » أخيرا ـ في شيء من حزم ـ لأولئك الذين يحسبون القول الفني في اللغة العامة يسيرا هين الشأن .. ويريدون أن يحسبوا منه ما يكتبون من لحن .. وخطأ .. ويطالبون « الادب » بأن تنشره، وتحسبه عملا أدبيا .. وكان صاحبنا الشاب قد ألقى الى « الادب » بغير قليل من هذا فنقدته ، بقدر ما يسمح المجال ويتسع .. ولما قالت كلمتها هذه الجامعة غضب السيد الشاب منها ، وعد ما فيها من حزم مغضبا له ، فكتب الينا قبل الاجازة بخطاب تأخر بطبيعة الحال نشره خلال فترة الاجازة .. ولعل السيد لا يعد هذ التأخير القهرى هربا منا او اخفاء للنقد .. كما يعد الظروف القاهرة من ضيق مجال النشر وصفحاته عذرا غير مقبول ، وسببا غير مسلم به !!

ومجال النشر المحتكم بصفحاته ، بل باسطره ، هو الذى يمنع من نشر هذه الرسالة ، النافذة بل الساخطة ، بتمامها ، فنورد ما فيها من المعانى بعبارات صاحبها نفسها . مع تعقيب يسير جدا .. راجين ان يرضى القاتل مثل رضانا القتيل ! ..

قال بعنوان « الامناء » : ما خلاصة عبارته : مش عارف ليه .. امين الخولى بيحب المغالطة ، مثلا لما يلقى سؤال فى العضم ميجبش سيرته ، ويبجى على نقطة ضعيفة ويحلا له قوى المعايرة فيها والسخرية .. انه ميزان ماهش عادل ، انا وجهت له فى المقال السابق سؤال رئيسى تدور حوله المناقشة خباه» اهـ . ونقول له وقد رأينا رسائله انه لم يخف له اى سؤال فى رسالة .. وأرجو ان يذكرنا بهذا السؤال فننشره ..

كما قال : يظهر أن « الامناء فيها طابع الحدة برضه : مثلا لما واحد نقد أدب الدكتورة بنت الشاطىء شتمته.. او يظهر زى الشعر ماخرج عن اوزانه ، الامناء خرجت عن الدراسة والتركيز ، والتعمق ، والمناقشة ، والامناء اتحولت الى عزوه.. ويا ويله اللى يقع وياهم . اهـ

وأقول عن الامناء : انى أعتذر مقدما اقوى الاعتذار عن اى إساءة لناقد مهما يكن نقده .. واما الشتم فأرجو أن يكون القراء مثلى غير ذاكرين حدوث هذا .. او يذكرنى السيد الشاب به لاكرر الاعتذار ، بل التعويض ، وأتفادى هذا كل التفادى فيما يلى ..

ثم قال بعد ذلك : والاستاذ امين الخولى كان يرد عليه ، وبقيت اسمع هيصه بين السطور .. انا بصراحة أقول لسيادتك : ان الطابع القديم لسه غالب عليك ، تقرأ وتهز رأسك واحنا نهز رأسنا علامة الموافقة ، أنا مش راضى أقول لك: بان اغلبية المتعلمين ، لا مؤاخذة ، بيقولوا كتابة الاستاذ الكبير امين الخولى برضه مجعبرة» ده حكمهم وتعبيرهم،وأنا مش راضى أقول لك:ان جميع القراء اللى بتشكى منك عشان بتخبى محاسن انتاجهم ، وتبين المساوىء بس ، لهم حق يا اخى .. بس ماكنتش راضى أقول لك .. لاننى احب احافظ على تقاليد المراسلة الصحفية ، والا مايه المايه ماتردش عليه لا بسوء ولا برضى » اهـ . ويقول محرر هذا الباب للسيد الشاب : انه لا يسلم له بنسبة كل ما يكتبه المظلوم محرر هذا الباب، للاستاذ امين الخولى ، وأرجو أن يترك نسبة ما كتب بغير امضاء ، ولا يظلم به شخصا معينا ، وليناقش القول نفسه لا القائل ، الذى لا يعرفه !

وقد طلبت الى الاستاذ الخولى أن يقول كلمته فيما ورد عنه فى رسالة السيد الشاب لأقدمها له فكتب لى ما عبارته : ما نسب الى من الرد على الشباب انت تعرف حقيقة نسبته .. واما ما يراه من غلبة الطابع القديم فارجو ان أتخلص منه ان كان منه شىء باقيا .. وأنا ازعم انى لا اعترف ابدا لأحد بهذه السيطرة فيهز راسه ، ويهز الناس راسهم علامة الموافقة !! وارجو من حضرات الزملاء المغالطين ان يمنعوا بشدة وقوة كل ما قد احاوله من هذا.. واما الراى فى كتابتى فلا احجر على احد فيه ابدا.. واين يكون اذن ايماننا بالنقد !! واما ان ما يقوله هو راى اغلبية المتعلمين فانت تعرف شدتى فى طلب تحديد الالفاظ ، فمن اين للسيد الشاب ان هذا راى أغلبية المتعلمين ؟ لعلها اغلبية انتخابية كاغلبيات انتخابية لا يعلم الا الله منشأها .. فللسيد من حدة الشباب ما له وعليه فقط واجب فى تحديد عبارته .. والقول عن بينة.. ولو دق قول السيد الشاب لخلصنى من نسبة اشياء كثيرة الى لست من جناتها ، وانت يا سيدى محرر الباب تعرف صاحبها »

ولعل صاحب الرسالة يرى فيما كتب به الى الاستاذ امين الخولى ما يوافق سلوك « الادب » الفنى نحو النقد ، ونحو لغة الشبان .. وهو السلوك الذى اطلت فى

شرحه أول كلامي اليوم فى هذا الباب .. واعود الى رسالة السيد الشاب،وهى ما كتبه عن اللغةالعامية والعامة ، ويبدو فيه بوضوح انه لم ينته جيدا لماكتب فى هذه النقطة ، فارجو ان يعاود النظر فيما كتب عنها ، ليعرف علم صحة ما كتبه هو !

ويتقدم صاحب الرسالة ليجبهنى ويجبه القراء بتقديره لنفسه فيقول مانصه : « وعلى فكرة انا زجال متمكن بدليل ، المجلات الادبية بقت تسمى ازجالى من الروائع » ونقول له : ان ايماننا بحرية النقد يعطينا الحق فىالتقدير الصحيح كما يعطى المجلات الادبية هذا الحق ، فنهنئك على تقديرها لك ، ونحفظكل حقوقنا فى تقديرك .. ونصحك بالتواضع نوعا ما .. ومادح نفسه يقرئك السلام !

ثم قال اخيرا : وانا مش مشاغب بصفة عامة ، انا طيب كل الحكاية ان جهاز استقبال الامناء عايز قطع غيار » .

واقول له عن الامناء : انهم بالتاكيد يغيرون من جهاز استقبالهم كل ما يحتاج الى تغيير ولولا انهم يجددون جهاز استقبالهم كلحين لما تجدد وتغير حكمهمعلى رسائلك فنشروا ما أمكن نشره ، ثم لم يستطيعوا بعد ذلك نشر شىء !!

هذه ـ أيها القراء الكرام ـ رسالة يبين عرضها عليكم ماتحب « الادب » دائما من السلوك الفنى نحو النقد .. ونحو الشبان .. ونرجو بهذا النشر والعرض ان يستفيد الشباب فيتئد ولا يندفع .. وأن يتسامح فيسمع الراى الادبى لغيره كما سمعت « الادب » مافى هذه الرسالة بسماحة تامة .. وفىسبيل هذه الفائدة المرجوة شغلنا هذا الفراغ من « الادب » بهذه الرسالة ..

ونمضى فىايمان أكيد بالنقد والشباب لنتحدث الى القراء عنسائر أخبار البريد وايمانا بالنقد أيضا .. وحرصا على المستوى ، نبدأ فنضع ..

خارج النقد

الرسائل الآتية :

قصة «ذكريات الماضى» ثم «مولد» ونحن نذكر مانشرناه لصاحبها من قبل ، ونشعر باضطراب المستوى .. وتشجيعا للشداة لا يجعل النشر مرة ـ أو اكثر ـ مانعا لسلة المهملات من نصيبها عند اللزوم ..

كما نضع خارج النقد كذلك قصيدة «فيلسوف زاهد» و «الى الدهر» و«شكوى» و « آلام شاعر » وكلها لواحد .. يعوزه الكثير المجهد من الارتياض الدائب ونقول مضطرين كلمة عن :

التفرغ ... والتزكيه

طلب الينا السيد رئيس التحرير أن نقولها وهى : انالصلاحية للتفرغ ليست بالدرجة التى يظنها بعض طالبيها .. وانطلب الاستثناء فيها كما يقول بعضهم

يضير الحق والفن ويضير المجتمع كثيرا ، ويبرز جانب الخطر البشـــع فى نظام التفرغ ·· ولكل هذا فان الاستثناء فى التزكية يضير دار الامناء ·· يضير كل احد فيها ·· بل يضير حيطانها وشبابيكها !

كما يقول السيد رئيس التحرير : ان فى اسلوب بعض الرسائل التى يطلب اصحابها التزكية ما يمنع منها ويحول دونها ·· ولا حاجة لنشر امثلة من ذلك·· وحسبنا الاشارة ··

ونتحدث عن :

الشعر

فقد وصلت « الشمعة الدامعة » · ولنا مع صاحبها حديث غير قصير·· فهو يسأل عن قصيدة له قبلها أشرنا اليها اشارة لامحة فى حينها ، ضمن شبيهات لها يتناولن احداثا وقتيـة فى الحياة العربية ، لا خـير لاحد فى ان يتناولها الفن·· ان الفن ـ ياسادة ـ انما يقف عند الباقيـــات ·· بل الخالدات ·· فلا تهزنكم احـــداث صغيرة ، ولا سيمـا حـين تجهلون خباياها !!

والثانية ـ مع صاحب الشمعـــة الدامعة انه ينعت نفسه بالشاعـــر المقبور ·· وهى نغمة يضرب عليهـا غير واحد·· بل لعلها ظاهرة نفسية فى فترة بعينها من فترات العمر ·· فان مرسلا آخر كتب الينا غير مرة ، عن اديب الاقاليم المدفون ، مع انه هـو يقول عن نفسه : انه ظل كثيرا من ست سنـوات يكتب اسبوعيـا فى «البمكوكة» ، ونحو عام يكتب اخيرا فى مجلة «اضحك» فاذا كان مع هذا كله مدفونا او مقبورا ، فاين الاديب المنشور ! ! ·· راجعوا انفســكم يا اصحاب الرسائل ·· ولا تتعجلوا ·· ولا تشوهوا وجه الحياة ··وصبرا وثقة بالمستقبل ·

والثالثة مع السيد : ان الشمعـة الدامعة تضيء طريقك فتقدم ·· ولا تتعجل النشر ·· تخير عبارتك · · ولا تحسب كل كلمة تصلح للشعر·· واحترام اللغة وغثل معانيك جيدا ··

ووصلت « تعالى » للشـاب الذى جاهرته غـــير مرة بما يليق به من التماس قوته من صميم نفسه اولا·· ولا عليه أن يختلف تقدير آثاره ·· ولا يليق أن يقصر مصدر القوة فيه على تشجيع غيره له ، ويكبر من شأن ما قيل عنه بعنوان « ناشىء يطـرق محراب الفن » وليعلم علم اليقـين ، وليثق ثقة الناجحين ان المحـــاريب لاتغلق ابوابها فتطرق·· ان المحاريب مفتحة والمعابد محررة ·· تبســط ذراعيها·· وتفتح صدرها لمن يرتادها ··فادخل واعتكف·· وتعبد وتهجد · · والله معـك · · وأنت ـ لابد ـ واصل مع الداب ·

وان كانت « تعالى » لا تظفر بالنشر هذه المرة أيضا لبساطة الموضوع·· وقرب المعنى ·· وشىء من ضـــعف العبارة حينـا ·· وأرجو ـ رغم كل شىء ـ ان تكون على الطريق ـ ان شاء الفن

ووصلت « لست لى » كما وصلت « انشودة حب » و « بقايا حـــب » و « ذكريات صيف » ·· ولعلها تجد محالها فى النشر ·· لحينها

النثر

ـ وصلت « لماذا وجد الانسان على الارض » فى كلمة قصيرة ، بخواطر ساذجة ، ليست من الفلسفة ولا الفن .. مع كثرة الخطأ التعبيرى والاسلوبى .

ـ ووصلت قصة « مريض الدرجة» .. ولعل المريض هو الاسلوب ، والتعبير يخون صاحبها بمثل قوله فى رسالته : اتفضل بان اضع تحت يد سيادتك انتاجى ! !

ـ ووصلت سبع قصص بين القصيرة جدا .. والقصيرة ـ وصاحبها جميعا لا يريد ان يسميها ولا يهون عليه ان تقوم فى هذا الباب .. فما ذنبى وما ذنب القراء .. ثم ما ذنب ادارة «الادب» اذا كانت لا تملك سكرتارية تكفى لكتابة الرسائل الخاصة ردا على المرسلين كما تتولى اعادة مقالاتهم اذا لم تنشر ! ..

والقصص السبع ـ بهذا الوضع ـ تحت طلب صاحبها اذا تهيأ لرسوله ان ينظم موعده .. وعلى فكرة ، قد دفع التسرع صاحب هذه القصص الى ان يكرر ارسال واحدة منها فارسلها مرتين ! ..

ووصلت « مواطن أمام القضاء » وهى فصل من قصة سورية مطولة ، و«الادب» تعتذر الى السيد الصديق، بما ابانته غير مرة من انها لاتستطيع نشر القصة المطولة مسلسلة بين كل حلقة واخرى شهر من الزمان .. كما ان خطة «الادب» ألا تنشر شيئا من كتاب يعد للنشر .. ولكل أولئك لن تستطيع «الادب» نشر « مواطن أمام القضاء » .

بنك مصر

درج بنك مصر منذ نشأته على مسايرة النهضات التقدمية ، فاما تفجرت النفوس وانبعثت الثورة وانبثق نور الشعلة المقدسة تجاوبت كل هذه الظواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر ومع الأهداف العليا التى رمى اليها فى حرب الاستعمار الاقتصادى فأنشأ شركاته التى كانت جيوشا حارب بها الاستغلال الاجنبى فى شتى الوانه والرق الدخيل فى مختلف صوره ..

فهرس

العدد الخامس | اكتوبر ١٩٥٩ | السنة الرابعة

٢٧٣ ـ دين ٠٠ وفن ... ... عن الامناء

٢٧٩ ـ تطور فكرة الزمن ٠٠ عند توماس مان ... ... ميلدازا لوستسر
ترجمة : شكرى عيـــاد

٢٩٠ ـ بشار بن برد ٠٠ محاولة نفسية للدرسه ـ ٢ ـ عبد الله خورشيد البرى

٣٠١ ـ التطور الأدبى ... ... عدنان بن ذريل

٣٠٣ ـ المتشوقون ... ... شعر : عبده بدوى

٣٠٤ ـ الزبد الخالد ... ... شعر : كامل سعفان

٣٠٨ ـ حياة مدام باركر ... ... قصة : كاترين منسفيلد
ترجمة : رجب البنـــا

٣١٤ ـ كعكة العيد ... ... قصة : درويش الجمـل

٣١٨ ـ تفرغ الادباء ولائحته الداخلية ... ... * * *

٣٢٢ ـ مفارقات فنية ٠٠ بين الاذاعة ومستمعيها ... امين الخولى

٣٢٥ ـ ضيف من الشرق ... ... نقد : بنت الشاطىء

٣٣٠ ـ بريد الادب : نقد الشباب ـ ٣٣١ ـ خارج النقد ٠٠ التفرغ والتزكية ـ
٣٣٣ ـ الشعر ـ ٣٣٥ ـ النشر ـ ٣٣٦ ـ الفهرست

المجلة

مجلة الفكر العربي والثقافة الرفيعة
تشرف العرب المعاصرين في كل مكان

صدر العدد الرابع والثلاثون

شهر اكتوبر ١٩٥٩

افتتاحية	
حديث الشهر	
معركة رشيد بين أحداث العسالم	
التاريخية	
ابراهيم عبد القادر المازني	
خلفه دراسات في كولونيا في الفلسفة	
الاسلامية	
حلل عرفه بك المجتمعي الشاعر	
ادب النصيحة والسلوك في مصر	
القصة	
انتصار رشيد	
قصة البصمات	
باندورا والصندوق الهامس	

الأدب

العدد السادس نوفمبر ١٩٥٩ السنة الرابعة

٥ل

الفن والحياة
التطور الأدبي
بين التفاؤل والتشاؤم

> ٠٠ حالنا فى تحول ، ولا مفر ، وشئوننا فى تطور ، لا معدى عنه ٠٠ ويكون من ذلك ما يكون من خير ، تتكفل به سنن الكون ، وهى لا تقف ولا تجمد ٠٠ هى أقوى ممن يعترضون ٠٠ وأمضى ممن يقاومون ٠٠ وآمل ممن ييأسون
>
> الادب — م ٤ — صه ٩

أصدرت « الادب » عددها الاول ، من عامها الرابع هذا ، خاصا بالتطور الادبى ، ايمانا منها بان هذا التطور سنة كونية ، وخطة حيوية ، تتقدم بفضلها الدنيا ، ويرتقى الناس ٠٠ وجاءت فى هذا العدد العبارات المقدمة بين يدى هذا المقال ٠

ورجت « الادب » أن يكون الايمان بالتطور قوة فعالة فى دفع حياتنا ،وتوفير جهدنا ، وقالت فى هذا المعنى : « ٠٠ ان رصد هذا التطور ومراقبته تكون شاهدا بارزا يدفع فى قفا أصحاب الامس المتخلفين ، ويضيق من شقة الخلاف بينهم وبين أصحاب الغد ، الموائمين لركب الحياة ٠٠ ويوفر غير قليل من الجهد فيما تضطرب الآراء فيه »

وفى هذا الجو ينشر حديثا كتبته ، يتحدث عن الحياة الادبية الآن فى عامة نشاطها ، وكافة نواحيها ، فينعى هذه الحياة ٠٠ ويواريها التراب ، ويسهب فى بيان المحنة التى عجلت بها قبلا الى هذه النهاية ، اذ يعقد فى نهاية الكتاب فصلين ، يجمل فى احدهما ما تناول من تشخيص دائها واليأس من دوائها ٠٠

ويؤكد فى قوة : أن هناك محنة أدبية ، لا ريب فيها . وهى محنة تحتم القول عنها فى قسوة ومرارة .. وقد أصابت المحنة فنون الادب المختلفة ، فانزوى الشعراء المجيدون ، وهم يعدون بين الاحياء .. وفسد ذوق القراء فصاروا يستطيبون هذا الكلام المرصوص المتحلل . المخلخل . الذى يسمونه الشعر الجديد ، الذى ليس الا ثمرة فجة ، من ثمار هذا القصور الثقافى ، والمحنة فى القصة كالمحنة فى الشعر ، أو هى ادهى ، فأدباء الجنس قد احتلوا فى القصة المنزلة التى كان يحتلها فلان ، وعلان .. من الكتاب

والناس أمام هذه الفادحة بين واحد من اثنين ، مدرك أن هناك محنة .. وهو ساكت عاكف على الكتب الاجنبية .. وغافل عن المحنة . لا يفعل شيئا ما ..

وفى الفصل الثانى يقرر النعى : أن الفكر قد جنح من الارستقراطية المستعلية الى الفوغائية المبتذلة ، وأن الشارع قد صار ذا نفوذ كبير ، على الفئة المفكرة ، فهناك اهتمام باد ، بما يسمى الادب الشعبى ، والفلكلور ... ويمضى مستظهرا بأقوال نفر بلغ بهم التشاؤم حد اليأس المطبق ، اذ أفلتت اليوم من أيدى المفكرين أزمة التوجيه ، وصارت الحال تدعو ، دون ريب الى التشاؤم من مستقبل الادب ، والفكر عموما »

والسيد الاستاذ الصديق الكبير ، الدكتور طه حسين متفائل وله فى التفاؤل كلمته الفياضة التى قدم بها العدد الاول من السنة الثالثة من مجلة « الادب »، وهو تفاؤل واثق ، يعتمد على سير التاريخ ، وقياس المستقبل على الماضى ، لكن شيئا من هذا كله لا يثنى عن تطيرهم وتشاؤمهم ، بل يقول قائلهم : « يعز علينا أن نجارى طه حسين فى تفاؤله ، بعد أن شملت الفوغائية الفكرية كل نشاط أدبى ، من قصة ، الى مسرح ، الى ترجمة ، الى تأليف ، الى منتديات أدبية ، الى مجلات مزركشة مطرزة ، تحمل اسم الرسالة الادبية الجديدة ، الى أحاديث مذاعة ، الى محاضرات مرتجلة ، الى غير ذلك من أوجه النشاط الفكرى » ... وهكذا يلقى التشاؤم بكل شىء ـ مما خلق الله وما لم يخلق ـ على تعبير المتنبى ـ الى جهنم .. وبئس القرار

و « الادب » فى ايمانها الوثيق بالتطور الادبى الخاص ، والتطور الحيوى العام تقف لتتحدث عن هذا التطور بين تيارى التفاؤل والتشاؤم .. أو بالاصرح لتتحدث عن التطور تحت عاصفة التشاؤم الصاعقة .. منشورة فى هذا الكتيب ، أو مكبوتة فى الصدور .. القليلة أو الكثيرة

* * *

١ ـ ينعى المتشائمون التحلل ، ويلعنون أدب الجنس .. ويألمون للأخلاق الفاضلة ..

ولا أتحدث عن مدى ما بين الفن والفضيلة .. ولا أريد أن أدافع بشىء ما ، عن ادب الجنس .. ولكنما أحب لهم النظرة الاجتماعية ، وتقدير الاعتبارات

الواقعية ، فى التطور وسيره ٠٠ فليتهم يذكرون ما سبق أدب الجنس من دعوة مربين الى تدريس الثقافة الجنسية ، للشباب بجنسيه ، فى صراحة ، منعا للكبت ، ودفعا للاغراء ٠٠ ثم يذكرون ما شاع من مذهب نفسى علمى ، عن خطر الامور الجنسية فى الحياة البشرية ، وتأثيرها الجوهرى الشامل على النشاط الحيوى فى عامته ٠٠ وكل أولئك جدير بأن يصل أثره الى الادب ، والى الفنون جميعا ـ فيحدث عنه ما يكون مما يسمونه أدب الجنس ٠٠ وان صاحبه ما يكرهون. ولزمه ما يسخطون ، ففيه ما لا يستطيعون أن ينكروا ٠٠ من تطور وواقع ٠٠

ولو سمحوا لى أن أغريهم بنظرة تاريخية ، الى العصر اللامع ، فى حياة العربية ، ودولتها ، وأدبها ، وما قد يسمونه هم ، العصر الذهبى ، فى العهد العباسى ، وما يجدون فيه من أدب يزرى فى تحلله بأدب الجنس وآفاته كلها ٠٠ ويعوزه المبرر الاجتماعى ، والمسوغ الواقعى ، ولا يوجده الا اندفاع شهوى شاذ منتكس ، ولا يسببه الا ترف مسرف أشوه ٠٠ وأحسبهم قد ذكروا : غزل المذكر ، ودلالته ، ولا أذكرهم فيه بمثل وضاعات أبى نواس ، وأشباهه ، واسراف أجيال فى هذا الغزل بالذكران ٠٠ واتخاذه موضعا للدرس الادبى ٠٠ وأى محنة كانت للأدب والفضيلة والرجولة ! ولكن أحدا لم ينع هذا الادب ٠٠ ولم يندفع فى تشاؤم ، أو لوثة تقذف بالادب الى وادى العدم ٠٠ وتلقى به فى جهنم ٠٠ بل كان شيء مر ٠٠ وانتهى ٠٠ وتابعت الحياة سيرها معه وبعده ، وأفهمتها تلك التجربة : أن الامر ليس بالتشاؤم والتبرم ، والسخط والتألم ٠٠ بل بادراك الواقع ، وتقدير البواعث ٠٠ وفهم سنن الحياة ٠٠ والايمان بالتغير ٠٠ والوعى للتطور ، وحسن التأتى لهذا فى هدوء ، وعمق ، وأناة ، وفهم ، لا بالولولة ، والصراخ ، واليأس من الغد ، والترحم على الامس ٠٠ وظن أن ذلك يكون شيئا من أداء الواجب للادب والحياة الادبية

٢ـ ييأسى المتشائمون ويبأسون لسيطرة الغوغائية ، وانفلات الأزمة من أيدى الارستقراطية

ولا ينسون أن يذكروا بالارستقراطية الفكرية التى يحكمها أفلاطون فى جمهوريته ، حين يجعل للفلاسفة الحكم والسلطان ٠٠ فى مثاله الخيالى ٠٠ الذى لم يسعد به الواقع

ولا أذكرهم بشيء مما تم من تطور اجتماعى ، وأسبابه التى أوجبت ذلك ٠٠ ونتائجه التى لم يكن منها مفر ٠٠ لا أبدأ باللفت الى هذا ، بل أسألهم اولا النظر الى التاريخ الادبى ، والسياسى ، والعقلى للعربية وأدبها ، منذ كانت لها دولة ٠٠ ليصفوا الارستقراطية الفكرية أو الادبية التى عرفتها هذه العصور الطويلة ، فى الاقاليم الواسعة ؟ وماذا كان مظهرها ؟ وما أثرها على الادب باللذات ؟ وما شواهد هذا التأثير ؟ وما الذى يحبون أن يتحقق لنا اليوم من حال هذا الماضى ؟

وان اجهدتهم هذه النظرة الى التاريخ لطول العهد . وسعة الأرض فانى اذكرهم بما لم يعرف سواه من أرستقراطية الحكم والجاه ، ذلك الحكم المستبد المتفرد ، المستبيح للأموال ، والأنفس ، والاعراض ، والحـــرمات ، الوالغ فى الدماء ، المتفنن فى التعذيب ، والمباهى بالقسوة المتوحشة .. تنعم بالانين ، وتطـــرب بالحشرجة ، وتتلذذ بالانتقام .. وتسرف فى حيوانية نهمة جشعة ، تنـــدفع فى صنوف المتع السفلى ، واللذائذ البهيمية .. فتلك هى أرستقراطية الجاه والحكم .. وفى ظلها كان الادب العربى ، بل كانت الفنون على اختلافها ضعة وذلة .. وعفنا وقذرا .. يقبل أهلها أعتاب هذه الأرستقراطية .. ويمرغون الجباه فى تراب أقدامها .. ويتهافتون على الفتات ، ويستجدون الفضلات ، قيـاما لدى الابواب ينظمون . وينثرون . ويعزفون . وينقشون . ويبنـــون . وهؤلاء الوحوش عنهم لاهون .. أو متلهون .. يعبون الكئوس المترعة من الدم ، والألم، يترشفونها على تفاعيل الشعر ، وفقر السجع ، ونغم العـــزف ، ليعبثـوا فى قطعان بشرية ، من النساء الفواجر ، والغلمان المنتكسين ، تحويهم حظائر مما اقام البانون ، وزخرف المزوقون ـ وهم بقية أصحاب الفنون .. وصوت الأدب يغطى نخير الدعارة المجنونة .. ويطفى على صرخات الشقاء المنوية ، بما يهتف به من تمجيد لهذه الخنازير وتقديس يمثل قول مدعى النبوة الجـرىء على الله فى حلوف منهم :

ان كان مثلك كان ، أو هو كائن فبرئت حينئذ من الاســـــلام

وبعد هذا التذكير بما عرف ادب العربية من أرستقراطية .. وأين كان مكانه فى رحاب أعلها ، احدث السادة المتشائمين حديث التطور ، الذى أطاح بهـذا كله ، ونسف ذلك كله ، ليضـــع السلطة فى يد أهل الشـــارع أو الغـــوغاء ـ عندكم ـ بما هم آدميون لهم كرامتهم ، لا بما هم قتلة سفاحون مرهبـــون ، يخوضون الى السلطة بحارا من الدماء ، وأنهارا من الاقذار والجرائم .

انه التطور .. انها الكرامة التى أهاجها ذلك العهر كله .. وذلك الغى كله ، فسمرت تلك الارستقراطية وقررت حقوق الانسان .. لا فضـــل فيها لدم .. ولا حكم فيها بميراث ، وانى لأخشى على السادة المتشائمين لانهيار الارســتقراطية من قوى الديمقراطية التى تزخر بها الدنيا حولهم ، فلا يحسونها، ولا يشعرون بها ، بل يتشاءمون منها !..

٣ـ ينوح المتشـــائمون على الشعر القديم ، ويشـــمئزون من الشعر الجديد ، الفج المخلخل ..

وأدعوهم كذلك ، اول ما أدعوهم ، الى نظرة تاريخية تحدق فى هذا الشـــعر القديم .. عند حياته الفكرية أيام الجاهلية .. ومشاركته الوجدانية للنهضة الفنية التى مهدت للنهضة الدينية الاسلامية ثم النهضة العسكرية والاجتماعية

الى أن انحسرت موجاتها بعد نحو قرنين من التاريخ الهجرى .. فكان الشعر القديم شيئا آخر .. ومضى ينحدر مع واقع أهله الاجتماعى طوال نحو ألف سنة ، ففتكت به الاوبئة الخلقية والوجدانية والمادية التى كانت تنفثها فى الحياة حاتيكم الارستقراطية التى سمعنا قريبا وصفها ، وحال أهلها ، المشرفين على تلك المجتمعات المنحطة ..

وقد صار ذلك الشعر غثاء قذرا يحمله سيل من الاجرام النفسى ، أهونه الكذب العمد ، والتزوير المصر ، والتآمر على الفضيلة ، والتمجيد للرذيلة ، يسجله ركام هذا المديح النذل المستجدى .. ويؤكده من يروضون الاجيال على ذلك السوء كله ، اذ يعلمونهم أن أعذب الشعر أكذبه .. ويدربونهم على المبالغة المسرفة ، التى تشبه ما يتندر به الهازلون من الفشر والنتش .. ويغرونهم بالتفاهة السطحية اللفظية ، يغطون بها تلك الجيف النتنة ..

وقد كان ذلك وما اليه سببا للتطور الاجتماعى ، الذى استرد الخزائن من لصوصها ، والسلطان من ناهبيه ، ورد ذلك للفرد الانسان ، والآدمى الكريم ، فصار الفن تعبيرا عما يجده ذلك الانسان ، لا هذا الحاكم .. وخلال هذا التحول المنطلق المتحرر يكون ما يكون من كفران بالكبت ، ونسف للقسر ، وتحطيم للضغط .. وعزوف عن الكذب والملق ، والمداهنة والخداع .. وليهن فى سبيل تلك الحسنات ما قد يكون من خسائر فى اللفظ والاسلوب ، والشكل ، والمنظر .. الى حين

ومع الانطلاقة المتمردة التى لا بد منها لتعفية آثار الشر الراسخة يكون — ولا بد — شىء من تطرف ، أو جموح ، أو اسراف .. ثم لا تلبث تجارب الحياة أن تحفظ الاتزان ، وتقر الاعتدال .. وذلك ما شهدت به سنن الدنيا ، ونواميس الوجود ، فى كل ميدان ..

* * *

انه ليس الا « التطور » دستور الرقى ، وخطة التقدم ، لو آمنتم به — ولا ملجا لكم منه الا اليه — لفهمتم ظواهر التغير فى الحياة الادبية فهما صائبا فاستطعتم المشاركة الموفقة فى تسديد خطواتها ، اذ تعتبرون بماضى تجاربها ، وتستبينون خطة سيرها .. ولا شىء يسلم لكم من ذلك مع التشاؤم وقتامه ، وما ينفث من ظلام ويأس ، يضلل السائر ، ويخفى الطريق .. ثم لا يجدى .. ولا يهدى ..

أيها المشفقون على الأدب وحياته : انه التطور .. والتطور فحسب .. لا بالتفاؤل ولا بالتشاؤم

عمر الدسوقى

خطأ منهجي في دراستهم للنقد الجاهلي

في دراستنا للنقد الأدبي في الجاهليه ·· خطأ منهجي ·· أرى من واجبي أن ألفت اليه · فأكثر الذين كتبوا في هذا الموضوع منا ·· بدأوا دراسته وهم واقعون تحت سيطرة فكرة معينة سابقة ·· احتكمت في نظرتهم الى تراث الجاهليه في النقد الأدبي ؛ فما وافقها منه قبلوه واتخذوه حجة ودليلا ·· وما خالفها نبذوه وأنكروه ·· واتهموه بالزيف والانتحال ·

هذه الفكرة المسيطرة هي أن النقد الأدبي في الجاهلية كان ساذجا بسيطا ، لايتجاوز الحكم الذي يقوم على النظرة العجلى والتأثر السريع ·

ولعل أول من قالها في هذا العصر المرحوم الاستاذ « طه ابراهيم » في محاضراته عن « تاريخ النقد الادبي عند العرب (١) وقد ذهب فيها الى أن « الذي بقي لنا من النقد الجاهلي ·· كان نواة النقد الاولى ـ ص ١٢ ـ وأن هذا النقد الناشيء لم تكن له الا جولات خفيفة في العصر الجاهلي ··

« ونخرج من ذلك كله الى اننا نستبعد أن تكون للجاهليين ملكة تحليلية في النقد ···

« لقد وجد النقد الادبي في الجاهلية ولكنه كان هينا يسيرا ملائما لروح العصر ·· ملائما للشعر العربي نفسه فالعربي اذا حكم على الأدب ·· حكم عليه لتأثره به ·· وبمقدار ذلك التأثر انه يحكم عليه بالنظرة العجلى والأثر السريع ·

« وتلك النظرة العجلى تحول بين النقد وبين أن تكون له أسس أو أصول مقررة ·· فما كان النقد الجاهلي أكثر من مأخذ يفطن اليها الشعراء في الشعر ·· وما كان أكثر من ملحوظات يلحظها بعضهم على بعض » ٢١ ـ ٢٥

وتابعه على ذلك متابعون ·· منهم الدكتور بدوي طبانه الذي قرر أن ما بقي لنا من أحكام النقد الجاهلي « تبدو لأول وهلة متسمة بالارتجال، وأنه ليس في أكثر تلك الاحكام ما ينبيء عن النظرة الفاحصة أو الدراسة المعمنة التي ينشأ عنها الرأي الذي يدعمه البرهان وتؤيده الحجة ·· لأن التماس العلل والبحث عن الاسباب الحقيقية لظاهرة من الظواهر الماديه أو المعنوية · كان أبعد ما ينتظر في هذه البيئة التي فتكت بها الأحقاد واستعر بها الخصام

بقلم : بنت الشاطئ

(١) جمعت هذه المحاضرات بعد وفاته ـ رحمه الله ـ وطبعت سنة ١٩٣٧

واصبحت مسرحا للثارات وميـــدانا للاشتجار والغارات .. فخاصم الكرى جفون أهلها . وفقد الأمن سبيله الى عقولهم وقلوبهم ! ..

« ومن ثم لم يكن تفرغ للبحث فى علم او فن ! .. فغشتهم الامية ولم يؤثر عنهم كتاب فى علم من العلوم او مصنف فى لون من ألوان التفكير أو أثر يدل على تفوقهم فى صـناعة من الصناعات .

« فالارتجال هو شأن الشـعراء الجاهليين اذا صاغوا شعرهم ! .. وهو شأن الذين أبدوا آرائهم فى تلك الكلمات السريعة التى هى فى حقيقتها صادرة عن الاهواء الخاصة الكامنة فى نفوس مصدريها (١) .

وواضح تماما من مقابلة النصين . مدى تأثر الدكتور طبانة بمـا قاله الاستاذ طه ابراهيم منذ نحـو ربع قرن .

وربما تأثرت به الدكتـورة سهير القلماوى حين قالت :

« ولننظر فى نقدنا العـربى .. فسنجد السمة البارزة فى نشأته ! . هى الاسراف فى الحـكم .. بحيث اختصرت عمليه النقد زمانا طويلا فى مجرد اصدار الأحكام

« وكانت الحيثيات ـ ان وجدت ـ تافهة .. لايمكن أن تقف أمـام أى ميزان نقد حديث . . عربيا كان أم أجنبيـا .. كأن يقال هذا الشاعر أفضل من ذاك لانه قال هذا البيت . بل انه ليقال هذا الشاعر أفضـل الشعراء طرا لانه قال هـذا البيت بعينه (٢) .

ويبدو غريبا لنا .. أن تتحـدث الدكتورة سهير عن سمة بارزة للنقد فى نشأته .. وان يحسب الاستاذ طه ابراهيم ـ رحمه الله ـ انما لدينا من النقة يمثل النواة الأولى . مع أن الذى لا شك فيه .. أن مرحلة النشأة للشعر العربى قد ضاعت فى غيـابة الزمن (٣) .. وضاعت معها كذلك أحكام نقدية كذلك لابد انها عاشت معه والحت عليه بالتقويم والتهذيب حتى انتهى الى مرحلة النضـج التى عرفناها فى قصائد المهلهل ومن بعده

فالذى وصل الينا من النقـد العربى .. لايمكن أن يمثل طـور النشأة . أو يعتبر النواة الأولى للنقد عند العرب .

وقد كان أول انحراف عن المنهج . أن نحسبه كذلك .. ثم نقدر ـ تبعا لذلك ـ أن يكون مجرد أحكام ساذجة تقوم على النظرة العجلى والاثر السريع شأن كل نقد أو فن فى مراحل نشأته الاولى .

وقد نظر هؤلاء الدارسون فيمـا وصل الينا من أحكام نقدية للعصر الجاهلى .. فقسموها قسمين متميزين أحدهما يمكن أن يصدق عليه القول ببساطة الحكم وسذاجة الرأى .. فقبلوه ولم يشكوا فى صـحته .. والثانى يقوم على التذوق الدقيق .. والحكم المعلل .. فرفضوه واتهموه بالوضع . وكانت حجتهم أن الصنف الأول يمثـل « روح الجاهليـة » وأن الثانى لا يمثلهـا ولو رفضـوا هـذه الأحكام جميعا .. لما كان لنا أن نلوم ، ولو رفضـوا بعضـها بشاهد مما نعرف فى نقد السند ، لما كان لهم منا الا التأييد . أما أن نأخذ بعضه ونعرض عن بعض ، بدعوى أنه يلائم روح الجاهلية أو لايلائمها ..

---

(١) دراسات فى نقد الادب العربى ص ٤٥ (٢) محاضرات فى النقد الادبى ص ١٤
(٣) انظر الاصنام لابن الكلبى ص ١٢ ط الاميرية .

فقد بقي ان نسالهم عن روح الجاهلية هذه ، أنتمثلها باستقراء كل ما لدينا من نصوص ، أم نفرضها ابتداء ثم نختار لها ما يلائمها ؟ ٠

واخشى ان أكون تعجلت القول فى هذا ، وكان الأولى أن انتظر به حتى ننظر فيما قبلوا وما رفضوا من احكام النقد الادبى للعرب فى الجاهلية ٠

فمما قبلوه منها ان « طرفة » سمع المسيب بن علس ، أوعمرو بن كلثوم يقول فى وصف بعيره :

وقد اتناسى الهم عند احتضاره
بناج عليه الصيعرية مكدم

فصاح طرفة ، وكان بعد غلاما : استنوق الجمل ٠٠

والحكم النقدى هنا يبدو ساذجا بسيطا ، عند المتأثرين بالفكرة المعروفه ٠٠ لكنا ـ بعيدا عن هذا التأثر ـ نراه يطالب الشاعر بالتزام صحة المعنى وسلامة التعبير ويسجل عليه عدم فطنته لما فى وصف البعير بصفة الناقة ، وهى زلة لا تفوت الحس اللغوى لغلام صار شاعرا مرموقا فى صباه ! ٠٠

وقبلوا كذلك ، حكاية الاقواء الذى تورط فيه النابغة الذبيانى ٠٠ وخلاصتها انه قدم يثرب فانشد داليته فى وصف المتجردة ٠٠ وفيها يقول :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه
فتناولته ٠٠ واتقتنا باليد

بمخضب رخص كان بنانه
عنم يكاد من اللطافة يعقد

زعم البوارح ان رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الاسود

فنبهوه الى عيب الاقواء ٠ فلما لم يفطن اليه ، جاءوا باحدى قيان يثرب ففنت البيتين بمسمع منه ٠٠ مع اشباع حركه الروى ٠٠ ففطن اليه واصلحه ٠

وهذا الخبر ـ على ما يبدو من بساطته ـ يبين مدى الرقابة الأدبية للنقد على الشعراء ويشهد برقى الذوق الفنى للجمهور ٠٠ ولست احسبه يؤيد ما ذهبوا اليه من سذاجة النقد فى اخريات العصر الجاهلى ٠

وقبلوا أيضا ماروى من أن عمرو ابن الحارث الغسانى فضل حسان على النابغة وعلى علقمه بن عبدة ، وكانا حاضرين معه ، حين أنشد لاميته :

لله در عصابة نادمتهم
يوما بجلق فى الزمان الأول

وسماها « البتارة » التى بترت المدائح ٠

وكذلك ماروى عن « لبيد » انه قال :

أشعر الناس ذو القروح ـ يعنى امرأ القيس ٠ وما قيل من حكمهم لزهير بانه أشعر العرب بقوله :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ، ومن لايتق الشتم يشتم

ثم عبيد بن الأبرص فى قوله :

من يسأل الناس يحرموه
وسائل الله لايخيب ٠٠

وامثال لها من احكام جزئية مفردة راوها تؤيد فكرة سذاجة النقد وارتجاله مع اننا لو تدبرناها مليا ، لترددنا فى الحكم عليها بالتفاهه كما فعلت الدكتورة سهير ، فهى فى الواقع تؤكد اصالة مبدا نقدى دقيق يقوم الشاعرية

بالكيف لا بالكم بحيث يمكن أن يعد شاعرا اشعر قومه أو أشعر العرب ببيت مفرد يقوم بديوان أو دوواين

ومن الانصاف أن نقدر ما فى حكم كهذا من اصالة فنيه تبهرها عبقرية الالهام فى البيت الواحد • فتراه — بالموازنة والمقارنة — خير ما قيل فى موضوعه أو فى بيئته •

أليس هذا شبيها بما نشهده اليوم فى عصر النهضه النقديه — بالحكم لشاعر أو كاتب أو رسام أو موسيقى بجائزة التفوق لقصيدة أو قصه أو لوحة أو لحن ؟ ..

* * *

وندع هذا الذى قبلوه الى القسم الثانى الذى أنكروه واتهموه بالزيف •

فمنه قصة احتكام امرىء القيس وعلقمة الى أم جندب .. وكان امرؤ القيس قد تزوجها فلم تستطب عشرته فلما احتكم اليها هو وعلقمة ، سألت كلا منهما أن يقول شعرا فى موضوع واحد ومن روى واحدة وقافية واحدة، فأنشد امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها :

خليلى مرا بى على أم جندب
نقض لبانات الفؤاد المعذب

ثم أنشد علقمة على أثره :

ذهبت من الهجران فى كل مذهب
ولم يك حقا كل هذا التجنب ! ..

وكلتاهما فى وصف الفرس فحكمت أم جندب لعلقمه على زوجها .. لأن هذا قال :

فللسوط الهوب وللساق درة
وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فزجر فرسه ، وجهده بسوطه ومراه بساقه على حين قال علقمة :

فأدركن ثانيا من عنانه
يمر كمر الرائح المتحلب !

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه . ولم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره • »

والقصه رواها ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (ص ١٧٠) والمرزبانى فى الموشح (٢٨ — ٣٠) لكن الاستاذ طه ابراهيم أنكرها لأسباب ذكرها : ففى القصيدتين توافق فى غير بيت ، وفيهما مشاركة فى كثير من الالفاظ والعبارات ، ثم أن امرأ القيس عرف بوصف الخيل والصيد وشهر بذلك فى الجاهليين ، وهو فى المعلقة وفى قصيدته اللامية الاخرى لايجارى فى هذا الصدد :

« ثم أن الموازنة بين شاعرين على شريطة الجمع بين ثلاثه أشياء ، فكرة على شىء من الدقة لاتتلاءم مع الروح الجاهلى فى النقد الادبى •

« هذا الى أننا نرتاب فى أن جاهليا يدرك الفرق بين الروى والقافية .. ونرتاب فى أن هذه الالفاظ تستعمل فى العصر الجاهلى بمعناها الاصطلاحى «١» •

وسماها « الدكتور شوقى ضيف » أسطورة (٢) •

أما الدكتور طبانه ، فقبلها لانها فى رأيه تمثل ماذهب اليه من الحكم المرتجل القائم على الهوى لا على الاستقراء ! (٤٧) •

وحين نتجرد من سيطرة الفكرة عن سذاجة النقد الجاهلى ، لانرى فى الأسباب التى رفض الرافضون بها القصة ولا فى الاسباب التى قبلها بها من قبلوها كذلك، ما يثبت أمام النظر

(١) تاريخ النقد الادبى ٢١ و ٢٢

(٢) النقد ص ٢٠

الدقيق المنصف : فلا يبدو غريبا ان نشترط ام جندب على الشاعرين ان ينشدا فى موضوع واحد ، ومن نفم واحدحتى يتاح لها أن تحكم بينهما بل لعل هذه الوحدة اول ما يجوز ان يخطر على بال حكم ٠

واشتهار امرىء القيس بوصف الخيل ، أو امتيازه على الشعراء فيه لايمنع أبدا من أن تخونه شاعريته مرة فى موقف المنافسة ٠٠ فيتفوق عليه خصمه ٠

ونحن نعرف أن أشعر الشعراءفى فن من فنون الشعر ، ليس معصوما من البكاء ٠

وأما أن فى القصيدتين بعض المكرر من الأبيات والمعانى والألفاظ فيمكن ان نرد عليه باشتباه الرواة أو النقلة. فيكون هذا أقرب من الحكم بانكار الموضوع جملة ، خصوصا اذا ذكرنا أن عصر التدوين قد تأخر عن تاريخ تلك المحكمة الادبية ، بنحو ثلاثةقرون وانه أعتمد على النقل شفويا ، ومن مصادر عدة ٠٠ لاعلى أثر مكتوب أو مصدر واحد ٠

والارتياب فى أن جاهليا يدرك الفرق بين الروى والقافية ، عجيب حقا لأن الادراك لا يمكن أن يرقى اليه الشك ، والجاهليون أنفسهم هم اصحاب هذا وأهله ، وهم هم الذين أصروا على التزامه ، وهم هم الذين ضايقهم الاقواء كما قلتم ، وانما الذى يقال انهم لم يعرفوا المصطلح ٠٠ لا أنهم لم يدركوا الفرق بين الروى والقافية ٠٠

ولسنا نستبعد أبدا ان تكون عبارة ام جندب قد دونت بعد زمانها بقرون بصيغة فيها المصطلحات التى وضعها العروضيون ٠

وبقى أن فكرة النقد عند أم جندب « على شىء من الدقة لاتتلاءم مع الروح الجاهلى فى النقد » ٠

فلم لانصحح نحن فكرتنا عن هذه الروح الجاهلية

ومما رفضوه أيضا : حكومة النابغة فى سوق عكاظ، فلقد رووا أن الخنساء جاءته فأنشدت رائيتها فى صخر :

قذى بعينك أم بالعين عوار
أم ذرفت وخلت من أهلها الدار

فقال لها النابغة : لولا أن سبقك أبو بصير ، لقلت انك أشعر من بالموسم ٠ قالوا فهاج حسان – وكان ممن أنشد قبل الخنساء – وصاح مغضبا :

والله لأنا أشعر منك ومنها ٠

وتختلف الروايات بعد ذلك فى بقية القصة بعد أن قال حسان ما قال ففى الشعر والشعراء (٣٠١) أن النابغة قبض على يد حسان وقال :

يا ابن أخى ، انك لاتحسن أن تقول مثل قولى :

فانك كالليل الذى هو مدركى
وان خلت أن المنتأى عنك واسع

والذى فى نقد الشعر لقدامة (١٧ ط الجوائب) ان النابغة سأل حسان عن اشعر بيت قاله فأنشده :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فعاب عليه النابغة قوله «الجفنات» وهى جمع قلة ، و«الغر» وكان ممكنا ان يقول البيض . لان الغرة بياض قليل فى لون آخر غيره . (ويلمعن بالضحى) ولو قال بالدجى لكان أحسن ويقطرن ، ولو قال يجرين لكان احسن .. الخ ..

على أن ابن قتيبة فى « المعارف : (١٠٥) عزا النقد الى الخنساء ..

وقد أنكر الاستاذ طه ابراهيم هذه القصة ، وكذلك الدكتور (أحمد الحوفى) «١» والاستاذ فؤاد البستانى فى مقدمة « الروائع »وأظهر حجة لهم فى رفضها أن عصر الخنساء والنابغة وحسان ، قد سبق عصر المصطلحات اللغوية بزمن ، وهذا النقد يقوم على أساس التفرقة بين جمع القلة وجمع الكثرة ، وهما من اصطلاح النحاة فى عصر التدوين ، كما أن فى هذا النقد « نزعة لم تعرف الا حينما درست علوم البلاغة وزاحم العقل والمنطق الذوق والفطرة »

ثم لم يكتفوا بانكارها ، بل حددوا سبب وضعها وزمانه أيضا ، فالمعلم بطرس البستانى يذهب الى « أنها ربما كانت أثرا باقيا من عداء القرشيين للأنصار ، أريد باختلافها الطعن فى شاعرية حسان» .

والاستاذ طه ابراهيم لم يشك (!) فى أنها « وضعت فى القرن الثالث بعد أن دونت العلوم ودرس المنطق وعرف شىء من رسوم البلاغة » .

ونقول ردا على هذا كله : ان النحاة لم يضعوا المصطلحات الا بعد استقراء طويل لاستعمال عرب الجاهلية لصيغ الجموع وتتبع دقيق لدلالات هذه الصيغ وهو ما أشبه اليه الدكتور الحاجرى فى « تاريخ النقد – ص٤٣» والدكتور طبانة « ص ٤٩ » .

وقد استظهر الدكتور الحوفى بقدامه بن جعفر على اتهام القصة بالوضع . وهذا خطأ منه فان «قدامة» لم يشر الى اتهام القصه من قريب او بعيد . ولا أتى بها فى موضع الشك والارتياب ، وانما الذى عناه منها هو الدفاع عن بيت حسان والرد على المآخذ التى وجهت اليه (٢) .

ولاندرى أين وجه الاستدلال به على رفض القصه ، وكلامه صريح فى الاعتراف بها ! .

اننا لانقطع بيقين فى اثبات القصة أو نفيها، لكنا نرى أن الذين أنكروها لم يأتوا بدليل أو شبه دليل على اختلاقها ، وانما راوها تثبت عكس ما قالوا فى سذاجة النقد الجاهلى وبدائيته ، فلم يجدوا مناصا من رفضها ! .

وهكذا يلتوى الطريق أمامهم ويتعثر المنهج :

قرروا بادىء ذى بدء أن الجاهليه لم تعرف الا النقد الساذج المرتجل .. فكلما جاءتهم روايه عن نقد فنى قوى الحس ، سارعوا فأعلنوا أنه مختلق . لاتجوز نسبته الى الجاهلية لانه لايتلاءم مع روحها .

ولسنا نقول مع هذا .. ان النقد الادبى بدا فى العصر الجاهلى ناضجا رشيدا ، لم يمر بطور طفوله ، ولكنا نؤكد أن هذه الطفولة لايمكن أن تكون

---

(١) المراة العربية فى الشعر الجاهلى ص٤٧٣
(٢) قدامة : نقد الشعر – ١٩ ط الجوانب

امتدت الى اخريات العصر الجاهلى الذى بلغ من رقى ذوقه الفنى ما جعله اهلا لتلقى المعجزة الاسلامية الخالدة.

واذا ارتبنا فى أن زهير بن أبى سلمى كان يعكف على قصيدته العام باكمله قبل أن يخرجها الى الجمهور الذواقة الناقد ، واذا ارتبنا كذلك فى أن العصر الجاهلى قد عرف مذاهب ومدارس فى فن القول ، فكان زهير راوية أوس ، والخطيئة راوية زهير بما تشهد به هذه المدارس من نهضة فنية عالية ، فقد بقى ان نضج الشعر الجاهلى الذى صح لدى أمثال المفضل وابن سلام من القرن الثانى ، يكفى وحده دليلا على رشد النقد الذى وصل به الى هذا المستوى الفنى العالى .. وهو وحده يكفى للرد على من وصفوا النقد الجاهلى بالسذاجه والسطحية والارتجال .

الأدب

فنية • شهرية

يصدرها الأدباء

الادارة : مصر الجديدة . العجم : ١٣

ت : ٦١٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم

أمين الخولى

رئيس التحرير

الرسائل الادارية ترسل باسم

عزت محمد ابراهيم

سكرتير الادارة

الاشتراك عن سنة: فى مصر ٥٠ ق، فى الخارج ٨٠ ق (أو ما يعادلها بالبريد الجوى)

ثمن العدد ٥ ق

البريد الجوى والمسجل بحسابه

تصدر سابع كل شهر

بشار بن برد
محاولة تفسير لمدرسة

— ٣ —

لعلنا نكون قد استطعنا الآن تكوين فكرة عن المعالم الرئيسية لشخصية بشار التى يمكن أن تجمل فى أن بشارا شاعر ، هجاء ، غزل ، زنديق ، مبدع وهذا مايمكن أن نترجمه فى لغة الطبيعة والحياة بقولنا ان بشارا : فنان ، مكافح ، ماجن ، متحرر ، ذكى

ونريد الآن لننظر فى مجتمع بشار وتأثره به وتأثيره فيه .

اذا تأملنا فترات حياة بشار من الناحية التاريخية وجدناه يبدأ حياته فى هذه الحقبة من أواخر دولة بنى مروان حيث كانت كل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية تهيىء لتطور جديد فى جسم الدولة الاسلامية ، فالفتوح كانت تسير نحو نهايتها فيبدأ الناس عهد الاستقرار والالتفات الى حياة السلم والتبادل التجارى والتمتع بخيرات البلاد المفتوحة ولكن كان رد الفعل قد بدأ يظهر فى الشعوب المقهورة فتفيق من صدمة ضياع استقلالها وتتحسس كيانها المحطم وتنتبه الى ضرورة مقاومة الوضع الجديد ، فيقوم أشرافها يهيئون الجو لذلك ويرسمون الخطة المناسبة يساعدهم على ذلك ماكانت تلقاه الطبقات الفقيرة — ولا سيما الموالى — فى كل أرجاء الدولة من عنت وارهاق .

ثم يحدث الانقلاب فيكون انقلابا لكل شىء ؛ وتغييرا لكل شىء .

تصبح الأسرة الحاكمة عباسية ، ويصبح الوزراء من الجند فارسيين ، وتشرئب العقول الى العلم والمناقشة ، وتميل القلوب الى اللهو والتفريج ، وتخفض العزة العربية من هامتها ، ويهتز سلطان الاسلام على عرشه .

فى غماز هذا الانقلاب ، وبين أعاصيره ودويه ، وعلى كفته المزلزلة الراجفة تنبت شاعرية بشار .

اضطر بشار أن يهجو ، ولكن انكماش العرب البادىء ، وحرية الموالى المتزايدة ساعداه على الامعان فى ذلك الهجاء .

واضطر بشار الى أن يتغزل ولكن

بقلم : عبد الله خورشيد البرى

انحسار التزمت المستبد ، وبزوغ التحلل المستهتر ساعداه على الامعان في ذلك الغزل .

واضطر بشار الى أن يتزندق ، ولكن تقهقر الروح الاسلامية ، واندفاع الروح الفارسية ساعداه على الامعان في تلك الزندقة .

واضطر بشار الى أن يبدع ، ولكن تخافت العهد القديم ، واشراق العهد الجديد ساعداه في الامعان في ذلك الابداع .

وليت شعري ما يحدث لشخص كل ماحوله يحرض فيه سلوك المقاتلة ويفتح له أبواب المجون ، ويخلي أمامه سبيل التحرر ، ويذكي فيه جذوة الذكاء .

يحدث له ماحدث لبشار ؛ وهو أن يصبح ما نسميه بلغة العصر : بوهيميا

لم يعن بشار بأن يكون زنديقا كما سماه أهل عصره ، ولا شعوبيا كما دعاه من جاء بعده ، ولا زعيما من زعماء التحرر كما وصفه بعض المتأخرين ، فما كان يعنيه حقا أن يفضل دينا على دين ، أو يؤثر جنسا على جنس ، أو ينصر طبقة على طبقة ، وانما كان يعنيه حقا أن ينال من القوت أشهاه وأوفره ومن اللذة أحلاها وأمجنها ، ومن الحرية أوسعها وأكملها ، ومن الفن أرقاه وأبدعه .

لم يعش بشار ولم يعمل لحساب أحد ولا في سبيل فكرة .

لقد عاش بشار لنفسه : نفسه الراغبة في الحياة كل الرغبة ، الطالبة اللذة أشد الطلب ، المتشبثة بالحرية أقوى التشبث ، العاشقة للفن أخلص العشق .

وفيما عدا ذلك لم يكن يعنى بشيء ولا يكترث لشيء : أهلا كان ، أو صديقا أو دينا ؛ أو خلقا ؛ أو سياسة ؛ أو مجتمعا الا بقدر مايساعده ذلك على بوهيميته أو يعوقها .

هكذا أثر المجتمع في بشار ، فكيف اثر بشار في المجتمع ؟

لاشك في أن هجاء بشار علم الأكف البسط والمنح(١) ، وفي أن غزله زود الغناء بأصوات عذبة (٢) وفي أن زندقته أخذت بيد النساء والرجال خطوات جريئة في طريق المجون حتى تصبح هذه حال حبيبته .

غداة تقول لها الجالية

عبيدة : مالك مسلوبة
وكنت معطرة حاليه ؟

فقالت ـ على رقبة ـ : انني
رهنت المرعث خلخاليه

بمجلس يوم سأوفي به
ولو أجلب الناس أموحواليه(٣)

وحتى يجيئه يوما فتى فيقول له : أنت بشار ؟ فيقول : نعم ، فيقول له الفتى : اني آليت أن ادفع اليك مائتي دينار ، وذلك أني عشقت امرأة فجئت اليها فكلمتها فلم تلتفت الى ، فهممت

---

(١) راجع خبر بيتيه في مدح خالد بن برمك بالاغاني ـ دار الكتب ـ ٣ : ١٩٢ ، واخبار الاتاوات التي كان يفرضها على الناس ، أو يفرضونها هم على انفسهم له اتقاء هجائه .
(٢) أورد له الاصفهاني في ذلك الجزء فقط أحد عشر صوتا .
(٣) الاغاني ـ دار الكتب ـ ٣ : ١٧١

ان أتركها فذكرت قولك :

لايؤيسنك من مخبـــأه
قول تغلظه وان جرحـا

عسر النساء الى مياسرة
والصعب يمكن بعدما جمحا

فعدت اليها فلازمتها حتى بلغت منها حاجتى (١) .

ولا شك أيضا فى أن زندقتـــه عرفت طريقها الى الموالى حتى يضطر شريف من بنى زيد الى أن يقف عليـه قائلا : يابشار ، قد أفسدت علينـــا موالينا ، تدعوهم الى الانتفـاء منـــا وترغبهم فى الرجوع الى أصولهم وترك الولاء(٢) ولا شك فى أنها ساهمت عـلى شيوع الزندقة بنوعيهـــا : العلمى ، والخلقى فى ذلك العهد حتى كان من أظهر المسائل فى تاريخ المهدى «تنكيله بالزنادقة والفحص عنهم ، فقد عـين رجلا وكل اليه أمرهم سماه صاحب الزنادقة (٣)

ولا شك كذلك فى أن ابداع بشار علم الشعر ألوانا جديدة من التعبـير والتصوير

لقد أشاعت شخصية بشار جوا من التحرر أو المجون ، أو ألبوهيمية فى كل ناحية من نواحى مجتمع ما زال يغم ويتضح حتى بلغ أوجه فى عهـد الرشيد وشاعره أبى نواس

واذا قصرنا النظر على جانب بشـار الادبى وجدنا نفـوذه يدوى عميقا فى عصره فتتناقل أشعاره ؛ ويتغنى ويناح بها ، بل نراه يوما يغضب على سـلم الخاسر — تلميذه وراويته — لانه أخذ قوله :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفـــاتك اللهج

فجعله :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز باللـــذة الجسور (٤)

ويموت بشـــار لانه هجا الخليفة ، أو هجا وزيره ، أو لأنه زنديق ولكن نفوذه الأدبى يظل حيا عبر العصور يجذب اليه المتتلمذين عليه من نوابغ الشعراء مثل أبى نواس الذى نرجح أنه حين قال :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الـداء

كان ينظر بذكاء قول بشار :

قد لامنى فى خليلتى عمـــر
واللوم فى غير كنهه ضـجر

والذى شهدت الاغانى عليه أنه حين قال :

ماأرى خاليين فى السر الا
قلت : ما يخلوان الا لشانى

نظر قول أستاذه بشار :

يروعه السرار بكل أرض
مخافة أن يكون به السرار (٥)

والذى لاشك فى أنه حين عمل قصيدته فى مدح الخصيب :

أجارة بيتنـــا : أبوك غيـور
وميسور مايرجى لديك عسير

انما كان يتأثر بشارا الفحـــل فى قصيدته فى مدح سليمان بن هشام

---

(١) الاغانى — دار الكتب — ٣ : ٢٠٩
(٢) نفس المصدر : ٢٠٣
(٣) ضحى الاسلام : ١ — ١٤٠
(٤) الاغانى — دار الكتب — ٣ : ١٩٩
(٥) نفس المصدر : ٢٢٣

وقائلة لى حين جد رحيلنـــا
واجفان عينينا تجودوتسكب
أغاد الى حران فى غير شيعة
وذلك شاو عن هواها مغرب
فقلت لها: كلفتنىطلب الغنى
وليس وراءابن الخليفة مذهب
سيكفى فتىمن سعيه حدسيفه
وكور علافى ؛ ووجناذعلب (١)

وحتى المتنبى ــ أمير شعراء العربية زمانا طويلا ·· حين قال :

لا تشتر العبد الا والعصا معه
ان العبيد لأنجاس مناكيـد

لم يجد عيبا فى أن يأخذ من قـول بشار :

الحر يلحى والعصـــا للعبد
وليس للملحف مثل الرد

* * *

والان يبقى سؤال أخير :

هل شخصية بشار سوية متكاملة · أم شاذة متنافرة ؟

الشخص المتكامل هـو الذى يدرك تماما النواحى المختلفة للمواقف التى تواجهه ، ثم يربط بين هذه النواحى وما لديه من خبرة ســابقة تصـلح لتكييف الاستجابة تكييفا ملائما (٢)

فهل كان بشار هذا الشخص ؟

ان ماتقدم من تحديد لسلوك بشار فى المجالات الحيوية المختلفة يحملنا على اعتقاد أنه قد أدرك تماما مشكلاته الكبرى كفقير ، ودميم ، ومولى واعمى وأنه استجاب لهذه المواقف ، أوتكيف ازاء تلك المشكلات ــ بنجـــاح كبير بالنسبة الى مجتمعه وبالنســـبة الى نفسه ·

أما نجاحه بالنسبة الى مجتمعه ·· أى من حيث أنه فـــرد فى مجتمع فواضح فى ترحيب هذا المجتمع به · وانفعاله له ·· وتفاهمه معه واتباعه اياه ·· بل وابقائه عليه حتى جاوز السبعين أو أشرف على الثمانين ·

ولعلنا لانبالغ اذا قلنا ان بشـارا نموذج فنى صادق لمجتمعه ·· وحاجة لازمه من حاجات عصره ·· وظاهرة طبيعية من ظواهر زمانه ·

وأما نجاحه الشـــخصى ــ أى من حيث سلوكه سلوكا حيويا ناجحا · واستجابته استجابة ملائمه فعـــالة لميوله الفطريه ــ فيلزم لكى نحكم فيه أن نستعيد ماسبق أن وصفناه بهمن « بوهيمية » ·

بوهيمية بشار هذه ليست فى حقيقة أمرها سوى ثورة ــ أو تمرد فى الاقل ــ على العوائق التى أقامتها فى سبيله الحيوى ، ظروفه المعيشية·· وتكوينه الشاذ من جهه ·· وأوضاع مجتمعه من جهة أخرى ·

ولاشك فى أن اصطدامه بهـــذه العوائق قد بعث فى نفسه الكراهيـة لها فكره الفقر الذى يقابله المال ··

---

(١) الاغانى ــ دار الكتب ــ (٢) مبادىء علم النفس ــ تكـــامل الشخصية ٣٦٠

وكره الدمامة التى تقابلها المرأة وكره العبودية التى يقابلها الاسلام ·

ولكن نفس بشار الانبساطية ·· المسيطرة الايجابية لم تستطع أن تقتنع بهذه العاطفة السلبيه فتنطوى على نفسها حبيسة مكتومة مكظومه مغيظة تجتر الحقد والبغض لنفسها وللمجتمع وللزمن وللحياة وللوجود جميعا كما فعل أبو العلاء مثلا ·· وانما قلبت هذه العاطفة سلوكا ايجابيا فعالا ·· واستخدمتها معولا تهدم به كل مايقف بينها وبين الحياة المتدفقة المشبعة ·· فسيطر بشار على المال بهجائه · واخضع المرأة بغزله ونال من الاسلام بزندقته ·

واذا كان مجتمع بشار قد وجدفيه لسانا لحاله ، وترجمانا عن احاسيسه ومثالا لشخصيته فان بشارا نفسه مدين لهذا المجتمع بظهوره · فماكان ذلك المجتمع الا ثورة — أو تمردا فى الاقل — على نفسه ·

قريبا .. قريبا

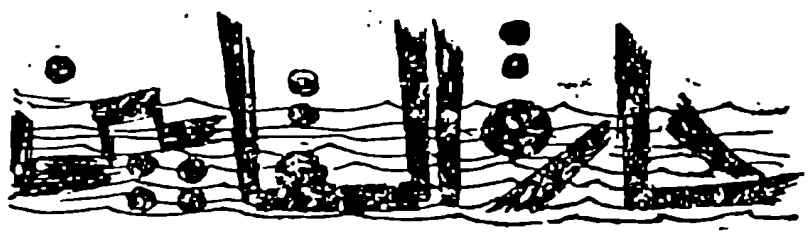

مجموعة قصصية

يقلم

عزت محمد ابو النصر

المرأة في حياة فيكتور هيجو

مضت ثلاث ليال ومجلد سميك يرقد في سكون وهدوء بين راحتي .. فأقرأ فيه وانغمز بين سطوره . . فأعيش مع مؤلفه في اروع قصة وأصدق مأساة .

ـ البؤساء .. القصة التي كتبها هيجو وهو يعيش في منفاه بجزيرة «جربنسي» حيث كان يعاني آلاما ثقيلة وأعباء جساما .

ولد فيكتور هيجو عام ١٩٠٢ ، وشغف منذ صباه بالشعر والمرأة .. فكان حديث السن عندما ذهب مع والده الذي كان يقاتل في اسبانيا آنذاك، وكان كلما اجتمع أخوته ورفاقه للعب ينفر منهم ويفضل الجلوس الى جانب شابة اسبانية حسناء .. يتمتع بجمالها وهو مازال في عهد الصبا الاول .

واحب المرأة ، ولكنه كان جبارا متكبرا ، فأبى على نفسه أن يعشق ويحب كما يفعل سواه .. ففضل أن يمنح نعمة الحب المقدسة لزوجة يضمه واياها عش جميل ويعيشان معا في سعادة تفيض على العالم أجمع .

وكانت أسرته على علاقة متينة بأسرة صديقة كان فيها فتاة جميلة بهية الطلعة هي «اديل فوشيه» .. فرآها الشاعر الشاب ، وشعر لأول مرة في حياته بأن كبرياءه ينحني أمام هذه الحسناء بتواضع وحب صادق .

وظل يرقبها .. وقلبه الكبير في نفسه الشابة يعذبه ويضنيه . . ويتمنى لو يستطيع أن يبوح لها بما في نفسه من حب وقدسية وطهارة

وكتب اليها يوما رسالة يخبرها بما لها في نفسه من حب وولاء .. وذكر لها آلام حبه وهواه، ووقع لها الرسالة بهذا التوقيع «زوجك» .

وقرر أن يتزوجها فعلا .. ولكن أمه ثارت ، فقد كانت تحلم وتؤمن بأن لابنها مكانة لا بد ستعلو قريبا في سماء فرنسا .. وسيسطع نجمه في عالم الأدب والشعر ..

ولم ترغب أن يتزوج ابنها بفتاة عادية بسيطة ـ كأديل ـ ، ومانعت كل الممانعة .. ورضخ لأمرها الشاعر الهيمان وطوى قلبه على حب كاد يذهب

بقلم : عدنان الداعوق

بشعلة فكره ·

وتوفيت والدة «هيجو» وظل يصرف من ماله القليل الذى تبقى له حتى أصبح فقيرا معدما ، فرأت أسرة الفتاة التى يحبها أن الشاعر غير جدير بابنتها فصرفوا عنه النظر واهملوا الحاحه المستمر ·

ولكن هيجو ظل يجاهد ولا يعرف اليأس ولا القنوط فى حبه للفتاة التى أحبها وقدسها ونظم فيها الاشعار والقصائد الطوال ·

وحدث أن الملك لويس الثامن عشر قرأ له بعض قصائده فأعجب به ومنحه بعض المال ·· فكان اول ماسعى اليه هيجو أن ذهب الى والدى الحبيبة أديل ·· وطلب يدها فمانعوا بادىء الأمر ولكنهم قبلوا تحت الحاحه الشديد ·· وكان له ماأراد وتزوج بأديل عام ١٨٢٢

كانت أديل زوجة فاضلة جليلة ·· أحست بظروف زوجها القاسية ·· وشعرت بنفس مشاعره وأحاسيسه وأخذت تعينه وتساعده وتقف الى جانبه أمام العواصف وكوارث الايام ، وكان هيجو يستلهم من زوجته ومن حبه لها روائع قصائده وبدائع شعره ·

وأخذ المستقبل بعد فترة قاسية مرة يبتسم لهما ·· فنشر أول مجموعة من شعره عام ١٨٢٦ ، وهو الوقت الذى بدأت فيه تباشير حركة المدرسة (الرومنتيكية) الجديدة واستعدادها للقضاء على المدرسة (الكلاسيكية) القديمة ·

فجعل بعض الادباء المحدثين هيجو زعيما للحركة الجديدة ·

وتشاء الظروف أن يكون اندثار المدرسة القديمة على يدى هيجو ·· وأعلن عن انتصار مدرسة الرومنتيكيين ولمع اسمه فجأة فى عالم الأدب ·· وكان أن ظهرت عام ١٨٣٠ مسرحيته الجديدة «هرنانى» التى كانت كقاعدة متينة فى أسس المدرسة الجديدة واذ ذاك تمت لهيجو زعامة الأدب الحديث ، وتوج أميرا للتجديد فى القرن التاسع عشر ·

ومما ساعد الشاعر على المضى فى التأليف والنشر زوجته التى كانت مثال المرأة الفاضلة التى وقفت الى جانب زوجها فى حركته التجديدية والى جانب الأحداث التى رافقته كذلك ·

وسعدت العائلة الصغيرة بفضل نجاح الزوج وفضائل الزوجة ·· الا أن الأيام لم تشأ أن تتركهما ينعمان بالسعادة والهناء ، فما لبثت الحوادث المؤلمة ان تتابعت عليهما ·· وأولهما حادثة «أوجين» ·

وأوجين هو الأخ العبقرى الفذ لهيجو الذى جن فجأة ومن غير سبب وتحير هيجو وزوجته من حادثة الجنون هذه ، ولكن المفاجأة أخذت تزول شيئا فشيئا وتظهر الحقيقة ·· فأوجين كان يحب أديل زوجة أخيه منذ الصغر ·· وعشقها عشقا مبرحا وأمل أن يتزوج بها يوما حين رضى أهل أديل بأخيه زوجا لابنتهم ·

ولم يعرف هيجو نفسه بهذا الحب أبدا ·· وحينما انبسطت أمامه الحياة أراد أن يتزوج بمن أحب من دون ان يعرف أن لها أدنى علاقة بأحد ·

فما كان من أوجين بعد هذا الزواج الا أن طوى حبه فى قلبه وضحى بحبه فى سبيل سعادة أخيه ·

واختفى من حياتهما تماما ·· الا أن قلبه المملوء بالحب الصادق والعاطفة المشبوبة لم يطاوعه طويلا فى هذا الاختفاء ·· فانهارت أعصابه وضعف عقله واستسلم للجنون والخبل وظهر ماكان مكبوتا فى نفسه وقلبه ·

وعلم هيجو بالقصة كاملة ·· وحل فى قلبه الحزن العميق ، وابتدأت تراوده طيوف جديدة من الألم واليأس والشعور بالإثم والذنب العظيم ·

وتتالت أحداث الزمن بتلاحق سريع فجاءت الحادثة الثانية التى محت أحداث الأولى ·· وظلت هى بأحداثها المؤلمة ساكنة فى نفس الشاعر الى آخر لحظة فى حياته ·· فعندما أصاب هيجو النجاح أصبحت له ندوة فتحها فى بيته للأدباء والشعراء والنقاد ·· وكان من بين الذين يرتادون ندوته أديب معروف وناقد مشهور هو «سانت بوف» الذى كان قد مدح الشاعر فى بعض قصائده فأحبه هيجو وفتح له قلبه على مصراعيه وصار يرتاد منزله حتى ولو لم يكن صاحبه موجودا ·· فيجلس الى زوجة الشاعر ويأخذهما حديث الشعر والأدب وتطول بينهما اللحظات ·

ولكن سانت بوف كان يخفى وراء مظهر صداقته لهيجو حبا جارفا لزوجته الى أن باح لها فى أحد الأيام وفى لحظة من اللحظات العارمة التى كان يحس بها سانت بوف كلما ضمه وأديل بمجلس باح لها بالحب العظيم الذى يكنه لها والعاطفة التى يخفيها فى صدره منذ أول لقاء لهما ·

غير أن زوجة الشاعر الفاضلة صدته بأدب وكياسة ·· ورجته الا يعود الى هذا الحديث مرة أخرى ·

الا أن سانت بوف الذى كان قد طوح به الغرام لم يحتمل هذا الصد والجفاء فنشر على الملأ بأن حبا جارفا تجرع كؤوسه الهنيئة مع زوجة الشاعر الكبير فيكتور هيجو ·· وكتبت أديل الى سانت بوف رسالة انسانية رقيقة ترجوه فيها أن يكف عن تلفيق هذه الحكايات التى ستودى بسعادتها الزوجية ·

فلم يلتفت اليها العاشق المتيم الولهان وظل يهبط الى آخر درجات السفالة والانحطاط بتأليفه حكايات غرام فاضحة لا أساس لها من الحقيقة

الى أن علم هيجو بالأمر وقرأ بعض خطابات سانت بوف الغرامية التى كانت تتدفق على الزوجة من دون أن تملك قوة الى وقفها ·· وثارت فى نفس الزوج مكامن الغيظ وبواعث الألم ·

وقرر أن يهجر زوجته ويبتعد عنها الا أن كبرياءه أبت عليه أن يظهر بثوب العار والاعتراف بصحة قصة هذا الحب حين ينفصل عن زوجته ، لذلك قرر من جديد أن يظل ملازما زوجته لينفى الفضيحة القاتلة والآلام المبرحة

وكان عام ١٨٣٣ عاما مهما بالنسبة لهيجو فقد تعرف فى هذا العام بفتاة تشتغل فى التمثيل اسمها «جولييت» وكانت على جانب عظيم من الفطنة والذكاء والجمال ·· وطلبت من الشاعر أن يسند اليها دورا فى مسرحيته الجديدة ·· فأجابها الى ماأرادت ·

وكانت جولييت فنانة بكل معنى الكلمة عرفت اصول الحب وافانين الغرام .. واستطاعت أن تفهم الشاعر بما يحمل من آلام وما يكابد من مآسى فأذاقته الحب الذى ارتاح اليه وانصرفت له ، وهجرت جولييت التمثيل وعاشت للشاعر وحده .

وعلمت الزوجة بهذا الغرام الجديد وفقدت الأمل من زوجها الذى آمن بخيانتها ولم يغفر لها .. وانصرفت بلوعة وألم الى أولادها تضيع فى تربيتها لهم آخر ماتبقى لها فى الحياة .

وتأكدت لهيجو خيانة زوجته عندما سمحت لسانت بوف أن يزورها فى منزلها وسلمت له فيما بعد قلبها الملتاع المتلهف للحب المتعطش للعاطفة التى حرمت منها ، ولم يعرف الشاعر أن زوجته سمحت لسانت بوف بالتقرب منها نتيجة للحرمان القاسى المرير الذى كانت تكابده وتقاسيه .

وعاشت جولييت لحبيبها فى صفاء وسعادة ورخاء ، الى أن كان عام ١٨٥١ حيث استولى نابليون الثالث على الحكم فهب الشاعر الكبير هيجو فى صفوف الشعب مدافعا عن الحرية والعدالة والمساواة .

وأصدر نابليون أمرا بقتله مع سائر العصاة ضد الحكم الجديد .

وعلمت جولييت بأمر نابليون .. واصدار حكم الاعدام بحق حبيبها الذى عاشت من أجله ، فبدأت تبحث عنه فى شوارع فرنسا وفى مخابىء الثوار الى أن عثرت عليه وأنبأته الأمر وأخفته عن العيون التى راحت تبحث عنه بلا هوادة .. ونجا من الموت .

وأصبح مدينا لها بحياته .. كما أن الأدب الفرنسى يدين لها بتلك الصفوة المختارة من المؤلفات الخالدة التى سطرها بعد هذه الفترة .

ونفى هيجو بأمر من نابليون الى جزيرة «جرينسى» واستقر هناك مع عائلته .. ولكن جولييت التى أحبته وأخلصت له لم تستطع البعد عنه ، فلحقت به وعاشت بالقرب منه فى منفاه .

وهكذا كان لجولييت الفضل الكبير والعون الجليل فى اظهار كثير من الكتب الرائعة والمؤلفات التى ولدت فى المنفى .

ولما عاد فيكتور هيجو الى فرنسا عام ١٨٧١ كانت الشيخوخة والحزن قد حطما عزمه ، وأثقلا كاهله .. لأن زوجته ماتت وكذلك معظم أولاده .

فظل مع جولييت فى منزل واحد الى أن فارقا الحياة .. وكأنهما كانا على موعد للرحيل .. لقد سبقته الى العالم الآخر بعشرين يوما .

الشعر

القافلة ..

في ليلة مقرورة النسمـــات سوداء الجديلة
نصب الشتاء سرادقا فيها ·· ووشحها سدوله
شمطاء رملها الدجى ·· والريح تصرخ مثل غوله
والقهقهات الداويات كأنها شبح الرذيلة ··
والبحر أثقله الفضول فقام يعبث بالمدينة
والبرق يستبق الخطى والرعد لا يرخى جفونه !
وأنا أسير على الطريق وليس لى فى السير غاية
الا الهـــــواية ··!
ومعى بقايا قصة فى غور أعماقى دفينة
أجتر غابرها فأشعر غصة تجتاح كأسى ··
كأسى ·· وما كأسى سوى قلب يشب
قطراته حسى وأنفاسى وأوهامى الغنية
والليل حانتى الرهيبة كلها سر وحجب
سمارها ·· من وحى أفكارى وأشباحى الخفية
والفجر حارس بابها والركب لا يدنيه درب !
ويدور رأسى ···
بالذكريات العانسات الراقدات بغير أمس
وسدتها النسيان لكن أرقت بالوجد قلبى
يا ويح قلبى ···
لا ·· لست أهفو غير أن لذكريات الحب سحرا
ماض لنا فيها ·· وكم ماض بها عشناه عمرا
وعلى امتداد اليوم كم يسنى وكم ينثال عطرا ··
حلو ولكن فى غرامى كم سقانى الحلو مرا ··!
ويلفنى صمت مديد كله فكر ونجوى ··
لا صوت الا أنة القربان سوداء حزينة
أو قطة حيرى تموء وراء نافذة سجينة !
وأجر فى ساقى جرا ··
وأنا أوارى ما أوارى ·· ناشدا فى ذاك سلوى

* * *

وعلى الزقاق يدب ذو العكاز فى خطو عليل
كاللوحة الصماء فى أرجاء سامر
متجلد الخطوات والأطراف مشبوح الخواطر
أضنته أثقال السنين فلاح كالقوس الضئيل

كالمارد المعكوف أسنده الدجى فوق الجدار
حتى النهار ..!
وعليه مخلاة بها ادم وكسره
ولدقة المكاز فوق الطين رغم الطين نبره !
يمشي يقلب عينيه في الأرض بحثا
وكأنما يعييه شيء .. ان للاموات بعثا ..!

* * *

أو جامع الاعقاب كوم جسمه في منعطف
مكتور كالعنزة الشوهاء في صمت المقابر
في الوحل كان فراشه وبردة الأفق التحف
وبداه تحضن .. كوزه .. لتصون أعقاب السجائر
حينا يدثرها بثوب طرزته يد البلى ..
أو مرة في الصدر يدفئها ويفترش الثرى
عبثا يحاول جامع الاعقاب ضم شتاتها
فالريح يا للريح بعثر ثروة ريقتاتها ..!

* * *

وعلى الطريق تخطرت تجتاز قارعة الطريق
تنساب في دل كما تنساب في الظلمات أفعى
أو شبه أنثى ..!
غمازة العطفين في وقع له وقع مثير
تمشي الهوينى هكذا كيف اتفق
وارتاح فوق البان ثوب لونه مثل الحريق
ووراءها تعوى ذئاب الليل تشرع نابها
ولذلك العطر الرخيص شذى عبق ..
تتناقل النهدين آنا في هبوط أو صعود
يتواثبان كما تواثب أرنب
ويحدقان كما يحدق معجب
وعلى الجبين الشامة السوداء من أثر السجود
من يا ترى المعبود !؟
ويميس ردفاها على نقر المطر
رغم المطـــر !
لكنها كالغصن ملعاب رطيب
لدن كعود البان غض يشتهى
أو يشـــترى ...
وسمارها المحروق في لون الزبيب !

طمست معالم وجهها الوان اصباغ كثيرة
فتضرست مثل الخريطة ..!
واتى عليها الماء فانزلقت ولاحت شاحبة
كالراهبـــــة ...
وتهدلت تلك الشريطة
من شعرها فبدا بفوضاه المثيره ..
جوعانة اللفتات ترسل عينها من زاويه
وقفت بها فى ناصيه
لتبيع بين العابرين بها الخطيئة !
لا تشتهى ...
ابدا .. وليست تجتلى
بل تبتغى خبزا لها وتريد دفئا
وتود مأوى لايكلفها اللجوء اليه عبئا ..
ووراثها تعوى ذئاب الليل تشرع نابها
ويضج فى أعصابها نهم له صوت وجلبه
وتعد ما فى جيبها وجميعها شغف ورغبه !
يتساومون على الثمن ، وكأنها فى السوق سلعه
ويحددون لها الزمن ، او بينهم يجرون قرعه !
وأمامها يمشون كالقواد نحو الموقعه
للصـــــومعه ...
وتسير تتبعهم وفوق الثغر معنى مبهم
لا .. ليس ابتساما او ندامه
ما هكذا ثغر الحسان الباسم
بل كان دمعا نازحا من قلبها نحو الفم
متراكض الأصداء يلهث فوقه طيف وطيف
دفنتـه أشـباح ابتسامه
الفته من طول احتراف الليل كل الموسم
تقتات بالساقين .. والساقان رزق للحسان
لما يكشر حولها وجه الزمان ..!
بهما تعيش .. وكم تعيش كعيشها الف وألف ..!

* * *

رحماك .. يا أختاه قد تعبت لوقفتها النهود
يا ضيعة العنقود ...
رمانك السكران اذبله السهر
من طول ما اهتصرته كف جائعه

وعلى الشفاه كم انتحر ..
والعمر انفقتيه حيرى ضائعه !
والسهد شيب بين عينيك الليالى
والفجر يصلبه الكرى بين الرموش
والنور شيعه الظلام فلا يبالى ..
والريشة السوداء كحلت العيون بلا رتوش ...
رحماك يا اختاه ماذا قد جنيت من الدنى
ما زلت يا اخت الهوى .. اخت الهوى !
والناس لا تدرى الخلى من الشجى
فالكل عند الناس حى ...
سيمر عنك العابرون وتصبحين بلا ثمر
الا اثر ..!
والغصن يعروه الذبول
والوجه يطويه الافول
والحسن ما يبقى يزول
والدهر ان يحلو يمر ..
ويمـر عمـــر ..
وتدور ايام الحياة
ونصير ذكرى للرواه ...!

* * *

وتسلق الافريز خيط من شعاع يحتضر
القاه مصباح الطريق بلا اهتمام
وجرت به فى الوحل افواج المطر
فطوته احشاء الظلام
والحارس المنصوب يصرخ من هنا أو من هناك
فتموت صرخته بانحاء الدرك ..
ويعيدها .. فيذيبها صوت الرياح اذا اعترك
ويظل يبرم شاربا .. ويفك آخر ..!
دلاه .. ذياك البلل ..!
ويزيحه لتمر زعقته فيزعج اى عابر ..
ويعود يخطر فى مهل ..
مثل الجمل ..
وانا اسير على الطريق وليس له فى السير غايه
الا الهـــوايه ..!

« فتحى سعيد »

لحن

* الى من عطر فروسية اليدان .. بفروسية الوجدان ... *
* الى اخى .. الضابط الشاب .. تيمور زكى ... ... *

(١)

ايه يالحن ؟!.. وما اعـــرف لحنى ..!
حيرة تطغى عـــلى قلبى ، وجفنى ..!!
قصة « الامس » تعـــامهت فى دمى ..
وصراع « اليـــوم » وهم .. وتمنى !
« وعدى » المغلول فى قيـــد الدجى ...
هـــــوة ملأى بأشـــباح ، وجـــن !!
كلمـــا وقعت « لحنـــا « .. راعنى ..
مارد اليـــأس ، فمـــا عدت اغنى !!

***

« لمـــن اليـــــوم اغنـــى !!
ولمن ازجى صـــــــلاتى !!
« وحبيبى ... غـــاب عنـــى ..
وانطـــوى فى ذكرياتى ! »
« وهتفت .. اطلال حصنى ..
فى أكف العاصـــفات ! »
« فلمن انشـــــد لحنى ؟!
واســـوى ... اغنيـــاتى ..؟! »

***

« اين احـــلامى ، وحبى ! ؟
صـــفرت منهـــا بلـايا ! »
عـــربد اليـــأس بدربى ..
وتمشى فى دمـــــايا ! »
« فـــاذا قلـــبى ضـــريح
رقدت فيـــه الضحايا ! »
« ليس تجديهـــا دموعى ..
لو تندت مقلتـــــايا !! »

كان لى يومـــا .. حبيب ، ومضى ..
وأسوت الجرح منه ، بحبيب !!
لم يطل عهـــــدى به حتى انقضى ..
مثـــــل ومض رف فى ثغر المغيب !!
غرســـت ذكراه فى قلبى أسى ..
وانثنت تحفـــر فى جنبى .. ندوب !
عبثا أضمد منها ، وأنا ..
ألعق اليأس ، وأقتات الشحوب !!

***

قدر يلهو ، ورب يتلهى ..!
باللمى العزلاء .. فى نشوة طفل !!
صـاغنى قلبـــا ، وأذكى وقده ..
فى رجاب الحسن .. من ظل .. لظل !!
فاذا الحب تجـلى ضوؤه ..
صرع الضوء على مذبح ليل !!
شاءت « الأقدار » ما لم أبتغ ..
ان أنا شئت .. فمـــا يصنع مثلى ؟!

***

« أى معنى أرتجيـــــه ؟!
من أزاهير شـــبابى ؟! »
« غير شجوى ، وهمومى ..
وحنينى ، واغتـــرابى !! »
« وجـــوى يحـــرق قلبى ..
فى مجيئى وذهـــابى ! »
« وضـــــباب يطبـــع النفـ.
س .. بألوان الضباب !! »

***

« فاطو الحانك ـ يا نا ..
.. ى ـ كما أخرســت لحنى !
« كان لى بالأمس حب ..
وتوارى اليـــوم عنى ! »
« لم يعد للعيش معنى ..

وخلا مـــن كل فن !! «
« فلمن تنـــدى لحونى ؟!
ولمن - بعد - اغنى ؟! »

(٢)

ومضى الشـــاعر .. موهون الخطى ..
فى وعور التيه .. من غير دليل !
ليس يبدو منه الا هيـكل ..
آده الهـــم .. وأضناه الســـبيل »
هو يمضى .. لم يحدد غاية ..
شارد العينين .. يرنو .. فى ذهول !!
لم يعد يعرف قصدا .. بعـــدما ..
ريعت الآمال فى الدرب الطـــويل !!
عبث « الغيب » بهـــا .. فانتثرت ..
مزقا فى السفح ، أو فوق التـــلول !!

***

وعلى هدبيه .. لاحت غيمة
من دموع خنقتها الكبرياء !!
وحواليه .. غموض هامس ..
يتلاشى .. بين ضوضاء السماء !!
الف نجوى ، وخيـــال ، وهوى ...
دمدمت فى هيـكل .. خابى الرجاء !
غاب عنه « الوعى » حينا ، فارتمى ..
جثـــة تقطر بؤســـا ، وشـــقاء !
فقـــد الوعى بليـــل قاتم ...
واســـتعاد الوعى فى فجر الضياء !!

***

« اصح - يا شـــاعر - وانهض ..
عفـــر الترب جبينـــك ! »
« رقص الضـــوء عليه ...
وهو لم يلمس جفونك ! »
« فافتح العينين ، واقبس ..
من سنا النور .. لحونك ! »

« واشد بالحب ، فطيف الـ ..
يأس .. لن يغشى عرينك !! »

***

« امض – يا حلم ودعنى ..!
طالمـــا شـــاهت رواكا ! »
« ان اكـــن لبيت بالأمـ
.. مس ، وعانقت سناكا ! »
« فانا اليـــوم – بصير الـ
قلب .. لا القفو خطـــاكا »
« ما ضياعى .. غير وهم ..
شـــــدته .. تبت يداكا !! »

***

« اصح يا شاعر وابرح رقدة ..
فى جديب .. لم ترمه .. مرقدا ! »
« ليس ما يدعوك .. حلما ، ورؤى ..
او اساطير .. تخايلن .. سدى ! »
« جنـــة الحب ، وأزهـــار المنى ..
من وراء الغيب .. قـد مدت يدا !! »
« ابتلت – بالأمس – فجرا ناضرا ..
ومضت تبدع فى الأفق « غدا » !! »

***

« انه لحن ســـــئمته ..
وعفـــا منـــه الوتر ! »
« وهتـــاف قد سمعته ..
من زمان .. وغـــبر ! »
« كنت فى يوم حمدته ..
لم اصـــب منـــه اثرا
« وســـراجى جف زيتـــه ..
وخبـــا ومض العمـــر !! »

***

« كان ماضيك نسيجا واهيا ..
من خيوط الوهم .. والسن غريرة ! »
« ان تكن صـــادفت يوما ظـــله ..

فلكم كابدت فى القيـــظ ـ هجيرة !! «
« ورجاء اليوم صرح راســـخ ..
شاده العقل .. على مهد البصيرة ! «
« زغرد النـــــور عليه طربا ..
وهو ـ طول العمر ـ لن يعدم نوره !! »

***

« أى سر جد فى اللحن فهـــز الشاعرا ؟! »
« ونفى النوم .. عن الجفن .. وأحيا الخاطرا ؟! »
« وعلا .. بالجسد المطروح .. فى جوف الثرى ؟! »
« فغدا .. فى الدرب .. تحدوه طيوف لاترى ! »
« أترى ... ساحرة .. رقت له .. أو ساحرا ؟! »

***

لم يكد ينظـــــر .. حتى عشيت ..
عينه بالضوء ... من فرط ســـناه !
عاود النظرة حينـــا .. فجثـــــا ..
يعبـــد الحسن على عرش ضـــياه !
ما رأت عينـــاه يوما مثله ...
لا ، ولم تعهد .. مجاليه .. نهـــاه !!
رف فى رقـــة طفـــــل ، وبدا ...
فى جلال الرب ، أو زهـــو الاله !!
طله الصبح بأنداء الضحى ..
وحبـــاه الليـــل .. أسرار دجاه !!
تنبض الآيات ... فى محـــرابه ..
صـــورا .. تزرى بآيات الحيـــاة !!

***

« عشق ـ الشـــاعر ـ « ربـــه » ... !
ومضى ... يسمـــو .. اليـــه .. »
« وســـد التوحيد قلبه ..
والهـــوى فى مقلتيـــه ! «
« وكسا ـ بالزهر ـ دربه ..
وحنـــا القطر عليـــه ! »

« الف المحراب حبـــه ..
وضراعـــات يـــديه !!.. »

***

« فسقاه .. اكؤسا سكرى.. فهاما..
وغفا الالفان .. فى عطف الظلال !! »
« يرشفان العمر حبـــا ، وغراما ..
ومنى عذراء .. من صنع الجمـــال ! »
« والهوى يضفى على الافق ســـلاما ..
قدس الروح .. مسحور الجـــلال ! »
« ان يكن يخشى – من الدهر – قتاما ..
فالهوى العف يوقيه الليـــالى ..!! »

محمد ابراهيم الديب

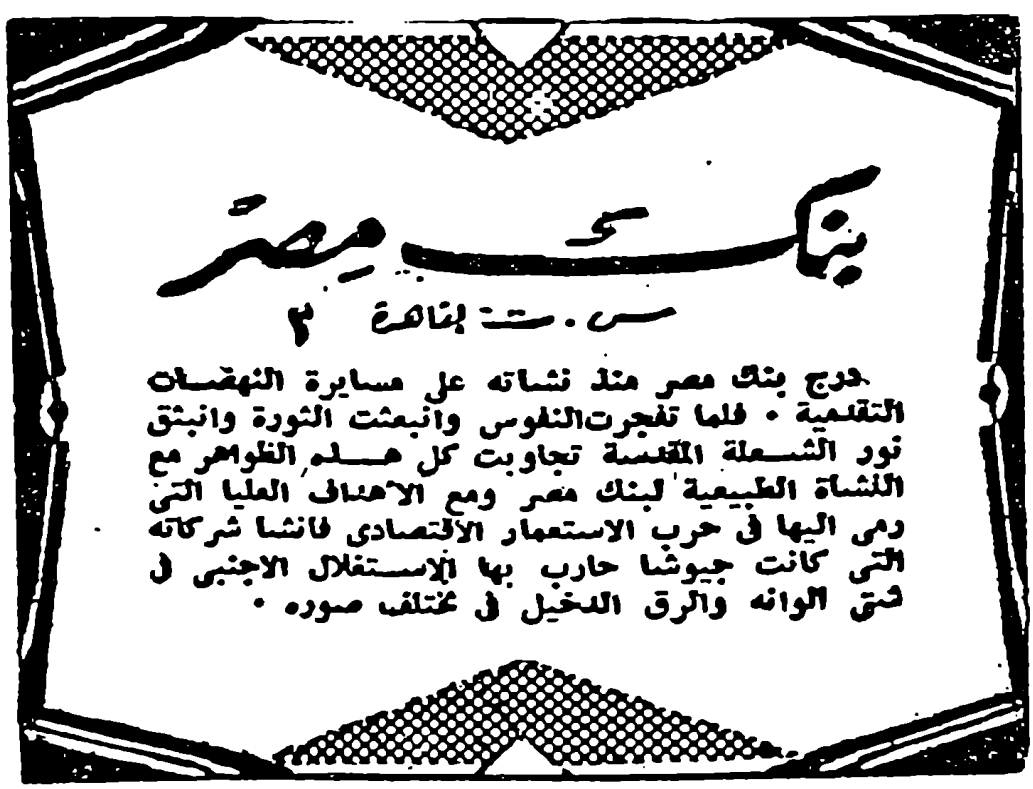
بنك مصر
مؤسسة مصرية
درج بنك مصر منذ نشأته على مسايرة النهضات التقدمية . فلما تفجرت النفوس وانبعثت الثورة وانبثق نور الشعلة المقدسة تجاوبت كل هذه الظواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر ومع الأهداف العليا التى رمى اليها فى حرب الاستعمار الاقتصادى فانشأ شركاته التى كانت جيوشا حارب بها الاستغلال الاجنبى فى شتى ألوانه والرق الدخيل فى مختلف صوره .

طريق الوداع

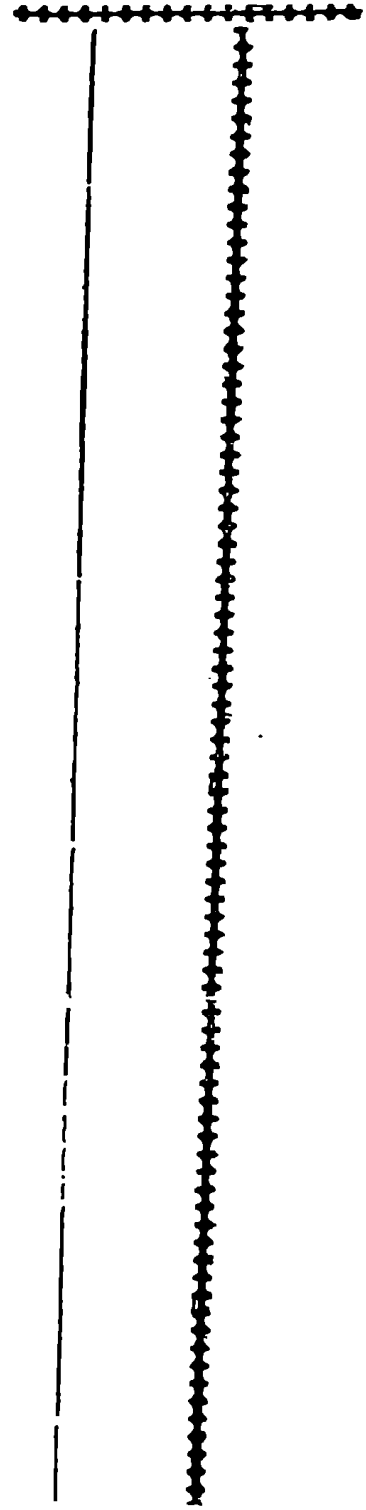

وانا وانت على الطريق ..
والنخل والصفصاف والنور السحيق ..
وبناظريك الحب والأمل الطليق ..
ويدى تشد على أناملك الصغيرة
تحكى حكايات عزيزة
وصدى لانفاسى يفرج وجنتيك
وحفيف صوت هامس يسعى اليك
هل تسمعينه ؟

اذناك خلف الذكريات
تحيا بما قلنا هنيا
وتعيش احلاما صغارا
قد نسجناها سويا
عيناك يا حبى بها كل الحكاية
تروى وتشهد حبنا منذ البداية
وتروح لمجهول فى خوف حبى
وتعود تروى كل شىء
عيناك اذناك رديها على

نحن لا نخشى من الامس التفاتا ورجوع
نحن لا نملك للغد مصابيحا او شموع
حبنا طفل وليد مثل ازهار الربيع
لا تخيفيه بآت نحن لا نملك امره
لا تخيفيه بماض قد دفناه وسره
نحن لليوم الذى نقطف زهره
حبنا همس ونجوى ومسره

فاجابت : تعصر الدمع وما تفصح قولا
وزفير راعش النبرة يساقط سيلا
انسيت ؟
اننا والصبح نمضى للضياع
كل ما نملك آهة او انة او قول ... الوداع
ليس بعد اليوم للشمل اجتماع
فاجبتها : آه الآن افهم كل شىء
عيناك .. اذناك .. شفتاك رديها على
لا تبعد عنى بشىء

السيد ستيت

انا وعصرى

اى وحى عبقرى علم الاغصـــان شـــعرى
اى الهـــام حباها بالذى يخفيـــه صـــدرى
معبـد الاسرار ، هـــل باحت اساريرى بسرى
لا اظـن الصـــدر خان ، فمن اسر اليـك امرى
يا غصـــونى ، اى قربان اليـــك يفـــك اسرى
من اغانيك الحســـان ، ولحنـــك الحلو الاغر
رد فى الآفاق صـــوت هاتف « يا نفس قرى »
« هن كاســـاتى وخمرتى » فنسيت خمـــرى
اسكرتنى خمـرة الاغصان ... آه طـال سكرى
فاستشفت هـــذه الاسرار فى غفـــوات فكرى
حينما انســـيت نفسى بين أغصـــانى وزهرى
بين احضـان الصبـايا فاشتهين خمـور ثغرى
فارتوين السحـر منى ثم حين رايت سحـــرى
فى فم الاغصـان ، والازهـــار للاكوان يسرى
قلت وحى عبقـــرى علم الاغصـــان شعـــرى
آه يا اغصـــان خنت سريرتى وكشفت ستـــرى
فانشرى للكون فنى وارفعى فى النـاس ذكرى
اننى قضيت عمـــرى لا يحس النـــاس قدرى
عشت فى الدنيـا غريبا بين قومى ، لست ادرى
هـــل انا كـون عجيب أم انا فى غـــير عصرى
قد نزلت الارض سهـوا عارضا من قبـل دورى
فانطـوت احـــلام قومى دون فلسفتى وفكرى
فى الحيـــاة ، فلا يعادى فكرتى ابنـــاء عصرى
ثم قالوا « انه المعتـــوه ذو الرأى المضر ... »
« ابعـدوا المجنون فى واد من الوديان قفر ... »
« انه شر اثيـم » وادعـــوا للنـــاس كفـرى
عذبتنى دقة الاحســـاس فاســـتخفيت بشرى
واصطنعت الحـزن حتى احزنتنى ، رغـم سخرى
من عقـــول باليـــات حاربتنى دون وزد
آه قـــد وثب الزمان بحـاضرى فاذل عمـــرى
آه قـــد دفن الظلام برمسـه انوار فجـــرى
آه يا اغصـــان انى قـــد ظلمت بغير اصر
فاعـزفى لحن الفنـــاء فاننى شيـــدت قبـرى
ســـوف ارقـــد ها هنـا حتى يجىء الى دورى

ابراهيم حماد الشيخ

دق الجرس ثلاث دقات سريعة متتابعة ، فغادر المدرسون الفصول فى ارتياح وتجمعوا بحجرة المدرسين فى شوق ولهفة يرشفون فناجين القهوة ويدخنون عشرات السجاير فى شراهة ونهم ، بينما انطلق التلاميذ من فصولهم يتدافعون ويتسابقون الى الحوش وقد طغت أصواتهم على كل شىء ·· وتصاعد فى جو الحوش غبار أثارته أقدامهم الصغيرة ·· ثم أحاطوا بالسور الحديدى المرتفع ينظرون من فتحاته الى الخارج فى شوق ·

وارتفع صوت قادم من بعيد ثم ظهر صاحبه بقامته المديدة وصندوقه الخشبى يحمله فوق رأسه ويسير به فى اعتزاز · وتصايح الاطفال وأشاروا اليه ، وتسلق بعضهم السور ثم قفز من فوقه والتفوا حول عثمان وعيونهم ترمق صندوقه الخشبى الصغير فى شوق ، وآذانهم تلتقط صوته العذب وهو ينادى على بضاعته بنغمات خاصة يحرك أثنائها سكينه بحركات سريعة متتابعة وهو يشير الى صندوقه وما يحويه من حلوى ·

ولم يطل الوقوف بالصغار صامتين اذ سرعان ما خرجت الملاليم من جيوبهم لتنتهى ليد عثمان وهو دائب الحركة والابتسام والنداء ·· يعطى هذا قرطاسا من اللب ، وينـاول ذلك مصاصة ، وغيره نبوت الغفير ، وهو يتأمل الملاليم فى كفه بأمل وشغف ، وتذكر عثمان وردة ، وتعجل اليوم الذى تكثر فيه هذه الملاليم وتتكامل العشرين جنيها كاملة ·· انه ينتظر ذلك اليوم فى صبر وأمل ، فبعده سيتقدم فى ثقة لها فيقدم المهر وتصبح له على الدوام تشاركه حياته وسعادته ·· واحس عثمان بخدر لذيذ يسرى فى جميع أجزاء جسده وهو يتخيل وردة بجسدها المشوق وعودها المعتدل وعينيها الكحيلة التى اسرته بجمالها من أول لقاء ·

وتزاحم الصبية عليه وتكاثروا حوله وكأنهم يغارون من أفكاره التى تزاحمت برأسه فكاد يستسلم لها ويهمل صندوقه لعبث الاطفال كلما سنحت لهم فرصة ·· وأفاق عثمان لنفسه عندما جذبه صغير من جلبابه الابيض النظيف جذبة كادت ترجعه الى الارض فارتفعت يده تضرب ـ بلا وعى ـ الصغار الملتفين حوله يبعدهم عنه حتى يطمئن على صندوقه وما كاد يراهم يتفرقون من حوله ويتركونه وحيدا حتى عادت اليه بشاشته الاولى وتحركت كفاه من

بقلم : مصطفى الأسمر

جديد وارتفع صوته بغناء علب جميل آسف كأنه يدعوهم به اليه ويستغفرهم على ما صدر منه ٠٠ وعاد الصغار والتفوا حوله مرة ثانية وعادت أصواتهم النحيلة الرقيقة تنادى باسمه ويختلط بعضها ببعض فتندمج وتصبح شيئا واحدا ليس بالامكان تحديد صوت بعينه ونسبته لواحد منهم ٠٠ ولكن عثمان وحده كان هو الوحيد الذى يستطيع ان يستخلص صوت كل تلميذ فيعرف ماذا يريد ٠٠ واسترعى انتباهه صوت خجل هادىء ، فجالت عينه بين التلاميذ تبحث عن صاحبه ، وتلاقت عيناهما ، وأحس الصبى بنظرات عثمان فقال وما زالت تلك الرنة الخجلة تغلف صوته :

ـ بمليم حمص والنبى يا عم عثمان ٠٠ فتناول عثمان كالحالم قرطاسا ناوله له ، وقد ذكره صاحب الصوت بصوتها ٠٠ بصوت وردة ، وارتجف وهو يتذكر اسمها ، وتحسست يده بحركة آلية جيبه كأنه يعد ما به من ملاليم ٠٠ واستعاد صوتها الشجى مرات ومرات عندما كانت هى وزميلاتها المدرسات ينادينه من خلف سور المدرسة ، نفس هذا السور الذى يراه أمامه الآن ٠٠ لقد كان بوسعه على الدوام أن يحدد صوتها هى ٠٠ هى وحدها دون غيرها وهى تقول له : بقرش لب يا سى عثمان ٠٠ فمن أول يوم سمع فيه هذا الصوت الحالم أصبح أسيره ، ملأ عليه حياته واحتل كل فكره ، وابتدأ يبحث عن صاحبته ٠٠ من هى ؟ من تكون ؟ ما عملها ؟ حتى عرف بعض الاشياء عنها ٠٠

وتنهد عثمان فى أسى ، وشعر بمرارة لا حد لها ، انه لا يعرف القراءة ولا الكتابة ٠٠ فهل يليق به أن يتقدم لخطبتها وهو جاهل وهى متعلمة ٠٠ وحاول أن ينبذ تلك الفكرة المعتمة من ذهنه ويبعدها عنه بكل السبل حتى لقد تحركت يده كأنها تدفع عنه خطرا مقبلا يهدد هناءه المنتظر ٠٠٠ ولكنه عبثا كان يصنع ، فالفكرة عالقة بذهنه لا تريد أن تبرحه ٠

وحاول عثمان أن يقنع نفسه انها تحبه وان المشكلة لا تتعدى المهر لو استطاع أن يجمعه ٠ يجمع عشرين جنيها ، فسيرسل أمه لخطبتها ويتم الزفاف سريعا ليصل لسعادته وينال حلمه ٠

وفى بساطة وهدوء أحس عثمان بشىء فى دخيلته يتحرك ثم يظهر له ويسأله فى بساطة : ولو رفضتك ؟

وحاول عثمان أن يجيب ويسوق الحجج ويبرهن لهذا الدخيل أنها تحبه ، وتعجب به ٠ ولكنه لم يجد فى نفسه قدرة على الكلام فأحنى رأسه واستمع لهذا الصوت الدخيل: انا أعرف يا عثمان أنك تحبها ولكن هل تحبك هى ؟٠٠ بل هل تشعر بك وتهتم اهتمامك بها ؟٠٠ ربما كان كل ما تعنيه أنت بالنسبة لها ٠ قرطاس فول ٠ ورقة شكولاتة ٠ وربما كان هذا كل ما يربطك بها ٠٠ ثم أليس من الجائز يا سى عثمان أن يكون هناك غيرك ٠٠ زميلا لها مثلا ٠٠ واستفسر عثمان فى ذعر وغيرة : زميل لها ؟

– نعم زميل لها .. اليس لها زملاء فى المدرسة ؟.. لها ، وأنت تعرف هذا فلم لا يكون هناك حب بينهما .. بينها وبين هذا الزميل والظروف سانحة .. ويقضيان الكثير من الوقت سويا . فهل تنكر أن يحدث أمر كهذا ..؟

وصرخ عثمان فى ألم : وردة .. لا .. لا يمكن أن تفعل أمرا كهذا .

– أما اذا فعلته معك . أعنى اذا أحبتك أنت فهذا ممكن ومعقول لماذا ؟ لانك تنظر وللأسف من الزاوية التى فيها صالحك .. وفتح عثمان فمه ليتكلم فخرجت همهمة لا معنى لها واستطرد الصوت الدخيل : وأين أنت منها .. هل تستطيع كتابة اسمك كاملا ؟.. أجب ولا تخجل ؟

– وما فائدة الكتابة ..؟

– ألا تعرف ..؟

– لا .. فكل ما أعرفه ان كثيرين ممن يكتبون لا يعرفون شيئا .

– حتى هى ..؟

ولم يجد عثمان لهذا السؤال جوابا فحاول أن يوهم هذا الدخيل أنه ما شغله عنه الا مشاغبات الصبية ومزاحماتهم حول صندوقه .. وفجأة التمعت فى ذهنه اجابة حسبها منفسا يريحه مما بصدره من ضيق : ولكن هل منعت الكتابة هؤلاء الصغار من محاولة سرقتى ؟

– وهل منعك جهلك من محاولة استغفالهم ؟

– أنا ..!؟

خرجت من بين شفتى عثمان فزعة صادقة .. انا لا اسرق أحد .. انا أبيعهم وهم يشترون .. واستراح عثمان لهذه النهاية عندما صمت هذا الصوت الدخيل الذى يلاحقه دائما منذ عرف وردة .. فارتفع صوته هادئا مطمئنا يردد فى عذوبة نداءه المعهود وعينه مشدودة الى السور آملا أن تظهر فاتنته .. وعاد ذلك الدخيل المزعج يقلقه بصوته الهادىء الساخر:

– ولكنى أقصد العلم .. العلم ذاته ، وما الكتابة الا احدى الوسائل المعبرة عنه ، فهل أنت متعلم ؟ لا تخجل .. قل لا .. فأنت لم تخلق نفسك ، بل الظروف هى التى خلقتك . أنت لا تعرف الا ما اجبرتك الضرورة على معرفته . الطريق الى المدرسة مثلا .. لف قراطيس اللب .. تغليف الكراملة .. حتى وردة نفسها أنت لا تعرف عنها غير معلومات قليلة ضئيلة هى نفسها المعلومات التى يعرفها أى صغير واقف أمامك الآن .. وهنا يأسى عثمان كل ما تملكه من معلومات وكل ما تعرفه عن الدنيا .. انها الحقيقة .. أما وردة .. فتعرف أشياء كثيرة لن أحدثك عنها لانك لن تفهمها .

وأحس عثمان أنه سيختنق وشعر بدوار ولكنه تماسك وقال فى يأس : ولكنى أكسب ...

– تكسب .. ماذا تكسب ياعثمان؟ انك منذ عرفتها وقد انقضى على هذا العهد ما يقرب من عام ولم تستطع أن تجمع المهر الذى قدرته انت بنفسك .. أما هى .. هى المتعلمة فمرتب

شهرين فقط يعادل ذلك المهر الذى قدرته انت ٠

وصمت عثمان وغاب عن صمته واستغرق ولم ينتبه منه الا عندما هدات الضجة من حوله فالتفت يبحث عن الصغار فأبصرهم يتسابقون السور ٠ وراقبهم فى محاولاتهم وهو يرجو صادقا الا يصيبهم مكروه ٠٠ لا لأنهم زبائنه ومصدر رزقه ٠٠ بل لسبب خفى يملأ قلبه ووجدانه ٠٠ وظل عثمان يتابعهم بنظراته حتى اختفوا عنه ٠٠ فعاد لوجومه وصمته ثم استفسر فى وجل :

ـ ولكن ماذا اعمل ؟

واتاه ذلك الصوت الدخيل هادئا عذبا : لقد عملت بسؤالك كل شىء وعليك ان تتعلم وتكافح ٠

ـ اتعلم ؟ ربما ، ولكن اكافح ٠٠ هل انا مقصر فى هذا ؟ انا اعمل من الصباح الى المساء ، فهل تريد ان اتعلم لأعمل مدرسا معها ٠

ـ لا اقصد هذا ، بل احب ان تتعلم لينمو فكرك وتشعر بقيمتك ٠٠ انت الآن تشعر انك صغير حقير تافه ازاء وردة ٠٠ ولو تزوجتها ٠٠ هل تحسب انك ستتحرر من ذلك الشعور ٠٠ ابدا لن تتحرر ، فدائما ستكون معذبا ٠٠ ستراها تقرأ وتكتب وتفكر وتتامل وتفهم وتناقش وتربى اطفالك وتعلمهم ، بينما انت قابع بمفردك منفصل عنهم فى ركن قصى من الغرفة كالمنبوذ ٠٠ كل هذا لأنك جاهل لا تستطيع ان تفهم شيئا حتى مما يفهمه اولادك ٠

واستعذب عثمان الخاطر فاستفسر : وهل سيكون لنا اولاد تعلمهم وردة بنفسها ؟

ـ ككل الناس سيكون لك صغار ولو تعلمت لاستطعت أن تعلمهم بنفسك ، وعندها ستخرج من عزلتك فلن تصبح وحيدا ، بل ستنضم لهم ، أما كفاحك فسيكون من أجلهم ومن أجل تأمين مصيرهم ٠

ـ اذن سيكون عندى المال الكثير ؟

ـ بل ستكون عندك الارادة التى تجلب لك مالا يكفل لهم حياة سعيدة ٠

ـ اذن فالحل ان اتعلم ٠

ـ وفى نفس مدرسة وردة فى القسم الليلى ٠

ـ وبعد ذلك ٠٠؟

ـ تقدم لخطبتها فان كانت تحبك فستقبلك على الفور ، وان لم تكن تميل اليك فلا تجزع فعلمك سيجعلك تنساها وتبحث عن غيرها ٠

واستفسر عثمان فى جزع ، وقد صمم أن يتعلم ، ولكن هل تظن انها سترفض ٠٠؟

وجاءه الصوت هادئا متفائلا : لا ٠٠ لا ٠٠ لا اعتقد ٠

ولا .. ايهـــاب . . !!

رمقته بنظرة كلها رغبة واعجاب ، وارتسمت على ثغرها ابتسامة هادئة رقيقة تعرب عن السعادة والرضى ، وامهلته حتى فرغ من تثبيت رباط عنقه ونادته بصوت خافت حنون فيه تموج ودلال وفيه عتب واستعجال .

ـ ايهاب .

ودار على عقبيه كأنه طيف خفيف ، وقفز على أطراف اصابعه بخطوات أنيقة مرحة كأنه يخشى الارض من تحته .

ـ أيوه ياماما .

ووضع يديه فى جانبه ليظهر لها طاعته وأناقته . ونظرت اليه مليا نظرات حانية عطوفة فحصته فيها من فرعه الى قدميه .

ـ ايه الحلاوة دى يا بى بى .

وغض بصره وتوردت وجنتاه .

ـ أقول ايه يا ماما ، اذا كنت أنا جزء منك .

وسألته أسئلة دقيقة عن أصدقاء رحلته والوقت الذى سيقضيه فيها .

ـ بس حاسب بنت عينها تزوغ وتحاول تخطفك منى .

ـ تخطفنى ازاى ..

وأسدل جفنيه فى خفر وقال .

ـ دانا باحب مامى .

وأقبل عليها ليطبع على جبينها خبلته المعهودة ، فانهالت عليه بوابل من قبلاتها الحارة الثائرة وهو مستسلم لها طروب لسعادتها ، وضمته الى صدرها بقوة كأنما تريد ان توصد عليه شغاف قلبها .

وتفلت من بين يديها وتركها مرتخية على الشيزلونج .

ونبض قلبها لفراقه ولم تطق الا أن ترافقه بخيالها فتصورته فى القناطر بطوله الفارع وببدلته الامريكانى الأنيقة التى تصوره فى مشيته المختالة بين الأشجار كأنه قائد عظيم أو بطل من أبطال الأساطير .. وتلمست وجهه بخيالها فاذا بابتسامة تضىء وجهها لأنها التقت بعيونه .. هذه العيون الخضراء الصافية المشربة باللون الأصفر الخفيف .

ـ حته من عينيه .

وشعره الفحمى الغزير .

ـ زى شعر أبوه تمام .

وجبهته العريضة ، وتقاطيعه الحلوة وفمه الصغير وشاربه .. والكرافته والقميص والبدلة والشراب .

وكل شىء تدير نظرها فيه مرات ومرات بلا تردد ولا ملل .. حتى حياءه منها تمثلته فى خيالها .

ـ دا دمه شربات ، ربنا بعت هولى من السما .

وزفرت من صدرها آهة أثارت شجونها وحركت كوامن نفسها .. فتذكرت حبها لأبيه ، وتذكرت رقة أسلوبه معها وجمال طباعه .. هذه

الشخصية المهذبة التى انتزعته يد القدر من بين أحضانها لتدثره التراب بعد أن دثرته هى بصدرها .. وباتت بعده تبكى حياتها فلا أم ولا أقارب بل وحيدة فى دنياها منطوية على نفسها: كرهت الدنيا بعد فقدان زوجها .. وكرهت حياتها وكرهت طفلها . . كرهته لأنه طفل صغير لا يشاركها افراحها وأتراحها .. حتى ضرب على الأرض بقدميه معلنا أن لوجوده أثرا فى حياتها .. فابتسمت لكل شىء فيه ابتسمت لجماله ورقته .. لمرحه ودعابته ، لكلماته ورغباته .. أعادت اليه شعورها فضمه الى صدره واستأثر به دون سواه ، وأسلمت اليه نفسها فبات يقضى فى فرحها وحزنها ، فى سهدها وهدوئها ، وفى سعادتها وشقائها .. لم تجد سواه فوجهت اليه عواطفها واستهدفت فيه آمالها أحبته حبا جنونيا عنيفا .. وبادلها حبها الا أنه حيى خجول يحتقن وجهه وتتعثر الكلمات على شفتيه كلما ضمته الى صدرها وأمطرته يوابل من قبلاتها .

وما أن انسلخ من طفولته وشعر بنسيم الرجولة يملأ صدره العريض حتى بدأ يتملص من سور أنانيتها الذى أحاطته به ويخرج على جوارها الذى فرضته عليه ولكن فى شىء من الحذر والخوف والتردد والرهبة . . أحس بحاجته للانطلاق بين الاصدقاء والمعارف ولكن حب أمه وتوددها جعله يتردد فى أقدامه ويشك فى طبيعة انطلاقه .. ولكنه اقدم .

وفى القناطر بدأ يجرى ويرمح يجرب عضلاته المرهفة ويختبر قدراته الساكنة .. يضحك بصوت عال أجش كأنه يتنكر لهذه الأصوات الناعمة الرقيقة التى عاش فيها طول حياته ، ويتحرك بقوة واندفاع وكأنه كره حياة الدعة والسكون .

وتحرك القطار ولم يحمل معه نشوة رحلة جميلة ،وسعادة يوم مملوء بالبهجة والسرور .. ولكنه حمل خبرا مفزعا قاتلا .

ولم تثر والدته عندما سمعت بغرق وحيدها بل ظلت ساهمة ساكتة .. لاتلطم وجهها، ولا تشد شعرها وكأنها آثرت أن تشارك أثاث منزلها فى صمته الحزين واطراقه البليغ .

وأدارت عينيها الذاهلتين الحائرتين فى محجريهما كأنها تتساءل عن شىء وتبحث عن مفقود ، وما أن رأت كوبا من الماء على المائدة حتى اندفعت اليه فى عنف واخذت تنظر اليه نظرات باهتة فيها ابتسامة الأمل واشراقة الرجاء ، ودفعت فيه يدها باحثة بين قطرات مائه المتزاحمة حول أصابعها ، وصدرها يلاحق زفراتها اللاهثة وشهقاتها الجريحة حتى اصطدمت أصابعها بكل جزء فصرخت صرخات حادة يائسة :

— بى بى .. بى بى .. خذنى معاك يا ابى .

ورفعت كوب الماء الى رأسها واهمة انها ستغرق نفسها .. وظلت تبكى وتبكى حتى تاهت فى اغماءة طويلة .

حسام الدين عبد الوهاب على

نزيل سجن القناطر الخيرية للرجال

– وبعدين يا جمال .. انالروماتزم يكاد يقضى على .. حتى لقد اصبحت تحت وطأة آلامه كالمقعد تماما .

– لقد نصح لك الطبيب انتستجم اسبوعين بالاقصر .. فأبى فى الشتاء جنة العالم .. فلماذا لم تذهب ؟

– و .. الشركة يا جمال ، من يجرى تصريف الامور فيها خلال هذه المدة ؟

– من حسن الحظ أن الشركة ليست مرتبطة بعقود هامة ، ثم ان الصحة فوق كل أعتبار .. وبهذه المناسبة .. لقد ورد للشركة اكثر من عشرين طلب استخدام ، من فتيات تؤكد كل واحدة منهن أنها تستطيع أن تكتب اكثر من ستين كلمة فى الدقيقة على الآلة الكاتبة ... ومن الطبيعى ان هذه الاقوال مغالى فيها .

– وماذا فعلت حيال هذه الطلبات؟

– لقد اجلت البت فى هذا الموضوع لمدة شهر .. فنحن فى حاجة الى « تايبست » .. ولكن تقدم للشركة اكثر من عشرين .. وهو عدد يجعل الانسان يفكر مرتين قبل الاختيار .

– حسنا فعلت يا جمال .. ساقوم بالاجازة من باكر .. فانى اشعر بان الروماتزم يلسع ساقى كالنار الحامية .

كان فى لهجة جمال وقوله معنى الجد الصارم والرجولة الحقة ، فليس جمال بالوكيل الذى يحب ان يثرى على حساب الشركة او المصلحة العامة .. ولذلك لم أندم عندما انبتهليتولى امر الشركة أثناء غيابى .

وحزمت بعض الامتعة الخفيفة وسافرت الى الاقصر ، فوصلتها فى السابعة والنصف من صباح يوم اشرقت شمسه ، وأقمت بالحجرة الواحدة والخمسين بعد المائتين من فندق «وينتر بالاس» .. ذلك الفندق الضخم الفخم ، الذى يطل على نهر النيل من الشرق .

والذى يجلس فى شرفة هذا الفندق ، ويرمق السماء الصافية والاشجار المورقة ، والازهار اليانعة المتفتحة .. فانه يقذف خلف ظهره على الفور بكل ما يشعر به من هموم ومشاغل .

وأول ما يفكر فيه الانسان ، الذى يذهب الى هذه المدينة الجميلة ، هو زيارة ما بها من معالم أثرية خالدة . ولا أنكر ان هذا الخاطر ألح على كثيرا ، ولكننى كنت منهوك القوى ، وأحس بآلام الروماتزم تكاد تنشر

بقلم : محمد المنذى محمد

مفاصلي نشرا، حتى لم يكن باستطاعتي مغادرة حجرتي الى شرفة الفندق الواسعة الا بعد جهد من يحمل جسما ضخما على ساقين هزيلتين تأكل أكثر ما بها من غضاريف !

غير أنه لم تكد تمضي بضعة أيام على ، وأنا بين هذا الجو الجاف من شتاء الاقصر الدافيء ، حتى شعرت بالقوة تدب في أوصالي ، وبالدماء تتدفق حارة في عروقي ، واصبح باستطاعتي أن أسير من مكان لآخر بسهولة ولكن بمساعدة .. العكاز ! فقررت على الفور أن أشاهد الأماكن الأثرية الهامة .. وأبديت هذه الرغبة لمدير الفندق .. ذلك العملاق الأنيق !

فرمق « العكاز » المستند على حافة الشرفة ، ثم صوب البصر الى وقال :

ـ لقد بعثت من لحظات في طلب ترخيص لاحدى نزيلات الفندق ، ولو كنت أعلم ...

وصمت هنيهة ثم أردف :

ـ حسنا . سأعد لك الترتيبات و .. التسهيلات فلا تقلق !

وفي خلال ساعات معدودات كان قد حصل لي على ترخيص باسمي ، يخول لي الحق في رؤية «وادي الملوك» ذلك الوادي الذي يرقد في حضن الجبل الغربي .

وبينما كنت أتأمل الأفق اللازوردي جاءت الى الشرفة فتاة وحيدة مع كتاب ، وجلست على مقعد من المقاعد المتناثرة في الشرفة ، وانصرفت الى كتابها بكليتها ، وقد مضت تلتهم صفحاته بعينين مشوقتين . وبعد برهة رفعت عينيها الى ، فاومأت اليها براسي محييا . فحدجتني بنظرة متزنة ثم ردت تحيتي بايماءة خفيفة من راسها ، وواصلت القراءة وأنا أرمقها خلسة من وقت لآخر !

* * *

وفي صباح اليوم التالي ذهبت بصحبة « الدليل » الى الزورق الذي سوف يعبر بنا النهر ، وهناك وجدت خمسة رجال وفتاة الأمس قد سبقوني الى الزورق .

أخذ الرجال يصوبون الى «العكاز» نظرات تعبر عن ضيقهم ، وعدم ارتياحهم لأن يصحبهم في هذه الرحلة كسيح مثلي ! ولم تلتفت الفتاة الى أول الأمر ، حيث كانت تجلس في مؤخرة الزورق ـ بدعة ـ لاهية بالتطلع الى قوارب الصيد التي كانت تجوب النهر في روعة لافتة .

قلت ـ موجها الحديث الى الرجال ـ وأنا أجلس قبالة الفتاة من الناحية الأخرى :

ـ معذرة ايها السادة اذا كنت قد اخرتكم قليلا ..

فالتفت أقرب رجل الي وقال وهو يحدق في وجهي تارة ، وفي العكاز الذي كنت قد وضعته بين فخذي تارة اخرى :

ـ ليس هناك ما يوجب الاعتذار ، فانت مريض فيما يبدو ..!

فأومأت له برأسى موافقا فى صمت، فقد شعرت بكلمة « انت مريض » تصيبنى بالدوار !

واطل قائد الزورق من كوة صغيرة، ونظر الى « الدليل » الذى كان يقف بعوده الفاره، كما يقف القائد المنتصر فى قلب معركة حربية منتهية وقال :

ـ هل كل شىء على ما يرام ؟

فأجابه الدليل قائلا :

ـ نعم .. ويمكنك الآن أن تنطلق بنا الى الضفة الاخرى .

ودار المحرك فاضطربت مياه النهر، وتأرجح الزورق ، ثم انطلق يشق الماء شقا وئيدا ، والتفتت الفتاة نحوى ، ثم صوبت البصر الى الشق الطويل المتموج الذى أحدثه انطلاق الزورق فى النهر الهادىء ، ثم عادت وركزت عينيها على العكاز ! ورمشت أهدابها الطويلة وهى تحدق فى باشفاق .. والتقت نظراتنا ، فبدت كأن اضطرابا قد اعتورها ، وغضت من بصرها .. ثم راحت ترمقنى فى براءة طفولية أخجلتنى ، ولذلك لم أجرؤ على مداومة النظر اليها !.. وعند الضفة الثانية وثبت الفتاة ومن خلفها الرجال بحيوية ونشاط ، ولكنى لم أستطع أن أثب كما وثبوا، وانما صرت أتارجح كما كان الزورق يتارجح فوق صفحة الماء ، والعكاز يهتز فى يدى ، وفقدت السيطرة على نفسى ، فقلت من بين اسنانى : « ويل لهذا الزورق اللعين ، انه يرقص فوق صفحة الماء كما ترقص الفراشة وهى تقترب من اللهب !.. ونظرت الى ـ الدليل ـ طالبا منه النجدة والمعونة ، فبادر وحملنى الى الشاطىء حملا .. وبالرغم من قوته الهائلة فقد كاد ينكفىء بى مرتين .. وعندما استويت واقفا على العكاز ، أخذ الرجال ينظرون الى نظرتهم الى مومياء محنطة !.. وأخيرا قال واحد منهم :

ـ يبدو أنك لن تستطيع أن تذهب معنا وأنت بهذه الحالة ..

وقال آخر ، وعلى شفتيه بسمة ساخرة :

ـ لقد عقدنا العزم على رؤية جميع الاماكن الاثرية ، وهى متفرقة ، ولا سبيل الى رؤيتها جميعا الا بالسير على الاقدام لمسافة طويلة .

فقلت ، وأنا أجول ببصرى فيهم واحدا بعد الآخر :

ـ أيها السادة .. ليس بوسعى أن أفرض عليكم طريقا معينا .. فاذهبوا حيث شئتم !

ثم نظرت نحو الفتاة فوجدتها ترمقنى باشفاق لا يحد ، وقد افتر ثغرها اللؤلؤى عن بسمة مضيئة كبسمة الوليد . ووقف الرجال ينتظرون ما يسفر عنه قرار الفتاة ، وبعد فترة من الصمت قالت :

ـ أيها السادة .. لقد قررت ان

اذهب مع هـــذا السـيد من طريق الشـــمال ·· لأننى لا اســـتطيع المشى !

قالت ذلك واشارت الى السيارة ، ولشد ما كنت اشـــعر بالغبطة وانا ارمق بسمتها الوضيئة وهى تتخـذ هذا القرار ؛ ومع ذلك فقـــد قلت بصوت أبح هزيل :

ـ اشكرك على هذا الشعور النبيل ·· ولكنى لا أحب أن أكون عقبـــة تحول دون تمتعك برحلة قـد تكون شيقة مع هؤلاء السادة ·

ولكنها قالت بثبات :

ـ لقد زرت معظم هذه الأماكن من قبـــل ، أنها تضم تمثـــالى ممنـــو الضخمين ، وهمـــا يعتبران بمثـابة حارسين لكل هذا الوادى العجيب ·· ثم بعضا من مقابر فقراء الفراعنـــة ·· ثم بعض المعابد المقامة تحت سفح الجبل ·· فهيا بنا الى السيارة فانها بانتظارنا ·

وانطلقت بنا السيارة على شـاطىء النيـل فى طـــريق ممهد ، وكانت تظلله الاشجار العالية من الجانبين ·· وكانت أغصانها تكاد تكون متشابكة، حتى ان القليل من أشـــعة الشمس كان يتسرب الينـــا من بين هـــذه الأغصان · وكانت السيارة منطلقة بنا ببطء ، ولذلك فان الفتـاة كانت تبـــدو وهى تجلس الى جوارى من خلال الأضـــواء الخاطفـة كملكة من ملكات الفراعنة ·· بجبهتها العريضة الناصعة ·· وبعينيها الواســعتين ، وبتلك النظرة الحانية التى تشـــع وتنفذ حتى سويداء القلوب !

قالت بغته ، وهى ترمق جـوانب الطريق :

ـ متع ناظريك من هذه الخمـــائل الوارفه الظل ·· فقد أشرفت رحلتنا على النهاية ·

ولم أعـــرف ـ انا نفسى ـ مدى ما بلغتـــه من ســـــعادة وطرب وأنا أستمع الى صوتها العذب ، فقد كنت أحاذر بعينى فى كل جانب من وجهها المتألق الذى كان أشبه شىء بهـــذا الصباح المشرق ·

وأخيرا قلت ، وأنا أحدق فى يدها البضة التى كانت تهتز فوق فخذها مع اهتزاز السيارة :

ـ حقا ·· ان النيل المبارك يجعل من بلادنا جنة فيحاء ، جنة لا شـبيه لها فى العالم ·· وهـذا الطـــريق الســـاحر الخلاب ، الذى تتعـانق أشجاره ، والذى يعبق بروائح الزهر ·· هو احدى حسناته ·

ولمحت أن حمرة خفيفة قـد سرت فى خديها عندما قلت « تتعـــانق أشجاره » ·· حتى لكأن هذه الكلمة العابرة قـد بعثت فيهـــا الحـرارة والحيوية ، فمس الخجل وجنتيهـــا الوضاءتين ، ولاذت بالصمت !

واجتازت بنا الســـيارة مفازة فى الجبل الأشم ، وعنـدئذ قالت وهى ترمقنى بوجه يتهلل فرحا :

ـ هل تعلم ؟ قد نشـــهد وادى

الملوك ، ونستريح ، قبل ان يصل الينا أولئك الرجال .

فقلت وأنا أكاد ألتهمها بعينى التهاما :

ـ وهل أنت .. نادمة ؟

فقالت برقة :

ـ وعلام الندم ؟.. لو كانت لدى رغبة فى استصحابهم لكنت قد ذهبت حيث ذهبوا ..!

وهبطنا من السيارة عند مدخل وادى الملوك فرأيت عجبا : رأيت ما شاده الفراعنة القدماء منذ آلاف السنين ، من روعة النحت والنقش فى جدران الجبل . وتلك التماثيل الضخمة المقامة أمام مقابرهم ، او تلك التى تقف منتصبة أمام معابدهم .. انها تبدو كاحدى معجزات النحت فى القرن العشرين ، وروعتها تجذب معظم سكان العالم . وأفقت من ذهولى على صوت الفتاة تقول :

ـ يبدو أنك لم تشهد هذا المكان من قبل ؟

فقلت وأنا أحاول أن أقبض على العكاز :

ـ كلا .. مع الاسف .. غير أننى سمعت الكثير عنه .

فقالت وهى تكتم ضحكة خفيفة احسستها تنعش فؤادى :

ـ ان السمع لا يغنى عن الرؤية ، ان أعظمها شانا هذه المقابر التى تجثم تحت بطن هذا الوادى العميق والتى تحف بها القمم الشامخة كما ترى ، انها شىء عظيم .. لم يشيدها البناءون أو ينشئها المعماريون ، ولكن نحتها النحاتون فى الصخر الأصم . ونقرها الحفارون فى الحجر الصلد ، انها تضم تاريخا كاملا ناطقا بصبر وعظمة اجدادنا .

وأخذت الفتاة تشرح لى كل شىء بدقة « الترجمان » الأمين ! وكان الوادى فسيحا ، ولكن الجبال كانت تحفه من الجهات الاربع ، وكان الكثير من الزوار يخرجون من مقبرة ليدخلوا الأخرى ، وقد بدت على وجوههم أجلى آيات الدهشة والعجب مما يرونه بأعينهم من روعة النحت .

وهبطنا سردابا عميقا على ألواح ناعمة من الخشب ذات سياج مرتفع ، هبطنا الى حيث مقبرة « توت عنخ آمون » . وكان السرداب ينزلق فى العمق أكثر من ثلاثمائة قدم ، مما جعلنى أشعر بآلام متزايدة فى المفاصل ، وبضعف شديد أحسسته يسيطر على قواى . ولحظت الفتاة ان « العكاز » أوشك أن يخوننى أكثر من مرة ، ونحن نهبط هذا المنحدر ، فعاونتنى على الهبوط والبسمة المشرقة تتألق على شفتيها . واندمجنا مع المتفرجين . واستبد بى الضعف حتى أصبحت أرى الوجوه التى كانت تحيط بى شاحبة ، وهمهمت لنفسى « يجب أن ألجلد » فقد كان من المخزى ان ابدو أمام الفتاة ضعيفا متخاذلا ! .. وكان يمكن للمرء ان يسمع وسط ذلك السكون ضربات قلبه ،

بل كنت اسمع - بوضوح - ضربات قلب الفتاة القـــوى ، والتى بدت شاحبة قليلا ٠

كان باب المقبـــرة قـــد نزع من مـكانه ، وكانت غرفة « الـكهنة » تشرف عليها من الشرق ، وكان يرقد للملك تمثال من خالص الذهب وضع بداخل صندوق من البللور ، وقـــد وضع الصندوق على قاعدة عالية من حجـــر المرمر ٠ وبلغ بى الضـعف منتهاه عند غرفة الكهنة ، حتى لقـد صرت كالغريق الذى ينتشل من الماء وهو على وشـــك المـــوت ، فرأيت النقوش « الهيروغليفية » المنقوشـــة على الحوائط تتراقص أمام عينى ٠٠ كما كان العكاز يتراقص فى يدى ٠ وهمست قائلا للفتاة ، كالانســـان الذى يحاول ان يثبت انه على قيـــد الحياة :

- ان هذه النقوش والرموز التى مضت عليها آلاف الأعوام لهى ابدع وأروع ما تقع عليه عين انسان ٠

ولم أنتظر اجابة منها ، فقدشعرت بأن قدمى قد اصبحتا لا تقويان على حملى ، وأن العـكاز قد أخـــذ يرتج بقـــوة ٠٠ واننى ٠٠ أتهـــاوى الى الارض ، وهى الفتـــاة التى كانت تحاول جاهدة أن تسندنى ٠٠ وقبل ان استسلم لنوبة الاغماء ، كنت قد اغمضت عينى على اجمل عينين تحدقان فى وجهى ٠

* * *

ولم ادر كم لبثت وانا مستســـلم لهذه النوبة المفاجئة ، ولكن عنـــدما فتحت عينى وجدت ان الفتـــاة قد جلست واسندت راسى فوق ساقيها ، ويدها البضة كانت تقبض على منديل ابيض اخذت تمسح به العرق الذى كان يتصـــبب غـــزيرا من جبينى ٠ واحنت راسها قليلا باسـمة الثغر ، فابتسمت أنا ببلاهة من يحـــاول أن يشـــكر فيعجـــز عن التعبير ، فقـد سحرتنى رقة هذه الفتاة وألجم لسانى حنانها الذى اغرقتنى فيه ٠٠ فلم ادر ما اقول ٠ واخيرا استطعت أن أهمس قائلا وأنا أحاول النهوض :

- ايتها الانســـانة النبيلة ٠٠ بل ايها الملاك الوديع ٠٠ اننى أتقـــدم اليك بجزيل شكرى ٠

فقالت برقة :

- لا تتحدث كثيرا ٠٠ ارجوك ٠

وفى طريق العودة فهمت من سياق الحديث أنها وحيدة والديها ، وانهـا حضرت مع أمها المريضـة بالروماتزم منذ بضعة اسابيع ، ولشـدة مرض أمها لم تبارح الفندق الا اليوم !

وبلغ بنا الزورق الضفة الشرقيـة فوثب الرجال الى الشاطىء وانطلقوا الى حيث يشـــاءون ، ومشيت أنا والفتـــاة الى الفنـدق وقد بان علينا الصمت ٠ وعند بابه الكبير وقفنا ٠٠ وتلاقت انظارنا ، وبدا كأن فى قلب كل منا شيئا يريد ان يقوله ، واخيرا ٠٠ مدت يدها الى مودعة وهى تقول بصوت خفيض :

- الوداع ٠٠ ســـنرحل باكر الى القاهرة ٠٠ وقد لا اراك ٠

ولا أدرى كيف تحول كيانى كله .. دفعة واحدة .. وفى لحظة خاطفة الى حب هذه الفتاة ذات المشاعر العالية ، ونظرت الى شرفة الفندق.. والى السماء الصافية .. والى الأفق الغربى الذى كان قد تلون بمختلف الوان قوس قزح من فعل الشمس الغاربة التى كانت تعلو الجبل وقتئذ ، ثم نظرت الى النهر الذى خرجنا منه توا .. ثم .. ثم الى يدها الممدودة الى . ولم أستطع ان أرفع يدى الى يدها التى كانت لا تزال ممدودة ! وارتخت يدها الى جانبها ببطء .. واصطبغت وجنتاها بحمرة قانية وهى ترمقنى بدهشة . كنت أشعر أننى لو صافحتها فاننى سوف أفقدها الى الأبد !

وكنت أشعر بشىء عظيم يجوب أعماقى ، وأن هذا الشىء لا بد قد انعكس على ملامح وجهى ..!

أجل .. كنت أشعر بشىء جليل .. يملأ نفسى .. وكنت أشعر بشىء لا أستطيع أن أسميه ، ولكن ـ فى الوقت نفسه ـ كنت أشعر بكثير من القلق !

واهتز « العكاز » فى يدى ، فشعرت بأن اهتزازه قد أيقظنى .. وقلت ببطء وأنا أتزود بالتملى من وجهها الفاتن .. وبذلك التيار العاطفى الممتع الذى كانت تبعثه عيناها فى روحى :

ـ ولماذا لا تقولين الى اللقاء ؟!

فعادت اليها بسمتها الرزينة وقالت وهى تنظر الى الارض :

ـ ربما لا يكون من المنتظر ان نلتقى ...

وشعرت كأننى اهوى الى بئر سحيقة الغور ، وهممت ان أصارحها بحبى ، ولكنها أردفت فى نفس اللحظة بعد أن رفعت الى وجها تضرج بحمرة الخجل :

ـ ولأننى مشغولة بأكثر من حياتى .. بشىء .. آخر .. وهبته نفسى ! انه خطيبى ، وهو طبيب ناجح وأنا أحبه .

وأحسست أن أحلامى قد تبددت الى الابد ، وودعتها على الفور . ومشت هى الى الفندق . ومشيت أنا الى النهر ، وأخذت أرمق قوارب الصيد .. والعشب الأخضر الذى كان ينحنى على الأرض تحت هبات الريح .. ثم يعود ويرتعش رعشات متلاحقة تشبه الركض ! وعدت الى حجرتى الواحدة والخمسين بعد المائتين .. وفى قلبى احساس عميق بالحب . ومضت فترة طويلة لاتطوف بخلدى فكرة .. غير أننى أحسست بعد ذلك بانقباض عنيف يعتصر قلبى !

مـــدام دوسيفينى

ضمتهما معا حفلة راقصة ،فالتقت الأيدى والعيون والقلوب فى لحظة واحـــدة ·· وقد ألفت بين القلبين أطراف من الأدب الرفيع حين تبادلا الرأى فيما أنتجته قرائح الـــكتاب والشعراء المبرزين ، فقد كانت مارى فضلا عن جمالها الفاتن من ألمع نساء عصرها وأوسعهن شهرة فى حلبـــة الأدب وفنونه ·

وقد افترقا آخر الأمر على ان يلتقيا مرة أخرى كانت عزما أكيدا لعقـــد الزواج وعهدا صادقا على الحب والوفاء·

ولكن المركيز دوسيفينى كانت له مع الأسف الشديد هوايتان أخريان غير هواية الأدب ، هما المقامرة التى أودت بما ملكت أيديهما معا والمبارزة التى أودت بحياته بعد أن أنجبا ولدا وبنتا ·· فترملت السيدة مارى ، أو بالحرى مدام دوسيفينيى فى الخامسة والعشرين من العمر وعادت تتعزى عن نكبات الزمان التى نزلت بهـا بالأدب الفرنسى هوايتها المحببة فسطع نجمها وذاع صيتها حتى بلغ أسماع الملـك فقربها منه واستقرت فى قصر فرساى الذى كتب لها أن تقضى فيه ما بقى لها فى حياتها ·

وتعطل ذلك الجمال الرائع الذي تغنى به شعراء عصرها أمثال لافونتين الذى قال : ان قسمات وجه مدام دوسيفينى هى نموذج من نماذج الجمال ·

فأما ابنها شارل فقد تردى فى حمأة الغواية والفساد وأثقل كاهلها دينـا وأوسعها هما وسهدا ·

وأما ابنتها فرانسواز فقـــد خلعت عليهـا الأقدار لقب الـكونتيس دو جرنيان على أثر قرانهـــا من الكونت دوجرنيان الذى تمت مراسيمه بباريس وانتهى أمره بالمـــكث فى مقاطعـة البروفانس ·

فشغلت الأم بابنتها وظلت تراسلها فى شىء من الشوق العنيف حتى كانت رسائلها باعثا كبيرا من بواعث الثروة الأدبية التى يعتز بها الفرنسيون الى اليوم ، فقد جمعت تلك الرسائل عنها واتخذت من بعدها ذخيرة قيمـــة من ذخائر الادب الفرنسى الرفيع ووثائق تاريخية صادقة تصور أحداثا جرت قديما فى قصر فرساى مما كان بلوغه الى الصحف أو المؤرخين مستحيلا ·

بقلم : عبـده الشامى

لقد كانت تكتب الى ابنتها طيلة الوقت تمدها باخبار القصر الملكى الدفينة وتطرفها بكل دعابة تقع فيه مما يحرم اذاعته تحريما باتا ، تبالغ فى متعتها وابتهاجها .

كتبت لها يوما فيما كتبت الرسالة الاتية :

بنيتى :

رفعت الى شفتى بالامس كتابك الكريم ، واليوم أود أن أقص عليك الملحة الآتية علها تدخل عليك السرور والابتهاج وتطارد فى نفسك السأم والملل :

شغف الملك من عهد قريب بعمل الشعر وعكف أخيرا على نظم مقطوعة فى الغزل لم ترقه هو نفسه ، وكانت فى نظره سخيفة مبنى ومعنى ،واتفق أن رأى المارشال دوجرامون فأطلعه عليها وساله الراى فى قيمتها الأدبية وأسلوبها اللغوى فقال المارشال للملك:

«مارايت يامولاى اقبح من هذا الشعر ويبدو أن ناظمه مدع لايفقه فى مضمار الشعر شيئا» .

فاغرب الملك فى الضحك وقال للمارشال : « اليس هذا الشاعر سخيفا ؟ »

فاجابه : « صدقت يا مولاى .. انه سخيف كل السخف ، واحمق كل الحمق » .

فاشتد ضحك الملك حتى مال الى الوراء وقال للمارشال دوجرامون : «أنا ناظم هذا الشعر» .

فخر المارشال بين يدى الملك معتذرا يسأله الصفح ويتوسل اليه أن يرد اليه القطعة مرة أخرى ليعيد النظر فيها لأنه تلاها تلاوة خاطفة .

ولكن الملك ابى عليه ذلك وأجابه : كلا ان المشاعر الأولى هى الطبيعية الحقة وتسرنى صراحتك الأولى التى افضيت بها أول مرة .

وسرعان ماسرت هذه الدعابة فى القصر كله ، وعدها بعضنا قسوة من جانب الملك نحو أمين كريم من أقلام أمناء قصر فرساى .

أما عن رأيى فى هذا الشأن فانى كنت أرجو أن ينسج الملك على هذا المنوال ليعلم مقدار مايحيط به من الملق ويدرك مبلغ بعده عن حقائق الأمور .

عبده الشامى

لا .. لا .. ياصحـــافة

هذا كـــثير !!

شكونا من الصحافة ، مرارا وتكرارا .. لكن قبل هذه المرة كانت شكوانا كلها تصدر عن الامل الكبير ، فى رسالة الصحافة ، والاجلال الكبير لمنزلة الصحافة والاعتراف الكبير بقدرة الصحافة .. فكانت الشكاوى فى الوقت نفسه اعترافا « بجلالة » الصـــــحافة ..

اما شكوى اليوم فليست فى شىء من ذلك كله .. بل هى على عكس ذلك كله تقرير لضعف الصحافة .. وعجز الصحافة .. وفقر الصحافة ..

والحكاية ـ فى هذه المرة ـ اعتداء من الصحافة على نفسها ـ مع مافيهـــا من اعتداء الصحافة على أحد أهلها ، وقرابتها القريبة .. ثم مافيها من المســـــاس بكرامة الطايفة وسمعتها ، ورأى الناس فيها ... والمعتدى عليه لا يلام ... لانه جهل حال طائفته .. وعيوب أبناء مهنته ، بل ان له بهم معرفة كثيرة وخبرة طويلة جعلته يهرب من أفراد الصنف الذى وقع منه الحادث الاخير ـ لكن الصـــدفة دخلت فى الموضوع .. اذ كان قبل الحادث بأيام فى حفـــل عام . مع جامعى مثقف وسيدة من الطليعات .. فسأل الجامعى السيدةِ ، بمناسبة عرضت : هل قرأت العـدد الاخير من « الاثنين » .. فأجابت بأنه ليس عنـدها من الوقت ما تضيعه فى مثل هذا .. فاذا به يحدث عن تجديد جدى فى « الاثنين » .. وانها ضمت الاثنين والدنيا فى مجلة واحدة .. ورفعت المســـتوى و .. و .. وانه لهذا لم يستنكف أن يكتب فيها عن موضوع كذا ..

وبينى وبينك أنا لم أفهم الصلة بين يوم الاثنين .. والدنيا ، وكيف يكون جمعهما فى اسم صحيفة .. ولكنى لم أهتم بالأمر ـ وان كان قد بقى فى أذنى ما شهد به الجامعى المحترم من رفع المستوى .. وفى هذه الفترة فجأنى واحد من هذا الصنف الذى علمتنى التجربة الا أخدع به مطلقا .. وسألنى هذا الواحد بعد كثير من المطاردة التليفونية ، أن اكتب كلمة عن شىء من أهم ما اذكر عن استاذى وتحت تأثير ما سمعته اخيرا ، ومع شعور قوى بواجب الوفاء نحو من أحترم من

اساتذتى ·· ومع الامل فى فائدة مثل هـذا الحديث للتلاميـذ والتلميـذات ·· والمعلمين الذين يؤدون الخدمة الكبرى فى التربية ·· ومع كل نسـيان للزمن وقيمته ·· والمشاغل وضغطها ، ولكل اعتبار عملى مادى كتبت بدافع الرغبـة فى التحدث عن أولئك الابرار الاخيار الذين وجهوا حياتى ·· كتبت بخط يدى ·· وبتوقيعى ·· ما احب أن اكتب عن استاذين من خيرة من ادين لهم بالتوجيه والتأثير ·· وحضر الصحفى المجهول ، الذى لم أره ، من السيدة الى مصر الجديدة فاخذ المكتوب من المنزل دون أن أراه او اعرف شيئا ·

ومضى وقت قرات بعده فى الاسبوع الماضى كلاما عجيبا ·· غريبا ·· مدهشا مخجلا معا ، لا استطيع مهما افعل أن أصف تفاهته ·· وانحلاله ؛ بل سـخفه وعدم تمثيله لشىء مما كتبته ·· أو مما يمكن أن يحدث فى المناسبة التى تحدثت عنها ·· كلام ان امكن ان يفهم منه شىء فهو شىء لا يكتبه اى طفل فى سن الثامنة وهى السن التى تحدثت عن أول ذكرياتى فيها مع اول أستاذ : أما الكلام عما حدث لى فى سن السادسة عشرة مع اعظم أساتذتى فشىء لا يصدر عن طفل فى السادسة ·· ولا يقوله زميل له فى الخامسه · لا أستاذ عبقرى وناظر مدرسة عالية ·

أهذا هو شغل الصحافة حين تلخص مكتوبا موقعا عليه، محدودا ، واضحا!·

واذا كان هذا هو مستوى فهمها ودقته ·· وتلخيصها وصحته ·· إذ ·· فما هو مستوى فهمها ووعيها حين تكتب هى ·· وتخبر هى ·· وتصف هى ! ·· أما حين تحكم او تقدر ·· أو تعلق ·· أو تنقد ·· فلا أسأل بعد ما جرى ماذا يكون شغلها ·· لأنه بالقياس على ما حصل فى تلخيص مكتوب ممضى يكون شيئا لا يوصف !··

والآن ·· من المسئول عن كرامة المهنة وسمعتها ـ هل لنقابة الصحافيين فى ذلك عمل !! ··

وهل تعنى بشىء من هذا حين نشتكى منه !! ··

لاانتظر ·· فهل للدار صاحبة «الاثنين ·· والدنيا» أن تحسن الى نفسها ·· وتنظر فيما حصل ، احتياطا للمستقبل ·· ومايهز الشجرة الا فرع منها ـ على راى المثل المشهور ؟ ··

ليتها تفعل ·· فان كان شىء من ذلك فبها ، والا فقد أعذر من انذر ·· وليس لنا فى مثل هذه الحالة الا استمرار الشكوى للزمن ·· والتسجيل لدى التاريخ ·· والهتاف بالكرامة : لا ·· لا ·· يا صحافة ، هذا كثير !

أ · الخولى

اذاعتنا .. وثمن الوقت

ملف رقم : (١٠ - ١/٣٦) (١٧/٤٣٨)
٥٩/١٠/١٠

ادارة السكرتارية : ٩٢٥٠
القاهرة فى ١٩٥٩/١٠/٨

السيد / مدير إدارة مجلة الادب (الاستاذ أمين الخولى رئيس التحرير
شارع العجم ١٣ - مصر الجديدة)

رجاء التفضل بالاحاطة بأن اذاعة الجمهورية العربية المتحدة بالقاهرة ترغب فى الاشتراك فى مجلة الادب

لذلك نرجو افادتنا فى أقرب فرصة ممكنة بقيمة الاشتراك السنوى لتلك المجلة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

امضاء امضاء مدير ادارة السكرتارية
امضاء

١٩٥٩/١٠/١٠

* * *

تلقت الأدب هذه الرسالة .. وطبعا يا أخى شىء غريب !.. الاذاعة بجهاز اخبارها العالمى لا تستطيع أن تعرف قيمة الاشتراك فى مجلة الادب الا بمثل هذه الضجة !..

طيب .. ومن حيث أخذوا العنوان كانوا يجهلون قيمة الاشتراك .. أو من دلهم على العنوان يدلهم على قيمة الاشتراك !..

وهل ترغب الاذاعة فى الاشتراك فى مجلة الادب دون أن تكون قد رأت من سنواتها الثلاث ونصف عددا واحدا !.. وأترك هذا كله : هل لابد لمعرفة قيمة اشتراك الادب من كتابة خطاب : ملف كذا ، رقم كذا ، وثلاثة يمضون عليه .. ويظل مشغلة السكرتارية من ٨ أكتوبر الى ١٠ منه .. ! حتى يصدر !..

وبينى وبينك لو سألوا ادارة الادب تليفونيا عن قيمة الاشتراك فربما كانت لا تجيبهم لأنها سئلت تليفونيا من هذه الاذاعة مرة ، عن عنوان الدكتورة بنت الشاطىء ، فردت على السائل : انك تجد العنوان فى الدفتر الذى وجدت فيه النمرة !.. ولم تعطه العنوان المسئول عنه ..

ولو تناسينا كل شىء يبقى الوقت وثمنه والاذاعة ست العارفين لما تتكلفه هى من المال ثمنا لدقيقة اذاعة واحدة !..

ولكن ماذا نقول ، ومثل هذا فى الاذاعة ، وغيرها كثير .. كثير

نقد الكتب

معجزة القرآن فى وصف الكائنات

للاستاذ : حنفى أحمد

---

١ ــ موضوع الكتاب

هو اثبات أن القرآن قد أتى بوصف شامل دقيق للعالم المادى فى جوامع من العلم الصحيح ، لم يكن يعلمها أحد ، ولا فى مكنة أحد أن يأتى بمثلها ، لا قبل ظهور القرآن ولا بعده بقرون ــ ص ٢ و٣٩٣ من الكتاب نفسه ــ

فهو تفسير علمى يريد أن يثبت اعجاز القران بالعلم ، لما حوى من ايات المعرفة الصحيحة عن الجانب المادى من الكون مما لم يكن للناس علم به قبل نزوله أو بعده . حتى جاء العلم الحديث منذ نحو قرنين من الزمان فكشف عن كثير منها ولم تتعارض حقائقه معها فى شىء .

ولما كان القران منزلا للناس كافة فى كل زمان ومكان .. ويصعب على غير العرب ادراك معجزته الكبرى فى بلاغته وأسلوبه كان لهم من معجزته العلمية هذه ما يمكنهم من ادراك اعجازه اذ بقى نقل المعانى ، دون النص الاصلى بالغرض المقصود ص ــ ١١ منه ــ

وعند مؤلف الكتاب أن المفسرين الاقدمين قد تناولوا الآيات الكونية بالتفسير على قدر ما توفر لهم من طرق العلم ، وبقدر ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وقد توسع بعضهم فى ذلك توسعا عظيما مثل الامام الفخر الرازى ــ رحمه الله ــ ولكنهم قد اقتصروا على تفسير الآيات الكونية فى موضعها من القرآن منفصلة عن الآيات التى تشاركها فى الموضوع . ولم يحاول ــ فيما يعلم المؤلف ــ أحد من المفسرين قديما أو حديثا أن يجمع كل طائفة من الآيات المنزلة فى الموضوع الواحد ثم يتناولها بالبحث والربط بينها ليستخرج منها القضايا التى تظهر ما انطوت عليه من أصول العلم الكونى بالقدر الذى شاء الله

بقلم : أمين الخولى

تعالى ان ينزله ... وهذا الجمع والربط هو ما صنعه المؤلف ، كما استفاد من تقدم العلم منذ القرن الماضى ، وهو ما لم يكن علماؤنا السابقون يعرفونه ـ ص ٢٨ و ٢٩ منه .

وللمتحدثين فى ذلك النوع من التفسير كتابات موجزة أشار اليها المؤلف ، كما أن للمرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى كتاب « الجواهر » فى هذا النوع من التفسير ويبلغ خمسة وعشرين جزءا كبيرا . لكن المؤلف يرى أن الشيخ طنطاوى قد زاد فى هذا البيان حتى جاوز حدود معانى الآيات . ولم يحاول الجمع بينها ، فخفى بذلك كثير من حقيقة ومقدار العلم المنزل فيها ـ ص ٣ .

فكتب المؤلف هذا الكتاب ليبين أن حجة القرآن قائمة على أهل العلم يصدق دعوته كلما اخترق العلم استار الطبيعة ـ ص ٥ ـ

ورجا أن يكون كتابه هذا فاتحة لبحوث جديدة ومنهاجا صالحا لمحاولات صادقة ينهض بها علماء المسلمين كل فى ناحية اختصاصه ـ ص ـ ٧ ـ والله يقول وقوله الحق ما فرطنا فى الكتاب من شىء ـ ص ٨ ـ

ب ـ تقدير الكتاب :

تاريخ هذا النوع من التفسير يدل على اختلاف العلماء بشأنه منذ عهد بعيد . ومن أجل ذلك يحتاج تقدير كتاب مؤلف هذا التفسير العلمى الى الاشارة الموجزة الجامعة لاختلاف الباحثين المسلمين بشأن هذا الاتجاه فى فهم القرآن . وأشير هنا الى تقابل الآراء فيه ليمكن ابداء الرأى فى ذلك الاتجاه على بينة من آراء المختلفين عليه .

فالغزالى ـ ت ٥٠٥ هـ ـ يرى أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا .. وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه ـ الاحياء ١ : ٢٦٧ ط. الحلبى ـ ويقرر فى هذا المجال أن القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها ويزيد ذلك بيانا فيفرد له كتابه « جواهر القرآن » الذى يبين فى الفصل الخامس منه كيفية انشعاب سائر العلوم مطلقا من القرآن بعد ما بين فى الفصل الرابع كيفية انشعاب العلوم الدينية كلها منه .

لكن بازاء ذلك يقف أبو اسحق الشاطبى ـ ب ٧٩٠ هـ ليقرر فى كتابه الموافقات ٢ : ٤٦ ـ أن القرآن لايفهم الا كما كان يفهمه العربى الاميون الذين خاطبهم القرآن .. وهو واقف وقفة جادة فى وجه أولئك الذين تجاوزا فى الدعوى على القرآن الحد فأضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتاخرين .. من علوم الطبيعيات وجميع مانظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها : ويحتج لدعواه فى قوة ثم يفند حجج اصحابه

هذا التفسير العلمي بعد مالخصها .

واذا كان الفخر الرازي ـ ت ٦٠٦ هـ ـ قد توسع في تفسيره العلمي الفلسفي ذلك التوسع الذي وصفه مؤلف كتابنا اليوم بأنه توسع عظيم فهذا اثير الدين ابو حيان الاندلسي ـ ت ٧٥٤ هـ ـ يجري على أن كل قاعدة في علم من العلوم يرجع في تقريرها الى ذلك العلم ، ونأخذها في علم التفسير مسلمة من ذلك العلم .

ولا نطول بذكر ذلك في علم التفسير فنخرج عن طريقة التفسير كما فعله أبو محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري وهو الفخر المعروف

فانه جمع في كتابه في التفسير اشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ، ولذلك حكى عن بعض المتطرفين من العلماء أنه قال : فيه كل شيء الا التفسير ـ تفسير البحر المحيط ١ : ٣٤١ ..

واذا كان في المحدثين من عنى بالتفسير العلمي في ابحاث موجزة أو في مؤلف مسرف الطول كتفسير الجواهر ذي الخمسة والعشرين جزءا ، أو ككتاب الاستاذ حنفي الذي نحن بصدده فانا نقرأ للاستاذ الامام عن هذا التفسير ما نصه : لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية لكان يجب ان تعطل مواهب الحس والعقل ، وينزع الاستقلال من الانسان ، ويلزم بان يتلقى كل فرد من أفراده كل شيء بالتسليم ولوجب ان يكون عدد الرسل في كل امة كافيا لتعليم أفرادها في كل زمن ، كل ما يحتاجون اليه من أمور معاشهم ومعادهم ، وان شئت فقل لوجب أن لا يكون الانسان هذا النوع الذي نعرفه ؟ نعم ان الانبياء ينبهون الناس باجمال الى استفحال حواسهم وعقولهم في كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التي ترتقي بها نفوسهم ، ولكن مع وصلها بالتنبيه على ما يقوي الايمان في العبرة وقد أرشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم الى وجوب استقلالنا دونه في مسائل دنيانا ، في واقعة تابير النخل اذ قال أنتم أعلم بأمور دنياكم تفسير المنار ٢ : ٢٠٠

ولئن كان في كتاب العصر من يعرض في تاريخ الآداب للتفسير العلمي ويقرر : أن في القرآن اشارات كثيرة ترمي الى حقائق العلوم ـ المرحوم مصطفى الرافعي ـ اعجاز القرآن : ١٦٤ ـ فان كاتب هذا النقد قد كتب في دائرة المعارف الاسلامية في ترجمتها العربية فصلا مطولا عن أفكار التفسير العلمي لخص فيه أقوال المؤيدين والمخالفين وأردف بأدلة أدبية واجتماعية تبعد هذا الصنف من التفسير للقرآن ، ولا ترى فيه خيرا له ـ ولا للاسلام ـ دائرة المعارف ٥ : ٩ ـ ٣٥٠ وما بعدها .

ولئن كنت لا أفرض رأيي هذا على الناظر في كتاب معجزة القرآن في وصف الكائنات فاني أختم هذا العرض بما يعبر من القرآن نفسه عن عدم رغبته في تناول العلميات ، وذلك هو ما في آية ١٨٩ من السورة الثانية ـ البقرة وهي : « يسألونك عن الأهلة

قل هى مواقيت للناس والحج ... الآية اذ يقول الشوكانى فى تفسيرها .. وقد جعل بعض علماء المعانى هذا الجواب، اعنى قوله «قل هى مواقيت» من الأسلوب الحكيم ، وهو : تلقى المخاطب بغير ما يترقب تنبيها على انه الاولى بالقصد .

ووجه ذلك أنهم سألوا عن أجزاء الأهلة ، باعتبار زيادتها ونقصانها فأجيبوا بالحكمة التى كانت تلك الزيادة والنقصان لأجلها ، لكون ذلك اولى بقصد السائل وأحق بأن يتطلع لعلمه » ـ فتح القدير ١ ـ ١٦٦ ـ

وعند هذا نترك القول فى هذا الصنف من التفسير الذى وضع فيه كتاب معجزة القرآن ـ لننظر فى الكتاب من حيث تحقيقه الغاية التى قصدها منه مؤلفه ، وفى عمله فى صناعة تأليفه .

وهنا نقدر أن الناظر فى الكتاب ، يشعر بالجهد الكبير الذى بذل فى تأليف الكتاب مما يصدق به قول المؤلف الفاضل : ان الكتاب جاء وليد مجهودات كثيرة ودراسات طويلة متنوعة انتجتها مطالعات متكررة فى آى الذكر الحكيم ـ ص ٧ ـ

ومع الاطمئنان الى النية الخالصة للمؤلف الفاضل ، والرغبة الكريمة فى خدمة الحقيقة نضع بين يدى المطلع على الكتاب النقط الآتية :

١ ـ الاعداد الدينى والعلمى للموضوع ـ ما دام الخلاف حول التفسير العلمى قديما عريقا ، كما تبين مما قدمناه فقد كان المرجو الا يدخل السيد المؤلف الميدان الا بعد الانتهاء الى راى فى هذا الخلاف يتقدم به الى موضوعه ويلقى به قارئه ... فيرد على المخالفين ويفند حججهم فى ذلك بمثل ما فند الشاطبى امس حجج القائلين بالتفسير العلمى ويثبت صحة هذا التفسير ولزومه للدين والحياة بما يطمئن معه القارىء الى صحة عمله وأهميته ... ولكن المؤلف لم يلتفت الى شىء من هذا ... فترك كتابه يقابل بهذا الاستنكار العام للتفسير العلمى بما عرف به هذا الاستنكار من قوة فى مثل قول الشاطبى قديما ، وقول الأستاذ الامام حديثا ... وقول غيرهم .

ولو تناسينا هذه الناحية من اعداد الموضوع لما تناسينا ضرورة الالمام بما كتب فيه قبل المؤلف ، وهو ما يدل حديثه ـ فى ص٣ ـ عن جهود المحدثين على أنه لم يتم له ، فلم يذكر من ذلك مؤلفات: الاسكندرانى، وعبد الله باشا فكرى ، ولا الكثير الذى كتبه محمد توفيق صدقى فى السنن الكونية ، وفى مثل كتاب : دين الله فى كتب أنبيائه .. وفى مقالاته الكثيرة فى المنار بل فى الصحف اليومية أيضا منذ عهد جريدة المؤيد .

واذا أغضينا عن هذا فانا لا نقبل فى سهولة أن تكون مراجع الاستاذ حنفى قاصرة على أخف كتب التفسير حين يأخذ معانى الآيات ، فهو يكتفى كما قال فى ٥ ـ بمشهور التفاسير المتداولة كتفسير الجلالين وأبى السعود، والفخر الرازى ، ولو رجع الى أصول

اخرى لمن لا يقتصرون على التفسير العلمى ،كالطبرى والقرطبى مثلا لكان واجدا من التوجيه للآيات ما هو أقوى وأقرب مما اتجه اليه هو ، أو قرر ضعف المفسرين فيه مرجحا التخريج الدينى المتكلف • بل لو رجع الى مثل هذه الأمهات لاتقى بذلك – فيما يرجى – تقرير معان لغوية أو بلاغية لا قوة لها على ما سنشير اليه •

* * *

وليس من التطفل أن أقول : ان الاعداد العلمى للموضوع ليس على ما يرام فالمؤلف يرجع الى مراجع قديمة مثل كتاب حياة النبات فى جميع العصور طبعة ١٩٣١ – أى منذ ٢٣ سنة من تاريخ تأليف كتابه مع أن العلم يتجدد كل لحظة •

٢ – منهج التفكير والتناول :

فان فيه أشياء تهز مكان التفسير العلمى فوق ما وجه من خلاف بل انكار قديم وحديث : فمن ذلك: عدم قوة الاساس الذى يبنى عليه معانى تفسيره فهو فى – ص ٢ – يقرر أن المعانى العلمية الدقيقة قد تكون اشارات ورموز أحيانا – وفى ص٣٠ يقرر أن هذه المعانى تكون غالبا من اشارات ورموز وفى – ص ٣٧ – يقرر انه قد جاء أكثر الانباء الدقيقة عن الكائنات بطريق الاشارة •

والمتمرسون بفهم النصوص يعرفون دقة الاصوليين عندما يتكلمون عن دلالة اللفظ فيجعلون « الاشارة » هى دلالة النص على ما لم يقصد له اللفظ أصلا ، وان هذا المعنى الاشارى يتفاوت الناس فى فهمه لأنه يحتاج الى تأمل •• وفى بعض الاحيان تحمل عبارة اللفظ من الاشارة مالا تحتمله، ومن هنا لا يشرعون بالاشارة الا اذا كان التلازم بين العبارة والاشارة بينا واضحا : واذا لم يصح التلازم لم تكن اشارة النص معتبرة بحال •

فاعتماد المؤلف على الاشارة والرمز يضعف قوة المعانى التى يريد أن يقيم بها المعجزة العلمية للقرآن ، وسيتبين لنا فيما بعد أن المؤلف فى غير موضع يحمل لفظ القرآن من المعانى ما لا يحتمله بسهولة ولا فى قرب :

ثم ان أصحاب التفسير يعرفون أن التفسير الاشارى قد فتح على القرآن أبوابا لا خير فيها ولم يتيسر سدها، وكانت لاصحاب البدع والاهواء فيها مجالات سيئة •

فتقرير السيد أن معانيه اشارية يضعف من أمرها •

ومن ذلك توهينه من قوة قضاياه اذ يصرح فى ص ٣٣ وما بعدها : أن القضايا القرآنية المستنبطة عن الكائنات أنواع فمنها قضايا مقررة ، ومنها قضايا مستنبطة تكون ظنية ، وتكون محتملة •• وهو ما يتجلى فى أثناء تطبيقه طريقته طول الكتاب••

وجعل القضايا ظنية ومحتملة يضعف من شأنها ، ولا يقوى من شان الاعجاز القائم عليها •

ومن ذلك : عدم ثبات الفكرة واختلافها فى المواضع المختلفة من الكتاب فهو فى ص ١٤٠ يذكر عادة

القرآن الحكيمة فى تقرير المبادىء العامة عن الكائنات ، ثم ترك التفاصيل بشانها للبحث والنظر ؛ ويكرر هذا فى صفحات ١٩٥ ، ٣١٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٥٧ = ولكنه مع ذلك كله يورد فقرة (٥) بعنوان : القرآن يصف الكائنات وصفا علميا دقيقا ... ويقول تحتها :- فالقرآن اذن يصف الكائنات وصفا علميا دقيقا ... لأنه جاء بأنباء علمية دقيقة وصحيحة عن الكائنات من قبل ان يظهرها العلم بقرون عديدة - ص ١٣٥ - كما يقول فى ص ٣٥٦ - « جريا على عادته الحكيمة فى استيفاء وصف خلقه » مع أنه فى هذه الصفحة نفسها قبل هذا النص ببضعة أسطر يقول : ان القرآن ترك لخواص الناس معرفة كذا وكذا بالبحث والاستنباط وهذا التدافع نتيجة للرغبة الطيبة فى وصف القرآن كل حين بما يناسب الكلام .

ومن ذلك : التحكم فى استخراج المعانى بتقرير أحكام لغوية غير دقيقة أو غير صحيحة أحيانا فهو مثلا يرجع فى المعانى اللغوية الفصحى باستعمالاتنا نحن فى العامية اليوم ص ١٧٢ - وهو يجعل التعبير بصيغة الماضى دليلا على الاستمرار - ص ٣٦٨ -

وكل هذه الملاحظ وغيرها يمهد للطابع العام الواضح فى الكتاب وهو: التحكم المتعنت فى استخراج المعانى التى جعلها اشارية وظنية او محتملة فلم يسعه الا التكلف الشديد فى استخراج المعانى بتوسعات فى الفهم وتحميل العبارات معانى ليست منها بسبيل ، والامثلة على ذلك كثيرة واضحة فى صفحات - ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ، ٣٦٨ ... الخ من كثير غيرها يطول عده واحصاؤه ولعله يكفى للتمثيل لذلك دون اكمانه انه فى تفسير قوله تعالى « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » تكون العمد هى القوى الرابطة للاجسام ص ٢٢٥ و٣٦٦ ثم تكون العمد هى القوى الرافعة ص ٢٢٦ - ثم يكون التعمير هو البناء ص ٢٤٠ ، ٢٥٢ - ثم اذا هو يستنتج قانون الجاذبية - بكل بساطة من لفظه - الا باذنه - فى آية « ويمسك السماء ، ان تقع على الارض الا باذنه » فيقول : فانظر كيف جاء قوله تعالى « الا اذا شاء » اشارة قوية محدودة على ضوء ما بين فى آيات أخرى الى أنه تعالى كون اجرام السموات والارضين وانه ربط بينهما أى انه كون وربط بين جميع الاجسام المادية صغيرها وكبيرها، بقوى رابطة من نوع قوى الجذب ، وهذا هو قانون الجاذبية العام الذى كشفه نيوتن العالم الانجليزى المشهور فى القرن السابع عشر - ص

٣٧ – وبهذه السهولة يكون « القرآن قد سبق العلم بقرون متعددة فى تقرير خاصة الجاذبية العامة بين الاجسام صغيرها وكبيرها وانها هى القوى التى كونت بها الأرض وكل جرم فى السماء ، وكون بها بناء السماء من أجرامها المختلفة» الى توسع فى الادعاء ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

ويزيد هذا بيانا ما نجد من غرابة الاتجاه فى بيان معانى الكلمات مثل قوله : ان الارضين هى الكواكب والقمر وما يوجد مثله ص ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ .. الخ ومن هذا التفسير الغريب كذلك ما فى ص ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٨، ٣٠٢ – مما يطول القول فيه جدا لو أوردنا منه أمثلة ..

* * *

وفى منهج التفكير والتناول مجال فسيح للقول لا يحتمله الا كتاب مفرد .. ومن الملاحظ ما هو على :

٣ – صناعة التأليف .. ففى الكتاب تكرار كثير مجهد .. وفيه : ترديدات مرهقة لاحتمالات عقلية لا يعمد الى مثلها فى فهم نص معجز كالقرآن ومثاله ما فى ص ٢٤٥ ، ص ٢٥٨ – وفى الكتاب دخول فى مازق لا خير للدين فى الحديث عنها اليوم كحديث الشياطين واستراقها السمع، ورميها بالشهب الراصدة .. الخ – وحسبنا هذا لنصل الى

النتيجة

وهى :– أولا من حيث المبدأ العام فى التفسير العلمى قد تقدم ما يمهد للرأى فيه وكاتب هذا لا يطمئن اليه، ولا يرى فيه خيراً للدين والتدين .

ثانيا : من حيث هذا الكتاب: لعله لا تجب قراءته على المثقفين ، لو قبلوا مبدأ التفسير العلمى .. ولعل المؤلف: لو استخلص منه الحقائق العامة التى انتهى اليها لكانت فى حجم رسالة صغيرة يصل القارىء منها الى شىء لو جنبت ما فيها من مآخذ على صناعة التأليف .

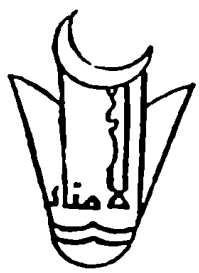

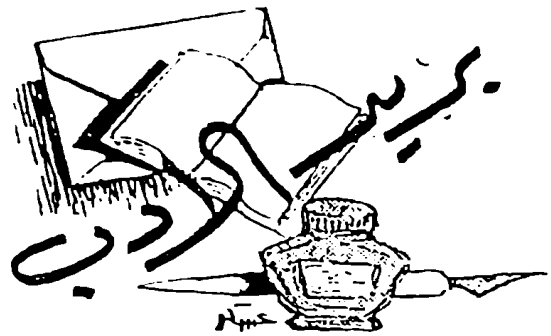

كان زمان..

كان بريد «الادب» فى الاجازة أكثر من أن يتسع له حديث البريد فى عدد أكتوبر الماضى ، فبقيت منه اضطرارا أشياء يجرى عنها الحديث فى بريد هذا العدد ؛ ولعل اصحاب هذه الرسائل المرجأة يقدرون الظروف ، فلا يضايقهم هذا التاخير .

ومن أهم ما تأخر من هذا البريد اقتراح يحتاج التعقيب عليه الى فراغ يصعب الظفر به ضمن مواد العدد السابق . وهو ما يقول صاحبه فى بيانه :ـ

« ... وأعتقد أن على «الامناء» ازاء هؤلاء ـ أى معتنقى مذهبها وعشاق مدرستها ـ حقا ، فحقهم عليها أن تعمل على انتقاء صفوة هؤلاء وأولاء ، بعد اختبار مجهودهم الادبى والفكرى بمحك ثقافة الامناء وخبرتهم ومن يستأهل أن يحظى بشرف الانتماء الى هذه المدرسة الادبية يمنح « وساما » .. أنا لا أقصد بالطبع وساما « وشاحا » أو « مدالية » ؛ وانما أرمى الى أن تخصص الدار كمية من شارة « الامناء » التى صارت علما عليها ، وتصاغ الشارة على دبوس معدنى لتوضع فى عروة الصدر ... لكل من يحظى بشرف الحصول عليه ! ؛ ولا أنسى أن أرجو الى بقية الهيئات الادبية أن تنحو هذا المنحى ، فنرى نادى القصة يصنع شارات بشعاره ، وهلم بقية الهيئات ... » ويمضى حتى يختم الاقتراح بقوله عنه : ـ « اقتراح جدى أرجو ـ ومعى الكثيرون ـ تنفيذه ، ولعل هذا يكون عاجلا وقريبا »

و « الامناء » كما أعلنوا مرارا ، مدرسة ؛ لا جمعية ، فلا يحصون أعدادا ؛ ولا يعلنون أعضاء ، ولا يتخذون اجراءات ما ، للانضمام والالتحاق .. وبعد ذلك لا أكتم السيد المقترح ، وسائر القراء أن شعورى الاول نحو هذا الاقتراح كان شعورا بالنفور من معاودة عهود الاوسمة ، والاوشحة والنياشين والمداليات ، فى اى صورة من صورها !! وهو شعور من يقدر أن « الادب » والفنون جميعا طلائع فى سير الحياة تستشرف للرقى ، وتسبق الى تمثله ، والدعوة اليه ، وتنفر بحسها المرهف الرفيع من كل ما يوحى من بعيد أو قريب ـ بظواهر الرجعة الى أمس لم يتثمل الكرامة الانسانية الكاملة ، بحريتها واستقلالها ، وعزوفها عن الوثنية التى تصنع فروقا ، وتمجد أشباحا ، وتؤيد طواغيت ...

وفى هذا الشعور النافر ، يتفق أن يحمل البريد الى كتيبا يعيب صاحبه على روابط الادب وانديته أن كل من يحمل بطاقة تحقيق الشخصية صادرة عنها يكون اديبا ، يبعث بما يكتبه الى دوريات الادب لتنشره فى الصدارة ، لا فى المؤخرة؛ وصار الاديب يعرف بأنه : كل من ينتمى الى ناد أدبى ٠ وهكذا تأيد نفسورى الاجتماعى بالشكوى الادبية من أعضاء روابط الادب وانديته فلم أهش لهذا الاقتراح ، ولا شعرت بسهولة ما يشير اليه صاحبه من انتقاء الاشخاص ، بعد اختبار مجهودهم الادبى والفكرى ٠٠ الخ ٠ لكنى ـ مع هذا كله ـ أضع الاقتراح بين يدى القراء ليبدوا رأيهم الخاص فيه ؟

وعلى ذكر الشكوى المرددة من الفوضى فى الميدان الادبى ، يتمنى صاحب الكتيب الذى أشرت اليه قريبا أن يروى رؤساء تحرير المجلات الادبية ما يلقونه من هؤلاء الكتاب الذين لا يحسنون لغة ، ولا أسلوبا ، ولا تفكيرا بل ليت مصححى المجلات الادبية يسردون ما يصادفونه من طرف ونوادر ، وهم يراجعون كتابات هؤلاء الادباء ٠٠

وهى فكرة خالجت نفسى كثيرا فلما رأيت من يحسبها أمنية وجدت فى ذلك متنفسا لما يرهق نفسى من كثير مما أقرأ من قصص ، ومقالات ، وشعر ايضا يظلمنا أصحابه أقسى الظلم حين يسمونه شيئا من القول المفهوم ، فضلا عن أن يكون قولا فنيا ٠٠ وقد راجعت السيد رئيس تحرير «الادب» فى عرض طرائف من هذه الاضاحيك ترفيها على القراء ، وتنبيها فى الوقت نفسه لمن يجهدون انفسهم ويجهدوننا بما يرسلون من هذا العبث ٠٠ ولكن استاذى رفض أن يوافق على ذلك وخشى أن يكون لمثل هذا النشر أثر سيء على المبتدئين يبث فى نفوسهم الرهبة ، ويثنى عزائمهم ، مع أنه قد يكون فيهم ذو الموهبة التى لم تصقل بعد ، والتى تنضج على الدرس ، ومع الزمن ؛ فيستقيم أسلوبه ؛ ويتقى الاخطاء ٠٠ وليس الفن القولى هو التعبير الصحيح نحويا ، أو السليم املائيا ٠٠ لا غير وارتأى ان فيما نفعله من القاء الضعيف خارج النقد ، ما يكفى ٠٠ وان ما نلتزمه ونحرص عليه ، من عدم نشر الاسماء والاكتفاء بذكر عناوين المكتوبات انما قصد منه قبل كل شيء الى رفع الحرج ، مع الاحتفاظ بحرية النقد ،دون ايلام لصاحب المكتوب ٠٠ وهكذا نمضى فى طريقنا الاول دون عرض لغرائب الاخطاء التى تبكينا وتضحكنا ، فيما نقرأ من بريد « الادب » ونكتفى بأن نضع اولا ٠

خارج النقد

رسالة السيد ع٠ ط٠ خ ـ لتهافت معانيها ، كقوله : انه يدرس قصائد فحول المعاصرين وحينما ينقدها تصبح « بوش » مهلهلة ٠٠ وأنه ليس له ذنب فى اخطائه اللغوية والنحوية على السواء فهو يبنى على ما درس ـ فان أجاد كان توفيقا من الله ، وان أخطأ كان تحصيل حاصل ٠٠ فانى لا أعرف أنه يتعلم الاخطاء اللغوية والنحوية فى معاهد تعلمه ، فخطؤه اذن تحصيل حاصل !!

وظن صاحب هذه الرسالة ان كلمة « ريادى » فى اعلان اجازة الادب بالعدد يوليو انما هى «رياضى» وقد كتبت خطا ، ولذلك فهو يعتب على انى عبت عليه استعمال كلمة تقتر ، وهو يريد تقطر !! وأقول له : ريادى ـ بالدال ـ من الفعل راد يرود ريادا ، بمعنى الطلب والذهاب والمجيء ، وهو الذى منه الرائد

والرواد ·· والرائد فى الاصل القديم هو المرسل فى طلب الكلأ ·· وتوسع فيه العصر بما يناسبه ·· على أن فى وضعها بين كلمتى القيادة والتوجيه فى قول الأدب عن كتاب القادة ··· الرسل : ينبغى ان يقراه كل ذى نشاط قيادى ، او ريادى ، او توجيهى « انما هو سياق واضح فى معنى الرائد والرياد » ومن مستوى رسالتك هذه يا سيد «ع» أؤخر الى مدى ، نشر شعرك · ولايهمنى كثيرا ما فى رسالتك الثانية التى تبدؤها بالمثل القائل : وراك ··· وراك ·· والزمن طويل ، وانك ستظل ورائى حتى يجبرنى انتاجك على نشره !·· فبالحس الادبى العام كان ينبغى لك أن تدرك ما فى المثل من ايحاء الجفوة والخشونة المهددة ·· لكنى أتناسى ذلك ، وأنظر الى ما فيه من معانى الداب وأتمنى ان يجبرنى انتاجك على نشره ·· يوما ما .

واضع خارج النقد كذلك كلمة « حول مساعدة الدولة الناشئين » على رغم قول صاحبها : ارجو ألا يكون نصيب هذا المقال سلة المهملات لانه مهم للناشئين»؛ ومع قوله آخر هذه الرسالة : ولى عودة فى هذا الموضوع » · وذلك لان الرسالة ـ مع ضعف أسلوبها ـ تدور حول أشياء واضحة كلها أتم الوضوح فى لائحة التفرغ المنشورة فى العدد الماضى من الادب ، وليس فيها جديد ما !!

وأضع خارج النقد قصة «جنون المراهقة» لتفاهتها ، وأخطائها · وكذلك أضع قصة « عناق الحرمان » لشناعة أخطائها وأخطاء الرسالة المرافقة لها ، فاشتغل كثيرا ، وخذ من اللغة والنحو ، والرسم ، حظا أوفر كثيرا مما عندك ، وفى رسالتك اخطاء لو كنت أنا حرا لنشرت طائفة منها تفكيها للقراء !!

ومن هذا أيضا قصة « مش عاوز أتعلم » التى لا أستطيع موافقة صاحبها على تسميتها قصة ··· ولأخطائها واضطراب تصويرها وسذاجتها الشديدة ·· مع ذلك كله ···

و نتحدث عن رسائل : الشعر

فقد وصلت «هروب» وألفاظها أكثر كثيرا من معانيها ، على قرب معانيها؛ وبساطة كثيرة فى بعض صورها البيانية ··· فأنتظر سواها من صاحبها الذى نشرت له «الادب» قبلا·

ـ ووصلت «نهايه الملاح» وفيها اخطاء لغوية ونحويه عريانة ؛ على أن صاحبها ـ رغم ذلك ـ مامول : فليتابع المحاولة ··

ـ ووصلت « اغنية وداع » وفيها صور غريبة مثل قوله: واطعمت شوق العهود الجياع ـ فاطعام الشوق، وجوع العهود فيه بنوة ··· وقريب منه قولك : أحسك دفئا يرد الضياع»·· وليس فيها بعد ذلك كبير معنى ، ولا عميق شعور ··

ـ ووصلت « أشواق الذكرى » لصاحب اغنية وداع ·· وفيها معان عامية تقريرية ، كقوله : كل نعيم ياحبيبتى زارنا ··· لا شىء أحلى من وصال الهوى ··· ثم فيها صور مضطربة كقوله : وكم أذبت الحزن يا حبنا ··· والحزن مذيب لا جامد يذاب ·· هذا على هوان فى الغرض، مع رص العبارات احيانا دون شىء من المعنى ·

ـ ووصلت « حكاية عمر » لصاحب الاغنية ـ والاشواق ·· ولعل هذه

الحكاية احسن حالا من صاحبتيها نوعا ما ·· وان كانت تبدو فيها كذلك بعض أعراضهما السابقة من : التقرير الغريب ·· والمعنى الهين ·· والهدف اليسير ·· واللفظ فى غير موضعه ··

ـ ووصلت « ترنيمة حبى » وفيها حس فنى ، يعوزه التعبير المؤدى ، وتهزه عامية اللفظ كقوله : وابتلع المرار ·· وتخونه العاطفة البنوية ، فيجىء مكانها شعور المحب ، أو تأوه الوله ، وليس هذا من عالم الأبوة فى شىء ·· واللفظ كثير ، أكثر مرادا من المعنى ·· لكن مع ذلك كله ما قد يسلم وينضج ، مع المعاناة المستمرة ·· فتقدم ··

ـ ووصلت « رسالة من القومية العربية » لصاحب شعر نشرت له « الادب » غير مرة ، لكن هذه تقف عند أشخاص فانين ·· وتؤثر أحداثا وقتية ، من طبع الفن أن يتسامى عنها لان الفن انما يخلد من الكون والانسان ما يجب أن يبقيه على الدهر ، لا ما يتمنى أن ينساه فى لحظة وقوعه ·· فالى ما وراء الخلاف والشقاق ، من الدعائم القوية للقومية ·

ـ ووصلت « بكاء وحيد » ونقول لصاحبها بعض الذى قلنا لصاحب رسالة القومية العربية ، فخل لكل واحد من الاخوة أو أبناء العمومة حيزه الخاص ، ولا تؤذه بالتوغل فيه ·· وما بين الأهل سحابة صيف تزول وتبقى النية المخلصة ، والكلمة المحترسة ·· هذا وفى لفظك شىء من قصور كقولك: وتضىء الوية الآباء ·· ·· واللواء لا يضىء ·· ومع هذا مظاهر عدم ثرائك اللغوى ·· لكن فيك اللمحة الفنية · فلهذه ما بعدها ··

ـ ووصلت « ذكريات صيف » و « انشودة حب » و « الغامضة » و « رسالة من البدائع » وهى تحت النشر ··

ومن الشعر نصل الى الزجل ، فقد وصل منه « المسرح الريفى » للزجال الذى طال حديث «الادب» معه عن نقد الشباب ، وصاحب هذا الزجل يصفه بأنه تصوير الواقع فى قريته ، فى اطار فنى ـ وانا أقول له : انه تصوير فوتوغرافى فقط ومجرد تسجيل سطحى ساذج ·· وصامت ·· ثم هو تسجيل لجانب من الصورة ـ أى قطع المسرح المادية أو بعضها فقط ، وما وراء ذلك من عمل المسرح الفنى ، وجمهور المسرح ··· الخ لم يسجل التصوير الضوئى ـ الجامد ـ شيئا منه ·· ويطلب الزجال أن أعرض زجله على رئيس التحرير اذا لم يحز قبولى ·· ولكنى لا أهدر استقلالى بسهولة ، مادام الزجل فى تقديرى ليس موضعا لاختلاف الرأى حتى أطلب فيه ترجيحا ·· انه ياسيدى « المشاغب » مجرد سرد وأخبار ·· لا تعبير فيه ·· ولا حياة ·· وأمرى لله !!

ومع الزجل رسالة من صاحبه يعقب بها على ما نشر عن نقد الشباب فى العدد الماضى ، ولا جديد يستحق التعليق ··

النثر

ـ فقد وصلت قصة «مشوار قصير» وهى خواطر لا يجمعها الا وحدة الزمن ·· وليس فيها النقطة اللافتة ، التى هى القصة القصيرة ··· وفيها مع ذلك من التفاصيل ، والتوسعات ، فى غير حاجة ، مالا مكان له الا القصة الطويلة ، اذا وجد الحادث الجدير بهذه التفاصيل ··

على أن للسيد صاحب المشوار من صحة الملاحظة ، ونفاذ النظرة ما لو تهيات معه المقومات الكبرى للقصة القصيرة لحقق ما يرجوه ويحرص عليه من كتابه القصة الاجتماعية .. ثم النفسية أحيانا .. فلا يزال في المشوار بقية حتى يوصل الى الغاية المنشودة .

– ووصلت قصه « الولد خطفوه » وهى تتجه الى معنى من يقظة الضمير وحسن تاثير الابوة على المجرم – وهو معنى حسن .. يحتاج الى البق، واهدأ ، وأعمق من هذه القصه ، المسرفة فى القصر ، الى حد التقصير ، وعدم استطاعة اللفت الى المعنى الانسانى ، الذى كان يحسن معه أن يعنون القصه « يقظة » لأن الولد خطفوه كلمة الأب المخطوف ولده ،لم يعبر بها عن شيء من مشاعر الابوة.. لكن يقظة الخاطف النفسية ، وتاثره بمنظر ابنه ، وزميله الطفل هى التى ردت الولد الذى خطفوه ..

– ووصلت « قطعة السكر » و « محاولة نقد قصة السراب » و « محاولة نقد قصر النيل » وهى تنتظر فى النشر .. وأخيرا

الى السيد
عبد الصبور شاهين

وصلنى مقالك ناقصا الصفحتين الاولى والثانية ، ومبتدئا بالثالثة .. لا أعرف هل المسئول عن هذا النقص هو : ادارة التحرير .. وهى التى أضاعت الصفحتين قبل أن ترسله الى أو أن سيادتك قد أنسيت أن تضعهما فى الظرف ؟ لعلى أرجح الثانيه .. ولكنى أقطع انى أنا لم أضيعهما ،ولا وقع مثل ذلك منى حتى الآن .. فهل تتفضل مشكورا بارسال الصفحتين ١ و ٢ عن الاصل الذى يرجح أن يكون عندك ؟.. أنا فى انتظار ردك مع أسفى لتأخر المقال واستعدادى لقبول المعذرة من سيادتك أو من الادارة ؟ ..

رجاء

إلى حملة الأقلام

ألا يرسلوا الى « الادب » الا ما يخصونها به مما لم يسبق نشره ، ولا ارساله لغيرها وان يذكروا ذلك صراحة فى رسائلهم ، وسيأتيهم البريد ، بتقدير « الأدب » فى أول فرصة . وحين يتقرر نشر ما أرسل نرجو أن يقدروا الظروف فيتريثوا ؛ وان بدا لهم أن يستعجلوا النشر فى مكان آخر فليتفضلوا مشكورين ببطاقة مكشوفة ، تبلغ « الادب » ذلك لئلا يضيع وقت وجهد على « الأدب » وعلى القراء .

الفهرست

العدد السادس | نوفمبر ١٩٥٩ | السنة الرابعة

صفحة

٣٣٧ ـ التطور الأدبى بين التفاؤل والتشاؤم .. عن الأمناء

٣٤٢ ـ خطأ منهجى فى دراستهم للنقد الجاهلى بنت الشاطىء

٣٤٩ ـ بشار بن برد .. .. عبد الله خورشيد البرى

٣٥٤ ـ المراة فى حياة فيكتور هيجو .. .. .. عدنان الداعوق

٣٥٨ ـ القـــافلة .. .. شعر : فتحى سعيد

٣٦٢ ـ لحـــن .. .. شعر : محمد ابراهيم الديب

٣٦٨ ـ طريق الوداع .. .. شعر : السيد ستيت

٣٦٩ ـ أنا وعصرى .. .. شعر : ابراهيم حماد الشيخ

٣٧٠ ـ لا اعتقـد .. .. قصة : مصطفى الاسمر

٣٧٤ ـ ولا ايهـــاب .. .. قصة : حسام الدين عبدالوهاب

٣٧٦ ـ العكاز .. .. قصة : محمد المندى

٣٨٣ ـ مدام دوسيفيتى .. .. بقلم : عبده الشامى

٣٨٥ ـ لا .. لا يا صـحافة .. .. بقلم : ا. الحولى

٣٨٧ ـ اذاعتنا .. وثمن الوقت .. .. ★ ★ ★

٣٨٨ ـ معجزة القرآن فى وصـف الكائنات .. بقلم : أمين الخولى

٣٩٥ ـ بريد الأدب ـ ٣٩٦ ـ خارج النقد ـ ٣٩٧ ـ الشعر ـ ٣٩٨ النشر

دار القاهرة للطباعة

الرسالة

تصدر كل اسبوع عن الرسالة
تصدر في الموعد المحدد

صدر العدد الرابع والثلاثون

شهر اكتوبر ١٩٥٩

اقرأ فيه

حديث الشهر	[illegible]
معركة رشيد بين أحداث العالم التاريخية	[illegible]
ابراهيم عبد القادر المازني ناقدا (١)	[illegible]
حلقه دراسات في كولونيا عن الفلسفه الاسلامية	[illegible]
خليل مردم بك المجمعي الشاعر	[illegible]
أدب النصيحة والسلوك في مصر القديمة	[illegible]
انتصار رشيد ..	[illegible]
قصة البصمات	[illegible]
باندورا والصندوق الهامس	[illegible]
وطني .. (قصيده)	[illegible]
خلاصة الوجوديه	[illegible]
الليل والانسان (قصيده)	[illegible]
تشكيل الصورة الشعريه	[illegible]
تطور الفنون التشكيلية في الاقليم السمالي	[illegible]
الاوبرا الامريكية في المرآه	[illegible]
السينما الايطالية . نشأتها وتطورها	[illegible]
هواية السينما	[illegible]

وغير ذلك من أنباء ، وآراء في الأدب ، والمسرح ، والفن ، وأهم الأخبار الثقافية

رئيس التحرير الدكتور على الراعى

١٣٦ صفحة ١٠ قروش

مع باعة الصحف وبالمكتبة القومية ٥ ميدان عرابى وسائر المكتبات

دار القاهرة للطباعة

الأدب

العدد السابع ديسمبر ١٩٥٩ السنه الرابعة

٥

مقاييس تقديرنا ..
حبي على ورق ..!!

أداء للأمانة التى حملها الإنسان ، فكانت لباب انسانيته ، وروح ايمانه ..

و

نجاة من وخز الضمير الذى لا تأخذه فى الليل سنة ولا نوم .. ولا تلهيه فى النهار شواغل ولا صوارف ..

و

خلاصا من اللعنة الأبدية التى باء بها منذ الازل ، من كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ..

و

فرارا من وصمة التاريخ ، الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، ولا يند عن سلطانه عظيم ولا حقير ..

وللتاريخ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فيجدون ما عملوا حاضرا ، لا تخفى منه خافية .. بل تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ..

وللتاريخ تخرج الأرض أثقالها .. ويوم يدعو داعى التاريخ يحشر الناس خشع الأبصار قد نفضوا الاكفان .. ... وأخذوا كتابهم بأيديهم .. لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها .. فلا زيف .. ولا ستر .. ولا سر

لكل أولئك يجرى القلم بما يجرى هنا من حديث .. لم تشفع فيه صداقة .. ولم تنفع مداراة .. ولم تدفع مجاملة ، وأين المفر وفى السجلات مكتوبات ،

وفى الذكريات مرويات ، وللدهر وقفات ، والضمير من وراء ذلك كله رقيب عتيد حسيب شهيد .. فلا تعجبن من أن يكون هذا القول أكشف عريانا .. واعترافا يدين او يشين .. فهى أيام عشناها .. واحداث خضناها .. وآثام شاركنا فيها من قرب أو بعد .. ولا ندرى هل يغفر لنا ما قلنا فى ذلك وفعلنا .. أو هو غير كاف .. ولا مبرىء .. وفى كل حال وراء ذلك كله أمانة تؤدى .. ورسالة تبلغ .. وغد يرجى أن يستفيد ويعتبر

والتقدير الصحيح ، والحكم النزيه همـــا فى كل جانب من جوانب الحيـاة صورة الحق والعدل .. أياما كان ذلك العدل : فرديا ، أو اجتماعيا .. علميا أو عمليا .. فنيا أو عقليا .. أو غير ذلك .. والحق ميزان الكون .. والعـدل قسطاس الوجود .. وأى هزة مهما تكن خفيفة ، فى هذا الميزان تذهب الثقـة وتشيع الفوضى ، فتقتل النشاط ، وتحطم الكيان .. سواء أكانت هذه الهزة خطأ غير قصد ، وسوء تناول غير عمد .. أم كانت اصرارا وتصميما .. الا انها حين تكون عن قصد وعمد تكون آلم وقعا ، وأنكى فسادا ، وأبشع أثرا .. ومثل هذه المعانى مما نعتقد أن الدنيا قد جاوزت اليوم مرحلة الافاضة فى بيانها ، والاسهاب فى ايضاحها .. كما آمنت بها ايمانا لا حاجة معه الى دليل عليها ولا برهان لها .

والحياة فى كافة أشكالها سواء فى التأثر بفقد الحق والعدل .. الا أن الحياة الفنية والأدبية تكون أشد حساسية لذلك ، وأعمق شعورا ، وأدق ادراكـــا .. وهى بروحها ، وحسها ، ودقتها ، وشفافية ضميرها يرجى أن تكون أقل تعرضا للخطأ الفاحل فى التقدير ، والميل الواهم فى الحكم .. أما القصـــد الى التقدير الفاسد ، والعمد الى الحكم الجائر ، فذلك ما يرجى أن تكون أبعد منه ، وأصون عنه .. وحين يقع ذلك منها ، فهو أهول منه حين يقع من سواها .. وهو جدير بأن يضاعف تبعتها ضعفين ، ويحتسب منها كارثة مدمرة ، وضربة قاصمة .. وكل ذلك مما يدفعنى الى هذا الحديث عن مقاييس التقدير الأدبى حديثا صريحا غير مكنى .. واعترافا جريئا غير متراجع

واذا ما كانت الحياة الفنية والأدبية أقدر قدرة من غيرها ، وأحسن قدرة لسواها من ألوان النشاط الانسانى فلعل أصح ما يكون التقدير دقة ، والحكم عدالة ، فى البيئة العليا من بيئات الحياة الفنية والأدبية ، حيث يصدر أسمى الأحكام ، ليكسب المحكوم له أكرم الحقوق ، ويشهد له بتمام التأهل ، والجدارة فى الناحية النظرية ، والدراسة الباحثة .. وتلك هى الدرجات العلى فى الفنون والآداب ، درجة الدكتوراه الجامعية وما يقارن بها من تلك المنازل النظرية .. ثم يقابلها ما يكون من تقدير وتتويج للجهود العملية ، من أصحاب الفنـــون

والآداب ، حيث تجنى الثمرات وتكرم الكفايات ·· وفى الميدان النظرى أساس أى اساس للميدان العملى ·

ومقياس التقدير لقيمة الجهد النظرى ما اشترطته الجامعة منذ بعيد فى رسالة الدكتوراة وهو :

« يجب فى الرساله أن تكون عمـــلا ذا أهمية ، يشهد للطالب بأبحـاث شخصية ، ويأتى للعلم بفائدة محققة »

هكذا سجلت اللوائح ـ على تغييرها وتعديلها ـ هذا المعنى بعبارات قد تختلف ولكنها تنتهى الى ما سمعت من فائدة للعلم محققة ·· وسار الزمن سيرته ؛ومضت على الجامعة الرسمية الحكومية أعوام وعقود من السنين بلغت بضعا وثلاثـــين سنة ، فكيف استعمل فى هذه الأثناء مقياس التقدير الادبى ، الذى تواتر فى اللوائح والاوراق ذكره ؟

كيف استفاد العلم فائدة محققة باختيار موضوعات للدكتوراه فيها مجال للبحث المفيد ؟

كيف درست الموضوعات الصالحة دراسة تأتى للعلم بفائدة محققة ؟

كيف فحصت الدراسات فحصا يكشف للعلم فائدة محققة ؟

كيف نوقشت تلك الدراسات مناقشة تكشف للعلم فائدة محققة ؟

لقد حفظت سجلات الكلية من ذلك عجائب وغرائب ، لا بد للتاريخ أن يقول فيها كلمته ···

وأول ذلك لعب السياسة بمقياس التقدير لعبا جريئا ·· وشر اللعب هو لعب السياسة ··

بدأت كلية الآداب بالجامعة المصرية أهلية حرة ، سنة ١٩٠٨ ؛ ثم تحولت الى كلية رسمية حكومية ، سنة ١٩٢٥ ، فظلت حتى سنة ١٩٣٢ لم تقدم فيها رسالة أدبية للدكتوراه ··

واذا الملك فؤاد يرغب فى زيارة الكلية ، وفى هذه الزيارة ينبغى أن يمنح الملك درجات جامعية ، ليتم المظهر الملكى التمثيلى ، فى ميدان الثقافة والعلم ·· وما العمل وليس فى الجامعة درجة قد منحت منحا طبيعيـــا ، على أساس من التقدير الصحيح !! والوقت ضيق ·· ما العمل !؟

ان فى المطبعة ترجمة الفتح البندارى العربية ، لشاهنامة الفردوسى الفارسية ، وقد تم طبع هذا الأصل فليكن هذا المنشور رســـالة للدكتوراه تحت عنوان « ترجمة عربية لشاهنامة فى القرن السابع الهجرى » ·· وتسير الامور بسرعة ملكية ·· وتؤلف لجنة لمناقشة الرسالة من أشخاص لا صلة لهم بالأدب الفارسى ،

بل لا يقرءون الفارسية بحروفها العربية !! وتتم المناقشة ، وتمنح الدكتوراه ، بمقياسها الرسمى : ان تكون عملا ذا أهمية ، يشهد للطالب بابحاث شخصية ، ويأتى للعلم بفائدة محققة !! فيكون ذلك البدء البائس .. وأول الغيث قطر .. ثم ينهمر .. وعش رجبا تر عجبا .. وكم رجبا عشِنا منذ سنة ١٩٣٢ !!

وكم عجبا رأينا طوال تلك السنين ، فى المراحل المختلفة لهذا الدرس الأدبى العالى .. كم قبلت موضوعات للدكتوراه ليس فيها مجال لبحث يحقق فائدة ما للعلم !! وكم رفضت موضوعات فيها أفسح المجال للبحث المحقق للفائدة ! ولم هذا ؟ وكيف كان ؟ ذلك حديث طويل ممل ، ومخجل ، لا ينفسح له هنا مجـــال ..

وكم سودت دراسات ليست من العلم فى قليل ولا كثير .. فضلا عن أن تفيده فائدة محققة أو متوهمة ، وكم كتبت تقارير مبهمة مخجلة عن هـــذه الدراسات فكانت اشبه بتاشيرات الشرطة على محاضرها .. لا بيان .. ولا ايضاح .. بل لا عبارة ولا أسلوب يليق بالجامعة وأهلها ..

وتضيق الحقيقة بكل أولئك .. ويختنق الاخلاص فيقدم الاقتراح تلو الاقتراح بأن يقدم المشرف على رسالة تقريرا مفصلا يبين فيـــه كيفية تمـثل الطالب البحث ؟ وكيف تمثله المشرف ؟ ومكان تمثل الطالب من التمثل المرجو الواجب ـ فلا تقبل هذه الاقتراحات ، ولا يتغير شيء .. والسنوات تمر .. والرسـائل تقدم ، ويقرر الفحص قبولها بلا فحص .. ولا يقع البيان المفصـــل فى فحص الا أن يكون ذلك البيان متمخضا عن أعجوبة فى تاريخ البحث والدرس ، كأن ترى فى ١٩٤٩/٦/٢١ تقريرا فاحصا لرسالة يوقعه أستاذان كان أحدهمـــا عميدا سابقا ، فاذا بهما يعيدان الرسالة ويطلبان الى صاحبها : الاستغناء عن المراجع غير المنشورة .

وهكذا لا يشـهد للطالب بالأبحـــاث الشـخصية الا الرجوع الى المراجع المنشورة !! أما الخطية . وأما غير المنشورة فليست بحثا ، ولا تأتى للعلم بفائدة محققة ! وهكذا يلعب غير السياسة من العوامل وهو كثير متنوع .. ويفســد مقياس التقدير مثل ذلك الافساد المدهش ، وهو المقياس الذى تحمله اللوائح ، بل يطبع فى تقرير الكلية السنوى ـ حبرا على ورق

وافرض أن لهذا التصرف من المستحيلات العقلية ما يعلله أو يفسره ، فكيف تفسر الاستحالة المادية التى لا تقبلها طبائع الاشياء ، ولا يحتملها الزمان .. كأن يصدر فى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ١٩٤٧/٦/٥ قرار مجلس الكلية بضم الاستاذ فلان الى اللجنة الخماسية لمناقشة رسالة دكتوراه تقع فى بضع مئات من الصفحات ، فيجلس لمناقشة تلك الرسالة وتقديرها فى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ٥ يونية نفسه .. ويناقش .. ويقدر .. ويمنح الدكتوراه ..

بتقدير « جيد جدا » .. ومقياس التقدير مطبوع مسجل .. غزير المداد !!

وللتاريخ ، بل على التاريخ ، أن يسترق السمع لما يجرى فى مداولة المقدرين لفائدة العلم المحققة ، اذ يختلف بينهم الرأى فى ذلك اختلافا واسع الهوة ، شديد النفرة ، فيتردد أحدهم فى النجاح ويسأل عن التقاليد المتبعة فى الجامعات عند رفض رسالة بعد وصولها الى مرحلة المناقشة ، ويمضى آخر منهم الى منحها تقدير الامتياز .. ثم يعلن منح الدكتوراه بدرجة الامتياز .. والمطالب بالرفض صامت .. ذاهل .. ولقد يحتقن ضميره .. بل يجن جنونه ، فيفزع الى أصحاب الكلمة العليا فى الجامعة .. لكنه لا يسمع الا مثل الذى سمعت من أحد مديريها ـ عافاه الله ـ أعمل ايه ؟ أنصب مشنقة !! ـ ولا يعمل شيئا ـ لأنه لا يستطيع نصب المشنقة .. والتقدير يكثر ويتضاعف ، فى مثل هذه الأحوال .. ومقياسه المكتوب .. المطبوع .. الموزع، حبر على ورق لا أكثر .. ويهبط المستوى .. بل ينحدر ، ويسفل .. وترتفع الشكوى .. ولكن مقياس التقدير عال ورفيع فيما يكتب؛ ويطبع .. ويوزع .. فماذا تريد الحياة أعلى من هذا وأرقى !! فائدة محققة للعلم .. وشخصية للباحث .. فماذا وراء هذا !!!

وللحياة الأدبية العملية مقاييس تقدير ، لنا عنها حديث آخر .

عزت السحراوى

الآداب

فنية • شهرية

يصدرها الأستاذ

الادارة : مصر الجديدة . الكوبرى : ١٣

ت : ٦١٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم

أمين الخولى

رئيس التحرير

الرسائل الادارية ترسل باسم

عزت محمد ابراهيم

سكرتير الادارة

الاشتراك عن سنة: فى مصر ٥٠ ق، فى الخارج ٨٠ ق (أو ما يعادلها بالبريد الجوى)

ثمن العدد ٥ ق

البريد الجوى والمسجل بحسابه

تصدر سابع كل شهر

عمر الخيام
الجديد.. القديم.. عن: رباعياته و خمريته

يظل الأعلام القادة فى الآداب العالمية موضع الدرس المتجدد ، والبحث المتصل .. وتنشأ باسمهم النوادى ، والجماعات والهيئات التى تعكف على تحقيق آثارهم .. ومتابعة درسهم ..

والخيام أحد هؤلاء الخالدين ، الذين شغلت دنيا الادب والفن بهم ، فى الشرق والغرب جميعا . فلا عجب أن يتجدد الحديث عن آثاره وتحقيقها .. وعن آفاقه وتحديدها .. ويكون هناك دائما المجال الفسيح لهذه العناية ، والجديد المنتظر من النتائج ، التى تجلو غامضا .. أو تزيل خلافا .. أو تغير شائعا ، وتصحح خاطئا .. ومن هذا الصنف ما نعرضه هنا على قراء «الآداب»

قديم

ففى مطلع القرن الثامن عشر بدأ الغرب يعرف الخيام معرفة فنية متلوقة .. ومعرفة دراسة محققة فقرأه الخاصة والعامه ، فى عدة لغات من لغات أوروبا .. كما قرأه هؤلاء وأولئك فى أمريكا ودرسه كبار الاساتذة الجامعيين باللغات المختلفة فى الاقطار المختلفة .. وكان للخيام نصيبه من الشهرة فى الشرق ، بشىء مما كان فى الغرب ، فقد ترجم الى لغات شرقية عدة : ترجم الى العبرية والتركية ، كما ترجم الى العربية ترجمات عدة ، فى أقطار متعددة .

وهنا وهناك اختلفت الكلمة ، منذ عهد بعيد ، عن أشياء فى حياة الخيام وآثاره ، بل كان بعض هذا الاختلاف ليس الا امتدادا لاختلاف الاقدمين ، من معاصريه ، ومن بعدهم حول هذه الاشياء

اختلف القول عن آثار الخيام الشعرية ، أو رباعياته ، وعددها ، ونصوصها .. والصحيح من ذلك والمتحول ، وتكرر التماس ما ينتهى الى حقيقة عن هذا الشعر ..

واختلف الرأى حول أغراض الخيام الفنية ، حين يسرف فى الحديث عن الخمر ، والتواصى بشربها .. وهل كان هذا منه على سبيل المجاز أو الكتابة .. على نحو ما عرف عند الصوفية كابن الفارض .. أو كان الحقيقة الصريحة ، عن ابنة الكرم ودنانها ، كما كان يقول دعاة ذلك من شعراء الخمريات ، كابى نواس وغيرهم ؟ وظل هذا الخلاف متصلا الى اليوم ، واستمر القول متجددا .

* * *

وفى العام الاول من حياة مجلة « الأدب » اهديت اليها رسالة عنوانها : « رباعيات الخيام الحقيقية ـ الترجمة الاولى » ؛ ومع الرسالة خطاب من مؤلفها السيد محمد عبد الغفار الهاشمى الافغانستانى ، يرجو فيه أن يقدم للادباء على صفحة « الادب » خبر هذا التحقيق الذى يزيل الخلاف القديم ، منذ قرون ، على رباعيات الخيام الصحيحة النسبة اليه ·· ويبين ما يهدف اليه الشاعر ، حين بحث على معاقرة بنت الحان ·· وتكرر التذكير بهذا التحقيق والاشادة به ، وأنه القول الفصل ، الذى لم يكن ليهتدى اليه الا شرقى درس اللغة الفارسية فى وطنها ، ثم درس العربية ، فى القاهرة ، معقل العروبة ·· وصرفت الصوارف ، عن اتمام التحقيق الادبى لهذه الرسالة ، وتقويم دعواها عن آثار الخيام ، وأهدافه الفنية ، حتى وضعت بين يدى السيد الاستاذ الدكتور أمين عبد المجيد بدوى المتخصص فى اللغة الفارسية ، والذى نال درجة الدكتوراة فى أدبها من جامعة طهران نفسها ، فتهيأ له بذلك من الاتصال بالفارسية وأدبها ما لم يتهيأ لسواه ممن عاب عليهم السيد الهاشمى طلبهم معرفة الفارسية من أوربا كما سنسمع قريبا ·

جديد

وطلبت الأدب الى الدكتور امين عبد المجيد أن يتفضل بالدراسة الدقيقة لناحيتين :

ا ـ صحة ترجمة السيد الهاشمى من الفارسية ، مع التعقب التام والتعقيب المفصل ، على ما قد يكون فى هذه الترجمة من موضع للنقد

ب ـ تتبع المعانى المجازية فى الأصل الفارسى ، ولا سيما الخمريات؛ والبت فى أنها مجازية حقا فى الاصل الفارسى ، وتتجه فى وضوح ـ الى حديث عن غير الخمر الحقيقية الحسية ·· فأتم السيد الدكتور امين عبد المجيد تقويمه لهذه الرسالة ·

ونضع الآن بين يدى قراء « الادب » خلاصة مجملة ـ للمشكلتين : عدد الرباعيات الصحيحة ، والمراد بالخمر ـ ليتهيأ فهم ما يقدمه ، السيد عبد الغفار ، كما يتهيأ لهم تقدير ملاحظة السيد الدكتور عليه

تحقيق : محمد عبد الغفار الهاشمى ـ تقويم : أمين عبد المجيد بدوى

التحقيق :

وجدت نسخ غير قليلة من رباعيات الخيام فى الهند، وفى أوربا ،بمكتبات متفرقة ، فى اكسفورد وكمبردج ، وباريس ، وغيرها ؛ وأقدمها نسخة اوكسفورد ، وهى مكتوبة بعد موت الخيام بنحو ثلاثة قرون ونصف تقريبا .. تبع ذلك اختلاف عدد الرباعيات فى تلك النسخ اختلافا كثيرا ، فتراوح عددها بين مائة ؛ وأكثر من الالف ؛ اذ وصلت الى ١٢٠٠ ، وتتابعت الدراسة الناقدة ، تنفى من هذه الرباعيات وتثبت بوسائل التحقيق المختلفة ، فوجد بعض هذه الرباعيات فى دواوين شعراء فرس آخرين ، يبلغ عددهم بضع عشرات، وتدق غربلة هذه الرباعيات دقة متشددة حتى يقال : انه لايسلم للخيام منها الا ما لا يزيد عن احدى عشرة رباعية .. وبين هذه الكثرة الكاثرة ، وتلك القلة النادرة تتفاوت اعداد الرباعيات ؛ وتحتاج الى الدرس التاريخى المنهجى ، والنقدى التذوقى ؛ الذى يبذل المستشرقون منه غير قليل .. ويرى السيد عبد الغفار الهاشمى انه قد شارك فيه مشاركة لا تتاح لغيره ، ولا تتهيأ اسبابها لسواه

المراد :

فاذا كانت المشكلة الثانية وهى : مراد الخيام من لذياته وشهوياته ، وتحريضه عليها واغرائه بها ولاسيما الخمر .. اذا كانت هذه فان الأمر يمتد الى دين الرجل ومعتقده ،وتحلته ومذهبه ، وما يكون له مع ذلك من فلسفة واتجاه فكر؛ يصطنع فيه بعض المذاهب الفلسفية الاغريقية أوالهندية أو سواها

ومجال القول فى هذه النواحى فسيح ممتد لو رمنا تلخيص شىء منه لطال بنا نفس البيان الى ما يستأثر بالعدد الفرد من أعداد « الأدب » خاصا بهذا الجانب فقط ؛ وفى العربية وحدها من هذا الحديث ما يطول ويتشعب ونحن حين نعنى هنا برسالة التحقيق آثرنا وضعها السيد الهاشمى لا نعرض الا لما عرض هو له .. وصاحبنا لم يخض فى شىء من تفصيل معتقد الخيام وتفكيره ، وانما عنى عناية مفردة بمعانيه فى الخمر ؛ فنفى أن يكون مراده منها الخمر الحسية ، وأسرف فى هذا النفى وأسهب ، ولعله قد اعتمد فى ذلك على دعوى مطلقة من تدين الخيام وصلاحه دون أن يلقى بالا لما يقرف به الرجل من باطنية تحض على الخمر والملذات، وتنكر الجنة والنار والمعاد ، وتصرح بقدم العالم ، وان الخيام بحيث يعد راسا فى هذه الباطنية وداعيا من دعاتها ، كما يميل الى ذلك ويفصله السيد العراقى أحمد حامد الصراف

فى كتابه عن عمر الخيام : عصره ، سيرته ، أدبه ، فلسفته ،رباعياته : صفحات : ١٢٤ ـ ١٣٢ كما لم يقدر السيد الهاشمى فى تحقيقه ما يجنح اليه مثل السيد توفيق مفرج فى مقدمة ترجمته العربية النثرية للرباعيات ، اذ يتجه الى أن عهد الخيام كان عهد الشك واليقين ؛ والكفر والدين .. فيقول : « ولا شك أن عمر الخيام كان ضائعا تائها بين جميع ذلك ، شأن جميع مفكرى الفرس .. لقد كان مؤمنا وملحدا فى وقت واحد ، فلم يكن كامل الايمان، ولم يكن كامل الكفر ؛ ص ٢٩ ـ ٣٠ كما يشير السيد مفرج فى هذه المقدمة الى طغيان تعاليم الطوائف الباطنية ، ومبادئها الهدامة المعلنة للكفر والالحاد .. والى انتشار الفلسفة اليونانية المترجمة المتدارسة فى البيئة الاسلامية ، وتعمق الخيام فى درسها بعد اتصاله المعروف بالباطنيين ورجالهم .. وحسب القارىء هذه الاشارات المجملة، ليقدر ما سيلقى اليه من كلام صاحب رسالة التحقيق الاخيرة .

التحقيق المتأخر

أول مايفزع اليه السيد الهاشمى فى تأييد ما يرجحه ، وتقوية مركزه فيه هو امتيازه فى فهم اللغة الفارسية وفهمها فهما لا يتهيأ لجمهرة الذين عانوا فهم الخيام من غير أهل تلك اللغه وهو فى خطابه ، وفى رسالته على السواء ، يعظم من هذا الفرق ، ويدل بهذا الامتياز . بمثل قوله : ولما كنت قد تخصصت فى دراسة اللغة الفارسيه ، حيث أنا ولدت فى أهلها، وتحصيلى بها ، كما أنى درست اللغة العربية فى أهلها وتحصيلى بها « بالجامعة الازهرية » أم الجامعات المصرية ، فقد جمعت بين الحسنيين ، وهذه نعمة من الله على (وأما بنعمة ربك فحدث) .

ولئن أعوزه الاعتدال فى هذا الامتياز فانه لا تعوزه دقه النظرة ، فيما ينعاه من تعلم اللغة الفارسية ، وهى لغة حية ، فى غير بيئتها الفارسية ، من بلدان أوربا المختلفة ، اذ يقول :

« أنا فى عجب من دعاة اللغة الفارسية والعلم بها، يجوسون وراءها فى البلاد الاوروبية ظنا منهم أن هذه اللغة وجدت فى هذه البلاد ، بينما لا يزورون بلاد الفرس ، التى هى صاحبة هذه اللغة ، ومنبعها . بينما أهل أوروبا لا ينطقون بها ولا يفقهون منها الا الذين زاروا بلاد الفرس ، وعاشوا فيها أمدا بعيدا ..ومع هذا فهم أجانب عن ادراك اللغة بالنطق السليم والفهم القيم »

« نعم شأن هؤلاء المتفارسين كشأن تلميذ عربى ذهب الى بلاد أوروبا ليتلقى اللغة العربية من ألسنة الاوربيين ، ثم يعود ليدرس العربية

لابناء العرب فى بلاد العرب !! ٠

وقس على هذا «الفارسية الاوروبية»

وهو بهذا الذى احتفظ لنفسه من امتياز فى فقه الفارسية يعرض للترجمات العربية المختلفة فيحكم على كل واحدة منها حكما ، لا ارى بأسا بأن أضعه بين يدى قراء «الأدب» حين يعنون بالوقوف عند الخيام وأدبه

فترجمة السيد محمد الهاشمى العراقى طبق الاصل الفارسى ٠٠ وترجمة البستانى بعيدة عن الاصل والقصد ٠٠ الا أنه قد انصف الخيام بذوقه الشرقى مع عدم علمه بالفارسية ٠٠ وترجمة السيد أحمد الصافى النجفى طبعت مع الاصل الفارسى ، غير أنه لم يتحر عن رباعيات الخيام التى نشرت أخيرا ٠٠ بل اعتمد على ما نشر منذ أمد بعيد ٠

وترجمة السباعى المصرى بعيدة عن الاصل والقصد ، ومشربة بالروح الغربية

وترجمة جميل صدقى الزهاوى قد شط فيها ، وأدخل بعض ما ليس منها بألفاظ نابية بعيدة عن الذوق الادبى الاخلاقى

وترجمة أحمد زكى أبوشادى اعتمد فيها على ترجمة الزهاوى فأصبحت ترجمته ترجمة الترجمة ، والفرع يتبع الاصل ، وان اختلف الاداء

وترجمة السيد أحمد حامد الصراف العراقى لم يفرق فيها بين الغث والسمين ، ولا يدرى السيد الهاشمى على أى نسخه اعتمد ٠

وترجمة حسين رياض مظلوم باللغة الشعبية ، يعجبه منها ما فى المقدمة التى كتبت لها من أنه : ان كان وقع لبعض الناقلين الى العربية شىء من هذه الامور فيما نقلوه عن « الخيام » فانه لم يتفق لأحدهم كلها ، ولم تستقم لبعضهم عندما حاولوا ترجمة الرباعيات فجاءت بذلك متناقضة ، كصورة ناقصة تناولها رسامون مختلفو المذاهب فى أصول التصوير والرسم ، متباينو المشارب والأهواء ، غير متفقى الظروف والملابسات ، فهى صورة كاذبة فى أوضاعها المختلفة ٠

وترجمه توفيق مفرج النثرية أوجد فيها روحا جديدة للخيام ، حسب خياله ووهمه ، مع أن البعد عن أصل التعبير فى نظر علماء اللغة يعد تحريفا وتغييرا

وترجمة أحمد رامى تبعد عن ذوق الخيام المعروف ٠٠ وهو لا يعبر عن الخيام الحكيم الفارسى الشرقى والعالم الدينى الجليل ، ويخيل له أن الخيام قد هام بحب الخمر والنساء ، ولقد نظر فى مرآة الخيام الى نفسه ، فخدعته نظرته ، ونسى الخيام ، وأجاد فى التعبير عما يختلج فى صدره هو ، وأبدع فى نظمه وهذا لا ينكر ٠

والحديث عن ترجمة رامى ـ كما سمعناه ـ يصل بنا الى النقطة الثانية من تحقيق السيد الهاشمى ، وهو ما يريده الخيام من معنى الخمر فى رباعياته ، اذ نقل الهاشمى عبارة لرامى عن حب الخيام شرب الخمر ، لانها تسمو بروحه حتى تصبح فى نجوة من الجسد ، وان حبه للخمر قد امتد الى طعمها ولونها الصافى ، وكأسها الشفافة ، ودنها الملآن ، وكان يجد السعادة فى مجلس الشراب .. الخ .

وعلق على هذا بقوله : « هكذا خيل لشاعرنا رامى حياة « الخيام »الطاهر ملوثة بالخمرة الفاحشه

«لكن الواقع والحقيقة لايعترفان بهذه السفاسف والمجون فى حق عالم دينى ايرانى ، لا سيما أنه مسلم ، ولو رآه الخمارون أنفسهم فى تلك الديار لرجموه بهذه المظاهر جهارا ، ولما كان للخيام الوصول الى صدر مجالس الملوك ، والعلماء والامراء أبدا ، وعلى الأخص فى تلك الديار وفى ذلك العصر يا رامى » وأطال فى هذا المعنى وأسهب وشتم الشاعر وتطاول فعين اتجاهه فى تحديد مراد الخيام من الخمر والملذات

وبما اعتز به من معرفته بالفارسية زعم أنه حل مشكلة الرباعيات فى صحة نسبها واستبعاد المنحول منها وقال : ترجمت رباعيات الخيام الحقيقية المعتقد فيها بانها له ، حيث انها لم يسبق لها الطبع والنشر ولكنها رباعيات وجدت فى عصرنا من مخطوطات قديمة ، وهذه أول ترجمة عربية اترجمها واعتمدها أهل لغة « الخيام » العظيم وبحاثتها ، الدكاترة العلماء باللغه (محمد على الفروغى ، وقاسم غنى) بوزارة المعارف الايرانية

فقد ترجمت ترجمة تكاد تكون حرفية بالنثر مع الاحتفاظ بمعنى الجملة تحت النص الفارسى ، ووضحت مراد الخيام بما اعرف من أخلاق العلماء ، ومظاهرهم ، وآدابهم ، وأشعارهم ، حيث لا يشربون الخمر المادى ؛ ولا يغرقون فى النساء الا فى حلائلهم ؛ دون الاشادة بالمتعة بهن خجلا وحياء ، ثم تتبع ذلك بتبصرة يبين فيها أن كثيرا من رباعيات فارسية ممجوجة ؛ باسم الخيام ؛ تخالف الشريعة الاسلامية وروحيات بلاد ايران واتخذها بعض من لاذمة له ولاضمير زاوية للسكر والعربدة والمجون .. لا سيما فى البلاد الاوروبية ، ومن لحق بذيولها ثقافة وفهما .. ويدرسون الفارسيه على نمط الفارسية الاوربية .. فلم تفقد ايران ابنا بارا مدافعا عن روحيتها الاسلامية ، وعن ابنها الحكيم عمر الخيام الحقيقى ، وذلك الابن هو : رضا بن الحاج محمد صادق نخجوانى ، الذى جادت قريحته

برباعيات ردا على ما افترى باسم الخيام تضليلا ، وقد سمى النخجوانى كتابه باسم « عمر خيام بنداري » .. أى عمر الخيام المزعوم .

وقد درس السيد عبد الغفار الهاشمى هذا الكتاب ، مع ما درس ، وخرج من هذه الدراسة بأن كل رباعية تخالف الشريعة الاسلامية سواء من الخيام أو غيره من جميع وجوهها ليست من الخيام الحقيقى ولا من مسلم ، لا سيما هذه النماذج :

١ ـ الخمريات

٢ ـ التشاؤم

٣ ـ اليأس

٤ ـ التشكك

٥ ـ سلب الاختيار

٦ ـ اباحة النساء

٧ ـ اهانة أهل الدين

٨ ـ اهانة المعبد

٩ ـ اهانة العقيدة

١٠ ـ اهانة العلم

١١ ـ اهمال الحياة

١٢ ـ لا أباليات

وبعد هذا المنحظ العام فى استبعاد ما يريد السيد الهاشمى استبعاده ، وبعد الخبرة الخاصة بالفارسية ، وبعد الاعتماد على بحث رجال وزارة المعارف الايرانية فى صحة ما ينسب للخيام من الشعر . يقدم السيد الهاشمى رباعيات الخيام الحقيقية ، مع الترجمة والتوضيحات .. وكنت بحيث أعقب بملاحظات غير قليلة على صنيع المحقق الجديد ، ودقته ، وسلامة عباراته ؛ ولكنى لا أطيل بشىء من ذلك .. وأدع الكلمة للدكتور أمين عبد المجيد بدوى فى تقويم صنيع السيد الهاشمى فهو يقول :

ان عنوان الكتاب ومقدمتى المصحح والمترجم كفيلتان بصرف قارئها عن اضاعة الجهد والوقت فى مطالعته ودراسته ولكنى مضيت فى ذلك آملا فى العثور على الدر بين الصدف .

اعتمد المترجم على طبعة الرباعيات نشرتها وزارة المعارف الايرانية بتحقيق رجل فاضل من أعلام الادب فى ايران هو الاستاذ محمد على فروغى ، وقد قدم لهذه الرباعيات بمقدمة ضافية تفصح عن انتهاج كاتبها نهجا علميا قويما اعتمد فيه على أقدم النسخ الخطية لرباعيات الخيام واتخاذ أسلوبها معيارا لتحقيق ما ينسب الى الخيام من رباعيات تختلف قلة وكثرة باختلاف الطبعات والمخطوطات وتدقيق الناشرين والناسخين أو تساهلهم فى التسليم بصحة هذه النسبة ، فما كان منها أشبه بأسلوب هذه النسخ الخطية القديمة أو قريبا منه رجح صحة نسبته الى الخيام ورفض ما عداه واحترز فى حيطة الباحثين المدققين من القطع فى ذلك بيقين .

وكان لابد لى من أن أطابق بين (رباعيات الخيام الحقيقية) والاصل المنقولة منه ، فوجدت فوق الاخطاء المطبعية أخطاء فى النقل ناشئة عن عدم الدقة حينا ، وعن عدم التمييز بين حرفى (الواو والدال) فى الخط الفارسى المطبوع به النسخة الاصلية حينا آخر ، مما ادى الى اخلال بالوزن وخطأ فى الترجمة ، ورأيت كذلك أخطاء أخرى تجعلنى أستبعد أن يكون المترجم أفغانى المولد والنشأة لانها لا تقع عادة من أبناء اللغة أيا كان مستواهم الثقافى .

ولا أقول انى قرأت كل (رباعيات الخيام الحقيقية) ولكنى قرأت خمسا وأربعين منها - وهذا القدر كاف للحكم عليها - ودونت ملاحظاتى بشأنها فى صفحات الكتاب ..

ويمكن القول بأن المترجم على أى حال أصاب المعنى اجمالا وان لم يصب شاكلته تفصيلا ولم يسيطر على العبارة السيطرة الكافية لابراز دقائقه كما خرج عن المعنى كلية فى بعض الرباعيات .

أما دعواه صوفية الخيام فى خمرياته فقد أداه اليها كما يبدو خطأ فى فهم عبارة وردت فى مقدمة الطبعة التى نقل عنها مؤداها : ان ذكر الخمر فى رباعيات الخيام وكثرة دوران هذه الرباعيات حول الخمر لايدل - كما يتوهم بعض الناس - على انه كان رجلا سكيرا يقضى ليله ونهاره فى شربها ولا يفيق منها . ولكن كاتب هذه العبارة لم يذهب ابدا الى ان الخيام كان صوفيا يعبر بالخمر عن معان مجازية ، وليس فى سيرة الخيام او رباعياته ما يشعر بانه كان من المتصوفة أو كان يؤمن بأهل التصوف ورجال الدين .

وفى كتاب (تشهار مقاله) أى المقالات الاربع ، وهى مقالات فى الكتابة والشعر والنجوم والطب ، يذكر تلميذه العروضى السمرقندى مؤلف هذا الكتاب بين المنجمين ، ويحكى عنه حكايتين تدلان على أنه كان يتعاطى التنجيم بمعناه المعروف ، وأن له فى ذلك تنبؤات صحت .. بعضها فى حياته ، وبعضها بعد موته .. وان كان الخيام مع ذلك لا يعتقد فى أحكام النجوم ..

وليس فى جميع الروايات المنقولة عن المصادر المختلفة رواية تقول بأن الخيام كان متصوفا او كانت له نزعات وميول صوفية وغاية ما قيل فى احدى هذه الروايات عن القفطى ما نصه : (وقد وقف متأخرو الصوفية على شىء من ظواهر شعره ، فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها فى مجالسهم وخلواتهم) .

وظاهر من اخبار الخيام المنقولة انه كان يغشى مجالس الشراب كما ذكر المؤرخ حمد الله المستوفى القزوينى من مؤرخى القرن الثامن أن الخيام كان من ندماء السلطان ملكشاه .

وقد نسبت الى الخيـــام رباعيـة دللوا بها على انه كان يقول بالتناسخ وترجمتها :

يامن ذهب وعاد وصار (بل هم كالانعام)

لقد ضاع اسمك من بين الاسماء
فتجمعت كل أطافرك وصارت حافرا
وبرزت لحيتك من عجزك وصارت ذيلا

وتقـول الرواية انه كان يخاطب حمارا بهذه الرباعية ٠

وهذا كلام بادى السخافة لا تسف اليه عقلية كعقلية الخيام ٠ ورباعيات الخيام فى مجموعها تدور حول هذه المعانى :

من أين جاء ولم جاء والى أين يصير وما الفائدة من مجيئه الى هذه الحياة مادام لم يترتب على مجيئه اليها ولن يترتب على ذهابه عنهـــا زيادة أو نقصان فى هذا العالم٠ ما قيمة هـذه الحيـاة التى تنتهى الى الموت ، أما الآخرة فلم يعـد من الموتى من يخبر عنهـا خبر اليقين ، وهـــذا الآجر الذى تبنى به القور والاوافى الخزفية والجرار كانت جباها لملوك أو خدودا وحـدقات للعيـون كما كانت أيديها أذرعا للحسان الى آخر هذه المعانى ٠

ومادام الامر كذلك فليغتنم فرصة العمر القصير فى الاستمتاع بالخمر والجمال لان هذه الخضرة التى يتمتع بمشاهدتها اليوم سـتنمو من ترابه غدا والجنة الموعودة قد يصل اليهـا أو لا يصل فلا ينبغى أن يضيع ما بيده بأمل شىء ليس منه على يقين ومادام الخمر من متع الجنة الموعـــودة فلم يتاثم من شربها فى هذه الدنيا ؛ وهو رغم كل هذا التفكير الدائب والبحث والتعمق فى عـلوم عصره ينتهى فى النهاية الى انه لم يصل الى أسرار هذه الحياة أو ادراك كنهها ٠

هذه المعانى واضحة كل الوضوح فى رباعياته دون تحوير وتاويل ولا يمكن أن تصدر الا عن عقلية شاكة حائرة ساخرة تعيش فى لحظتها ولا تؤمن بما بعدها ٠

وهذه نقيض العقلية الصوفية التى ترى وجوب فناء ذاتها فى ذات أسمى وتسعى جادة ليتحقق لها هـذا الفناء وتعتبره غاية الغايات كمـا ترى فى انشغالها بمتع الحياة الفـانية عائقا لها عن بلوغ غايتها فى عالم الروح ، وتقول بأن وجود هذا العـــالم قائم بغيره وتسلم فى اطمئنان تام بأن كل ما يجرى فيه لحكمة وتعبر بالغـزل والخمريات عن مشـاهداتها وحالاتها فى العالم العلوى الذى تدأب جاهدة للاستغراق بل الفناء فيه فلا يصبح لها وجود سواه ٠

كان الخيام حكيما رياضـيا منجما قبل كل شىء ٠ أما شـهرته كشاعر فقد رزقها على يدى الشاعر الانجليزى « فيتز جرالد » الذى قـرأ رباعياته وتأثر بمعانيها فصاغها شعرا انجليزيا رائعا استهوى نفوس الانجليز فأقبلوا عليه وأذاعوه وكان سببا فى ترجمة هذه الرباعيات الى سـائر اللغـات الاوروبية وتقلنا نحن عن الغرب فيما نقلنا هذا الاهتمام برباعيات الخيـام فترجمناها الى العربية شـعرا ونثرا عدة ترجمات ومازالت تترجم الى اليوم ولكن الخيام لا يعد من شعراء الفرس العظام بأى حال وما أشبهه من حيث المنزلة الادبيـة بين شـــعراء قومه باسـماعيل صـــبرى مثلا بالنسـبة لشوقى وحافظ ؛ أو المتنبى وأبى تمام فى الادب العربى ٠

نحو أدب عربي عالمي

لازال الأمسيون يعيشون فى غيبوبة تبعد عن عيونهم رؤى المستقبل. وهم حين يسمعون كلمة المستقبل ، أو تطرق آذانهم أفكار المستقبلية يتملكهم الغضب ، ويخيل اليهم أن أقدامهم تتزلزل فوق أرض لايستطيعون الوقوف عليها .

وحينما أردت تأكيد الحاضر ، واستجلاء المستقبل فى حياة أدبنا العربى ،لم يستطع الأمسيون صبرا.

والأدب – فيما أفهم – فن كل انسان ، لأنه يقدم الكلمة المقروءة ويقدم الكلمة المسموعة ، ويقدم الصورة على شاشه السينما أو التلفزيون والانسان الذى لايقرأ ... يسمع أو يرى .

هذه هى حقيقة الأدب وحقيقة الانسان .

وحياة أدبنا الحديث فى حاجة الى درس يتحكم فيه العقل ، ولا يتلمس العاطفة فى اقامة بحث ينتهى الى نتائج جوفاء تثبت لنا ما ليس من حقنا ، أو تصل الى مهلهلات بيانيه تمجد ما قدمه ادباؤنا ونتلمس الاعذار فيما لم يقدموه من أدب .

نظرة فى الداخل

البيئة المادية والمعنوية تكون الأدب لأنها تكون الانسان .... ولكن الانسان يملك تطوير بيئته حين يملك نفسه .

وقد تحدث أدباء من مختلف انحاء الوطن العربى عن تشكيل هذه البيئة العربية التى تكون الأدب العربى فى مراحله المعاصره ، ومن بين اولئك الادباء الاستاذ محمد بن احمد بن عبود المفكر العربى المغربى الذى يقول :

« ان هذه البلاد –أى المغرب – التى تحملت مسئولية الحضارة العربية على اختلاف عصورها ، لن تنفصم عراها بعد الآن ، ولن يكون هناك مشرق ومغرب .ولكن هناك بلادعربية متحدة ، يحددها مبدأ واحد . وتسعى لغاية واحدة ، وقد كانت بلاد المغرب جزءا لا يتجزأ من بلاد الشرق العربى قامت بواجبها فى تدعيم الحضارة العربية ونشرها فى اوربا وأواسط أفريقية . فحملت لغة العرب الى الاندلس ، ثم حافظت على هذه اللغة فى معاهدها يوم ضعفت فى الشرق العربى . ومما يبشربالخير أن النهضة الجديدة التى انبعثت من الشرق وصل

بقلم : عبد المنعم شميس

حويها الى المغرب العربى فاخذ يعمل للتحرر من ربقة الاستعمار ، ووصل ما أنقطع بينه وبين الجناح الشرقى للعالم العربى • »

ويقول الدكتورجميل صليباالكاتب العربى السورى :

« الوحدة بين اذفكار العربية قائمه على وحدة الافكار والعواطف والتقاليد والعادات والآمال المشتركة ، كما هى قائمة على وحدة اللغة والاتصال الجغرافى والاشتراك التاريخى »

ويحلل المفكر العربى العراقى الاستاذ محمد بهجت الأثرى هذا المعنى ـ فى قوله :

« وما قولنا بيروت ودمشق والقدس وبغداد ومكه والرياض وصنعاء والقاهرة وتونس ، وهى تحيا بدم واحد هو الدم العربى الطاهر ، الا كقولنا خالد وطارق ومحمود ورياض وهم ابناء رجل واحد سماهم بهذه الأسماء للتمييز لا للتفريق »

وقدمرت هذهالبيئة المادية والمعنوية التى وصفها هؤلاء المفكرون بمراحل تاريخيه حددتها وكونتها وحددت معالمها المادية بهذا الجزء الذى يمتد من جبال طوروس الىاقاصى السودان، ويشمل أرضا تضم ما بين خليج البصرة والمحيط الاطلسى • ولم يكن التاريخ عابثا حين استعصت فارس على الاستعراب ، وحين سقطت الاندلس ،دالت منها دولة العرب • ولم يكن عابثا أيضا حين أكد عروبة فلسطين فزال عنها الاستعمار الغربى المتستر تحت اسم الصليب ، وسيزول عنها الاستعمار المتستر خلف نجمة صهيون •

هذه البيئة المادية التى كونها التاريخ لاتنفصل عنها البيئة المعنوية لهذا الوطن العربى فى تشكيله الحضارى وبنائه الفكرى • فاذا قلنا أن هناك وحدة جغرافية تضم أجزاء هذا الوطن، فنحن نقول أيضا ان هناك وحدة معنوية تضمه • وأنت حين تقرأ قصص الكاتب الجزائرى محمد ديب باللغة الفرنسية لاتجده غريبا عنك بل ترى فى كل كلمة من كلماته روحا عربية ، لا لأن الكاتب درس الأدب الجاهلى والأموى والعباسى ولكن لأنه امتزج بالبيئه المادية والمعنوية لوطنه العربى ، ولم تستطع قوى الاستعمار التى أبعدت عنه لغته أن تجعله مواطنا فرنسيا يحس بما يحس به الفرنسى حين يكتب •

ومثل هذا الكاتب لم يقلد الأدب العربى القديم ، ولم يقلد أيضا الأدب الفرنسى قديما أو حديثا ، ولكنه صور الحياة من الواقع الذى يعيش فيه فكان تصويره عربيا مستمدا من البيئة •

التقليد والابتكار

وأدبنا العربى الحديث لم يزل حتى هذه اللحظة يعيش فى مرحلة التقليد ولست أريد تسمية أدباء باسمائهم، ولكننى أنظر الى المجموع لأرى القمم التى تظهر معالم الابتكار فى الأدب

العربى الحديث ، وتضعه الى جانب الآداب العالمية ·

وليس معنى التقليد أن بعض الأدباء العرب يسرقون أفكارهم من أدباء الشرق أو ادباء الغرب · ولكن معناه أن كثيرين من أدبائنا ليست عندهم الأصالة الفنية التى تجتازبهم مرحلة التقليد الى مرحلة الابتكار ·

ومنذ سنوات كان بعض ادبائنا يفخرون بانتسابهم الى مدارس ادبية أجنبية ، فكان بعضهم يقول انه من المدرسة الانجليزية ، وبعضهم يفخر بأنه من المدرسة الفرنسية والألمانية. ولم يكن الهدف هو التأثر بثقافة معينة ،ولكن الهدف هو الانتساب الى هذه المدرسة أو تلك وتقليد ادبائها فى انتاجهم الفنى ·

ولا زالت هذه الآثار بادية على الانتاج الأدبى العربى فى كافة الاقطار والأمصار ·

أما ما نطلبه من الوصول الى مرحلة الابتكار والخلق ، فانه عمل لم يستطع ادباؤنا ادراكه ، لإننا لازلنا نعيش داخل التيارات الثقافية المستوردة ، التى جعلها الأدباء مثلهم الأعلى ·

وأدباؤنا لايعترفون بالتقليد والمحاكاة،ولكنهم يزعمون انهم يخلقون كل صورهم الفنية خلقا بديعا رائعا، وحين يذكر ناقد أن أديبا يقلد آثار الغربيين أو الشرقيين تثور ثائرته ويغضب ويزمجر ·

ولكن ·· هل الغضب وحده يسير بنا نحو المستقبل المأمول ؟

ان الواقع الذى يعيش فيه الأدب العربى اليوم يطلعنا على حقائق مذهلة. فان عمليات تعريب القصص العالمية ونقل افكارها الى البيئة العربية تتم بسهولة ويسر ، وعمليات تقليد كبار الكتاب الغربيين والشرقيين تنتج اكبر الاعمال الأدبية لأدباء مشهورين ·

ثم نصل الى النتيجة ··

هل عندنا أدب عربى حديث يقف الى جانب الآداب العالمية ؟

كلا ·· ولماذا ····

الانسان العربى

هذا الاستفهام أجاب عنه الكاتب العربى اللبنانى ميخائيل نعيمة ، قائلا

« لم يخلق الادب الهربى الحديث حتى الآن شخصية فذة تمثل انسانا عربيا هو نسيج وحده ، اى انه لا يشبه غيره من الشعوب ، ولا يمكن ان ينبت الا فى أرض عربية ·

ولعلنا بالغون ذلك من بعد أن تستقر الاحوال السياسية فى شرقنا العربى ، وينصرف الادب عندنا لدرس النفسية العربية درسا عميقا شاملا ».

وآية التحدى فى هذا القول هى البحث عن الانسان العربى فى أدبنا الحديث ·

كان هناك انسان عربى فى الادب الجاهلى لهصورته الواضحة ولهميزاته وخصائصه ونقائصه ·

وكان هناك انسان عربى فى الادب الاموى والعباسى .

ثم بدأت صورة هذا الانسان العربى تذوب رويدا رويدا ،وحين بدأ الادب العربى ينهض فى مطالع العصر الحديث ، تداخلت عناصر الاستعمار والشعوبية والاقليمية حتى لايظهر هذا الانسان العربى فى صور الادب .

وحين قلت أنالانسان العربى ليس له وجود واضح فى ادبنا الحديث ، زعم زاعمون أن هناك أدبا عراقيا يصور الانسان العراقى ، وان هناك أدبا لبنانيا يصور الانسان اللبنانى الى آخر هذه السلسلة ، ونسى اولئك الزاعمون أن الادب العربى فى مختلف عصوره الزاهرة لم يميز أديبا باقليمه، فلم نقل أن أبا العلاء شاعر ومفكر سورى ولكننا قلنا وسنقول دائما انه عربى .

وسألنى سائل :

ـ من هو الانسان العربى ؟

فعجبت لاننى أستطيع تعريف الانسان العربى فى الجاهلية وفى عصر بنىأمية ، وفىعصر بنىالعباس، لان أدب تلك العصور صور هذا الانسان .. ولكن كيف أعرف انسانا عربيا فى عصرنا وأنا لاأجد أدبا يصوره ؟

أليس من العار على أدبنا الحديث أنه لا يستطيع حتى هذه اللحظة تصوير الانسان العربى ؟

هل نحن أمسيون ؟

ولكن لماذا لم يستطع أدبنا الحديث تصوير الانسان العربى ؟ هل سبب ذلك اننا نعيش فى الماضى الذى حاول محو صورة هذا الانسان خلال غزوات التتار والترك ، وخلال استعمار الانجليز والفرنسيين والايطاليين ؟

ان الواقع المادى لهذا الوطن العربى يؤكد أن شعبنا ليس أمسيا ، بل هو مستقبلى . ونحنفى نظرتنا للمستقبل لانفقد الماضى لان ثقافتنا موصولة بهذا الماضى ولن تنفصم عراها منه .

ومعنى المستقبلية فىتطورناالفكرى مستمد منخصائص العقليه العربية ، فهذه العقلية تنظر الى العالم نظرة شاملة ، وقد تجلى ذلك فى انتشار الثقافة العربيه شرقا وغربا ، وفى تأثيرهذه الثقافةخلال عصورازدهارها فى أمم أخرى .

والعقل العربى يستطيع تكييف نفسه مع المحيط الذى يعيش فيه ، ويستطيع هضم الثقافات الاجنبية وصبغها بصبغة الثقافة العربية وتطويرها .

والعقل العربى استطاع خلالفترات النهوض المساهمة فى تكوين العقل الانسانى .

وبذلك يمكن أن نقول أن العقلية العربية ليست أمسية جامدة ، ولكنها فى جوهرها عقلية مستقبلية تستطيع اداء الدور التاريخى المرموق فى حياة الادب الانسانى .

الفكر .. لا الأسلوب

ونحن نقول أن ادبنا الحديث لم

يستطيع الوصول الى وثبة الآداب الانسانية العالمية ، لان هذا الادب يعتمد على أساليب الكتاب اكثر من اعتماده على الأفكار ،فليس بين ادبائنا **اديب واحد نستطيع ان نقول انه صاحب مدرسة أدبية ، او صاحب مذهب أو فكرة ، أو يعتنق فكرة يدافع عنها ·**

في استطاعتنا أن نقول ان برناردشو كاتب اشتراكي ، وان جان بول سارتر كاتب وجودي،وان البرتو مورافيا كاتب جنسي ·

ولكن أين نضع ادباءنا ؟ أين مكانهم ؟ لست ادرى

اتجاه نحو المستقبل

اننا نعيش في مرحلة انصهار فكرى وأدبى ، ولست اشك في أن افكار المستقبلية ستسيطر على أدباء جيل قادم ·

أما اليوم فاننا **لا نملك ادبا عربيا نستطيع الوقوف به الى جانب الآداب العالميه ، ولا نملك ادبا نستطيع أن نستخلص منه صورة الانسان العربى،** فاذا استطعنا تصوير الانسان العربى في ادبنا فهذه هى بداية المستقبلية في ادبنا ·· وبداية التطلع لأدب عربى عالمى ·

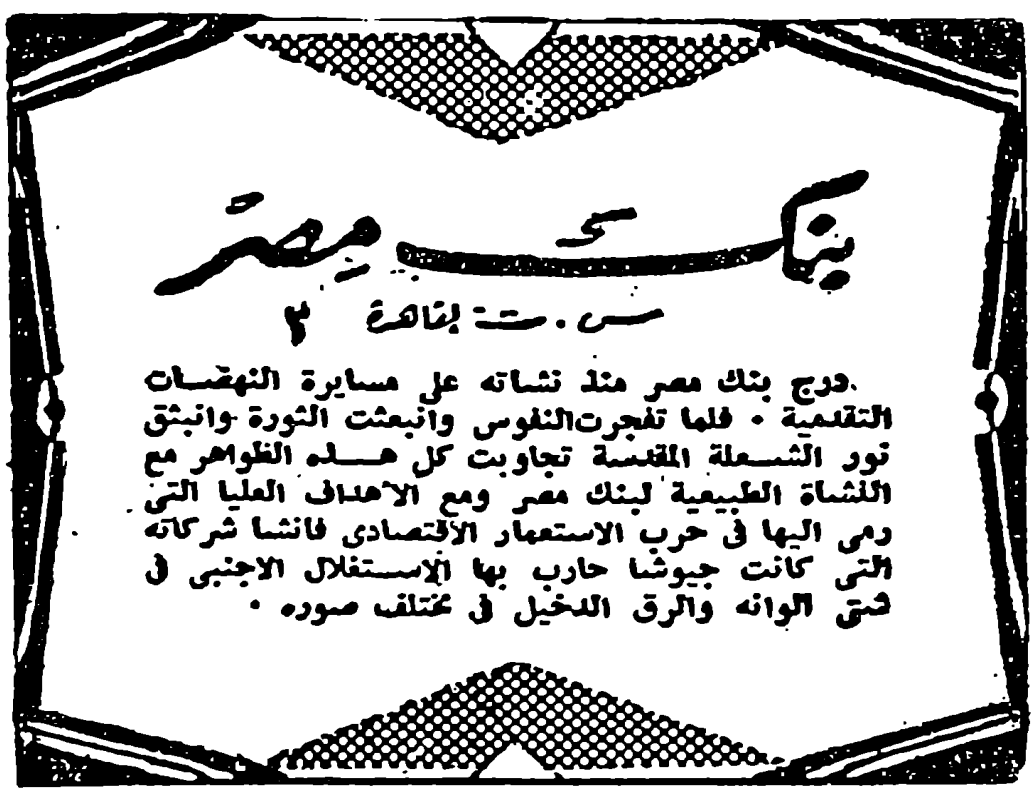
بنك مصر
مؤسسة بالقاهرة
درج بنك مصر منذ نشأته على مسايرة النهضات التقدمية · فلما تفجرت النفوس وانبعثت الثورة وانبثق نور الشعلة المقدسة تجاوبت كل هذه الظواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر ومع الأهداف العليا التي رمى اليها في حرب الاستعمار الاقتصادى فانشأ شركاته التي كانت جيوشا حارب بها الاستغلال الاجنبى في شتى ألوانه والرق الدخيل في مختلف صوره ·

ابسن والحياة الزوجية
في بيت الدمية

بقلم عبد الرؤف برغوث

«ابسن» على خلاف كبير مع الكتاب في طريقة معالجته للمشاكل الاجتماعية فهو قدير في معالجته ولا نكاد نجد احدا يرقى الى مرتبته في طريقة معالجته لقضاياه . وتتضح هذه الطريقة البناءة التي تتسم بطابع جديد هو طابع المناقشة بدلا من الحل الذي ياتي في المرحلة الثالثة بعد العرض والعقدة.. تتضح هذه الطريقة في مسرحيته الخالدة «بيت الدمية» وهذه المسرحية تتناول الحياة الزوجية بالدراسة والتحليل لتتضح معالم الحياة الزوجية وطريقة المحافظة عليها وحمايتها من الانهيار . انه بمسرحيته هذه يبين الانسجام الكامل والتوافق العجيب بين افراد الاسرة .. انه لا يفكك الاسرة باي حال من الاحوال .. انه يعطي نموذجا للاسرة المتكاتفة التي تتعاون والقائمة على الفهم والوعي والرغبة في هذا الفهم وهذا التعاون .. انه يصر على استمرار الحياة في سعادة وتفاؤل وفي رفض كل ما يشوب هذه الحياة من تدخل من اعداء البشرية الذين يراهم « ابسن » متمثلين في الحقودين والمتدخلين وقد كان المثل لهؤلاء المحامي الذي كان يعمل في البنك.. انه يرفض ان يستمع اليه ولا يسمح له بالتدخل في شئون حياته الزوجية حتى ولو كان يحمل سرا يهدد زوجته . وهو يحافظ على كيان الاسرة حتى انه يجعل زوجة ثورفالد او «نورا» تقترض دينا لتنقذ به حياة زوجها من الموت ثم هو لا يذيع سر هذا الدين طوال الحياة الزوجية حتى لا يهددها او يجرها الى الانهيار . ثم هو يرفض التبذير من زوجته حتى ولو كان لارضاء اطماعه وشهواته خوفا من ان تتاثر حياتهما الزوجية بالديون والسلفيات وغيرها من منغصات الزواج . انه يلبس اشخاص روايته مسوح المناضلين ولا ينزل بهم الى التفكير السيء .. ابسن اذن يخالف غيره من الكتاب عامة فهو يحافظ دائما على كيان الاسرة ووحدتها اما غيره من الكتاب فهم لا يعنون بغير التفكك.. بل هم يدخلون في مسرحياتهم ما يجعلها تتفكك .

ان ابسن يعطي مثالا حيا للاسرة المتكاملة المتعاونة ويتيح لها فرص التفكك ثم يمنعها من التفكك بما يتيحه لها من تحصينات وهذا خير من ان نعطي مثالا لاسرة متفككة ولا نستطيع ان ننهض بها كما يفعل الغير .

انه يهتم بالأب والأم كمثلين يجب أن يأتيا من التصرفات بما لا يوقع اولادهما نهبا للفساد والكذب والشك، وما الى ذلك من المساوىء .. حتى المربية التى يختارها ابسن يجب أن تساعد الأسرة على عدم التفكك . والزوجة تبعد الافكار السوداء عن ذهنها بأن تعد من واحد الى خمسة او بالتظاهر بالانشغال حتى لا تكون نهبا للهواجس . ان فى طبيعتها الميل الى عدم الانسياق وراء كل ما يهدم الاسرة ويتضح هذا من تمجيدها لزوجها وحبها له فى أحلك اللحظات .

ان ابسن لا يعطى فرصة أبدا لان يدخل التفكك فى الاسرة . انه لا يعطى فرصة الشك فى الدكتور على أنه هو الذى ادان زوجة ثورفالد بالمبلغ .

ثم انه يعطى دائما فرصة للتفاهم بين الزوج والزوجة حتى لا تلتبس الامور .

ثم هناك المسئولية الجميلة القوية التى يبثها ابسن فى شخصياته أمام حريه التفكير وحرية العمل التى يمنحهم اياها . ثم هو لا يبث الروح الشريرة بين الدكتور وزوجة ثورفالد رغم ما يتاح لهما من فرص الخلوة . انه بهذا يخفف وطأة الحياة وشقاءها

انه يستخرج العناصر الطيبة فى اشخاصه ويستعملها فى معالجة مشاكل الحياة والأسرة وهو لا يستخرجها اصطناعا ، بل عن دوافع صادقة وذلك حينما اعاد العلاقة مع كريستين والمحامى ثم هو بذلك يبنى حياة اسرة اخرى وهى اسرة المحامى من حيث انه يكفل حياة اسرية لاولاده الذين يحتاجون لأم تعنى بتربيتهم .

انه يضع سر سعادة الحياة الزوجية وهى تمثل الحياة بين الزوج والزوجة على انها حياة عشق مستمرة .. حياة تبدأ بالزواج بعد ولكنها تأخذ فى التوهج

ثم هو بعد المحافظة على كيان الأسرة يحاول أن يعطى للفرد شخصيته التى يثبت وجود الفرد . وان يستوحى الفرد أفكاره هو . ثم أنه يضع تصورا جديدا فى حرية المرأة وحقوقها .

ولكننا نجد ان ابسن بعد كل هذا يوقف استمرار الحياة الزوجية . ثم يعطلها الى حين . حتى تؤسس على اسس أجمل وأنظف من الاسس الواهية التى تقوم عليها معظم المعيشات الزوجية .

انه لا يكتفى بالمحافظة على الاسرة وانما يحاول تطويرها وترقيتها والوصول بها الى قمة الصراحة والوعى والتوافق الفكرى . وتحرير الشخصيات من أى سيطرة واثبات الذات التى يجب أن تفكر تفكيرا شخصيا .

انها محاولة موفقة من ابسن لاعطاء صورة لما يجب أن تكون عليه الحياة الزوجية . ان ابسن بهذا يثبت أن له مسرحا خاصا به لا يشاركه فيه غيره .. وما أحوجنا الى مسارح متعددة متنوعة كمسرح ابسن .

أنت طالق

هى تجربة .. التقت فيها مدنية الغرب بتقاليد الشرق على انقاض ناس كثيرين .. رغبت فى عرضها من زاوية خاصة ، ليرى منامن فاته أن يصلح نفسه ..

***

معذرة .. بنيتى .. معذرة ومغفرة
انى رغبت أن أزيد فى الحياة مقدرة
وأن تزيد اغنيـــاتى غنوة معطرة
وأن تطول بى ظلالى فى ظلال خيرة
وأن تدور فى خطاى ـ من صغارى ـ كوكبة
ويهتفـــون : هـــات يابابا ..
هات لى عروسة وطائرة
وشيكولاته وبسكويت »
ويهزجون فى أغان حلوة محببـــة
ويحسبون أننى فى قدرة على الحياة
اعطى .. وامنح الجميع .. من مقادير الآله

***

وجئتها .. جئت التى قالت بأنى خادمة
ابنى لزوجى عشه بأغنياتى الحالمة
واستريح آخر النهار فى يديه ناعمة
احكى له عن حبنا .. مدلة .. مناعمة
ولن يرى منى سوى ابتسامة رحيبة
وزوجة مطيعة .. وغانية
وقوة منيعة .. واغنية
ولن أمل فى انتظارى وراء بابى
حتى يعود لى .. وتلتقى شفاهنا رطيبة
وامسح عن وجهه بقيـــة من العرق
وادفع فى صدره صدرى .. واغفو .. ويرق

***

وبت ليلة وليلة ارى هداى فى غدى
واحلم .. وتنتهى خواطرى لتبتدى

فأضحك ·· وأصنع روايتى على يدى
فأمل ·· حتى أتى شيخ وقور يرتدى
وخاتما من فضة ·· ومسبحة
وفى اليد اليمنى عصا غليظة
ودفتر ·· وتـــابع الى اليســـــار
وقال قولا مسهبا عن شرعة الزواج
ومد خال زوجتى يدا ·· وأحكم الرتاج

***

وأطلقت فى الجو زغرودات « نينة » ·· يا بنية
وقدم « الشربات » والحلوى الى الشيخ تحية
وأقبلت « عروستى » تجر أذيالا حيية
ألبســـــتها من ذهب اسورة هدية
وألبستنى خاتما ·· وتمتمت ·· ولم تزد
ومدت الاطباق للغداء
ولم أكن أحس باشتهاء
لأننى كنت العريس
وكان حسن غامض يريد بى أن أنفرد
لأستعيد كل شىء قبل الا أستطيع
فى زحمة الحياة ـ أن أشارك الجميع

***

وكان شىء لم يكن فى عرفنا أن نشهده
قضت عروسى بعده لياليها مسهده
وأفرغت وجـودها فى ظلمة مصغده
وجاهدت ·· لكنها كانت عروسا مجهدة
ضمت اليها فى ظلام القاع سرا مترفا
لكن أسرار النســـــاء غاليـــة
وزوجتى كانت تريد أن تزف « بالعوالم »
وان يتوج العروسان بتاج
ولم تقل ·· خافت ·· وظلت كالغريق أشرفا
حتى انقضى شهر ممزق القبل
ذوت به مضاجع ·· ولم نذق طعم العسل

وكنت ـ يابنيتى ـ زوجا .. وكنت هاديا
احكى لها عن الزواج هادما وبانيا
وعن مشاكل القطيع بائعا وشاريا
وعن وجود الناس كيف يستحيل ضاريا
وان لذة الحياة فى الجهاد والعمل
وفى الزواج للزواج
دون تاج .. دون « زفة »
وفى بقية الحياء ..
فلن تزيد ضجة الزفاف حظنا من الأمل
لكننا نعرى .. ونشكو للعراة حالنا
ونلبس الحرير .. تخفى تحته ملالنا

***

وحاولت .. لكنها كانت تغار من وجودى
من قدرتى على اكتشاف ما تريد .. عن جهودى
لعزلها عن كل ما يشينها .. ومن وعودى
أن نملأ الدنيا ابتساما راضيا .. ومن قعودى
عن كل تقليد أرى فيه عيوبا لاتراها
وأسرفت .. فأعلنت حربا
وقدمت مطالبا ..
ولم ترد مفاوضة ..
ولم تعد حياتنا الا وجودا قد تناهى
أرفوه خرقا بعد خرق فى اصطبار العارف
لكن .. كمن يرفو الزمان .. فالثوب مخاوفى

***

كانت تريد أن تعيش حرة .. بلا قيود
فالبيت سجن .. والحياة حاوة بلا حدود
والفقر عار .. والهناء فى الحرير والنقود
وجلستى الى كتاب فى حسابها صدود
ورغبتى عن الجدال .. عادة ذميمة
لأنها تريد أن نظل فى جدال
من دون ما سبب
فتلك تسلية ..

وحولنا جيراننا عاداتهم كريمة
ايامهم لهو .. واينامى .. واحلام غنية
ونحن لم نبرح نلور فى متاهات غبية

***

ولم تزل ترجو غدا فى عالم الخيال
فتحلم .. وتؤمن بروعة المحاليل
وتدفع وجودها فى مسقط الظلال
وتنظر .. وتأمل .. وتبسم .. ولاتزال
فى غمرة محمومة .. تهذى .. ولا تكاد
حتى التقينا ذات يوم فى صراع
وكنت وحدى فى صراع
ودار بى دوار
وبعدها لم تغمض جفناى فى رقاد
ولم يكن الا طريق واحد .. لكننى
فى موسم الحصاد .. وحدى .. كيف لى فاجتنى ؟ !

***

وحرت .. لكنى ابيت ان تطول حيرتى
فكرت فى ابنائنا .. حدثتها عن فكرتى
اثنيت عن جهودها .. ولم ازل بقدرتى
على التماس عذرها .. مرغبا فى عشرتى
حتى التوت فى ثورة هازلة .. واسرفت
ولم تدع لى كبريائى رغبة فى زوجتى
فقلت : انت طالق !!
ولم ازد ..
وحط صمت معتم ..لكنها تعطفت
ببسمة ساخرة .. واردفت بقهقهة
وبعدها .. خرجت امشى فى دروب مفرغه

***

وفى المساء .. عدت مرهف المشاعر
لألتقى « بزوجتى » وارمة المحاجر
بكت وجودا طيبا .. مقلم الاظافر
مهذب الاحساس .. يسمو فوق كيد قادر
وعاتبتنى فى استكانة .. وقبلت يدى
ثائبة .. مستغفرة ..
ومرغت فى بسمة ذليلة

اباءها ..
وبالدموع حاولت الا يفوتها غدى
ومر ليل راعش المدى .. ومر يوم
وبعدها .. تدلهت .. وأسرفت فى اللوم

***

وكان ان تمزقت خيوطنا الدقيقة
وأحكمت مزالج .. وأصبحت حقيقة
الا نسير فى طريق واحد دقيقة
قد بان أن بيننا متاهة سحيقة
فلننصرف الى الحياة وحدها .. فلا أمل
فى زوجة ناشزة
ضحت بكل مالها ..
لأنها مريضة الخيال
ولننس - يا بنينى - ما كان حتى لا نمل
وهذه طريقنا مضيئة الظلال
رحيبة .. غنية بالخير والجمال

***

فبادرى بنا .. لنصحب القطيع ، بالبكاء
لايستحيل قوة نحيا بها .. ولا رجاء
فى رغبة عزيزة تمزقت .. ولا عزاء
فى ذكريات تنتهى بنا معا الى شقاء
وحاولى أن تملئى حياتنا ببسمتك
حتى أعود من جديد
ابنى غدا ليومنا
غدا سعيدا !!
فكم أود أن تصيرى أنت أم أخوتك
حتى نضمد الجروح .. ثم أنت تكبرين
وبعدها ستدركين ماجرى .. وتغفرين

- كامل سعفان

أغنية من بغداد الجريحة

من النـــوم هبـــوا وفكوا القيـود ... ولا تفـزعوا من خئـون يسـود
فنحـــن غـداة الوغى كالاســـود ... نخـط المصـير بحـد الحسـام

أخى ان قضـــباننا من هشـــيم ... وجـــلادنا ذو فـؤاد ســـقيم
وقـــد خـــان فرعون موسى الكليم ... فصـــار عـلى الدهر شـــر الأنام

لئـن ســـال منى ومنـــك الدماء ... وصـــبوا علينـــا صنوف البـــلاء
فسـوف نهـــز الورى بالنـــداء ... وننفى الـكرى عن جفـــون النيـــام

أيخشى المنـــــايا جنـــود الاله ... وهـــل خفضـــوا لسـواه الجباه ؟
فكيف ونحـــن التقـــاة الأباه ... نهـــاب السـياط وغـدر اللئـام ؟

ليبنوا القبـــور .. ليبنوا القبـور ... ويلقـــوا بأشـــلائنا للطيـــور
لنقطع بالســـجن صـم الصـخور ... فهـــم فى غـد طعمـة للضـــرام

ســـنمضى خفـــافا تجـــاه الأمام ... وندعو الوجـود لدين السـلام
ومن صـــدنا ســوف يلقى الحمـام ... فعيش العبيـــد حـرام .. حـرام

نجيب الكيلانى

لست لى

بالرغم من حب تقاسمناه فى عهد الطفولة
وبرغم آمال بنيناها ، واحلام جميلة
اجرى اليك بلهفة ... جرى الفراشة للخميلة
اليوم .. اضحت بسمتى دمعا ، وآهات طويلة
فغدا ازفك ياعروس ، وبعد ساعات قليلة
بالرغم منى... لابن عمك.. ليت لى فى الامر حيلة

* * *

ولسوف آتى بعد عرسك ـ ياحبيبة ـ فى الصباح
ومعى الورود ندية ... حمراء مثل دم الجراح
ظل اضحك .. رغم حلم فشته .. ولى وراح
واقاوم الدمع الحبيس ، وسوف ابدى الارتياح
ولسوف أبدو طائرا فى الأفق املؤه صياح
مع اننى اصبحت منذ اليوم مكسور الجناح

* * *

ولكم ستغمرنى السعادة حينما تضعين طفلة
شقراء مثلك ، وجهها حلو يشع النور حوله
ولسوف اطبع فوق خديها حوالى الف قبلة
هى انت ، سوف أبثها حبى ، وابدى الشوق كله
فلربما اطفأت نارا فى الحشا وشفيت غله
ولربما خففت عبئا مرهقا قاسيت حمله

* * *

لا . لست لى ـ بالرغم منى ـ انت اختى فى الرضاع
لا . لست لى . قد كانوهما ـ ليس الا ـ ثم ضاع
اصبحت وحدى.. دائم التفكير.. احيا فى صراع
ساحاول النسيان ـ يا اختاه ـ قدر المستطاع
واظل اصطنع السرور ، ونار قلبى فى اندلاع
وبرغم حزنى ، سوف اضحك للحياة بغير داع

ابراهيم حافظ

قلب ضرير

زفر من صدره آهة اثارت ذكرياته الراسبة فى أعماق نفسه فتبينها فى غيبوبته خافتة كالحة تكاد من عبوسها أن ترديه الى تيه اعمق مما هو فيه ، يفقد فيه عقله ويطير فيه صوابه ٤

وتكلم بصوت متهدج حزين جرحت أناته كل كلمة نطق بها ، ومزق نشيجه كل لفظة تحاملت الى شفتيه ٠٠ لم يتحفظ فى كلامه ، بل ترك لسانه يجوب بين ثنايا ماضيه ليدل الى بصرخات لاذعة خرجت من صدره تثغب دما وتقطر حسرة ٠

وتسربت الى سمعه كلماتى وأنا آمر « التمورجى » بفتح النور ففزع فى مرقده كأنه لدغ بحية أو اصابه مس من الشيطان وقال فى صوت متخاذل ٠٠٠ أنا لا أعرف النور وصمت قليلا ان هو الا ارهاف فى سمعى وحساسية فى ملمسى والهام لمشاعرى ٠ لطالما بحثت عن النور فلم أجده ، بحثت عنه فى نفسى فوجدتها مظلمة قاتمة بذكرياتى ، وبحثت عنه بين الناس فلم اعثر عليه الا بين

مصالحهم منزويا خافتا ضعيفا ٠٠

وماجت براسه الذكريات ، وماتت الكلمات على شفتيه ، واستبد الجمود بقسمات وجهه ، وسكنت كل حركة فيه حتى خلته قد فارق الحياة بعد أن سكب فى اذنى كلماته المحمومة التى لا تفيدنى شيئا كمحقق، ومددت اليه يدى فى رهبة كانى اقاوم اشباح

بقلم حسام الدين عبد الوهاب

الموت التى تحوم حـول رقبته بقطن النوشادر فايقظته من شروده الخانق فقال وكأنه يواصـل حديثا اسره الى نفسه وافضت به النوشادر الى ٠

ولما انتقلت انا واخى من قريتنا الى بيت خالى بالقاهرة كى نواصل تعليمنا أنا فى الازهر وهو فى الجامعة لم أجد فى نفسى شيئا سوى رهبة من حياتى الجديدة ، واشفاق على خالى ووحيدته لما سيتكبدانه من أجلى فأنا كثير المطالب دائم الشكوى ، وتناسيت أشـياء كثيرة كانت تبيت فى جوفى كل ليلة فتسهدنى الليالى وتعذبنى الايام ٠

تناسيت غيرتى من اخى هذه الغيرة التى ولدت يوم بدأ يطـوى الارض بقدميه، وأنا ما زلت اتعثر فى خطواتى مع أنه يصغرنى سنا ، وأنكرت حسدى له ، هذا الحسـد الذى كان مبعثه عيناه الملتان وهبهما الله له فسـلك سـبيله فى الحياة هادئا مطمئنا ، وتغافلت عن حنقى وحقدى على هذا العمى الذى اصابنى فى اوائل أيامى، وتساندت مع اخى لتكييف حياتنـا الجديدة ٠٠ وسـكت هنيهة وبدا يتحسس معالم وجهه بيد مرتعشـة مترددة حتى وصلت الى عينيه وتلمس بروزها فاحتقن وجهه وتسـارعت قطرات العرق الى جبينه لتطفىء جلوة الصراع التى احتدمت فى راسـه ، ورفع يده الى راسه ليتبين طول الجرح الذى أصابه، وصدره يرتفع وينخفض فى حدة كأنه يحاول أن ينتزع شيئا من اعمـاقه ، ولكنه يخفق فيكرر محاولته فى شـدة وعنـاد وشهيقه وزفيره يتقـاربان فى تواتر كأنهما يعدوان وراء الاحداث التى ألمت به ، وقدمت اليه النوشادر مرة أخـرى فهدأت أنفاسه ، وتراجع اليه بعـض هدوئه ، وتابع أقواله ٠٠٠

لم أدرك من جمالها سوى صـوت ناعم رقيق انسـاب فى أذنى فأثلج صدرى برقته ، وأشـاع الراحة فى نفسى ، ولم أسمع فى البيت سـوى صوتها ، اللهم الا همسـات رقيقة لوقع أقدامهـا ، فقد ماتت أمها وهى صغيرة تحبو الى صباها ، وآثر خالى ألا يتزوج بعـد أمها ، وأن يرعاها بطيبته الساذجة ، وقلبه الحنون ٠٠

وقبعت فى الحجـرة المخصصة لى ولأخى لا أبرحها ، أسـتذكر فيها دروسى وأجتر فيها معلوماتى ، وكان اخى كالضيف الخفيف كثيرا مايخرج الى زملائه لاستذكار دروسهم ولايعود الى البيت الا مع الساعات المتأخرة من الليل ٠٠٠

وكان خالى بحكم عمله اذا جاء بالليل لينام لا يسفر الصبح حتى يعود الى

عمله مرة اخرى ـ اما هى ابنة خالى فكانت دائما بجوارى تؤنس وحدتى الرهيبة ، وأسلى وحدتها المملة فقد أصر خالى الا تكمل تعليمها بعد ان بلغت السادسة عشرة ، فأصبحت فى البيت وحيدة حالمة تنام لتتوارد عليها الرؤى والاحلام ، وتصحو لتسبح فى خيالها الاطياف والذكريات ، وكانت تقرأ على دروسى بصوتها المتموج الدل، فينشرح بالدرس صدرى ، وترتاح للاستذكار نفسى،وكنت لا أسأم هذه الوقفات المثيرة بين الحين والحين عندما كانت تقطع على الدرس بخواطرها الجميلة وآمالها البعيدة ، بل على العكس كنت أنساب مع تصوراتها ، وأحلم بأحلامها ، وارجو آمالها ، وأتمنى على نفسى أن أحتل جزءا من خيالها ، وأضيئت فى نفسى جوانب لم أكن لأتصور أنها ستضىء فى يوم من الايام وألحت على خاطرى مشاعر لم أفكر ولم أحس بها منذ ولدت ، وكنت أقاوم نفسي ،وأصارع تفكيرى ، وأكتم مشاعرى،وأستشعر فى نفسى خديعة تصورى .. أيمكن أن تحمل فى نفسها حبا لى ..؟

وجاء اليوم الذى ظهرت فيه نتيجة امتحانى وكنت الاول على فرقتى ، فطرت الى البيت أحمل بين طيات جبتى هذا الانتصار الذى أحرزته بمجهودى ومجهودها .. وتهلل بالفرحة صوتها ، واخذت تقفز على الارض كالطفل المرح وهى تقول :

الاول ... الاول ... واخذتنى بين ذراعيها واذا انا بجبتى وعمامتى أتضاءل بين نهديها البارزين وهى تضمنى اليها وتشبع خدى ووجناتى بسيل من قبلاتها السريعة الخاطفة ، وبعدت عنها وتمنيت على نفسى أن أحرز فى كل يوم نجاحا وان يظهر لى انتصار .. وتلعثم تفكيرى بعد فترة واضطربت مشاعرى .. ما هذا الذى أرومه وأبغيه ؟ أهذا هو حبها ؟ لا.. انه عطف واشفاق على بائس ضرير. انها تشعرنى بعجزى ونقصى فدفعتها مفاجأة نجاحى الى هذا العمل . ولم لا يكون عملها هذا بعيدا عن نجاحى ومشاعرى ؟ أليس من طبيعة الفتاة أن تجرب انوثتها ، وتختبر نضارتها ؟ ولم لا تكون هذه اول تجربة لها تقبل فيها شابا فجعلت قبلاتها سريعة خاطفة ؟ ثم انها للآن لم تتكلم عنى ولا كلمة مجاملة بل حديثها دائما يدور حول نفسها وحول احلامها . وقفزت الى ذهنى فكرة .. لم لا أفضى اليها بحقيقة مشاعرى .. ؟ لم لا أشجع تجاربها هذه معى واستحث اقدامها نحوى .. ؟ وهمت مع طيفها فى جنبات البيت وارهفت سمعى بجمال الدنيا ونشوة الحياة فى همساتها وكلماتها .

وزحت اعتنى بمظهرى فالتمس اجد ثيابى لارتديه ، وارجل شعرى بعناية فائقة ، وكنت اروح واغدو على الحمام لانظف اسنانى واكثر من غسل وجهى لتظهر وسامتهولاتلمس نعومته • ولكن شيئا من هذا لم يلفت نظرهانحوى ، ولم يزدداهتمامها بى، وكنت استحثالوقت وارجو الصدف ان تجمعنا فى جلسة طويلة ابسط فيها مشاعرى وافضى لها بما يعتمل فى نفسى •• وكنت انتظر •

وفى اصيل يوم من الايام وبيناانا اذرع غرفتىذهابا وايابا لابدوحشة السكون الذى خيم عليها ولاحرك عضلاتى المرهفة التى زادتها عطلتى الصيفية خمولا على خمولها •• ترامى الى سمعى همسات متناجية وضحكات خافتة شلت حركتى وايقظت مارد الحقد الساكن فى اعماقى ، وسمعت خفقات قلبى تعصف بثورة جامحة ، واحسست بالدم يغلى فى عروقى ويتدفق الىاطرافى كانهيدعونى للذود عن عواطفى واحلامى ، واندفعت وانا اتعثر فى خطواتى لاتبين حقيقة فجيعتى••انه اخييغازلها ويضاحكها، وهرعت الى السلم حيثكانا يتناجيان بوجهى الناقم ، وبعضلاتى الثائرة ، وبروحى الحاقدة ، مادا يدى لاطيح بغريمى ولاثأر لعواطفى •• ففزعا لرؤيتىوتركانى لتزلقدمى علىالسلم، ولم اشعر الا وانا بهذا المستشفى •

« سجن القناطر الخيرية للرجال »

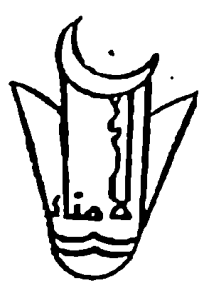

رسالة زوجة !!

زوجى العزيز :

لطالما فكرت طويلا قبل أن أكتب اليك هذه الرسالة .. فما كنت أظن أننا سنفترق بهذه السرعة ولم يمض على زواجنا الا شهور وأصارحك القول أننى ترددت طويلا .. ودار فى نفسى صراع نفسانى عنيف وكنت أسائل نفسى هل أكتب وأشرح كل شىء ؟ أم أظل هكذا فى نظرك مجرمة آثمة .

ولكن .. حدث شىء جعل من هذا التردد عزما ومن هذا الفرار اقداما فلقد عرفت أننى حامل ومنك أنت لا من أحد سواك كما كنت تظن .. وأقسم لك وأنا صادقة فى قسمى أن هذا هو الحق وانني سأروى لك الأمر كله ، وكما حدث.. ولك بعد ذلك أن تصدق أو لا تصدق .

زوجى العزيز ..

لم أكن أقدر فى يوم من الايام أننى سأعود وأنبش الماضى .. الماضى الذى كاد أن يموت ويطويه الزمن فى بحور النسيان وأقول كاد لاننى لم أكن قد نسيت الامر كله .. وكيف أنساه وقد عشت فيه بكيانى وروحى وعقلى ! أنت تعرف يا زوجى المحبوب أننى كنت أعمل ممرضة فى احد

المستشفيات قبل أن أتزوج وكنت أشعر وأنا أؤدى هذا العمل أننى نافعة ومفيدة للذين حولى وما أسعد المرء حين يعرف أنه نافع ومفيد ولو بقدر بسيط .. ايه مالنا نخوض فى الحديث عن نفسى ونترك الامر الأهم ..

فى احدى نوبات عملى وكان الوقت ليلا وكنت جالسة بحجرتى فى المستشفى سمعت عربة الاسعاف وهى خارجة فأيقنت أن فى الامر شيئا وانه سيأتينا زائر مريض او مصاب فى حادثة من الحوادث - وما كنت أظن أن هذا المريض الذى

بقلم محمد عبد الله المرسى

سيأتى سيكون له شان معى ـ فما كان لى شان مع المرضى سوى أن أؤدى واجبى نحوهم ٠

وجاءت عربة الاسعاف تحمل شابا قد ذبل جسمه وانضوى ، واصفر وجهه وشحب وقال لنا الاطباء بعد الكشف عليه أن حالته خطيرة ، وانه مصاب بمرض لا ينجو منه، وأن علينا أن نعتنى به٠٠وشعرب بالاسى الممتزج بالرثاء لهذا الشاب الذى حكم عليه القدر أن يسلبه الحياة وهو لم يزل فى ربيع شبابه ٠٠ و ٠٠ وتذكرت ٠٠ نعم تذكرت أخى الذى مات وهو لم يتخط ربيعه العشرين متأثرا بداء خبيث أصاب صدره وعذبه عذابا فظيعا قبل موته ٠

وبحكم عملى كان على أن أتصل بذلك الشاب المريض وأشرف على علاجه وأحادثه وأسليه لجوعلى مرالايام ازداد تعارفنا تماسكا ووثق بى الفتى وبثنى لواعجه وأشجانه فعرفت ضمن ما عرفت أنه وحيد أبويه المقيمين فى الريف واللذين وضعا فيه أمالهماوهو هنا فى القاهرة ليكمل تعليمه وكله أمل من الانتهاء من هذه المرحلة بفارغ الصبر٠٠كان يحاول أن يسبق الزمن ليتخرج ويكفى والده مشقة الانفاق عليه وكان يقول لى والحسرة تملأ نفسه :

« هاأنذا الآن طريح الفراش لا أستطيع أن أواصل الدراسة وكان القدر يتآمر على واصارحك القول يا آنسة اننى اشعر بأنى لن اخرج من هنا الا الى القبر »

وانصافا للحقيقة يا زوجى العزيز اقرر هنا اننى كنت اشعر بالعطف والاشفاق عليه٠٠قد يكون هذا راجعا الى التجربة القاسية التى مر بها أخى وكان المرض ينهش جسمه وهو امامنا لا نستطيع أن نفعل شيئا ٠٠ وكان قلبى ينفطر كلما رأيته وقد عزمت بعد أن رأيته يائسا من الحياة أن أفعل شيئا يجعله يتعلق بهذه الحياة ٠٠ يجعله يحاول أن ينسى آلامه أو يتناساها عزمت على أن أبث فيه روح الامل فلعل ذلك الامل يساعده على استعادة صحته ٠٠عزمت على أن أجلله يتعلق ٠٠ بحبى ٠٠ وبعد ذلك كثرت الاحاديث بيننا وتشعبت وكنت لا أجد وسيلة لاخبره بما اعتزمت عليه ألا وهو اخباره بحبى وأخيرا سنحت فرصة مناسبة فأخبرته وكان الشاب لا يصدق ولكننى تحت وطأة الانفعال بكيت وتماديت فى الخطة التى رسمتها فى مخيلتى ٠ واستطعت بعد ذلك ومع الايام ومع كثرة التودد والتحبب اليه أن أجعله يصدق حقيقة أنى أحبه ٠

وفى احدى الليالى كنت جالسة معه أواسيه وأشجعه فرأيته يحملق فى طويلا فلما سألته عما به بادرنى قائلا :

ـ اريد ان اسألك سؤالا

فقلت له : سل ما تريد

ـ فقال لى وابتسامه ساخرة على

شفتيه : هل تحبيننى حقيقة أم هو العطف على مريض قد لا ..

فقاطعته بحدة قائلة كيف تقـــول هذا ..

وأقسمت له وأنا اعتقـــــد أن الله سيغفر لى هذه الكذبة .. أقسمت له أنى أحبه وأننى لا أعطف عليه فهو عما قريب سيشفى فلا مجال اذن للشفقة واســـتطردت قائلة واياك أن تنسانى بعد ما تبرأ من علتك

– انسالك وكيف ذلك بعد كل هـذا الذى فعلته من أجلى!! صدقينى أنك ملاك أرسله الله الى فى صورة انسان .. أظننى قد أطلت عليك الحديث يا زوجى العزيز ..

وعلى كل فقد قربت النهاية ... النهاية المحزنة التى كلما تذكرتهـا هزنى الالم هزا واعتصرنى عصرا .. ايه يا زوجى ماذا أقول وانت حكمت على أن أعود لتلك الذكريات التى تحز فى النفس وتدميها .. ماذا أقول وقد حكمت على أن أشرب من كأس المرارة مرتين .. وعلى كل فلا بد من تكملة الحديث حتى تقتنع أن زوجتك بريئة مما نسبته اليها ، ويمكنك أن تتأكد من ذلك من زميلاتها فى المستشفى فما كان الامر سرا أو خافيا .

وكان مساء وليته ما كان .. وكنت فى منزلى يوم أجازتى .. جالســـة أفكر فى هذا الشاب الذى يقف على عتبة القبر والذى كانت صحته تنحدر من سىء الى أسوأ رغم جميع المحاولات التى بذلتها لانقاذه .. ودق جرس الباب فقمت أستطلع الطارق فراعنى أن أجد زميلتى (احسان) مرتديـة ثياب العمل وكانت تنهج نهـــجانا شديدا مما يدل على أنها كانت تسير مسرعة فسألتها عما بها فقالت انمعها رسالة من (حمدى) – وكان هذا هو اسمه – وهو الآن يعـانى سكرات الموت يريد أن يراك

واخذت الرسالة .. هذه الرسالة التى عثرت أنت عليها فيما بعد .. الرسالة التى لم تكن مؤرخة وكانت كلماتها تقول كما قرأتها « عزيزتى أشكر لك تلك الليالى . التى قضيتها معى تواسينى وتشجعينى .. وأملى الآن أن أراك لآخر مرة فاسرعى فقد تأتين متأخرة »

ألم تكن هذه هى الرسالة التى أقمت الدنيا وأقعدتها عندما قرأتها .. ألم تكن هذه هى الرسالة التى من أجلها أهنتنى ونعتنى بأحط التهم وهـأنا أتذكر الآن ما قلته لى فتسيل دموعى على خدودى لتحرقها .. لقد قلت لى : يا مجرمة ، يا خائنة يا عاهرة اذهبى الى عشيقك فهو فى انتظارك وماكان أقساك ساعتها وخاصة حين أصررت على طردى من البيت فى التو واللحظة .. وكنا فى الليل فقاسيت كثـــيرا وسافرت الى أهلى والدموع ملء عينى

ايه .. لنرجع الآن الى حديثنا وماكان من امر الشاب .. ذهبت الى المستشفى

لارى منظرا ، لم ، ولن انساه ماحييت منظر هذا الشاب وهو يلفظ انفاسه الاخيرة وعلى وجهه أبشـــع تصوير للالم الانسانى .. وبكيت.. وبكيت طويلا فقد مات بين يدى وهو يقول بصوت متقطع ضعيف .

– أرجوك أن ترسلى برقية الى أهلى فى البلدة ليأتوا .. أى .. أى .. ولم يقل غير ذلك فقد كانت آخـــر كلماته فى الحياة .

ومرت سنتان فى الحياة وقابلتـك وكان ما بيننا من حب وتفاهم انتهيا الى زواج ثم .. ثم عثرت على تلـك الرسالة وأنت تعرف الباقى فـــلا ضرورة لاعادته

والآن أناشـدك يا زوجى الحبيب أن تعود الى .. لا من أجلى أنا .. بل من أجل أن لا يولد طفلك ولايجد أبا بجانبـه .. عد الى يا زوجى .. عد الى ..

ترقبوا فى مطلع العام الجديد :

مجموعة قصصية

بقلم : عزت محمد ابراهيم

• خمسة وعشرون قصة تقع فى أكثر من مائة وخمسين صفحة مزينة بالرسوم

• اخلاص فى الفن ، وصدق فى الأداء ، وحيوية فى الشعور

• تطلب من الباعة ومن المكتبات : الثمن ١٥ قرشا

ثائر على الطغيان (١)

بقلم : أمين الخولي

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ..) أولى بنا الحديث على مقاومة الطغيان .. فرأينا ذلك انما يكون من ذوى الشعور الكريم، والحس اليقظ ، اذا ما شعرت صفوتهم بالكرامة، وتنبه حس الخاصة فيهم، فادوا زكاة رقيهم، تحريضا على الكرامة وحماية لها ، وصمدوا فى ذلك، للمصاعب والشدائد ، متأنين حتى تتكشف المحن ، ويسفر صبح الحرية وضاء مشرقا .. ومثل هذا الجهاد النبيل ، تلتمس له القدوة الصالحة تغرى به ، والمثل الشاهد يدفع اليه ... ومن أجل ذلك أحببت أن أتحدث بعد ما مضى ، عن شرقى ثائر الطغيان .. ولم التمس ذلك من بطولة الأولين وسير الماضين ، لئلا يقول واهم : ذلك زمن قد مضى ، وتلك أمة قد خلت ، لها ظروفها ومثلها ، والامر قد تغير اليوم واختلف ولم يعد يهون على أهل هذه الايام فى مأزقهم وضراوة علوهم أن يحاكوه ويتمثلوه ... فتركت هذا البعيد لان الشرق لا يزال بخير بعد ، لم يجدب ولم يعقم ، وأنت وشيك أن تجد فيه ثوارا على الطغيان أبلوا احسن البلاء..

---

(١) أذيع هذا الحديث مساء ١٩٤٢/١/٣٠ - ولئن لم تغف الادب كثيرا لنشر مثل هذا الحديث الملتاع من قبل فانها رأت فى تسجيله اليوم بمناسبة ذكرى الكواكبى - آية أن الرجل مذكور على الأيام لاينسى مثله وقدوة على السنين للأجيال بعده : وهذا ماقيل عنه منذ بضعة عشر عاما

فعمدت الى احدهم من الاقـــربين ، الحديثى العهـــد بالوجود ، أتحدث عنـــه الى الشرق منبت أصـــله ، ومسقط رأسه لير بنوه ، انهم أهل المجـد والأمل ، لم تنقطع بهم على الايام وراثة . ولا خلت أرضهم — ولن تخلو أبدا — ان شاء الله من العظماء

مستمعى الاحرار أتحدث اليكم عن ثائر على الطغيان ، ليست ميزته فى ذلك ، انه زعيم قوم ، أو رئيس جمع فيتهم بغاية أو منفعة .. وانما ميزته أنه قد واجه الطغيـان عن فهم دارس ، ولقيه عن بصيرة بطبائعـه وعلم بخصائصـــه ، وعلى خبرة بما يقول ، ومعرفة بما يدعو اليه ، دون اكتفاء بالقول أو التأليف ، يستغنى به عن السعى والنضال .. كما هى آفة غير قليلين فينا ، ليس نصيبهم من العمل الا الكلام ، ولا جهدهم فى الاصلاح الا الحديث عنه ، فما حظهم الا الأمانى المرجاة ، والآمال المحببة ، يزينهـــا الوصف الشيق ، والتمنى القاعد . فى ميـادين من الصحف ، وأعوان من الورق .. وحتى ذلك كله يكون دون اعداد من البحث والفحص ، أو المعاناة والاحصاء والممارسة !!

مستمعى الاحرار أتحدث اليكم رجل كما فهمته من آثاره ، دون ان أزعم انى أترجم له ، أو أؤرخ حياته ، بل أدع استيفاء ذلك لمن يفرغ له ، وحسبى منه موضع المثل الصـالح ، ومكان القدوة الطيبة ، من رجل شرقى من اهل العصر الحـــديث ، نال من الثقافة الجديدة حظه ، فعرف بضـع لغات شرقية . ووقف على العـــلوم الرياضـــية والطبيعيـــة وعنى بعلم العمران خاصـــة .. الى جانب ثقافة اسلامية صالحة ألمت بالعلوم الشرعية .. مع ميل أدبى آثر صناعة القلم ، وشارك فى الصحافة .. نجـد آثار علمه ، فيما خلف من كتابات ، تنم عن معرفة بالاجتماعيـــات ، والمام بالأصـــول السياسية والاقتصـادية والخلقية .. فى بصر بالحياة الاوروبية ومقوماتها ، والحياة الشرقية ومقاتلها ، ودقة فى تبين مواضـــع الاصـــلاح الاجتماعى فيها ، وخير علاج له .. ولا يزال ما كتبه ، منذ أكثر من اربعين سنة عن الديمقراطية ونظمها ، وما قدمه من آراء فى الشرق وحالته صالحا لان ينتفع به المعنيون بهذا من ابنـاء اليوم ، ورواد الاصلاح ، على سرعة ما سارت الايام ، وتغيرت الاحوال .

مستمعى الاحرار اذا ما كان الحديث ، من هدى القرآن ، فبحسبى من ذلك ، حين أختار هذا المثل من المدركين لأصـــول التدبير القـرآنى الاجتماعى وحكمته ، أن ألقى اليـكم جملة رأيه ، فى سمو حكمة القـرآن وصلاحية هذا التدبير الاســـلامى ، للحياة المتجـددة ، حينما يخلص من شوائب الزوائد والتشدد ، فعنده : ان صاحب الاســـلام والقرآن يزداد

ايمانا كلما ازداد علما ودقة نظر (١) ٠٠ والاسلام قد جاء بالحكمةوالعزم، هادما للتشريك بالكليـــة ، ومحكما لقواعد الحرية السياسية ، المتوسطة بين الديمقراطية والارستقراطيـة ، فأسس التوحيد ، وأظهر للوجـــود حكومة كحكومة الخلفاء الراشدين٠٠

فان هؤلاء الخلفاء الراشـدين فهموا معنى القرآن ، وعملوا به ، واتخذوه اماما ٠٠وهذا القرآن الكريم مشحون بتعاليم اماتةالاستبداد ، واحياءالعدل والتساوى ٠٠٠ والاسلام مؤسس على أصـــول الادارة الديمقراطية ، أى العمومية والشورى الارستقراطية أى شورى الاشراف ، وقدمضى عهدالنبى (ص) وعهد الخلفاء الراشدين ، على هذه الاصول ، بأتم وأكمل صـورها خصوصا وانه لا يوجد فى الاسلامية نفوذ دينى مطلقا فى غير مسائل اقامة الدين ، هذا الدين الحر الســـهل ، السمح الذى رفع الاصر والأغلال ، وأباد الميزة والاستبداد (٢) ٠

مستمعى الاحرار

ان هـــذا الشرقى الثائر على الطغيان ، كان من الخاصة المؤمنين بالكرامة ، والذين بمثلهم تقوى الجماعة على مجابهـــة البغى ، فهو الحر النفس الذى يقول: ان البلية فى فقدنا الحرية ، وماأدرانا ما الحرية : هى ما حرمنا معناه، حتى نسيناه ، وحرم علينـا لفظه ، حتى استوحشناه ، وقد عرف الحرية من عرفها ٠ بأنها : أن يكون الانســـان مختارا ، فى قوله وفعله ، لا يعترضه مانع ظالم ٠٠ ومن فروع الحـرية ، تساوى الحقوق ، ومحاســبة الحكام باعتبار أنهم وكلاء ، وعدم الرهبةفى المطالبة ، وبذل النصيحة، ومنها حرية التعليم ، وحريةالخطابة،والمطبوعات، وحرية المباحثات العلميـــة ، ومنها العدالةبأسرها ، حتى لا يخشى انسان من ظالم أو غاصب أو غدار مغتال٠٠

ولا شـــك ان الحرية أعز شىء على الانسان بعد حياته ، وأن بفقدانهـا تفقد الآمال ، وتبطل الاعمال، وتموت النفوس ، وتتعطل الشرائع ، وتختل القوانين (٣) ٠٠ وهذا الحر الأبى هو الذى أحسن فهم الهدى القرآنى فى ذلك فقـــال ان الحرية هى روح الدين ، وينسب الى حسان بن ثابت، الشاعر الصحابى قوله :

وما الدين الا أن تقـــام شرائع

وتؤمن ســبل بيننا وهضاب (٤)

وهذا الحر هو الذى يقـــرر ، أن التوحيد أساس الحرية ، وأن الرسل يهدون الناس ، الى رأس الحكمة ،أى معرفة الله حق معرفة لكى يعبـــدوه وحده ، وبذلك تتم حجته عليهم ، ويملكون حريتهم ، التى تحميهم ، من أن يكونوا أرقاء أذلاء ، لالف شىء من أرواح وأجسام وأوهام (٥) ، ولكون

---

(١) أم القرى وابعة ص ١٠٥
(٢) طبائع الاستبداد ص ١٩ ــ ٢٠
(٣) أم القرى ٢٨ ــ ٢٩
(٤) أم القرى ص ٢٩
(٥) أم القرى ص ٦١

التوحيد عنده اساس الحرية جعل شعار الثائرين فيجمعيته التى أعدها للمقاومة والانهاض ، هو جملة « لانعبد الا الله (١) ٠٠ وعنده أن التهاون فى الدين ناشيء من الاستبداد ، وان العافية المفقودة هى الحرية السياسية (٢)»

ولقد دق حس الرجل فى الشعور بالحرية حتى تسمعه يقول مخاطبا قومه الشرقيين : ألم يخلقكم الله أحرارا !! لايثقلكم غيرالنوروالنسيم، فأبيتم الا أن تحملوا على عواتقكم ظلم الضعفاء ، وقهر الاقوياء (٣) !! فأى نبل ، ذلك الذى يشعر صاحبه انه لا يثقله ولا يضغطه ، الا النور والنسيم ؟!

مستمعى الاحرار . اذا كانت مقاومة الطغيان لا تنجح الا بالايمان، المجاهد ، المدبر ، المتأنى ، فلقد أبلى هذا الثائر ٠ فى ذلك أحسن بلاء٠٠ لعهد ساد فيه طغيان السلطان عبد الحميد الثانى ، الذى كان يلقب بالسلطان الاحمر ، لسفكه الدماء٠٠ اشتغل صاحبنا بخدمة الحكومة العثمانية ، فكان حبه للاصلاح ، وحريةالقولوالفكر ، مما اثارالسخط عليه فعزلوحبسوجرد من أملاكه٠٠ ولكن لم يثنه شيء من ذلك عن جهاده بل غادر الوطن ، وطلب بلاد الله ، فجاء مصر ، ثم خرج منها سائحا ، فطاف زنجبار والحبشة ، وأكثر شطوط شرق آسيا وغربها ٠٠فاوغل فى أواسط جزيرة العرب ، وأقام على متون الجمال ، نيفا وثلاثين يوما ، قطع فيها صحراء الدهناء فىاليمن٠٠ ثم تحول الى الهند ، فشرقى افريقيا، حتى عاد الى مصر ثانية ٠٠ وجاهد فى سبيل الحرية ، باعمال كان شعارها الاكتتام ، وذلك لان من موجبات الاكتتام،كما يقولهو التزام المشرب العمرى ، أعنىالقولالصريح، فى النصيحة للدين ، بدون رياء ، ولا استحياء ولا مراعاة ذوق عامة ، أو عتاة ، لان حياة المريض مهلكة ،وكتم الامر المستفيض سخافة ، والدين النصيحة ولا حياء فى الدين ٠٠ كما يبين ان حال الناس لعهده ، تجعل القول من غير معرفة القائل ، أرعى للسمع وأقرب للقبول (٤) ٠٠ وكذلك يعمل المخلصون ، فى غير جلبة ولا ضوضاء ، ويدبرون لما فيه النجاح لا لما هو أبلغ فى الاعلان ٠٠ وأشد الناس حاجة الى ذلك أعداء الطغيان، حين يناضلونه ٠٠

---

(١) أم القرى ص ٣٨
(٢) طبائع الاستبداد ص ٧٨
(٣) طبائع الاستبداد ١٠٦
(٤) أم القرى ص ١٥

مستمعى الاحرار ... اذا كان النجاح فى مقاومة الطغاة ، انما يقوم على ثقة المقاومين ، بالمستقبل ثقة وطيدة ، وأملهم فى الغد أملا قويا . لا يزعزعه بعد الشقة ، ولا فرط الجبروت ، ولا رسوخ العدوان ، فقد كان لهذا الشرقى الثائر على الاستبداد حظه الوافر من ذلك كله ... وحسبكم انه الذى عوقب ، وشرد ، وجرد من أمواله ، واغترب ، ولكنه بعد ذلك كله يكتب متخفيا فيجعل شعار ما كتبه، فى محاربة العدوان ، عبارات مأثورة. فى الثقة والثبات هى قوله : كلمات حق ، وصيحة فى واد .. ان ذهبت اليوم مع الريح ، لقد تذهب غدا بالاوتاد (١) ... ويجسم لكم ثقته الرزينة ، وثباته الراسخ ، قوله فى وصف الطغيان ، وجهاد العاملين للخلاص منه ، اذ يمثل من يطغى عليهم بأنهم دود تحت صخر ، والعمل لانقاذهم رفع لهذه الصخرة ، ولو حتا بالأظافر ، ذرة بعد ذرة (٢) .. ولا مثل هذا الثبات الذى يأمل فى عمل قوامه ، حت الصخرة بالأظافر ، لتتكسر ذرة بعد ذرة!!. وهل يسمع المثبطون ، الذين يخشون بطش العدو، ويقدرون نسبة ما بينهم وبين هذا الثائر من قوة !! لا نامت أعينهم ..

كذلك جاهد الرجل الاستبداد ، بالفعل .كما جاهده بالقول،مستخفيا مكتتما ، مقدرا وعورة المطلب مستعدا لحت الصخرة ، ذرة بعد ذرة،مواجها طغيانا شديد العسف ، رهيب البطش كان يرى ان وجود أثر من كتابة هذا الرجل ، عند أحد ، أمر كاف للقضاء عليه ، قضاء أبديا .. وكان هو والاحرار من اخوانه ، يخذلهم كثيرون حتى المثقفين لعهدهم ، ولكنهم لا ينخذلون ولا يضعفون ويصور لكم ذلكم ، ان مجلة فى مصر ذائعة ، لاصحابها الثراء والصيت ، كتبت حين مات هذا الرجل تقول ماخلاصته ان من يقرأ ترجمة رجال هذه النهضة ويدرس أعمالهم ، يعترف بفضلهم ، فى نصرة الحقيقة ، وتأييد الحق والحرية ، ولكنه يرى بعين عقله ،انهم يحاولون عبثا،ويضيعون قواهم سدى لأن مجارى الطبيعة غالبة على مساعيهم، والقوة واقفة فى سبيلهم ، ولله فى خلقه حكمة لا تدركها العقول (٣).. وكذلك يقول ضعاف القلوب ، منخوبو الافئدة ، مدعين النظر بعين العقل ، حين يقدم ويبذل ، كبار النفوس ، عظماء الوجدان ، أقوياء الايمان بالكرامة .. وكل ميسر لما خلق له ، والعاقبة للمتقين ، ولو ظفر أولئك التافهون ، بالعاجلة والحطام ، مسموما ، حقيرا ، دنسا .. لا قيمة

---

(١) على طرة الطوابع
(٢) طوابع الاستبداد ١٠١
(٣) مجلة الهلال والكلمة لمؤسسها زيدان

له فى عين الاحرار ولا لهم فيه لذة .

مستمعى الاحرار ذلكم الثائر على الطغيان ، الذى اتخذت منه المثل، هو المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبى صاحب الأمانى ، الشبيهة بأمانى السيد جمال الدين الافغانى .. تثقف وكرم ، وآمن ووثق ، ودعا وعمل ، حتى استهلك فى سبيل أمانيه الكريمة ، ما استهلك الاحرار من قبله دائما ، راضين ، مأجورين ، خالدين، دافعين الحياة الى العلا ، بنبلهم الذى حبتهم اياه حكمة لاتدركها هذه النفوس الذليلة .

ذلكم الثائر هو الذى خلف آثارا ، لم ينشر منها الا كتاب « طبائع الاستبداد ، ومصارع الاستعباد » . وكتاب « أم القرى » . وفيهما نفثات نفس حرة ، الى مادة طيبة للثقافة الاجتماعية الاصلاحية ، والنهضة الشرقية ..

وذلك هو الذى قال عنه شاعر النيل (١) .. هذا صاحب طبائع الاستبداد وأم القرى بلبل أفلت من يد الصياد فغنى ، وشم نسيم الحرية فتمنى .. ورحمة الله على حافظ ، فلعل صاحب طبائع الاستبداد غضنفر أنف الذلة فزأر ، وأبى الضيم فنفر، لا بلبل غنى ، ولا شم فتمنى ، فالاسد أولى به من البلابل !!..

يا شرق ... والاقدار تقسم مصاير الامم ، والدنيا كرامة مناضلة .. هذا لون من هدى القرآن فى الحرية اهتدى به الاولون فسادوا وشادوا ، وأدركه الآخرون فجاهدوا وذادوا ، وهؤلاء وأولئك منك ولك هديت بهدى القرآن ، ووقيت الطغيان وسيسلم لك الأمل ما سلم الايمان .

وسلام الله عليكم ورحمته

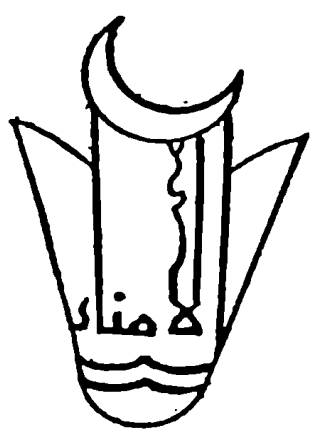

(١) ليالى سطيح ص ١٩

نقد الكتب

قطعة السكر ..

مصطفى محمود طبيب وقصاص ، ولكنه أيضا فيلسوف، أو هكذا يحاول أن يكون ، فهو دائما يناقش فى كتاباته الكثير من مباحث الفلسفة ، أحيانا يكتبها بأسلوب مشوق أقرب الى المعالجة الصحفية السريعة كمافعل فى كتاب «الله الانسان » ونشر فيه ضباب الشك والحيرة والقلق ، وأحيانا عرض لنا فيه بعض الآراء والخواطر الفلسفية فى الميتافيزيقاوفى القيم والعواطف الانسانية والاجتماعية تمتازباتجاهات عقلية سليمة وموفقة، لكنه لم يحتفظ فيه بمنهج فلسفى موحد واضح المعالم .

وقد يقدم لنا أفكاره فى أسلوب قصصى لا يحفل فيه بأن يقدم لنا « قصة » محكمة البناء جيدة السبك تتسم بالواقعيةوالموضوعية بقدرمايهتم بعرض «فكرة» أو رأى فلسفى ، لا يستريح حتى يصرح بمضمونه ، ويقدمها لنا عارية صريحة ، بل وصارخة أحيانا ، وكثيرا ما يضحى بفنية القصة وبنائها من أجل أن تبدو فكرته واضحة تماما لا تحتاج منا الى جهد لنلمسها .

هكذا فعل فى مجموعته الأولى « أكل عيش » وكذلك يفعل فى هذه المجموعة الأخيرة « قطعة السكر » ، فهو هنا لا يقدم لنا القصة كعملفنى مكتمل الفنية ، لا يهتم بالشكل وبالآراء ، لكنه يهتم أولا وقبل كل شىء بأن يبرز لنا المغزى أو الاساس الفكرى والفلسفى الذى تنهض عليه قصته .

هذا هو الانطباع العام الذى تتركه فى نفوسنا القراءة الأولى للمجموعة القصصية التى أصدرها مصطفىمحمود أخيرا ، على أن هذا الانطباع العام الأولى لا يخلو من الاحساس بالمتعة الفكرية ، مصدرها هذه الأفكاراللامعة التى يثيرها بين دفتى كتابه ، ومصدرها كذلكأسلوبه البسيط الحى النابض بالصدق ، والساخر أحيانا ، ولعل مصدرها أيضا هذا الحماس الذى يدعونا به الى اعتناق أفكاره .

كل هذه العناصر تجتمع وتتآلف لتجعل من رحلتنا عبر هذا الكتاب رحلة ممتعة ، شيقة ، وسهلة أيضا.

وقصص هذه المجموعة ـ من حيث

بقلم: رجب البنا

المضمون ـ تنقسم الى قسمين كبيرين، أحدهما يحتوى افكارا فلسفية او اجتماعية او اخلاقية يقترحها على عقولنا لتكون موضوع تامل وتدبر ، وهو فيها يوضح فكرته ويبرزها بكل دقائقها وتفاصيلها بحيث يدعونا فى النهاية الى اعتناقها . ومعالجته لهذا القسم من قصصه معالجة عقلية منطقية تفتقر الى أثر الوجدان كما سنرى فى قصص مثل « كوكو » و «هدف» و « الماء والزيت » . والقسم الآخر يتسم بطابع الصورة النفسية أو الاجتماعية ويغلب عليه الاهتمام بتصوير نماذج من الشخصيات الانسانية تقترب من الحياة الواقعية وهى تضطرب فى مجالها النفسى أو الاجتماعى كما نرى فى شخصية « صبحى افندى فى قصة « دقة قديمة » وشخصية عم طلبة فى قصة « لا أحد » وشخصية ميخاليدس فى « الجرسون » .

والملاحظة العامة على قصص هذه المجموعة انها كثيرا ما تخلو من الحدث، من حدث محدد تتخذ الشخصيات ازاءه مواقف معينة وتستجيب له بألوان من السلوك تكشف به عن طبيعتها وتصبح القصة بفضلها حية متحركة متطورة ، فقصة « جرسون » ليست الا صورة تقدم لنا نموذجا نفسيا ، وترسم لنا الخطوط العريضة لشخصية يتى جورجياس ميخاليدس ، نموذج نفعى ، عملى ، يستغل حاجة الناس للحظة نشوة ، او لحظة نسيان، او لحظة هرب من الحياة ، فيبيعها لهم بينما يظل هو محتفظا بيقظته . وتقتصر القصة على مجرد الوصف دون ان يتداخل فى نسيجها عنصر الحدث. وكذلك نرى فى «كوكو» اذ يصور لنا الفنان الذى عشق الحقيقة وراح يبحث عما وراء كل النساء وعما وراء كل الرجال ، يطلب صميم الحياة ، لكنه يجد نفسه فى النهاية وحيدا بعد أن يكتشف أنه كان مجرد عربة جلاس فى الصيف تجد عابرات السبيل عنده ما يرطب حلوقهن ، ثم ينتهى شيخا وحيدا ..

والشيخوخة والوحدة تحتل من تفكير مصطفى محمود مكانا كبيرا ، فهو يكثر من تصوير الرجل الذى يملك بشبابه كل النساء لكنه يحرم فى شيخوخته من امراة واحدة تبدد وحشته ويبقى له منها المودة التى تملأ أيامه الباقية ويتوكأ عليها بقية الطريق .. لعله بذلك يصور الجانب الآخر الخفى من شخصيته ، أو لعله تعبير عن المخاوف التى تنتاب مصطفى محمود من الشيخوخة والوحدة ، فنحن نعرف أنه لم يتزوج بعد ، ونقرأ له انه سعيد بحريته وبقدرته المطلقة على أن يملك أيامه ويستمتع بشبابه ، لكن يبدو أن فى أعماقه يقبع خوف من المصير ، من أن يفيق فى آخر الطريق بعد أن تكل قدماه فيجد نفسه وحيدا ، بلا رفيق ..!

وفى قصة « الوقت رخيص » يرسم صورة للحياة الراكدة المتثائبة فى مقهى

المتبولى ، ومن بين التفاصيل الكثيرة، والشـــخصيات التى يعرفها يلتقط « زكى » الذى يصر على قتل زوجتـه لانها اهانت رجولته ، لكنه فى النهاية يذهب اليها آخر الليل وفى يده بطة وعدة ارطال من الحم ولبشـة قصب ويدق على بابها ويتخيل الليلة المقبلة وهى بين احضانه .. كان من الممكن ان تقدم لنا هذه القصة من خلال زكى نفسه ، الزوج الثائر ، لنتتبع نمـو انفعالاته ، وحركته الداخلية ، الحركة الديناميكية التى تعتمل فى أعمـاقه وتنتهى بان يدق باب فطومة بعد أن كان يعتزم قتلها ليثأر لرجـولته .. وكان من الممكن ايضا ان يقدم لنا جو المقهى بكل مايدور فيه من أشخاص واحداث ومتناقضات من خلال شخصية زكى ذاتها ، لكن المؤلف آثر ان يتحدث هو ، وان يدور بالكاميرا ليستعرض لنا الجالسين دون ان يركز على واحد بالذات، ودون أن نعرف أى واحد منهم يعتزم أن يقدم لنا قصته، أهو المحامى الشرعى ، أم بائع الكتب الهـزيل الضامر ، أم الزج الثائر ، أم صاحب القهوة نفسه ، قـدم لنا وصـفا استعراضيا للمقهى ليقنعنا فى النهاية أن رواده يضيعون وقتهم بلا ثمن ، لكننا لا نظن أن الوقت الذى انفقـه زكى فى الصياح والشتم والتهـديد بقتل فطومة كان وقتا ضائعا بالنسبة له لا يدهشنا ايضا ان ينتهى آخـر الامر بالعودة اليها وهو يحلم بهـا بين احضانه ، فكلا الموقفين مظهر من مظاهر الصراع الحاد الذى يفور فى اعماقه بين حبه لفطومة واشتهائه لها وبين حرصه على كرامته التى تهينها فطومة . كلا الموقفين مظهر من مظاهر الحتميـة السيكولوجية لا نلوم زكى عليه لأنه مكره ، ومدفوع بقـوة داخلية لم يكشف لنا الكاتب عنهـا لكنه بدلا من ذلك اراد منا ان نضحك على زكى لانه يضيع الوقت فى التهديد بقتل فطومة ثم لا ينفذ وعده بل انه بدلا من قتلها يدق بابها ومعه لها لحم وبط وقصب ، ويسخر منـه الكاتب ويحاول اقناعنا بأن زكى المسكين هذا « جعجاع على الفاضى ..! »

ومصطفى محمود لا يعرض فكرته فى أسلوب قصصى يلجأ الى التلميح والايحاء ، ويعتمد على قدرة الفن على التسلل الغـامض البطىء حتى ينتهى الى الايحاء والاقناع بطريق غير مباشر، لكنه يلجأ الى الجهر صراحة بالمغـزى الذى أقام القصة لتعبر عنه ، يعطينا مفتاح القصة بألفاظ صريحة ، ويصبح منذ البداية واضحا ومكشوفا ، لايطيق ان يحتفظ لنفسه بهـذه الاحـكام التقريرية القاطعة ليعرض لنا بدلهـا صورا ومواقف واحداثا فحسب تشير لنا فى رفق الى مايريد ، لكنه يلقى فى كل قصة بالحكمة .. فى قصة «القطار» مثلا يعطينا حكمته « القطار يسير ، ولا شىء يظل مكانه ابدا .. أنا والناس والشمس والنجوم وموج البحر ودود الأرض .. كلنا نتحرك » و « .. ارادة الانسان تهزم كل شىء » على أننا

كنا نؤثر ان نكتشف نحن من خلال احداث القصة ذاتها هذه الحقيقة ، ان ارادة الانسان تهزم كل شيء . وفي قصة «الوقت رخيص » لا يكتفي بان يجعل هاتين الكلمتين عنوانا لقصته ، ولا يكتفي بكل ماسردلنامن جو المقهى وجلسة المعلم زكي ، يخشى ألا نكون قدِ فهمنا ما أراد ان يرمي اليه ، فيطل علينا بنفسه في آخر القصة ليعلق على احداثها ويبدي رأيه فيها ويصارحنا في سخرية ان في حياة هؤلاء الناس الوقت رخيص .! وهو بعد ان يقدم لنا شخصية الباشكاتب العجوزصبحي أفندي في صورة كاريكاتيرية مبالغ فيها يخشى ألا نكون قد فهمنا من القصة هذه الحقيقة رغم أنها واضحة وجلية في طول القصة وعرضها « انه الحب » المكافأة الوحيدة التي خرج بها ذلك العجوزمن دنياه .. وهي تكفيه » وكذلك لايكفيه عنوان القصة « أنا » ولا النماذج الكثيرة التي قدمها لنا ، يخشى ألا نكون قد فهمنا الفكرة التي أرادها فيقولها هو بنفسه « ان المجتمع الذي جعل منا قواقع .. كل قوقعة تغلق على نفسها صدفتها .. ولاتخرج الا اذا أغراها الدفء بالخروج » .

واحد من أمرين اذن ، أما ان الكاتب يتهم عقلية قارئه ويشك في مقدرته على الفهم ، وأما أنه غير قادر على ان يجعل من أفكاره ومضات موحية خفية تنساب في ثنايا القصة .!

واذا كان « السرد » عنصرا أساسيا ورئيسيا في بناء القصة القصيرة ، وان الحوار لايمكن ان يصل فيها الى رتبة الغاية ، اذ انه مجرد وسيلةتلقي بعض الضوء على المواقف او على الشخصية أو على الحدث ، مجردعنصر من عناصر بناء القصة ، خيط في نسيجها ، الا انه يصبح عند مصطفى محمود غاية في بعض قصصه. لايكتفي منه بالقدر الذي يساعده على توضيح بعض ابعاد الشخصية ، بل ان السرد قد يختفي تماما لتصبح القصة مجرد حوار أقرب الى المسرحية كما في « كوكو » اذ ليس فيها الا مشاهديدور فيها حوار فحسب ، أو بضع كلمات تصف المكان ، وكذلك في « المرحوم» وأحيانا ينقلب الحوار الى«محاورة» يمثل كل طرف من أطراف الحوار جانبا من جوانب الفكرة التي يناقشها ، ومن خلال اصطدام الفكرة ، والجدل الفلسفي الذي ينشب بينها وبين نقيضها يقول لنا الكاتب مايريد . فقصة «الشاطر» تذكرنا بمحاورات أفلاطون ، وكما ناقش أفلاطون فكرة الموت وخلود الروح في محاورة « فيدون » وكما ناقش فكرة الحب في محاورة «المائدة» كذلك يناقش مصطفى محمود فكرة « الزواج » في محاورة « الشاطر » لينتهي بنا الى أن الزواج ليس مجرد علاقة بدنية ، فهذه يمكن ان تقوم بغير زواج لكن الزواج في حقيقته ارتباط اثنين ارتباطا دائما يجعلهما يواجهان الحياة معا دائما ، ويشعر كل منهما في لحظات الضعف والحاجة ان له شريكا يقاسمه عواطفه ويحنو عليه

ويصبح رفيق شيخوخته ، وهما في النهاية يسعدان بان حققا وجودهما وانجبا اطفالا تعمر الحياة ٠

واحيانا يفقد الحوار خاصية الجدل ، والتبادل ، ليصبح فكرة تقابلها فكرة أخرى دون ان يلتحما او يتداخلا كما في « الماء والزيت » فهي ليست سوى مشهد يجمع بين زوجين ، يقف الزوج ليلقي منلوجا طويلا تعقب عليه الزوجة بمونولوج آخر ثم تنتهي القصة بلا سرد ولا وصف ولا حادثة ، انها مجرد عرض لعلاقة الحب من خلال وجهتي نظر مختلفتين ، أوهما مقالين منفصلين كتب الزوج أحدهما يتهم زوجته ببرود عاطفتها نحوه ويشكو من انه لا يحس حرارة الحب في حياتهما ، وكتبت الزوجة مقالا تدافع فيه عن نفسها وتشرح وجهة نظرها وفهمها لحقيقة الحب ٠ وجمع مصطفى محمود المقالين وأسماهما قصة ٠

ويتخلخل بناء القصة أكثر من مرة في هذه المجموعة ، ففي قصة «لا أحد» تسرد القصة على لسان البطل وتحكى من خلال وجهة نظرة ، ومع ذلك فنحن نراه مستبصرا بحالته النفسية تماما ، بل وبدوافع سلوكه اللاشعورية كذلك، وهو يدرك الأسباب والدوافع الحقيقية التي تقوم وراء تصرفاته ، ويقدم لنا تحليلا كاملا وافيا لشخصيته وللعوامل التي أسهمت في تكوين شخصيته ، الأب ، البيت ، المدرسة ، أصحاب العمل ، رغم اننا نعرف ان الكثير من هذه الأحداث والذكريات تكبت وتستبعد من مجال الشعور ، قد تظهر في صورة رمزية مقنعة في الأحلام ، وقد تظهر على نحو ما في فلتات اللسان أو الهفوات أوالهلوسة والهذيان ، لكن نستبعد ان تظهر هكذا مرتبة ومنطقية ويصاحبها التفسير ٠٠ يبدو ان الكاتب نسي انه بدأ القصة بلسان بطلها ، أو لعله لم يطق القيود التي يفرضها هذا الشكل فانطلق يسرد هو ـ أي الكاتب ـ وينبش في أعماق عم طلبة ، في شعوره ولا شعوره ، في ذكريات شبابه وطفولته المبكرة ، عن الاحداث المرتبطة بصبغة انفعالية في حياته ، لكننا كنا نتوقع في مثل حالة عم طلبة أن يتخذ الرجل لنفسه حيلة دفاعية لا شعورية ليبرر بها فعلته ، أوأن يعذبه الاحساس بالذنب ، أو أن ينتشر في نفسه قلق غامض لا يتبين أسبابه ٠ لكن الذي يفاجئنا أن نراه يعرف كل شيء ويعي كل شيء حتى الاغوار المظلمة في نفسه لم تعد سحيقة ولا مظلمة ٠ يعرف أنه يتخذ الصبي مسرحا يعيد عليه ذكريات طفولته الأليمة ويمثل عليه صراعاته النفسية

حتى لو كان عم طلبة يستعيد هذه الذكريات في جلسة من جلسات التحليل النفسي فهو لايصل الى هذا الحد من المنطقية والترتيب ، فالمريض يسرد للمعالج أحداثا وذكريات لكنه غالبا لا يربط بينها خاصة ان كانت هي الأسباب الحقيقية ، ومهمة المعالج هي أن يربط بين هذه الاحداث ويفسرها وكثيرا ما يدهش المريض النفسي في هذه الحالة ويقاوم قبول التفسير ٠٠

واحيانا تستحيل القصة الى مجرد سرد لخواطر ذاتية ، ومشاعر تصاحب انتظار الحبيبة وتصاحب وجودها وذهابها لكنها لا تؤدى فى نسيج قصصى كما نرى فى قصة « لا شىء » مجرد صفحة من مذكرات فتى محب نجد غضاضة فى تسميتها قصة ..!

لكن فلسفة مصطفى محمود فلسفة متفائلة تتوافق مع الحياة وتنظر اليها بعين تدمع أحيانا لكن فيها دائما صلابة واستبسال ، فلسفة تحترم الانسان وتحبه وتحترم متاعبه ومخاوفه وترى بطولته فى ان يواجه القدر وأن يحمل عبأه ، ويسير ، يواجه مصيره ، ويتقدم . وتحترم عواطف البشر وترى فيها جوهر الحياة ومعناها وتدعو الى عواطف ناضجة تضاعف قوى الانسان وتدعوه الى مزيد من الأمل والصلابة .

ان الحياة تتجدد ، وتستمر فى المسير ، يموت البعض لكن أبناءهم يواصلون الحياة ، ويتقدمون ، ويحصلون على نصيب أفضل مما أتيح لآبائهم ... «عيشة» بنت الجرجاوى يموت أبوها لكنها مع ذلك تنمو وتكبر وتدخل المدرسة وتلبس فستانا جديدا وأمها ماتزال صامدة تتحرك هى الاخرى على نحو بطولى ، صفيحة الجبن فى ذراع ، وطفلة صغيرة تستقبل الحياة على الذراع الآخر . والحياة تسير .. عربة مشوهى الحرب لاتظل لصرعى الحرب وضحاياها لأن الحرب لاتدوم ، ان الحرب تنتهى ليجلس فيها أبطال الحياة ، زوجة الجرجاوى الصلبة كالجدار الذى تشقق فى أكثر من مكان لكنه ظل شامخا ، والى جوارها تجلس ابنتها تحملق فى كتابها حتى تاخلها النشوة فتقفز كالقطة وتهتف باعلى صوتها .. زرع .. حصد .. كتب . انها هى الأخرى تتعلم الكلمات المعبرة عن نضال الانسان وانتصاره .

الحياة تتقدم ولابد أن يلاحقها الناس فى تقدمها والا داستهم عجلاتها .. تاجر الزيت الذى يصر على استخدام معصرة تديرها بقرة يفلس أمام معاصر البخار الحديثة ، وكلنا نسير ، نتصدع ، ونفقد شيئا ، لكن الحياة لا تقف ، انها تدفعنا رغم كل شىء الى المسير .

ومعنى الحياة ليس فى حصولنا على كل مانريد ، لو تحققت كل مطالبنا وتوفرت لنا كل أسباب اللذة المادية فلن نحس معنى الحياة ، ان لذتها فى أن ينقصنا شىء نجاهد لنظفر به ، او نستبدله بهدف بديل ، المهم أن نسعى للحصول على شىء ما ، ان معنى الحياة فى أن نفعل من أجلها شيئا ، أن نقدم للحياة ونعطيها مثلما ناخذ منها ، ولابد أن يكون لنا فيها هدف ، غاية ، رسالة ، رسالة أبعد من اللذة الوقتية العابرة ، لهذا تعيش «صوفى» رغم مرضها ورغم حرمانها من كثير من المتع لأنها تحاول ان تحقق معنى وجودها ، انها تصنع الحياة فى أحشائها لتعطى للحياة ولدا جديدا . لهذا نعيش بينما ينتحر زوجها رغم الشباب والصحة والمال الوفير واللذات المتاحة ، لانه يعيش بغير هدف محدد تتمركز حول حياته .

وجوهر الحياة الحب ، والحب ليس انفعالا مستمرا وكلمات غزل متقده وهياما متصلا فحسب ، لكنه فى حقيقته تعاطف ومودة هادئة،وصداقة روحية ، وتعاون ثم هو نهاية الامر وسيلة لاستمرار الحياة ودليله الصادق أن نعطى للحياة مخلوقا جديدا ، الحب ليس هو الجنس ، فقد اكتظت حياة كوكو بنساء جميلات أرضى بهن حاجته الى الجنس وحاجته الى الغرور وأرضى رجولته ، لكنه فى النهاية تعذب ، وبقىوحده للشيخوخة والالم . وكذلك استمتع « أحمد » بشبابه لكن فاطمة فى النهاية تتركه لتعود لزوجها ولاولادها بينما يتقلص هو الى شبح واقف فى الظل ، لا أحد يلحظ وجوده ، مجرد كلب جربان محروم الحقوق ، حتى الابن الذى يدعى أبوته يبكى أمامه على رجل آخر

ومصطفى محمود يهتم بالنماذج النفسية ويحللها فهو يقدم لنا تشريحا لشخصية عم طلبة فى « لا أحد » وكذلك يعرض علينا فى قصة «منتهى النجاح » حقيقة نفسية ، حقيقة التناقض الذىتعيشه شخصيةالاستاذ هارون المحامى الشهير ، يعرض لنا أولا الواجهة الخارجية للاستاذ هارون فاذا بها لامعة براقة ، اذ يحقق الرجل نجاحا مثاليا فى عمله ، لكنه حين يكشف لنا عن المقصورات الداخلية المظلمة فى نفسه نعرف أنه مسكين ، يخفى عن الناس وعن نفسه ايضا الاحساس بالعجز والخيبة والفشل ، فهو رجل عنين ، يعانى من احساسه بالقصور الجنسى ، لم يكن نجاح الاستاذ هارون اذن غير عملية تعويض .

النجاح اذن ليس بلوغ القمة من حيث المظهر بينما الاعماق تتعذب فى الحضيض ، النجاح الحقيقى هو الحياة العادية السوية التى يتم فيها التوافق بين الانسان ونفسه وتتقارب فيها الشقة بين المظهر والحقيقة .

لكننا لم نتكلم بعد عن قصة « عنبر ٧ » على أن فضائل مصطفى محمود وخصائصه تظهر بوضوح فى هذه القصة ، لكننا لانكاد ننتهى من قراءة هذه القصة حتى نحس بأننا كنانأمل لو استطاع مصطفى محمود أن يبذل فيها جهدا أكبر وان يولى شخصياتها مزيدا من العناية والدراسة والتتبع اذن لكتب لنا قصة ناضجة ممتازة .

وبعد .. هذه هى مجموعة مصطفى محمود الأخيرة « قطعة السكر » . ان الجانب الفكرى فيها هو الجانب المكتمل المضىء الذى لا يسعنا الا أن نحتفى به وأن نرحب بالقيم الايجابية التى يحفل بها هذا الكتاب بحيث تجعلنا فى النهاية نقف الى جانب الحياة ، والشرف ، والحب الصادق ، والتطور ، والانسان ..

ان قطعة السكر التى القاها مصطفى محمود ستذوب ، وستبقى مع ذلك ، لكن قطعة سكر واحدة لا تغير طعم المجتمع ..

اننا فى انتظار قطع جديدة ..

حول نقد ..

ضيف من الشرق

أريد أن أعتقد أنى لا أضيق بالنقد ما دامت وراءه تلك الغاية المخلصة على حين لا أرتاح كثيرا « للنقد الصديق» الذى يخلع على مديحا أنكره أنا قبل الآخرين !

وقد كتبت الدكتورة بنت الشاطىء فى العدد الماضى من « الأدب » نقدا لمجموعة قصصى الصغيرة « ضيف من الشرق » ، فأطلت من وراء ذلك ثقافة الناقدة الفاضلة التى عرفناها صاحبة ذلك القلم المخصاب الواعى .

ولقد قسمت الناقدة قصص المجموعة الى قسمين رأت بينهما تفاوتا بعيدا: يعلو القسم الأول الى القمة العالية ، بينما ينحدر الثانى الى المهبط الدانى!

وأحب ان أقف عند بعض ملاحظات الناقدة الفاضلة

تقول الدكتورة ان المألوف ان يختار عنوان القصة الأولى عنوانا للمجموعة كلها .. ثم تتساءل لم آثرت ان أعطى المجموعة عنوان القصة الاخيرة ؟

وأرى ان القاعدة غير مضطردة وسبب اختيارى اسم القصة الاخيرة عنوانا للمجموعة ـ فيما يحضرنى الساعة ـ هو أنه أرشقها .

ثم الشكر للناقدة على تسجيلها لى « ظاهرة عامة هى ظاهرة التفاؤل والايمان بالخير ، حتى فى أحلك المواقف .. »

ونراها بعدئذ تختار مثلا مؤيدا لذلك « الحاشية » التى كنت أضفتها الى قصة « ذقون فى الهواء » وأخذت على الناقدة بحق ، ايغالى فى التفاؤل الى حد اضافة هذه الحاشية التى تشيع الخلل فى أوصال القصة .

وانى مع الناقدة فى هذا المنقد ولكن سببه شىء غير التفاؤل هو أن النيابة العامة فى حلب رأت فى القصة تعريضا بالدائرة الرسمية التى تناولتها القصة .. وحوكمت .. وكان

بقلم : فاضل السباعى

نصيبى الحبس عشرة أيام ، لولا ان تمت الوحدة بين الاقليمين فصـــدر ابتهاجا بذلك العفو العام .

وانى ـ كاديب اكتب للفن وللحياة ـ لست ارضى الوقوع فى هذه المزالق الفنية ، الا أن يكون وراء الحاشية ما وراءها مما يمنع القصة ، بل الكتاب جميعا ، من أن يفتح عينيه على عالم النور .

والشكر للناقدة مضاعفا على الملحظ الآخر الذى سجلته لى ، وهو ان خمس قصص من الثمانى لاتدور حول العشق والغرام » ولا شك أنها شجاعة من الكاتب ، تعوز كثيرين من كتاب القصة عندنا ، حيث يلجئون عادة الى «كيوبيد» وهم يعالجون القصة ! »

ومن يدرى ؟ لعلنى « شجاع » ما دمت هاويا أكتب ارضاء لميولى ، لاجريا وراء ارضاء عامة القراء الذين لايقبلون على غير قصص العشق والغرام ، وذلك عندما ينوء كاهلى بالخسار المادى يحيق بى كلما دفعت مجموعة الى النشر . والحكومة لا تفعل من أجلنا نحـــن الأدباء الشبان شيئا !

فهل ترانى أثبت على «شجاعتى» ؟ والى أى مدى ؟

والناقدة الفاضلة تنتهى الى أنى : أخطأنى التوفيق فى القصص الثلاث الأخـــرى ، ونقطة الضعف فيها ان بطلاتها أناث !

والقصة الأولى : « الصيت والحب » « معالجة ساذجة لفكرة شائعة مبتذلة، واعنى بها حيرة الفتاة الجديدة بين الصيت والحب » ، التى « تتخلى فى سرعة مذهلة ، وببساطة لاتصدق ، عن طمـــوحها وأمانيها ، وتزهد فى الصيت والمجد ، مكتفية بمرءوســـها الفتى ، دون ان يبدو أنها عانت فى هذا الموقف أى عنت من اجهاد الحيرة وعناء التردد ! » .

ولى فى ذلك أسئلة :

أمن المحتم ان يتزوج الانسان الذائع الصيت من الفتاة الذائعة الصيت ؟ وأن يتخلى المشهور ـ بزواجه من المغمورة ـ عن طموحه وآماله ؟

وقد يحب المشـــهور فتـــاة نكرة وجد فيها ما لم يجد فى المشهورات . وقد تعلق المشهورة بحب فتى مغمور ان هى وجدت فيه ما وجدت بطلتنا سميحة فى زميلها نادر ، فارتاح اليه قلبها كما لم ترتح لغيره .

وما علاقة طموح سميحة بعدم شهرة نادر ؟ هل انتهت موهبتها بالزواج بمرءوسها الفتى .. لقد سارا بعـد المكاشفة معا

انى لم أفهم وجه المعترض على حقيقته، فهل للدكتورة بيانه ؟

وقصة «الموعد اللازوردى» . قست عليها الناقدة قســـوتها على الأولى ،

فهى فى رايها « تعالج موقفا مكررا مبتذلا كذلك ، موقف صبية فقيرة حسناء تلجئها الضرورة القاسية الى العمل فى احدى المؤسسات ، فيعجب بها المدير ويضرب لها موعدا عند البحيرة اللازوردية ، وهناك قد جاءت مبكرة تنتظر ، وتحدثنا عن خواطرها المشحونة بالشوق واللهفة والفرح ! ولا يساورها أدنى خوف أو اضطراب أو ارتباك أو سوء ظن ، مما تفرضه طبيعة الموقف على فتاة شرقية،عربية، من بيت فقير محافظ » .

أما انى أعالج فى القصة موقفا مكررا ، فذلك مما لا يعيب الأديب قط . ولكن ، هل عالجته بابتذال ؟

لقد تصورت الناقدة هذا الموقف على غير ما أردت :

ان الفتاة ـ أولا ـ ليست فقيرة الى الحد الذى تخيلته الناقدة . انها مجرد فتاة تطلب وظيفة .

والرجل الذى واعدها ليس بالمدير، وانما هو رئيس « الفرع » الذى تعمل فيه نهارها ، « رئيس الديوان » ، وهو أقرب الى أن يكون زميلا لها ، وليست له شخصية « المدير » الكهل ذى الاوطار .

واللقاء لم يكن عند « البحيرة » ، بل جوار « البركة » (الفسقية فى الدارج المصرى) فى احدى الحدائق العامة حيث يتنزه الناس عادة من كل جنس ولون ، فليس ثمة ما يحمل على أن تشعر الفتاة بالخوف والاضطراب والارتباك لاسيما سوء الظن ، فالموقف لايحتمل ذلك وهو أقرب الى أن يكون طبيعيا لا حرج فيه .

يبدو فى تضاعيف القصة أن الفتيين متحابان ، وانهما يسيران الى زواج : انها تحلم « بمملكة أكثر سلاما سينشئانها معا فى الغد القريب » ، فالحب بينهما شريف .

وما أردت معالجته فى هذه القصة، تصوير ما يكون بين الموظفين والموظفات فى دوائر الحكومة من تعارف وحب وزواج ، وهو من جملة قضايا عصرنا الحديث ، وهو بعض ما اردته فى « الصيت والحب »

وتبقى القصة الثالثة : « ضيف من الشرق » .

وتتضح فى تضاعيفها الرسالة القومية المتوخاة ، وهى جلاء فضيلة المروءة فى العربى النموذجى ، التى قلما توفرت لدى أفراد الأمم الاخرى.

وما تأخذه الناقدة الفاضلة على القصة ان صورة حواء فيها « مهزوزة الى حد أليم ، فمثل هذه المرأة التى تعرض نفسها على ضيف غريب فى اول لقاء ، لا يمكن أن تكون تعرضت لحرمان طويل .. »

ولكنى الحت فى القصة الى أن

الزوجة تعرفت على الشاب العربي قبل ان تراه ، مما حدثها عنه زوجها ومن الصور التى حملها معه وعرضها عليها، مما جعلها تعرف الشاب الطارق منذ فتحت له الباب مرحبـــة ، فليس بالمستغرب أن تلقى عليه نفسها بعد طول المجالسة ومجاذبة الحديث فى كل شأن وهما فى خلوة تامة .

أما عن « الموعظة » أو « المحاضرة الخلقية الطـــويلة فى حفاظ الشرقى ووفائه وايثاره الهلاك على أن يخون صديقا له » ، فلم تكن طويلة بالقدر المخل بالفنية القصصية ، وطولهـــا متناسب مع طول القصة التى امتدت الى ما يزيد عن الأربعين من الصفحات .

وأما « كيف يعقل ان ترتدع مثل هذه المتهالكة على اللذة ، لمجرد سماعها موعظة الضيف » ، فذلك غير بعيد وقد عرفنا من أمر الحديث الذى دار قبل ذلك بين الضيف والمضـــيفة ، فانتزع اعجابها بما حدثها عن مثـــل الشرق وأمة العرب وعن محمد وعيسى، وهيمن عليها روحيا فوهبته ثقتها ، فغدا من القريب السائغ ان يتم تأثيره عليها فتعود الى رشدها الضائع .

وكلمة على الهـــامش خارجة عن الموضوع : لقد استقيت حوادث القصة من الواقع بكل ما يمكن ان تستقى حوادث قصة من الواقع الملموس ..

فما الرأى بعد هذا ؟

لقد رجوت من الدكتورة لوتريث، اكثر من ذلك ، فى حكمها على فى هذه القصص الثـــلاث ، فلعلنى لا أكون مقصرا الى هذا الحد فى معاناة التجربة القصصية للانثى البطلة .. رجوت لها المزيد من التريث لانها من خير من عالجن الأدب النسوى فى أدبنا العربى الحديث وفى طليعة من تفهمن قضايا المرأة حق التفهم وأصبح لرأيها فى هذا المضـــمار الوزن والمنزلة ، فهى ناقدة أنثى ذات رسالة أنثـــوية ، يتميز رأيها بالاهمية بل بالخطـــورة كلها .

وبعد هذا ، لقد سرتنى كلمة الناقدة رغم كل شىء ، بمـــا اتسمت به من صراحة ، ووضوح ، واخلاص، ووعى، وثقافة مكينة ، وتفكير نظيم .. وقلما توفرت هذه السمات جميعا فى النقاد الذين رأينا بعضهم يعمد الى المديح والثناء لغايات صداقة أو ايثار اللعافية، فى حين يتخذ فريق ثان النقد وسيلة للتجريح والتشهير ، بينما ينـــكفىء آخرون الى معالجة النقد بروح مذهبية ضيقة متزمتة هادمة !

وللدكتـــورة بنت الشاطىء خالص شكرى ان أتاحت لى فرصـــة الكتابة وبيان بعض ما كان يدور فى ذهنى حول هذه المشكلات المثارة .

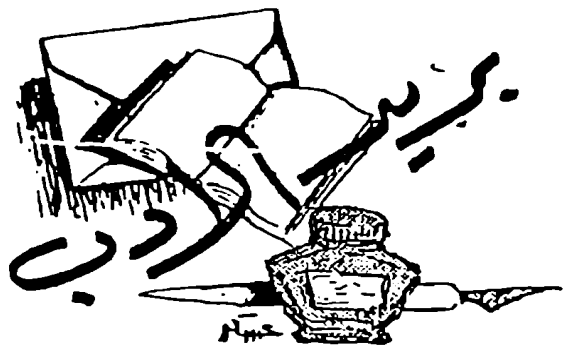

وزارة الثقافه .. ورسالتها

تطور اليوم هدف الحكم ، وعمل الحاكم تطورا كبيرا .. وتطورت اساليب الحكم وطرائقة نظريا وعمليا .. وكلا التطورين مظهر حيوى ، توجبه نواميس الحياة ، وسنن الوجود ، ويحددهما الوعى البشرى ؛ والطموح الانسانى ؛ الذى تقدم كثيرا ؛ ونضج نضوجا بينا ؛ يشعر معه الانسان اليوم بحقه فيما فى الارض جميعا ، بل فيما فى السماء أيضا ، وما بين الأرض والسماء ، ان لم يشعر بحقه فيما وراء الارض والسماء .. وانسان هذا العهد يقظ ، جيد اليقظة ، الى ان حقوقه فى ذلك كله ليست أثرا للصداقة العمياء ، والقسمة الضيزى ، تصيب من تشاء ، وتخطى من تشاء ، دون أساس يفهم ، وتعليل يدرك ، وضوابط ينسق ، ورقابة تحاسب ..

كما أن هذا الانسان يقظ الى ان هذه كلها حقوق مقررة ، لا منة متفضل محسن ليس عليه فيها سبيل .. ولا هى انعام متكرم ـ ولفتة سامية من متنازل .. أو رعاية أريحى جواد ..

ويضىء طريق هذا الوعى كله ، التقدم العقلى ، الذى أحرزه الانسان الحديث والتفوق العلمى الذى فاق ما سبقه من العصور ، فكان من حق الانسان الذى حقق هذا كله ، ولا يزال يسارع الى تحقيق كثير أكبر منه ، أن يطمح دائما الى غد اسعد من يومه ، ويطلب مستقبلا ارقى من حاضره .. ويتسع أمله فى ذلك ويمتد الى ابعد مما يظنه القعدة من اشراط الساعة ، وعلامات القيامة !

وهو يمضى فى ذلك متفائلا متوثبا ، لا تخايله أوهام غيبية تثير المخاوف ، وتبث الأهوال .. أو تهدد بالمهالك والمتالف ، لأن العلم قد أفاض عليه السكينة ، وامده بالجراة قدرما بدد عنه من الخدع والاضاليل .. فمضى يتقدم على طريق هامونة ، الى غايات مؤكدة ..

وتطورت اساليب الحكم ونظمه بما يساير هذا الشعور الواعى بالحقوق ، والتطلع المتنور لهذه المثل .. فقادت هذا التطور جهود نظرية جبارة قررت حقوق الانسان ، وأيدت كرامته .. وثبتت اقدام هذا التطور جهود عملية عنيفة ، سخت

بالأرواح والمهج لتحفظ على الاجيال غنائمها من الحقوق والكرامات ·· وتصونها بقوى كافية للذود عنها ، ضد كل نكسة او رجعة ··

وقد يساير تطور هدف الحكم وعمل الحاكم تطور نظم الحكم وطرائقه حتى تصلح لتحقيق الاهداف وتضمن وجود الحاكم العامل لها ·· وقد يختلف تطور الأساليب والنظم عن تطور الاهداف والغايات بفعل مؤثرات مختلفة ، فى حياة اى امه وظروفها ·· ولكن الذى لا شك فيه دائما ، أن كل نظام من نظم الحكم على اختلافها يحاول أن يثبت لنفسه حرصا على تلك الأهداف البعيدة المتناسبة مع شعور الانسان القوى بحقه فى العيش الرغد ، والوجود الرافه ، على مستوى يلائم الانسانية الصاعدة اليوم ، ويختلف أقوى الاختلاف عن منزلة البشرية الغافلة المخلدة الى الأرض ··

وكلا التطورين عندنا يختلف ـ كالعادة ـ عما عند غيرنا من السابقين الناشطين ·· ولكننا على الطريق ، لا محالة ، بحكم قانون التطور ·· ولا بد حتما أن نصل ··

ومن ظواهر التطور فى اهداف الحكم وعمل الحاكم تطورا يؤثر فى نظم الحكم وخططه ، ظهور دوائر للحكم جديدة ، غير الدوائر التقليدية التى تتوزع سلطة الدولة ، وتؤدى مختلف واجباتها للشعب ·· وهو ما جعل يظهر عندنا نحن أيضا ، فى العشر السنوات الأخيرة أو حواليها ·· فانشئت وزارتان جديدتان ، على التوالى ، لم يكن لنا بهما عهد فى الثلث الأول من هذا القرن مثلا ·· ظهرت وزارة الشئون الاجتماعية ، ثم صارت وزارة الشئون الاجتماعية والعمل ·· كما انشئت أخيرا وزارة الثقافة ·· عن وجود وزارة الارشاد القومى ·· وسيقضى التطور الدائم بايجاد وزارات أخـــرى ·· على الأيام وتمضى الوزارات الجديدة تتلمس طريقها ، وتتبين خطواتها ، على أضواء تطورنا البطىء ، فتصيب وتخطىء ·· وتسرع وتبطىء ·· ووزارة الشئون الاجتماعية مثلا ؛ ذات مهمة حيوية اجتماعيه عظيمة الخطر ، لكنها ليست التى تبدأ « الأدب » بالحديث عنها ؛ بل هى بالحديث عن وزارة الثقافة أولى ·· وينبغى ان يكون لديها هو الأسبق ولا سيما حين تعرض مناسبة كريمة ، فى حيـــاة « الأدب » من نشاط وزارة الثقافة ، على ما نشير اليه ، وهى التى أثارت العناية هنا بالحديث عن رسالة وزارة الثقافة فى حياتنا ·

ووزارة الثقافة تعمل فى حقل تجاورها او تشاركها فيه وزارة التربية والتعليم، حتى ليكون الحديث عن رسالة احداهما حديثا مفيدا فى فهم رسالة الأخرى ، ونحن نعرف أن الثقافة كانت شطرا من وزارة التربية والتعليم ·· وعن انقسام هذه الخلية وجدت وزارة الثقافة اخيرا ··

ونعرف أن وزارة التربية والتعليم انما تعمل فى فترة معينة من اعمار فئـــة

معينة من أفراد الأمة ، وتلك الفترة هى العقدان الأول والثانى من عمر ناشئة الامة ، أطفالا وغلمانا ، فشبانا .. ففى هذه المرحلة من عمر تلك الفئة ، التى تكون جزءا من الشعب لا يعدو ملايين محدودة ، تتولى وزارة التربية والتعليم تهيئتهم من النواحى المختلفة : من عقلية علمية ، نظرية أو عملية ؛ ووجدانية فنية مزاجية .. أو خلقية سلوكية ضميرية .. الخ ، وبعد أن تبلغ تلك الفئة آخر مراحل تهيئة وزارة التربية تسلمهم الوزارة للحياة .. أو هى تسلم الحياة لهم ..

والذين أتموا مراحل التعليم كلها ، ليسوا سواء على رغم ذلك ؛ فمنهم متعلمون مثقفون .. ومنهم متعلمون حظهم من الثقافة محدود .. فالأولون هم الذين تمثلوا ما تعلموا ،وحولوه غذاء عقليا وعمليا ، وخلقيا .. يمد أجسامهم ، وعقولهم ؛ ونفوسهم .. فيمرون فى الحياة موفورى الصحة ؛ محتكمين ، نامين متطورين .. والآخرون قد ازدردوا ما تعلموا ، وتجرعوه ، ولم يتمثلوه ليصير غذاء يمد الصحة ويمنح العافية .. فهم يمرون فى الحياة محدودى القوى والطاقة .. محتاجين الى المعونة والتسديد .

ولئن كانت هذه حال الذين أتموا مراحل التعليم فى وزارة التربية والتعليم فهناك آخرون قد وقفوا عند بعض هذه المراحل لسبب ما ، فلم يتم تكوينهم بل تخشى عليهم نكسة تسفى رمالها على القليل الذى تعلموه .. ولهؤلاء ، وأولئك ولغيرهم فى حياتهم حق معلوم على وزارة الثقافة .. فالمتعلمون المثقفون يريدون النماء المستمر ، والتقدم المتتابع الذى يصلهم بآفاق التقدم عند الأمم الراقية ، وتياراتها المتجددة .. وهى ثقافة عقلية علمية .. وثقافة مزاجية نفسية .. وثقافة خلقية سلوكية .. الخ ، والوفاء بكل أولئك فى أرقى صوره من رسالة وزارة الثقافة

والذين تعلموا ولم يتثقفوا فى حاجة دائمة الى لفت وتقوية ، ليتابعوا الهضم ، ويستمدوا القوة ، ويحسنوا التمثل لما يجرى فى الدنيا حولهم .. وحاجتهم تلك تشمل الميادين التى عددناها سابقا .. من العلم ، والفن ، والخلق ، والعمل .. الخ ، والوفاء بكل أولئك فى صورته المناسبة لهذه الفئة ، من رسالة وزارة الثقافة

والذين تخلفوا فى مراحل الطريق أحوج الى التعويض والتكملة ، ليكونوا صالحين للمشاركة فيما حولهم قادرين على متابعة السير ، مع الركب العصرى العام .. دون بهر .. ولا اعياء .. وحاجتهم من ألوان الثقافة المختلفة ، لتموين العقول .. والأنفس .. والضمائر .. الخ، والوفاء بكل أولئك فى مستواه الخاص من التعليم الناقص من رسالة وزارة الثقافة

وهؤلاء كلهم على اختلاف تعليمهم ليسوا الا قلة لا تعدو - حسب الاحصاء - ثلث الأمة او ما يجاوز ذلك قليلا .. وما عدا ذلك من عديد الملايين له - ولا شك - الحق المعلوم ، فى أن يتصل بالكون ، ويعرف ما حوله ؛ ويدرك ما يتجدد ويمضى مع الركب على شىء من الوعى المنتبه .. ولكل ذلك وسائله مما يسمع ، ويبصر ، اذا فاته ما يقرؤه .. وحاجة هذه الكثرة الى التغذية المتنوعة من عقلية

.. ومزاجية .. وخلقية .. الخ ، واجب على الدولة .. والوفاء بها .. من رسالة وزارة الثقافة ..

وهكذا ندرك فى وضوح وجلاء ان لطبقات الشعب جميعا ، وفئات الأمة كلها حقا على وزارة الثقافة ، سواء فى ذلك من استطاعت وزارة التربية والتعليم أن تؤدى اليهم حقوقهم ، ومن لم يتيسر لهـا الوفاء لهـم بتلك الحقوق ، فاختفت عنهم منابع المعرفة ..

ولست أسرف فى بيان الفئات المختلفة وحقوقها المتنوعة فى الثقافة ، لأهول فى الامر وأجسم فى الصعوبة ، ولكنما أريد أن أقدر جهدالوزارة فى ذلك الميدان ، وعظم تبعتها فيه ، فأكبر ما بدا لها اليوم من نشاط يشهد بصدق تقـديرها للواجب الكبير ، وصحة عزمها على الاضـطلاع به ، وهو ما نرجو لها فيـه قوة ، ورشدا ، وسدادا ، وتأييدا .

ومن ذلك عنايتها بشأن الصحافة ـ على اختلافها ـ لتكون وسيلة من وسائل الوفاءببعض الحق المعلوم لمن عرفنا حالهم من فئات الأمة التى تحتاج كلها الى النماء المتصل فى مستويات مختلفة .. وكلها تعانى « أزمة القراءة » لأسباب متغايرة تحتاج الى البيان المفصل ، والشرح الدقيق فى مكان آخر ..

ومن عناية وزارة الثقافة بالصحافة ما وجهته الى مجلة « الأدب » واشترطت لقاءه شروطا نقف عندها لنحاسب أنفسنا .. ونستبين واجبنا ..

توجيه الوزارة للصحافه

وجهت وزارة الثقافة الينا بيانا بالمبادىء ، والقواعد ، التى ترى الوزارة أن تأخذ بها المجلات التى اشتركت الوزارة فيها .. وهذا نصه :ـ

١ ـ يشترط فى منح الاعانة لأى مجلة أن يرتفع مستواها اخراجا ، ومادة وأن تبتعد عن الخصوصية ، وتفسح صدرها للكتاب والادباء الناشئين .

وأن يتضمن كل عدد تصدره المجلة مقالات مدروسة تتناول الحياة الثقافية والأدبية ، والفنية ، فى الجمهورية العربية المتحدة .. مع العناية بباب الأنباء والآراء حتى يشمل أكبر عدد من الاخبار الثقافية .

٢ ـ ويراعى فى طريقة الاشتراك أن تكون عن ستة شهور أولا ، فاذا ما أدت المجله المشترك فيها رسالتها كاملة ، كما تريد الوزارة ، فانها تشترك فى الشهور الستة الباقية من السنة .

الأدب

« وتوجيه الوزارة »

ولئن كنا ننشر هذا التوجيه بنصه ليكون التزاما من جهة ، ولفتا للقارىء الى حقه وضرورة وفائنا به ، فاننا نحب ان نحاسب أنفسنا منذ الآن بين يدى الوزارة والقراء عما وجهت اليه ، وعدته الرسالة الصحفية ، التى اشتركت الوزارة فى المجلات لتحقيق ادائها ٠

فأما مستوى الاخراج فنحن نحرص على رفعه بكل ما تحتمل المادة من جهد مجهد ٠٠ ولعل الوزارة تقدر أزمة الورق القاسية ، وانه قد ارتفع بما يزيد عن ٦٠ ٪ من اليوم الذى صدر فيه أول عدد من « الأدب » ٠٠!!

وفى الطباعة يذكر القراء أن « الأدب » قد اقترحت مرة موالاة عمال الطباعة بالتدريب المهنى الذى يرفع مستواهم الثقافى والصناعى ، فيخففوا عنا العبء المرهق من التصحيح ، الذى يتكرر ٠٠ ويتكرر ٠٠ ثم يكون سببا لأخطاء جديدة فى اللحظات الأخيرة وعلى الرغم من كل رقابة !!

ونحن مع كل ذلك أشوق ما نكون الى رفع مستوى الاخراج الى آفاق رزينة محترمة ٠٠

وأما مستوى المادة فلعلنا قد أوفينا بذلك منذ اللحظة الأولى من حياة « الأدب» الى الساعة ، بل لعلنا قد زدنا ذلك الارتفاع نوعا ما ، حتى سمعنا القول بهذا من رءوس التقدير الثقافى ومديرى الجامعات ٠٠ ونحن ـ على كل حال ـ أحرص ما يكون الحرص على المستوى الرفيع لمادة « الأدب »

وأما الخصوصيات فالأدب تبعد عنها بعد السماء عن الأرض ٠٠ وهو بعد يحققه ايمان « الادب » بالنقد ، واخلاصها التام الدائم لعقيدتها فى ذلك ٠٠ ولو نسيت رسالتها الكبرى ، وعرضت لشىء أى شىء ، من الخصوصية لقابلها أصحاب هذا الخصوص ـ على الأقل ـ بما يسجل عليها ذلك ، ويقومها فيه ٠٠ ولسارعت هى ـ كعادتها ـ بنشر ما يعاب عليها من هذه الناحية ٠٠

على أنا لانسى هنا أن نؤكد للوزارة وللقراء أن النقد حينما يكون عاما اجتماعيا اصلاحيا تقويميا لا يرحم فيه شخص ، ولا يستر فرد ، ولا تحمى خصوصية ٠٠ على أن يكون ذلك من الزاوية العامة ٠٠ وفى حدود الأدب الذى تحمله « الادب » اسمه ، وتحسن فهمه ٠٠

وأما افساح الصدر للناشئين فذلك ـ بحمد الله ـ هو ما عنيت به « الادب »

منذ أول يوم لها ، مع احتفاظها بالمستوى التى تحرص عليه ؛ والا تنزل عنه الا فى نسبة محدودة اباحتها للناشئين تشجيعا لهم وتاييدا .. هذا مع تخصيصها باب البريد فى جملته للناشئين ليكون مدرسة توجيه لهم ، وتاييد ، وارشاد .. « والأدب » بهذه المناسبة توسع صفحات هذا الباب منذ الآن ، ليكون للناشئين متسع أفسح ، فى محاوراتها لهم .. ونقدها آثارهم ، فى شىء من افاضة

واما « الأنباء والآراء » فقد قالت « الأدب » غير مرة انها انما تعنى من ذلك بما ليس من توافه الاخبار التى تتساقطها الصحافة اليومية ، فتكون مشغلة للقارىء بما لايستحق،أو اعلانا للمخبر عنه بما لا موضع له ، او لا امانة فيه .. وبينت أنها ستعنى من الأنباء بما يمثل اتجاها أدبيا أو فنيا يستحق الانتباه ، ويصلح للبيان ـ وفى كل حال ، قد أعدت « الأدب » عدتها للعناية بهذا الصنف من الانباء والآراء العليا ، فى غير ضن ولا تضييق .

وتغتبط « الأدب » بأن تكون فى الثلاث السنوات الماضية ـ لا فى الستة الأشهر الأولى من اشتراك الوزارة ـ قد أدت رسالتها كاملة قدر الاستطاعة .. طامحة قدر ما يستجيب الزمن ..

واذا أفسحنا المجال للتحدث عن وزارة الثقافة والارشاد القومى التنفيذية لمصر باعتبارها تمثل فئات من القراء الذين اشتركت لهم ، فانا نمضى بعد ذلك الى الحديث عن سائر القراء ومعهم ، على نحو ما اعتادت « الأدب » دائما فى بريدها الشهرى

مع الناشئين

ومع عناية « الأدب » الكبرى بالناشئين وحرصها على افادتهم فانها لا تقبل فى سهولة ما قاله بعضهم فى بريد هذا الشهر من « رجاء أن يخفف محرر بريد الأدب من حدته فى التناول ، وليذكر دائما عظم المسئولية ، وجلال الامانة ، التى لو استشعرها ما فاض به الغضب ..» نعم .. لا موضع لرجاء التخفيف ما دمت اذكر عظيم المسئولية وجلال الأمانة ، لأن هذه المسئولية العظيمة ، وهذه الأمانة الجليلة تتطلب قسوة الحكيم على من يرحمه ، ما دام يرجو له الخير .. وهذا اذا كان فى الامر حدة .. وهو ما لا أشعر أنا بوجود شىء منه مطلقا ، ولا أحس أن شيئا منه فى هذا القلم ، وما هو الا الواجب الفنى والامانة النقدية ، أو المسئولية العظيمة » كما يقول الأديب الناشىء نفسه .. وصدق المثل : بارك الله فى من بكانى وبكى على .

ومن الظريف أن الناشىء صاحب الكلمات السابقة يطلب توسيط الاستاذ رئيس التحرير ، أو الدكتورة بنت الشاطىء بينى وبينه فى تقدير ما أرسله مع

خطابه هذا ، واسارع فاطمئنه الى انه لا محسوبية فى « الأدب » ولا محاباة .. ومحرر هذا الباب لا يتردد لحظة فى ان يواجه الاستاذ رئيس التحرير والسيدة الدكتورة ، وكل كاتب ، برايه فيما يعرض عليه ، ويحتفظ فى ذلك بحقه وحريته ، دون اى مجاملة ، أو محاباة لأحد ، مهما يكن مركزه ؛ واسمه ؛ وشهرته .. كما أنه يعامل الناشئين أنفسهم على هذا الأساس ذاته ، فلا يقبل منهم ما ينزل كثيرا عن مستوى « الأدب » لرغبة فى مجرد التشجيع ، أو التنشيط ، ولذا لايتأثر بشىء مما يكثر منه الناشئون ، من التوسل والرجاء وطلب العطف بحجة أن هذا يساعدهم على أن يقفوا على أقدامهم .. !! ولن يقف على قدميه الا من صلب عوده وصحت عزيمته .. أولا .. ومن لم يتهيا له ذلك ، ويظهر منه ما يدل على أصالته واستعداده لمواجهة صعوبات الطريق ومشقاته .. فلا خير فيه ، ولا أمل فى تشجيعه .. ولا قيمة لشكواه من وقع النقد على نفسه ، أو تراجعه أمامه .. وهكذا لا أثر لمثل قول بعضهم فى رسالة أخرى : « أرجو التعطف على ذلك النتاج البكر » !!

والناشئون انفسهم يقعون فى تناقض بين الأسطر المتقاربة فى رسالة الكاتب منهم .. كان يقول أحدهم : « أريد أن أقرأ نقدى خاليا من الشفقة » وهى قوة نغتبط بها منه ، الا أنه لا يلبث أن يقول بعد أسطر من الرسالة نفسها عن نقد الأدب له « .. فقد كان قاسيا على من لم يقف حتى الآن على قدميه » ، وهو — قواه الله — يعود فيقول : « وأنا كل أمل أن تأخذ بيدى ان رأيتم أننى استحق أن يؤخذ بيدى » فالمسألة أن يستحق الأخذ بيده وألا فلا .. ومتى استحق ذلك فسيكون فيه من الحيوية والصلاحية ما لا يفزع من النقد ما دام حرا .. ويعجبنى فى هذه المناسبة قول مثلنا العامى : ابن يومين لا يعيش ثلاثة .. فاما حيوية مقاومة أولا فائدة من الاخذ بيد من ليس له قدمان ، يقف عليهما ..

ايها الناشئون : ثقة بأنفسكم .. وتزودا للكفاح .. ثم للمرة الكذا وكذا نكرر اننا لا نستطيع الاستجابة الى طلب بعضهم النقد فى رسالة خاصة .. فاما النقد فى هذا الباب على نطاق واسع فتعم .. ولا سيما بعد ما طلبته لكم وزارة الثقافة فى اشتراكها .

خارج النقد

وبالحزم المشفق اضع خارج النقد ما سماه صاحبه قصيدة « الأيام » لسذاجة تامة ، بل بساطة صارخة فى مثل قول صاحبها : ودهر له ألاعيب صبيان — وقوله: ودنيا أجساد الناس فيها ضخمة .. وما لا يكاد يكون له معنى مثل قوله : والعمر منقض بالعين فتان.. أو قوله : بقدر العقل تنظر فى العيان .. مما لا يساوى فراغ الورق الذى يشغله

كما اضع خارج النقد ، من النثر ما يسميه صاحبه قصة « الشقيقان » لما فيها من اخطاء فى كلام مغسول ٠٠ واستطراد شارد ، يورد نص خطبة الجمعة عن الشر والحسد ٠٠ وصاحب هذه الكتابة فيما يبدو قليل الحيلة جدا ، لا يهتدى لابسط الاشياء ، فيقول فى خطابه :

وحقى عليك فى ذلك ان تعرفنى كيف أحصل على بقية الاعداد الماضية ـ أى من الادب ـ وكيف أرسل لكم قيمة اشتراك سنوى ٠٠ بحوالة بريد أو شيك ٠٠ واذا اردت أن تعرفنى بخطاب خاص فاليك عنوانى ٠٠ !! فاى شىء هذه الخبرة الحيوية التى هيأت لصاحبها أن يعرض الحياة فى مثل قصته « الشقيقان » !! أماهك ـ يا بنى ـ طريق طويل شاق ٠٠ لا يكفيك لقطعه أن تكون لك على حقوق تلميذ على أستاذه ٠٠ أو حقوق ابن على أبيه ٠٠ أو حقوق برعم يتفتح على بستانى ٠٠٠ الخ ماقلت ٠٠ بل لا بد لك من حق على نفسك ، أن تعينك على الجد المثقف ٠٠ والخبرة الممارسة للحياة فيحسن تقديرك ٠٠ ويتهيأ لك أن تحمل القلم ٠٠ وأن ينشر لك شىء من نفثاته

ولعل من الخير لصاحب الكلمة النثرية « صراع » أن أضعها هذ المرة خارج النقد ، لما فيها من أخطاء ، غير قليلة ، تحتاج الى تزود غير قليل من اللغة ، والذوق الفنى ٠٠ وهى بعد شىء لم يتشكل فيحسب لونا من فن القول فى النثر ٠٠ وأما أنها ـ فى تقديرك ـ نصيحة الى الشباب المكافح ، والى الشباب الحائر التائه ٠٠ الخ فلك الشكر على رغباتك الطيبة ٠٠ ولك التشجيع على تصميمك على الصراع ؛ وأرجو لك أن تنتهى بك هذه الرغبة وهذا التصميم الى شىء واضح المعالم من العمل الفنى ٠٠ ونتقدم الى الحديث عن :

الشعر

فقد وصلت ـ حب فى السابعة عشرة ـ وقارت أن توضع خارج النقد ، فنثرية أسلوبها ٠٠ وقرب معانيها حتى لتوشك أن تكون تافهة وعدم سلامة صورها الادبية ٠٠ ولم يشفع لها ـ بعض الشىء ـ الانسمات من الشعور نرجو أن تصل بعد الى شىء من الفن القولى

ـ ووصلت « النجم الوحيد » وأسلوبها مهلهل العبارة ، له نصيبه من اللحن ، وعدم الاهتداء الى اللفظ المناسب للمعنى كقوله : ضمنى على الصدر العريض٠٠ على أن فى صاحبها صلاحية لو تابع القراءة والتذوق

ـ ووصلت القطع : « عودى » و « عمر الشاعر » و « انت أنت » و « ارحمينى » وعند صاحبها ما يريد أن يقوله ٠ وله سبيل الى شىء من التعبير والتصوير البيانى ٠٠ لكنه لا يزال يحتاج الى شىء ، ربما يكون غير قليل ، من الايضاح ٠٠ والصقل ٠٠ وسلامة الاسلوب ٠٠

وصحة التصوير الادبى .. فى ذوق أدق .. حتى لا يعجبه مثلا قوله : يجرح مخلب الاشواق قلبى ؛ وقوله : أنسج الآهات من لحم القلوب .. ولا يرضى بمثل قوله: عندمايبصق جلادى فى أعماق حلقى .. قبضات من مرارة .. وأعتذر فى ألم الى القراء عن وضع مثل هذا أمامهم .. ولكن الصنعة حكمت ..

ومع مثل هذا لا نستطيع أن نخبره بموعد النشر .. كما نأسف لأننا لا نستطيع ان نستجيب لالحاحه فى الرجاء باعادة النسخ الأربع اليه فى حالة عدم صلاحيتها للنشر .. ثم نقول له : ليس هناك شىء من الأسباب الخفية لعدم النشر كما يقول السيد صاحب هذه القطع الأربع ولكنها الاسباب الظاهرة ، التى احتملنا فى سبيل اظهارها أن نضع أمام القراء على هذه الصفحات مثل استعارته السابقة لما يلقى جلاده فى أعماق حلقه .. ! والذوق شىء ..

ـ ووصلت « حرية الشعوب » و « الذكر الطيب » ونقول لصاحبها اننا نحمل ، مع الرضا كله التبعة ، التى انتهى هو ورفاقه الى أن نحملها فى سبيل رياضة الناشئين .. والسيد مرجو ، رغم ما قد نأخذ عليه من قلق بعض العبارات فى أماكنها .. وعدم انسجام أجزاء الصور الأدبية كقوله فى الشجرة : كلما روت الدماء بناها .. فالبناء لا يناسب الشجرة .. واذا لم ننشر له هذه المرة فانا لنأمل أن ننشر له فى غيرها .

ـ ووصلت « الشىء الرهيب » وفيها غموض نرجو أن يستبين فيما بعد .. وفيها قصور فى التعبير ، يتحيف شاعرية فى صاحبها ، تبدو لها مخايل واضحة ..

ـ ووصلت « الى غائب » لصديق قديم الصحبة للأدب ، بلت منه اخيرا جفوة ، حين قصرت « الأدب » ـ على تقديره ـ فى النشر له .. مع انها أسهبت فى بيان سبب ذلك ـ ومبدئها فى النشر .. ووجهة نظرها فى الاختيار .. وحكم ظروفها الفنية والعملية ولا تزال تحب أن يتذكر السيد صاحب قطعة «الى غائب» ماسبق من بيان للأدب فيعرف منه موقفها من هذه القطعة الاخيرة .. وما تنتظره لها ..

ـ ووصلت «الى سمراء» و «أشواق الحب » وصاحبهما قد عرف قراء « الأدب » شعره غير مرة : وعلى الرغم من بعض الملاحظ الخفيفة فى هاتين القطعتين ، لعلهما تجدان المكان للنشر

ـ ووصلت « اللقاء الأخير » و «رسالة من العالم الآخر» وتنتظران دورهما فى النشر

النشر

وصل مقال «أخطاء الأمية ووسائل محوها » .. وقد رجونا أن يكون صاحب المقال ظفر من دراسته الاجتماعية بوسائل فعالة ايجابية فى محو الامية التى بقيت وصمة فى جبين حياتنا الشرقية .. ولكن السيد الكاتب يتحدث عن أشياء كثر الحديث فيها : مثل أهمية التعليم ، أقسام القرآن بالقلم .. وفداء الرسول ـ ص ـ الأسرى نظير تعليمهم الكتابة لأصحابه وما الى ذلك مما فرغت الحياة من القول فيه .. وأما وسائل المقاومة فما قال عنها شيئا .

ولعل لصاحب هذه الكلمة فضلا بأن ذكرنى بمنهج اجتماعى كان

استاذنا رئيس التحرير ينشره منذ اكثر من عشرين عاما ، فى مقالات بجريدة « البلاغ اليومية » تحت عنوان لا ازال اذكره جيدا لأنه كان صرخة جريئة فى ذلك العهد حين كانت السياسة التهريجية تستهلك نشاط الشباب ، فجعل الاستاذ عنوان هذه المقالات (أيها الشباب آمن بالوطن .. واكفر بالسياسة .. وفى سبيل هذا الايمان رسم منهجا عمليا لجهاد الشباب الاجتماعى من السنة الثالثة الثانوية الى نهاية التعليم الجامعى .. وكان من ميادين جهاد الشباب الاجتماعى مقاومة الأمية ، على ترتيب وتدبير بينه لذلك ، وذكرنى، الآن ما فى عنوان المقال المرسل الى «الأدب» من كلمة « وسائل محوها »

ولعلى استعدى القراء بهذه الذكرى على الاستاذ رئيس التحرير ليعيد نشر هذا المنهج الاجتماعى لجهاد الشباب .. لأن الحياة قد شعرت بالحاجة اليه مرارا .. ولم يوفق أحد الى الانتفاع به . بل انى لأملى لنفسى فى هذا الاستعداء للقراء على أستاذنا ، ليسمح يوما ما بأن تعمل « الأدب » على نشر صفحات من النشاط الفنى والنقد الأدبى فى الجيل السابق لا تزال الى اليوم — بل ربما الى ما بعد اليوم — صفحات منشورة لا تطوى ، ولا تزال الحياة الأدبية تنتفع بها كثيرا ولم تنتفع بها الحياة لعهدها .. ولعلها اليوم أقدر على ذلك الانتفاع

.. فهل يؤثر استعداء القراء على الاستاذ فينظر قريبا فى اجابة هذا الاقتراح ؟

— ووصلت « ترجمة فاشلة » نقدا لمسرحيه « التيه » ولها مكانها فى النشر

— ووصلت قصة «صاحب البيت » وليس لها ملامح القصة..وهى وصف قلمى ليوم جائع — لكنه وصف ينتهى بالا سبب لجوع هذا الجائع ما دام صاحب بيته نفسه غنى، وابنه يشكو التخمة .. والرجل لا يبخل على ساكنه الجوعان بطعام ولا رعاية .. فاين القصة اذن !

— ووصلت قصة «خليفة عزرائيل» و «الضحية» و «جنون الأدب» من قلم واحد .. والاولى والثانية ساذجتا العبارة ، سطحيتان ، وليس فيهما الا تكلف لا يصور شيئا من حياة الناس !

وأما جنون الأدب فقد تكون شيئا من تصوير شاب غير طبيعى فى هوايته ... ثم لا قصة !

— وصلت « مشاركة » وليست من مستوى ما نشرت « الأدب » لصاحبها غير مرة..ولاهى من اللون الاجتماعى الذى يبدو ميله اليه .. ولا فيها الانتزاعة الفنية لمشهد حيوى لافت .. فالى غيرها

— ووصلت اقصوصه « الناس » وقد كادت تنشر ، لولا ضيق المكان.

فهرس

العدد السابع | ديسمبر ١٩٥٩ | السنة الرابعة

٤٠١ ـ مقاييس تقديرنا : حبر على ورق عن الأمناء

٤٠٦ ـ عمر الخيام ـ الجديد .. القديم
عن رباعياته وخمرياته .. .. تحقيق محمد عبد القادر الهاشمى
تقويم : أمين عبد المجيد جدوى

١٤٥ ـ نحو أدب عربى عالمى .. .. .. عبد المنعم شميس

٤٢٠ ـ ابسن .. والحياة الزوجية .. عبد الرءوف برغوث

٤٢٢ ـ أنت طالق .. .. كامل سعفان

٤٢٧ ـ أغنية من بغداد الجريحة .. .. نجيب الكيلانى

٤٢٨ ـ لست لى .. .. ابراهيم حافظ

٤٢٩ ـ قلب ضرير .. .. قصة : حسام الدين عبد الوهاب على

٤٣٣ ـ رسالة زوجة .. .. قصة : محمد عبد الله المرسى

٤٣٧ ـ ثائر على الطغيان .. .. أمين الخولى

٤٤٣ ـ قطعة السكر .. .. نقد : رجب البنا

٤٥٠ ـ حول نقد ضيف من الشرق .. مناقشة فاضل السباعى

بريد الأدب : ٤٥٤ ـ وزارة الثقافة ورسالتها ٤٥٧ ـ توجيه الوزارة للصحافة ٤٥٨ ـ الأدب وتوجيه الوزارة ٤٥٩ ـ مع الناشئين ٤٦٠ ـ خارج النقد ٤٦١ ـ الشعر ٤٦٢ ـ النثر

دار القاهرة للطباعة

الأديب

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
يناير ١٩٦٠

حكم تأديبي

بالتوبيخ العلني

حكم بالتوبيخ العلني ، على أن ينشر بأقوى ما يمكن من وسائل النشر ، في آخر ما عرف من صورها وأدواتها ، مع لفت الهيئة الحاكمة ، الى ما يستحقه المتهم من عقوبات أخرى تكلف السلطات ، بالتدبير لها ..

حكم صدر من هيئة مختصة ، نزيهة ، منثبتة ، تؤمن بالحق الاجتماعي،وتقدر المسئولية العامة أصح التقدير وأدقه ، في وقار مجرب ، وخبرة تامة بشئون الحياة الاجتماعية ، في عمق نظر ، وبعيد فكر

حكم يصدر اليوم على ذى صفة أدبية ، طنانة ، رنانة ، يقف صاحبها في موقف براق خلاب ، ويمتد خطره الى أصحاب الغد ، وأجيالهم الصاعدة في عامة نشاطها ، وسائر أهداف تثقيفها .

حكم صـــدر بناء على اتهام ، وجهته احتسابا سلطات تشعر شعورا صادقا بالتبعات الملقاة عليها ، اذ تقوم في المجتمع مقام النيابة العامة في النظام الحديث ، وتمثل سلطات الشعب في نظم اليوم .

* * *

وانما أثار الحديث عن هذا الحكم ، مقال « الأدب » في عددها الاخـــير – ديسمبر ١٩٥٩ – عن مقاييس تقديرنا الأدبي،وأنها حبر على ورق ، ولا سيما التقدير الأكبر في البيئات الأدبية العالية نظريا،ففي هذا المقال جرى الحديث عن عبث السياسة ، وعبث غيرها من العوابث المختلفة بهذا التقدير لدرجة الدكتوراه

الأدبية ، مع سوق أمثلة من ذلك ، لم يمس فيها أحد بعينه ، ولم يسم شخص بذاته · ولم يمتد القول الا الى الناحية الموضوعية الصرفة ، كما لا يزال القراء يذكرون — على ما أرجو —

ومع ما صـــدر به المقال من أنه لم يدفع اليه الا الأداء للأمانة الواجبـــة والنجاة من وخز الضمير ·· والخلاص من اللعنة الأبدية ·· والفرار من وصمة التاريخ ؛ مع ذلك كله ·· فانه لم تمض أيام على نشر هذا المقال حتى وصـــل « الأدب » خطاب من مجهول ، موقع بامضاء «لك بالمرصاد» ··وهو خطاب تدل قرائن قوية على أن كاتبه أحد أولئك الذين قدروا بتلك المقاييس المعيبة،فخرجوا على الناس بلقب زائف ، ونعت مـــزور ، وكانوا بين زملائهم اعلاما فى ذلك ، يختالون بتيجان مسرحية ، من الورق البراق ، والماس الصناعى ، فكانوا أبرز سيئات هذا التقدير ومقاييسه ·· كما كانوا أقرب من يقع منهم مثل هذا العمل المشين فى كتابة أمثال تلك الخطابات ؛ التى ظلت وباء متفشيا فى تلك البيئة ، وعرضا مرضيا من أعراض الانحلال والانحطاط فيها ···

و « الأدب » تحب دائما أن تنشر خطابات نقدها ، مهما تكن قسوتها ·· وقد حاولت نشر هذا الخطاب كله فلم يردها عن نشره قسوة فى النقد ، ولم يردها اقذاع فى الشتم وافحاش فيه ، لانه يجب أن يعرف القراء مثل هذه الاساليب ، ويعرفوا أهلها ، ويعرفوا ما لذلك كله من دلالات اجتماعيه وخلقية · وهى تحتمل فى سبيل ذلك برضا مبتسم ، أن تسجل صفحاتها نقدها أو شتمها أيضا··لكن شيئا فى الخطاب وراء ذلك كله حال دون نشره حيلولة ماديه ·· وذلك هو ما فى الخطاب من تعبيرات تغثى لها النفس وتهيج الامعاء ·· فلم نجد لنا من الجرأة على سلامة القراء الجسمية والنفسية ما يبرر قذفهم بهذا « القرف » الذى لا يقوى عليه كثير منهم ·· وبحسبنا أن يتهيأ لنا من ثبات النفس ما يخاض به مثل هذا ليوضع أمام القراء المعنى الذى يريده الخطاب ، بعد التبخير والتطهير ·

وجملة هذا المعنى هى :

أن الحديث عن مقاييس التقدير لم يبعثه الا الحقد ، وأنه نبش للقبور ، لا يفعله من الحيوان الا الذئب لخبثه ولؤمه .

★★★

ولا أريد أن يفسد هذا الخطاب مزاجى فأمضى فى حديث فردى شـــخصى ، يزل فيه القلم ، أو يضطرب التعبير ·· ولا أريد أن أقول بنفسى شيئا من حقائق هذا العصر ، ومعارف زماننا ·· بل ساجتنب التناول الشخصى ·· وساترك الكلمة لغيرى ·· ساجتنب التناول الشخصى فارد هذا النقد الى أمر عام ، أو خطأ مشترك وقع فيه مع صاحب الخطاب آخرون ، وان اختلف حالهم عن حاله بحسن

نيتهم وطيب سريرتهم ، وطهارة لسانهم ٠٠ واذا ما رددت الامر الى خطأ مشترك وبلوى عامة تركت القول فى ردها ، وتقويم اصحابها الى من تصدى لذلك من العلماء ، وكتب بدقة ووضوح ، وفى سلامة صدر وطهارة قلم ٠٠

وقد اسعفت الظروف على ذلك كله فرددت كلام الخطاب عن نبش القبور ، الى مبـــدأ كلى وفكرة عامة ، فى تعييب التـــاريخ ، وذم التقدير للرجال جرحا وتعديلا٠٠ووجدت هذا المبدأ الكلى موضعا لدرس العلماء وبحثهم درسا مفصلا ، خدموا به القضية خدمة مستوفاة فانتهوا الى حكم يشبه الاحكام التأديبيـــة فى عصرنا ، حين تعد من بين عقوبات التأديب « التوبيخ العلنى » للمتهم ٠٠ وان كانوا لم يقفوا عند هذا الحد ، بل اقترحوا عقوبات أخرى لمرتكب مثل هذه التهمة فى ذم التاريخ ، ومنع التعديل والتجريح ، على ما سنرى فيما يلى من القول ، وهو قول سأتركه ـ كما قلت ـ للماضين ، لا أمس فيه عباراتهم بغير العرض المنسق، لا أكثر ، تقريبا للقارىء ، وتعميما للانتفاع بهذه الحقائق ، التى تصحح الفكرة فى كثير من تفكير الناس وتقديرهم ، حين يشتبه عليهم الامر فيعدون كشف الحقائق ، وبيان أخطاء الناس ، أو الأخذ بتلابيبهم الى المحاكمة ، أو الحرص على مجازاتهم ، مما ينتقد دينا أو خلقا ، لأنه كشف للستر أو اغتياب للنـــاس ، أو ايذاء أو نحو ذلك ٠٠ واذا ما كان فى دنيا المثقفين اليوم من يعد التاريخ نبشا للقبور ، وعمل ذئاب وما أشبه ذلك ، فماذا يقول العوام ، وأشـــباه العوام من الاغفال السذج على مثل هذا مما يجب القيام به اجتماعيـــا ، ويحتمه الدين ، وتفرضه الاخلاق ٠٠وهو من لباب الفضيلة ، وصميم الخير ، على ما ستسمع من قول أهل الدين والعلم منذ قرون بعيدة ٠ وفى أزمان كان الشعور فيها بالوحدة الاجتماعية ضعيفا،وكان ادراك الآثار الضارة لأخطاء الفرد على الجماعة مبهما٠٠

وقد تهيأ لنا من تراث الأقدمين من أفرد هـــذه القضية بمؤلف مستقل ، عنونه بما يعطى الحكم التأديبى الذى توج به هذا المقال ، وسأعد هذا المصنف هو ملف القضية ، ومجمع آراء الخبراء والباحثين فيها ، وأعرض على القارىء صورة من هذه القضية مستعيرا لها بعض التعبيرات القضائية ، التى يتطلبها الجو الذى اختار فيه العالم القديم عنوان كتابه فجعله فى تقديرى ملف قضية ، واضمامة أوراقها التى نظفر فيها بالمواد الآتية :

أ ـ التهمة : فهى عد التاريخ اغتيابا للناس ، واعتبار تقدير الرجال ووزنهم بتعديل العدل منهم ، وتجريح غير العدل ، وبيان اسباب التعديل والتجريح ، انما هو كشف لما ستر الله من امرهم ٠٠

وهذا هو التعبير المهذب عن تهمة صاحب الخطاب ·· ويوصف المتهم بهذه التهمة بما نسمعه فى عبارة مؤلفنا ونصها : « ·· تطرق للتنقيص للتاريخ ولأهله بعض اولى البليات ، ممن هو ممتحن بالجليات فضلا عن الخفيات ·· ومن ذلك ما يشبه :

ب ـ وقائع الدعوى : وهى المناسبات التى يسىء فيها المتهم الى الناس والحياة، حين يمضى فى تنقيصه للتاريخ ، واغتيال الحق فى التقدير ، فيخطىء أخطاء تسىء للحياة العلمية والتعليمية بمثل منع جرح الفاسق الذى يتردد الناس عليه للعلم، أو الارشاد ، ويخاف الضرر من قبله ، أو جرح المتساهل فى التصنيف ، أو المتساهل فى الفتوى ، أو المتساهل فى الفعل ، أو المتساهل فى الوعظ ، أو المتساهل فى الأحكام والشهادات أو الغاصب لكتب العلم ·· الخ ، وتحت هذا تجد ما عمدنا اليه من الحديث عن مقاييس التقدير ، كما تجد سوى ذلك من آفات بيئاتنا العلمية والتعليمية ·

ومن الاساءة فى الناحية العملية ، منع جرح الشهود عند الحكام ، وعند المصلحة ، ولحفظ الحقوق من الدماء ، والاموال والاعراض ، والأبضاع والأنساب وسائر الحقوق ·· وجرح من له ولاية لا يقوم بها على وجهها ، بأن لا يكون صالحا لها ، أو يكون فاسقا ، أو مغفلا ·· وجرح المتساهل فى الرشى أو الارتشاء ، بتعاطيه له ، أو باقراره عليه ، مع قدرته على منعه ؛ وأكل أموال الناس بالحيل والافتراء ··الخ·· واذا تمثلنا التهمة ووقائعها استطعنا أن نستمع :

جـ ـ التكييف القانونى والخلقى : والمبدأ فى هذا مثل قولهم : لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ ، ولما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ : وجرح مثل الذين سبق ذكرهم من المرتكبين فى الحياة العلمية أو العملية لا يعد غيبة ، بل هو نصيحة واجبة ، يثاب فاعلها ، ويكون آتيا بفرض كفاية ، وقد قام بواجب أسقط به الحرج عن غيره ، ومن هنا قيل : ان القيام بفرض الكفاية يفضل القيام بفرض العين ، فأصل ذلك من الواجبات التى لايسع الاخلال بها ، ومن القواعد التى يتعين حفظها ورعايتها ·· بل قال الامام أحمد : انه أفضل من الصوم والصلاة ، قال الله تعالى : « وقل الحق من ربكم »وأوجب الله الكشف والتبيين عند خبر الفاسق بقوله : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ·· وهو اذن مستثنى من الغيبة المحرمة ، بل أجمع المسلمون على جوازه ·· بل عد من الواجبات للحاجة اليه ··

وتؤيد ذلك السوابق والمبادىء من فعل العلماء ، فهى تدل بقوة على أنهم قدروا قول الآية الكريمة : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين »

فجرح الأبناء آباءهم انفسهم ، كالذى يروى عن «ابن المدينى ، انه سئل عن ابيه ، فقال : سلوا عنه غيرى ، فأعادوا عليه المسألة ، فأطرق ، ثم رفع رأسه، فقال : هو الدين ·· انه ضعيف ·· كما ينقل عن « وكيع بن الجراح » انه : لكون والده كان على بيت المال ، كان يقرن معه آخر اذا روى عنه ··

وكذلك نرى الآباء قد جرحوا أبناءهم ، فقال أبو داود صـــاحب السنن : ابني عبد الله كذاب ·· وقال « الذهبى فى ولده « أبى هريرة » : انه حفظ القرآن لم تشاغل عنه حتى نسيه ··

وترى الأخوة يجرح أحدهم أخاه ، كما قال « زيد بن أبى أنيسة » : لاتأخذوا عن أخى يحيى المذكور بالكذب

وفى أفق أوسع تراهم بروح هذه الدقة يقدرون آفات التاريخ من الحكومات المتسفة ، والحكام المرهبين ، فيذكرون أعراض أهل الجرح والتعديل عن كشف حال قوم ، خوفا من السيف والضرب ·· وأنه ما زال فى كل دولة قائمة ، يصف المؤرخ محاسنها ، ويغضى عن مساوئها ، هذا اذا كان المؤرخ ذا دين وخير، فان كان مداحا مداهنا لم يلتفت الى الورع ، بل ربما أخـــرج مســاوىء الكبير وهناته ، فى هيئة المدح ، والمكارم ، والعظمة ·· بل ربما يخفى من ترجمتـــه ما يظهر خلافه ، ولا يسمح بترجمته بعد موته بما ترجمه به فى حياته ·· وذلك كله يهيىء لسماع

د ــ الحكم : وهو يختلف باختلاف الاحوال العقلية والنفسية للمتهم ، وأقل ما يحكم به هو التوبيخ العلنى ــ أو بالعبارة القديمة هو الاعـــلان بالتوبيخ · لمن ذم التاريخ ·· وهو العنوان الذى وضع للمصنف الذى سبقت الاشارة اليه ·· وهو كتاب لمؤلف مصرى هو الحافظ المؤرخ الحجة ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ــ ت ٩٠٢ هـ ــ

وباختلاف حال المتهم تختلف عقوبته ، فتمضى الى أبعد من هذا التوبيخ العلنى كثيرا ؛ فهم يقولون ان الزاعم أن التاريخ ، والجرح ، غيبة ان كان جاهلافليعلم ، فان أصر فليؤدب بما يليق به من زجر حتى يرجع عن الطعن فى البرىء والذب عن المجترى ·· ويثاب ولى الامر على تأديبه له ·· وكذلك يقولون بوجوب تعزيز المنكر للجرح ، العائب للتاريخ ·· ثم تقسو عبارتهم فى ذلك ، حتى يقول قائل منهم : والحق أحق أن يتبع ، والدق لرأس المبطل أوفق ، ان لم يقطع ·· والاجماع منعقد على الاعتناء بهذا الفن ، والانشاء عمن فى ائمته طعن ·

والآن

هو التقدير للواجب الاجتماعى الجليل فى الجرح والتعديل وضعته بين يديك بعبارات الاقدمين ، فى روحها الدينية ، ليطمئن اليها من لا يطمئن الى معناها فى نظرة اجتماعية عصرية المنزع ، علمية الأسلوب ·· وصاحب النظرة العلميـــة ــ فى الوقت نفسه ــ لا يتجافى فى ذلك عن قول الاقدمين فى ورعهم ، بل يجد فيه التاييد المعنوى والعملى لتحقيق العلم ، ونتائج البحث ·

وهذا الذى سمعت هو الفهم الاجتماعى للسالفين،فى عصور مهما يكن امرها فانها لا تصل الى ما نحن فيه اليوم ، من تقدم وتنور ، واعتراف بحقوق الانسان ، ووعى لمجابهة الحكم المنفرد ، والظلم الذى كان يعسف باولئك الاقوام .. لكنهم على الرغم من ذلك كله ، يخرجون من الفردية المنعزلة ، الى الاجتماعية اليقظة ، ويقررون ما سمعت فى وجوب الجهر بالحق ، والكشف عن المساوىء .. وتجريح المجرح فى علم او عمل .

وأين نحن اليوم ، وما حالنا فى هذا ؟. وكيف تلوح فى آفاقنا ـ على مانرجو لها من وضاءة ـ تلك النكسة العقلية والرجعية المتقهقرة ، فى فهم الواجب الاجتماعى على رغم ما أسهب فيه مقال « الأدب » عن مقاييس التقدير من ذكر الأسباب الموجبة لاعلان الحقائق ، واحتمال مرارة الاعتراف وتبعته فى ماتم خضناها !!

وأى دلالة اجتماعية لمثل الخطاب الذى تلقيناه،على درجة شعورنا الاجتماعى، ومستوى تفكيرنا فى مجتمعنا !

ثم أى دلالة خلقية لمثل هذا الخطاب بعبارته وأسلوبه !

واذا ما كان الحكم ما سمعنا من الاقدمين ـ فى مستوى عصرهم ـ هو التوبيخ والتعزير ، فأى تعزير يوقع على متهمى عصرنا ، وقد ألقى اليهم من حقيقة هذا الواجب مالا عذر لهم بعده بالجهل ، ولا منشأ لعملهم الا الاصرار على الشر !

وما أشك فى ان لضمير المجتمع يقظات فى لحظات .. وأنه لن يترك هؤلاء المتهمين بلا تعزير رادع .. وما أهول قول الاقدمين : والحق احق أن يتبع .. والنق لرأس المبطل أوفق .. ولا أزيد ..

عبد الرحمن الرفاعى

الأدب

فنية . شهرية

يصدرها الأستاذ

الادارة : ٨ شارع الجديدة . العجمى ت : ٦١٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم

أمين الخولى

رئيس التحرير

الرسائل الادارية ترسل باسم

عزت محمد ابراهيم

سكرتير الادارة

الاشتراك عن ستة أعداد (أو ما يعادلها) بالبريد العادى: فى مصر ٥٠ م، فى الخارج ٨٠ م

ثمن العدد ٥ م

البريد الجوى والمسجل بحسابه

تصدر سابع كل شهر

... متخلفون لغويا

ماذا في المجمع .. والمعجم !!

بقلم : ا.د. الشربيني

من تحريض الصحافة اليومية والشهرية

- ١ -

اشعر انى محتاج قبل الدخول فى هذا الموضوع الى مقدمة أوجهها الهيئة التحرير فى مجلة « الادب » لأطالبها مطالبة مشددة بأن لا يكون لعلاقاتها الشخصية بمن اذكرهم فى هذه المقالة اى أثر على التعجيل بنشرها ووضعها فى المكان اللائق بها ، وانى استند فى هذه المطالبة على ما نشرته «الادب» نفسها فى صفحتها الاولى من عدد ديسمبر ١٩٥٩ ، وهو ما اردده على مسامعها ومسامع قرائها فى رهبة وخشوع يناسب قوة هذا الكلام ، وتأثيره البعيد ، اذ تقول : أداء للامانة .. ونجاة من وخز الضمير .. وخلاصا من اللعنة الابدية .. وفرارا من وصمة التاريخ ، جرى القلم بحديث لم تشفع فيه صداقة . الخ كما تقول فى ختام هذا الاعذار الجرىء : وعلى كل حال ، فان وراء ذلك كله امانة تؤدى .. ورسالة تبلغ .. وغدا يرجى أن يستفيد ويعتبر .

ولولا هذه الكلمات المخيفة ماكتبت مقالى هذا ، ولا أرسلته اليها ولا الى سواها من الصحف ، لأنى رجل محدود الاتصال بالصحافة طول حياتى .. وان كنت قوى الاتصال جدا باللغة العربية ومتاعبها منذ أكثر من ثلاثين سنة ، ومع ذلك لم أفكر ابدا فى أن أجعل اللغة العربية موضوعا قصيرا أو طويلا فى الصحف أو المجلات ، وان جعلتها فى حياتى المدينة معها موضوعا لنشاط واسع

فى غير الصحافة ، وكان كلام «الادب» عن المسئولية الخلقية ، والدينيـــة ، والاجتماعية هو الدافع الاكبر لى عـلى الكتابة الصريحة الجريئة ، اعتمادا على أن تكون هى التى ســـــتنشرها — بلا شـك — ولهذا أرجو ألا تكون حماسة « الادب » قد فترت فتـــؤثر الســـلامة ، وترجح الملاطفة ، وترى المجاملة أولى وأفيـــد .. فان كانت هذه الأخيرة فساعدها على « الأدب » واحدة ، بل واحـــدة كبيرة جـدا ، وأترحم بعدها على شجاعتها وعـــلى صدقها ، فيما كررت علينا دعواه من أن النقد هو دينها الفنى (١)

- ٢ -

وبعد هذه المقدمة التى ذكرت فيها « الادب » بكلامها الذى كان أكبـــر دافع لى على كتابة هذا الموضـــوع ، أكمل هذا المعنى بما أشرت اليه فى رأس الحديث من أن هـذا الموضـــوع من «تحريض الصحافة اليومية والشهرية»

فأما الصحافة اليومية فحرضـــتنى بمثل ما نشرته « الاهرام » ذات صباح من نوفمبر ١٩٥٩ من أخبار انتخابات المجمع ، وتكرارها مرارا ، والنتيجة دائما : لم ينجح أحد ، وان المعـركة احتاجت الى حمامة سلام بين المجمـع والسيد الدكتور طه حسين .. وان الدكتور طه عرق فى الشتاء ، وجفف عرقه عشر مرات ، لعـــدم انتخاب زملائه لمرشحه ومزكاه الدكتور يحيى الخشاب ، بعد ما طلب اليهـــم علنا أن ينتخبوه .. الخ

فحين قرأت ذلك من أحوال الخالدين فى انتخابهم ، وترشـيحهم جزعت ، بل حزنت كثيرا لهـذه الحالة من أمر هؤلاء الخالدين .. وقلت لنفسى : ان للفانين البسطاء العـــذر الكبير فيما يفعلون فى انتخاباتهم من أفاعيل .. واذا كان المنتخبون للسياسـة والحكم والمكاسب يرتكبون مثـل هـــذا فى انتخاباتهم ، فيعرقون فى الشـــتاء ، أو يثلجون فى الصـيف ، من أجـــل ما وراء انتخاباتهم من سلطة ونفوذ ، ومكسب ، فلأى شىء يبرد الخالدون فى انتخاباتهم أو يسخنون ، وينظمون الدسائس ، ويحتـــالون للتأثير ؟.. لعله لا يدفعهم الى ذلك كله الا حرصهم على مصلحة اللغة العربية ، وحيويتها ، ونموها ، وسلامتها لأغراض العصر ، وتقدمه ، ومثل ذلك من أغراض المجمع وغاياته وأهدافه .

وذكرت شـــيئا بشىء ، وتداعت الافكار فذكرت من عمل الصـــحافة

---

١ — لا داعى لهذا كله أيها السيد الكاتب فان للادب من الثقة بنفسها ، والتقدير الكبير لرسالتها ما يجعلها تنشر هـذا المقال واشجع منه ، وهى متاكدة ان اصدقاءها انفسهم هم خير من يعرف عنها أنها كما قيل قديما « تحب الافلاطون وتحب الحقيقة ، لكنهـــا تحب الحقيقة اكثر » ومع ذلك فانها تعتذر عن صراحة السيد الكاتب ، وترجو ان يالف الناس عندنا قول الحق .. ويطمئن الكتاب الصرحاء . (الادب)

حملتهـا التى لم تـكن بعيـدة تطالب فيها بالغاء المجمـع ، لعـدم اسـتطاعته خـدمة اللغـة ، وقالت الصحف فى ذلك كلاما كثـيرا فى حينه ٠٠ وجر شىء الى شىء فتذكرت ايضـا ما كنت قرأته فى « الادب » نفسها عن كتاب « مشكلات حياتنـا اللغوية » ، لرئيس تحريرها الاستاذ أمـين الخولى الذى حاضر به سـنة ١٩٥٧ ، فدفعنى الى قراءة هذا الكتاب فى وقتها ، وهو يدور كله على مناقشة المجمعيين ، وأعمالهم ، وقراراتهـم ، ودراساتهم ، وفيه من مجلة المجمـع وثائق ونصوص على كل ما يقـوله عن أعمال المجمعيين ٠٠ وعادت مجلة « الهلال » الشهرية ، فى عدد ديسمبر ١٩٥٩ فتحدثت عن هذا الكتاب فى باب الكتب ، ونقلت منـه الفقرة المتعلقة باهمية الاصلاح اللغوى ، وخطر هذا الاصلاح على حياة الامم ٠٠ فجـددت تذكرى لما كنت قرأته فى هذا الكتاب منـذ سنتين ٠٠ وبذلك كله تتابعت المعانى ، وتداعت الخواطر على موضوع اللغة العربية ، فذكرتنى ما لم أنسـه طول حياتى المتصلة اتصالا قويا باللغة العربية وحياتهـا ، وذكرتنى أكبر التذكير بما كنت قد قرأته فى كتاب رئيس تحرير « الادب » وهو كتـاب مشكلات حياتنا اللغوية ٠٠ وبينمـا أنا فى هذا الجو طلعت على « الادب » بما كتبته عن أداء الامانة ، وارضـاء الضـمير ، وامتثـال واجب الدين ، والخوف من وصمة التاريخ ، فطالبنى ذلك كله بالمضى الى النهاية فى الموضوع ٠٠ وانتهى بى تفـكيرى الى ضرورة اعلان حقيقة ليست بالجديدة عندى ، وربما عند كثيرين غيرى ، ولكن اعلانها بالصراحة الواجبـة لم يتم ٠٠ وقد تجمعت على عوامل التحريض عـلى اتمامه ٠ وتلك الحقيقة التى يحسـها كثيرون هى : اننا متخلفون لغويا ٠٠ متخلفـون بكل معنى الكلمة ، الذى يريده أهل هذا العصر حين يصفون الامم المتـأخرة بصـفة التخلف ٠٠ والتخلف اللغـوى جـدير بان يكون عنـوانا عـلى التخلف الحضـارى والاجتماعى !

- ٣ -

نعم ٠٠ ان التخلف اللغوى شديد الخطورة ، بقدر شدة أهمية اللغـة على الحياة ، حتى قيل : ان كل محاولة ايجابية فى سبيل اصـلاح الحيـاة اللغوية ٠٠ هى المحاولة الأولى والكبرى فى سبيل سلامة الكيان الجماعى (١) ٠٠ وان الخطر اللغوى على حياتنا انما

---

١ - مشكلات حياتنا اللغوية ص ١٤

هو مبعث أشنع الخطر على مجتمعنا(١)

ومن المسئول الاول والمباشر عن هذا التخلف اللغوى فى حياتنا ؟ .. سؤال يجيب عنه ذلك المسئول نفسه حين يقرر انه وحده السلطة التشريعية العليا للغة العربية (٢).. واذن فالمسئول عن تخلفنا اللغوى هو المجمع .. ولا يقف الامر عند هذا الاتهام الاجمالى ، بل تتوافر الاتهامات التفصيلية المبرهنة فى تصرفات المجمع ، وقراراته ، وتقديراته ، كما نلمس شواهد هذا الاتهام التفصيلى للمجمع فى أبرز عمل له يمكن أن يخدم الحياة اللغوية ، وهو المعجم أو المعاجم التى ينصب لها المجمع وتنفق عليها الدولة فى سخاء واسع ، لمعجم اللغوى بانواعه الثلاثة : الكبير والوسيط والصغير ، ومعجم ألفاظ القرآن .

وعن شواهد الاتهام لمجمعنا .. ومعجمنا كتبت هذا المقال .. واكتفى - بقدر ما يسمح المجال - بان أورد من شواهد اتهام مجمعنا خلاصات فقط لما عرضه صاحب كتاب مشكلات حياتنا اللغوية ، لئلا يكون « للادب » اى حجة فى التهرب من نشر هذه التهم لانها ليست الا بعضا من كل مما فى الكتاب الذى هو صدى من اصدائها ، فكيف تتملص من نشر ما طبعه رئيس تحريرها نفسه !

- ٤ -

أدلة التخلف كثيرة . واعجبها ما هو من قول المجمع نفسه عن نفسه ، اذ يسجل انه قضى ثمانى عشرة دورة ، أو سنة ، فى خدمة لغة الخاصة ، دون اللغة العامة ، لغة البيت ، والشارع ، والسوق ، والمصنع ، والورشة ، والحقل . فكان المجمع بذلك محايدا فى مسألة السباق بين الفصحى والعامية ، وكان حياده ثمانى عشرة دورة ، أو سنة ، مما جعل الامل فى تغلب الفصحى أبعد مما يظن (٣) . وهكذا يشهد شاهد من أهل المجمع نفسه أن قضاءه ثمانية عشر عاما فى خدمة العربية قد كانت نهايته ان جعل الامل فى تغلب الفصحى على العامية أبعد مما يظن ! وهو المجمع الذى لم تنشئه الدولة منذ نحو ربع قرن الا لانها شعرت بحاجة هذه اللغة الى المحافظة على سلامتها، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، وملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ..

ومع هذا الاجمال من شهادة المجمع على نفسه ، تفاصيل للتخلف تشهد بها أعمال المجمع أيضا وأذكر أمثلة منها :

---

١ - المشكلات ص ٧١

٢ - المشكلات ص ١٣ نقلا عن مجلة المجمع ج ٧ ص ١١٠

٣ - مشكلات حياتنا اللغوية ص ٢٦ - عن مجلة المجمع عدد ٧ ص ٣٣ - ٣٥

أ ـ يتحدث اعضاء المجمع الفخام عن شئون لغوية كجمع اللغة ، وعمل الاقدمين فيه ، وينقلون كلام القدماء فى هذا وينقدونه ، فاذا بك ترى فى عملهم هذا ما أعرضه عليك وأدلك على مواضع تفصيله .. فأنت تجد فى نقدهم ونقلهم أنه تنقصه أمانة النقل التى كان لآبائهم منها حظ عظيم، وأضعفتها عندنا الروح التجارية المنحلة ، وهى عند غيرنا من الامم المتقدمة موضع الاهتمام ، وسر النجاح (١)

وكذلك تجد قولهم تنقصه الدقة العلمية (٢) .

وكذلك تجد قولهم تنقصه روح الجد (٣)

وكذلك تجد قولهم تنقصه سلامة الفهم ، مع انتهائه الى لغو لا طائل تحته من الناحية اللغوية(٤)

ومع ذلك شواهد على عدم اتساق قرارات المجمع ، ولا تناسقها ، وأنها تنفى وتثبت فى الموضوع الواحد دون تنبه (٥)

ومن هنا يبدى المجمع ويعيد ، دون أن يبدو لذلك كله أثر يذكر ، أو يتناسب مع السنين الطوال ، التى مضت على هذا الحديث الأجوف ، وعلى ما تلاه من جهود تكررت فى الاقليم الواحد من أقاليم تلك العروبة، وتعددت فى مواطنها . وكانت تنتهى جميعا الى ما لا يتساوى فى شىء ، مع الاعداد والتدبير ، بل البذل والانفاق، وجهاد رجال عمالقة فى أقوامهم ، كبار فى هيئاتهم ، نصبت لهم الدولات ، وأفسحت المجالات ، ثم مضى الزمن فاذا قائلهم يقول بعد ثمانية عشر عاما انهم لم يبلغوا مبلغا فى صراع ما بين الفصحى والعامية! (٦)

ب ـ وشاهد التخلف الرجعى ، بل التخلف المتقهقر ، موقف المجمع وأهله من التطور اللغوى ، وهو موقف أعجب من العجب ، لأن التطور هو واقع الحياة الذى لا واقع أقوى منه ولا أظهر ، والذى يعد النظر اليه شاهد الحيوية ، وعلامة النمو ، كما يعد اهماله واغفاله شاهد التخلف ،

---

١ ـ المشكلات ص ٢١ ، حيث يبين ان ما يورده المجمعيون اليوم على انه تقدم هم قد أورده الاقدمون مع دقة وضبط ، كما ردوا عليه ردا مستوفيا . فلا معنى لايراده اليوم مبتورا ، مع تجاهل ابطالهم له !!

٢ ـ المشكلات ص ١٩ ـ حيث يبين نسبتهم النقل للرازى فى تفسيره ، مع انه قول الرازى فى كتاب كلامى آخر ، وهم نقلوا الكلام عن « المزهر » للسيوطى منسوبا للرازى فلم يعرفوا الا تفسيره ، فزادوا هذه النسبة !

٣ ـ المشكلات ص ١٦ ـ حيث يأخذون على الاقدمين انهم لم يعدوا الخرائط والاستمارات !!

٤ ـ المشكلات ص ٢١ ـ يورد ما فى مجلة المجمع من رد عالم ليس منهم على قولهم .. ويبين اهمالهم الاعتبارات اللغوية العلمية

٥ ـ المشكلات ص ٤٦ .

٦ ـ المشكلات ص ٦٩ ـ ٧٠ .

بل الجمود ، ان لم يكن شاهد الموت ، والخروج التام من الدنيا ٠

وبينما ترى تطور اللغة العربية موضع الدراسة المنظمة العميقة فى كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٢٩ ، وبينما نراه أخيرا موضع الدرس والتأليف فى دار العلوم ، وبينما يكتب عنه لغوى لبنانى كتابا بأكمله يعرض فيه نظريات جديدة قيمة فى تفسير تطور اللغة العربية ، ويطبع هذا الكتاب فى مصر نفسها سنة ١٩٣٨ (١) ٠٠ وبينما هذا كله تضج به الدنيا حول المجمع ، بل قبل انشاء المجمع نفسه بسنوات ، والجماعة بعد ذلك كله لا تسمع منهم ما يدل على معرفة بشيء من هذا أو اتجاه اليه ، أو عناية بما قيل فيه ، مما يدل على أنهم « بالوه ، أو عرجوا عليه ، أو أشاروا الى شيء منه برضا أوسخط ، وتصحيح أو ابطال (٢) ٠٠ بل ان من عرض منهم الذكر التطور عنوانا ظاهرا لبحث فيه قد جابه التطور بالانكار ، وحلف بالطلاق والعتاق أن الكلمات التى خلفتها الحياة وجرت على الألسنة ، يصاب هو وزملاؤه بالبرداء اذا سمعوها (٣) ٠٠ وهكذا يكون التخلف والا فلا ولا ٠٠٠

— ٥ —

والمعجم اللغوى الوافى المسايير لمطالب الحياة العلمية والفنية والعملية ، المحتفظ بتجدد اللغة ونموها ، والممثل لتطورها ، من أشد ما تحتاج اليه اللغة العربية ، والمجمع قد أعلن عنايته بهذه المهمة الضرورية ، ووعد بأنه يعمل فى معجم اشتقاقى ٠٠ ويعمل فى معجم لغوى ذى ثلاث درجات : كبير ٠٠ ووسيط ٠٠ وصغير ٠ كما يعمل فى معجم الفاظ القرآن الكريم ٠

ويتصور لك ما يرصد من المال لهذه المعجمات اذا عرفت أن المجمع قد أخرج حرف الألف فى ١٠٣ صفحات ، من القطع الكبير ، مطبوعا فى المطبعة الاميرية ، ووزعه على من لهم اتصال باللغة العربية ، ليستطلع رأيهم فيه ٠٠ ثم عاد فاخرج الجزء الاول من هذا المعجم الكبير فى ٥٢٠ صفحة من القطع الكبير أيضا مطبوعا على ورق أفخم فى المطبعة الاميرية ، على « أنه ليس الا تجربة ينتظر المجمع منك أن تفرغ لقراءتها ، كما فرغ هو لاعدادها ٠ وأن تسجل ما يعرض لك من ملاحظات أثناء القراءة ، وترسلها اليه مشكورا ، ويعد بأنه سيدرس هذه الملاحظات درس المعنى بها ، الحريص على أن يتبين وجه الحق فيها ، وينزل عندما يرى أنه الحق منها فيصلح من هذه التجربة ما يحتاج الى الاصلاح ، ويغير ما يحتاج الى التغيير ، ويظهر هذا الجزء فى طبعته الاولى ، وقد عرفت رأى المختصين فيه ، ورضى فقهاء اللغة عنه (٤) » ٠

---

١ — المشكلات فى مواضع متفرقة بصفحات ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ — ٩٧ ٠
٢ — مشكلات حياتنا اللغوية ص ٩٩
٣ — المشكلات ص ٨٢
٤ — الجزء الاول من المعجم الكبير — التجربة — ص د

فاذا كانت تكاليف التجربة هى طبع هذه المئات من الصفحات التى تزيد على ٦٠٠ صفحة فى المطبعة الاميرية على هذا الورق الجيد ، الذى تفتقد الاسواق القليل منه ، فماذا تكون التكاليف الاخرى لهذا المعجم ؟!

ومن المؤلم أنك بعد طبع حرف الالف وتوزيعه بأعوام ، وبعد معرفة رأى المختصين فيه ، ورضاء فقهاء اللغة عنه – على ما يظن – ترى فيه مظاهر التخلف شامخة صارخة ، ولا أتعبك بأن أعرض عليك النماذج الحية المتجددة للمعاجم ، وعدم وجود شىء منها فى هذا المعجم الكبير الذى تصرف على تجربته هذه الاموال .. بل لا أعرض عليك المنهج الذى رسم فى أول المعجم نفسه ، ثم لم يتحقق فى المعجم بعد ذلك !.. ولكنى أضع أمامك بعض ما يحمل المعجم من عيوب صرخ الناس من وجودها فى المعاجم القديمة منذ عشرات السنين ، مع أنها كانت ملائمة فى حينها لحياة عصرها ومعارفه .. أما اليوم فهى تخلف .. وتخلف .. وتخلف

وأى تخلف يا سيدى أكثر من أن تقرأ فى المعجم الكبير بعد عرضه على المختصين وفقهاء اللغة مثل قوله : « أن بين أبسكون وبين جرجان ثلاثة أيام (١) » ! وأن أبكور تبعد نحوا من اثنتى عشرة ساعة من ديار بكر (٢) » وأن « نهر سلوقية بينه وبين طرسوس مسيرة يوم (٣) » . وأن « بين أليس وبطليموس يوم واحد (٤) » . وأن « بين أبة والقيروان ثلاثة أيام (٥) . فليست مرة واحدة أفلتت ، ولكنه اصرار عنيد على تخلف مريع ، فهل تقدر المسافات بين المدن فى عصر الصواريخ بالثلاثة الايام ! ان هذا كلام لا يشفى فيه أى تعليق ؟

وفوق ما فيه من دلالة عنيفة على التخلف فانه يدلك على مصادر المعلومات التى تكتب عن البلاد ، والاشخاص .

ومن أفكه ما فى المعجم الكبير للمجمع مثل : « آرغيس ، قشر أصل شجر البرباريس ، وأهل مصر يسمونه عود ريح مغربى ، وأنه اذا نقع فى ماء الورد ، وقطر فى العين خفت رطوبتها ، ونفع من بقية الرمد المزمن ، واذا استعمل قبل الرمد حفظ العين ، وأطباء مصر يستعملونه فى مداواة أمراض العين (٦) .

تجد هذا وأشباهه فى المعجم الكبير للمجمع ، رغم قولهم بصراحة فى تقديم هذا المعجم انه : ليس معجما علميا .. وليس معجما للتاريخ ولا للجغرافيا .. الخ (٧) فلا اذا خولف ذلك وعرض المجمع لشىء من العلم فى معجم الكبير لا يكون هذا العلم الا مثل الذى تقدم من طب الركة !

ومما يلفت أن فى المجمع أطباء اجلاء من أعضائه الاصليين ، ومن مستشاريه ، وهم من المتخصصين ،

---

١ – المعجم الكبير ص ٣٧ من حرف الف – التجربة الاولى – ص ٣٨ من الجزء الاول منه – تجربة ايضا

٢ – ص ٣٨ من الف ، ص ٣٩ من الجزء الاول –

٣ – ص ٥٦ ، ٦١ ٤ – ص ٥٨ ، ٦٣

٥ – ص ٦٨ ، ٧٥ وتتكرر باصرار فى ص١٧٢ ٦ – ص ٤٨ من حرف الالف ، ص ٥٢ من

٧ – المعجم حرف (و) .

ومن فقهاء اللغة ، وقد راوه – ولا بد – قبل أن يعرض على غيرهم ، فهل وجدوا حقا صحة هذه المعلومات ، وصحة عمل أطباء مصر فى العلاج بالأرغيس قشر البراريس ! لا أدرى ، ولا أحسب أقارىء يدرى .. ولقد سألت عطارنا « الحاج ابراهيم » ومثله يسأل عن هذا وما يشبهه فلم أجد عنده علما بشىء من العلاج بالأرغيس قشر البراريس ، ولاعودالريح المغربى وهو يحتفظ فى دكانه دائما بتذكرة داود ، ولعله يأخذ عنها وصفات طب الركة التى من هذا الوادى ، وقد بحث عن الأرغيس قشر شجر البراريس ، أو عود الريح المغربى فى تذكرة داود فلم يجد لها فيها أثرا !

ولئن نسبوا هذا الكلام الى مثل « ابن البيطار » و « الغافقى » فقويت عندهم الثقة ، فقد كان الأولى بأطباء مصر اليوم من أعضاء المجمع أن يجربوا هذه القطرة فى تخفيف الرطوبة ، وقطع بقية الرمد المزمن ، وحفظ العين قبل الرمد ، فيكون ذلك شيئا فى تاريخ طب العيون استفاده أطباء المجمع من نشاطهم اللغوى !.. أما أن يكون هذا الكلام بهذه الصورة مادة لغوية فى معجم كبير يبذل فيه مايبذل من مال ، ووقت ، وجهد رجال ، وسمعة دولة .. فلا .. وألف مرة لا .. على رأى الخطباء . والله المستعان ، حين يعرض هذا المعجم على الذين يحسنون اللغة العربية فى أقطار العرب وحدها ، أما حين يعرضه المجمع على الذين يحسنون العلم بها من المستشرقين فى أقطار الارض كلها كما نص على ذلك فى مقدمة طبعة التجربة (١) فلا يتسع له ستر .

ويارب .. ماذا سيقول هؤلاء الغربيون حين يروننا نقدر المسافات بين بلدين فى شمال افريقيتنا بثلاثة أيام ، مع أن صاروخ أركاب الجديد – فيما أعلنوا – يقطع ثلاثمائة كيلو فى الدقيقة ..!

* * *

فهل ترى معى أن هذا تخلف يطمئن اليه مجمعنا ، ويسجله معجمنا ، أو تراه شيئا أكثر من التخلف وأكثر !

وماذا أنت قائل اذا ما وضعت بين يديك صورة مما كتب فى معجمين للمجمع – لا معجم واحد فقط – عن لفظة لغوية ، ووضعت فى قبالته ما كتب عن هذه الكلمة فى معجم آخر ، أعد عدته رجل فرد لبنانى ، وكان فى أيدى أهل المجمع قبل أن يخرجوا معجمهم الكبير ؟! واليك هذه المقابلة التى تتم بها فكرتك عن المستوى الذى يضعنا فيه عمل المجمع فى معاجمه ؟.. وهى مقابلة بين ما كتب عن كلمة « أبابيل » فى المعجم الكبير ، وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وكلاهما من عمل المجمع ، وما كتب فى « المعجم » للاستاذ عبد الله العلايلى عنها :

أبابيل : جماعات متفرقة ، وهو جمع لا واحد له ، ويجىء فى معنى التكثير ..

أبابيل : وأرسل عليهم طيرا أبابيل – ٣ – أفيل ، أى جماعات كثيرة .

---

١ – المعجم ص (د)

« معجم ألفاظ القرآن الكريم - ١ : ٢ »

ابابيل : جماعة فى تفرقة قال تعالى : وارسل عليهم طيرا أبابيل - ٣ - الفيل

قال الزجاج : جماعات من هاهنا وجماعات من هاهنا .

وقيل : يتبع بعضها بعضا ، أبيلا أبيلا ، أى قطيعا خلف قطيع . قال الشاعر :

أبابيل هلطى من مراح ومهمل

وقال زهير :

وبالفوارس من ورقاء قد علموا
اخوان صدق على جرد أبابيل

ويروى فرسان :

قال أبو نصر : أبابيل يتبع بعضها بعضا مثل الخيل والابل ، والشاء ، لا واحد لها من جنسها .

قال الأخفش : ويقال جاءت ابلك أبابيل ، أى فرقا . وهذا يجىء فى معنى الكثير ، وهو من الجمع الذى لا واحد له

قال أبو عبيدة : هو جمع لا واحد له بمنزلة عبابيد ، وشماطيط ، وشماليل . وقيل واحدها : ابيل وابول . وقال بعضهم واحدها ابيل . وقيل : لم يقل أحد ابيل على فعيل لواحد الأبابيل . وقيل ابول وأبابيل مثل عجول وعجاجيل ، وقيل ابالة وأبابيل كأنها جماعة كما زعم الرؤاسى . وقيل : ابالة وأبابيل ، وابالة . وقال الازهرى : ولو قيل واحد الابابيل ابالة كان صوابا . كما قالوا : دينار ودنانير . وقيل : العرب لا تعرف لها واحدا - اهـ

المعم الكبير - للمجمع - ١ : ١٥٠ - التجربة .

الأبابيل : « فعاعيل » الفرق ، والاسراب « انج TROOP واحد لا جمع له ، وقيل واحده : ابول ، ابيل ، ايبال ، ايبالة ، و - العائش من الحيوان أسرابا أسرابا « انج GREGARIUS .. و - أسطوريا : طير خضر ، لها رءوس كالسباع .

و - قرآنيا ، عند المفسرين : السنونو ، الزرازير . وعند محدثيهم : جراثيم الأوبئة الفتاكة ، وأكدوه بما ترجح تاريخيا من أن مرض الجدرى ظهر أول أمره فى بلاد العرب .. وهنا لا يسعنى الا أن أنبه الى أن كلما أبابيل على كثرة ما قيل فيها ظلت فى محلها من الغموض غير مزحزح . وأجدنى لذلك أكثر ميلا الى أنها مؤلفة من كلمتين : « أباب » ومعناه السراب ، و « ايل » أى الاله . ولا تنس أنه كان للسراب فى حس البدائيين عامة - من حيث هو ظاهرة أعياهم فهمها - معنى الهى مفزع ، وتحت هذا التخريج تبدو الآية القرآنية أكثر وضوحا ، فالطير المذكورة لم تكن الا من مرئيات السراب التى طوحت بهم فى مهلكات الصحارى . والآيات المتتالية بعدها تصوير كنائى لفخامة الهول الواقع بساحتهم .

« المعجم » للاستاذ عبد الله العلايلى - ١ : ٤٥ طبع بيروت

هاتان قرأت ما كتبه معجمـــان مجمعيان اشتركت فى وضعهما العصبة اولو القوة ، ورصدت لهما أموال الدولة وطاقاتها ٠٠ وقرأت الى جانب ما كتبه اولئك ما قاله رجل وحيد لم يتهيأ له شيء من ذلك كله، واعتقد أنك توافقنى كل الموافقة على تسجيل النتائج الآتية لتلك المقارنة :

فى المجمع المؤيد بالدولة :	فى الفرد الفريد :
١ ــ شيء تحت التخلف ٠٠ لا تكاد تجد ما تعبر به عنه	١ ــ مستقبلية ، جريئة ، وثابة ٠٠
٢ ــ شيء تحت الفوضى ٠٠ لا تكاد تجد ما تعبر به عنه	٢ ــ دقة ، وتناسق فى هذه المادة ، تجده فى غيرها كذلك
٣ ــ شيء تحت الجمود ٠٠ لا تكاد تجد ما تعبر به عنه	٣ ــ حيوية فياضة ، تسعف صاحب العربية ، وتسعف المترجم منها واليها
٤ ــ لا شخصية ٠٠ ولا طابع ٠٠ بعد ذلك كله	٤ ــ شخصية قوية ، قدرت غموض المادة ، وقدمت فرضا لغويا لازالته
٥ ــ ألفاظ تشغل بضعة وعشرين سطرا ، وتحوى معنى واحدا	٥ ــ سطران اثنان يحويان المعنى الذى ذكروه ، على وجه أكمل وأقرب
٦ ــ أغفل المعجم اللغوى ، وهو كبير والمعجم القرآنى ، وهو متخصص ، ذكر أى شيء عن التفسير ٠	٦ ــ استوفى المعنى القرآنى قديما وحديثا ، وأيد المعنى الحديث ، وبين ما لفرضه اللغوى من أثر فى وضوح القرآن
٧ ــ عمل رجال كثيرين ، بلغوا العشرة ما بين وزير ٠٠ وشيخ اسلام وجامعى ٠٠ و ٠٠ و ٠٠	٧ ــ عمل رجل واحد ، حضر له منذ ثلث قرن ، ونشر الدعوة له ثم طبق ونفذ
٨ ــ عمل مسبوق لم ينتفع بما سبقه ، فمعجم العلايلى مطبوع سنة ١٩٥٤ ، وتجربة المجمع مطبوعة سنة ١٩٥٦	٨ ــ عمل مبدع ، على غير مثال عربى ــ على الاقل ــ فى احاطة ثقافية ولغوية بارزة
٩ ــ أموال هائلة مبعثرة ٠٠٠	٩ ــ فقر مدقع لم يتهيأ معه الاستمرار فى العمل ٠
١٠ ــ دلالة ذلك كله على عدم رقابة المجتمع	١٠ ــ دلالة ذلك كله على عدم تقدير المجتمع

ولعل القارىء يمضى الى ما وراء ذلك من استنتاجات ٠٠ أما أنا فأكتفى بهذا ، كما اكتفيت من أوجه النقد بالاشارة المجملة ، أو بالمثل الواحد فقط ٠٠ وقد خرجت من ذلك كله والعرق يبللنى ــ فى عز الشتاء ــ وتجسم لى ان العبء ثقيل ٠٠ والدرب طويل ٠٠ وأن على السادة الخالدين أن يضعوا جميعا ذيلهم فى اسنانهم ، ويجروا طيرانا ليصلوا الى شيء ، ويدركوا غبار ركب الحياة ــ ان أمكن ــ وفى مثل هذا فليعرق العارقون ٠

فلسفة المثل الشعبى

بقلم : محمد ابراهيم ابو سنه

خلال النضال الاجتماعى والسياسى على طول مراحل التـــاريخ الذى كان دائما تاريخ طبقات حدثت وفقا للبناء الاجتماعى تحديدات طبقية للثقـــافة والفكر ، وكانت القـواعد الشـعبية لا تكاد تعثر على أوليـات الوســائل للحصول على مستوى ثقافى يصـــلح فى ايجابية وسرعة لتقوية موقفهـــا الملهم الا ما تقوم به المؤسسات الدينية من تلقين دروسها بقصد التوجيـــه الاخلاقى المحض ، وكان لابد من ظهور لون من ألوان الثقافه بمثل عقليـــة ووعى وأفكار الطبقات الشـــعبية . ووجدنا الكثير من النصوص الادبيـة الشعبية التى كانت تكافح فى مرارة لتقف أمام الثقافات الرسمية . **ولكننا ونحن نعرض للاسطورة أو الاغنيـة أو المواويل الشعبية ، انما نعـــرض للوجه الفنى العاطفى فقط من قضايا هذا الشعب بينمـا ـ على ما أعتقد ـ نجد أن الافكار الحقيقية والفلســـفة ذات المنهـج السـلوكى والتى كانت دائما ترتدى المسوح الدينية نجد هذه الافكار تتضح فى لون آخر من التراث الشعبى الاصـيل هو المثل والحـكمة العاميتين ...**

وفى كتاب الادب الشعبى للاستاذ أحمد رشدى صالح نجد المؤلف ينقل عن آرثر تايلور قوله (المثل أسلوب تعليمى ذائع بالطريقة التقليدية يوحى فى غالب الاحيان بعمل أو يصـــدر حكما على وضع من الاوضاع » وبعد تعريفات أخرى للاســـتاذ « داهل » و «سوكوف» يخلص الاستاذ رشدى الى نتائج بلاغية يحدد بهـــا أركان وملامح المثل الشعبى مثل :

١ ـ مجازية الاسلوب

٢ ـ كونه مختصر

٣ ـ واقعية صوره البلاغية

٤ ـ تنغيمه

وفى رأيى أن مثل هذا التناول العلمى البلاغى للمثل يعزلنـا ـ الى حد ما ـ عن المضـمون الفكرى الفنى الذى يستحق المناقشة ، وربما استطعت أن أسمى هـذا التعريف لآرثر بأنه تعريف خارجى وشكلى . وقد رأيت أن **اقف فى هذا المقال اسريع بعيدا عن جفاف التعريفات الاصـــطلاحية**

والبلاغية لا تقوم بمحاولة الانفعال من الداخل بأحاسيس وحكمة شعبنا المجيد .

والمثل كأى مظهر من مظاهر الفكر الشعبى هو « موقف صادق يختزن وجهة نظر قد لا تكون فى الامتداد الايدلوجى السليم ، ولكنها تحمل غبار التجارب الاجتماعية المادية والمثل كتعبير يصوغ الموقف المادى بلا وساطة نظرية » .

ومن هنا نستطيع أن نقول بواقعية تجريبية للمثل تتحرك فيها القوانين الإساسية للتطور الاجتماعى كما يمتاز بخصوبة تصويرية شان أى فكر ينبثق قريبا من العضلات كما فى أغانى الصيادين مثلا. ولن نجد سوى المثل فى حقيبة التاريخ وعاء جيدا يحفظ لنا تراثنا النفسى الخالد بصدق منذ كان الانسان يقاوم على شواطىء النيل هجمات الطبيعة الصارمة وصعوبة العثور على امكانيات العيش فى ظل تلك الظروف العزلاء المبكرة من تاريخنا ، وهو الى جانب شموله صادق فى دلالته الواقعية ، وهو كذلك أغنى موضوعا وأفعل أثرا ، وان كان يتفاعل على صعيد اخلاقى مع مثل الثقافات الرسمية المكتوبة .

والمثل استنادا الى ما قدرناه يمكن أن يسمى تاريخ وحكمة هذا الشعب ففيه تبرز ملامح الوجه الفلسفى لشعبنا . ومن هنا نستطيع أن نحصل على الطاقات المعنوية المتطورة داخل اعصاب رجالنا الكادحين .

ولما كان المثل هو تاريخ وفلسفة هذا الشعب ، فاننا عندما نقرر خصائص هذا المثل انما نقرر فى الوقت نفسه خصائص شعبنا العريق فوق هذه الارض .

الخصائص

الخصيصه الاولى : الصبر

عودت الطبيعة أبناءها فى مصر بما هيأته لهم من وسائل متواضعة للحصول على لقمة العيش ، حيث كانت كل الوسائل تتركز فى أهمية النيل وقطعة الارض وتربية الدواب ، بينما تربض الجبال وراء الشريط الاخضر من الارض المنزرعة . هذه الطبيعة عودت أبناءها فى مصر أن ينتظروا حتى تتمكن البذرة من فتق الارض والارتفاع ببطء حتى تؤتى أكلها بعد عناء شهور طويلة وبالاضافة الى عزيمة الانتظار هذه التى تركت رقعة فسيحة من نفسيه الشعب المصرى صافية صبورة فان بطء هذه الحركة أوحى اليهم بالتأمل المجرد الحزين الباحث عن قوة غيبية تأخذ لهفتهم وتبرمهم بحياتهم وكان الوقت فسيحا متسعا لكل ذلك فلجئوا الى العبادة والى استهلاك طاقاتهم فى الاعمال المقدسة كما اعتمدوا على الاسرار الغيبية المطلقة وراء المنظور من الاشياء . وكان هذا العامل الطبيعى الاول هو الركيزة الاولى

المهدة لما سيأتى بعد ذلك من مناهج أخلاقيه ودينيه وضعت الصيغ البلاغية للمفاهيم الساذجه التى كانت عند هؤلاء الفلاحين البسطاء . **حتى اذا تقدم الزمان وتكاثفت هذه الانعكاسة الطبيعية المنبثقة من ظروف التامل المبكرة الناهضة على قدمين هما الصبر والاعتماد على الغيب مع البرامج الاخلاقية الواسعة النطاق التى كانت تظهر فى أثوابها المقدسه حاملة أيقونات العزاء وترانيم الهزيمة لتصب جمودها على اللهفة والتساؤل اللذين يترددان بصوت خفيض داخل الاحاسيس الشعبية ساحبة على الكون كله رداء من الأبدية الغامضة استطعنا بعد ذلك أن نفسر لماذا كان المثل الشعبى طافحا بالمعانى المواسية والمثبطة والمتواكلة .**

فيقولون فى تسليم « المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين » و « المكتوب ما منوش مهروب » .

ومثل آخر « ان صبرتم نلتم وأمر الله نافذ ، وان ما صبرتم قبرتم وأمر الله نافذ » .

« تبات نار تصبح رماد بهـا رب يدبرها » .

و « الصبر مفتاح الفرج » و « الصابرين لهم الجنة » .

« لو صبر القاتل على المقتول كان انقتل لوحده » .

وعندما تناقش الرجل البسيط حول فلسفه التسليم هذه فستجد فى فمه مثلا عميق الدلالة يبرر به صمته وصبره « العين بصيرة - واليد قصيرة » .

والعابر لتاريخنا منذ التجمعات الاولى حول قطع الارض الزراعية يجد أن الرجل المصرى كان رغم نجاحه فى بناء حضارة شامخه على النيل كان مرهقا ، اما تحت مسئوليات القيام بهذه الحضارة ، أو محطما من جراء الاستبداد الخارجى الاستعمارى أيام الهكسوس والفرس والروم ، أو من جراء الدكتاتورية الداخلية ، فنشأت خلال نضاله الطويل أزمات كان الشعب فيها أضعف من ظروفه التى تحيط به ، فكان كثيرا مايحاول فلسفة وضعه على مستوى امكانياته التى ربما صنعتها له الطبقات العليا للمحافظة على وجودها الوثير ، فكانت تبرر له صبره وصمته بالجمل التى تمتص حتى الثمالة فلسفة الاخلاق الطبقية المعادية له ويواجه نفسه فى النهاية فى هذه الجملة الضيقة « العين بصيرة واليد قصيرة » .

ولكن الروح المصرية لم تستسلم نهائيا فى هذه الامثال ، وانما كانت الروح المصرية تتبع المنهج التاريخى المنبثق من وعى الانسان وتقدم وسائل معيشته .

فنجد أمثالا ضد الصبر :

« احيينى النهارده وموتنى بكره » .

« ادينى اليوم صوف وخد بكره خروف » .

« العاجز فى التدبير يحيل على المقادير » .

وهذه بعض الاسباب التى جعلت من مثلنا الشعبى حقنة مورفين حالة .

١ ـ الطبيعه الاولى التى بدأ فيها تفتح ذهن الرجل المصرى .

٢ ـ تخلف الامكانيات المعيشية للشعب .

٣ ـ المناهج الاخلاقية الانهزامية .

٤ ـ اعتزال الادب المكتوب لروح الشعب .

الخصيصه الثانية

الاخلاقية

مع أن المثل الشعبى مكتنز بالطاقات الشعبيه المعبرة عن روح الألم والتمرد أيضا داخل احساسات هذا الشعب « اللى يحتاجه البيت يحرم على الجامع » .

الا أن المثل يبدو فى ثوب أخلاقى تعليمى لا يساعد كثيرا على انضاج الروح الثوريه واشباع الحاجه الملحة الى التمرد والتحرر ، **ولعل افلاس الثقافات المكتوبة والرسمية وتسليمها زمام قيادها للمؤسسات الدينية لتبدو تعاليم هذه الثقافة الطبقية المنحازة فى ثوب مقدس . أقول لعل هذا الافلاس هو الذى جر وعى شعبنا الصبور الى الجمود والاخلاقيه الدينية المتحفظة .**

وفوق هذا البساط الاخلاقى مهدت العقلية الشعبية حقولها لاستقبال المزاعم والافتراءات الغيبية ، فكان اللقاء حارا بين الافكار الدينيه التى تهب الاقطاعات السماوية للفقراء وبين هذه العقليه التى تنعم باعتدال وجفاف انطفس فى مصر . وقد ترك هذا اللقاء روحا أخلاقية جبارة تغلغت داخل النفوس ثم تبدت فى تلقائية حالة فى أمثالنا الشعبية الذائعة **واذا أضفنا أن المثل هو فى ذاته اسلوب تعليمى منفعل استطعنا أن نقف على سر هذا العشق بين الاخلاق والمثل .**

ونجد مثلنا بعد أن يتداخل هو والاخلاق العامة **حاملا فوق خصائصه الذاتيه خصائص المثل العربى المكتوب بحيث يمكن أن نقول ان المثل كان فى أحيان كثيرة يتوافق مع زميله المثل العربى مثل « فاعل الشر نسمان» « الصبر مفتاح الفرج » ، وهو لا يتصارع مع زميله الا بعد توفر التراكمات الهائلة من التوتر فوق القاع النفسى حيث تنبثق اللحظة الواعيه لتكون شعلة أمام الثورة ..**

وكلنا يعرف محتوى هذه الاخلاق التى استولت على مثلنا الشعبى فوجهته الى البعد عن زخارف الدنيا « لأنها فانية وما حدش واخد منها حاجة » ، ولان هذه الاخلاق ذاتها تضعنا أمام حقيقة غريبة جدا : فهى **عندما تقابل بين الفقراء والاغنياء تجعل من الاغنياء طبقة تستحق الرثاء لانهم يتجهون الى مصير مؤلم وتعس ،حيث يخلدون فى نار جهنم ، بينما يصبح الفقراء الأمراء الذين بيدهم الرغد والنعيم فى جنات الخلد ، ويصبح من الجائز أن نحسد هؤلاء الفقراء سعداء الحظ ، كما**

تترحم على هؤلاء التعساء من الاغنياء ، وهو منطق لا يصمد كثيرا أمام تفسير علمى سليم .

وهكذا يبتعد المثل الشعبى عن المقاومة الايجابيه « الباب اللى يجيلك منه الريح سده واستريح » ، « أنا أول من أطاع وآخر من عصى » . وكما قلت ، يغلب الطابع الاخلاقى على الروح الأصيلة للاحساس « اللى يحفر حفره يقع فيها » .

« اعمل المعروف وارميه البحر » .

« ابن آدم فى التفكير والرب فى التدبير » .

« أهى أرض سوده والطاعم الله » .

« الباطل مالوش رجلين » .

« الجارى على الشر نسمان » .

وان كان — كما قلت — لا يودع روحه الاصيلة العميقة المعبرة عن احساسه بصدق :

« احسب حساب المريس وان جالك طياب من الله » .

ورغم ما هنالك من أمثال حية تقاوم الاستسلام الاخلاقى السلبى ، فان مثلنا يكاد أن يكون موعظة شعبية وفوره . **ونلخص عوامل تغلغل الروح الاخلاقية فى تعابيرنا فيما يأتى :**

١ — الرغبة فى تفسير الظواهر الاجتماعية مع تخلف الامكانيات .

٢ — مرونة هذه الأخلاق واسرافها فى منح الاقطاعيات الأخروية .

٣ — عمل الاخلاق على بث روح التشفى عند الفقراء عندما تعرض عليهم مصير الاغنياء المسرفين .

٤ — الجمود الذى تدعو اليه هذه الاخلاق قريب من نفس الرجل المتعب فهو يريحه من عناء التمرد والثورة .

٥ — واخيرا قداسه هذه المعتقدات وعصمتها .

الخصيصه الثالثه

الهزيمة

بعد اجتماع كل ظروف القهر الماضية بالاضافة الى وجود الاستعمار فى المراحل المتأخرة من تاريخنا ، وأخص المراحل الحديثه لانه كان الاستعمار الذى ركز اهتمامه حول اقتلاع ثقتنا من أنفسنا **ولا زلنا نعانى ازمة الثقة هذه حتى الآن بين شتى مستويات الثقافة والمجتمع ، فالاستعمار قد قام بمزاولة عمله التخريبى فى جبهتين : الجبهة الاولى هى تحطيم اقتصادنا أيام اسماعيل وخنق الروح الثورية أيام عرابى وتفتيت كل المحاولات للنهوض بأى امكانيات ما لخلق وضع آخر . والجبهة الثانية هى ضغط الروح المعنوية وتقنيعها بالمفاهيم الرجعية وتأسيس وتشجيع المؤسسات الرجعية المنهزمة .**

والحقيقة أن انتشار هذا التخريب المعنوى فى صفوفنا وثقافتنا ومدارسنا بحيث انعكس فى كل مناحى حياتنا ليبسر علينا فهم ظهور الروح الانهزامية . **واحب ان نكون واقعيين**

ونقبل الاحكام التى يصدرها التاريخ كمـــا انى لا اريد لمعنى الاطلاق ان يحيط بهذه الـكلمة « الانهزامية » ، فالفتور الذى يعترى نضال الشعوب لا يمكن ان يستمر ، لان التاريخ فى زحفه المرير على سواعد الجموع الكادحة لا يؤمن بالجمود والتوقف .

وكان لانتشار هذه الروح داخـــل فلسفة شعبنا أثر فعال فى خلق وجهة نظر غير سليمة أوحت دائما بأحـكام سلبيه ورجعيه ومتسامحه . ونحـن لا ندهش كثيرا اذا كان مثلنا الشعبى لم يرتفع الى مستوى المقاومة الحقيقية الا فى مراحل حديثة جدا من تاريخنا، ذلك **لان الادب المكتوب نفســه كان يعانى هبوطا ومرضا وسطحية لازمته الى مطالع القرن العشرين ، ولذا اذا وضعنا أذهاننا** واعيـــة تحت ظروف القهر الماضية لا نجد غرابه عنـــدما نسمع مثلا :

« مد رجلك على قد حصيرتك » .

« اللى يجوز أمى أقوله يا عمى » .

« ارقص للقرد فى دولته » .

« اصرف مافى الجيب يأتيـك ما فى الغيب » .

« أقل عيشه أحسن من الموت » .

« اللى ما يرضى بحكم موسى يرضى بحكم فرعون » .

« ان انهدم بيت أخوك خدلك منـه قالب » .

« ان كان لك عند الكلب حاجة قل له يا سيدى » .

« اللى يبص لفوق توجعه رقبته » .

ولكنه يقاوم أيضا فى روعة نادرة :

« اللى ما يقدر عليه القدوم يقـدر عليه المنشار » .

« لما أنا أمير وانت أمير ، مين يسوق الحمير » .

وأحب أن ألخص العـــوامل التى ساعدت على رواج هـــذه الروح فى تعبيرنا الشعبى :

١ ــ تدمير الروح المعنـــوية أيام الاحتلال .

٢ ــ انعـــزال الادب داخـل كتب اللغة .

٣ ــ عدم امتلاك الطبقات المقهـورة لما تنتصر له .

٤ ــ هبوط مســتوى الوعى وعدم الاهتمام بالتربية العسكريه السليمة.

الخصيصه الرابعه

الفكاهة

يترك الشعب المصرى روحه حـــرة طليقة فى تعابيره المختلفة فى الاغنية والاســـطورة والمثـل . **روحه التى اندفعت مع النيـل فى رحلتـه وهو يحمل فوق وجهه ارتعاشـــات دماء الغروب وخيوط القمر الناعمة والأذرع القوية تنشر الأشرعة مغنية هاتفـــة** وتتداخل هـذه الصـور البسيطة مع **اعتدال المناخ وفلسفة الصبر هذه فى حركة نفسية اختص بها شعبنا المصرى فيحيل حياته المبتلة بالدموع الى ضحكة**

كبيرة لا مبالية ونكتة عاريه ناقصة .
ونستطيع أن نقول **ان الفكاهة نفسها ظهرت فى أدبنا كلون من ألوان النقد بطريق غير مباشر . لان الفكاهة نفسها هى النقد بطريقة عرض الاخطاء فى صور هازلة .** والتراكمات النفسية ترغم على ما يسمى فى علم النفس **بالتصعيد أو التفريغ . فالفكاهة عند الشعب المصرى** هى هذا التفريغ الذى يصب فيها احساسه بالمرارة فى وضع مقلوب هربا من قيود القانون والاخلاق والشرطة ، ونجده يلتمس هذه الفكاهة فى وسائل صناعية أيضا فيقدم تدخين المخدرات محاولا بذلك أن ينسى وجوده وأن يضحك ويجيبك لو ناقشت سلوكه هذا قائلا « ماحدش واخد منها حاجة » ، فهو يضحك من أعماقه **لان الفكاهه عنده بديل للسرحان والتخيل البعيد المدى بالنسبة للمكبوت ، فكما يطلق الرومانسى أحلامه خلف البريق، ينسكب الشعب المصرى فى ضحكاته** متسللا من وراء الآلام ليطلق حكمته بعد ذلك مخمورة ضالة « اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب » وهو يسخر من الناس فى شكل جحا «جحا أولى بلحم طوره»

« الجعان يحلم انه فى سوق العيش» .

« ادلعى يا عوجه فى السمنة السودة » .

« أقرع ودقنه طويله » .

« أقول طور يقول احلبوه » .

« ويش تقولوا فى جدع لا عشق ولا اتمعشق قالوا يعيش حمار ويموت حمار » .

« البقرة بتولد والطور بيحزق ليه» .

« الحاجه اللى ما تهمك وصى عليها جوز أمك » .

وشعبنا يؤمن بالبخت والنصيب :

« قليل البخت يلاقى العضم فى الكرشه » .

وهو يعبر عن تكامل الحصار المضروب حوله وتجانس الظروف السيئة التى تحيط به فيقول : «جبتك يا عبد المعين تعنى لقيتك يا عبدالمعين تنعان » وهو بعد ذلك خالى الوفاض :

« ايه ياخد الريح من البلاط » .

المثل الشعبى فلسفة شامخة تتصايح فى جوانبها آلام القرون وحكمة الهزيمة .

وتلك بعض أسباب انتشار الروح الفكاهية :

١ ـ بساطة الروح المصرية تبعا لاعتدال المناخ .

٢ ـ التازم النفسى .

٣ ـ الرغبة المستورة فى النقد والتمرد والثورة .

مستقبل المثل الشعبى

تتضافر كل القوى المندفعه مع حركة التطور الشامله في نهضتنا الحديثة نحو تحقيق وضع أحسن لكل مرافق الحياة ، ونحن فى مرحلتنا هذه الثورية نشهد التقارب بين الطبقات كما تكفل التشريعات حماية الانسان من السخرة والعبودية ، وهى بذلك تسير الى الغاء السيطرة الفردية الغاء

تماما لتضع زمام الحياة فى يد القانون والديموقراطية . كما نشهد ان الادب يقوم بتجارب شعبية ناضجة محاولا بذلك فتح نوافذ كثيرة على الحياة الادبية الشعبية ، ويتضح هذا من الاهتمام الشديد بقضايا الادب الشعبى ومحاولة تبنيه ، فى الوقت الذى تخلى فيه الادب المكتوب عن غرابة لفظه وصعوبة تراكيبه ليلتقى فى القاعدة مع المفاهيم الصادقة التى تعيش فى ادبنا الشعبى .

وفى ظل مثل هذه الظروف التى تسير الى التكامل نستطيع ان نقول بمستقبل عظيم للأدب الشعبى بوجه عام ، والمثل أو الحكمة بوجه خاص . واستطيع أن أضع الاسس التى اقمت عليها تفاؤلى فى هذه الاسباب :

١ ـ تقدم الامكانيات المادية فى بلادنا .

٢ ـ التقاء بين الأدبين المكتوب والشعبى فى حدود المفهوم الانسانى الواقعى .

٣ ـ الظروف السياسية الجديدة صالحه تماما لخدمة أغراض الشعب . وستنتصر اخيرا حكمة جديدة واعية لهذا الشعب الصابر العظيم .

ثقة فى حرية

قال مسكين الدارمى الشاعر الاموى :

وانى امرؤ لا آلف البيت قاعدا ... الى جنب عرسى ، لا افارقها شبرا
ولا مقسم لا تبرح الدهر بيتها ... لأجعله قبل الممات لها قبرا
اذا هى لم تحصن أمام فنائها ... فليس ينجيها بنائى لها قصرا
ولا حامل ظنى ، ولا قيل قائل ... على غيرة حتى أحيط به خبرا
وهبنى امرا زاعيت ، ما دمت شاهدا ... فكيف اذا ما غبت من بيتها شهرا

وقال :

الا أيها الغائر المستشيط !! فيم تغار اذا لم تغر
فما خير عرس اذا خفتها ... وما خير بيت اذا لم يزر ! !
تغار على الناس أن ينظروا ... وهل يفتن الصالحات النظر
فانى ساخل لها بيتها ... فتحفظ لى نفسها او تلن
اذا الله لم يعطنى حبها ... فلن يعطى الحب سوط ممر

الشعر

فن الشعب

مراكب القمح ساعة العصر عوامـــة
فوقها رجال ســـمر بوجوه بسامه
وتنطلق م المراكب غنـــــوة الجدعان
من فرحة القلب قالة : سالمة ياسلامة

الكل من بعد غربة • رد للخـــــلان
فرحان • ولازم تترجم فرحته الالحـــــان
والفن يظهر هنـــــا • لو فن يا ريس ••
احنا اللى نحكم باحساننا على الفنـــان

احنا « أبوالفن » ندرى الفن والمعنى
نسمع • ونفهم •• ولكن مين بيسمعنا .
الغنوة تدخل دماغنا تعيش على لساننا
يموت صاحبها • وتفضل غنوته معنـا !

عشان كده ـ فن سيد ـ مستحيل ننساه
لأنه ـ منا وعلينا ـ رنته ومعـــــناه .
كانت عموم الفنون ـللقصر ـ وصحابه
وفن سيد لوحـــده كان لنـــا • ولله

يا « شهرزاد » والنبى تحكى تاريخ مشهور
ف يوم ما لف البلد ـفنانها ـ بالحنطور
ساير ينادى • وكل الشعب ورا منه
وكان نتيجة كده •• اتحقق الدستور

بين « الهلال والصليب » خش العدو بألاعيب
وقع ما بينهم • وكان راح يحصل التخريب ••
فى يومها « سيد » بغنوة وفق الاثنين
« الكل مصرى • لا فرق ما بين هلال وصليب »

الفلاحين • والصبايا • والصنايعية
رسم صورهم بفن • فى كل أغنية
شطب النواح م الاغانى و «يا للالى أمان »
واصبحت « مصر » فيها غنوة مصرية

يا ريس الفن • فين سيد وأيامه ؟ •
يكونش يوم ما ندفن • دفنوه بأنغامه ؟!
لكن • دنا باسمعه جوه « نغم » غيره ••
واللى بيعمل كده ما حد يوم لامه

مراكب القمح • عوامة بفن جميل ••
عايش بقاله سنين ف دماغ « مراكبى أصيل »
ياداخل « المكتبة » سيد ماهش فيها

لكنه جوه « الورش » وعلى شطوط النيل !
« عيبه » علينا نخلد فنانين بره
ونوزعو لهم فنونهم حلوة مع مرة
الأولى « سيد » •• دا سيد صوته بينادى
من جوه قبره « زورونى كل سنة مرة » !

أرملة الشهيد

الليـــل عمـــلاق تمـــدد في محفته المهيبـــة
والصـــمت اجنحة تلف الكون فى ظلل رهيبـــة
والـكل ذاق النوم ٠٠ الا مهجة حرى ســـليبه
تتثـال ســـود الذكريات على خواطرها الكئيبـه
وصـــغيرى الحلو البرىء جفتـــه رقدته الحبيبه
فمضى يبعثر فى الدجى اشـــلاء أسئلة غريبـــه
عن والد مضت الســـنون عليـــه كسلى لم يعـد
ومضى وخلف ذكـــريات الأمس نارا تتقـــد
وأجيب طفلى : فى غـــد ياتى أبوك الى الديار
أخفى صريح عواطفى عنـــه ٠ ٠ وفى جنبى نار
هو لن يعود اليـــه ٠٠ لكنى أمنيـــه المنى
وأصيح : نم ٠ ٠ فالفجـــر أوشك أن يمر بدربنا

نم يا بنى ٠٠ فـــروحى اللهفى تروحـــك فاديه
لا تنزعج ٠ ٠ انى أضـمك فى حمى أحضانيـــه
ويصيح فى شغف ٠٠٠ أيرجع لى أبى يا أميـه ؟
ويعود يحمـــل ضـاحكا لعبى الجديدة زاهيـــه
وأجيب نـــم ٠ ٠ بالله لا تدمى جـــراح فؤاديه
أتظن يا ولدى الصـــغير أباك يرجـــع ثانيـــه
وهنا ٠٠ تتمدم فى ضلوعى صرخة السر الرهيب
ويهزنى ضـــعفى ويعتصـــر الفؤاد ضنى عجيب
فأعود أخنق صـــوت سرى كى تواريه الضـــلوع
وأكتم الزفرات فى صـــدرى فتفضـحنى الدموع
وأصـيح يا ولدى أبوك الحر مات « ببورسعيد »
نهشته أنيـاب الذئاب كخير جنـدى شـهيد

هـذى الرمال القانيـــات شربن يوما من دمه
والأرض كالأم الحنـــون تضـــم باقى أعظمه
وتعيـــد قصـــة مارد القى بقايا قمقمه
ومضى يزمجرد كالعواصف ٠ ٠ والنشيد على فمه
ويصـارع الأعـــداء ٠ ٠ يسقيهم مرارة علقمه

كالهول ٠ ٠ يردى قاتليه بقبضتيه ومعصمه
لكنهم قتلوه بركانا يلمدم مدفعه
وتصد جند الشر عنا قبضتاه واذرعه
ويصيح فى الأبطال صيحات ستبقى كالزمن
يوصى رفاقا فى الكفاح بأن يظاوا للوطن
حتى يردوا عن ثراه الحر طوفان العفن
ويفجروا الأنوار كالشلال من هذى البقاع
وليبعثوا عملاقنا العربى مرهوب القلاع

* * *

هذى حكاية والد أغفى هناك على القناه
قد فجر النيران كالبركان تعصف بالجناه
ضحى بلذات الحياة لكى يتيح لك الحياة
ورمى بجثته ليوقف عنك طوفان الغزاه
ويرد أسراب التتار المعتدين على حماه
من جند هولاكو ٠ ٠ ومصاصى الدماء من الطغاه
ماذا ٠٠ ٠ أتبكى ؟ لا فانى لا أحب لك البكاء
أنا قد رجوتك لانتقام عاصف مر اللقاء
للثأر ٠ ٠ من كتل الذئاب المعتدين على القيم
من جرعوا غدرا أباك الحر مشبوب الحمم
ورموا به ورفاقه الأحرار فى هذى القفار
لم يرحموا آلام مثلك يا بنى من الصغار

* * *

والآن ٠ ٠ علمت يا بنى علمت أين مضى أبوك
وعرفت قصة قاتليه ٠ ٠ عرفت من قد يتموك
وعلمت قصة « بورسعيد » ٠٠ وانتصار مواطنيك
فى الملحمات الحمر ٠ ٠ فى حرب أذلت غاصبيك
فاذا جنيت غدا ثمار النصر أنت ومن يليك
ورأيت نور الفجر يشرق فى الهضاب على بنيك
فاقصص عليهم قصة عن سر أرملة رهيب
أخفته فى أضلاعها عن طفلها الغض الحبيب
لكنها فى ذات ليل مزقت عنه الحجاب
ومضت تقص على الصغير الغض آلام المصاب
فروت حكاية والد أغفى هناك على القناه
ضحى بلذات الحياة لكى يتيح لك الحياة

عبد الفتاح شتا

الغامضة

أين ذاك الطبع الصراح ، أجيبيني ، وأين الحنـــان والهمســـات ؟
والنداء الحنون ، والحـــلم الزاهي ،وعهـــــد تزينـــه البسمات ؟؟
أين قول منه العـــذوبة تنســـاب ،وحب تحـلو لديه الحيـــاة ؟؟
عبثا أســـكت الفـــؤاد بآمالي ،ووهمي مجنحـــــا أقتـــات

يا ربيعا لملمت منـــــه زهـــورا للأماني ، أمالها نفحـــات ؟
تهت في عالم الفنـــون ، ووهمي حالك ، لا تضـــيئه الآيات
طلسم أنت ، في غموض « وسحر » فلسـفات لم تدرها الـــكائنات
يا غموض الاله ، يا عالمي المجهول ، اني تخـــــيفني الظلمـــات
أغمـــوضا ، والقلب يشـــقيه حب وبعيني ترقرق العـــبرات ؟؟
ونهـــاري هم ، وليلي ســهاد وحصـــادي من حبـك الذكريات ؟؟
دغـــدغ القلب منك صـــوت رقيق فأبانت عن فـــرحتي القســمات
واشرأبت طلى الأمـــــاني ، وهاجت بين جنبي جمـــة رغبـــات
وانتشت من هـــواك نفسي ، وصلت فوق ثغـري لحســنك النغمـــات
ونهـــوني ، اذ أنت فوق النجـــوم الزهـــر ، لا ترتقي تلك الأمنيـات
فتبسمت ســـاخرا ، وهفـــا الروح حنـــونا ، وضـــجت الآهات

أقسم القلب أن يحبـك ، مهما عظمت ـ دون حبـــك ـ العقبـــات
صرحي ... ليس في هـــوانا ذنوب انمـــا نحن في الغـــرام تقاة
أملٌ ناضر ، وخفقـــة شـــوق ولقـــاء للحسن فيـــه صـــلاة
لوني بالفتون عمري ، وكوني الفجر في مقلة ، شـــجاها الســـبات
وأضـــيئي عمـــري بنور رجاء ولتلح من جمـــالك الومضـــات
لم أكن أفهم الحيـاة ، ولا الحب ، الى أن حلت بقـلبي فتـــاة
فعرفت حمص الحيـــاة سرا عميقا انما الحب والجمال الحيـــاة

حمص

شكري هلال

انا: والحب.. والجنس(١)

كانت ترفرف كالملاك على الغرام الطاهر
كانت كازهار الصباح ، وكالنسيم العابر
حتى فطنت الى الجمال العبقرى الثـــائر
فسرى بأعماقى شعور لم يكن فى ظاهرى
فلقـــد رايت حبيبتى انثى تثير جوارحى
وصراخ أهواء الشباب يضج بين جوانحى
والرغبة الهوجاء تملأ نظرتى وملامحى
آه ... فما قول الحبيبة فى الغرام الجامح
ام انها لم تدر ماذا قد طوته مشـــاعرى
والنظره الحمراء والجنس الجموح بخاطرى
ماذا تقول عن اضطرابى وابتسامى الفـاتر
لما تدفق فى العروق دم الشباب الفائر
ياويح نفس هل جننت فاشتهى محبوبتى
هذا الملاك المستهاب ، فما أضـــل رغيبتى
كيف اشتهيت لنفسى التدنيس بعد طهارتى
وحبيبتى العذراء تشدو للهـــوى ببراءتى
ماذا تقول اذا رات رب البراءة مذنبـــا
والنفس بين تنازع الأهواء تبغى مأربـــا
يارب هل أرضى هواى لكى أعيش معذبـا
واذا كتمت الرغبة الهوجاء .. لا .. لن ترحما
لكنها ستعج بالاحشاء أو بين اللما
حتى يحررها جهادى قبل أن يتحطما
فتموج السنة اللهيب تريد ان تطفى الظما
واظل ياربى شقيا يستخف بى القـــدر
فيحيطنى بالمغريات ويبتلينى بالخـــطر
ويريد منى أن أفر من القضا .. كيف المفر!
ياايها القدر الظلوم الست تدرى ما البشر
آه من القدر المســـلط فوق قلبى بالألم

١ ــ تأخر نشر هذه القصيدة حينا .. وتنشر الآن طلبا لرأى البيئة الفنية فيها ؟

يمضى به عبر المخطوب من الحياة الى العدم
والقلب يختصر الطريق فيستزيد من السقم
هانت عليه حياته ٠٠ فحياة موت لاتهم
يارب هذى صيحة من حائر ومضـــــيع
يرجو الهدى فى أمره ٠٠٠ بل صيحة الدنيا معى
أبدا يعذبنى الضمير وصوته فى مسمعى
وتحيط أشباح الخطيئة بى فقضت مضجعى
أبدا تطاردنى الخطيئـة والحيـاة بلا أمل
حتى برمت بعيشتى مابين أشباح الزلـل
واذا رأيت حبيبتى نكست رأسى فى خجل
لكنها علمت بدائى والعذاب المعتمـــل
قالت « ترفق يافتى وانعم بهاتيك الحياه »
« انى أنا أنثى وأهوى ما تحب الانثيات »
« وأنا هنا ملك اليك فكيف تهفو للممات ! »
« فامرح وغنى للحياة لكى نعيد الذكريات »
قلت « كلا يافتاتى ليس هـــذا بالغرام »
« فالغرام الحق نور ينجلى فيه الظـلام »
قالت العذراء « حقـــا انه نور الوئام »
« والنور يطفئه الخروج على تعاليم الانام »
« والغرام الحق قربى بالقلوب وبالجسد »
« فى شرعه قدسية قامت على خير العمـد »
هكذا قالت فتـاتى فى حمـاس متقـد
فارتبطنا فى الحياه على النعيم الى الابـد

ابراهيم حماد الشيخ

عشرة هنود

قصة : همينجواى

بقلم : رجب البنا

كان « نيكولا » عائدا من المدينة متأخرا فى عربة نقل كبيرة مع « جو جارنر » وأسرته • وبعد ربع المسافة من « جولى » كانوا قد داسوا تسعة هنود سكارى فى الطريق • تذكر انهم تسعة لان « جو جارنر » بينما كان يقود العربة فى الظلام قد جذب أعنة الخيل ، وقفز الى الطريق، وأخذ يجر أحد الهنود من تحت العجلات• كان الهندى ممددا ، ووجهه فى الرمال فجره «جو» الى الدغل ثم قفز الى العربة •

قال « جو » :

ـ هذا يجعلهم تسعة بالضبط ، من هنا الى حافة المدينة •

قالت مدام جارنر :

ـ انهم هنود •

كان «نيكولا» فى المقعد الخلفى مع ولدى «جارنر»• وكان ينظر الى الوراء من المقعد الخلفى ليرى الهندى حيث يجره « جو » الى جانب الطريق•

وسال « كارل » :

ـ أكان هو « بيل تابلشو » •

ـ لا •

ـ كان سرواله ضخما مثل «بيل»

ـ كل الهنود يلبسون هذا النوع من السراويل •

وقال «فرانك» :

ـ اننى لم أره بالمرة ، بابا نزل الى الطريق وعاد يركب ثانية قبل أن أرى شيئا ، ظننت أنه كان يقتل أفعى •

ـ كثير من الهنود سيقتلون الافاعى الليلة ، فيما أظن •

ـ انهم هنود •

قالتها مدام جارنر

وواصلوا المسير • وأخذ الطريق يتحول من الشارع العام متجها الى التلال •

كانت الخيل تجر العربة فى صعوبة فنزل الولدان وسارا على قدميهما •

كان الطريق مليئا بالرمل • نظر « نيكولا » للخلف من قمة التـــل الى مبنى المدرســة فرأى أضـــواء «بيتوسكى» وعبر « ترافوس باى » الصغيرة •• كانت اضواء « هاربور » تتلألأ • ثم صعدوا الى العـــربة مرة ثانية • قال « جو جارنر »

ـ كان ينبغى أن يضعوا شيئا من الحصى على الطريق •

وتقدمت العربة فى الطـــريق عبر الاشجار •• وكان جـو ومدام جارنر جالستين متلاصقتين معا فى المقعـــد الأمامى ، وجلس « نيـــكولاى » بين الصبيين ،وانتهى الطريق الى الخلاء •

ـ هنا تماما المكان الذى كان أبى يطارد فيه الظربان •

ـ كان أبعد •

قال «جو» دون أن يدير رأسه :

ـ اننى لا أعبأ بالخلاف حول تعيين المكان ، فكل مكان يصلح لمطـــاردة الظربان •

قال « نيكولا » :

ـ لقد رأيت اثنين من الظربان أمس

ـ أين ؟

ـ عند البحيرة ، كانا يبحثان عن السمك الميت على طول الشاطىء •

قال كارل :

ـ من المحتمل ان يكونا من الراكون

ـ بل كانا من الظربان •• أظن اننى أعرف الظربان •

ـ كان الأصلح لك أن تحصل على فتاة هندية •

قالت « مدام جارنر » :

ـ كفا عن الحديث فى هذه الأمور

وضحك « جو جارنر » :

ـ حسنا ، انهما يبحثان عن نفس الشىء •

قالت « مدام جارنر » :

ـ كف عن الضحك يا جو ، انا لا أحب أن يتحدث كارل فى هـــذه الأمور ••

وسأل « جو » :

ـ وهل حصلت على فتاة هنـــدية يا نيكولا ؟

ـ كلا •

قال « فرانك »

ـ بل لديه أيضا ، يابابا « برودنس ميشيل » هى فتاته

ـ لا ••

انها ليست كذلك ••

ـ انه يذهب ليراها كل يوم •

ـ لا •• أنا لا أفعل •

كان « نيكولا » جالسا بين الصبيين فى الظلام •

وقد أحس بالراحة والسـعادة فى أعماق نفسه لأنهم يغيظونه ببرودنس ميشيل ، وقال :

ـ انها ليست فتاتى •

فقال « كارل »

ـ اصغوا اليه ، اننى أراهما معا كل يوم •

وقالت أمه :

ـ ان كارل لا يستطيع الحصول على فتاة ، حتى ولو كانت هندية •

كان كارل هادئا •

وقال « فرانك »

ـ كارل ليس لبقا مع الفتيات •

ـ أصمت أنت •

قال « جو جارنر » :

ـ انك على حق يا كارل . ان الرجل لا يحصل على فتيات حيثما كان ، أنظر الى أبيك .

واستدارت « مدام جارنر » نحو جو بينما كانت العربة تهتز .

ـ هذا هو ما ينبغى ان تقوله .. حسنا .. لقد كان لك فى زمانك فتيات كثيرات .

ـ سأراهن بابا . ألم يتخذ مرة فتاة هندية .

فقال « جو » :

ـ لا تفكر فى هذا ، خير لك ان تحتفظ فى حرص « ببرودى » يا نيكولا .. وهمست له زوجته بشىء ما فضحك جو .

وسأله « فرانك »

ـ علام تضحك ؟

فحذرته زوجته

ـ لا تفعل يا جارنر .

فضحك جو وقال :

ـ نيكولا يستطيع الحصول على برودنس .. ولقد كانت لى فتاة حسنة

قالت مدام جارنر :

ـ هكذا ينبغى ان تتكلم .

كانت الخيل تجر العربة فى الرمال بصعوبة ، وكان «جو» يطرقع بالسوط فى الظلام .

ـ تقدم ، سر ، ان عليك غدا ان تجر العربة وعليها عدد أكبر من هذا .

وركضت الخيل منحدرة عن الربوة العالية . وارتجت العربة ، وعند دوار المزرعة نزل الجميع . وفتحت مدام جارنر الباب ، ومضت الى الداخل ، وعادت ومعها مصباح فى يدها . وأنزل « كارل » و « نيكولا » الامتعة من الناحية الخلفية للعربة . وجلس « فرانك » فى المقعد الأمامى ليذهب بالعربة الى المخزن ويفك الخيل . وصعد « نيكولا » درجات السلم وفتح باب المطبخ .. وكانت مدام جارنر قد أعدت نارا فى الموقد ، واستدارت بعد أن سكبت الكيروسين على الخشب .

قال « نيكولا » :

ـ استودعك الله يا مام جارنر ، شكرا على استصحابكم لى .

ـ أوه . يانيكولا !! اسكت

ـ لقد قضيت وقتا ممتعا .

ـ اننا نرجو ان تسمح أنت . بأن تبقى معنا وتتناول بعض الحساء .

ـ بل أفضل ان أذهب ، فانى أظن ابى ينتظرنى عاليا ..

ـ حسنا . فالى مرة أخرى ، أرسل كارل الى المنزل ، أتفعل ؟

ـ وهو كذلك .

ـ عم مساء يانيكولا

ـ عمى مساء يا مدام جارنر .

وخرج «نيكولا» من ساحة المزرعة، وانحدر الى المخزن . كان « جو » و «فرانك» يحلبان . فقال نيكولا :

ـ مساء الخير . لقد قضيت وقتا طيبا .

وصاح « جو جارنر » :

ـ مساء الخير يانيكولا ٠٠ الاتبقى لتاكل معنا ؟

ـ كلا ، لا أستطيع ، أتخبر كارل ان امه تريده ؟

ـ هو ماتريد ، عم مساء يانيكولا٠

وسار « نيكولا » حافى القدمين فى الممر فى أرض الحديقة المنخفضة عن المخزن ٠٠ وكان الممر رطبا ٠٠ وكان الطل باردا على قدميه العاريتين، وتساق حاجزا فى نهاية الحديقة ، منحدرا الى أخدود فيها وغاصت قدمه فى وحل المستنقع ، وعندئذ قفز الى أعلى نحو أشجار الزان الجافة حتى رأى أنوار الكوخ ، فتسلق السياج ثم استدار نحو الدهليز الأمامى ٠٠ ومن خلال النافذة رأى والده جالسا الى المائدة يقرأ فى ضوء المصباح الكبير٠ وفتح « نيكولا » الباب ودخل ٠

فقال أبوه :

ـ حسنا يا نيكولا ، أكان يوما طيبا ؟

ـ قضيت وقتا جميلا ٠٠ كان يوما عظيما من أيام يوليو ٠

ـ أجائع أنت ؟

ـ أنت تراهن ٠

ـ ماذا فعلت بحذاءيك ؟

ـ تركتهما فى العربة عند آل جارنر

ـ تعال ، أخرج الى المطبخ ٠

واتجه والد « نيكولا » الى الامام ومعه المصباح ، ووقف ليرفع غطاء الثلاجة ٠

ومضى نيكولا الى المطبخ ٠ فاحضر والده قطعة باردة من كتكوت، وابريق اللبن ، ووضعهما على المائدة أمام نيكولا ، وأنزل المصباح ، وقال :

ـ هنا بعض الفطير أيضا ، هل يعجبك ؟

ـ انها لذيذة ٠

وجلس والده فى مقعد بجانب غطاء المائدة المشمع ، وكان ظله كبيرا على جدار المطبخ ٠

ـ الذى ربح مباراة الكرة ؟

ـ بيتوسكى ٠٠ خمسة لثلاثة ٠

وجلس والده يراقبه وهو يأكل ، ويملأ كوبه من أبريق اللبن ٠ وشرب « نيكولا » ٠٠ ثم مسح فمه بالمنشفة٠ وشب والده الى الرف ليصل الى الفطير، وقطع لنيكولا قطعة كبيرة ٠٠ كانت صلبة كالعظام ٠

ـ ماذا فعلت يا أبى ؟

ـ خرجت اصطاد السمك فى الصباح ٠

ـ وماذا اصطدت ؟

ـ واحدة فقط ٠

وجلس الوالد يراقب « نيكولا »

ـ وماذا فعلت بعد الظهر ؟

وهو يأكل الفطير ٠ وسأله نيكولا :

وماذا فعلت بعد الظهر ؟

ـ ذهبت أتمشى ناحية المعسكر الهندى ٠

ـ هل رأيت واحدا من الهنود ؟

ـ كان الهنود كلهم فى المدينة يشربون ٠

ـ ألم تر واحدا منهم مطلقا ؟

ـ أرأيت صديقتك برودى ٠

ـ أين كانت ؟

ـ كانت فى الغابة مع « فرانك واشبورن » ، فجريت نحوهما ، وكانا قد قضيا وقتا ما .

ولم يكن والده ينظر اليه ، وهو يتكلم .. فسأله :

ماذا كانا يفعلان ؟

ـ لم أبق طويلا لأستكشف الامر

ـ أخبرنى ، ماذا كانا يفعلان ؟

قال والده :

ـ لا أعرف ، سمعتهما فقط يتهامسان من حولى .

ـ كيف عرفت أنهما هما ؟

ـ رأيتهما .

ـ أظن انك قلت انك لم ترهما ..

ـ أوه ، لا ، بل رأيتهما .

وسأل « نيكولا » :

ـ من كان معها ؟

ـ فرانك واشبورن .

ـ هل كانا .. هل كانا ..

ـ هل كانا ماذا ؟

ـ هل كانا سعيدين ؟

ـ أظن ذلك .

ونهض والده عن المائدة ومرق من ستارة باب المطبخ .. وعندما عاد كان « نيكولا » يحملق فى طبقه .. وهو يبكى .

ـ قطعة أخرى ؟

والتقط والده السكين ليقطع الفطير .

قال « نيكولا » :

ـ لا .

ـ من الافضل لك أن تأخذ قطعة أخرى .

ـ لا ، لا أريد شيئا .

« واخذ والده ينظف المائدة .

فسأله « نيكولا » :

ـ أين كانا فى الغابة ؟

ـ خلف المعسكر ؟

وحملق « نيكولا » فى طبقه فقال والده :

ـ من الافضل ان تذهب الى الفراش يا نيكولا .

ـ وهو كذلك .

وذهب « نيكولا » الى غرفته ، فخلع ملابسه وتمدد فى الفراش . وسمع والده يتحرك ويدور فى حجرة الجلوس . كان « نيكولا » ممددا فى فراشه ووجهه فى الوسادة ، وهو يفكر لقد تحطم قلبى ، اذا ظلت مشاعرى هكذا فلا بد ان قلبى سيتحطم .

« وبعد لحظة سمع والده ينفخ المصباح ويذهب الى حجرته . سمع ريحا تتجه الى الاشجار فى الخارج ، وشعر بها تتسلل باردة من خلال الستائر .. فرقد فترة طويلة ووجهه فى الوسادة ، وبعد وقت نسى أن يفكر فى « برودنس » . ثم استغرق فى النوم .

وعندما استيقظ فى الليل سمع صفير الريح بين الاشجار فى الخارج ، وأمواج البحيرة تأتى اليه من الشاطىء . وعاد ثانية الى النوم .

وفى الصباح كانت ريح هائلة تهب ، وكانت الامواج ترتفع وترتطم . كان قد ظل مستيقظا لفترة طويلة قبل ان يتذكر أن قلبه قد تحطم .

الشفخانة

بقلم : مصطفى الأسمر

ترجل سلامه عن حمارته عندما احس بها تعرج عرجا خفيفا ، وتحسست يده ساقيها الخلفيتين فاصطدمت أصابعه النحيلة بخدش صغير بساقها اليسرى .. وساعتها تسمرت أصابعه على الخدش الصغير تريد أن تخفيه عن الأعين ، وتذكر سلامة كل أحاديث القرية عن الشفخانة . ذكر حمار الشيخ عوض وعم مرسى ، والحاج يوسف ، وتتابع على ذهنه باقى القائمة لتلك الدواب التى قادها العسكرى الى الشفخانة ولم ترها القرية بعدها ابدا - كأنما الشفخانة مقبرة لا حياة لمن يطؤها - وبحركة لا شعورية دس سلامة يده فى صديريته القديمة الممزقة وجلب سلسلة طويلة صدئة فظهرت حافظة جلدية ضخمة دس يده فى جوفها وتحسس جوانبها يبحث عن شىء معين ، وخرجت يده ببضعة قروش اخذ يعدها فى لهفة ثم تنهد فى ارتياح عندما جاوزت الخمسة ثم سار فى حذر شديد وعيناه ترقبان الطريق الطويل منتظرا ان تنشق الارض فجأة عن عسكرى الشفخانة بقامته الطويلة المفرطة فى الطول وعصاه الخيزرانية الرفيعة التى لاتفارق يده أبدا ، انه لم يره فى حياته ولكنه يعرفه جيدا . يعرفه أكثرة ماسمع عنه . وارتجف سلامة وساءل نفسه :

- أقدر عليه أن يراه أخيرا ..؟

ولعن الظروف التى أجبرته على الحضور للمدينة بحمارته .. فهو على اللوام - حتى وهى سليمة - يتحاشى أن يحضرها معه .. اذ كان يعرف أنه متى وقع عليها نظره فلا بد أنه آخذها للشفخانة مهما توسل واستعطف الا .. اذا دفع المعلوم ، فحينها فقط سيخلى سبيله ويطلق سراحها حتى لو كانت تموت .. ومسح سلامة ظهر حمارته فى حنان زائد والاوهام والمخاوف تملأ خياله . وفجأة - ولا يدرى كيف حدث هذا - أبصره أمامه بقامته الطويلة وعصاه الرفيعة .. وارتجف وحاول النطق ولكن لسانه انحبس فى فمه .. ومرت لحظات كئيبة وعيناه معلقتان بفمه الواسع ذى

الشفتين الغليظتين ، ولاحظ العسكرى ارتباك سلامة - أو هى عادته على اللوام - فالتزم الصمت وعينه تتامل الحمارة وتدقق فى أجزاء جسدها كله .. وشعر سلامة باعياء ودوار عندما تركزت عينا العسكرى على الخدش تتفحصه فى لذة وانتصار .. وهز العسكرى رأسه فى تأن وكبرياء ثم نزع البريه عنه ومر باصابعه فى شعره القليل وهو يهمهم بكلمات مبهمة .

وتشبث سلامه بعنق حمارته وقد تمثل له المصير المحتوم الذى ينتظرها . ثم تحسس حافظته الجلدية يطمئن على وجودها .. وحاول التكلم ولكن العسكرى قاطعه فى حدة :

- قدامى على الشفخانة ...

ورفع سلامة يده محتجا :

- لكن دا خدش بسيط ...

وزام العسكرى وكشر وضرب الحمارة فى قسوة باتفة بعصاه الرفيعة ، ومط شفتيه وقال :

والله عال .. ألا ترحم حيوانا اخرس لا يستطيع الشكوى ..؟

وتحسس سلامة موضع الضربة على فخذ حمارته فى ألم ، ثم أعاد قوله فى تصميم :

دا خدش بسيط ...

وانتفض العسكرى كمن لسعته عقرب وانهال ضربا على ظهر الحمارة ليجبرها على المسير ، ولم تتحرك بالرغم من قسوة الضرب كانما تشارك صاحبها فى احتجاجه .. او لان سلامة أمسك بزمامها فى استبسال ليحول بينها وبين السير والتقدم لمصيرها المحتوم .. واشتد الهياج بالعسكرى فتحول يضرب سلامة ليترك زمامها ، ولكن الأخير ماتت يده على مقودها وقد غاب فى أفكار وخيالات محورها حمارته .. انها له كل شىء فى الحياة ، لا يستطيع أن يستغنى عنها أبدا .. فهى عماده فى الحقل ، وفى القرية وفى كل شىء ، بل أنه لو قارن بينها وبين ولده البكر لفضلها عليه ، فهى قادرة على حمل السماد .. والمحراث .. ونقل البذرة والطحين .. ونقله هو .. و .. وقادرة على أشياء كثيرة لا يقدر عليها هو وولده مجتمعين .. وانفصل سلامة عن خواطره وخرج من مقارنته عندما تحولت العصا عنه الى الحمارة وصوت العسكرى يردد فى آلية وعنف :

- قدامى على الشفخانة ...

وتحركت الحمارة ووقف سلامة فى وجهها ، ولكنها انفلتت من يده وجرت أمام العسكرى وهو يلاحقها بضرباته المحمومة . وجرى سلامة خلفهما وهو يستعطفه ويدعو له بطول العمر ، ولكن قلب الأخير لم يرق له أو يلين وقد صمم فى نفسه أمرا .. انه بحاجة الى جنيه كامل . مائة قرش ليكمل بها ثمن الدواء المكتوب لولده وهو لن ينتظر لاول الشهر .. محال ان ينتظر

وهو يرى ولده يتعذب ويتالم ، وتنهد في ضيق وضعفت ضرباته المتتابعة على ظهر الحمار وتباعدت المسافة بينهما ثم تلاشت ضرباته كلية .. وسار خلفها مذهولا لا يفكر في شيء الا في الدواء .. الدواء ..؟ لقد حاول وبذل كل ما في طاقته لجلبه .. وعد الصيدلي ان يمهله لاول الشهر ولم يقبل ، حاول الاقتراض من زملائه ولم يوفق ، وفي صوت قاس صب فيه كل فشله ويأسه وهمومه ومشاغله قال :

– قدامى على الشفخانة ..

قالها بالرغم من أن الحمارة تسير وصاحبها خلفها صامت .. وانتظر أن يعترض سلامة ولكنه لم يتكلم بحرف واحد فصمت بدوره وعاد يفكر في الدواء ، بينما سلامة يفكر في حمارته .. هل يتركها تذهب لقبرها لنهايتها ولا يفعل شيئا .. أي شيء .. انه لو عرف أن الشفخانة ستداوي خدشها لما توانى في قيادتها بنفسه اليها ولكنها حتما ستموت . ستموت ولن يكتفوا بذلك ، بل سيطالبونه بأكل عشرة أيام كاملة أو سبعة ان أرادوا رحمته ، بينما هي ماتت جوعا .. وتنهد سلامة فاخرج العسكري من افكاره وحاول أن يجره الى الحديث فقال في قوة :

– قدامى على الشفخانة ...
هناك علاج حمارتك ...

... ورنت الكلمة في اذن سلامة كعشرات الابواق والاجراس تنبهه الى خطر احدق به فقفز من مكانه فزعا يتحاشى سيارات وهمية احاطت به وسعت لمداهمته .. وطنت الكلمة في اذنه من جديد كدبابة مزعجة :

– قدامى على الشفخانة ، فهناك علاج حمارتك ...

وانفرجت شفتاه عن ابتسامة هازئة لم يدر كيف قدر لها أن تولد الا عندما انطلق من دخيلته سؤال ساخر :

– قل لي يا سلامة كيف ستجد حمارتك علاجها بالشفخانة والمرضى من البشر لا يجدونه في المستشفيات ؟

وظل السؤال الحائر يكبر في وجدانه شيئا فشيئا وهو لا يجد جوابه .. حقا لو ذهبت الحمارة للشفخانة لما وجدت علاجها .. فهناك لا محالة ستموت ، فلن تكون أحسن حظا من الشيخ يسن الذي ذهب للمستشفى سائرا على قدميه وعاد منها محمولا على الاعناق .. لن تكون خيرا من الحاج عوض وعم شلبي ، وكثيرين غيرهم من أهل القرية .. كلهم دخلوا المستشفى بعد جهود ووساطة ، وكلهم خرجوا منها لمقابرهم بجوار الرياح في الناحية القبلية للقرية .. أتكون حمارتك أسعد حظا منهم جميعا ..؟ وهز سلامة رأسه في استنكار ، وتحسست يده صديريته تطمئن على النقود سلاحه الوحيد الذي سينقذه وينقذها .. وحاول أن يتكلم من جديد ولكن

صوت العسكرى القوى : قدامى على الشفخانة ، الجمه واخرس لسانه

ورده لأفكاره الذاتية ، فعاد اليها بينما انتبه العسكرى لنفسه عندما ظهرت الشفخانة ولم يصل لنتيجة بعد..انه بحاجة لجنيه .. مائة قرش كاملة..عليه أن يعثر عليهابأيةوسيلة قبل أن يصل للشفخانة .. فها هى الحمارة أمامه وهذا صاحبها خلفه والفرصة سانحة لا يضمن أن تتكرر مرة ثانية ، فمن الصباح الباكر لم يصادف غير هذه الحمارة ..وحرام أن يتخلى عنها بسهولة ويسر..وتأمل سلامة وهو يسير خلفه فى ذهول غارق فى بحر من أحلامه وأفكاره فساءل نفسه فى غيظ : ما باله صامت لا يتكلم . لم لا يستعطفنى كالآخرين .. لم ؟ لم ؟

وتوالت الاسئلة عليه وازداد غيظه وضيقه وهو يرى المسافة بينه وبين الشفخانة تقرب وتتلاشى رويدا رويدا .. واستقر رأيه أخيرا على مفاوضته وصمم أن يعرض عليه أن يخلى سبيله ويترك له حمارته لو اعطاه شيئا .. وهم بالكلام ، ولكن فى نفس اللحظة تكلم سلامة يستعطفه :

ـ ارحمنى يا بيه ، أنا فى عرضك ربنا يخلى لك أولادك .. واندفع سلامة فى استعطافه وصمت العسكرى .. ربنا يخلى أولادى .. نعم ..ولكن هل وصلت بى الحال حتى أطلب الرشوة بفمى .. ولاول مرة اجاب على نفسه : وماذا فى هذا ما دام اللعين لا يفهم الاصول ولا يريد أن يفهم .. كل اصحاب الحمير .. كلهم بلا استثناء كانوا يضعون المعلوم فى جيبى الحكومى الواسع بطريقة مستترة ما كانت تحرجنى أو تسىء لكرامتى .. أما وقد أوقعنى سوء الطالع مع هذا الغشيم فعلى أن أفهمه واجبه وأعرفه اياه .. ثم ما وجه الغرابة فى الأمر . ألم يطلبها الدكتور بفمه هو الآخر ؟.. ألم يسمعه بأذنيه مرات عدة وهو يطلب الكبدة والمخ والريش والفلتو من الجزارين .. بل ألم يرسلك أنت ياسعد بلحمك ودمك وملابسك الصفراء هذه لتحمل له طلباته التى ما كان يدفع لها ثمنا نظير اعفائهم ـ الجزارين ـ من تعنت الكشف على خرافهم وأبقارهم .. أليست هذه هى الحقيقة ..؟ انها بحذافيرها يا سعد فلماذا تجبن اذن؟ لماذا ؟ أأنت خير منه حتى تخجل من الطلب بفمك .. استيقظ ودع خجلك هذا ، فولدك مريض ، والشفخانة لم يعد بينك وبينها الا أمتار قليلة ، وانت كما أنت لم تتقدم بعد .

وركز العسكرى عينيه على سلامة يسبر غوره ويكتشف ما يدور فى مخيلته من أفكار ثم سأله فى صوت أجش :

ـ الا تحب حمارتك يا رجل ؟

واستيقظ سلامة من أفكاره على كلمة

حمارتك . فانطلق يستعطفه وهم بتقبيل يده ، ولكن العسكرى نحاه عنه فى لين وأعاد سؤاله فى رقة :

ـ انا اقول الا تحب حمارتك ..؟

واجاب سلامة ، ونبرات صوته توحى بحقيقة عواطفه ومدى حبه :

ـ كل الحب يا بيه ...

واغتاظ العسكرى ، وقد ايقن أن مناورته باءت بالفشل ، ولكنه تمالك نفسه وتحكم فيما بقى له من أعصاب وقال فى سرعة وبصوت خافت :

ـ وما دمت تحبها كل هذا الحب ، فلماذا لا تفديها ..؟

ومسح سلامة على ظهرها فى حنان زائد ، وفى بساطة قال :

ـ روحى فداها ...

ـ وأكمل العسكرى فى همس وهو يمسح بدوره على رأسها الطويل :

ـ وفلوسك أيضا .. أليس كذلك ؟

وقاد السؤال سلامة لأودية كثيرة من الافكار .. قال له ونقودك أيضا ؟ بل ألم تسمعه أنت باذنيك . ماالذى تنتظره اذن ..؟ الشفخانة تقرب ولم يعد أمامك الا هى أو الفدية .. هيا اخرج حافظتك وافتدها بنقودك

واستر نفسك وحمارتك .. ولكن الحمارة سليمة .. سليمة والله يا ناس .. سليمة يا هوه .. سليمة يا عالم ، وما بها غير خدش بسيط . خدش لا قيمة له وعزة الله .. اكل يعرف هذه الحقيقة قبلك ، ولكن حتى لو لم يكن بها خدش فسياخذها .. وهز سلامة راسه موافقا وثورة حبيسة فى صدره تغلى كالمرجل وتوشك أن تنفجر .. واغرته ثورته بالمقاومة ولكنه تذكر الحمارة .. فماذا يحدث لها لو قاوم..؟ نعم .. الحمارة .. وفترت ثورته ولكنها لم تمت .

وتكلم العسكرى فى استفسار :

ـ وأخيرا ماذا قلت ..؟

ولم يفتح سلامة فمه ، بل دس يده فى جيب صديريته الممزقة القديمة واخذ يجذب السلسلة الصدئة الطويلة فى بطء ـ شديد ـ وتردد وانفعال حتى ظهرت الحافظة الجلدية الضخمة وبسرعة كما لو كان يخشى أن يغير رأيه فتحها واسقط كل ما فيها من قروش معدودة فى يد العسكرى المبسوطة ثم سحب حمارته فى ثورة وعنف وهو يردد فى آلية : ماذا قلت ؟.. قلت

... ربنا مايرضاش كده

الناس

•• الأمر لم يعد سرا،فلقد استدار البطن وانبعج يعلن أن داخل أحشائها ثمرة محرمة ، وهى لا تتكلم أو تحاول اخفاء امرها ، بل الابتسامة تملأ وجهها الأسمر فى رواحها وغدوها بين الأزقة • والناس كلما سألوها عمن فعل بها هذا •• لاتجيبهم بغير ضحكة جوفاء •• فلايملكون أنفسهم عن سب النذل الذى نهش عرضها ولم يسترها!

•• ومع الايام ، ملت عيون الناس منظر البطن المنبعج والشياة السوداء المنفرشة على الوجه الأبله ،فاستدارت تحاصر أخاها فى تساؤل وترقب لما سيفعل لدرء عاره ، ولم يكن ليحس بالعار ، لكنه كان يشعر بنظراتهم تجره الى الاحساس به •• بالرغم من كونه مقتنعا بأن أخته لاتدرى شيئا مما جنت ، ولا تستأهل عقابا ، الفاعل هو الذى يستأهله ، ولكن : الكل ينقل نظره بينه وبين اخته كانما ليست هناك حلقة مفقودة بدونها ما كانت المأساة !! •

وحاول ان يتجنبهم فاضحى يقضى طوال يومه فى الغيظ وحيدا •• لكن نظراتهم انثنت تحرك السنتهم فى تهكم يلاحقه كلما رأوه • شوف اختك ، يا فرحتك بالى هتجيبه لك ، بتحسبها عبيطة ؟!! •• هه •• طب ده انت العبيط •

ودارت الكلمات فى ذهنه بطيئة خاوية ، ثم دارت •• ودارت،واضحت تحمل معانى كثيرة تثيره •• وتحرق دمه •• حقا •• أهى عبيطة؟!!••ومن يدريه ؟!!•• العمر الطويل الذى عاشته معه ولم يرها فيه الا عبيطة!•• لكن العبط لا يقدمون على مثل هذا العمل •• لا يقدمون عليه !!!•

ويعصر رأسه بين كفيه •• يود لو يوقف هذا التيار •• او لو يحطمها ، يا رب •• انه تائه •• حائر •• حائر يارب ••لكنهم – الناس لا يرحمونه شوف اختك •• شوف أختك •• شوف •••

ولم يعد يطيق •• رمى بفأسه فى

بقلم : فخرى فايد

الطريق واستدار عائدا وكل ما فيه يغلى .

كانت تقف قبالة باب الدار تنظر الى نهاية الدرب فى شرود «ترى من تنتظر الـ ... » واندفعت الكلمات تطن فى اذنيه كالرعد .. بتحسبها عبيطة؟!! .. هه .. طيب ده انت العبيط» ، وارتمى عليها يلكمها ويدفعها الى الداخل وفمه قد فتح عن آخره يفرغ كل ما حفظ من أوساخ .. وهى لا تقاوم ، مستسلمة: تستغفله .. القذرة ..!!

اخيرا وقف يلهث وقد تقطعت انفاسه .. وخدر لذيذ يتمشى فى اوصاله ، عفوا سقطت منه نظراته تحت قدميه ، وكانت هناك ممددة على التراب فى سكون .. والابتسامه لم تغادر قسماتها تضخم جرمه وتجسمه ، وخرج متراجعا فى هاع ، « دى عبيطة .. عبيطة » .. وطوته ثورة محطمة .. فراح يضرب راسه بالحائط ويعوى . ثم انهار يقبلها حينا وينهشها حينا آخر ، وحولهما تجمع الناس ينظرون ما يجرى .. ويهزون رؤوسهم ويفحون فى اتعاظ « يا سلام .. شوفوا ذنب البنت المسكينة عمل فيه ايه : جننه !!! »

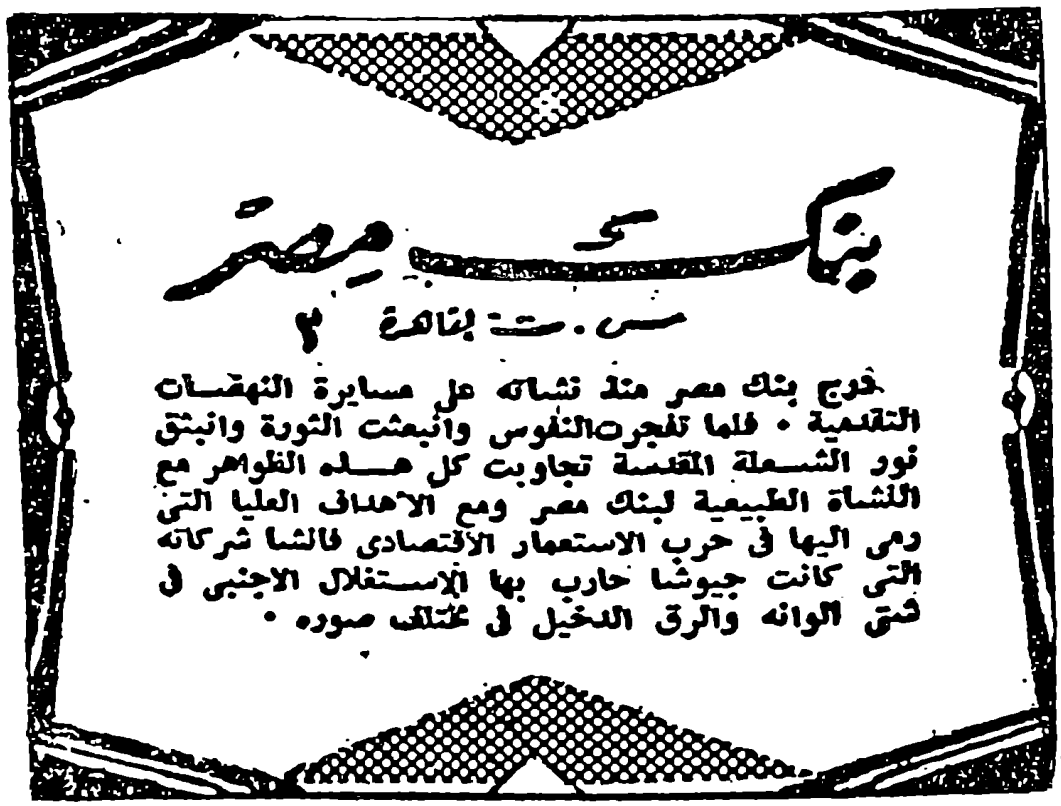
بنك مصر
س . ت بالقاهرة
خرج بنك مصر منذ نشأته على مسايرة النهضات التقدمية . فلما تفجرت النفوس وانبعثت الثورة وانبثق نور الشعلة المقدسة تجاوبت كل هذه الظواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر ومع الأهداف العليا التى رمى اليها فى حرب الاستعمار الاقتصادى فانشأ شركاته التى كانت جيوشا حارب بها الاستغلال الاجنبى فى شتى ألوانه والرق الدخيل فى مختلف صوره .

صورة من تاريخنا الادبى :

إلى النفس الأخيرة

بقلم : بنت الشاطئ

رقد فى فراشه متعبا بادى الاعياء والذبول ، يواجه النهاية الرهيبة وقد أوشكت الحياة فيه أن تنطفىء ، وسرعان ما ذاع فى الحى أن « الخطيئة قد حضره الموت .. فاقبل اليه مشيخة قومه من هنا ومن هناك ، وقاموا حوله وجوما ينتظرون غروب الحياة فى هذا الشاعر الذى تعب من الدنيا وأتعبها منه !

وغشيهم صمت ساهم خاشع أمام رهبة الموت الراصد المحوم ، الذى لن يلبث أن يعتقل اللسان المارد ويشل البيان العاتى . وأمام أعينهم تتابعت الرؤى والمشاهد ، تحكى قصة هذا المحتضر ، منذ قامت عنه أمه « الضراء » وواجه هذه الدنيا ، فما شك أحد فى أنها انما ألقت به الى متاهة الضياع ! وأى شىء غير الضياع يمكن ان ينتظر ذلك الكائن القمىء المغمور النسب ، الذى لا يعرف الناس على وجه اليقين الا أنه ابن أمة أهدر الرق انسانيتها ؟

ولكنه ما كاد يشب عن الطوق ، حتى راح يجول فى الدروب قصيرا .. ضئيلا ، فى هيئته الرثة الزرية .. وانتهى به المطاف الى الشاعر الفحل « زهير بن أبى سلمى » فما برح مكانه لديه ، حتى كان قد عرف طريقه ووجد نفسه ..

وخرج من الغمار .. ليفرض نفسه : هو جرول بن الضراء ، على مجتمع مفتون بعراقة الأصل وكرم المنبت ، مزهو بشرف الآباء والأجداد ، متطاول بأصالة الأعراق ، حريص على تتبع الأنساب وتمييز السلالات !

خرج من الغمار ، وسلاحه معه ، مرهفا باترا ، يفلق أقسى الصخور ، ويضمن له الغلبة فى عراك الحياة التى حرمته كل ما كان يعتز به الناس فى زمانه ،

وضربت عليه الذلة والمسكنة ·· وهو بعد جنين ، فى ضمير الغيب ··

وشهر سلاحه ، يحطم القيم اللئيمة التى فرضت عليه اللؤم فرضا ، ويقهر الأوضاع الخبيثة التى اخرجته فى اخبث منبت ، فهو ينظر ساخرا الى القبائل، ويوزع نسبه بينها كيف شاء ؛ هو يوما من بنى ذهل ، وآخر من بنى عبس ، وثالثا من بنى بكر بن وائل ، وفى كل مرة ينسلخ فيها من قبيلة ، يطعنها بسلاحه المسموم ،فيخلف فيها جرحا هيهات أن يندمل !

وهو يلقى الناس مجاهرا بضيعة نسبه ، فيتحدث على لسان أمه :

تقـــول لى « الضراء » : لست لواحـــد
ولا اثنين ، فانظـــر كيف شرك أولئكا
وأنت امـــرؤ تبغى أبا قد ضللـــــته
هبلت ! ألما تستفق من ضلالـــــكا ؟

يقولها فى جرأة معلنة ، ليعلم السادة الشرفاء الأحرار ، المباهون بأنسابهم وأحسابهم ، أن مثله ــ فى ضيعة نسبه ــ قادر على أن يسم أنوفهم الشماء،ويلمغ جباههم العالية · بالعار والشنار !

وماذا يغنى عن السيد الزبرقان بن بدر ، نسبه الرفيع وحسبه العريق ، اذا قال فيه جرول بن الضراء :

جار لقـــوم أطالوا هـــون منزله ــ
وغادروه مقيمـــا بـــين أرماس
مـــلوا قـــراه ، وهـــرته كلابهم
وجرحـــوه بأنيـــاب وأضراس
دع المكارم لا ترحـــــل لبغيتهـــا
واقعد ، فانك انت الطـــاعم الكاسى ! .

وانه لكذلك قادر على أن يرفع من القوم من شاء ، الى حيث يتيه على الدنيا والناس ،ومن ذا لا يتيه ، اذا قال فيه جرول :

يسوسون أحلاما بعيـــدا أناتهـــا
فان غضـــبوا جاء الحفيظة والجـــد
أقلوا عليـــهم لا أبا لأبيـــكم
من اللوم ، او سدوا المكان الذى سدوا

اولئك قوم ان بنوا احســـنوا البنـــا
وان عاهدوا اوفـــوا ، وان عقدوا شدوا
وان كانت النعمى عليهم جـــزوا بهـــا
وان انعموا ، لا كدروها ولا كـــدوا

★ ★ ★

ولاحت معالم هذه الصورة تظللها حشرجة الاحتضار ، وادرك القوم ان الرجل الى ذهاب بعد يسير ، ولما يترك وصيته ، فاقبلوا عليه فى رفق يقولون :

ـ يا أبا مليكة ، أوص ...

فاذا هو انما يقول :

ـ ويل للشعر من رواية السوء !

فقالوا :

ـ أوص ، رحمك الله ، يا حطيئة :

فاذا هو يسألهم : من الذى يقول :

اذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى اوجعتها الجنـــائز !

فقالوا : الشماخ .

فقال : ابلغوا غطفان انه اشعر العرب .

قالوا : ويحك ، أهذه وصية ؟ أوص بما ينفعك !

فأجاب : ابلغوا اهل « ضابىء » أنه شاعر حيث يقول :

لكل جديد لذة غير اننى
رايت جديد الموت غير لذيذ !

فعاودوا الالحاح يقولون : أوص بما ينفعك ؟

فاذا هو يجيب : ابلغوا أهل امرىء القيس انه أشعر العرب حيث يقول :

فيالك من ليل كأن نجـــومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل !

قالوا : اتق الله ودع عنك هذا ..

قال : ابلغوا الأنصار ان صاحبهم اشعر العرب حيث يقول :

يغشون حتى ما تهـــر كلابهم
لا يسـألون عن السـواد المقبـل

قالوا ، وما ينفد عجبهم : هذا لا يغنى عنك شيئا،فقل غير ما أنت فيه .

فقال فى اصرار :

الشعر صعب وطويل سلمه اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمـــه يريد أن يعربه فيعجمـــه !

قالوا فى توسل : هذا مثل الذى كنت فيه !

فمضى يقول :

قد كنت احيانا شديد المعتمد وكنت ذا غرب على الخصم الد
فوردت نفسى وما كادت ترد !

قالوا : يا أبا مليكة ، الك حاجة ؟

أجاب : لا والله ، ولكن أجزع على المديح الجيد يمدح به من ليس له أهلا ..

وهكذا كانوا فى عالم ، وكان هو فى عالم آخر

كانوا يفكرون فى المال ، والعبيد والاماء ، وكان هو يعيش الى النفس الاخير، فى دنيا الفن الشاعر ، ويؤنس لحظته الرهيبة بذكريات امجاده ، ويعيش آخر دقيقة من حياته ، مع أطياف الشعراء الذين أحبهم !

ويبدو أن القوم حسبوه يذهل ذهول المحتضر ، والا لأوصى بما يرونه ينفعه!

واما أنا فما أحسبه أوعى ، مما كان عليه اذ ذاك ، وهو يودع هذه الدار !

ان الفن وحده هو دنياه كلها ، ما يعيش الا فيها ..

والشعر هو نسبه حين تاه النسب

وهو أبوه ، حين أضل اباه ..

وهو جاهه ،حين عز الجاه

وهو ملاذه ، حين ظن الا ملاذ ..

بلى ، هو كل دنياه ، ولعله أيضا كل أخراه ..

فكما عاش به وله ، يمضي اليوم وما خرج منها بغيره : وحسبه منه ثراء يخلد اسمه ، ويرفع ذكره ، ويحييه بعد أن يحور ترابا ..

فليفعلوا بماله ماشاءوا ، فالشعر وحده كل ماله ! ليعطوا المال من أرادوا ، فما يعنيه حين يثوى فى مضجعه الموحش ، أن يكون للذكر مثل حظ الانثيين..

ولن يرتحل رحلته الاخيرة هذه الا فى كفن سريع البلى واهى الخيوط .. أما كساؤه الذى تراءى به فى زينته .. وهو عتيد على البلى ، خالد على تمادى الادهار فما هو الا الشعر .. لا يهى ولا يرث ، ولا يفنى ولا يبيد !

فآه لو نجا هذا الشعر من رواة السوء ؟

من له بذاك ! ان الخطيئة اذن لم يمت ، ولن يموت !

* * *

كلا .. لم يكن الحطيئة ذاهلا كما ظن أهله ، ولا هازلا عابثا ساخرا كما ظن بعضنا ، وانما هو الايمان الفنى يتملك روحه آخر عهده بالدنيا .. هو العالم الفنى لا يعيش الا فيه حتى النفس الاخير .. وبعد ذاك فكل الذى فوق التراب تراب ؟

وماذا يشغله وهو على طريقه الى حياة أخرى الا الذى كان حياته الأولى ! وأى غرابة فى أن تحضره فى ساعة احتضاره ، تلك المعانى الخالدة، تتراءى له مثل سواها مما اختزن وعيه الباطن، وتلوح لوجدانه المرهف وحسه المستشف، أصداء للموقف الرائع ، واستجابة لايحاء الموت .. والفناء الرهيب ، فاذا انطلاق القوس يرجع ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز ، واذا جديد الموت غير كل جديد .. كانت تلك النفس ، واذا السواد مقبل ، والليل طويل .

تلك رؤى شاعر يحتضر .. فما يدع دنياه الا على أجنحة من أطياف خلوده فيها . ولا يستمسك منها حين تدبر الا بما لا يحول ولا يزول من تراثه عندها ..

وما كذبه ايمانه بشعره ، فلقد عاش به بعد أن طواه الموت وغيبه الثرى .. وحين بدا للرواة أن يجمعوا ثروة العربية فى الفن القولى ، وضعوا شعر الحطيئة أعز موضع ، فقال أبو عبيدة : « .. كان قبيح المنظر، رث الهيئة ، مغموز النسب، فاسد الدين ، لكن ما تشاء أن تقول فى شعر شاعر من عيب الا وجدته ، وقلما تجد ذلك فى شعر الحطيئة »

وقال أبو صفوان : « ما من أحد الا لو أشاء أن أجد فى شعره مطعنا لوجدته ، الا الحطيئة ! »

وروى أبو الفرج الاصبهانى أن « ابن ميادة » لما قال :

تمشى به ظلمانه وجآذره

قيل له : قد سبقك الحطيئة الى هذا ..

فقال : والله ما علمت ان الحطيئة قال هذا قط، والآن علمت والله انى شاعر حين واطأت الحطيئة ! »

فيالها من وصية بارعة الدلالة على شاعرية الرجل التى عاش لها وفيها الى النفس الاخير !

نقد الكتب

مسرحية الغد

ترجمة: كمال الملاخ - نقد حسين عبد السلام

ظهرت خلال هذا العام عدة مسرحيات مترجمة عن الكاتب المسرحي يوجين أونيل . ويوجين أونيل يعتبر من أكبر مؤسسي المسرح الاميركي المعاصر ، فهو الذي مهد لاقامة مسرح آرثر ميللر ، وتنسي ويليامز ، وغيرهما ، وهو المؤلف الذي يعتبره بعض النقاد الى الآن من أكبر كتاب المسرح في العالم بعد شيكسبير وابسن ، وقد فاز بجائزة نوبل عام ١٩٣٦ وفاز بجائزة بوليتزير عدة مرات .

وكل هذا الكلام يعرفه محبو المسرح والمطلعون على آثاره العالمية المختلفة ، أما القارىء الذي يعتمد على الترجمة فقط فأخشى أن تؤدي به الترجمة التي ظهرت لاحدى مسرحياته منذ شهور الى أن يتعجب كيف يكون لأونيل كل هذه الشهرة وكل تلك الجوائز ، ويتساءل هل هو حقا كاتب مسرحي كبير كما يقول النقاد ، أو هو مجرد طبل أجوف كله خداع ؟!

أما المسرحية فهي مسرحية Ah, Wildrness ! التي يحدث عنها أونيل نفسه فيقول أنه استيقظ في يوم من الايام فوجد القصة والشخصيات والعقدة والحوار ، وكل التفاصيل تلح في رأسه تطلب الخروج والحياة ، فعكف على كتابتها ، تاركا مسرحية (أيام بلا نهاية) التي لم يكن قد أتم منها الا فصلين فقط ، وانتهى من كتابه Ah, Wildrness ! في شهر أحس خلاله كأنه كان يعيش في حلم متصل جميل .

وتعالج المسرحية مشاكل عائلة متوسطة في مدينة صغيرة بولاية كونيكتيكت عام ١٩٠٦ ، والمشاكل تنبع من قصة حب لابن العائلة المراهق (ريتشارد) الذي يقبل اقبالا شديدا على قراءة شو ، وسوينبرن ، ووايلد ، وعمر الخيام ، (وهي مؤلفات تعتبر ثورية وبعضها اباحي في تلك الايام) ، وبحب بنت الجيران التي يكتشف ابوها في درج مكتبها مقتطفات من شعر سوينبرن وغيره مما يدفعه الى أن يتشاجر مع والد ريتشارد ويمنع ابنته من الخروج بعد أن أجبرها على كتابه خطاب مقاطعة لحبيبها مما يؤدي الى صدم ريتشارد صدمة عاطفية ، والى الثورة والتصميم على (الانتقام) من المجتمع ومن أسرته ومن حبيبته التي اعتقد أنها هجرته بمحض ارادتها .. فبدا

يخطو الخطوة الاولى نحو (الطريق الذى يسير) والذى سلكه من قبل خاله (سيد) وهو شخصية ثانوية هامة فى المسرحيه وضعها المؤلف ليحقق عنصر المقارنه فى المصير ، ذلك لان (سيد) صدم هو الآخر فى شبابه صدمة عاطفية مشابهه ، فعاش لا يفيق من السكر ولا يكف عن القمار • الا أن ريتشارد ينقذ من هذا المصير عندما تتسلل الفتاة خفية وتقابله ••• وعندما يؤدى قلق عائلة الابن وعائلة البنت الى اعتبار قصة حبهما قصة غير جديه ، أو على الاقل لن تؤدى الى الخطر الذى يتوقعونه اذا ما استمرت العلاقة بين الابن والبنت تحت الملاحظة والرعاية من العائلتين دون اشعارهما بذلك ••• بعكس الامر اذا ما تم الفصل بينهما فى قسوة وتعصب مما قد يؤدى الى ايذاء حقيقى لأحلام الابن والبنت وصدم لعواطفهما •

وقد قام بترجمة هذه المسرحية الاستاذ كمال الملاخ بعنوان (التيه) •

وعنوان المسرحية فى الاصل هو Ah, Wildrness ! وهى فقرة من رباعيه مشهورة من رباعيات الخيام تقول :

كتاب شعر تحت جذع الشجرة وقنينه خمر
ورغيف خبز – وأنت الى جانبى نعيش فى البرية !

والرباعية مذكورة فى حوار الفصل الاول الذى يدور بين ريتشارد وبين عائلته بعد أن ضبطت امه الكتب (الخطيرة) التى يقرؤها سرا ويخبئها فى دولابه •

وبهذا تكون أقرب ترجمه الى Ah, Wildrness ! هى آه للقفار ، آه للبرارى (كما جاء فى ترجمة أخرى للرباعيات) أو آه للبلقع أو فى البرية ••• الخ • وهى ترجمات لا ينفع أكثرها كعنوان لمسرحيه ، لانها تشبه القذف بالطوب ، الا أن العنوان – كمانعرف – يتغير ويتصرف فيه المترجم تصرفا قد يبلغ فى بعض الاحيان الى أن ينعدم الشبه بينه وبين عنوان الاصل ، ما دام يدل على المسرحيه وغرضها ••• الا أن المترجم لم ينظر الى هذا الامر البته ، وانما اكتفى بأن تصفح أحد القواميس (وهو قاموس النهضة الذى وضعه الاستاذ اسماعيل مظهر – كما أظن) فوجد أن ترجمة كلمة Ah, Wildrness ! شى (التيه – الغابة – غير المطروق) فاختار كلمة التيه • وهو عنوان كما ترى لا يتصل من قريب أو بعيد بأى معنى ترمى اليه المسرحيه • وهو – ثانيا – لا يتفق مع ترجمه الرباعية، ولا كان على الخيام أن يصحب حبيبته وقنينة الخمر والرغيف الى تيه ، وهو مكان – كما نعرف – لا يرضى عنه ذوق الخيام !

الا أن الأهم من العنوان هو أمر حذف المواقف وبتر الجمل •

ففى صفحة ١٩٠ من كتاب مسرحيات يوجين أونيل (الناشر

راندوم هاوس – نيويورك) نجد العائلة جالسة تتحدث كيف ستحتفل بعيد ٤ يوليو (عيد استقلال أمريكا) والمجلس يضم الأب والأم وريتشارد واخاه آرثر وخاله سيد وعمته ليلى (وهى العانس خطيبة سيد ، والتى لم تتزوجه الى الآن لادمانه الخمر والقمار) • ومن بين الحوار تحذير الأم لأخيها (سيد) من السكر فى هذا اليوم ، والذى تضيف اليه :

السيدة ميللر – اننى لم أكن أقصد بكلامى هذا سيد وحده (تقصد انها تريد تحذير زوجها أيضا من السكر) •

ميللر – (وهو يغمز الى الآخرين) ماذا ؟ هل تقصدين التلميح الى أننى ولو مرة واحدة ••• •

السيدة ميللر – حسنا ، حتى لا أظلمك ، فالحقيقة ليست كما تقول انك ••• ولكنى سبق أن رأيت كيف تعود من رحلة نادى ساشيم الملعونة• حسنا ، اننى لست فى حاجة الى عصفورة لتهمس فى أذنى وتقول لى انك لم تذهب الى البئر فقط ، وانما ذهبت الى مكان آخر أيضا – تقصد انه ذهب فشرب بعض الكئوس أيضا – (تبتسم بقلب صاف ، ميللر يقهقه) •

سيد – (بعد أن يتفحص ليلى التى تجلس متصلبة صامتة – يغير دفة الحديث فجأة متوجها الى آرثر) كيف ستقضى عيد ٤ يوليو يا آرثر ؟ هل ستلعب البولابولا ؟ (آرثر يشد قامته فى تكبر) •

أما الترجمة فهى كما يلى –لاأكثر–

السيدة ميللر – لم أكن أفكر فى سيد وحده •

سيد – (بعد نظرة الى ليلى الصامتة الجامدة يغير الموضوع بالتفاته الى آرثر) كيف ستقضى ••• الخ •

وهكذا تتم الترجمه دون ذكر لأثر كلام السيدة ميللر واجابة الزوج كأنها كانت تتكلم وتوجه كلامها الى الهواء •

وفى صفحه ١٩٢ من الاصل يدور الحديث عن ريتشارد وقراءته للكتب الممنوعة فيقول أخوه آرثر :

آرثر – (ناظرا خلفه فى اتجاه حجرة المائدة) انه لا يزال فى حجرة المائدة يقرأ كتابا (يعتدل وباحتقار) يالله • انه دائم القراءة الآن • أليس هذا هو رأيى اذا ما أراد الانسان أن يتمتع بوقته فى الاجازات •

ميللر (الاب) – (لاذعا) انه يقرأ كتبه المدرسية أيضا ، وقد يبدو هذا غريبا بالنسبة لك كما أظن ، ولكنه السبب فى تقدمه فى ترتيب فصله • أتعشم قبل أن تترك نيوهافن أن تتاح لهم الفرصة ليعلموها ان القراءة عادة من العادات الحسنه •

السيدة ميللر – (بحدة) هنا يذكرنى بانات ••• الخ •

وفى الترجمه :

آرثر – انه لا يزال فى غرفة الاكل، يقرأ فى كتاب • انه الآن يواصل

القراءة • لست صاحب الفكرة فى تضييع الاجازة (هكذا فقط) •

السيد ميللر – هذا يذكرنى •• الخ (هكذا وبلا ذكر لكلام الاب وحركة الابن) •

وفى صفحة ٢١٥ من الاصل يدور الحوار بين ريتشارد – بعد أن تلقى الصدمة العاطفية – وبين والدته وعمته ليلى ، وينتهى الحوار بأن يقول وهو ينظر وراءهما وهما ينصرفان من حجرة المائدة

ريتشارد – انهم لا يعلمون السر الذى ينطوى عليه قلب الشاعر • (ثم يقترب من المائدة ويعاينها ، وخاصة الاطباق الزجاجية التى تحتوى على الزيتون ، وقد بدا عليه الاحتقار ثم يتمتم مزدريا) أكل (ولكن أطباق الزيتون تبدو مغرية له وقد أصبح الآن أكثر اقترابا • فيلتقط مختلسا زيتونتين ويحشو بهما فمه • وعندما يهم بأن يمد يده لتناول المزيد يفتح باب المطبخ قليلا وتطل منه الخادمة نورا) •

نورا – مستر ديك ، يا لك من لص ، دع هذا الزيتون وحده ، والا أقسمت سيدتى أننى أنا الذى أكلته •

ريتشارد – (يسحب يده كما لو كان قد لدغ – شديد الانزعاج ويبدو عليه لبعض الوقت مظهر الصبى المذنب) انا •• انا •• لم أكن آكل •

نورا – اوه • لا • باتطبع لا •• بعيد الشر » • لقد كنت تجس نبضه فقط •

(ثم تحذره) تذكر ما قلته الآن ، والا فاننى سأفتن عليك حتى ادافع عن اسمى الشريف (تعود الى المطبخ وتغلق الباب • يقف ريتشارد فريسة لشعور قاس من المهانة ويجتاحه انفعال بالثورة على كل شخص وكل شىء • همسة خفيفة تصدر من وراء باب الدهليز • يجفل • صوت رجل ينادى « هيه • ديك ») •

أما الترجمة فتقول :

ريتشارد – (ينظر خلفهما) طعام ! (ينهض ويقترب من المائدة ويفحصها وخاصة صحن الزيتون البللورى • يتمتم بازدراء • ولكن طبق الزيتون يبهره ، فيذهب قريبا من المائدة ، وبحذر يأخذ اثنتين ويأكلهما ويتأهب لأخذ أخريات حين •••)

(وينت يصفر مرتين • صفارة منخفضه تأتى •••)

وهكذا يشوه منظر من أجمل مناظر المسرحيه التى تمتلىء بواقعية أونيل ومهارته المسرحية ، وتعمقه لنفسية المراهق التى تزدرى الطعام وفى نفس الوقت تختلسه عندما تأمن العيون !

ولا أفسر هذا التشويه الا بما لا يحسن ذكره •

وفى صفحة ٢٠٧ يقول الاب لريتشارد (أخشى أن أتفق معه بالرغم من ذلك على انه لا يصح ابدا لفتاة صغيرة أن تقرأ ذلك (ثم يتملق خفى) انها تناسبك انت ، لانك رجل ، ولكن ••

هلا أعدت التفكير فى الموضوع لعلك تتفق معى)

ترجمت كما يلى :

ميللر – (غاضبا ثانية) أخشى أن أوافقه على أنها لا تصلح لان تقرأها فتاة صغيرة (بغرور مستهتر) انها تلائم رجلا مثلك (موافقه ضمنيه من ريتشارد) ولكن فكر فى الامر • وقل لى ما اذا كنت لا توافقنى •

وفى صفحة ٢٦٩ من النص :

السيدة ميللر – يا سلام ! اننى لم أر نات فى مثل رداءة الاعصاب هذه من قبل •

سيد – (وهو يقهقه) رداءة الاعصاب ! كلام فارغ ! انه فى أشد حالات الفرفشة لانه تخلص من الموضوع مؤقتا لعجزه عن التصرف فيه •

السيدة ميللر – (فى ترفع) أتعشم أن أكون أكثر فهما منك •

وفى الترجمة :

مسز ميللر – (الى سيد) لم أر نات فى حياتى فاقد الاعصاب بهذا الشكل

سيد – (يضحك) من سروره لانقاذه من الموضوع ••• لا يرى ما أمامه •

مسز ميللر – أتمنى لو كنت أعرفه أكثر من ذلك •

وفى نفس الصفحة من النص :

سيد – (نعسان) أوه • ان ديك لا خوف عليه يا ايزى • كفى عن القلق

السيدة ميللر – (فى ترفع) بالطبع، يمكنك أن تقول هنا ، يخيل الى انك ستصحبه معك الى الخارج فى المرة القادمة لتلطخوا المدينة كلها باللون الاحمر !

وفى الترجمه :

سيد – ديك بخير يا ايزى • كفى انزعاجا عليه •

مسز ميللر – طبعا هذا ما تقوله • أعتقد من الآن فصاعدا انك ستأخذه معك للطواف بالمدينة •

* * *

ولو اتسع المقام لذكرت أمثلة أخرى كثيرة على هذا التشويه • ولكنى أنتقل الى الخطأ فى ترجمه الفقرات ، وهى فقرات كثيرة أذكر منها ما يلى :

فى صفحة ١٩٥ من النص يقول ريتشارد (أما أنا فسوف أحتفل باليوم الذى يبعث فيه الشعب الجيلوتين ثانيه ، عندما أرى بيروبونت مورجان وهو يساق فى عربة الاعدام) • وقد ترجمت هذه هكذا (أما أنا فسأحتفل باليوم الذى يعيد فيه الشعب الجيلوتين مرة أخرى ، وأرى بيروبونت مورجان يجر فى برميل) ، وقد تكررت كلمة برميل هذه فى نفس الصفحه ، مما يدعو للتساؤل كيف جر مورجان فى برميل ؟

وفى صفحه ١٩٧ من النص فقرة تقول (أنت تعرف يا نات هذا الذى كتب مسرحيه عن •••) ترجمت (انك لتعرف يا نات ذلك الفتى الذى كتب المسرحيه الاباحية •••) والفتى

هنـــا هو برنارشـــو ، وكلمه الفتى ترجمة the one !

وفى صفحه ٢٣٤ من النص تقـول ميلدريد (هيا يا تومى . ســـاجعله يلازم الهدوء يا بابا) ترجمت (تعالى يا تومى . ســأحاسبك على أن تبقى هادئا يا والدى) (هكذا !) .

أما أخطاء ترجمه الكلمات فهـــذا بعضها :

surlily **بغلظة وفظاظه** ــ لا متأكدا .

skate **حقير** ــ لا بخيل .

sWeetbread **ازينكرياس** ــ لا الحلوى

to kiss the Blarney stone

يقبل حجر التملق أو يمســـح جوخ بالعامیه ــ لا يقبل حجر البـــلارنى ســـتون .

bluefish **سمك ميلس** ــ لا سمك ازرق

weakfish **سمك ضوت** لا سمك ضعيف أوعادى

وهذا قليل من كثير . وهو لا يعد من الاخطاء المطبعيـــة بلا شـــك ، اما الاخطاء المطبعية فهى لا تحصى .

تحت الطبع

قوميتنـــا

وأسسهـا

يضع كل ما قيل عن أسس القومية تحت اختبار على رزين

يهيء القارىء للرأى الرشيد عن

أساس القومية العربية

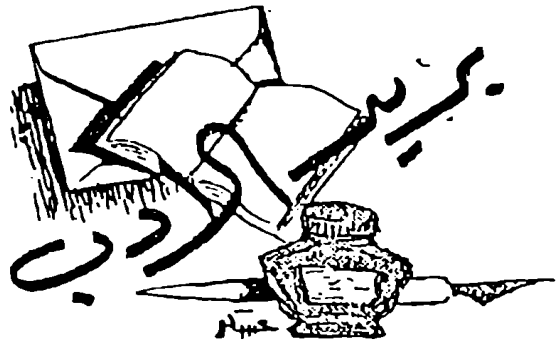

أينا سينتصر

قال السيد/محمد عفيفى مطر ، من رسالة له :

أما أنا يا صديقى ففى معركة هائلة ضد الزيف فى نفسى .. أتشمم آثاره وأتابعها الى أعماقى لأطهر نفسى منها .. لست أدعى ما ليس فى . بل يهمنى دائما أن أبحث عن الاشياء الحقيقية ، فمنذ سنوات يا أخى والمهماز الملح يدمى قلبى والصوت الصادر من روحى يطاردنى هادرا : ان معركتك أن تكون دما جديدا وتيارا حيا .. وليس أمامك الا أن تبحث عن قواك الحقيقية حتى لا يأخذك الوهم الى التفتت تحت الضربات الهينة ، وأعلم جيدا أن من تصدى الى مثل ما أتصدى له فليستعد لسماع الكلمة التى تؤلم والنظرة التى تزدرى ، والحكم الذى يسوق الى الموت أو ما هو أشد هولا من الموت ..

يا صديقى .. لست رخوا فأفرح لشىء ولست خائفا فأحس بالأمن لأن سطورا لى تنشر ، ولست ضعيفا يلتمس القوة فى ظهور اسمى على الصفحات .. اننى أموت منذ سنوات فى سبيل الفن .. ولا يمكن أن أضيع هذه السنوات بالتهالك والتهافت ..

واعلم جيدا أن الميلاد لابد له من اخصاب وألم عظيمين .. اننى أريد أن أكون نسمة تحكى أسرار الارض المجهولة . وموجة صغيرة تبوح بأعمق أسرار القاع . أريد أن أكون مجرى عميقا وان كنت اليوم راقدا تملؤه العكارة .. ففى الافق سيتسع ويحفر له فى العميق سبيلا .

وأقسم لك بهذه السنوات التى ذقت فيها كل ألوان الجوع والعرى . وذاب فى دمى خلالها كل ألوان العذاب والسم والغربة والهزيمة .. سوف أكون لنا نحن أصباغا جديدة ، وشاعرا يخلق أنغاما خضراء رحيبة .. وسوف أشد من روحى وترا خصيبا .. ولن يستطيع شىء أن يئد هذه الارادة الصادقة المخلصة . وان كنت تملك مفتاح النشر .. فأنا أملك مفتاحا أقوى .. العمل .. وهناك أمران تعتذر بهما دائما : الظروف .. المكان ..

أما الظروف .. فهل لم تسمح لك الظروف أن تنشر شيئا لى خلال العامين الماضيين ؟ وأما المكان .. فهل يتسع لمثل شعر : « لو كنت غنيا مثل « ابو رجيلة » ولا يتسع لقصيدة واحدة من الاربعين قصيدة التى أرسلتها لك من عامين

وفى رأيى أن المشكلة هى مشكلة المستوى .. والقضية الوحيدة التى يجب عليك أن تثيرها هى قضية المستوى .

ولست أقصد بكلماتى هذه أن أستعديك على أحد أو أحرضك على شىء أو ألتمس منك شيئا .. كلا يا صديقى .. فما دمت لا تستطيع أن تمنعنى من الكتابة فأنت لا تستطيع أن تضرنى أو تنفعنى ..

لا تستطيع أن تمنحنى الحياة أو تدفعنى الى الموت .. فذلك أمر يقع عبؤه على قلمى وحده .. ان كان يستحق الحياة فسيحيا وان كان ميتا .. فلا راد له حياته ..

وأرجو أن لا ترى فى قولى هذا غرورا .. ولا تسىء بى الظن فما زلت طيبا وصادقا ومخلصا وأقسم لك ..

ودعك يا صديقى من حكاية الناشئين والتشجيع والتنشيط فهذه أمور أخذت من وجهة خاطئة .. ففى ايمانى : ان كل فنان يعتبر ناشئا ولو بلغت قدرته قدرة أساتذتنا الكبار .. أدباؤنا الكبار فى رأيى ناشئون وسيظلون ناشئين ما داموا أحياء .

وذلك لأنهم يحاولون التحرك الى أمام .. يحاولون أن يصلوا الى أعمق وأروع مما وصلوا اليه .. هم ناشئون باعتبار غدهم ولا يوجد حد يفصل بين الناشىء وغير الناشىء الا الموت .. فما دام الأديب حيا .. فهناك امكانية الهبوط والارتفاع والسمو والاعجاز .. والموت هو ختام قصة النشوء المستمر للأديب وهو الحكم الاخير الذى يفصل بين الناشىء وغير الناشىء ..

الموت هو الذى يهب الفنان قيمته .. وحكاية الناشئين بصورتها المعروفة تدليل سمج لضعف الضعفاء .

وفى نهاية هذا الحديث الذى ربما كان فارغا أقول لك :

ما دمت لا تستطيع أن تمنعنى من الكتابة فسأكتب بوهج أعصابى وأسفح دمى على الورق .. وما دام معك مفتاح النشر .. فاصنع ما تشاء .. وليمض كل منا فى طريقه حتى النهاية .. وسنرى فى نهاية الامر أينا سينتصر ..؟

* * *

ولقد أعجبنى هذا التحدى الجرىء فتركت لصاحبه مفتاح النشر ، وفتحت له باب البريد على مصراعيه ، .. وبكل سماحة انشر ما وردنى فى صدر رسالته من نقد لما تنشر « الأدب » من شعر ، اذ يقول :

فاما الذى يحيرنى فهو الشعر الذى تنشره الادب .. شعر :

ولو كنت غنيا مثل «ابو رجيلة» وفى اليد اليمنى عصا غليظة .. ودفتر وتابع الى اليســـار ، واطلقت فى الجو زغرودات نينه ، واقبلت عروستى تجر اذيالا حيية ، واسرفت فاعلنت حربا وقدمت مطالبا ، ولم ترد مفاوضة .. لالتقى بزوجتى وارمة المحاجر .. اثنيت عن جهودها ولم ازل بقدرتى .. على التماس علرها .. مرغبا فى عشرتى

و .. يا اخى ان قضباننا هشيم وجـــلادنا ذو فؤاد ســـقيم

يا صديقى اهذا شعر ؟ بل اهذا حتى مجرد كلام ؟! فما هى الاعذار التى تعتذر بها عن نشر مثل هذه الركاكة « والهيافة »

اى عذر تعتذر به عن نشر خمس صفحات كاملة من هذا السخف الذى تسميه شعرا لانسان واحد !؟ الم تكن تعتذر الى بضيق المكان !؟

* * *

واذا ما نشرت له كل هذا بالسماحة الوافرة فلعلى اجد عنده من السماحة ما يستمع به الى كلمة صغيرة :

لقد سمحت الظروف بنشر قطعة محتملة من قصيدة طويلة من القصائد الاربعين التى ارسلها فاذا كاتب عن ازمة الشعر الجديد يقول عن هذه القطعة مانصه « .. عدم فهم الكثير من الشعراء الجدد لمفهوم الواقعية ، فهى تارة عكس فوتوغرافى للواقع كما فى هذا النموذج للشاعر محمد عفيفى مطر .. ويورد القطعة التى نشرتها لك «الادب» ثم يعقب عليها بقوله : « وهكذا يمضى الشاعر بآلة التصوير ناقلا صـــورة قرية من خلال كوخ صـــغير ، بشكل امين على تفاصـيل الواقع الجزئية » (١) .

فهل يفسح السيد/مطر مجالا لاختلاف التقدير ؟ وهلا يعتدل فى الحكم فلا يرى ما نقده من الشـعر لا يرتقى حتى الى مجـــرد كلام ، وانه ركاكة .. وانه هيافة ! وليس هنا مجال لموازنة أو مناقشة تفصيلية

يا سيد مطر : ان تحديك قوى ، وانا معجب به ، راج ان ينتهى بك الى ما تحب لنفسك ، ويحب لك الفن ، ويعترف لك الناس به ..

وعلى ذكر اختلاف التقدير أقول لكاتب قصة « صاحب البيت » التى أشير اليها فى العدد الماضى : انه لا مجال لمناقشتك التى تطلب بها الرجوع ثانية اليها لأن الذى كان متخوما هو صاحب البيت ، لا ابن صاحب البيت ، فالتقدير لا يختلف كثيرا بهذا الفرق ..

* * *

وقبل الدخول فى تقدير رسائل هذا البريد نجيب السيد الذى يسأل : الى اى معنى ترمز صورة الغلاف لمجلة « الأدب » ؟ ولماذا اخترت هذه الصورة ؟ فنقول له :

---

١ ــ الادب : السنة الرابعة . ص ٢٨

ان الصورة التى تنشر على غلاف « الأدب » منذ أول سنتها الرابعة انما هى وضع من أوضاع الصورة التى نشرت على غلاف العدد الاول من السنة الاولى من « الادب» وهى تمثال للمثال المصرى الكبير : مختار ، واسمه «اعتداد» ،والتمثال عميق التعبير عن معنى الاعتداد ، ورسوخ الشخصية ، والاعتداد من اقوى أسباب النجاح ، وكان اختيار هذا التمثال للعدد الاول ذا معنى حى قوى ، وقد تكرر من القراء اقتراح أن يكون هذا التمثال اساسا لتصميم غلاف ثابت للأدب .. ولكن فكرة ثبات الغلاف شكلا ولونا لا تتغلب .. فاختير هذا التمثال القوى المعنى فى فترة من فترات الغلاف المتجدد .. « والأدب » ترجو لنفسها ولكل ذى صلة بها نصيبه من الاعتداد .. ثم الى الرسائل فنضع أولا .

خارج النقـــد

ما سمى قصيدة « نصيحة الى قلب » لعدم استقامة عبارتها ، لغويا ، ولا نحويا ، قبل أن تكون قولا فنيا منظوما او منثورا .. ففيها مثل : ونبه النفس من ثبات عميق ـ ولعله يريد السبات !! .. ومثل : ودون ما تتاق البعد السحيق .. ولعله : تتوق اليه ! وهو يعيدها فيقول : تتاق فى لهفة .. أى تتوق ! ومثل « وشكى » والشكوى لا ترسم هكذا !! وأما المعنى والغرض فشىء لم تصل اليه بعد ! وفى هذه الاخطاء نماذج لكثير مما يضيع فيه الوقت ويجهد البصر ، ويابى أصحابه الا النقد التفصيلى ، ان لم يثوروا لأنا لانرسل اليهم رسائل خاصة لنقد ما يسمونه آثارهم .. ولعل فى هذا التمثيل ما يعفينا امام القراء حين نقذف الى خارج النقد دون أن نؤذيهم ببيان الاسباب ..

والى جانب ما سبق نضع ما يسمى قصيدة « الى المجهولة » فان سلم فيها التعبير فليس فيها ما يعد شيئا من القول الفنى ، ومن استعاراتها مثل قوله : سنودت صفحاته باهات طوال .. بمداد اليأس ، وحبر الآمال .. واذا صار الأمل حبرا .. فالعوض على الله ..

ومن هذا الوادى « تعالى » فى تكرارها اللاغى وخطئها النحوى .. الى بساطة تشبه الطفولة ..

ونلحق بهذا كلمة «لرؤيا الحبيب» مع تشدد صاحبها فى التزام القالب الشعرى التقليدى وزنا وقافية حتى ليضع على جبهتها تفاعيل البحر كاملة ، ولا يكتفى بان يقول انها من بحر « المتقارب » ثم بعد ذلك تقرأ له مثل :

ويا ظبية فى فؤادى ترعى ... عـــلى شـفتيك دماه تراق

وهو يلحق قصيدته بتصحيح يقيم بعض ابياتها حتى يصير :

ويا قطرة من رحيق عليها ... تنافس صحب تبارى رفاق

صدرت

حارة السقايين

الثمن ١٥ قرشا

مجموعة
قصصية

بقلم: عزت محمد ابراهيم

٢٥ قصة محلاة برسوم داخلية رائعة
غلاف أنيق بالألوان • طباعة فاخرة
إخراج رائع فى ثوب قشيب

اطلبها من الباعة والمكتبات .
ومن المؤلف ص.ب ٢٤٨٦ - بالقاهرة

وهو ينم عما كان قبل التصحيح من رصف . ورص ، .. والسيد يقدم بصنيعه هذا حجة هائلة ضد القالب الشكلى للشعر .. ويدفع الى الفرار منه .

ونضع خارج النقد من النثر قصتى « سر محنة الصغير » و « الرغيف » ومعهما الرسالة المبلغة لهما حتى يخلص صاحبهما من مثل : خمسة عشر حجرة، فى عناد وتحدى ، وتؤهلهم على العمل ، ولقمة عيش التى لم توجد ، والأطفال يتضورون جوعا ، .. الخ.. الخ ، ومع ذلك وأمثاله فان المكتوب ليس من القصة فى شىء ، . ولو عرضنا للصور والتشابيه الشاذة ، والتعبيرات النابية لطال الكلام فيما لا يستحق الكلام ..

وخارج النقد قصة من « الحيـاة » حتى تبـــرأ من مثـــل : ولم يرى ، والكثير منهم مكتفى ، ولا يزيد عن كونه مرض .. وكل ذلك وأمثاله فى غير عمل فنى يحتمل فيه الخطأ ، ويتناسى ، فانى لا أكتم القراء أنى أصلح أمثال هذه الأخطاء وأكثر منها حين أجد هيكلا يمكن أن يعد عملا فنيا بوجه ما .. أما حين لا يكون هذا ولا ذاك فان من اضاعة الوقت اصلاح الأخطاء ، أو التجاوز عنها .

ومما يوضع خارج النقد ما يسمى قصة «السكين» فانها ليست الا تطويلا مسرفا ، ساذجا ، بل شديد السذاجة

وأضع خارجا ما يسمى قصة « ثورة الجسد » بأخطائها المتنوعة .. وتهافتها الذى لا يبقى فيها معه ما يوصف بشىء .. وأشخاصها .. وحوارها مما يعوزه التصوير والتعبير فى الحواديت .

كما ألحق بها قصته « الخجول » فلها نصيبها من الخطأ مع اعتساف الحوادث ، وتنافرها ، وعدم طبيعية تصرفات أشخاصها ، ان صـح أن تســمى أوهامها شخصيات ..

والى رسائل

الشعر

ـ فقد وصلت «عودة» و« خواطر ذات » من قلم واحد .. وفيها مع عدم السلامه من الخطأ ، خيانه التعبير فى مثل : أجرجر الحنين .. و « من يقل بدنبه يستأهل السماح..مع التكرار .. وقرب المعنى الى حد التفاهة ..

ـ ووصلت « هل تذكرين » وفيها من بساطة التعبير مثل : آه لو تذكرين ما كنت ابدا تنسين» .. الى عامية فى العبارة ، واستعمال لما ليس من تعابير الشعر مثل : وغيرى لا .. وألف لا ..

ـ ووصلت « يا حبيبة » وفيها كلمات من مرددالاغانىومبتذل ألفاظها الى ما لا ينم به معنى مثل : انتظـار وأنين وعذاب فى فلاه .. وتجاهلت عذابى واهتمامى .. مع عدم السلامة من الخطأ مثل : كنت أهوى أن تحبين الرجوع .

ـ ولصاحبها «لماذا كذبت» وهى من مستوى سابقتها ٠٠ ولا تسلم كذلك من الخطأ مثل : ولن أبك يوما

ـ ووصلت « هذيان » من الشعر المنثور ٠٠ وهى معان متناثرة لا تكاد تجمعها وحدة ، الا أن تكون تداعيا لفظيا تذكر فيه كلمة بكلمه ٠٠ وعلى كل فان فيها من المعانى المفردة ما يتنفس فى جو شعرى ٠٠ ولعل غيرها يكون أقوى منها وحدة ، وأعمق غرضا

ـ ووصلت « هلمى » ويخونها اللفظ الملائم فى مثل هلمى فعينى تروم اللقاء ٠٠ وليست العين التى تروم اللقاء ٠٠ ولكنه القلب والروح ومثل : ويغشى كيانى عبير السناء ٠٠ فهل للسناء عبير ٠٠ وهل يغشى عبيره الكيان ! ٠٠ ولا يسلم التشبيه فى مثل قوله : سيطوى شجونى كطى الاثير ٠٠ ولا يبدو لنا طى الاثير ٠٠ ثم ليس فيها وحدة غرض فنى يربط ما قد يسلم من معانيها المفردة ٠٠

ـ وله أيضا « حكاية لها » وليس فيها حكاية ، لكنها كذلك معان متفرقة ٠٠ لا تسلم العبارة فيها من الخطأ مثل ما لم تطيلينها ! الى فضول فيها مثل يسير اقدامى اليك ٠٠ ويكفى التسيير دون الاقدام ٠٠ ومثل : ويصبغ أيامى بما صار من حبى ٠٠ فما مكان «صار» هنا ـ

ـ ووصلت «القربان» وصاحبها يكرر أنه يحمل صليبه ، أو يجر صليب العذاب كما يقول ، ولعله لهذا كان قربانا ٠٠ ولكنه وهو على الطريق الى الفداء والفناء يحضر زاد الطريق حينا ٠٠ ويتسكع فى كل أرض كما قال ، ولماذا وهو على الطريق الى الفناء يسير وقد أعد زاد الطريق ، وأخذ الجبن القديم معه ٠٠ انه عالم غير متسق ٠٠ والعبارة عنده غير مواتية أحيانا مثل :٠٠ أقفل فوقهم القبر ٠٠ ورشوا مياه الصفاء ٠٠ وفؤاد القرون ٠٠ وهو طويل النفس دائما ، وقد رجوناه قبل الآن أن يتنخل ، ويتخير ٠٠

النثر

ـ وصلت « كلمة عتاب » حول مسابقة القصة القصيرة ، و «الأدب» قد حدثت عما فى مقاييس تقديرنا من حاجه الى الدقة والضبط ٠٠ ولعلها تجد مناسبه لنشر هذه الكلمة ٠

ـ ووصلت « خليها على الله » وسخرية يحى حقى » وهى اعجاب ساذج ، ينتهى عند التلخيص الجاف فلا تحليل ، ولا استخلاص للباب العمل الفنى الذى أعجب صاحبها ٠٠ ولعلنا قد جاوزنا مرحلة الاعجاب بما لا يزيد عن آه ٠٠ أو التصفيق ٠٠ لا غير ٠٠

ـ ووصلت قصة « بريئة » وهى حكاية عادية قصيرة لاتهام غير متأن ٠٠ وعن أى جيل يحدث الكاتب حين يذكر ارتداء الملاءة ٠٠ ولم أعرف أين كانت السيدة مادامت لم تذهب الى بيت

أبيها لان أباها جاء لزيارتها وهو فى حجرة الجلوس منذ وقت طويل !! ثم لا تسلم عبارة هذه الحكاية القصيرة من اللحن ..

– ووصلت « غزاة من الجوزاء » وهى وقد ذكرتنى سخريتها بما تعرضه قصه ساخرة فيما يقول صاحبها ، فرقة ساعة لقلبك من فكاهات مفتعلة عن الحياة فى القمر .. فياساخرا بالحياة فى المريخ أو بعلماء روسيا اذا حاولوا غزو المريخ لانه قد سبقهم الى هذا أهل الجوزاء .. ان غير هذا من حديث الفضاء ، وغزو الكواكب أولى بمثلنا ، ونحن أحوج الى أيسر الحقائق عن هذا العالم الذى يرتادونه اليوم بجد جاد ، وعلم كبير ..

– ووصلت « رزقهم فى السماء وهى كما تدل نهايتها عند سماع صوت المقرىء براديو الجيران انما تشير الى الآية القرآنية وصحتها « وفى السماء رزقكم وما توعدون » .. والقصة يسيرة الشأن هينه القدر جدا ، رغم ما طولت به من وصف تفصيلى لا مكان لمثله فى القصة القصيرة ، ولم تسلم مع ذلك من لحن غير قليل .. ووضع للالفاظ والصور البيانية فى غير موضعها مثل قولك ويكون قد أدى من اجل سلامة زوجته الجديدة ما لله لله .. وليست الحكاية أخيرا فى شىء من جو الايمان الذى يعيش فيها اشخاصها . وبختمه قراءة الراديو للقرآن .. ليست من ذلك فى شىء فقد عسرتها بلا يسر فى اللحظة الحرجة التى يسعفهم فيها ايمانهم عادة !! فهل تقصد الى هذا الوضع المخلف للظن .. ؟؟

– ووصلت « الله يعوض » وهى سليمه الاسلوب، مع اسهابها الواضح ..لكن ليس لها كيان القصة..!والازمة التى ضيعت مستقبل عوض الى غير تعويض أزمة شديدة الافتعال ، ولو ضاعت عليه فرصة الامتحان من أجل ترقية قدروا فيها نشاطه ، لامكنه أن يدخل الامتحان فى العام التالى ، كما عاود الدراسة بعد ما تركها سنين ، والنقل والترقية مما يهيىء له الطمأنينة ولا يضيع عليه بهما ما يدفعه الى الاعتداء المجنون للاجهاز على رئيسه الذى أعلنه أنه ينقله ترقية له وتقديرا لنشاطه ! ففيم كل هذا ، وهل يعوض الله بعده على من يتصرف هذا التصرف الغريب ولا سيما بعد تجاربه السابقة التى تكفى لتكوين شخصيته

– ووصلت قصه « العار يامدبولى» وصاحبها قد نشرت له « الأدب » أكثر من قصة ، لكنها فى هذه المرة تحب أن تدخل معه فى حديث قصير قبل التقدير الفنى لعمله ، وذلك أنه يكتب عن الريف فيدل على أنه لا يعرف عن الجو الذى يكتب عنه شيئا كثيرا ، بل لا يعرف القليل كذلك ، انه يصف مدبولى وهو يرفع الفأس ، هو وجاره سالم ويسمى هذا حرثا ، ويزعم ان الرجل يحرث فدانه بالفأس من الصبح الى الظهر !! وما يفعله مدبولى وسالم

انما هو عزق لا حـــرث ، وما انت والريف الذى يحرث بالفأس

وهو يصف اعـداد الارض لزرع القطن ، فاذا مدبولى يقسمها مربعات والقطن ياصاحبى خطوط لا مربعات !

وهو يحرث الارض بالفأس — عـــلى رايك — فى عز الحر ، ويعرق حتى يلتصق ثوبه بجسده ، ووهج الشمس يكاد يحرقه — كما يقول — مع أن القطن لا يزرع الا فى الشتاء ، أو أوائـــل الربيع المتصلة بالشـــتاء .. وأنت بدنيا الفتيات الريفيات أقل معرفة منك بمواعيد الزراعة وطرقها

فهل القصة تكون مع مثل هـــذا البعد عن جوها ؟ ..لا .. لا

— ولصاحب هذه القصـــة اخرى اسمها « الطريق المرعب » ومع أنهـا لا تكون شيئا من قصه فانها تؤكـد أن السيد لا يعـــرف الريف ، حتى بالسماع فان القناة التى كون حافتها الطمى تخرج من شقوقها الحيـــاة والثعابين، مع أن السائر عندها يسمع نقيق الضفادع ، ولا يلبث أن يرى محمود يدير الطمبور ، وهو مبتـل بمائه ، وقد وقعت عليه كبريته وابتلت فأين مكان الثعابين والحيات مع الماء والضفادع ، والطمبور ، الذى يسميه صاحب القصة الطمبورة ، وهما بهذه العلامة الصغيرة يفترقان افتراقا كبيرا فالطمبور آلة رى ، والطمبورة آلـة طرب سودانية ! وما هكـذا يعيش كاتب القصة فى جوها ويتخيله !

— وللسيد ثالثة اسمها « قطـرات من دموع » وهو اصلحه الله مكثر .. لو انطلق عنانه لعز على باب بريد «الادب» كله أن يتسع لنتاجه .. وفى هذه الثالثة يعمد السيد الى نزعات ذهب ازمانها من الاعتماد على مفاجئات القدر المباغتة جدا فى بيئة لا تسمح بمثل هذا الذى عمد اليه من غياب سهير وتركها دولاب ملابسها ممتلئا بتلك الملابس حتى تجىء سنية ابنتها بعد كذا وكذا من السنين وتضع فيه ثيابها الى جانب ثياب أمها .. واختفاء سهير فى مدينة القاهرة التى لم يبلغ سكانها بضعة الملايين كباريس أو لندن ، .. ولو دقق صاحبى فى كل ما أبقاه لسنية من أمها وهو الصورة لاستطاع أن يقول مع المثل الشائع : يخلق من الشبه أربعين .. فهذه الصورة وحدها لا تكفى شاهدا على النسب المزعوم وشخصية الاب ملفقة العناصر ،فانت تصفه بالختل ، وتعرضه لاحتقار الام واتهام البنت ، مع أنك تثبت له من الشعور الحى ، والعاطفة الصادقة ما لا ينتهى الى هذا الاحتقار والاتهام .. وكل هذا الى أشياء أخرى فى الاسلوب كالاسهاب والاملال الذى لا تستطيعه القصة القصيرة

— ووصلت قصه « الرجل الكلب» موصوفة بنها قصة تحليلية .. وهى عن شخصية غير عادية ، بل شاذة ، تحتاج فعلا الى تحليـل لم تكشف القصة عن شىء منه بالحـوادث ، أو الحوار ، أو حتى التعبير المقتضى للكاتب .. و « الادب » تعطف على أمانى صاحب القصة .. وترجو له التوفيق بفضل اصراره المفيد ... وتخالف المبدأ المقرر ، فتبعث اليه بما طلبه .. دون حاجه الى وساطة أحد من اسرة التحرير .

فهرست

العدد الثانى | يناير ١٩٦٠ | السنة الرابعة

صفحة

٤٦٥ ـ حكم تأديبى بالتوبيخ العلنى .. .. عن الأمناء
٤٧١ ـ متخلفون لغويا : ماذا فى المجمع .. والمعجم !! .. بقلم : أ. الشربينى
٤٨١ ـ فلسفة المثل الشعبى .. .. بقلم : محمد ابراهيم أبو سنة

٤٨٩ ـ فن الشعب .. .. حامد الأطمس
٤٩١ ـ فى ذكرى المعركة .. .. عبد الفتاح شتا
٤٩٣ ـ الغامضـــــة .. .. شكرى هلال
٤٩٤ ـ أنا والحب والجنس .. .. ابراهيم حماد

٤٩٦ ـ عشرة هنود .. .. قصة : هيمنجواى ـ ترجمة : رجب البنا
٥٠١ ـ الشفـــخانة .. .. قصة : مصطفى الأسمر
٥٠٦ ـ النـاس .. .. قصة : فخرى فايد

٥٠٨ ـ الى النفس الأخير .. .. بقلم : بنت الشاطىء

٥١٣ ـ ترجمة مسرحية التيه .. .. نقد : حسين عبد السلام

٥١٩ ـ بريد الأدب : أينا سينتصر ـ ٥٢٢ ـ خارج النقد ـ ٥٢٤ ـ الشعر
٥٢٥ ـ النثر ـ ٥٢٨ ـ فهرست

دار القاهرة للطباعة

الدكتور محمد مندور

الاستاذ سامي الكمالي

الاستاذ سعيد جبري

المقدم حسن محمد علي

الاستاذ رمسيس يونان

الدكتور سمعان احمد فؤاد

الاستاذ محمد صدقي الجباخنجي

الدكتور سلامان فطاية

جون جالسورثي ترجمه الاستاذ فوزي سمعان

وغير ذلك من انباء وآراء في الأدب والمسرح والفن واهم الاخبار الثقافية

رئيس التحرير

الدكتور علي الراعي

١٣٦ صفحة

١٠ قروش

مع مطابع الصحف بالمكتبة العمومية

الأدب

العدد التاسع

السنة الرابعة

فبراير ١٩٦٠

* * *

حمسون ملما

و .. قوانين تقديرنا .. !!

هذه الواو ، فى العنوان كواو أبى العلاء المعرى .. الذى أنشده المنازى الشاعر ، فقال له : أنت أشعر من بالشام .. ثم أنشده بعد عشر سنوات فقال له : ومن بالعراق .. عطفا على قوله قبل عشر سنوات : انت اشعر من بالشام .

واونا هذه تعطف فبراير ١٩٦٠ على ديسمبر ١٩٥٩ وليس بينهما ، على كل حال ، شىء من السنوات فيكون ذلك البعد المسرف المبالغ ، فى واو المعرى .. واحسب أن غير قليل من القراء يذكر ما كتب فى عدد ديسمبر ١٩٥٩ تحت عنوان : مقاييس تقديرنا ، حبر على ورق .. وانتهى فيه القول بالوعد بأن تكون تقديرات الحياة الادبية العملية موضع نظر ، كالذى كان فى تقدير الحياة الأدبية النظرية ، فى البيئة الجامعية العليا ..

ولعل القراء يذكرون كذلك ما اخر الوفاء بهذا الوعد ، من الوقوف : لاعلان الحكم التأديبى بالتوبيخ العلنى ، من وراء بضعة قرون ، يدمغ به ذلك الذى ينكر واجبنا فى تقويم الرجال ، وتعديل العدل ، وجرح المجرح ،ويعد التاريخ نبشا للقبور!! ويوقع خطابه الخائر بامضاء « لك بالمرصاد »

ولئن اخرت هذه المحاكمه عن الوفاء السريع بوعدنا للقراء ، فى اخر مقال المقاييس ، فلا .. ولن يؤخر شىء عن الوفاء الكامل بحق الحياة

الادبية والحياة الاجتماعية علينا من التقويم الصريح . والتقدير السليم للأحكام الأدبية فى الحياة العملية . من مسابقات ادبية ، وما يشبهها من تحكيم .. وحكم ..

ولا .. ولن يؤخر عن ذلك مثل هذا « المرصاد » أو « المراصد » التى يقوم فيها العشرات او المئات ، من امثال هذا المتخفى ، المتستر من التاريخ ، والغرور .. والذى يعف القلم عن وصفه .. ولا يسف ..

واريد اليوم لأتحدث عن الحياة الأدبية العملية ، والتقدير فيها ، وأنا أعيش فى الجو النفسى ، الذى عشته حين حدثت عن التقدير فى الحياة النظرية .. واحيا فى العالم العقلى الذى حييت فيه ، عندما تكلمت عن التقدير الجامعى ، بالحق كله ، والتجربة المباشرة عشرات الاعوام ، تجربة توجب الصراحة ، وتلزم بالاخلاص ، وتحتم الوفاء بحق هذه البيئة ، فى الاستفادة من تلك التجارب الطويلة .. مهما يكن فى ذلك من مرارة الاعتراف ، وقسوة الاقرار .. ولقد هيأت نفسى لذلك كله ، بالتصميم اللازم .. وارجو ان يهيىء غيرى نفسه بالصبر اللازم .. كما ارجو أن يتلقى القارىء ذلك كله بالرغبة الصادقة فى الاستفادة من هذه المعاناة .. التى تقدم اعترافها فى اخلاص .. واحتمال .. دون أى مواربة ..

فى ديسمبر حدثت عن مقاييس التقدير الأدبى . واستعمالها السيىء والقياس بها فى الاحكام على الاشخاص والرسائل قياسا مسيئا يخسر الميزان . ويطفف الكيل .

واريد ان اتحدث فى فبراير عن القوانين التى يجب تنفيذها فى التقدير الأدبى ، الذى تكلف به الحياة العملية ، فى المسابقات ، والجوائز وأشباهها ..

وبين المقاييس والقوانين فرق يجب أن نقدره . ففى استعمال المقاييس يكون فى عمل القائس بها قدر من النظر الشخصى ، وأثر للذاتية الفردية ، مردهما الى أن تقويم الشخص هو المحكم .. بحيث لو خالف عليه مخالف ، أو نقده ناقد لوسعه أن يتستر بتقديره الذاتى ، ويزعم فى ذلك مزعما ما ، قد يكون ظاهر الانحراف ، لكنه موهم ، يتعلل به على نوع ما من التعلل ..!! اما القوانين حين تنفذ وتطبق فلا مجال فيها لذاتية المطبق ، وتقدير المنفذ ، فيتهيأ له من الاعتذار عن المخالفة ما يوهم أو يشتبه .. لانها شروط محدودة ، واضحة ، منضبطة ، ولو كان فيها شىء من اللبس لوجب على المنفذ ان يرجع الى المشرع ، يستبين قصده ، ويستوضح غرضه ، فان لم يفعل فهو مسيىء الى نفسه ، والى الحقيقة ، ولا عذر له فى هذه الاساءة يمكن تمحله ، أو التستر به ..

وحكمه باطل ، لا يكسب حقا ، ولا ينجو من ملامة ، مهما تؤيده اى قوة ٠٠ هـذا فـرق ما بين مقاييس تقديرنا ٠٠ وقوانين ذلك التقدير ٠٠ وهو - كما ترى - فرق يزيد التبعة وتشدد المسئولية - ويضاعف الافساد والضرر ، فى الحياة الادبية ٠٠ فكل الذى قيل فى ديسمبر عن الاساءة الى الحق والعدل ، بالقياس المضطرب ٠٠ كل هذا يقع بمخالفة القوانين ، بل يقع ، وتقع أمثاله معه ولا نحتـاج الى تكراره ، ومعاودة الاشارة اليه ٠

* * *

ثم هناك اخرى يختلف بها هـذا الحديث عن سـابقه ، اختلافا غير قليل ٠٠ بل اختلافا كبيرا - وذلك أن حديث ديسمبر كان من انشائى ، ووصفى ، وتقويمى ، أصدر فيه عن تقديرى ، وتأثرى ٠٠ أما حـديث فبراير هـذا فليس فيه شىء من انشائى اليـوم ، ووصفى الآن ، أو تقـويمى ٠٠ بل هـو مكتوب استنسخه ، ومخطوط اخرجه ، لا اتصرف فيه بزيادة أو نقص ، ولا املك منه محوا ولا اثباتا ٠٠ لانه صار ملك التـاريخ ، ولأن له فى مضابط الدولة أصلا ، افرض أنه قد يكون محفوظا ، يراجع يوما ، أو يقابل بما أشـير اليه من هنا ٠٠ ولكل اولئك لا أملك أنا المساس به ، او التصرف فيه ٠٠

* * *

بل هناك ما هو أروع من ذلك كله وارهب وهو : أن هذا الحديث يوشك ان يكون حديثا من الدار الآخرة ٠٠ او رسالة من العالم الثـانى ، أداه صاحبه الى الزمن ، ودفعه للتاريخ فى آخر عهده بالدنيـا ٠٠ وفى السـاعة التى يؤمن فيها الكافر ، ويتقى الفاجر ٠٠ اذ أعده وكتبه ، وهو على أبواب هذه الرحلة ، وعـلى عتبة تلك الدار المخوفة ٠٠ فحين تقع الحوادث المذكورة هنا ، فيعانيها ، ويقاسى تسجيلها ونقدها ٠٠ كان - أراح الله ضميره - تتبادله الأشعـة والمناظير الكاشـفة ٠٠ وتتنـاوبه التحاليل والفحوص المبينـة ٠٠ حتى انتهت به الى تشـخيص رهيب ، أسرع به الى مشارط الجـراحين ، تقص فى أحشائه ، وتجز من أمعائه وتجول من ذلك مجالا خطرا ٠٠ وفى هذا الجو سجل ما استقرأ من أحداث واراد أن يبرىء ذمته ، أمام الأجيال وهـو عـلى فراش الموت المنتظر ، والنهاية المشـارفة ٠٠ بعد جراحات مكررة من هـذا النوع العنيف ٠٠ فدفع الى بصورة ممـا كتب فى ذلك قبل أن يعلن سرها ، ويذاع مستورها ٠٠ وما أحسبه فى كل ذلك الا قد

خشى أن يخرج من الدنيا وما سجله من ذلك منسى مهمل ، كسائر كثير غيره ، فى محفوظات الدولة ، وملفات الحكومة .. بغمره الاحداث ، ويتوه بين الاوراق !!

وفى هذه الحال التى وصفتها استقر عندى هذا التقرير .. وهو ما أضع منه بين يدى القارىء ، رسالة من الآخرة ـ كما قلت ـ تحميها رهبة هذا الموقف ، وحرمة تلك الاعتبارات المتعددة ، من أى مبالغة ، أو تهاون ، أو هز للحقيقة .

* * *

كانت حكومة أدب كبرى ، يختلط فيها التشجيع بالتقدير ـ قبل أن يفرق بينهما أخيرا ـ وكانت حكومة الذروة ، ورأى الاقطاب .. فكان لها جلالها وحرمتها .. كما أن لها مادتها المالية بالمئين الكثيرة ..ولها مع ذلك قيمتها المعنوية الاعتبارية المكافئة لذلك كله .

وكان للتقدير فيها قوانين مكتوبة منصوصة ، واضحة فى تفصيل كاف واف .

وكان الحكام فيها ـ كما أشرت ـ هم الجلة ، والمشهورون ، فى حساب من اختاروهم لذلك ، وارتضوا حكومتهم ، وائتمنوهم على المادة والمعنى ، ورجوا الخير من وراء هذا كله للأدب والأدباء .. والحياة عامة بأجيالها الصاعدة ، التى يسدد الادب خطاها . ويهدى لها الطريق ، ويحدد الاهداف والمثل

* * *

وحدث فى هذه الحكومة ، وفى تنفيذ قوانين التقدير فيها غير قليل مما رد هذه كلها حبرا على ورق ، بل حبرا جامدا ، ناصعا ، لا يستبين .. واليك بعض هذا ، من نصوص التقرير الذى استقر بيدى فى الظروف التى وصفتها لك آنفا :

ا ـ تقرر رسميا ـ وأعلن للكافة فعلا : ان مادة التقدير هى فن كذا بعينه من الفنون الأدبية .. ثم كان النظر والتقدير فعلا لغيره .. مما لا يشتبه به ، أو يظن أنه منه بحال !!

ب ـ نصت قوانين التقدير ، على طريقة استقصاء المؤلفات فى هذا الفن واستيعاب ذلك استيعابا يتهيأ به تكافؤ الفرص .. ونص القوانين فى ذلك صريح واضح

وفيما وقع لم ينفذ شىء ما ، مما نص عليه .. بل اكتفى بأيسر جمع وأقرب تناول .. لا تتبع فيه ، ولا توسع بل داخل دائرة من ذلك محدودة ضيقة أشد الضيق ..!!

ج ـ نص قانون التقدير على فحص المؤلفات ودرسها ، واحدا واحدا .. وأن يبين حالها فى تقارير مفردة يوضح فيها أساس تقويمها ـ وأسباب ردها .. ومسببات قبولها

٠٠ ويكفى من الاهتزاز فى ذلك ما يدخل التقدير من العوامل الشخصية ، والاعتبارات الذاتية ٠٠ التى لابد أن تمس دقة التقدير ٠٠ ولا تنسى ما قد يكون من اعتبارات شخصية بين متعاصرين ٠٠ يعملون فى ميدان واحد ٠٠ وبهذا قدر واضع القوانين ما للبحث المفصل المسبب من الأهمية والضرورة التى تمكن المحكوم عليه ، يوما ما ، وفى حال ما من أن يعرف وجه الرأى فى عمله ، وحيثيات الحكم عليه ٠٠!!!

* * *

د ـ فصلت قوانين التقدير طريقته ٠٠ وأن يكون باشتراك الأعضاء جميعا ٠٠ يقرأ كل واحد كتابا أو أكثر ، مما يكون مختصا فيه ٠٠ ويضع تقريرا عن كل كتاب ٠٠ وما رفضه يستبعد ، ان لم يخالفه فى ذلك مخالف من زملائه ، قوى الله قلوبهم ، ونور بصائرهم ٠٠وما قبله بقبل ان لم يخالفه زملاؤه فيه ٠٠!!!

ثم ما تقرر قبوله يقرؤه الاعضاء جميعا ، ويعطيه كل واحد منهم درجة وعلى قدر مجموع هذه الدرجات يقضى للاكثر عددا منها ٠٠

وتعتمد القوانين فوق نصوصها ، على ما تمنحه تجربة أولئك المجربين وخبرتهم ، من دقة ، وسلامة ، ونزاهة لهذا العمل !! أما ضمائرهم ٠٠ واخلاقهم ٠٠ فهى كل شىء ٠٠! طبعا٠

وقد خولف كل المنصوص المكتوب جهارا ٠٠ نهارا ٠٠ فكتاب لم يكتب عنه اى تقرير ، بل وصف وصفا شفويا عرضيا من عارف به ٠٠ ومع ذلك هو الذى اعتبر فائزا ٠٠

* * *

انتهى الامر الى هذا الحد فى تطبيق قوانين التقدير ٠٠ وحين ينتهى الأمر الى مثل ما رأينا أستغنى أنا ٠٠ ويستغنى القارىء معى ، عن أن أتابع النقل من التقرير الذى تحت يدى ٠٠ فأورد بعض ما فيه من مظاهر الضعف النفسى والخلقى ، وتهافت الشخصية عند تكوين الرأى ٠ أو اورد شيئا مما فى التقرير من كثير الاسباب المعنوية التى أوجبت تقديم هذا التقرير للجهات المسئولة بيانا لرأى المعارضة ٠٠ فانتهى الى ماينتهى اليه مثل هذا فى الملفات والمحفوظات ٠٠ وان كان صاحب التقرير فى حينه يتحدث أنه يعرف هذا المصير ، ويوقن به ، ولكنه يتمسك بابراء ذمته ، أمام التاريخ ٠٠

هـذه قوانين التقـدير المدونة المكتوبة .. وهـذه قرارات تطبيقها الشاعة المعلنة .. وهـذا مقـدار صحتها .. ومدى حرمتها .. وهذا ما يكتب عنها فى تقرير رسمى لمن يعدون أصحاب الشأن ..

« ان المستوى يهبط .. بل ينحدر ويسفل .. ولا غـرابة فى ذلك .. ولكن القريب ان يسـاءل المسـاءلون ما اسباب انحطاط المستوى ؟! مـع أنها تحت أقداهم .

عبد الرحمن الخميسى

الأدب

فنية • شهرية

يصدرها الأستاذ

الادارة : مصر الجديدة . الحجم : ١٣

ت : ٦١٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم

امين الخولى

رئيس التحرير

الرسائل الادارية ترسل باسم

عزت محمد ابراهيم

سكرتير الادارة

الاشتراك عن سنة: فى مصر ٥٠ ، فى الخارج ٨٠ (أو ما يعادلها) بالبريد العادى

ثمن العدد ٥

البريد الجوى والمسجل بحسابه

تصدر سابع كل شهر

مشكلة الفقر في المثل الشعبي

بقلم محمد ابراهيم أبوسنة

المثل الشعبي، كفهم تجريبي للحياة يتكلم دائما بالطريقة المباشرة ربما لان أدواته الفنية دون النضوج رغم أنه يستعمل الرمز استعمالات ناجحة جدا .

ومن ثم فهو بطابعه المباشر هذا يكشف في وضوح وخشونة عن أعماق مواقفنا وحياتنا ومشاكلنا وهو كنظرة فلسفية متكاملة لايقف بنا ضد غرض التعبير الموجز العميق بل من يتابع في دأب وعناية عرض المشكلة ناميا معها حاملا في الوقت نفسه قانون الصيرورة والارتقاء حتى ينتهي بها الى وجهة نظر يرضى عنها وهو بذلك يخدم قضايانا وثقافتنا خدمات جليلة اذ يقدم المضمون شرائح الموقف المادي الاجتماعي وانعكاسه على الذهن الفطري الكادح ولا احب أن أعرض لتفصيلات عن ملامح المثل وخصائصه فقد أوجزت ذلك على نحو ما في مقالي السابق عن فلسفة المثل الشعبي والذي نشر بمجلة الادب عدد يناير .

واليوم أود أن أتابع باعجاب لحكمة شعبنا أتابع فهمه للحياة من خلال مشكلة كبيرة في حياته هي مشكلة الفقر منذ تكوين المشكلة حتى التبسيط الاخير فوق حلول ترضي وجهة نظر الحكمة الشعبية .

ونحن قد نعبر عن الفقر مثلا بانه الحرمان أو هو ضيق ذات اليد أو هو المسافة بين الرغبة والاشياء ولكن المثل يجهل هذا التجريد النظري للقضية فيعبر عنها تعبيرا تتضح فيه الصورة الفنية متعانقة مع العلاقة الاجتماعية فالرجل العامي لا يقول ما هو الفقر بل يحسه فيعكس احساسه عكسا منطقيا وليس تجريديا فيخاطبك مباشرا صريحا « أصلك فلوسك وجنسك لبوسك » وهو يحدد بهذا القيم البشر تحديدا ماديا داخل المجتمعات الفردية ذات العلاقات الاجتماعية الفوقية التي تقرر دائما أن المرء بما يملك ، وليس بما يكون ؛ ويتمم لنا الصورة التي رسمها فيعرض مشهدا يكاد أن يكون صورة بصرية محضة « ابن مين اللي محمول ابن اللي عندها مأكول وابن مين اللي ماشي ابن اللي ماعندهاشي » وبعد أن يخلص حكيمنا من تقرير هذا القانون الذي هو أبرز سمات المجتمع الفردي فيعرف الفقر احساسا ناضجا ممتلئا موضحا من خلال هذا التعريف التركيب الاجتماعي قائما

على قوانينه الملازمة له وهو بهذا يعرف الفقر أروع تعريف فنى يعادل فى الصورة الفنية مع العلاقة الاجتماعية .

ثم يعرض بعد ذلك لمصدر المشكلة التى تبدو له فى أحيان كثيرة حتمية أبدية ومصيرا مقررا من قبل فيخلص هذه الظروف التى تحيط به فى فهم غيبى للواقع فنجده يجعل الحظ الها يوزع الهبات على رعاياه المختارين ومن وقع عليهم الاصطفاء من بنى البشر اعتباطا وربما لعلة تتصل بشرف النسب وعراقة المحتد وغير ذلك من مبررات خارجية فنجده يحدد من البدء أن « السعد وعد» «كله قسمة ونصيب وقليل البخت يلقى العضم فى الكرشة» « واجرى جرى الوحوش غير رزقك ما تحوش » ولكنه يعود عندما يطرق الواقع المادى المتحرك كهف أفكاره فيهزه ليفيق معلنا «اعمل انت ياشقى لهذا المتكى » ويشير الى الامراض الاجتماعية التى تكون دائما سببا لتوزيع الثروة توزيعا غير عادل « ارشو تشفو» «البرطيل شيخ كبير» فالحكمة الشعبية لاتجهل تماما الظروف المحيطة بها بل انها أقدر على تحليل النسيج الاجتماعى من أى تجريد نظرى آخر غير أن الاحساس بالعجز أمام شىء يبدو حتمية أبدية هو الذى يقرر « قيراط حظ ولا فدان شطارة » والمثل الشعبى يتحدث عن مظاهر وأعراض هذا المرض المعضل — الفقر

— فيتعرض لانعكاساتها السلوكية عند الفقراء أمام الاغنياء فهو أولا وسيلة طبيعية لاذلال الفقير الذى يسلب امكانيات المقاومة ضد الظالمين وشبيها بالمنفعة يقرر المثل أن « الخضوع عند الحاجة رجولية » « ربنا ما سوانا الا بالموت » وان كانت النصوص الشعبية تحفظ لنا فى قيثارها الحزين رنة كبرياء شامخة :

اسمعوا هذه الاغنية التى تكشف عن اعتداد بالنفس بعيد الجذور فى طبيعة الرجل المصرى .

جس الطبيب فى شمالى أنا قلت لو يا مين

صابح مسافر ياطبيب وحتفوتنى عليل على مين

قال الطبيب للعليل أداويك ياعليل وحق الدوا على مين

قال العليل للطبيب أنت تحسبنى من الفلوس خالى

دا أنا لى عزوه ألفين غير عمى وغير خالى

قالت أخت العليل داويه ياطبيب وأوهب له حلقى وخلخالى

قالت أم العليل داويه ياطبيب يبقى لك عندنا علامات

قام طق العليل مات من قولة حق الدوا على مين

ولا أجد صورة فى البيان الفصيح تستطيع أن تعبر فنى مثل هذا العنف الدرامى عن أزمة الكبرياء التى يعانى منها الرجل الذى لايملك ونحن نقف

عند قمة اعجابنا بهذه البلاغة التى قال عنها احمد أمين «أعتقد أن فى التعابير الشعبية من أنواع البلاغة مالا يقل شأنا عن بلاغة عالم الفصحى وأن هناك من أمثلة المصريين ما يعجب به عالم الفصحى كما يعجب بامرىء القيس »

ولنعد لعرض مظاهر المشكلة فى كلمة الشعب الحكيمة : كما قلت ان المثل قد حدد القيمة الانسانية فى اطارها المادى بميزان الملكية الفردية ولذا نجد الصورة التالية تتوجع فى يد هذه القيمة المادية التى تجعل من الناس عبيدا وسادة فهى تقرر أن الغنى يبرر العيوب جميعها ولو كان الغنى أبله أو معتوها :

اذا غنى كل حبه قالوا من حكمته
واذا كلها الفقير قالوا من حمريته
« اذا مات الغنى جروا الخبر واذا مات الفقير ما فيش خبر » .

وهذ التصوير الرائع يدفع بهذه القيمة ـ قيمة الملكية الفردية ـ الى الصدارة كضرورة مباشرة خاصة فى مجتمع فردى ويطوف حولها ليؤكد انها مركز الثقل للأزمة برمتها ومالنا نذهب بعيدا فى بحثنا عن القيم وواقع الحياة وفهم الرجل لها يدمر كل نظرية أفلاطون عن المثل والقيم عندما يصبح « الاعتبار للمال مش للرجال » وهذه المسكنة هى التى تحدد المسافة التى تتحرك فيها آمال الانسان ونشاطه وحريته «على قد حصيرتك مد رجلك» ولكن الامل الجائع المتطلع لا يلبث أن يتجاوز حدود الحصيرة الضيقة فيفجؤنا بحكمة قصيرة مدوية عميقة « العين بصيرة واليد قصيرة » فالعين فى المثل هى الرغبة والامل واليد هى الامكان والمسافة بينهما هو الفقر ورغم هذا العناء والعدم القاتل فان الفقير دائما يجرى فى حاجة الغنى « عاز الغنى شافة كسر الفقير زيره » والغنى مع ذلك لا يقنع ، فالاثرياء كالرمال تطلب المزيد من الماء دائما « خدوا من فقرهم حطوا على غناهم » «أبومية يحسد أبودفية» «أبوجموسة يحسد أبو معزة » والغنى فى نظر الرجل الفقير رجل موهوب من قبل ارادة بلهاء « ادى الحلق للى بلا ودان» وأصحاب الودان هذه « ان عاشوا كلوا الديدان وان ماتوا ما يلاقوا أكفان» ثم تتكامل المشكلة وتدخل بعد مرحلة العرض والتفسير مراحل التوتر والبحث عن حل « اللى له ضهر ما ينضربش على بطنه » لابد من ضهر اذن ويقف ضمير الحكمة أمام هذه الازمة مثلا بأخلاقية تقليدية ذات قداسة فهو لا يبرر الاعتداء .

أولا : « مال الناس كناس » مال تجيبه الريح تاخده الزوابع « بيت النتاش عمره ما يعلاش » وهنا يظهر وجه ظافر لضمير الحكمة الشعبية فينبذ السيادة المفروضة « ما حدش أحسن من حد » « الكل ولاد تسعة » وهنا يبدأ فى المثل فى وضع أسس جديدة يعيد فيها الى القيمة الانسانية

اعتبارها فيشير الى العمل كصديق سوى طبيعى لمقاومة الفقر « الايد البطالة نجسه » ويودع نظرته الخاملة المتواكلة فيقول فى اغنية :

أبويا نهانى وقال عن الكسل بطال
اعمل بقرشين وحاسب من البطال
أدينى خالفت شـــوره ووقعت فى البطال

وهو يؤمن بأننا نحن مصدر الحركة المنتظمة التى تنتهى بالنتائج متلازمة مع الفعل«الدنيا مراية وريها توريك»

ويقرر فى فهم عميق للسيكولوجية الانسانية ٠ ٠ « العاجز يميل على القادير » وتدركه أريحيته المعطاة « اصرف ما فى الجيب يأتيك مافى الغيب » ثم يتنبه الى ان ظلما يقع فى مجتمعه وهو لا يسعى الى العدالةفوق قنطرة اخلاقية يقول : «خد بحقك حلفا واحرقه » وهكذا تشق العزيمة المصرية طريقها متمردة متجددة لا تؤمن بالطرق المسدودة :

« اللى ما يقدر عليه القدوم يقدر عليه المنشار » ٠

عادت « الشهر »

فأحيب الى « الأدب » اليوم أن ترحب بها قوة فى الميدان الفنى الفسيح ، من حياتنا التى يعوزها تضافر القوى ،وتعاون العاملين ٠٠

ولقد كرهت « الأدب » أمس أن تحدث عن غياب «الشهر» كما يتخون الانسان نفسه حين يسمع الخبر السيىء ٠٠

تحيات ، وأمنيات لنجاح مجلة « الشهر » ٠٠

اللغة بين اللفظ والاشارة

بقلم : محمد رأفت الباشا

اللغة من الوسائل الفعالة فى تبادل المعرفة وتوثيق الصلات بين الافراد والجماعات والشعوب فضلا عن انها من اقوى العوامل فى نشوء السلوك الاجتماعى وتطويره . وهى اداة التعبير لدى الانسان فى كل مرحلة من مراحل نموه . تعبيرا عن ذاته وعن العلاقات المتبادلة بينه وبين غيره

ولقد تميز الانسان عن غيره من الكائنات الحية بالنطق ، وباستعمال اللغة بمدلولاتها المختلفة كوسيلة من وسائل الاتصال الإجتماعى منذ اقدم عصور التاريخ

وينحصر تعريف اللغة فى انها عبارة عن جزئيات صوتية او حركية مترابطة لها دلالة معينة وذات نظام صوتى او حركى مفهوم . وهذا التعريف يسوقنا الى تقسيم اللغة الى لغة لفظية ولغة غير لفظية وهى لغة الاشارات .

اللغة اللفظية فى معناها العام هى الكلام ، وهى توافق متصل ينسق حركات الشفتين واللسان وعضلات الحنجرة والأوتار الصوتية والرئة معا وتبدأ اللغة أول ماتبدأ عند الطفل على شكل « صياح » ثم يتطور بالتدريج الى كلمات يلتقطها الطفل من بيئته المحيطة به ، معبرا عن بعض رغباته .

ويحضرنى فى هذا المجال — قول مأثور ، وهو حقيقة ذات معنى عميق وارتباط أعمق بالأصول النفسية والعضوية معا ، هذا القول هو وصف مختصر لانفعالات الانسان منذ اللحظة الاولى التى تتفتح فيها عيناه على الدنيا حتى يغمضها من الشكوى :

الحياة يدخلها الانسان باكيا ويخرج منها شاكيا

ويهمنا من سرد هذه العبارة موضوع اللغة .. فصرخة الطفل الأولى المسماة (صرخة الميلاد) هى ترجمة عن اندفاع الهواء بقوة خلال حنجرته فى طريقه الى رئتيه ، فتهتز أوتار الحنجرة وتحدث الصيحة الأولى ، وهكذا تبدأ حياة الطفل بفعل منعكس ، مثيرة الهواء واستجابته الصياح .

ولم يحس الطفل وهو فى بطن امه بحاجته الى الهواء او الماء او الغذاء . حيث كانت امه تكفيه مئونة هذه المطالب ، فظل آمنا مطمئنا وادعا الى ان خرج الى عالم الدنيا ، فاصبح فى حاجة الى الاعتماد على اجهزته العضوية ، فى وقت لم تنم فيه بعد . ولم تصل الى حد النضج .. فصرخ وصاح استجابة الى تلك المثيرات .

وقال بعض العلماء أذكر منهم شن ، اروين ، مكارثي CHEN IRWIN MCCARTHY بابحاث دلت على ان الطفل العادى يحدث أصواتا تدل على السرور والارتياح فيما بين الشهر الثالث والشهر السابع ، ويقلد بعض الأصوات فيما بين الشهر السادس والشهر الثامن ، ويبدأ الكلام حينما يبلغ عمره خمسة عشر شهرا على وجه التقريب .

وهكذا تمتد الايام بالانسان فتزيده خبرة وتكسبه مرانة ، يتقبل أثرها صورا مختلفة من اللغة اللفظية : من حوار ـ وحديث ـ وغناء وما الى ذلك وبينما تلعب البيئة دورا اساسيا فى تعلم اللغة اللفظية نشاهد أن التلقائية لها نصيب وافر فى تزويد الفرد بالألفاظ والتعبيرات ، هذا من جانب لغة الكلام .

اما لغة الاشارات التى تعتمد فى ادراكها على العين ـ كحركة اليدين وايماء الرأس وغمز الحاجب والتصفيق ـ وما أشبه ذلك من الكثير الكثير من الاشارات ، فانها تؤدى الى فهم معنى ما ، يخدم نفس الغرض الذى تسعى الالفاظ الى تحقيقه . والاشارات فى حد ذاتها عبارة عن وحدات تعبيرية لها ذاتية تشبه الكلمات فى اللغة اللفظية ، وينحصر الاختلاف بينهما فى ان وحدة الاشارات حركة صامتة تعتمد على العين ، بينما وحدة اللفظ نغم منطوق يعتمد على الاذن .

وليس بغريب ان نقرر ان لغة الاشارات لغة عالمية يشترك فيها افراد الجنس البشرى عامة كالاشارات الدالة على العطش والحاجة الى الماء والجوع والحاجة الى الطعام بينما اللغة اللفظية لغة محلية تخضع فى تداولها الى المجتمع القائمة فيه ولا تتعداه الى مجتمع آخر الا بعد استقراء لغته وتعلمها .

ولغة الاشارات اقدم من اللغة اللفظية . اذ كانت ومازالت وسيلة هامة فى التفاهم ولم تنقرض رغم اكتشاف الانسان للغة اللفظية وهى فى حقيقة الأمر أقوى ماانحدر الينا من تراث الانسان الاول ويرجع السر فى بقاء لغة الاشارات متداولة وتعارفا عليها الى بساطتها ومرونتها وعالميتها

وربما تأخذنا الدهشة اذا قلنا ان الكتفين ، والذراعين ، والمعصمين ، والاصابع تؤدى حوالى ٧٠٠ر٠٠٠ اشارة مستقلة متميزة ، وان اليد وحدها تفوق بعدد اشاراتها وظائف الفم اللفظية بحوالى ٢٠٠ر٠٠٠ مرة وهذه الاحصاءات ليست وليدة الحدس او التخمين ولكنها نتيجة ابحاث قام بها باجت R. BAGET أحد علماء علم النفس الاجتماعى وسجلها فى كتابه « لغة الاشارات مثل الكلام » .

وعلى الرغم من ان الاشارات لم تتطور مع الانسان بنفس السرعة التى تطورت بها اللغة اللفظية باعتبارها لغة مادية محسوسة فانها مازالت تؤدى غرضها فى الافهام والتفهيم وبجوار اللغة اللفظية مستمدة بقاءها من تراث الانسان الاول .

أعلام في مواقيت ذكراهم

ذكرى مصطفى عبد الرازق
١٥ فبراير ١٩٤٧

بقلم: أنور الجندي

لا أعرف كم سينكر على السيد الاديب أنور الجندى هذا التدخول منى بينه وبين قرائه بالتحدث اليهم ، تحت عنوانه ، قبل أن يقرءوه هو .. لكنى أطمع فى انصافه بأن يقدر أن ذلك التدخل منى ليس الا دفعا قويا من مقاله الذى تنشر عباراته طيبا من شمائل الانسان .. الاديب .. المتفنن مصطفى عبد الرازق .. طاب ثراه .. وانى حين قرأته ، بل حين رأيته ، قد لذت بعالم من الذكرى المتسامية ، المتجردة لا يحدها زمان .. ولا مكان .. ولا أبعاد .. فنسيت كل ماحولى . وبدا لى كل ما فات شاهدا أراه رأى العين ؛ وشاخصا أشهده شهود الحس ..

تذكرت .. تذكرت مغانى .. ومواطن .. ومجالس ، فى السفر وفى الحضر .. فى مصر وفى أوروبا .. لقيت فيهـــا الرفيق .. الانيس .. الوديع .. مصطفى عبد الرازق ..

تذكرت .. تذكرت .. معانى .. ومواقف .. وملاحظ .. فى الأزهر ولجانه .. فى الجامعة ودراساتها ومجالسها .. فى المؤتمر وعلمائه وبحوثه .. لقيت فيها الكريم .. الحليم .. الرزين مصطفى عبد الرازق

تذكرت .. — وما أستطيع أن أنسى — لقاء أخيرا له ، قبل ساعات ، من رحلته عن هذه الفانية .. اذ جئت شيخ الاسلام بمصر ، أطلب اليه أن يتدارك الاسلام فى نجد ، لئلا يعتسف اعتساف محاكم التفتيش .. ولا يقتل ويصلب ، كتقتيل فرعون .. فيطلب اليوم رأس عبد الله القصيمى ، لأنه كتب كتاب : هذى .. هى الاغلال .. وتركته على تدبير لذلك ، فما دار اليوم حتى طار نعيه .. ويا رحمتاه عليه لقد قتلته البيئة المتخلفة ، وصوحت بجدبها رياض نفسه الانسانة .. وروحه الرفافة .. روح مصطفى عبد الرازق التى كانت نفحة دين .. وفن .. وحكمة ، من غير آفاق هذه البيئة الجافة الجامدة المستيئسة .

تذكرت ·· ومضت بى الذكرى الى بعيد·· بعيد ، فى مطلع الشباب ، ومشرق الوعى ، حين كان مصطفى عبد الرازق يكتب فى الصحيفة المتجددة المستشرقة ، التى تحمل اسم «السفور» وكنت أفكر فيما حولى ، من أوضاع اجتماعية يشقى بها الشباب دائما ، اذ يرى الدنيا لمن خادع ·· وظاهر ·· ومالأ ، وساير ·· فأدرت رسائل بينى ، وبين رفيق لى ، كنت أجد فيه ريح الصديق ولذلك دعوته « فريدا » ·· وكانت تلك الرسائل بينى وبينه عن «المشهورين والعظماء» ·· اذ كانت الشهرة ، ببريقها الخلب ، وزيفها الخادع ، وضجيجها الكاذب ، انما هى شىء آخر يختلف عن العظمة كل الاختلاف · ·

فتذكرت حين جاءنى هذا المقال عن الاعلام وذكراهم ، وعن مصطفى عبد الرازق منهم ·· تذكرت «السفور» وما كتب فيها ، وما كتبت لها ، عن المشكلة التى لم تجد بعد حلا ، مشكلة الشهرة والعظمة ·· والمشهورين والعظماء ·· وذكرت ما قلت اذ ذاك منذ بضعة وأربعين عاما ·· ولا أزال أجد الحاجة الى قوله ، والراحة فى الاصاخة له بعد بضعة وأربعين عاما ··· واذا تراءت لى من حجب الغيب روح مصطفى عبد الرازق فهذا جو الحديث عن العظمة ، وبعد ما بينها وبين الشهرة ·· وهناك جواب السؤال عن العظمة بم ، وفيم تكون ··؟؟

وأتذكر ما كنت قلت ، وما لا يزال يجد المجال للاعادة والتكرار فلا أجد العظمة الا فى شىء واحد هو : الخلق · · وكنت هممت فى ذلك الحين البعيد أن أعد للعظمة جوهرين : هما الشخصية ·· والخلق ·· فاذا بى اليوم لا أرى شيئا قبل الخلق ، ولا بعده ، لأنه ملاك الشخصية وعمادها ·· فلا شخصية بلا خلق ·· ولا خلق بلا شخصية ·· فالكرامة خلق ·· والايثار خلق ·· وتقديس الواجب والحق خلق ·· وكل عنصر كريم للشخصية انما هو خلق ·· وذو الخلق يرد على من حوله ايمانهم بالمثل والقيم ··· ويقدم لهم الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة ، بما يبلغ من مجد وعزة ·· كذلك كان العظماء ؛ وكذلك يكونون ·

أما المشهورون فقط فهم الطبول الجوفاء ·· ولعل أفشل الاشياء أجهرها صوتا · كما قال الأولون ··· هم شخوص فارغة ، وأوهام خادعة ، تثير الشك ، وتبدد اليقين ، وتحطم المثل وتزعزع القيم ·· وبماذا يؤمن الشباب ، حين يرى هؤلاء ترتفع أرصدتهم بقدر ما تنخفض رءوسهم ، وتنحنى جباههم ·· ويكثر الضجيج حولهم حين يمشون على أيديهم كما يمشون على أرجلهم ·· ويعلو

النصفيق لهم حين يمرعون وجوههم فى كل تراب سواء أكان تراب أرض . أم تراب فرن ، أم رملا أصفر . أم حمرة حمراء . أم جير أبيض ، أم مخلفات حريق أسود فهم على كل لون حتى ما يعرف لهم لون .. وهم فقاقيع طافية دائما .. وعلى السطح دائما .. وفى الزفة دائما .. يرقصون .. ويتشقلبون .. ويصرخون .. ويهرجون ويطبلون .. ويزمرون .. دائما .. ويا بؤسى للشباب حين تشخص أمامه تلك المناظر المضللة المفسدة .. ومن له بمن يرد اليه يقينه ، ويمسك عليه ثباته ، ويمنع عنه هذه الفتن الخداعة الخلابة ..!!

تذكرت بالحديث عن الاعلام هذه الشهرة والمشهورين .. ورجوت فى الحديث عن مصطفى عبد الرازق مثلا صالحا يحفظ على الشباب ايمانا بالقيم العليا ، ويوقيه الفتنة بخدعة الشهرة ، وسوء أثر المشهورين .. وما زالت ذكريات الاعلام مبعث هذا الخير ، ومنعشة ذلك الأمل .. وهو ما أرجوه من خير فى مقال الاستاذ الجندى .. وأدع له المجال معتذرا عن تداخلى بينه وبين قرائه ، تحت ضغط هذه الذكرى الكريمة .. بعد أن أضع أمامهم منظرا مما تذكرت .

١ ـ الشيخ مصطفى عبد الرازق ، يمثل مصر فى مؤتمر تاريخ الأديان الدولى السادس المنعقد بمدينة بروكسل سنة ١٩٣٦

٢ ـ رئيس تحرير « الادب » يشارك فى هذا التمثيل

عندما تقبل ذكرى مصطفى عبد الرازق بعد اربعة عشر عاما يتلفت الذين احبوا هذا الاستاذ العظيم الى آثاره وانتاجه وافكاره ليرسموا صورة لحياة هذا الرجل الذى عرف بالوفاء فى ميدان الحياة ، والعمق فى أسلوب الفكر ، والاعتدال فى سجال الرأى ..

كتب مصطفى عبدالرازق مذكرات وقصصا وفصولا نشرت فى الصحف ثم جمعت فى كتاب ضخم ، كما حرر فصولا عن حياة الشيخ محمد عبده وكتابا عن البهاء زهير ..

لا شك انها تضعه بين طائفة الأدباء المقلين الذين لم يتفرغوا للأدب كفن وحرصوا على ان يكونوا فى صفوف العلماء الذين عملوا فى محيط الجامعة . وكان له لفيف من الطلاب والمريدين الذين بهرهم حسن الخلق وصفاء النفس وسماحة الطبع التى كانت من مميزات هذا الكاتب الانسان .

ولكن ما هو السر الذى دفع مصطفى عبد الرازق ان يفرد للبهاء زهير بحثا خاصا ، لعل هناك مايربط بين هذا العمل الأدبى الوحيد وبين حياته الخاصة . فالبهاء شاعر رقيق حيى ، هادئ النظرات ، متئد ، لا تطوف بحياته زوابع ولا عواصف ولا هو من أولئك المندفعين الذين يفترعون المغامرات او يدخلون حلبة الصراع . وهذا الطابع هو صورة من حياة مصطفى عبد الرازق الذى عاش حياته هادئا متئدا . لا يصول ولا يجول . على عكس طه حسين وزكى مبارك وهم جميعا من الأزهريين .

وكان لمصطفى عبد الرازق طابعه الحيى المتوارى . وكان مثلا للأناقة والرقة والهدوء . كانما الحياة عنده اغنية جميلة أو موسيقى هادئة ، ولقد عرف عن مصطفى عبد الرازق حب الجزالة والاعادة والمراجعة والتغيير والتبديل فى الاثر الفنى الذى يكتبه قبل أن يظهر عليه الناس . وهو فى هذا يقول وكأنما يصف نفسه « ان الجزالة هى التطبع فى شعر البهاء وان الرقة هى الطبع » .

ومصطفى عبد الرازق بعد ذلك موضع اعجاب كل من عرفه أو لقيه أو تتلمذ عليه . وما رايت انسانا التقى به أو عرفه الا وهو محب له . كلف بهذا الحب . ولكن ماذا تعطى هذه الكتابات الهادئة الأنيقة التى نقرؤها لمصطفى عبد الرازق ؟ هل يمكن القول بأن وراء شخصيته انسانا آخر ، قد كان وحيه والهامه مصدرا لهذا الطابع المصقول ..

لقد بدا هذا لكاتب حياته فى الازهر هناك بين الكتب الصفراء التى كانت تؤذى نفسه وتذهب صبره وتمنح كل شىء الا هذه الرقة وهذا السمت الهادىء الانيق المشرق الذى يخيل الينا معه انه لا يعرف الحزن والألم .

ونشأ مصطفى عبد الرازق فى الريف من الصعيد ثم امضى فى الازهر

اثنى عشر عاما حتى حصل على العالمية . ولما تخرج عين مدرسا بمدرسة القضاء الشرعى ، ثم رحل الى باريس شيخا معمما فبقى بالعمامة نحو سنة وهو يروح ويغدو بين الباريسيين .

وتلقى فى السربون دروس علم الاجتماع من الاستاذ دوركايم ثم التحق فى ليون بمدرسة اللغات الشرقية .

فلما عاد الى مصر سنة ١٩١٤ اشترك فى تحرير الجريدة والسفور والسياسة الاسبوعية وعين سكرتيرا عاما للمعاهد الدينية ثم مفتشا بالمحاكم الشرعية فأستاذا مساعدا بالجامعة .

وقد كتب فصولا فى الجريدة أطلق عليها «صفحات من سفر الحياة» بامضاء (ع) وجعلها فى صورة مذكرات صديق له سماه الشيخ حسان عامر الفزارى وهذا الاتجاه فى الكتابة يمثل طبيعته الحيية فقد عزف عن أن ينسب ماكتب ممن الصور الى اسمه الصريح حرصا على الحرية فى التعبير ، ورعاية للتقاليد ، فقد عرض فى هذه المذكرات الى رأيه فى المرأة والازهر والحب ولولا هذه التقية لما استطاع أن يظهر الناس على هذه الفصول الجريئة .

وقد وصفها الاستاذ على عبدالرازق بقوله « ان ما اشتملت عليه هذه المذكرات هى آراء ومذاهب الشيخ مصطفى عبد الرازق نفسه ومنها يستطيع الانسان أن يلمس حقيقة نفسه وطبيعته واخلاقه وان يدرك مذاهبه في الحياة واسلوبه فى الدعوة الى الاصلاح » .

وقد صور مصطفى عبد الرازق حياة الازهر فى رأى الشيخ الفزازى فقال :

« أصبحت لا أجد لما أحضره من دروس الازهر طعما ولا اشعر بفائدة فى تكوين ملكة أو تهذيب ذوق لهذه الابحاث المجدبة التى افنى فيها حياتى جاهدا . ثم أن فى أعماق نفسى قلقا ينزع به الى أمانى لا موضع لتحقيقها فى هذا الوسط . وبارحمتاه للمجاورين لا يفتئون يقبلون تلك الأيدى التى لا هى أيدى النساء الناعمة فتجىء فيها نعمة الله على الناس بالجمال والحب . ولا هى مرتجاه لخير فتكرم لخيرها ومعروفها»

ولكن الشيخ مصطفى غير رأيه بعد ذلك ، وتخلص من هذه النظرة القاتمة بعد أن التقى بالشيخ محمد عبده الذى كان بعيد الأثر فى تحويل مجرى هذه الحياة .

يقول: اتصلت بالشيخ محمد عبده فتأثرت بدروسه وآرائه واضطرمت فى نفسى تلك اليقظة الفكرية التى بثها الشيخ فى عقول تلاميذه بما كنا نتلقى عن شيوخ لم ترضنا معارفهم ولا مذاهبهم .

* * *

ولقد كان مصطفى عبد الرازق منذ شبابه الباكر يتطلع الى المجد ويرنو الى آفاق بعيدة . لم تكن واضحة وضوحا صريحا فى نفسه ولكنها كانت تملأ قلبه وعواطفه تصورها هذه العبارات التى كتبها فى مذكرات الشيخ الفزازى سنة ١٩٠٥ « أنا أستيقظ من منامى قبل أن تشرق الشمس فما أزال أنتقل من حلقة أستاذ الى مشاركة رفيق فى المطالعة الى انفراد بالدرس حتى آوى الى مخدعى قبل نصف الليل فاتر القوة متنبه عصب الدماغ محتاجا الى النوم غير واجد اليه سبيلا . وليس لى من لا من لذة العمل نفسه ولا من ثمرته . ثم أن فى اعماقى قلقا ينزع بى الى أمانى لا موضع لتحقيقها فى هذا الوسط » .

وكان فى خلال هذه الفترة من شبابه كثيرا .. ماذا كان يقرأ ؟ يقول : «كنت وأنا يافع أسهر فى بعض الليالى الى جانب أبى أقرأ له ديوان المتنبى والبهاء زهير فيجهر بالطرب للشعر الجيد وارتاح فى نفسى للوزن والنغم . وذلك أول أثر عرفته للكتب فنشأت للشعر عندى نزعة قوية اخمدها حينا ما انصرفت له من الدرس فى الازهر ..

وطالعت بارشاد محمد عبده ديوان الحماسة ونهج البلاغة فبعثا ما كان خبا من نزوعى الأدبى .. ومن الكتب التى تاثرت بها « المنقذ من الضلال » للغزالى وفصل المقال .. لابن رشد ، وحياة المسيح لرينان . .

وصور مصطفى عبدالرازق شبابه وكتب ما عاقه الحياء عن أن يقوله : « كنت يومئذ شابا تتفتق عنه غلائل الطفولة . ولم تكن بنيتى قوية . ولا اعصابى متينة فضعفت من أثر الجهد المضنى فى دراسة غير منظمة وعرانى سأم من الدراسة فى الازهر . واشتد ذلك السأم حتى صار ألما ملازما . وكانت طبيعة الحياة تعوقنى فى ذلك الوقت عن أن أبث مابى الى أحد ..» ولكن هل أذهبت أوربا والعلم وارتفاع السن هذا الحياء . كلا ! فقد بقى مصطفى عبد الرازق رمزا لهذه المعانى العالية النبيلة من الخلق وقد رسم فى مذكرات الشيخ الفزازى صورة رائعة للمرأة تكشف عن شاعريته الرقيقة وانسانيته المشرفة ، وطبيعته الأدبية التى تأخذ من كل شىء .

« والمرأة هى المنبع الفياض لما فى الحياة الانسانية من حب هو أساس النظام والعدل والرحمة والسعادة ، على أن فى فطرة المرأة نوعا من السحر والخلابة والجمال هو الذى يسمو بخيال أهل الفن الى ما يبدعونه فى آثارهم الفنية ويلهم الشعراء روائع الشعر ويذكى فى قلوب المستهترين نار العشق العظيم . واذا كان الجمال فى الحياة فنا وشعرا وحبا فان المرأة هى التى تبنى كل ما فى الحياة من معانى الجمال » .

وهكذا يعطى هذا الاسلوب الرشيق صورة نفسه المشرقة • هذه النفس التى ظل صاحبها بعد ان عاد من باريس يلبس العمامة ويحتفظ بها الى آخر العمر • ولا يمنعه ذلك من أن يرسم لبركة لكسمبورج هذه اللوحة الرائعة •

«••ثم يخرج الى ساحة تبسم الانوار فيها والزهر • وتنحدر على درج الى البركة ذات النافورة • مرتع الاطفال اللاعبين بمراكبهم الصغيرة فى أمواهها • ومن حولها دكك متفرقة لمن ليسوا أطفالا • ولمحت فى بعض النواحى سيدة بيدها خطاب تقرؤه فيشرق وجهها بالسرور وتبتسم • وتلقاءها فتاة تكتب فى صحيفة • وتتلو ماتكتبه فتنحدر عبراتها• وكم يأوى الى هذه البركة من باك ومبتسم• ليس ماء ذلك الذى يجرى فى بركة لكسمبورج ولكن ذوب ابتسامات ودموع • رويدكم أيها الاطفال العابثون بالماء •• »

لقد دخل الشيخ مصطفى عبد الرازق باريس بين صديقين كريمين وكان احدهما يلبس قبعة والثانى يلبس طربوشا وكان الثالث شيخا معمما •

ولكن هل هذه الآثار التى خلفها مصطفى عبد الرازق تعطينا سرائر حياته ومنها هذه المذكرات التى نشرت فى الصحف على انها (مذكرات قديمة) هذه (عذراء الريف) تاريخها ١١ اغسطس ١٩٠٦ ونشرت عام ١٩٣٦

«خرجت أصيل الامس الى الخلوات اطوف فى أنحاء المزارع حتى انتهيت الى فجوة فى زراعة قصب تشقها قناة معشبة الجوانب يجرى فيها ماء غير آسن • فالقيت عباءتى فوق تلك الحشائش العذبة • واستلقيت عليها وكان معى الجزء الاول من العقد الفريد لابن عبد ربه ، وبهامشه زهر الآداب للحصرى • وجعلت أداول الكتابين فى القراءة • وأقيد فى أوراقى معى ما يسترعى منى عناية خاصة •وبينما انا مشغول بمحاولة الاجادة فيما أشدو به متأثر النفس بمعانى الاغانى نفسها اذ أقبلت فتيات يردن الماء فوضعن الجرار عن رؤوسهن ثم جلسن الى جانب يسمعن غنانى • وكنت أراهن وأتكلف الجهل بمكانهن حتى لا ينفرن •• ولما رأيت أنسهن بصوتى غنيت من شعر أبى تمام • ولم يكن يبدو على جاراتى مظهر الفهم ولكنى كنت ألمح فى أسارير صغراهن علامات التأثر كلما جعلت فى نغماتى شبه أنين غرامى والتقت عينى بعينها عند منصرفى »

وفى اليوم التالى كتب فى مذكراته بقية القصة : « •• رجعت اليوم الى مكانى بالأمس فعادت وحدها ، الآنسة الفتية • شابة فى السابعة عشرة ذات قامة وافرة من غير ان تكون طوالا• نحيفة من غير أن يذهب المتحول بحسن التناسب بين مايعلو ممتلئا وما يتجسد أهيف من جسم

كأنما صب فى قالب . فلست ترى فى خطوطه عوجا . شيقة لطيفة ذات وجه يملك القلب بما فيه من طبعة حسن ممتازة عن كل ما عرفت من أشكال . الجمال النسائى فى ثغرها . وعيونها آيات الذكاء الفطرى والسذاجة الحلوة والعصبية والاحساس الرقيق .

.. رنوت الى الفتاة يدفعنى شعور بأن الى جانبها حظا من سعادتى ويركبنى الحياء . ثم حييتها فردت من غير نفور ، قلت : وحيدة أنت اليوم ، فأجابت اننى أحب الوحدة فى كثير من الوقت .

قلت : ان الميل الى العزلة نزعة النفوس الحزينة وأنت مخلوق أوجده الله ليعطى السلوان للأنفس المعذبة . وليكون فى ظلام الحياة نورا .

قالت : اذا كانت الوحدة آية الألم النفسى . فما بالك تحبها وأنت منعم

قلت : ان من وراء هذا كله مواضع للالم فى قلب غير جامد . ولبثنا ساعة سكوتا نتبادل نظرات ناطقة سمعنا ساعتئذ حفيف أوراق القصب تنحسر عن قادم فانتبهنا من تلك السكرة الحلوة لحب نشرب اليوم كاسه الاولى .»

* * *

هذا هو مصطفى عبد الرازق فى مذكراته : قلب محب كبير وعاطفة صادقة كانت الضياء لحياة الرجل . ومادة لأدبه . وكان وهجها النفاذ الكامن فى أعماق القلب يمنح أسلوبه تلك الرقة وبيانه ذلك الجمال . ويعطى روحه هذه السكينة والطمأنينة .

وفى ميدان العلم ، كانت دراساته الفلسفية قوامها ما فطر عليه من حب للخير والجمال يقول الدكتور عثمان أمين « كثيرا ما كان يحدثنا فيقول أن هناك فلسفة جميلة بزغت منذ فجر الفكر الاسلامى وثبتت على أحداث التاريخ وهى فلسفة « كرام النفس » أولئك الذين عاشوا للعالم كله لا لانفسهم وظلوا على وفاق مع قانون المجد والسخاء . وكان أول من رسمها أنبياء الشرق ثم أذاع تعاليمها كبار المفكرين والحكماء من سقراط الى أفلاطون الى أرسطو والفارابى وديكارت وغاندى . جميعهم استطاعوا أن يستشفوا جوهر الدين .

هذه الفلسفة تتلخص فى حالة نفسية يصح أن يطلق عليها الاسم الجميل ، الذى اختاره ديكارت : اسم «الأريحية» وتلك حال النفوس التى تعطى ولا تأخذ وتسعى الى اسعاد الغير مهما كابدت من عناء » .

ويقول طه حسين : خصال ثلاث أثرت فى أدب مصطفى عبد الرازق

وحياته تاثيرا قويا جدا هى : الأناة الحياء ، الوفاء .

* * *

والحق أن مصطفى عبد الرازق اخذ من الريف ذلك الوفاء النبيل وتلك الطبيعة الثابتة التى لا يتحول منها شىء سواء كان صاحبها فى القاهرة او فى باريس ، فى الوزارة او فى الازهر او فى الجامعة .

واخذ من الازهر اللغة والبيان والرصانة . واخذ من السربون التحقيق العلمى ومزج الشرق بالغرب وظل مع ذلك محتفظا بطابعه . وفى يوميات ابراهيم العزارى التى كان يكتبها عن نفسه قوله : ان حياتى ليست منطقية . ان الحياة المنطقية هى مطابقة الحياة للمزاج والسير فى الشئون الخارجية على وفق طبيعة النفس الداخلية . اما جو قلق لنفس هادئة . ومعمعة حرون لطبيعة مسالمة، فليس من المنطق فى قليل او كثير »

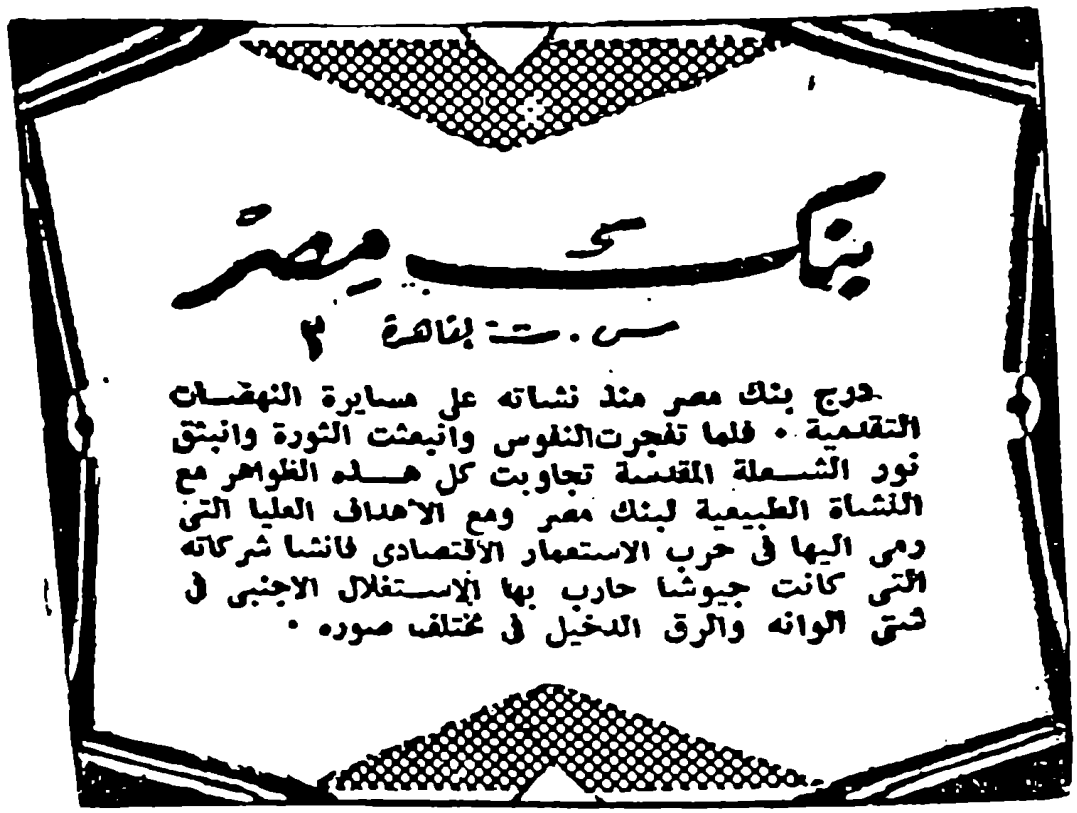
بنك مصر
مركز القاهرة
درج بنك مصر منذ نشأته على مسايرة النهضات التقدمية . فلما تفجرت النفوس وانبعثت الثورة وانبثق نور الشعلة المقدسة تجاوبت كل هذه الظواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر ومع الأهداف العليا التى رمى اليها فى حرب الاستعمار الاقتصادى فانشأ شركاته التى كانت جيوشا حارب بها الإستغلال الاجنبى فى شتى الوانه والرق الدخيل فى مختلف صوره .

الشعر

أنشودة حب :

في البدر .. مؤتلق الوشاح
في النور .. رفاف الجناح
في الناى .. مشبوب النواح
في النجمة المتألقة
في الزهرة المتأنقة
في غنوة ـ من ثغر عذراء الهوى ـ مترقرقة
في قلبي المفتون .. مطلول الجراح ..
لدى الصباح ..
ألفيت طيفك باسما
وسمعت صوتك باغما
ورأيت خطوك حالما
وشعرت بالقلب المرفرف هائما ...

* * *

منذ الصباح
في لمحة أحسست أني .. قد لقيت .. حياتيه
ماضي الشريد ، ويومي الضاحي ،
وغنوة ذاتيه ..
والأمنيات البيض .. في غسق الهموم الداجيه
ومني غدي ، وطيوف أحلامي السعيدة رانيه

* * *

لولا اساي ، وقلبي الدامي ، وأشواك الطريق
لنهلت من مرآك ، من مرأى محياك الرقيق
وتاملت عيني ملاكا ، حالما ، حلو الشروق
لكنني أغضيت .. في حب .. واجلال عميق

ورجعت .. فى قلبى ضرام الحب .. فى شفتى غنوه
آمالى العذرا، ترقص فى دمى .. وتفيض نشوه
والليل من حولى .. رؤى مسحورة بالحب .. حلوه
وخطاى فى صمت الطريق
كجناح عصفور طليق
تهفو به الآمال .. للعش الحنون ، وللرفيق
وترنمت شفتاى باللحن العميق
لليل .. للانسام .. للشجر الوريق
للنهر مسحور الخرير
للبدر معشوق المسير
للزهر نشوان العبيق
والفرحة الكبرى .. تضج على فؤاد لا يفيق
منذ الصباح ..

* *| *

منذ الصباح وفى دمى .. لحن .. يرف على فمى
ويصفق الأمل المجنح فى سماء تبسمى
سأعود يا أملى اليك ..
على جناح ملهم
سأعود .. كالفجر المنور ..
كالصباح الباسم

آنس داود

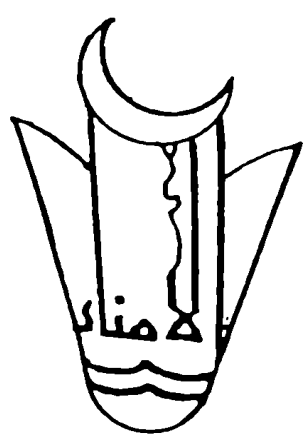

بقـــايا حـب

أتيت دربك يوما ·· مـــــدثرا فى أسايا
على ربابى لحن ·· ما عانقتـــــه حنايا
بى الف شوق خفى ·· مبعثر فى دمايا
الى جزائر حب ·· مجهولة للبرايا ··

* * *

وكنت ·· حلما رقيقا ·· يطيف فى عينيا
مجنحا·· هائم الروح·· أسمرا·· شاعريا

* * *

تهيم فوق خطـاه أحـــــلام عمرى الشقى
وترتوى من رؤاه أشـــواق قـــلبى الظمى

* * *

وكان ليل وليل ·· كتبت قصة حلم
بحيرة من حنـان ·· وراء وهم الوهم

* * *

وزورق يتهادى ·· على السنى المنهل
ونحن رعشـــة قلب ، ونحن خفقـــة طل
ونحن بوح غـــرام ·· على المـدى المخضل

* * *

وكان ·· صبح وصبح ·· يضج فيه عذابى
شهدت فى كل يوم أشباح هـذا السراب
وخلت بابك يومـــــا ·· مذاع الـكبريا،
فأنت فى كل عـــين نافورة من ضياء
وانت فى كل ثغر ·· أنشودة للرجاء
فأين يثوى صبـا الشاعر المسجى بلحنه ؟
وأين يأوى هزار ·· أودت رياح بغصنه ؟

اتيت دربك يوما ·· أضـــم مأساة قلبى
بى يقظـــة من هواك ·· ترش الحان حبى
على مسار خطاك ·· أين انتهت فى الدرب
فبعثرت أغنيـــاتى ··
ريح أضلت خطايا ··
وعدت ·· لحن عذاب ··
ما عانقتـــه حنايا ··

* * *

لم يبق لى من بقايا ··
الا بـــكايا ··
لم يبق لى غير نوحى ··
وقصـــة فى دمايا ··!

أنس داود

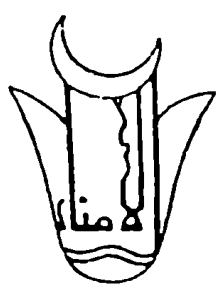

رسالة من العالم الآخر

انها نبضات شهيد من فلسطين
كافاه الله بالجنة فلم يشعر فيها
بالسعادة وتمنى أن يعود الى وطنه

وطنى المجيد :

يا منبت الاحرار يا مهد الآباه
انى هنا بين السعادة والنعيم
ونضارة الفردوس وارب الرحيم
اشقى انا وصحابتى !
الحسن من حولى كأحلام الخيال
والكل مبتهج يسبح بالجمال
حور هنا تسعى وولدان هناك
يتلألؤن ويضحكون بكل واد
والطير فوق غصونه
يشدو فيطرب صوته .. حتى الجماد
وانا حزين بائس
اشقى انا وصحابتى
فى جنتى !
هيهات أن أنسى عهودى الماضية
عهد الصبا :
كم لى به من ذكريات
لن تموت
عهد الشباب :
كم لى به من أمنيات
شبت معى
وترعرعت فى اربعى
وسقيتها من أدمعى
وبرغم أسوار المنون العاتية
سيظل رياها هنا فى أضلعى

وتظل ذكراها تؤجج لوعتى

* * *

وتحيل أيامى شحوبا ها هنا .. فى جنتى !
وحبيبتى
تلك التى ملكتها
قلبى وأحلام الغد
ودموعهـــا
وحنينها لغرامى المتوقد
وبكاء أسى وهى تشهد مصرعى
والقلب ينزف بين أضلعها دما
وأبى الذى كادت يداه تموت فوق المدفع
وكفاح اخوانى معى
ستظل ذكراها تؤجج لوعتى
وتحيل أيامى شحوبا ها هنا .. فى جنتى !
يارب أرجعنى الى وطنى الجريح
فلقد سئمت العيش فى هذى الجنان
ومللت يا رباه من هذا النعيم !
فأنا هنا قد حطمتنى غربتى
وسعادتى هى أن أفارق جنتى
لأعود للوطن المخضب بالدماء
فالحقد لم يبرح فؤادى للطغاة
والثأر مشتعل بين أضلاعى لظاه
لمن استباحوا فى حمانا حرمته
وتوعدوا أحلامه وكرامته
رباه هل من عودة
حتى أرد الى الحمى حريته

امين يس الرجيلى

الحـــافة ..

من ديوان الشاعر الجديد « باقة نور»

أدرك ثمـــــالة نور بين ايمـــــانى
واردد عـــــلى احاديثى وقـــــرآنى
انى توغلت فى صحـــراء فارغة
تظل تنـــداح فى اعماق نسيان
واصبحت روحى الحـــيرى بعالمها
كشمعـــــــة تتوارى بين نيران !
لا الفجر أورق فى عمرى بفرحتـــه
ولا تزحزح تحت الافق طغيـانى
ولا مددت يدا ـ والدهـــر ينهشنى ـ
كى أرتجيك لذل بأن يغشـــانى !
•• هـــــــلا رجعت بأيامى الى حقب
خضراء تزهر فى روحى ووجدانى
أيام كنت على شفتى أغنيـــــة
وكنت خفقـــة الهام بفنـــــان

★ ★ ★

أراكفى الليل•• فى الآفاق•• فىصور
ملء الحياة •• وفى اعماق انسان
وأسمع اسمك فى نبض البذور وفى
سحر يولده بالشوق قلبـــان !
فقد عـــرفتك فى فجرى بقرينتنـــا
صبرا يضم وجودى منه كفـــان
وقيل « فى كل شىء سرت تلمحـــه

تحســـه بين فجار ، ورهبـــان
وفى الزهور تشم الروح رائحـة
منه ، وفى الخريف يرى من غير أغصان
وفى الاعاصـير تلقـاه بغضبتـه
وفى النسيم كما يلتف خدان !! »

* ★ ★

مذ صرت شيئا يجوب العقل عالمـه
اسلمت يومى لاطـراقى وأحزانى
ما كان اسعدنى طفـلا بما عرفت
نفسى وراء جهـالاتى ، وقضبانى
واليوم أخشى على المصبـاح قد ذبلت
اضواؤه ، وتوارى بين اجفـان
عقلى يغوص لقـاع الشك محتشدا
والقلب يرفع نجـواه بشطآن
قـد مزقانى فهـلا قد مددت يدا
خضراء ترجـع لى انوار ايمانى

عبده بدوى

عزيزتى ، لا تجرحى الصباح ..
لا تشخنيه بالجراح ..
لا تفزعيه ..
بلحنك الحزين ..
يكفيه ما به ، يكفيه ..
ففيه ألف ألف جرح ..

* * *

يا الصباح ، زهرتى ، بمطلع حزين ..
لطائر حزين ..
محطم الجناح ..
منكأ الجراح ..
طعامه الأسى ، شرابه الحنين ..
لأنه حزين ..

* * *

أتى لمنزل الصغير ، ذلك الصغير ..
وكان ثم وردة حمراء ..
بثغره الجميل ..
وكان صامتا ، كذلك الصباح ..
وكان دمه يجرى من الجناح ..
ولم يفه بأى لحن ثغره الجميل ..
الا زغب الصغير ..
حتى ، ولو صفير ..
وقد لمحت فى عيونه البكاء ..
من أين ، يا منى الفؤاد ، جاء ..
فهاجنى البكاء ..

فلم يزل فى قلبك الكريم لى مكان ..
يا ثرة الحنان ..

* * *

أومأت للصغير أننى ممنون ..
وقلت : قل لها ، لقلبها الحنون ..
« هذا أنا أموت ..
وليس من رجاء » ..
ومن خلال فتحة الضياء ..
ومثلما قد جاء ..
مضى وراح ..
فأعولت ، فى داخلى ، جراح ..

* * *

هذا أنا أموت ..
وليس من أمل ..
« يا أيها المداهم الغريب ..
« يا أيها المحارب القذر ..
« قتلتنى ..
« طعنتنى ..
« ألقيت سهمك المسموم فى الفؤاد ..
« سلبت كل زاد » ..

* *

الطائر الغريب عاد ..
من فتحة الضياء — عارياً قد جاء — عاد ..
وغاب فى الأفق ..
وعندما ، يا بهجة الفؤاد ، راح ..
استيقظت فى داخلى ، الجراح ..

عبد المنعم عواد

ضفة المجد

حكاية من بور سعيد

على ضفة المجد عند القناة ... ملاحم تروى لأبطاليه
ملاحم غنت ومزمارها ... مدافع دوت على الرابية
ملاحم من صرخات النضال ... ومن دمدمات الوغى العاتية
ومن وهج الثأر عند الفتاة ... ومن تضحيات الفتى القانية
ومن دمعة الأم فوق الوليد ... رماه بسهم الردى طاغية
وعن نبضات شقيقى الشهيد ... يودع أنفاسه الغالية
ولا أم تغمض أجفانه ... ولا أخت تبكيه أو حانية
وفوق « العمارة » أمى العجوز ... تكفكف أدمعها الهامية
تجاهد فى ثكلها قلبها ... وتكتم لوعتها البادية
وتهمى بصمت دموع العجوز ... وتذكر قصتها الدامية
وقصة شعب نماها ذراه ... وثارت كرامته السامية

* * *

وفى يدها مقبض من حديد ... تصول به كفها العانية
وصرعى الجنود من المعتدين ... تهاووا على يدها الوانية
هشيما تناثر بين الرياح ... تدمدم أرواحها العاتية
جرادا تطاير أشلاؤه ... وقد مزقته الدمى القانية
غراشا تعثر فى خطوه ... بأرض شاعلها ذاكية

* * *

وصوت الشباب وصوت الشيوخ ... يزلزل اركانها الهاوية
يدوى صداه على الشاطئ ... بين ويهدد فى رجفة عالية
ويطوى الزمان ويطوى المكان ... يردد زمجرة ضارية :

فـــدتك حيـاتى يا بور سعيـد ... وغـــذت ترابك اشـــلائية
فـــدتك حيـاتى يا بور سعيـد ... وفاضـــت بجـــوك انفاسيـــه
ســـازرع أرضـــــك بالعـدين ... فنـــبت لى عـــزة باقيـــه
أخـــط لهم فى ثراهـــا القبـور ... بـــرغس عـــذابى وآلاميـــه
ولا عشمت يا وطنى فى القيـــود ... فقـــدت حيـــاتى وأمجـــاديه

* * *

فـــدتك حياتى يا بور سعيـــد ... وأولاد عـــمى واحبـــابيـــــه
ساحمـــل روحى فى قبضـــتى ... وأقـــذف فى وجوههم حقـديه
وأطلـــق ثارى نارا تبيـــــد ... وأقـــذف فى البحـــر أعدائيـه
أتـــرك - جونى - يثلم عـــرضى ... ويأخـــذ أختى من جنبيـــــه
أتـــرك شـــالوم - يســـلب دا ... رى المصـون ويولغ فى نيليـه
ولا عشمت يا وطنى فى القيـــود ... وفى مهـــجتى قطـــرة باقيـــة

* * *

وأشرق وجـــــه العجوز الكئيب ... ونـــور أجفانهـــا الباكيـــــة
وقد وقفت فى روعـة تستعيـ ... ـــد رؤاها الحزينـــة فى ثانيـة
وطيف ابتســـام على ثغرهـــــا ... يـــداعب أحزانهـــا الغاليـــة
وصـــوت الجموع يطوى صـداه ... ويهـــدر فى رجفة عاليـــــة
ويطوى الزمان ويطـــوى المكان ... يردد زمجـــرة ضـــــارية :
فـــدتك حيـاتى يا بور سعيـد ... وغـــذت ترابـــك أشلائيـــه
فـــدتك حيـاتى يا بور سعيـد ... وفاضـــت بجـــوك انفاســـية
ولا عشمت يا وطنى فى القيـــود ... وفى مهجتى قطـــرة باقيـــة

على حسن العزب

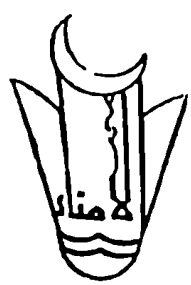

القصة

انتصار الحياة

قصة : كونستنتين بوستفسكى

ترجمة : رجب البنا

« فلاديمير لافروف » رسام من موسكو ، حين كلف برسم مناظر طبيعية مختلفة لنهر الفولجا وافق بسرعة ، لكنه ، على عادته فى التسويف قضى الصيف كله يستعد ليبدأ ، ولم يتم ذلك قبل سبتمبر حين ركب السفينة الى الفولجا .

كانت المدخنة الواسعة للسفينة البخارية تفور ، وكانت جوانبها مصقولة حتى لقد بدت مثل البلور ، وكانت المحركات تخفق ، والسفينة تشق طريقها فى سهولة وهدوء حاملة أضواءها ، وظهرها مزدحم بالركاب ذوى الملابس الفاخرة الذين تركوا ضاحية الغابات والخليج حيث كانت شمس الغروب الباردة تذوى . كانت الغابات شقراء وذهبية ، وكان السنجاب يرفرف فى الضوء المرتعش ، ضوء مساء الخريف .

وبالرغم من تقدم « لافروف » فى العمر فانه كان رجلا خجولا يجد صعوبة فى أن يعقد صداقة مع زملائه المسافرين ، كان أهم ما يشغله فى الناس الذين يقابلهم هو ما اذا كانوا يصلحون مادة لرسومه أم لا ؟

وعلى ظهر السفينة لاحظ اثنين : المرشدة « ساشا » فتاة صغيرة ،

وواحد من الركاب . رجل لطيف متقدم فى السن . حليق الذقن ذو حواجب كثيفة . كان أستاذا معروفا للتاريخ .

وعند الفجر كانوا يعبرون نهر الريبينسك وصعد « لافروف » الى ظهر السفينة الخالى المبلل من الندى . وكانت الموجات الصغيرة تتدحرج ناحية الشرق تجاه الفجر المكفهر الذى ينبىء بطقس ردىء طول اليوم . وكان الاستاذ أيضا قد صعد الى السطح ، ووقف منحنيا على السياج وياقته محكمة ، يمسك بيده قبعته السوداء التى يحرص العجائز على استعمالها وكانت ساشا عند السلم صاعدة الى السطح ، تليس ثوبا غامقا وقفازين من الجلد ، و « بيريه » لفت تحته شعرها ، وقد فرغت لتوها من نوبتها ، وكانت وجنتاها متوردتين ، وشفتاها محمرتين . وحيت لافروف وهى تبتسم :

ـ صباح الخير . يعجبك بحرنا ؟

ـ يعجبنى اننى أجد صعوبة فى ان أصدق أنه من صنع الانسان

ـ لقد ولدت هنا ، فى مولوجا ، وعندما كنت صغيرة تعودنا أن نجمع عش الغراب من هنا ..

وأشارت الى الموج الذى اكتسب لون الفجر الوردى .

ـ ولم يكن ذلك من زمن بعيد ..! ان هذا البحر أصغر منى .

وعلق الاستاذ وهو يجذب قبعته الى اسفل حتى قاربت اذنيه

ـ ان سجلات التاريخ لا تستطيع ان تلحق بزاحم الاحداث . انها اسرع من أن نصطادها ، تعبر ، ونسبق تفكير المؤرخ الدقيق . انها تحتاج لجيش كامل من المتخصصين ليعبر لنا فى مناظر مجزأة عن عملية رصد الزمن

وسأله لافروف :

ـ ولكن ، بالتأكيد هناك جيش كهذا على أهبة العمل ؟

فقال الاستاذ وهو يبتسم :

ـ نعم ، لدينا بالتأكيد ، وهو منتشر الآن يعمل .

* * *

عند « كينشاما » مدت السفينة معبرا طويلا الى الشاطىء ، ودفعت هبة الريح بسرعة سحبا بيضاء مهلهلة الحوافى عبر السماء ، فهربت الظلال من صفحة النهر ، ولامس المعبر الخشبى الماء ، وغاص فى رمال الشاطىء الصخرى ، وتسللت بضعة خيوط من ضوء الشمس خلال غبشة الصبح فجعلت كل شىء يتوهج ويتألق ، وانفلت سرب من نورس الماء من العتمة الى وميضات الضوء ثم غاص فى العتمة مرة ثانية ، عندئذ خفقت رايه من بعيد وفى اللحظة التالية كانت أسجار

الصنوبر تبدو مع أشعة الصبح الاولى كما لو كانت مبللة بندى بيب الصيف. وبدت هذه الاشجار كأنها ملفوفة فى بساط الرحمة الاخضر الغامق .وكان صوت هديرها العالى يصـــل حتى السفينة .

وأحـدث سير السفينه رذاذا بلل بعض مراتهـــا فتشبثت النساء الصغيرات بحبال القوارب وهن واقفات على كتل الخشب الضخمة العريضـة التى شد بعضها الى بعض بحبال غليظة. وأطلقن بعض الصرخات . فتـــألقت اسنانهن اللامعة فى ضوء الشمس ، وضحكت وجوههن ، لكن الريح حملت الصـــدى وطيرت مناديلهن ورفعت ثيابهن كاشفة عن سيقانهن البرونزية

كانت ساشا على الحافة ، وصاحت من خلال مكبر الصوت النحاسى :

ـ « أهوى » .. هنـاك .. كيف الحـال ؟

ـ خ .. لا .. لا .. ص .

صاحت النسوة المشرفات على المعبر فى صـــوت غنائى ، وهن يلوحن بمناديلهن .

ـ الى ستالينجراد ... مع السلامة .. دعينا نراك قريبا .

وأدرك لافروف انهن ينظـرن الى « ساشا » كواحدة منهن ، فلابد أنها معروفة جيدا للجميع على طول الفولجا ـ طبعا ! ـ لأن النساء المرشدات كن من ازان قليـ ـلات وبعيدات عن هـذه المنطقة .

وفى هذا المساء، شكا « لافروف » الى « ساشا » من أن أحب شىء أراد أن يرسمه هو هذا المنظر ـ الفتيات على المعبر فى يوم عاصف ـ باشعوابه وظلاله المتغيرة ـ لكنهن عبرن بسرعة بحيث لم يستطع حتى أن يضع تخطيطا عاما للمنظر ، وقال لها بمرح :

ـ ألم يكن من الممكن ايقاف السفينه لحظة أخرى ؟

ـ كلا يا فلاديمير بيتروفتش، كيف أستطيع ؟

ـ كيف لا تقدرين ، أوه ، يا لكم من ناس ذوى عقول آلية ، انك لاتعبئين بالجمال .

وتمتمت « ساشا » بحرارة :

ـ هذا غير صحيح، اننا نقدر الجمال لكنك ينبغى أن تفهم رأينا أيضا .

ـ وماذا هناك لأفهمه ؟

ـ حسنا ـ حاول أن تتخيل حركة المرور فى طول البلاد ، الى أى حد هى معقدة ، خطوط القطارات ،والسفن، والخطوط الجوية .. شبكة ضخمة ، وتعتمد الواحدة على الاخرى فى جدول مواقيتها ، فينبغى اذن أن تسير كسير السـاعة ما دامت الحيـاة تضطرد وتتقـــدم وذلك جميـل بالنسبة لك أيضا ؟ . من قبل .

انه شىء جميل لم أكن أفكر فيه واعلن « لافروف » موافقته .

كانوا قد اجتازوا التلال المذهبة التى ترتفع منحـــدرة الى اليمين ، وكانت

الانوار الكهربائية نصف مغموره فى الاوراق السقراء على دمم الاشجار . وخيل للافروف ـ ربما بسبب الاضواء الزرقاء المنبعثة من القمرات ـ ان الاسلاك الممدودة على آخرها قد اصطبغت باللون الازرق من التيار الكهربائى الذى تحمله ! وترجع الى الشاطىء الى الوراء ، الى الضباب الذى كان يبدو حينا ورديا أو ذهبيا وحينا تغلب عليه الالوان الزرقاء او البنفسجية . وفى حين آخر كان ثم غشاوة كبيرة من اللون الارجوانى او الاصفر الحائل . وأدرك الرسام أن الاثر راجع الى الغابات التى يغطيها الضباب ، أو الى السحب التى خضبها شروق الشمس ، أو الى الشواطىء المنحدرة التى تظهر فى الافق . أو الى مبانى المدينة البعيدة المغلفة بالضباب

وذات يوم ، كان « لافروف » جالسا امام لوحته فى أعلى السطح قريبا من قمرة القائد حيث لا يستطيع الركاب ان يزعجوه ، وراح بلمسات واسعة سريعة يخطط رسما لهذا العالم الهادىء ، عالم الفضاء ، والضباب ، والمياه المتعددة الالوان ، والمناظر الذهبية التى ترى من خلال الاشجار وكانت « ساشا » فى قمرتها ، قد القت نظرة قلقة اولا على « لافروف » ثم على السماء ، وغاظها أن العتمة كانت تسقط بسرعة تطمس كل هذا الضياء وتخلف ظلامها المل . وفكرت: « أوه ، انه بطىء ، يبدو أنه لن ينتهى منها أبدا . » وبينما كانت الباخرة تقترب ، راى « لافروف » امرأة صغيرة ترتدى ثوبا قصيرا جاكتها مفكوكة الازرار ، وكانت تضم بعض زهور الخريف بيديها . وكان الرجل الصغير أيضا مسندا الى مجداف يتابع السفينة بعينيه . وكانت ظلال الزهور تتموج فى الماء .

وفوق رأس المرأة ، لاحت سحب متألقة تشبه عنقود العنب . وبدا المنظر كله له هادئا مليئا بهدوء بالاده الجميل . ولم يستطع « لافروف » أن يمنع زفرة ، ونظره غاضبة تجاه « ساشا » . . كمى ان تنتظر لحظة ، ولوح بفرشاته لها لتوقف السفينة لحظة . لكن تقاطيع وجه « ساشا » بدت صارمة ، وفى عينيها نظرة حادة ومالت السفينة جانبا بسرعة واهتزت فى العتمة ، وتشبثت أوراق الشجر باخر شعاع للشمس لم يستطع الظلام أن يشوب لالاءه الذهبى .

وخطف « لافروف » الصندوق الذى يحوى أدواته وأغلقه ، واتجه الى أسفل .. الى قمرته ، ولحظ ساشا بنظرة جانبية بينما كان يعبر الجسر ، فتفرج وجهها ونظرت الى بعيد وقال لنفسه: « انك لن تستطيعى أن تفلتى بعيدا ، سنصفى حسابنا حالا . » وفى أسفل فى قمرته فكر بقلق فيما ينبغى أن يقوله لها ، ستكون شكواه حقيقية ، لكنه لم ير « ساشا » هذا المساء ، لابد أنها نامت بعد نوبتها ، وأصبحت شكواه فى الليل آسنة ، وغبية يقينا .

ماذا يريد !! أن تقف الحياة من أجله ؟ ان ذلك لا يمكن أن يحدث . ستظل الى الابد تحمل مياهها فى مجرى واسع يتدفق نحو الافق الذى نسميه مستقبلا فاذا جنحت جانبا فستجد جفافا حواليك ، وستظل ملقى على الساحل وانتهى « لافروف » الى انها على حق، وأن ليس له أن يغضب منها . »

وتألقت خيوط من الضوء فى ظامة الخريف ، وانتشرت نسمات ندية منعشة ، وكان العملاق الاسود - الفولجا - تتدفق موجاته الزجاجية فى الليل فتحدث أشكالا خيالية ثم يحطمها الى شظايا .

* * *

وفى ديسمبر ذهبت « ساشا » الى المعرض السنوى للرسامين الذى أقيم فى صالة « تريتيكوف » ، وكان الوقت مساء ، وكان الثلج يتساقط ، والنوافذ تبدو ملتهبة بمجموعة من الشموع الباهتة الدافئة . وعبرت « ساشا » بسرعة خلال الممرات الخالية تقريبا باحثة عن لوحات لافروف ، ورأتها على بعد ، وأمسكت أنفاسها من الانفعال . كم كان الهدوء عميقا قويا ، حتى الرجل الاحمق كانت لديه القدرة ليلتقط هذا المساء البديع على النهر ويرى فيه لوجود أفضل مما وهلت الطبيعة نفسها .

أى قوة كانت ؟ أكانت الموهبة ؟ أم الحب لبلاده ؟ أم كلاهما معا ؟ وبقدر ما طالت وقفة « ساشا » وهى تتأمل الصورة بقدر ما زادت رغبتها فى شكر لافروف - ربما تلمس باحترام يديه الرشيقتين الملوثتين بآثار الاصباغ .

« كيف استطاع أن يرسم هذا القارب وهذه المرأة وهى تضم باقة من زهور الخريف ؟ » فكرت ساشا « اننى لم أوقف السفينة حينذاك .. »

ووقفت تتأمل اللوحة من بعيد ، وفجأة غمرها احساس بالسعادة وقالت فى نفسها : « اننى سعيدة اذا جئت .. كل شىء يبدو حبيبا ، حتى هذه النتف من الجليد التى تصفع وجهك ، حبيبة كل شىء حبيب ، كل شىء على الاطلاق »

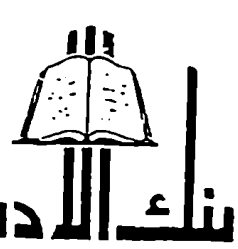

أول مؤسسة عربية لتمويل
الأعمال الادبية
٥ ميدان الفلكى - القاهرة
ت - ٢١٢٢١

حب ...

بقلم : فتحى صادق سالم

انت .. انت يالى ماشى .. الى واخذ عقلك يتهنابيه . التفت محسن نحو مصدر الصوت على غير رغبة فقد كان يريد أن يسير ويسير فلا احد يقطع عليه سيره فيسلمه وحدته مع نفسه بحديث أو سؤال . كفاه مابه من افكار . واذا به يرتد بعد أن تحقق من مناديه ، متهلل الوجه باسم الثغر فاتحا ذراعيه فى شوق ولهفة .. صلاح .. صديقى .. وبعد أن احتضنا قال محسن متسائلا : انت فين ثلاثة أسابيع لايرى أحدنا صاحبه .. ؟

هز صلاح رأسه فى نشوة واعجاب ثم مال جانبا وانقى بتحية على حسناء قبلماتتجاوزهما .. وعاد فاجاب صديقه وقد ضم يديه الى صدره فى خيلاء .. فى نعيم الحب .. طول عمرى هعيش محروم .

سرح محسن بناظريه فى أجواز الفضاء وقال حالما : الحب .

قاطعه صلاح فى ضجر . أيوه الحب . كمان شوية كعادتك دائما تهز كتفيك تسألنى فى عدم مبالاة تجعلنى أتميز منك غيظا . ايه هو الحب ؟!

وضع محسن اصابعه على فمه هامسا بجد الواجد . انت لاتعرف الحب مثل .

فوجىء بجراة صديقه على قدسية الحب فقال غير مصدق انت ؟! انت !

أمسك محسن بيده قائلا . هيا نجلس فى هذا المقهى وساحكى لك .. اننى ما زلت اتنفس أريج واديه . صفر صلاح بفمه قائلا وهو يربت على كتفه . وكذا كنت شارد الذهن فلم ترنى وانت تمر بجانبى .. على ما يتراءى لى وان كنت أشك فى انك مررت بواديه . هيا ، اخبرنى فقد زدتنى شوقا ، ماذا بعد جلوسنا ، ولحسن حظك المكان قليل الضوضاء ـ

اعتدل محسن فى جلسته وعصر رأسه براحتيه وفى بطء حولهما فى اتجاه شعره ولمعت عيناه ببريق ممزوج بشتى العواطف ولمسات الحب أخذ يلتفت فى ثقل وكأنه بتأنيب يخشى على حبه من الضياع • منذ سماعه ونصف عرفت الحب انه غير الذى طالما حدثتنى عنه وكررت حديثه على مسامعى حتى مججته ولم أعد أحس له معنى بل يقشعر لسماعه بدنى ••فغامراتك •• لياليك المسهدة وامسياتك الصادحة حتى قبلاتك مع غاداتك تحت ظلال الشجر وقت الأصيل وفى الربوع الخضراء وعلى ضفاف النيل • كل هذا لم يصادف حبى احداها •• ماكنت أتوقعه من أمور الحب دهب هباء •

انفعل صلاح •• كل هذا أعرفه فما هو هذا الذى جننتنى به ايها المحب الولهان •

أضاف محسن •• انه شىء آخر يا خل كيوبيد • اجمل وأبعد أثرا وأعمق غورا• حقا عميقا أخاذا كعينيها العسليتين اللامعتين ببريق كأمواج البحر العاصف وفى سكون وصفاء كصفحة السماء

فى أمسية من أمسيات الصيف المقمرة • كان ذلك وأنا فى صالة السينما الخارجية أمام شباك التذاكر المزدحم لأقطع تذكرة حفلة الثالثة•• وتنفس تنفسا عميقا وأردف •• كن اربعة كما تبينت بعد ذلك • احداهن واقفة بالصف الطويل لتقطع التذاكر والاخريات وقفن منتظرات • اما أنا فلم يخطر ببالى مصادفة الحب على غير موعد بين هذا الجمع وتحت بصره وسمعه وخاصة ان الكل جاء مندفعا ليساعد الفيلم الغرامى بشجيع بعاطفته وتوقده •

القيت نفسى وأنا وسط الجمع أفكر كيف سأسبق هذا الطابور الحريص فى الحصول على تذكرة وبداية العرض قريبت • وفى اختلاط افكارى ولا أدرى كيف التفت نحوها مباشرة • أبعينى نفسى ام هذا سر من أسرار الروح •• هذا يحيرنى تفسيره فلاقت عيناتا واذا بها حادة انفتحت لها مغاليق قلبى الصدئة وسالت قلبى فزعا • أحقا هذه فتاة احلامك •• ببساطة فتحت لها الأبواب لتتربع فيك • اندرى بماذا أجابنى ؟ أجابنى بزيادة ضرباته الطروب • ولما كنت أشهد لعينى بقدرتها على التغلب على أى عينين تجسران فتحدقان فى فلا تتركانها حتى تنكسر أمامها • وفى صمت وعناد وجدت عينى فى الطريق لعينيها اللتين ازدادتا ثباتا على• كانتا لاحدى الثلاث المنتظرات وقد تركتهن فى وجتهن تتخلو لها وجهتها • رأيت فيها ولا أبالغ •• الاعجاب بى فما لبثت أن تشككت فى شكوكى سائلا نفسى : لعلها ترى فيك عيبا ظاهرا • فخفضت بصرى خاسئة منها على نفسى فوجدتنى مستكملا زينتى••عدت أبصرها

فالفيتها ماضية سادرة وقد ازدادت عيناها فتنة . أنسياني ما جئت له . حتى بت لا أدرى عمقهما ودا يبيتنه لى . ومرت الدقائق ونحن نرى بعضنا كما ترانى . واجتررت تشككى وتساؤلى : أتتفحصنى لاهية كما تلقى نظراتهـا الاخيرة على زينتهـا قبل خروجها أمام المرآة . وفى لحظات تغير بريق عينيها فزال لمعانه وانطفأ .

أهكذا سريعا خاب أملها فى . ترى من هذا السعيد الذى منذ هنيهة كانت تفرق بينى وبينه . وانتعشت آمالى فيها . فيمن تربعت قلبى . وامتدت الى جوانحى قشعريرة حلوة سرت اليها كنزول الغيث على اللاهث فامتلأت نفسى بهجة وانشراحا كانا أول عهد لى بمثلهما وعندما عاد البريق وقد نم عن سعادة وفرح أشرق وجههـا عن ابتسامة رقيقة استحوذت عـلى فؤادى وضج قلبى جذلا بالسؤال . أحقا ثقلت كفتك عندها ؟ أحقا هـذا الجمال الآسر أحبك ؟ هل امتلكت فؤادها كما امتلكتـك ؟ اذا لم يكن كذلك فلم عذاب الرؤية . وفجـاة توقف قلبى أثر خاطر سقيم مر بى ان مثلها كثيرا ما يعـذبن الرجال بجمالهن . يجدن فى ذلك تسلية . انها تضحك منك وعليك لفوزها على رجل . جعلتك فى دقائق تتيم بهـا حبا تحت تأثير عينيها العسليتـين العميقين . يالك من غر ساذج . تسرع فتبوح لها بعينيك ان سهمهما استقر فى سويداء قلبك ؛ وعن فرحك بها ياقلبى . وعن أمنيتك التى تحققت فى شخصها . وأبصرتها بعينين تقطران أسى فغضت من بصرها وكأنها تستجمع شتات أفكارها المبعثرة عما انتابنى فما لبثت ان رفعت أهدابها فالفيتهما تلمعان سرورا جعل الابتسامة تعلو شفتى بعد خصـام ، نشوى بحبى المتجاوب . واخذت فى نفسى أنشد كيفية التقرب منها ؟ من التى وجدت فى تقربها وتقربى منها السعادة وكيف معرفتها . ؟ وعزمت على أن أروى حبى الجديد على ينبوع لاينضب وهو الزواج بها . انى كما تعلم مركزى ممتاز . وتعجبـت من أمر نفسى الناكـرة للزواج تردد فى اصرار . ولم لا ! فهى جميلة فياضة بالحيوية ذات قد خلاب أجمل ماتكون أنثى تتفجر بها بهـاء وشجعتنى ملاحظاتى المتباعدة لمحادثة زميلاتها لزميلتهن التى اقتربت من الشباك وانفرادها . والحق يقـال أخذتنى دوامة من الافكار سلبتنى جزءا من لهفتى كان يحورها : أسألها عن عنوانها ؟ أم عن اسمها ؟ ام ....؟ وازددت حيرة وارتباكا فزميلتها بشباك الذاكر وبين رغبة دافعة وخوف يذيبها وجب لمعرفتها وهروب عن جـديد يباغتنى وبين لهفة يحدها تعقل وبلا تفكير تخطفتنى جاذبيتها فانقلت قدماى وتقدمت خطوتين لاتتسمر فى مكانى مبهوتا مفغور الفم حزينا على اختناق المولود وزواله أمام عينى وتلاشت

كلماتى فى حلقى الجاف ... فقاطعه صلاح المنصت : ماذا أوقفك ؟ هل خاب فالك . وظهر لك زوج أخذها وابتعد .. أكمل وندى الدمع فى عينيه لا . انشغالها بى وسرحان فكرها عنهن أرانى ما شل حركتى .. واستطرد بعد توقفه برهة بصوت متهدج . بعد ما قطعت زميلتهـــا التذاكر أسرعت زميلتاها اليها هاشـتين فتوقعت أن يناديانها باسمها لكن خاب ظنى عندما فطن لبعدها عنهن . وبدلا من مناداتها أسرعت احداهن اليها على عجـــل وهزت كتفها .. ليتنى ما انتظرت لارى .. رأيت حبيبتى .. رايتهـــا تقف مبغوتة وبلا شعور همت لتحدثها كما نتحدث لولا فطنتها المسكينة أنها .. وباشارات يديها اخذت تستفهث منها . حتى خرجت من ماضيها القريب الباسم لحاضرها الصارم . ضرب صلاح كفا بكف صائحا كانت بكمـــاء .. أكمل محسن بصوت مخنوق والدمع ينهمر من مقلتيه على وجنتيـــه . لا تسمع ولا تتكلم .

خرج صلاح من صمته وتأمـــله والسكون المخيم قائلا : هيا نخـرج فقد ضاق صدرى . وخرجا لا ينبسان بكلمة يضربان الشوارع على غـــير هدى وبينما هما يسيران التفت صلاح لمحسن خارجا من شروده اثر فكـــرة قائلا : انك نسـيت وصف لون شعرها . ما لونه؟ اجابه جاف الصوت اسود فاحم . شهق صـلاح وزاغت عيناه وبعد مرتعشة أخرج من حافظته صورة اعطاها له فسأله بعـــد أن شاهدها . لمن هذه الصورة ؟ زوى صلاح ما بين حاجبيه وتلاشى ظـــل ابتسامته وقال . هذه صـــورة أخى لو تحققت منها لوجدتها تشـبهك . سأله محسن فى تعجب وما صلة حبى باخيك؟ اجابه . المهم انك لم تشاهده .. ثم اردف كسير النبرات : اننى أعرف غادتك .. أتود معرفتها ؟ بهت محسن وشعر بوخز لا يدرى كنهه . من هى بالله أصدقنى .

تجمدت عضلات وجهـــه فى أسى مؤلم وهو يخبره . انها زوجة أخى . لقد توفى أثر حادث أليم وهو عائد بالطائرة من أوروبا .. وعنـــدما فوجئت بالخبر .. قطع محسن حديثه بهزة من رأسه قائلا . فقدت النطق والسمع ، وهذا سر تحديقها فى لانى شبيه المرحوم ، وعدم أخذى لمنـزلك وتهربك منى دائمـــا ، حتى تحول دون رؤيتهم لى فتـروعهم الذكرى . وبلا شعور احتضنه صلاح ودموعـه تختلط مع قبلاته وكلماته المتقطعـــة انت أخى .. أخى لم يمت . خرج محسن من شروده وسالبيته ليحتضنه وهو ينشج بالبكاء . أخوه يا صلاح وقلبه يطفح كمدا مهتاج العـواطف وقد راعه احساس جديد جعله يبكى هيا أطو ما مضى ولنذهب الى منزلك .

استوقفه صلاح مستفهما :الى اين ؟ انصاع صلاح لرغبته بعدما اجابه الى بينكم ·

ولأول مرة سبقه صلاح فاخبر والدته واخواته وزوجة اخيه بالاشارات ان صديقا عزيزا سيزورهم الآن وكانوا ما زالوا بملابس الخروج وبعد دقائق دخل به عليهم · وكم تندت المقل بالدموع وعلت الشفاه ابتسامات باهتة ومنذ ذلك الحين شعر برباط قوى يربطهم به · رباط يغمره كلما استشعره بالغبطة وراحة الضمير ويسمو بروحه فى سعادة · وكان هناك شيء غائب ·· شخص كان له الفضل فيما هو فيه من سعادة الحب كلما اعتلى أمواج سعادته اعتلته فى اصرار المحبة الدافقة وجعلته يغوص ثانية الى أعماق أعماقه ·· هذا الشخص أخفاه عنهم جميعا · لم تكن زوجة أخى صديقه هى غادة السينما!

تحت الطبع

قوميتنا

وأسسها

بقلم أمين الخولى

يضع كل ما قيل عن أسس القومية تحت اختبار على ضوء القاعدة للرأى الرشيد عن

أساس القومية العربية

حول مسابقة القصة القصيرة

كلمة عتاب

بعد ان استتب المقام للآلهة فوق جبل الاولمب ، اجتمعوا يوما وقرروا دعوة الشعب المسكين الى وليمة شهية يولها الآلهة أنفسهم على قمة الجبل ، بشرط أن يتمكن من يريد الفوز بهذا الشرف ان يتسلق جوانبه . وأعلن الخبر المفرح على الناس فشمر كل عن همته .

وقسم الآلهة أنفسهم جماعات كل جماعة تحرس ضلعا من الجبل ، وتمد ايديها لكل مجتهد يستحق معاونتها وتساعده على التسلق .

ووقف الملاك يحمي الاضياف ويراقب . فرأى بعض البشر يصلون لاهثين من كل الجهات الا ضلعا واحدا من الجبل ، أدهشه أن لم يصل منه أى فرد ، واقترب الملاك ، ونظر واصغى ، فوجد أن الآلهة المسيطرة على تلك المنطقة تضع في سبيل اضيافها مغاريس وحواجز ، فكلما حاول احدهم الصعود والتقدم زلت قدماه او دميت يداه وكفت عن التشبث فسقط ، أو توقف . وعندئذ تسخر منه الآله ، فيقول آلهة الحكمة « هيه » لا يعقل أن يستطيع هؤلاء الصعود .

وتقول آلهة الفن « سخف .. سذاجة .. كيف يطمع أولئك في الجلوس الى مائدة الآلهة ؟ » .

اما اله الفلسفة فقد قال « كلام فارغ .. كلام فارغ .. دعوهم أسفل الاولمب حتى يتعلموا أصول الصعود جيدا » .

وهمس الملاك الطيب « أيتها الآلهة . بحق رب الارباب .. اسمحوا للبعض بالصعود . ألا تذكرون ما عانيتم انتم في الصعود أول الامر ؟ » .

فاجابت الآلهة الثلاثة باستنكار: « وكيف يلهم هؤلاء التافهون الضعفاء ان يضعوا أرجلهم في أمكنتها الصحيحة ؟ لا . لا . لن نسمح .

وهتف البشر من أسفل في يأس واحتجاج . أيتها الآلهة ان كنتم لا تبغون أن نتذوق طعامكم ، فلماذا دعوتمونا اذن ؟ .. لم نكن نشعر بالجوع قبلا حتى جئنا بالدعوة الصامتة » .

ونادى الآلهة : عودوا .. كفوا .. لن يقدر لكم الوصول ..

وقال البشر : كلا . كلا . أيتها الآلهة . ان رب الأرباب هو الذى دعانا .. وقد زاد سغبنا .. لن نعود ولن نكف حتى نصل .

* * *

هذه الأقصوصة ، لا أذكر بالضبط ان كنت قرأتها يوما ما أو سمعتها تقص . لكنها طافت بخاطرى عندما وقفت أتطلع الى نتائج مسابقة القصة القصيرة التى أقامها نادى القصة .

وكان من الطبيعى ان يكون أول ما أقرأ هو نتائج اللجنة الاولى فقد كان لى فيها بعض مجهود ، وشعرت بخيبة أمل عندما اكتشفت فشل ما اشتركت به «وهذا أمر طبيعى أيضا» لكننى واصلت القراءة ، وأخذت أحصى الدرجات التى نالتها كل قصة .

ولعل بعض العزاء تسرب الى نفسى عندما وجدت اننى لست الوحيدة الفاشلة .. بل قد أكون فى نسبة الدرجات ، أقل فشلا من غيرى .. لكننى ما ان وصلت الى آخر الكشف حتى أحسست بمرارة وحزن كبيرين ، ليس من أجل نفسى هذه المرة ، بل لباقى من ضمهم الكشف جميعا » ثلاث وثلاثون قصة هوت كلها ، وسقط كتابها سقطة شنيعة محطمة .. واعتصرنى رثاء للزملاء ، وكأنما اشتراكنا فى الخيبة والفشل خلق بينى وبينهم نوعا من التآخى والقرابة والتعاطف .. ترى هل طوى كل فرد من الباقين نفس شعورى نحو الآخرين ؟ لا أشك فى ذلك .

وبعد أن زالت الصدمة الأولى ، عدت ادقق فى الكشف مرة أخرى ، وتمعنت فى دراسة التعليقات والنقد

وقد وجدت ان اكثر الادباء الثلاثة كرما . هو الأستاذ تيمور ، اذ تفضل بتعليق كاف ، نوعا ما ، عن عدم لياقة كل قصة . وان كان اغلبه مؤلما .. ثم الأديبة «صوفى عبدالله» وكانت تعليقاتها غاية فى الاقتضاب . على طريقة « ما قل ودل » فلم تخرج تعليقاتها على كل قصة عن كلمة واحدة : « سخيفة .. ساذجة .. تافهة » مرتين فقط تكرمت بكلمة : « جيدة .. جيدة جدا » .

وفى النهاية جاءت تعليقات الأديب الخفيف الروح « يوسف ادريس » وجل تعليقاته مختصرة لكن لها مرارة الدواء .. الا انها كانت فى الحقيقة طريفة تدفع الابتسام الى الشفاه قسرا ، كأن يقول مثلا : « حدوتة سخيفة » أو « كلام فارغ » أو « لت وعجن » وفى مرات أخرى يزيد قرفه واندهاشه « من سخافة

القصة طبعـــا ، فيبحث عن أقـــل الكلمات شانا وأصغرها حجما ٠٠ فيقول : «ايه ده ؟! » أو «ماهذا ؟!..

وهذه كلمات صغيرة جدا يسهـل النطق بها أو كتابتها ، ولكنها كبيرة مدوية كالطبل ، فى الدلالة على منتهى تفاهـــة القصة وكاتبها ٠٠ وهـــذا بالطبع ما قصده الدكتور يوســـف ادريس ٠٠

ثم هناك ملحوظة قصر عنها فهمى الضعيف ، وهى التعليق على احدى القصص بأنهـــا « خرافية رغـــم واقعيتها » ولم أهتـــد ٠ كيف تكون القصة خرافية فى نفس الوقت ؟ ! للأسف ان ادراكى قاصر ٠

وفى النهاية وجدت نفسى أتساءل ـ لا شعوريا ـ ترى لو مرت جميع القصص على أدبائنا الثلاثة أصحاب اللجنة الأولى ٠٠ فكم قصـة كانت تنجح وتمر ؟ ؟ والعكس أيضا ، أى لو ان قصصنا هذه عرضت على لجنة أخرى أقل مثالية من لجنتنا ، أكانت تفشـــل كلهـــا هكذا ، الثـــلاث والثلاثون ؟ ؟ ٠

وهل كان أدباؤنا الكبار يقيسون الكتابات المبتدئة بمقيـــاس نبوغهم المستقر الوطيد ؟ وهل لم يكن لهـم نقطة بداية ضعيفة ـ نوعا ما ـ أو انهم ارتفعـــوا الى الأبراج بقفـــزة واحدة رائعة ؟ ٠

وبعد : فهذا عتاب وليس اعتراضا، مجرد عتاب ،قد تكون كل القصص التى عرضت على سيادتهم ، تافهـة سقيمة ، سخيفة ، لاتستحق احداها التسلل الى اللجنة الاخيرة ولكن ٠٠ من بين هذا النقد والكلام الذى يكسر النفس ويعصر القلب ، ألم تستأهل قصة واحدة من الثلاث والثلاثين كلمة طيبة ، أو توجيها مشجعا على معاودة التجربة ، أو محـــاولة التحسين والاجادة على الاقل ٠

على الأقل أظن من حقنا العتاب ٠٠ ومن واجـب الأدباء افســـاح صدورهم له ٠

نجية فرج

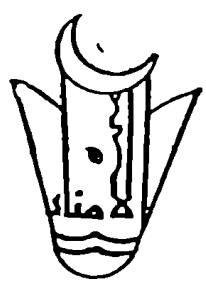

أصداء أدبية

بعد التحية والتقدير لمجلتنا الغراء «الادب» التى نرجو لها دوام الازدهار والتألق فى أفق النهضة الادبية الرحيب ٠

وبعد التنويه أيضا بجهودكم المباركة فى خدمة الادب والادباء والثقافة والمثقفين ٠٠ أود أن ألفت نظر سيادتكم الى بعض ملاحظات على القطاع الخاص بالشعر من مجتلنا الحبيبة وخاصة فى الفترة الاخيرة ٠

ألست معى ياسيدى فى أنكم أصبحتم تنشرون بعض الشعر الضعيف الركيك الذى لايتلاءم ومنزلة مجلتنا الغراء فى قلوبنا نحن القراء ٠٠ ألم تنشروا ياسيدى مثل هذا الكلام فى عدد سابق ٠

ولو كنت غنيا مثل « أبو رجيلة » ٠٠ الخ هل هذا كلام ٠٠؟ لقد حدثتنى نفسى أن أكتب اليكم من قبل ،ولكنى لزمت الصمت على مضض حتى رأيت العدد الاخير عدد « يناير سنة ١٩٦٠ » فرأيت فيه نفس الشىء فى قصيدة « أنا والحب والجنس » لصاحبها ابراهيم حماد ٠٠ نفس الضعف والابتذال ٠٠ بل وحتى لا تسلم القصيدة من الناحية اللغوية العروضية فنرى الشاعر « المحترم » فى آخر القصيدة يكسر الابيات ويأتى بابيات من بحر خلاف بحر القصيدة العام فالقصيدة كما نعلم من بحر الكامل لكن الشاعر فى الجزء الاخير من القصيدة يفاجئنا ببعض ابيات من الرمل ٠٠ ان مثل هذا الشعر ياسيدى لا يصح أن ينشر فى مجلتنا الحبيبة التى نرجو لها التقدم والرقى ٠٠

أما القصيدة التى حازت اعجابى بحق وملكت على مشاعرى فهى قصيدة « أرملة الشهيد » للشاعر عبد الفتاح شتا انها درة العدد لا شك فى ذلك ٠٠ ان فى هذه القصيدة صورة فنية رائعة ٠٠ ووحدة عضوية نامية ٠٠ وأسلوبا ينساب فى غير تكلف كأنه الغدير الرقراق ٠٠ انها قصيدة محبوكة فى اطار جديد جذاب ٠٠ اننى اشد على يد صاحبها الشاعر عبد الفتاح شتا وأطلب منه المزيد فى الاعداد القادمة ان شاء الله

وأخيرا ياسيدى الأديب الكبير اننى لم أكتب اليك هذه السطور ولم أوجه مثل هذه النقدات الى ما تقدمه المجلة من شعر الا لكى نرقى بهذا المنبر الثقافى الحر الى ما نرجوه له من التقدم والنمو فى عصر النهضة المباركة وانى أنتهز هذه الفرصة فأقترح على سيادتكم أن تفتحوا للقراء بابا يبدون فيه آراءهم واقتراحاتهم حتى تستطيع مجلتنا الحبيبة أن تسير فى طريقها الصاعد الى غدها المشرق المجيد فى خطوات ثابتة وبصيرة نافذة والله معكم وهو نعم المولى ونعم النصير ٠

فتحى ابراهيم عباس

نقد الكتب

محفوظ ... ماذا صنعت بنا..!!

بقلم : لمعى المطيعى

لقد سرنا فى رحلة طويلة بين تلال جبل المقطم واحياء الجمالية والدراسة وغيرها من معالم هذه المنطقة أكثر من شهرين وأمامنا آثار حارتنا واولاد حارتنا .. وكنا كلما اوغلنا فى المسير نمنى أنفسنا بالراحة بعد هذه الرحلة المضنية .. حتى توقفنا فجأة فى قلب الصحراء . وان كان المطاف قد انتهى بنا الى واحة صغيرة ولكنها ليست الواحة التى سعينا اليها منذ بداية الطريق . وجاءنا أمر بالوقوف فى هذه الواحة الصغيرة التى لا نرضى عنها كل الرضا .. فى صورة كلمات قليلة فى ذيل احدى حلقات رواية « أولاد حارتنا » .. كلمات قليلة تقول .. « لقد انتهت القصة » .. وينظر ابناء القافلة بعضهم الى بعض ، يتناقشون ، فيتفقون تارة ويختلفون تارة أخرى ولكن فى بريق عيونهم سؤال واحد : هل وصلنا الى النتيجة التى نصبو اليها ؟ وملامح الوجوه تجيب بالنفى .. فنشعر أن « محفوظ » لم يشف غليلنا منذ أن دعانا لنسير مع « أولاد حارتنا » .

غير أن للمؤلف بابا واسعا يحتج به لدى القراء .. فقد يقول لهم : من قال لكم أن الذى يحول بأذهانكم عن الرواية قد خطر لى ؟ ومن قال لكم اننى قصدت الى تصوير احداث التاريخ ؟ .. ومن قال لكم ان « ادريس » شىء آخر غير ابن عاق وشرير للجبلاوى .. أصل حارتنا ومنشؤها ؟ ومن أدراكم أننى أقصد « بجبل » و « قاسم » و « رفاعه » أشخاصا لهم تاريخ سوى تاريخ حارتنا الحقيقى ؟ وهل قلت لكم يوما انى آخذ بيدكم لمرحلة غير التى أريدها انا ، واحددها انا وحدى ؟ فأنا وليس سواى يعرف تاريخ حارتنا .. وانا وحدى الذى استمعت الى

اخبار اولاد حارتنا . فقد نشات بها وانا انحدر من اصلابها .. واما انتم فمجرد قراء لتراث حارتنـــا .. ان اردتم القراءة .. وهنا لا نملك الا التسليم – ولـكن الى حين – لارادة المؤلف .

وهنـا نقول بكل ثقة واطمئنان : أن هـــذه الرواية تحفة فنية رائعة قفز فيها محفوظ الى مستوى جديد ، ومضى الى مرحلة أكثـــر تطورا مما كان فى «قصر الشوق» و«بين القصرين» و « السكرية » : فأداة التعبير وهى عنـد محفوظ « الـكلمة الفصحى » والتى حرص على استخدامها فى كافة ما كتب فى الماضى أصبحت نغما نديا وأداة موسيقية طيعـة بين يديه .. واختفت الالفاظ الثقيـلة الضخمة التى كانت تبـدو أحيانا فى ثنايا ما كتب فى الماضى .. كما انه جعل هذه المرة من اللهجـــة العامية والفاظهـا اسلوبا جديدا ، فقد عرج على العامية يهذبها وينقيها من شوائبها ، واقبل على أقرب كلماتها الى الفصحى ليجعل منها نغما سلسا فى حوار ممتع .. الحوار الذى لجأ اليه بشكل ملحوظ فى روايته الاخيرة ، فأراحنا من ثقل تعبير الاديب الذاتى عمـا يمكن ان ينطق به اشخاص الرواية .. كذلك فان السرد الروائى – الذى لمسناه فى اعمال محفوظ السابقة والذى تتميز به الرواية عموما الى فترة قريبة – قـــد اختفى بشـــكل واضـــح فى « اولاد حارتنا » ووجدنا انفسنـــا مباشرة امام الحدث ، يضعه محفوظ امامنا بشكل يربطنا بواقع الاحداث ويجعلنا نحس باجزائها الدقيقة .. ويكتفى المؤلف بتوجيـــه الاحـداث حسب منهجه الفكـــرى وحسب ارادته ، بدل ان يكون مذيعا لموكب من مواكب الحيـاة ، وانما هو يضع الاحداث بطريقـــة تفيض حيـوية بحيث اننـا عشنا فعـلا مع احداث « اولاد حارتنا » حتى ايقظنا محفوظ فجاة بقوله « انتهت القصة » .

والحق اننـــا كنا خـلال الرواية كالمشاهدين لقصة نرسم لها طريقها معينا ، ونضع لها فى اذهاننا نهاية معينة .. واذ بادارة السينما تعلن « النهاية » ونحن لا نريد ان نغادر المقاعد املا فى فصـــول جديدة .. غير أن الستار يسـدل .. والابواب تفتح على مصراعيها..وفتوة السينما يعلن أن الخروج هو افضل الطرق ، فنستسلم للامر الواقع ونناقش الامر كما اراده محفوظ ولكن كان ذلك كما قلت الى حين . لان للقراء ارادة .. وارادة القراء فى قوة ارادة المؤلف ايضـا .. وايا كان الوضع فان القسمة الرئيسية هو انه ليس للرواية بطل واحد .. وليس لهـــا ايضا ابطال متعددون .. رغم كثرة الاشخاص ورغم تعدد فتوات حارتنا ، فالحقيقة ان البطولة هنـــا للاحداث الاحداث الاجتماعية : تلك الاحداث،

وهذا الواقع الاجتماعى الذى دفع بجبل وقاسم ورفاعه وعرفه ، أن يظهروا ويلعبوا هم أنفسهم دورا بارزا فى أحداث اجتماعية جديدة وقد أجاد محفوظ تلك الانواع من البطولة فى رواياته وابرزها بطولات ثلاثيته الاخيرة، حيث تناول قطاعا من المجتمع المصرى خلال مراحل تاريخية مختلفة وظهرت الأوضاع الاجتماعية بدور البطولة وليس هذا الأمر بجديد على روائع العمل الادبى .. فنجد أن عنصر « الزمن » لدى تولستوى يفوق دور الافراد فى أعماله الادبية.

وتعود الى ما يقوله القراء ، ويبدو أن مستوى الذكاء لدى القراء مرتفع لدرجةانه لم تفلح بازائه كل مهارة محفوظ فى التعبير الرمزى ولم يحدث أن دار نقاش حول رواية وهى مازالت تسرد فصولا كما حدث « لأولاد حارتنا » .. وأخذ القراء يطابقون « أولاد حارتنا » على احداث البشريةكما عرفوها ، وكما رسمتها المصادر وخاصة الكتب الدينية .. وقالوا .. لقد تمرد « ادريس على «الجبلاوى» .. غير أن « ابانا آدم » لم يتمرد علىالله كما فعل إدريس .. ولماذا يا محفوظ جعلت من ادريس نموذجا للشر والاجرام ؟ ولماذا لم تبدع له بعض عناصر الخير ؟ ولماذا زوجته بعاهرة ؟ ولماذا جعلت بنته ايضا تزل كما زلت والدتها ؟ ولماذا جعلته يكره ويظل يكره عناصر الخير فى « أدهم » وغيره من الناس ؟ وهل آراء المؤلف الذاتية هى هكذا كما عكسها فى هذه الصورة : ان الانسان اصله الشر .. وهل نظرته لحواء وبناتها كنظرتهالى زوجةادريس ومن بعدها بنتها .. وهل هى دراسة محفوظ للفلسفة جعله يحلل الاحداث هكذا وجعلتله هذا المنطق؟ وهنا قد يرتفع صوتمحفوظ ليقول: ومن قال لكم اننى أردت لادريس صورة آدم ؟ ومن قال لكماننى أردت بزوجته رمزا لحواء ولكل بنات جنسها ؟ ومن قال لكم . ؟

وعلى أية حال فان روعة المؤلف تكمن فى هذا العمل العملاق الذى أقبل عليه محفوظ . والذى لم يكن يتاح لأحد غير محفوظ أن يقبل على مثله .. فلم يتح لأحد من جيل محفوظ ذلك الباعالطويل فى الرواية الطويلة .. وليسلأحد غيره (طول النفس) ليجرى وراء احداث بلادنا خلال ثلاثة أجيال تاريخية متلاحقة فى قصر الشوق وبين القصرين والسكرية .. ثمأوتى من عمق التجربة والمثابرة ليتابع البشرية كلها فى أحداثها وتاريخها منذ عرف الانسان الارض حتى مرحلة ظهور العلم .

وبهذا الصدد نعترف لمحفوظ بكفايته فى دراسة التاريخ دراسة واعية بمنهج متقدم ، وهو هنا قد امتص التاريخ وتمثل احداثه كما

لم يتمثلها أحد من قبل .. ولا سيما انه راح يصوغها فى هـذا القالب الفنى الخالد .. فجاءت هذه الصورة الفنية آية فى الاعجاز . ولا تقصد بالاعجاز الكتابة الرمزية ، ففى تراثنا العربى غيره من العمالقة الذين سلكوا السبيل الرمزى فجاءت اعمالهم خالدة على مر الزمن .. بل الاعجاز فى رأينا هنا هو صياغة تاريخ البشرية وأحداثها التى رسمت اتجاهاتها فى مراحلها الرئيسية المختلفة فى تحفة فنية رائعة .. فالثرثرة والاطناب لم تكن اعجازا يوما ما .. بل الايجاز هو الذى يحتاج الى المقدرة والمهارة ، وما بالنا وقد جاد الايجاز فى اطار من الادب الرفيع والفن الرائع .. ومن هذه الزواية فالرواية كما قلنا فى صدر الحديث ـ تحفة فنية خالدة ـ ليس فى أدبنا العربى فحسب بل ستحتل مكانها عن جدارة فى آداب الشعوب كلها ، وفيما نعتقد لم يسبقه أحد من أدباء العالم الى مثل هذه المحاولة، فان أقصى ما امتدت اليه يد أديب هو تصوير حقبة من تاريخ بلد معين، اما أن تمتد ريشة فنان ليبدع ، الى تاريخ البشرية يتصوره فيبدع التصوير ، فهنا الروعة وهنا الجلال. وهنا تمجيد الشجاعة التى توفرت لمحفوظ بغض النظر عما قيل وما يمكن أن ينال الرواية من نقد .

* * *

ونحن لا نرضى عن النهاية التى أوقفنا عندها محفوظ .. مرحلة وقوع عرفه وسحره فى براثن الناظر مرحلة استخدام الناظر لعرفه ثم العمل على تحطيم عرفه نفسه . ان مرحلة ظهور العلم والصناعة واستخدام العلم والصناعة فى الحروب من أجل فتح أسواق جديدة ، ثم انقلاب الفئات العليا من المجتمع على العلماء ومفكرى الصناعة واستخدامهم فى الحراب والقتل .. ليست الوجه الأخير لتطور البشرية ، وليس هو الوجه الذى نرضى عنه .. وليست هى نهاية لتاريخ البشرية بأية حال من الأحوال . . بل هى بداية لمجتمع رأسمالى والبشرية تتخطى رويدا رويدا هذه المرحلة ..

ونحن نتحدث الآن عن المجتمع الاشتراكى الديموقراطى .. فلماذا وقف محفوظ عند هذه المرحلة التى تميزت بالصراع من أجل مزيد للاستقلال لصالح فئات قليلة .. من حقنا ان نسأل : لماذا وقف محفوظ فى انتاجه عند هذه المرحلة .. وهو بذاته الذى تخطاها فى « ثلاثيته » الى الحديث عن الاشتراكية والخير للانسان والعدل للجميع .

ومن هنا يتجدد السؤال : ما الهدف من العمل الادبى عموما ؟ .. وعلى هذا ما هو الهدف من هذه الرواية ؟.. هل هو مجرد التسجيل الفوتوغرافى .. ان كان هذا وحسب فاننا نقول ان محفوظ قد أجاد .. اما ان اتفق معنا ، ونعتقد انه متفق

تمـــاما معنا على الرسالة الانسانية للادب ·· على رسم الطريق المشرق للبشرية · وعلى تركيز الأضواء على آلامها بصـورة تدفع لتلخلص منها · ان كان هذا فنحن نسأل: اين الهدف اذن ؟ لقد بدأ محفوظ الرواية بالشر بصفته القسمة الرئيسية « لادريس » وجعل التمرد ومشاكسته لعناصر الخير صفات أصيلة لديه ·· وجعل البطش والعدوان اخلاقياته · وانتهى بنا عند حد وقوع « عرفه » الساحر فى براثن « النـاظر » يضـــع فى خدمته أدوات الخـراب والدمار ·· والناظر لا يرحم أحدا من ابناء الحارة فهو يدافع عن كيـــانه ويدافع عن املاكه بكل الوسائل التى وضعهـا عرفه فى يده حتى لو أدى الأمر الى الفتك بعرفه نفسه ·· ونحن لاتقبل الشر كصفة أصيلة لدى البشرية منذ بدايتها ·· كذلك لا نقبل الخـراب والجشع نهاية لها · فان كان اختراع البارود واكتشاف البخار قد أفادت منه أول ما أفادت الفئات المالية فى بداية المجتمع الراسمـالى ، الا أن البشرية استطـاعت فى تطـورها أن تخلص احفاد عرفة من براثن الفئـــات التى تسعى للبطش والاستغلال واستطاعت أن تجعل منهم أدوات لتخفيف الآلام بدلا من الغـزو وفتح الاســواق · واستطـــاعت البشرية أن تجعـل « عـــرفه العصر الحـــديث » يضع سحره فى خدمة المجموع ··

وان كانت بقـايا « سـلالة الناظر » تحاول أن تبقى عرفه وســحره فى حوزتها ·· وتحـــاول أن تسخره لمصالحها الجشعة · الا ان المجمـوع بما فيهم من «سلالة عرفه» ، يريدون للبشرية غير هذا الطريق ··

ونحن لا نقول بأن المؤلف لا يدرك هذا ، بل انه قد عالج مشـكلة من أهم المشاكل التى يدور حولها صراع البشر ·· وهى توزيع الملكية ، التى تمثلت فى الرواية بتوزيع «الوقف» فادريس يريد حظه من الوقف ولكن الجبلاوى يحرمه منه لشره وفساده ، فيسعى لينال حظه من الحياة بذراعه· وجبل يسعى لاعادة توزيع الوقف ، ولكن لفرعه ، ولعمرى ليس أروع من العمق فى فهم خاصية جماعة كاليهود تعتبر نفسها دائما جماعة مغلقة سواء عاشت فى حارتنـــا أو عاشت بين البشرية جمعاء ·· انها جماعة مغلقة تطلب العدل لنفسها دون سائر أبناء الحارة ·· تطلب الخـير لذاتها دون الفروع والسلالات الأخـرى ·· أما رفاعه فليست مملكته هنا على الأرض ·· بل فى السماء · فى ملكوت الله التى يرثها المؤمنون ·· الى أن جاء قاسم فيقول بالخير للجميع والعدل للجميع ، سواء أهل جبل أو أهـل رفاعه ·· ولا فضـل لأحد من حى جبل أو حى رفاعه أو حى قاسم على آخر الا بالتقوى ·

←

محاولة نقدية :

قصر على النيل

للاستاذ ثروت أباظه

بالكلمات الافتتاحية يقدم لنا الصديق ثروت أباظة هذا القصر ..

وأنا الذى أعجبت كل الاعجاب بزقاق المدق للصديق نجيب محفوظ وجدت فى عنوان هذه القصة ما أغرانى وما دفعنى الى قراءتها ولعل هذه القصة هى الاولى التى أقرؤها وفيها يحاول مؤلفها أن يقدم لنا جو القصور وما يحدث فى القصور من قصص

بقلم: توفيق حنا

وقد يكون القراء على حق فى عدم دلالة هذه الأسماء .. ولكنهم ليسوا على حق عندما يطالبون المؤلف أن يلتزم الصورة كاملة كما يعرفونها ، لأنه فنان وليس مؤرخا ، والفنان غير المؤرخ، وحسبه أنه رسم بعبقرية، المغزى الاجتماعى لهذه الاحداث التى حركت جبل وحركتها جبل .. ورسم بنبوغ ، الاتجاه الرئيسى لكل من آراء رفاعه وقاسم .

والذى نأخذه عليه أيضا ، انه كان ينقلنا طفرة من جبل الى رفاعه الى قاسم الى عرفه .. لقد كنا فى ثلاثية محفوظ السابقة ننتقل من فترة الى فترة ، ولكنها كانت بمثابة تغيير قطار سريع بقطار سريع آخر .. ولكن فى هذه المرة كان الستار يسدل على احدى الحلقات .. ونصحو فى اليوم التالى على سؤال « من هو فتوة حارتنا » ونجد أنفسنا فى مرحلة جديدة تماما .

* * *

أيا كان النقد ، وايا كانت المآخذ .. فالذى يدفعنا لكل هذا ما لمحفوظ فى نفوسنا من احترام ، وما له من منهج .. منهجه فى سياق الاحداث ، منهجه فى تشريحه للمجتمع المصرى فى ثلاثيته .. منهجه فى توزيع الوقف .. منهجه فى انتظار لجبل ورفاعه وقاسم وعرفه .. من أجل هذا كله فنحن مقدرون للمجهد الذى بذل .. ونحن شاكرون للتحفة الفنية الخالدة .. ونحن آخذون عليه ما سبق ، ونحن قائلون له ..

« محفوظ .. ماذا صنعت بنا ! » .

وحوادث ·· وكما قدم لنا المؤلف القصر قدم لنا صاحب القصر بعد وصف ملامحه بانه مارس السياسة ومارسته ولكنه أبى أن ينضم الى حزب من الاحزاب ·· بل كان دائما يقف من هذه الاحزاب موقف الناقد الحر » ·

أما سيدة القصر فهى السيدة تفيدة الزوجة الثانية للباشا أم سمير وسميرة ·· وتظهر فى هذه القصة وأم وديدة تقرأ لها الفنجان أما أم وديدة هذه فهى حمالة المواعيد التى مهدت اللقاء بين سهير ووصفى وكان سلم القصر مسرحا لقصة حب فاشل هو سبب هذا الجو الحزين الذى ساد القصة ·

ثم شخصية وصفى أخطر شخصيات القصة ·· ولعلها الشخصية الوحيدة التى تبدو متكاملة من الوجهة الفنية·

« وصفى شاب حاصل على الحقوق جميل الصورة له شهرة فى الادب السياسى نجح فى الانتخابات وظهر فى مجلس النواب ·· وهو متشبث بالتقاليد يعارض بمقالاته من يقاومون الحجاب ·· وهو يهاجم الانجليز بمقالات مشتعلة حتى قبضوا عليه مرات وسجنوه »

وسبب عدم زواجه بحبيبته سهير رغم حبه لها ·· أن أمه محقة حين فكرت أن تخطب له هند ـ وهى تربية تركية صارمة ـ

لا نقاء ·· ولا مواعيد ·· ولا قارب فى النيل ·· ولا ·· ولا ··

والام التى نجحت فيما فشلت فيه أم وديدة هى السيدة اجلال التى بيعت فى مصر بيع الرقيق الى جد وصفى فزوجها لولده أدهم باشا شكرى ·

وتزوج وصفى هندا زواجا مصلحيا أما سهير فبعملية انتحارية تزوجت سليمان بك شكرى الذى درس فى أوروبا وعاد مهندسا معماريا فاشلا ·· فى حياته العملية وحياته الاجتماعية ·· لم يبن أى بيت بل انه هدم علاقته مع زوجته سهير وطفليه أحمد ، وهناء ··

·· كان سليمان هينا دنيئا ذليلا يبذل فى الامر اليسير كل كرامته ·· أكبر أماله زواج من ثروة يركن اليها وتم زواجه لسهير فكان كما يقول المؤلف أن أرغم زوجته على احتقاره ··

* * *

وهكذا قدم لنا المؤلف فى القسم الاول من كتابه القصر ، وصاحب القصر ، وسيدة القصر ، وأم وديدة وسهير ، وسليمان ، ووصفى ··

وهناك شخصية عبد البديع أفندى الدكر ، كاتب الزراعة ·· تزوج من محبوبة ، بعد استئذان الباشا فى هذا الزواج ··

وهكذا تمت فى هذا القسم الأول من القصة زيجات كثيرة : سهير ، وسليمان، ووصفى، وهند ، وسميحة أخت سهير وسامى ، وأخيرا عبدالبديع ومحبوبة ··

وحدثت حوادث القسم الثانى بعد

أعوام كثيرة فى مسجد قرية العواسجة السيد بن عبد البديع الدكر ، حاصلا على التوجيهية ..

ثم الى القاهرة .. ففى بار الشباب كان يلتقى حسام بأصدقائه الذين يعرفون طريقهم الى النساء ، على يد عبد الجواد بائع السجاير ، فى البار .. وكان يجتمع فوزى وأحمد فى مكان آخر تنطبق عليه أوصاف نوادى الوجوديين ، فى باريس .. بالأضواء المتهافتة التى تنبعث فى خوف ..

ويحدثنا أحمد عن علاقته بفوزى وبما يسميه المذهب .. فيقول أحمد « انه يهرب الى هذا المذهب من الفراغ ومن فشله فى كل شىء حاوله ويرى أن أباه هو الذى جر عليه كل هذا البلاء .. لانه أب بلا ضمير وبلا كرامة .. وبلا تقدير لاى معنى كريم » هذا الأب هو سليمان ..

وتعجب هناء بنت سهير بفوزى ، وينتهى الأمر بحب .. وبلقاء فى نفس المكان الذى كانت أمها سهير تلتقى فيه بوصفى ..

وينتهى هذا الحب بزواج

وتبرر هناء اندفاعها الى هذا الزواج بأنها تكره المال .. وأبى تزوجك من أجل المال فقط فانظرى الى حياتك .. أبى جمع المال وبدد احترامنا له وفقد حتى احترام الخدم .

لا أريد المال ...

ولكن هذا الزواج فشل واضطرت هناء الى اجهاض طفلها من فوزى

وتم الطلاق مقابل شيك بالف جنيه استلمه فوزى من سهير .. ويقبض على السيد بن عبدالبديع الدكر ولكن وصفى باشا يخرجه .. فاذا هو فى طريقه الى وصفى باشا شكرى بناء على طلبه معتقدا أنه قد أعد له وظيفة وقد خطب له أبوه قريبة له ..

فهو يقول :

أنا لم أعد عضوا فى الجماعة أنا أريد أن أعيش يا أخى .. ابعدوا عنى »

وبعد خروج السيد من المعتقل .. اعتقل أحمد ..

ولم يكن أحمد عميق الايمان بشىء على الاطلاق .. وهذا سر شقائه .. حاول أن يهرب من القلق والفشل الى المبدأ .. فخيل اليه أنه يؤمن به ولكنه لم يؤمن الا بظاهر المذهب دون المذهب ذاته .

وهو يقول : ان خير مايستطيع أن يفعله أن يكون انسانا .. انسانا

لكن هل يستطيع أن يحب الجميع .. هل يستطيع أن يحب أباه وهو الذى ألقاه فى هذا الشك .. فلم يستطيع أن يحترمه أبدا .. ولكن ما ذنب أبيه .. ومن يستطيع أن يحتمله ان لم يحتمله هو ..؟

وهو يريد أن يكون انسانا وسيستطيع

وكذلك نجد سهير تعترف أن الصلات بين الابوين كانت مفككة فنشأت أخلاق طفلينا مفككة وكنت ضعيفة أمام المى .. فنشأ الطفلان ضائعين تائهين وكنت ضعيفة حين

تزوجت سليمان .. وأخيرا كان ما توسمه الآن من ابنه مطلقا وابن سجين .

التقى سليمان وسهير على احساس واحد .. هو الاحساس بالالم ..

وحولكم أحمد وانتهى الأمر بالافراج عنه .. وتمكن من حمل عمه الباشا على السعى للافراج عن فوزى أيضا

وهكذا انتهت القصة نهاية سعيدة

. ورأت سهير اقبال ابنها على أبيه واقبال سليمان على ابنه .. واقبال هناء على حسام

ثم ماتت سهير .. وبجوار فراشها التقى الابن والاب .. والتقت الدموع

* * *

انتهى المؤلف من كتابة هذه القصة فى ٢١ مارس ١٩٥٨ .. ولعله قدمها فى عيد الام هدية لروح سهير .. الام النادمة .. التى عاشت فى آلام وفى شقاء والتى لونت بحياتها جو القصر بالوان قاتمة حزينة شقية .

* * *

كانت قصة .. « هارب من الايام» اقوى موضوعا وأبلغ مضمونا وأدق تحليلا .. اذ وفر الصديق ثروت أباظة هنا البعد اللازم للرؤية الفنية الصادقة .. ذلك لان الذى يعيش حياته لا يمكنه فنيا أن يكتبها لان الفن يحتاج الى مسافة روحية تسبح بالرؤية وبالمعايشة والمشاركة وبالتسجيل .. ولكن الصديق الفنان اراد فى مغامرة فنية ان يحاول الابتعاد عن القصر وهو يعيش فيه حتى يتمكن من أن يجعل من حياته الواقعية فى القصر موضوعا فنيا . ولكنه لم يوفق كثيرا لانه عجز عن الرؤية الفنية لعدم توفر عنصر البعد اللازم لهذه الرؤية الفنية .. ولذلك أضطر الى أن يتحايل لتحقيق هذه المحاولة المرهقة القاسية عن طريق هذه الخطب السياسية وهذه الصور من المناجاة المذهبية .. وهذه الصلوات .. الى غير هذا مما أرهق الحركة الفنية وجعلها تبدو ثقيلة .

* * *

تعتبر هذه القصة من قصص الدعاية .. كتبها المؤلف وهو مريد كل الارادة ، وواع كل الوعى ليدعو بها ضد هذه التحركات التى يراها غريبة عن واقع هذا القصر .. ولهذا دفع أحمد للتخلص من فوزى كما طلق هناء من فوزى .. ودفع سيد الدكر للتخلص من الجماعة .. ولكنه كان رفيقا بكل هؤلاء الابطال .. اذ أخرج الجميع من الاعتقال كما أعادهم الى واقع القصر والى واقعية الحياة اليومية التى تسير فى هدوء وفى تطور لا يحتمل ولا يقبل الثورة أو الطفرة .. حتى سليما واحمد اللذان عاشا فى علاقة نفور واحتقار .. انتهت القصة وقد عاد الابن الى أبيه بعد أن جمعهما الم واحد واحساس

واحد باتعقد ، والحزن ، والحرمان من الزوجة والام ·

هذه القصة اذن هى قصة دعاية ·· وانا لا أحب أن يستغل الادب أو العلم أو الفن كوسيلة من وسائل الدعاية ·· وبخاصة هذا اللون من الدعاية السلبية الذى يمتلىء بالسخرية والتهكم والاهانات دون التعمق الى الاسباب البعيدة التى تدفع الانسان الى الخروج عن الطريق ·· ولقد أشار المؤلف فى سرعة خاطفة الى الاسباب الفردية السطحية لهذا الخروج ·· ففى هذه القصة نلمس هذا الفراغ الرهيب الذى عاش فيه شباب القصر من الجيل الجديد ··· كانوا جميعا حيارى يبحثون عن طريق للخروج من هذا الفراغ ومن هذه الحيرة ·· واندفعوا الى ألوان من التطرف المؤقت وكأنه محطة فى الطريق استراحة REST HOUSE عادوا بعده الى حياة الناس ·· بما فيها من هدوء واستقرار وتوازن وتعادل ·

وكان هدف ثروت اباظة من هذه القصة أن يدعو الناس الى الابتعاد عن الانحراف الى اليمين المتعصب أو الى اليسار المتطرف ·· انه يدعو الى هذا الوسط المتعادل المتوازن الهادىء المستقر المطمئن ·

* * *

ان بطل هذه القصة هو أحمد — لا وصفى — ولقد كان من الممكن أن تخرج شخصية أحمد متكاملة كما كانت شخصية كمال الطبال بطل « هارب من الايام » ولكن المؤلف وزع جهده الفنى بين أحمد وفوزى عبد المجيد الذى جاء به فى القضية ليتحمل عن أحمد كل الاهانات التى لم يحتمل المؤلف أن يلصقها بأحمد ·· رأينا فى فوزى عبد المجيد الانحلال والوصولى والانتهازى الحقير ·· ورغم أن فوزى كان صورة أخرى لسليمان ، فان المؤلف دفعنا الى العطف على سليمان بينما دفع أحمد الى أن يطرد فوزى من حياته فى قسوة ممتقة ولكن لماذا لم يحاول ثروت اباظة أن يقدم لنا فى القسم الاول من قصته الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والروحية التى عاش فيها وصفى وسليمان وأحمد وهناء وفوزى والسيد الدكر ·· اذن لجاءت الحركة الفنية أدق ، ولكان المضمون أغنى ، وأعمق وأبلغ ، ولأصبح الموضوع أوضح ، ولكان الشكل أقل اضطرابا وأكثر طمأنينة

تيارات فنية

مضى عام ، واقبل عام جديد ، وبدا الادباء يحصون خير ماقدمه العام الماضى من أدب ٠

فى فرنسا يقول النقاد ان مجموعة القصص القصيرة التى أصدرها (مارسيل ايميه) تحت عنوان (حول باريس وقصص أخرى) كانت أحسن مجموعة قصص قصيرة فى العالم خلال العام الماضى ، والكاتب الفرنسى يصور فى هذه المجموعة الاوضاع العقيمة المضحكة التى يجد الرجل الفرنسى نفسه ضائعا معها ٠ ويزعم النقاد الفرنسيون ان الملاحظة الدقيقة والاسلوب النظيف ساعدت مارسيل ايميه فى بلوغ القمة ككاتب قصص قصيرة ٠

★ ★ ★

وفى أمريكا أهمل النقاد رواية « لوليتا » الفاجرة ومؤلفها فلاديمير نابوكوف ٠ وقالوا ان أعظم رواية حب صدرت فى العام الفائت ، هى رواية « بلا سلاح فى الجنة » ومؤلفها يدعى « الن مارش » ٠ وهذه الرواية تعتمد فى صورها ومناظرها على ايحاءات البيئة الباريسية ، وتصور بطلة حائرة امريكيه من أصل المانى لاتتناسب مع حبيب روسى أبيض لايناسبها هو أيضا ٠ وكان (مارش) مؤلف الرواية يتهجى حقيقة صغيرة تقول : ان الحب ليس سعادة على الدوام ٠

★ ★ ★

وفى يوغوسلافيا تألق اسم (ايفو اندريك) حين وضع على غلاف كتاب اسمه (جسر على نهر الدرينا) ، وهذا الكتاب يروى قصة مدينة يوغسلافية منذ ثلاثمائة وخمسين عاما حتى اليوم ٠ وفى هذه المدينة التقت شعوب كثيرة ووقعت أحداث عظيمة وظهر غزاة كثيرون ٠

وليس فى هذا الكتاب عقدة تجعله رواية ، ولكنه يحمل أنغام الحرب والسلام ٠٠ والموت والحياه ٠

★ ★ ★

وفى روسيا ظهر أحسن كتاب فى العام الماضى يحمل اسم « الزمن يسير » ، ألفته (فيرابانوفا) ، وقد استطاعت الكاتبة الروسية ان تجعل قصتها تدور حول الكائن البشرى حين يبلغ السادسة من عمره

بقلم : عبد المنعم شميس

ويرى الدنيا من حوله . وكانت بانوفا عبقرية فى تصوير هذه الحياة التى راتها بعين الام لا بعين الوليد

والى جانب هذا الكتاب تالقت مجموعة من الشعر تحمل اسم (بوريس باسترناك) صاحب دكتور زيفاجو وصاحب الضجة العالمية المشهورة . ولم تحظ مجموعة من الشعر بمثل ماحظيت مجموعة باسترناك التى ترجمت الى لغات عديدة فى أوروبا وامريكا وبيعت منها مئات الالوف من النسخ .

★ ★ ★

وفى انجلترا قال النقاد ان أحسن كتاب ظهر فى العام الماضى هو (حكمة الغرب) الذى كتبه فيلسوف بريطانى ذائع الصيت يبلغ السابعة والثمانين من عمره ، ويروى برتراند راسل فى كتابه الضخم تاريخ الفلسفة الغربية .

★ ★ ★

وبحث الادباء فى العالم الغربى عن خير كتاب يونانى يقدمونه فى حساب العام الفائت ، فوجدوا جزءا من الياذة هوميروس ترجم الى الانجليزية بعنوان (غضب أخيل) ، وقالوا ان مترجمه (روبرت جرافز) كتبه شعرا ونثرا بغبار الطباشير فى جو من السخرية اللاذعة المتلوقة .

★ ★ ★

ولو ذهبنا الى الصين لوجدنا قصة قديمة جدا حدثت فى القرن الثانى عشر الميلادى ، ورويت فى القرن السادس عشر .. وتقرا فى القرن العشرين واسم هذه القصة (ظلال ازهار خلف الستار) ، ومؤلفها يدعى (تشن بنج مى) وهى مجموعة اقاصيص تدور حول شخصية واحدة مثل قصة ديكاميرون لبوكاشيو .

★ ★ ★

ولو اننا طفنا حول العالم بلدا بلدا لخرجنا بكتاب ـ يكاد يجمع عليه النقاد ـ يزعمون انه خير كتاب اخرجته المطابع للناس فى العام الماضى . وقد يسأل سائل عن خير كتاب عربى اخرج للناس فى العام الفائت ونحن نرد اليه السؤال ليوجهه الى نقاد الادب ، وقد يجيبون .

★ ★ ★

وسوف نخرج من باب الكتب فى عالمها الواسع الرحيب الى باب اخر يسميه أصحابه (متاحف بغير جدران) وهذه المتاحف تطبع على صفحات ونسميها نحن كتبا ، ولكن أهل الفن يرفضون هذه التسمية ويصرون على تسميتها بالاسم الآخر الذى اطلقه عليها (اندريه مالرو) .

وآخر متحف من هذه المتاحف المنشورة أصدره (بيرتون كامنج) فى عديد من المطبوعات التى تحوى لوحات كبار الرسامين العالميين حيث يشرح

اللوحات ويعلق عليها كبار النقـــان الفنيين • ومن هذه لمتاحف بغـــير جـــدران مجموعة عن الفن اليونانى القديم واخرى عن الفن الصـــينى وغيرهما عن (أوجســـت رودين) و (بيكاسو) الى غير ذلك من فنون وفنانين •

وفى باب الادب المرســـوم نشرت مجلة بوست الامريكية فصلا رائعـا لقصة السيد المسيح بمناسبة عيـد الميلاد ، استعانت على اظهارها بلوحات كبار الفنانين الايطاليين فى القـرنين الحادى عشر والثانى عشر ، واختيرت من بين ثمانين ألف لوحة •• وجعلت النص المكتوب تحت كل لوحة فقرة من الكتاب المقدس ومن أروع هذه اللوحات تلك اللوحة التى تصـــور خروج العذراء مع ولدها المسيح عليه السلام الى مصر هربا بحياته من ملك اسرائيل الذى قتل جميع أطفال بيت لحم حتى لا يظهر بينهم مسيح •

• ★ ★ ★

وفى عالم الادب اليوم معارك حامية تدور فى الاندية الادبية الاوروبية وتعبر الاطلنطى حتى تصل الى أمريكا واضخم هذه المعارك معركة الواقعية • وتقود هذه المعركة من باريس سيدة تدعى (ناتالى ساروت) تطلق على دعوتهـا اسم (الواقعية الجديدة) ومؤسس هذه المدرسة الادبية كاتب فرنسى مغمور اسمه (الان روب جرييه) وكان هذا الكاتب يتفنن فى وصف مقعد حب أكثر من تفننه فى وصـــف منظر غرام • ولكن أتباعه من انصار الواقعية الجديدة لم يتمسكوا بتعاليمه بل اتبعوا طريقة الكتابة على انغام مستوية ، لا ارتفاع فيها ولا انخفاض ، ويصورون الحياة فاقدة لمسراتها ومباهجها ، حيث يعيش الناس تحت ذلك الوهم الذى يصورهم كضحايا لوجودهم •

ويشتبك أنصار هذه المدرسة مع أنصـــار الوجودية باعتبارهم واقعيين ايضا • ويزعم كلا الفريقين ان (كافكا) هو الجد الاكبر لهما •

وقد أثارت هذه المشاكل الادبية المعقـــدة الكاتبة الواقعية الجـــديدة (ساروت) فى كتاب تهـــا عنوانه (سطح بلا عمق) أثار ضجة صاخبة فى باريس •• ثم أثار ضجة فى الاوساط الادبية العالمية •

★ ★ ★

واستطاع الادب ان يخرج بصورة فريدة من موسكو الى نيويورك فقـــد وصل اليها هذه الايام (ايفان الرهيب) قيصر روسيا الاحمر • واستطاع أن يحظى باعجاب الامريكان ••

ولم يكن وصول ايفان مغلفا داخل مجلد فى هذه المرة ، ولكنه وصـــل على شريط سينمائى ملون أعجب به ملوك صناعة السينما فى هوليوود •• وأعجب به رواد السينما فى المدن الامريكية

وقد اهتمت الاوساط الادبية فى لندن بزيارة الكاتب الامريكى الشهير (جون شتاينبك) للمدينـــة ، ومن عادة شتاينبك ألا يتحدث الى الصحافة

ولكنه فى هذه المرة تحدث الى مجلة (الكتب والكتاب) المندنية وقال أخطر كلمات فى حياة كاتب .

قال شتاينبك : حينما انتهى من تأليف كتاب تأتى لحظة موت وأصبح فى غيبوبة ويخيل الى أن ساعات الاستجلاء لن تعود . والناس يريدون منى أن أتحدث عن الكتب التى ألفتها ولكننى لاأستطيع التفكير فى الموت . اننى أفكر فى الكتاب التالى — لقد بدأت أحاول الكتابة منذ الخامسة من عمرى ولاحظت ان الطيور تصعد الى أعلا وهذا ماسحرنى .

* * *

وفى باريس حدث أعظم حادث أدبى فى هذا الشهر ، فقد ظهر فجأة اسم أديب يبلغ الحادية والثلاثين من عمره كان مغمورا لايعرفه أحد الا أولئك الذين يترددون على الكوفنت جاردن حيث كان (أندريه شوارزبارت) يعمل بوابا . ثم أصدر قصة نالت جائزة الدولة فى الادب ، وأصبح فى يده الآن ثلاثون ألفا من الجنيهات .

* * *

وغادر الكاتب العالمى سومرست موم مارسيليا قائلا انه لن يؤلف قصصا بعد اليوم . ولم يكد يصل الى طوكيو حتى أعلن انه أعد كتابا للنشر ولكن هذا الكتاب لن ينشر الا بعد وفاته .

وفى طوكيو أجمع النقاد على أن سومرست موم هو الرجل الثانى فى الادب العالمى بعد وليام شكسبير وثارت مشكلة أدبية عنيفة حول الشعر بعد ان ترجم (كرستوفر لوج) جزءا من الياذة هوميروس . وقال النقاد فى لندن ان الشعر يجب الا يطبع فى كتاب يجب أن يقرأ بصوت معبر . وأجرى التجربة الممثل (دنيس ماكارثى) على أحد مسارح لندن ونجح نجاحا رائعا ، ودار بحث حول مستقبل الشعر فى العصر الحديث وكانت النتيجة أن خير وسيلة للابقاء على هذا اللون من ألوان الادب هى تسجيله بأصوات معبرة على اسطوانات أو على أشرطة تسجيل .

* * *

وفى أمريكا لازال الناس يهتمون برواية (لوليتا) التى أصدرها فلاديمير نابوكوف منذ شهور وأثارت ضجة بسبب خروجها على الآداب .

وأجرت المعاهد الاحصائية ابحاثا أثبتت ان النساء أشد شغفا بالرواية من الرجال .

* * *

فى يوغسلافيا تجرى الآن تجربة فنية عالمية تستمد أحداثها من موقعة (أوسترليتز) الشهيرة التى حارب فيها نابليون ضد الروس والنمسويين عام ١٨٠٥ .

ويجرى هذه التجربة العالمية المخرج الفرنسى (آيل جانس) أشهر مخرج فرنسى والذى انتج فيلمه الاول سنة ١٩١١ .

وهذا المخرج مغرم بمغـــامرات بونابرت .. دارس لتاريخه والجديد في الموضوع هو انه اعد المعـــارك الحربية المستمدة من واقع التاريخ على ارض المعركة ذاتها .

* * *

وفي روسيا يهتم المستشرقون في هـــذه الايام باثار الكاتب القصصي المصري المرحوم محمـــد تيمور الذي يعتبرونه رائدا من رواد القصـــة العربية . كما يهتمون بالانتاج الادبي العربي المعاصر اهتماما كبيرا . وهناك عدد من هؤلاء المستشرقين يترجمون الآن بعض هـــذه الآثار الادبية . والملاحظ أنهم يسرفون اسرافا شديدا في الاهتمام بالقصة دون غيرها من فنون الادب .

* * *

وفي العواصم الاوربية احتلت كتب (فرانسواز ساجان) المكان الاول بين كتب الادب . والى جانب كتب (ساجان) اهتم القراء بكتاب (حياة الشعراء) للكاتب الانجليزي (لوري لي) وهو داعر لطيف ، غير أنه حينما ألف كتابه قال عنه النقاد انه استعمل اسلوبا حادا لاذعا مثل التفاح الاخضر الفج .

وفي اسطنبول اصدرت السيدة السويدية (باربرو كارابودا) كتابا اسمته (وداعا أيها الطربوش) وهذه السيدة زوجة لمصور فوتوغرافي تركي وصوتها يردد صوت زوجهـــا التركي غير انها استطاعت اظهار صورة للحياة في تركيا اليوم اكثر وضوحا ممـــا يعرفه الناس .

* * *

ومن أنباء الفن العالمي المرتبط بالادب تلك الاستعدادات الضخمة التي تجري الآن في مسرح فاجنر في مدينة بايرويت الالمانية . ذلك ان ولنجـــانج فاجنر حفيد المؤلف الموسيقي الممثل ريتشارد فاجنر غارق حتى اذنيه في اخراج أوبرات جده استعدادا للموسم الفني في يوليو القادم .

ومسرح فاجنر وحيد بين مســـارح العالم في تصميمه وفي تخصصه .

فالاوبرات التي تقدم هي من تاليف فـــاجنر ومن تلحينـــه والمؤثرات الموسيقية في مسرح فاجنر تتميز بأنها صادرة من قاع المسرح حتى انك لا تشاهد الموسيقيين والآلات الموســـيقية بل تسمع الالحان دون أن ترى اصحابها

وهدف فاجنر من ذلك هو عدم توزيع الحواس بين رؤية الممثل على خشبة المسرح ورؤية الموسيقى في أســـفل خشبة المسرح .

وللفن الايطالي قصة طويلة .. فقد عبر البحار الى الجزيرة البريطانيـــة ممثلا في لوحات عباقرة الفن الايطالي التي تعرض الآن في لندن وتجتذب أعين آلاف المشاهد بين المحبين للفن الجميل .

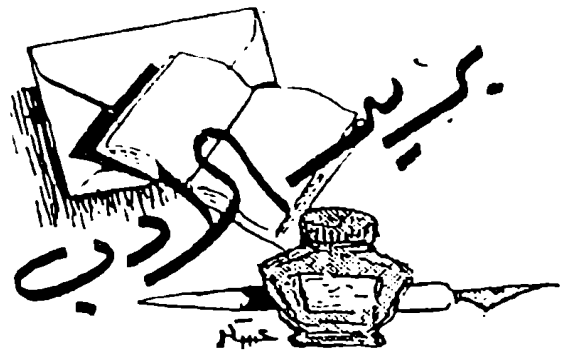

روح عاليه

كثر ما حدثت «الادب» عن النقد ، وواجبها فيه ، ومكانه من رسالتها الفنية والاجتماعية ، وجهادها فى سبيل تطهير البيئة الفنية ، من آفات السلوك المعيب الذى يزيف النقد ، أو يسخطه ، أو يلقاه بالعدوان على من يؤدى الواجب فيه .. كما جاهدت حق الجهاد فى رفع مستوى الخلق النقدى فى الناقدين ، قبل ذلك كله ؛ وتقوية شعورهم بجلال الامانة التى يحملونها ، وعظيم أثرها على الحياة الفنية والاجتماعية ، بما تبثه من طموح مستشرف ، وما تؤديه من تعاون ، وتكامل مؤازر للمتفننين ..

وان « الادب » لتجد خير الجزاء ، وأحسن المثوبه ، على ما بذلت ، وتبذل فى هذا السبيل، فيما يبدو من تحسن وتقدم فى الخلقية الفنيه ، وارتفاع فى الروح المعنوية لأهلها .. حين يتلقون النقد بروح عاليه ، لا تسخط ، ولا تسفه .. ولا تمارى ، وتحاول لتخفى الحق ، وتؤيد الباطل .. بسفسطة ومغالطة .

وتقول « الادب » هذه الكلمة عن الروح العالية ، لما وجدته فى بريدها هذا الشهر ، من حسن التقبل للنقد من رساله صديق نقدت فى العدد الماضى قصصا له فكتب اليها يقول :

« قرأت نقدكم لقصصى : قطرات من دموع ، والعار يا مدبولى ، والطريق المرعب ؛ وانى ياسيدى لأعتز أيما اعتزاز بكل ماجاء بنقدكم ، لانه يدل على فهم عميق ، ونظرة نفاذة .. تضع أعيننا على ما نقع فيه من اخطاء ، لكى نتلافى هذه الاخطاء مستقبلا .

واعتقد أن الاديب الحقيقى ، الذى يود ان يستمر فى شوطه بقوة ، وصلابه ، واصرار لا يفتر من همته النقد النزيه ، فيجلعه ينكص على عقبيه ، بدلا من الاجادة .. وانما يدله على مواطن الزلل ، والهفوات .. صغيرة وجسيمة ..

فيتلاشى ما سبق ان تردى فيه ٠٠ لذا فانى أتقدم اليك بأجزل شكرى ٠ وعرفانى ٠ واحترامى ٠٠ وارجو ان أوفق فى غير ما كبوت فيه الى ما هو أفضل ٠٠٠ »

و«الادب» تثنى بحق على هذه الروح العالية ، وتنشر رسالة الصديق صورة من التحسس المرجو ، ومثلا صالحا يقدره كل حامل قلم ٠ فالحياة الادبية أشد ما تكون حاجة الى هذه الروح ، فى مختلف طبقاتها من الراسخين والناشئين جميعا ٠٠ تشكرا للسيد الكريم على ما قدم من قدوة فى سعة الصدر ٠ وحسن التقدير ٠٠ وتحية له ٠٠ واغتباطا بصنيعه ٠

وقريب من هذا المثل ، أو غير بعيد منه ، ماكتب به فى بريد هذا الشهر صديق آخر ، نقدت له الأدب قصيدة فى العدد الماضى أيضا ، فكتب يقول : ٠٠٠ رأيتها خارج النقد لا بأس ٠٠٠ وهكذا الحياة الادبية وغيرها ٠٠٠٠ خطأ وصواب ٠٠ خير وشر ٠٠ اجادة واسفاف ٠٠ وهى محاولات على كل حال ٠٠ لذلك وجدت نفسى أكتب اليك هذه القطعة بعنوان ٠٠٠ وأنا مؤمن بالفن ٠٠٠ وبالنقد أيضا ، ولا تعلم كم سررت حينما رأيت نقدى ، لاننى عرفت عن نفسى أشياء كنت أجهلها فعسانى أتجنبها »

وما أحسن أن يكون رد فعل الناقد أن يجد المنقود نفسه يكتب ٠٠ وألا يثنى عزمه خطأ أو فشل ٠٠٠ وانها لصور طيبة نرجو أن يجد السائرون على الطريق نماذج كثيرة منها ٠٠ و « الأدب » تقدم لهم دائما ما تناله يدها من تلك الصور اللافتة الى المعالم الصحيحة للدرب الفنى ٠

* * *

وحين تغتبط «الادب» بهذه الاستجابة الراشدة لا تغضب كثيرا اذ يوافيها البريد فى هذا الشهر أيضا بما لا تريد أن تصفه بأنه : شغل عجايز الفرح !! وهو ما يكتب به اليها صديق يقول :

« لى ملاحظة على العدد الاخير ، لقد ساء الورق فيه بشكل ملحوظ ، وهو ما لا يلاحظ على الاعداد التى سبقت ، ولقد كان هذا مثار انتقادات الكثيرين ، فلماذا لا يوحد الورق الذى تصدر به الادب ؟!!! »

وهو كلام يوشك أن يخرج سامعيه من أسرة « الادب » عن هدوئهم الصوفى وسلوكهم الفدائى ، فيتحدثوا عن الطاقه ٠٠ والاحتمال ٠٠ والبذل ٠٠ وجو الحياة الصحفية ٠٠ وما يلاقى فى سبيل استمرار كفاح « الادب » فى الميدان من الآلام اللذيذة ٠٠ على كل حال — والتى يعرف حر نارها ووقع اصطلائها من كابد شيئا من هذا العمل ، الذى لا ننعته ، ولا نصفه ، لئلا نتبعه بمن وأذى يفسده — والله المستعان ٠

ويا أخى الورق .. لا سماء .. ولا حاجه .. وهو هـو صنف الورق الذى تشترى منه الادب كل شهر ، يتفاوت بعضه عن بعض تفاوتا عاديا فى وحدات الصنف الواحد . أو عند الباعه المختلفين له .. والذى سماء .. وسخف هو ثمن هذا الورق الذى لا يعجبك ، فقد زاد عن يوم صدور « الادب » أكثر من نصف ثمنه بكثير ..!!

ولو تناسيت لحظة ما ـ ياصديقى خصلة عجايز الفرح لقدرت أن طلبك توحيد ورق «الادب» لا معنى له الا ان يكون «للادب» مخزون من الورق يكفيها لسنة من سنوات صدورها على الاقل .. ومن لها يا سيدى بهذا أو بعضه مما لايستطيعه الا من يجدون من الورق ما يسد حاجتهم ، ويمد تجارتهم بأرباح تجعل ورقهم يقف عليهم مجانا .. والمال يجر المال .. كما يقول مثلنا .. وحرفة الادب لا تجد السبيل ، فى يسر وكراعة ، لمال يجر المال ، أو يفى بالمطلوب ـ وعلى كل حال فأسرة « الأدب » لا تغضب لشىء من هذا كما قلت آنفا .. وتقول فى ابتسام: لا يعرف الشوق الا من يكابده !! ولو غضبت لدعت على الصديق الناقد ـ بطريقة عجايز الفرح ـ أن يكابد هذا الشوق ، ويعانى تلك الصبابة .. فيعرف .. ويعذر .

وها هى ذى « الأدب » على رغم كل شىء ، حينما وجدت نفحة التشجيع من وزارة الثقافة ـ أعانها الله ـ قد غيرت ورقها منذ هذا العدد بورق يزيد ثمنه نحو النصف عن ورقها الاول .

وفى سمر « الأدب » مع القراء نجيب السيد الصديق الذى يسأل : هل تجد الادب نشر الاحاديث الادبيـة أو لا ؟.. فتقـول : ان فى الاحاديث الادبيـة ـ يا صديقنا ـ ما هو أحيانا ثرثرة وتفاهة ، ومضيعة ان لم يكن مضرة أيضا .. لانه يشبه اللغو المنحل الذى تفرد له الصحف اليومية أعمدة وأنهارا ، تتحدث فيها عن خيبة النجوم.. وشذوذهم ، وفساد حياتهم الخاصة،وسفه تصرفاتهم.. وهو نشاط قاتل تعمل « الادب » على تطهير الحياة الادبية والصحفية منه .. ولعل عناءها بهذه الحال ، وحماية الاوضاع الخاطئه لها ، وحيلولتها دون قول ما يجب أن يقال فيها ، مما تجهد به « الأدب » وتألم ، ويكون جهدها وألمها فى هذا السبيل أوجع لها من عمل ايجابى ظاهر فى مهمتها المقدسة ..

وحسبك دليلا على هذا ما ترى من تنفس فى هذا البريد بمناسبة سؤالك عن الاحاديث الادبية ..

ثم الى جانب هذا ما تحرص «الادب» عليه دائما من ألا تقدم للقراء ما يجدون السبيل اليه ميسرة وقريبه ، من معلومات خفيفه ، وحقائق هينه .. وما أشبه.. فان نجت الاحاديث من لوثة الاثارة .. والجاذبية التافهة .. وصح لها ما يجب أن يكون من العمق والدقه فان « الادب » لا تكرهها .. والاحاديث حين تتوافر لها تلك الصفات تكون أولى باسم آخر أكثر حرمة من اسم « الأحاديث » .. ولك على كل حال من حسن التقدير ما يكفى ..

ونتقدم بعد ذلك الى التدريبات النقدية التى نقدمها للناشئين من الادباء ، فى نقد آثارهم التى يرسلونها ، ونبدأ من ذلك بما نضعه .

خارج النقد

نبدأ فنضع قصيدة « يائس » لان فيها من انحلال العبارة مثل :

خلقنا لهذا الشقاء فيشقى
جهول يجهل عليم بعلم

فما هذا الفصل ، بين جهول وعليم!! ومثل هذا غير قليل .. وفيها من العبارات غير الشعرية مطلقا مثل قوله: فرأيت عموما .. مع تهافت المعنى فى مثل قوله :

ومن كان يوما شقيا بعدل
سيأتيه يوم فيشقى بظلم

وهذا ومثله الى سيطرة الاسلوب التقريرى الذى يشبه نظم المتون الاجرب كقوله :

ومن يرهق النفس جريا وراء سراب السعادة يأت بائم !!

ونعفى القارىء من الاكثار .. لنقول للسيد : انك تعلن اصرارك ، وان هذا الاصرار قد يحدث تغييرا على الزمن ..

كما نضع خارج النقد قصة « الطموح » لاشياء .. منها : الاخطاء النحوية مثل يفترقان .. يذهبا ويلعبا .. ويتوغلا .. الخ ، ومثل فى أحد التشركات؛ وتبث الكبرياء تحد سافر .. ولا داعى من جلوسه .. وتنقل أبيات الغزل .. وترسلهم ..

ولا أحسب القراء فى حاجة الى بيان وجه الخطأ فى مثل هذا ، لئلا ننزل الى مستوى لا نريده لنا ولهم .. ثم مع ذلك سوء التعبير فى الحوار كقول الفتاة لفتى أحلامها : مالك تقف كالصنم هكذا ، هيا أيها البطىء .. وذلك فى موقف اعجاب ورضا ، لا غضب فيه مطلقا ..

ثم وراء ذلك كله عدم طبيعية الحوادث وعدم سوية الاشخاص ، فأبو الفتاة الذى يسخط لحبها من يصفه بأنه صعلوك لا يلبث دون أى سبب مفهوم أن يغدق عليه المال ، ويترك له ابنته تسافر معه الى أوروبا .. وعواطف الشاب مرجوجة — وموقف والد الحبيبة من والد الشاب غريب ..!!

— ونضع مع هذه قصة « الصعلوك » ولا نتحدث عن أسلوبها وفساده فهى عجينة مخبوصة من العامية ، وأخطاء الفصحى .. ثم هى بعد ذلك ليست الا حكاية ممجوجه عن حشاش يفصل فيها تفصيلا سخيفا الخطوات التى خرب بها بيته من الحشيش .. ويقصها فى مناسبة مفتعلة متكلفه .. بتفاصيل غير منسجمة .. ولا أجد الصفة التى أصف بها مثل هذا الكلام !!

واذا كان صاحب « الصعلوك » قد كتب كثيرا ، ولم ينشر له فانه لا بد أن يظل يكتب الكثير ، قبل أن ينشر له

— ونضع فى الخارج ما سمى أقصوصة « الزوجة الصغيرة » وهى كما يقول صاحبها أول أقصوصه صغيرة يكتبها ، أما القصص القصيرة فانه يكتبها منذ ثلاثة أعوام ونشر له بعضها .. وبغيته الوحيدة هى النقد السليم .. نقد صريح .. وأقول له : اذا كان قد نشر لك بعض القصص القصيرة فانه لم يحن الوقت ، فى تقديرى لنشر أقاصيصك الصغيرة ، لان

الاقصوصة الصغيرة – كما يجب أن تعرف – تعوزها القدرة التي تركز الحادث المؤثر اللافت ، وأنت لا تزال تنقصك اشياء بدائية ، لا يحل حمل القلم بدونها .. فأخطاؤك اللغوية كثيرة مكشوفة مثل : لم تخوض .. ان أبيها لا يستطيع اقتصاد شيئا .. وجاء الزوج وأبيه .. الخ .. الخ .

وبنت صغيرة تجفل من زوج كبير، فتهرب ثم يجدها أبوها وهو البستاني الذي يرويها .. ليست باقصوصة ولا قصيصة!! مهما تحطها بما لايتصل به من قريب أو بعيد .. واذا كانت لك قصص قصيرة نشرت فعلا فانك قد عرفت اذن مقومات القصه القصيرة ، وتمثلت معنى القصه بصفة عامه .. وتحقيق هذا في حادث صغير يعرض عرضا قصصيا ليس مما يحققه حادث الزوجة الصغيرة مع رجل في سن أبيها .. ولا غير .

ونتحدث عن الشعر

– وقد وصلت – رجاء – ولصاحبها قبل ذلك غيرها ، لكنه لا يزال في حاجة الى متابعة الرياضة حتى تنشر « الادب » له .

يا صاحب الرجاء ليس من مقبول الصور البيانية مثل قولك « وينقر » – أي انطير – الرجاء .. وقولك « منابت القلوب » وهذا التكرار لغير هدف فني ليس بالمستساغ – ثم عدم معرفة المعالم الطبيعية لما تعلن ابتهاجك به وتغنيه يدل على انك لا تجد فتعبر ، وتمنك تقول بفمك ماليس في وجدانك .. وذلك ان الرجال حين يذهبون للحقول ليحصدوا لا يرجعون في الاصيل يرددون غنوة الحصاد – الا اذا كانوا يحصدون بأحدث الآلات التي تحصد .. وتدرس .. وتذرى في وقت واحد ، وتعطى القمح في الزكايب ، والتبن محزوما .. والذين يستعملون هذه الآلة لايغنون للحصاد غالبا .. اما أهلي وأهلك الذين يحصدون بالشراشر فلا يذهبون الى الحقول للحصاد الا في الليل ، ولا يبدءونه الا حين ينزل الندى ، فيصلون على النبي وينزلون .. ليس الفن الا أن تجد ، ويفهم وجدانك ، فلا تجد الراحة الا بأن تقول .. أما هذا الحديث عن حصاد لا وجود له فلا فن فيه .. ولا شعر .. ولا حاجة ..!

– ووصلت « لست أدري » من الشعر المنثور .. وبصرف النظر عن كون العنوان مأخوذا من قصيدة ذائعة .. وتغني أيضا ، فإن موضوع القصيدة دراية تامة واعية ، تتحدث الى حبيبة معروفة تذكرها باشياء .. واشياء .. ورغم قوله في غير موضع .. ولست أدري ما أنا وما وجودي فانه يهتف بها في تنبه تام .. فارحمني وارحمي روحي وعودي ..

– بريد –

واذا لم يحسن القائل ان يعنون قوله ، فما الذى وجده ٠٠ ليعبر عنه ٠٠ ومع أن الشعر منثور وهو حر طليق فان فيه رغم هذا خيانة التعبير فى مثل قوله : أسلت عبراتى ٠٠ هل تذكرين ليلة السحر ٠٠ فما ليلة السحر ! والمعانى مع ذلك كله ساذجة متداولة ، فمعذرة اذا لم ننشر هذا المنثور ٠

ووصلت قصيدة « ذكرى الماضى » لصاحب « لست أدرى » التى هى فى جملتها وأكثرها ذكرى كذلك ٠٠ وهذه من الشعر التقليدى ، مع التزام تكرار شطر رابع فيها بلفظة أو بتغيير يسير ٠٠ ولا تخلو من أخطاء لغوية كقوله ٠٠ تزهو كالسناء وهو يريد السنا مقصورا ٠٠ أو نحوية كقوله « ونسنت وفاء » !

ويكثر استعمال السحر فى هذه الذكرى فيكون فى غير موضعه حينا ٠٠ وكأنه يدل على عدم المواتاة المعبرة عن التأثر ٠٠ فترد الى السحر المخيل الخفى !!

ويتعدد التشبيه فتقترن فيه أشياء لا تلتقى فى وجه شبهها بالمشبه ، مثل قوله : كالسحر ، كالنجوى ، كهدى الانبياء ٠٠ وليس هدى الانبياء كالسحر والنجوى من واد غير هدى الانبياء ، والانفعالان غير ملتقيين ٠٠ ويتكرر هذا فى القصيدة ٠٠ فالى غيرها أسلم منها ٠

ـ ووصلت « وجد وفكر » وهى كعنوانها تخلط بين الشاعر الوجدانية ، والمعانى العقلية ٠٠ فصاحبها يحب القراءة عند السحر ، ويعطف على ذلك ، انه يذوب من الوجد قبل اللقاء ٠٠ وهما عالمان مختلفان ٠٠ وليته يحب قراءة الفن والأدب عند السحر !! بل هو « يحب التفكر » ، ويجتمع مع هذا التدخل غير المتسق شىء من اضطراب الوزن أحيانا ٠٠ وعدم مواتاة التعبير كجعله مهد الحبيب برا ، فى قوله : فمهد حبيبى فؤاد وبر ٠٠ أو جعله القلب شعاعا فى قوله :

يشع رواءه اذا ما انتصر
وما القلب الا شعاع لحبى

فأين الحب الذى ليس قلبه الا شعاعا له !! وما هذا الرواء الذى يشعه الحب !! ثم ما هذا الاشعاع الذى لا يكون الا عند الانتصار ٠٠ ليس هذا للنشر الآن !!

ـ ووصلت « على ضفة الحياة » ٠٠ وصاحبها يملك من الشكل الشعرى ما يبشر بمستقبل حسن ٠٠ ووجدانه دينى روحى ، ولو تهيأ له فى هذا الجو المتسامى ، أن يحلق ويستشرف ، ويدق تأمله لكان شاعرا صوفى المنزع يجد فى الحياة الفنية مكانه ٠٠ فان غيره الزمن ، وكان ذلك النزوع الدينى أثر بيئته الخاصة ، فتأثر بغير هذه البيئة ، واستشرف آفاقا أخرى فانه ليرجى كذلك ٠٠ تقدم من الضفة الى اللجة ، وخض بحر الحياة فانى ألمح فيك قدرة على السباحة ٠٠ وقد تنشر وقفتك على ضفة الحياة » ٠٠

ـ ونصل بعـــد ذلك الى الزجال الصديق ، وقد أجلب علينا بطويلة له سماها : جزيرة الورد ·· قصـة زجلية ·· وحدث فيها بمـا يناسب ما فى اقليمه من ذكريات أسر لويس التاسع فى دار ابن لقمان بالمنصورة ·· وقد رأى صديقنـــا الزجال ان «الأدب» قد نشرت فى العدد الماضى ما نشرته من « فن الشعب » بغـير هذه الفصحى ·· وانها بذلك لاتتعلل بالخوف على الفصحى ، حين لاتنشر له زجلا ·· بل الامر غير ذلك مما كررنا بيانه ، وهو أن للغة العامة فنهـــا الأدبى ، الذى لا يتيسر بسهولة لكل من تكلمها ·· ولو كان الامر كذلك لكان العرب أيام استعمالهم الفصحى بلغاء كلهم وأدباء ·· وهو ما لم يكن فى الواقـــع ·· وان ظن ذلك بعض الظانين خطأ منهم ··

ونعود الى القصة الزجلية ، فنقول لصديقنا ببساطة وحرية : انهـــا ليست قصة ·· ولا حاجة ··وحكاية الجاكى هذه تشبه حكاية من أراد الا يشتغل بقصة سيـدنا يوسف عن الأكل فقال : انه تاه وابوه لاقاه !! ولا حادث يقص ، ولا اتساق لعرض قصصى ··

ولو اغضينا عن القصصية لوجدنا من التعابير ما ينفر منه ذوقك الفنى لو استيقظ كقولك : البسمة فـوق الشفايف تسيل حلاوة·· ثم خصلتك القديمة تلازمك ، وهى الحديث من فن العامية بما ليس من عباراتها ، فهـو يبعد عن جوها ، ولا يؤنس بشىء من وقع عباراتها ·· مثل : المجد ينبض فيها ·· ومثل : يشعلل المأساة ·· ومثل : ترتب الافـكار ، فى الموقف الحساس ·

والى هذا عرضك لوعى الشعب فى عهد ما تسميه القصة عرض غـير مشرف ، كان تجعلهـــم يظنون أن الفرنج فى ابان الحروب الصليبيـــة الطويلة العنيفة قد جاءوا فى زيارة ، ويقولون : ما تشوفوا يا أسيادنا يمكن لقا الأحباب ·· وهى غفلة عماحولهم لانحب لهم أن تسجل عليهم·· وندع هذا وغيره معه من أوجه النقد لنقول لك : يا زجال ·· انها طويلـــة ·· طويلة ـ (١٣) صفحة ـ فأين نجد لها المكان فى الادب ؟ وماذا نستطيع أن نختار منها ؟ ·· فلعلك تعذر ··

ونتنقل الى :

النثر

فقد وصل مقال « الحارث بن عياد» و « الادب » تعتـــذر دائما عن نشر ما يجده القراء بيسر فى مراجع تنالها ايديهم ·· ولو كان فى المكتوب شىء من محاولة العـــرض غير الجاف أو المشوق ، أو من امتداد العين بنظـرة

اجتماعية الى هذه الاحداث لكان هناك مجال ما للتفكير فى نشرها نشرا جديدا ، ولكنها ليست الا مكررات مما قيل عن حرب البسوس .. فنأسف لعدم استطاعة النشر ..

- ووصلت « المقالة والاسلوب » ولعلها تجد مكانها للنشر قريبا .

- ووصلت قصة « من أجل عصام» وكانت وشيكة أن تستقر خارج النقد .. لضعف عبارتها ، وتحلل أسلوبها .. وعدم سلامتها من الاخطاء .. ثم ان الحادث كما سردته لا ينتهى الى الى مجافاة الأم للاب .. كما أن رؤياه فى المنام لا تكفى لعفو الأم عن الاب اذا كانت تقرر انه هو الذى سبب موت عصام باهماله ألم دراعه حتى بتر .. وليس فى عودتها الى البيت ما يجعل عصاما يأتى فى المنام مشرقا .. بل لعله يغضب من أمه ايضا لانها تهادنت مع أبيه الذى سبب موته !!

- ووصلت قصة « الثلاث ورقات» وليس فيها شيء من قصة ، بل هو عرض لطريقة النصب بالثلاث ورقات .. فى جفاف لا يجعل من هذا الواقع النصاب حادثا يؤثر عرضه .. انها قد تكون تحذيرا للاغبياء المغفلين من الوقوع فى نصب لاعبى الثلاث ورقات .. لكنى أظن الدنيا قد تنورت .. وان استعمال الثلاث ورقات فى الكلام اليومى كاف للسؤال عن الثلاث ورقات ونصب أصحابها ..

- ووصلت قصة « ذكرى » وأول ما نتحدث به الى صاحبها أن عالمه غير متسق ، فبينما هو يسمى الله فى رأس خطابه .. ثم يعلن اعجابه بعناية « الأدب » بالشاعر احمد محرم ، الشاعر المسلم صاحب الالياذة الاسلامية الى آخره .. اذا هو يحدث فى قصته الحديث العريان الذى لا تحتاجه القصة فى شيء ، ويقول مثل ما يلى ، مما ننشره متكرهين كقوله : وتلاقتا فى منتصف الطريق بشفتيها ، فاحتضنتهما بينها وراحت تمتص منهما رحيق الحب ، واكسير الحياة .. فما هذا كله أيها «الدبور» وليس له علاقة بقصة حب تصفه بعد ذلك بما استطعت من قدسية وطهارة، وأنت المتبتل المتدين !

وما علينا من هذا فان القصة محلولة ، لا يفهم فيها ان الاب الصعيدى ، وزوجته الجديدة التى تحرم ابنته مجرد الوقوف فى البلكون .. قد أمكن لابنته معه أن تحمل وتتم حملها وتذهب الى المستشفى لتلد فى طمأنينة .. دون عقد زواج معروف يقبله او يجيزه أب ليس صعيديا ولا له امرأة جديدة تنتهز كل فرصة لاثارة تعصبه ومحافظته على ابنته !!

وهلا تقرنى على العجب من أنه مع هذا الامتصاص ، ومع الزواج العرفى، بمعاونة الاصدقاء ، ومع الحمل قد رفعت بصرك بعد ذلك كله تتأمل

حبك الذى لم تره من قبل ! ولماذا وهى تحتضر وان تنهال عليها لثما وتقبيلا ـ دون ان تراها كما تقول ـ لماذا تدير وجهها بغتة الى الناحية الاخرى ، وتقول متوسلة : لا .. لا .. أرجوك .

ومتى مرضت بالسل حتى ماتت بعد يوم من الوضع .. وما الذى امتصه الحبيب من هذا السل الذى كان ولا بد ، فى الدرجة الثالثة ! انها ذكرى مشوشة ، لا تصلح للنشر ..

ـ ووصلت « العجوز والشمس » وصاحبها لم يهيأ له فى هذه المرة ما رمى اليه من بناء أقصوصة ذات كيان فنى ـ فلا حادث ـ ولا مثار لمعنى وجدانى .. وليس للشمس فى الصورة ذلك المكان الذى حاولت أن تضعها فيه ، وما ذكرت من فقد الثقة بالشمس مفتعل بعيد .. ثم ما هذا الاسلوب العادى الذى تحرص فيه العجوز أن تذكر « القرط » مرارا لهذا اللفظ الغريب ، هل يسمونه القرط عندكم !؟ ليست للنشر هذه المرة !

ـ ووصلت مقالة : عرض ودراسة لرواية باسمة بين الدموع .. ونعتذر الى الصديق عن عدم نشرها .. لأنها ليست من النقد بقدر ما هى من التقريظ المسرف .. ودقة الحكم النقدى النزيه المتزن لا تسخو ـ فى سهولة ـ بأن تبعد عن المفاضلة بين قصة صاحبك وبين جميع المحاولات الاخرى .. كما لا تطمئن فى سهولة الى مثل قولك : انها ولادة للقصة الطويلة ، كأحسن ما تكون الولادة ! وما يشبه هذا من اندفاع يهز ميزان النقد ، ويمس نزاهته .

و « الأدب » تنقم مثل هذا الاندفاع دائما ، مهما يكن مركز أصحابه .. بل تعده سيئة ، كلما كبر صاحبه ، وانتظر الناس منه الرزانة ـ وقد تكون قصة : باسمة بين الدموع ، قصة قيمة .. ولكن حديثك عنها بهذا الاسلوب .. لا يفيد فى التعريف بها ..!

الفهرست

العدد التاسع | فبراير ١٩٦٠ | السنة الرابعة

صفحة

٥٢٩ ـ و .. قوانين تقديرنا ..! .. .. .. عن الأمناء
٥٣٥ ـ مشكلة الفقر فى المثل الشعبى .. .. محمد ابراهيم أبو سنه
٥٣٩ ـ اللغة بين اللفظ والإشارة .. .. .. محمد مراد البسطاسى
٥٤١ ـ أعلام فى مواقيت ذكراهم : ذكرى أنور الجندى
مصطفى عبد الرازق .. ..

٥٥٠ ـ أنشودة الحب .. .. شعر : أنس داود
٥٥٢ ـ بقايا حب .. .. شعر
٥٥٤ ـ رسالة من العالم الآخر .. .. شعر : أمين يس الرجيلى
٥٥٦ ـ الخافة .. .. شعر : عبده بدوى
٥٥٨ ـ قصيدة رومانسية .. .. شعر : عبد المنعم عواد
٥٦٠ ـ ضفة المجد .. .. شعر : على حسن العزب

٥٦٢ ـ انتصار الحياة .. .. قصة : كوتستنتين بوستشسكى
ترجمة : رجب البنا
٥٦٧ ـ حب ؟؟ .. .. قصة : فتحى صادق سالم

٥٧٢ ـ كلمة عتاب .. (الادب والحياة) .. .. نجيه فرج
٥٧٥ ـ أصداء أدبية .. .. فتحى ابراهيم عباس

٥٧٦ ـ محفوظ .. ماذا صنعت بنا .. .. .. تقديم : لمعى المطيعى
٥٨١ ـ محاولة نقدية : قصر على النيل .. .. نقد : توفيق حنا
٥٨٧ ـ تيارات فنية .. .. جولة : عبد المنعم شميس

٥٩١ ـ بريد الادب : روح عالية ٥٨٩ ـ خارج النقد ٥٩٤ ـ الشعر ٥٩٥ ـ النشر ٥٩٧

دار القاهرة للطباعة

الرسالة

مجال الفكر العالى والثقافة الرفيعة
تظهر فى اليوم السادس من كل شهر

صدر العدد الثامن والثلاثون

شهر فبراير ١٩٦٠

اقرا فيه :

حديث الشهر	***
المجمع العربى قبيل الاسلام	الدكتور مراد كامل
سير الحضارة فى العصر العباسى	الاستاذ عبد الرحمن صدقى
الشاعر والربابة	الدكتور عبد الحميد يونس
البير كامى ،اديب الثورة واللامعقول	الدكتور عبد الرحمن بدوى
الحقيقة (شعر)	السيدة ملك عبد العزيز
التصوير العربى فى عصر الايوبيين والمماليك	الدكتور حسن الباشا
مطاردة قاتل	القدم حسين محمد على
الدراسات الشرقية فى بولونيا	الاستاذ نجيب العقيقى
الشفق الجريح (قصة)	الاستاذ عبده بدوى
جوركى الناقد الادبى	الاستاذ فؤاد دوارة
شاعر فى مصر لم يؤرخ له أحد	الدكتور حسين نصار
الصغار والكبار ، (مسرحية من فصل واحد)	الاستاذ فتحى رضوان

وغير ذلك من انباء وآراء فى الادب، والمسرح والفن وأهم الاخبار الثقافية

رئيس التحرير الدكتور على الراعى

١٣٦ صفحة — ١٠ قروش

مع باعة الصحف وبالمكتبة القومية ٥ عدان عرابى وسائر المكتبات

دار القاهرة للطباعة

الأدب

العدد العاشر
السنة الرابعة
مارس ١٩٦٠
***

خمسون مليما

١

ذكريات .. وجب نشرها
لحرمة الحقيقة ...
وكرامة الرأى ..
وسلام الشباب

هو النقد .. فى قدسيته وطهارته ، مع حريته وطلاقته
هو النقد .. فى قوته وصحته .. مع دقته وأصالته
هو النقد .. فى توجيهه وتأثيره .. مع عمقه وتحريره
هو النقد .. صورة لكرامة الناقد على نفسه .. وكرامة المنقود على اهله . وكرامة الحقيقة على الأمة ..
هو النقد .. فى الاجيال الصاعدة : مثال لعقلية الاجيال السالفة .. ونموذج لخلقيتهم .. وعنوان لنفسيتهم ..

تلك المعانى وما اليها من كرائم الحقائق الفنية ، والاجتماعية ، والعلمية كان يقوى ايمانى بها ، فى الجو الأدبى ، ولا سيما الجانب التعليمى منه : فى الجامعة واشباهها من المعاهد .. وكان هذا الايمان القوى كافيا لان يدفعنى الى مصاولة العدوان ، على هذه الأقداس ، ومناضلة ما يمسها من الطغيان والفساد فى دولة الادب .. ذودا عن الشباب ، أصحاب الغد ، الذين احس - بمكانى بينهم - وقع هذا الفساد على نفوسهم ، وقبح اثره فى تكوينهم وترويضهم ؛ وهدمه لما أحرص عليه ، من سلام نفوسهم ، ونزاهة حكمهم ، ودقة تقديرهم .. فكانت من أجل ذلك احداث وتجارب ، ذكرتنى بها اليوم احكام منحلة العرى ؛

وتقديرات مغلوطة الأكيدة ، عادية على العقل ، والذوق ، فوق عدوانها على الحق ، والصدق .

والقراء ـ ولا بد ـ يذكرون ذلك الجو النفسى ، الذى يسيطر على منذ بضعة أشهر ، جو الشعور بواجب الحساب عن الماضى ، والانتفاع بالتاريخ والاعتراف للمستقبل ، بعد ممارسة قديمة طويلة لشئون ادبية ، خلال فترة تربى على نصف قرن من الزمان ، وتعاصر أكثر من جيل من الابناء والاقران .. وفى جو هذه المشاعر كلها أقدم هذه الذكريات التى وجب نشرها ..

يعثر القارىء ، أو يتعثر ، فى هذه الصفحات ، بكلمات لا احب ان يجرى بها قلم ؛ لكنها مما دون التاريخ ، وسجلت المطبوعات ، فكانت صورة عهدها ، ووثائق تاريخه ، ولا يمكن بعد ذلك تجاهلها .. حيث يقدر واقع .. ويصدر حكم .

وفى القراء ـ لا شك ـ كهول ، ومخضرمون ، عاشوا العقدين الثالث والرابع ، من هذا القرن ، ويذكرون ـ فيما اعتقد ـ ما لا ينسى من المهاترات السياسية فى تلك الفترات ؛ وما انغمس فيه حملة الاقلام ، من اساتذة دارسين ، وصحافيين محترفين .. قذفوا خصوم الحزب الذى أرسلهم على مخالفيه ، بكل مفحشة ، مقذعة ، نابية ، جافية ، فكان أسلوبا من السفه ، تثقل ذكراه ، وتوجع الاشارة اليه ، وان لم يكن للمؤرخ ـ على كل حال ـ معدى عن الوقوف عنده ، والتحليل له ، والحكم به ، وعليه،ليرى فى وضوح انهاكانت سفسطة غمرت الحياة العقلية ، والفنية ، ورمتها بمحنة وجدانية ؛ وخلقية ، كتلك الأوبئة المرضية ، التى تجتاح البلاد جارفة ، حاطمة ..

ولولا أن التاريخ لا يضل ولا ينسى .. ولولا أنى لا أعيش فى تلك الذكريات الساعة الا من أجل حرمة الحقيقة ، وكرامة الرأى ، وسلام الشباب لأزود أولئك جميعا بتجارب هذا الماضى ، وما علمنا .. لولا ذلك ما سودت بياضا باشارة الى ما يجدر بخلق القلم ، وذوق الكاتب ، أن ينكر أيسر مثل منه لهذا العهد .. كقول العقاد لهيكل : أيها الولد المسطول !

وأجزع اذ ذاك حين أجد وقع هذه الحال على عقول الشبان ، ونفوسهم فى الجامعة ومثلها من المعاهد ، التى اغدو اليها وأروح ، صباح مساء ؛ فاذا هم

يرتكسون ، في صنوف ، من جموح الحكم ؛ واضطراب الرأى ؛ واستهانة بكرامة الحقيقة ، وحرمة الكلمة ، وحق المخالف ، وحرمة العشير .. وينشر العدوى وينشر العلة ما يدور بين حملة الاقلام من معارك نقدية ، تجفل بها الصحف وتزخر المجلات ، تقذف بتلك الأساليب ، وتمطر تلك الآفات ، وترى منها نقد « الرافعى » ، الذى عثون له على السفود ، ووصف سفوده بقوله :

وللسفود نار لو تلقت ... بجاجمها حديدا ظن شحما
ويشوى الصخر يتركه رمادا ... فكيف وقد رميتك فيه لحما

ويشك فى هذا السفود المرحوم عبد الله عفيفى .. ثم العقاد .. ويعاون التصوير القلم فى عرض تلك السفافيد .. ويساند الشعر النثر ، فى تأجيج نار السفود .. ويؤيد الانصار صاحبه ، ويلقون الحطب فى موقد شوائه .. وتطبع الصحافة ذلك ، مؤدية به واجبا .. ويقول صاحب السفود (١) : نحن - علم الله - لا نعرف فلانا ، وليس بنا منه ، ولا من شعره ، ولكنها امانة العلم وميثاقه الذى يقول الله فيه : لتبيننه للناس ولا تكتمونه ؛ ثم المحافظة على سمعة الادب فى مصر ، وهى اليوم قبلة العالم العربى » .

ويخشى ضلال الرأى العام ، بمخرقة المخرقين فيقول (٢) .. فى بلادنا هذه قد يبلغ رجل عند قومه درجة قريبة من النبوة ، لا بوحى يوحى ، ولا بعلم لدنى ، ولكن بعمامة خضراء وحمراء ، مثلها كثير فى حوانيت الاقمشة ، لولا أنها على رأس دجال ، أستاذ فى أساليب الشعوذة ؛ وعمامة العقاد هى مقالاته السياسية والأدبية » .

ولكن مهما يكن فى هذا النقد من قوة فنية ، أو يدفع اليه سوء خال الناس ، أو طيب المقصد للحياة الادبية ، فانه كان بشع الاسلوب ، وما مضى منه ليس الا أيسر ما يقال ؛ فقد كان فيه من العناوين البارزة مثل « العقاد اللص » (٣) .

ويأخذ المنقود ناقديه - طبعا - بالجموح الشاذ ، الذى وطأ أكنافه الاسلوب الذى يوجه اليه ، فاذا بك ترى المنقود على السفود يرد على ناقد لديوان من شعره ، فما هو الا أن يتحداه أن يبدل كلمة بكلمة فى بيت عابه ..!!

وأشعر بالتبعة ، وأخاف فتك الداء بالشبان ، وأسرف فى تقدير مسئوليتى ذلك الاسراف ، الذى لا أزال أشبهه باعتداد « أبو فصادة » وهو

---

١ - مجلة العصور - المجلة ٦ ص ٣٧٥ .
٢ - العصور - ٦ : ٥٩٩ .
٣ - العصور - ٦ : ٥٩٧ .

الكائن الضئيل المعروف ، اذ يحدث عنه الأدب الشعبى : انه اذا ما نام رفع ذيله الى أعلى ، حتى اذا وقعت السماء وهو نائم ، رفعها ذيله ، فلم تصب رأسه .. فرأيت الواجب على وحدى فى مكافحة هذا الوباء عن أبنائى فى الجامعة والازهر وسواهما ، ورأيت التلطف فى النهى عن هذا المنكر قد يكون اجدى ، فتركت النشر المعلن ، وآثرت المراسلة الخاصة ، فكتبت الى العقاد منذ اكثر من ربع قرن رسالة ، وجدت اليوم من بقاياها ما يجتمع منه النص التالى :

الى الأديب العقاد

.. سلام الله عليك ورحمته . وبعد .. لعل كتابى هذا اليك نصيحة واعظ أكثر مما هو نقد أديب ، ولهذا لا يعنيني قط أن تتشره ، بل أنا أعفيك من ذلك تماما ، اذا قرأته فى هدوء ، أو مع محاولة الهدوء .. ذلك أن الامر ليس بينى وبينك ، ولكنه أمر جيل ، وشأن شبان .. فى الوقت الذى نرى فيه شبابنا يعز بينهم التفاهم ، ويعسر تناول النقد ، فنضرخ فيهم : أن ذلك منهم ليس الا جهلا بالحرية ، أو كراهية لها ، لأنهم لو كانوا أحرارا حقيقيين ، أو طلاب حرية ؛ عن رغبة صادقة لا عترفوا بوجود مخالفيهم ، واحترموا شعورهم ؛ وفى الوقت الذى نحاول أن نحبب فيه هؤلاء الشبان ، فى شيم العلماء ، من سعة الافق ، وحسن تقدير قواهم الانسانية ، والاستعداد الدائم لتقبل حقائق جديدة ، وآراء مخالفة .. فى هذا الوقت نرى أحد حملة الاقلام ، الذين يطلعون على هذه الشئبيبة ، صباح مساء ، بضروب من القول ، فى الاجتماع والسياسة .. نرى العقاد يرد أمس ، على منتقديه ، فى مقاله « مناقشات فى النقد والادب واللغة » ، فلا يكون رده الا حثوا للتراب ، فى وجوه ناقديه ، وغيظ يتوثب من كلماته ؛ وشططا عجبا ، ينتهى به الى أن « يتحدى بوضع لفظ مكان لفظ فى البيت المنقود » .. ويا عجبا يا أخى : لقد أبدلت فى القرآن كلمات بكلمات ، فى قراءآت مختلفة ، مع المحافظة على معناه ، بل مع المحافظة على اعجازه .. ولاأقول لك : « ان العربية قد عرفت بسعتها وتقبلها لذلك الابدال مع المحافظة على المعنى » ، ولكنى أقول لك ان الله ـ مهما يكن رأيك فيه ـ قد تحدى بعشر سور ، ولما تشدد تحدى بسورة من مثله ، ولكنك أنت تتحدى بلفظة مكان لفظة .. فانت أكبر كثيرا من أن يقال لك : سبحانك ! » .. كيف خانك قلمك، حتى قذفت بهذه الدعوى الغريبة ، فى وجوه ناقديك ، وماذا أنت فاعل ان دفعنى النصح الى أن أصارحك برأى نفر غير قليلين فى شعرك ، وهل أنت مبارزهم على هذا القول الجرىء ..!

انها ـ أصلحك الله ـ جناية السياسة علينا : أفسدت ما أفسدت من أخلاقنا ، وكذلك فعلت بأقلامنا .. وانه لمرض أتبينه فى جميع الصحفيين الذين عانوا النقد ، والحكم ، لانهم حين يتناولون خصومهم تبيح لهم السياسة ـ قاتلها الله ـ كل قالة ؛ وما يعنيهم الا أن يحسنوا الاستهواء ، ويستحلوا فى

سبيله كل محرم ·· وتدع الصحف اليومية الى المجلات ، بل الى كبرياتها فتقرأ في « المقتطف » نقد الرافعي للعقاد ، فاذا هو على هذا الحال من اللذع والتقريع ؛ فأى سم هذا الذى تجرعونه شبابنا أيها الكهول ·

تعالت دعواك الجبروت .. لكن كتابى هذا اليك مشارة ، لم ادفعه الى نشر ، ولا أبغى به تشهيرا ، فلعلى — وهذه ظروفى — أرى من حقك على ، ومن واجبى أمام نفسى أن أذكرك بموقفك أمام القضاء ، ذلك الموقف الذى كشف جبروتك كشفا ، لا أنعته .. لأنى لا أستطيع أن أسبك .. ولأن هذا قد يكفى مثلك ·

اتق الله فى جيلك ، واكفف شطر طريقتك عن الشبان ؛ وتلق ناقديك تلقيا هادأ من هذا وآدب ·· وإن أبيت الا أن تمضى فى طريقك ، وراقك أن تقدم لى نصيبا من هذا الذى تقذف فلك ما تشاء ، فانى ساعة صممت على أن أكتب اليك ، وطنت نفسى على احتمال كل شىء ، فى سبيل النهى عن المنكر ؛ وأحللتك من كل ما تفعل ، والسلام عليك من ...

وصح ما توقعته ، واحتسبت عند الوطن الكثير الذى تطايرت الى رشاشه من السب واللعن ··

ولا أظن ظن « أبو فصادة » فى انحسار الوباء ، لكنى لا أهدر نصيبه من الأثر فى ذلك فلقد تغيرت الظروف ، وتحسنت الحال ، وبدا من خيرية الشباب وأريحيته مع العقاد نفسه ما ينبىء بالخير فى هذا الشباب ، والخلاص من لوثة الوباء ، ففى سنة ١٩٥٢ كتب الدكتور رمزى مفتاح كتابا سماه « رسائل النقد » تناول فيه مدرسة المجددين بالنقد ·· وبدأ بالحديث عن العقاد أيضا ، فتحدث عن نفس العقاد وشعره ، وكتب فى ذلك فصولا نابية العنوان ، يتكرر فيها مثل ما قال الرافعى منذ اثنين وثلاثين عاما عن العقاد الجاهل ·· والعقاد لص الأدب ، وأرسل كتابه هذا الى لفيف من الامناء تولوا تحرير مجلة الثقافة فى هذه الفترة ، فقالوا فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ عن كتاب الدكتور رمزى مفتاح ما نصه :

« والكتاب بعد ذلك جهد فى غير موضع ، فانه لم يضع اسسا فى النقد ، أو يستنبط منهجا فى الدراسة ، ولكنه اعتمد على اشتات من الآراء ، وفروع من المعرفة ، لم يحكم الصلة بينها ، كما نحس الاسترسال الخاطىء فى الفصول المطولة ، عن العقد العصبية ، وفلسفة الموسيقى » ·

ونحمد الله أن انجابت الغمة ، ونجا وجوه الشباب وسلموا ·· ثم تظهر « الادب » ويتابعون فيها منذ اربعة أعوام محاولة عميقة الثقة ، فى سبيل تطهير

الحياة الادبية ، واشاعة جو من الصفاء فيها والترفع ، برد النقد تكاملا وتعاونا فى فروسية قلم وطهارة فم .. وعدالة حكم .

لكن يابى شيوخ الجيل الا ان ينفثوا فى ذلك الجو زفرات من القديم المفسد، باحكام تسرف فيها المبالغة ، بل التهويل ، ويعوزها اقل قدر من الدقة ، ويقول فيها من لا يعرف ، وتتجسم فيها مقارضة الثناء ، بل تبادل الاسراف .. واجد من ذلك اليوم ما وجدته منذ اكثر من ثلاثين عاما ، وانا مع الشبان فى «الادب» فى مثل الذى كنته منهم فى الدرس ، فتثور الذكريات .. وأشعر بوجوب نشرها .. واعود لأعلق مضطرا ، ومستعدا لمثل الذى كان بالامس البعيد من وراء هذا التعليق .. لأنى احس خطر مثل هذه الجمحات على المنهج .. وعلى الخلق .. وعلى الشباب صاحب الغد .. بخاصة .

وما احضرنى ذلك كله الا مثل ما نشرت صحيفة الاخبار (١) من قول عزيز اباظه عن العقاد ، ونصه ـ على ما نشر :

لست ارى شرفا هو اضخم واوقى ، من ان يقدمنى اليكم ، امام الصناعتين؛ وحامل اللواءين الرجل الفرد ، الذى لا يرتفع الى مقام فنه ونثره ، الا الشوامخ العوالى ، من روائع فنه فى شعره ؛ الرجل الذى طبع بطابعه ، فى هذا الجيل جيلا من الادباء ، والشعراء ، والمفكرين ؛ الرجل الذى اسهم فى تصحيح موازين النقد ، واسهم فى اشاعة الوحدة من القصيدة ، واخضاعها للشرائط والتسلسل المنطقى . وعندى ان الفوز بتقدير استاذنا الكبير لهو نعمة بذاتها ، يتنافس فيها المتنافسون ؛ ولكنى أعرف قدر نفسى ، وأعرف أن بعض ما تناولنى به اليوم من تكريم هو تقليد من تقاليد المسحة المشجعة ؛ ولا جناح فى ذلك ، على استاذنا الكبير ، فان الرجل الذى استطاع أن يخرج للناس كتبا تربو على السبعين بعضها قيم ، وبعضها رائع ، وبعضها غير مسبوق اليه ، وبعضها معجز . ان رجلا كهذا مغفور له ان تزحزح قليلا ، فى خطاب استقبال ، عما أخذ به نفسه ؛ منذ شق طريقه فى دقة وانصاف ، يشارفان حدود الكمال » .

فما أشبه الليلة بالبارحة .. تحد بالامس .. واعجاز اليوم .. مع أن أحزاب الفكر ، فى القديم المتخلف ، قد وقفوا من الاعجاز الدينى المعتقد فى القرآن نفسه موقفا أقوى حرية ، وأسلم مآلا ، حين قرروا أن القرآن ـ على سمو طرازه ، وعظمه نظمه ـ انما كان اعجازه يصرف الله الناس عن محاكاته الممكنة لهم .. فما هذا الذى يقال اليوم بعد مئات السنين ، فى اطار من التشرف المتهاوى أيضا .

ومن وادى هذا الانسياب الفسيح الجامح ، الذى لا يحده ضبط ، ولا منهج ، ما نشرته الاخبار (٢) نفسها تقول : ان العقاد قرأ من الكتب العالمية

---

١ ـ جريدة الاخبار فى ١٩٦٠/٢/٥

٢ ـ جريدة الاخبار فى ١٩٦٠/٢/١٠

مجموع ما قراه كل اساتذة الادب فى جامعاتنا هذه لو ورغنا معلوماته على عشرة اساتذة لأصبح كل أستاذ منهم عالما » .

وقائل هذا القول لا يعرف كم اساتذة الأدب فى جامعاتنا ، فوق ان يعرف من هم ، وما علمهم ؟ وما قراءتهم ؟ .. ومثل هذا الكلام يصرخ باستهانة مخجلة ، من وادى ما تردد فى عصر السفسطة الذى امتحنت به مصر فى الفترة التى اشرت اليها .. وقد كانت الصحافة ، جزاها الله ، اداة هذه السفسطة ، وميدان ذلك السفه بالأمس .. فهل تعود فتسىء الى نفسها .. والى الحياة ؟

أما انى لأثق بالشباب ثقة تعدل الضنانة به ، والحرص على صحته النفسية والخلقية ، وانى لأنتظر منه الخير دائما ، رغم عبث العابثين قديما وحديثا ، فعنده المعتصم الذى يحمى حرمة الحقيقة .. ويصون كرامة الراى ..

وقد شعرت شعورا قويا بوجوب ان اضع امامهم تلك الذكريات عن اخطاء الماضى وسفهه ليتقوها ، ويوقوا الحياة اياها .. وانهم بذلك ، ، واكبر منه ، لجديرون .

عبد الرحمن الرافعى

الرسائل الفنية والمالية
ترسل باسم
امين الخولى
رئيس التحرير

الرسائل الادارية
ترسل باسم
عزت محمد ابراهيم
سكرتير الادارة

الاشتراك عن سنة: فى مصر ٥٠ ، فى الخارج ٨٠ (بالبريد الجوى أو ما يعادله)
ثمن العدد ٥

البريد الجوى
والمسجل يحسابه

الآداب
فنية • شهرية
يصدرها الأستاذ
الادارة: مصر الجديدة . العجم : ١٣
ت : ٦١٧٥٠

تصدر سابع كل شهر

* إن عصر الفلسفة والأدب لن يختفى أبداً . . وإذا اختفى فسيختفى العلم التجريبى .

* ليست الثقافة فى أزمة . . . إنما الأزمـــة فى طـلاب الثقافة . .

فى إتجاهاتهم وتثقيفهم .

* كتاباتى كلها للحياة . . . والأديب يتناول كل ما تتناوله للحيـــاة . .

للسياسة أو عليها .

* إنى ألتزم الفصحى السهلة . . . إلا عند الحاجة للفظ لا تؤدى الفصحى دلالته .

* فلسفتى المواءمة بين الحياة والمستوى الرفيع للسلوك ، وما أسميه النظافة النفسية .

* الحب تجربة تكاد تكون ضرورية . . . تجربة عدبة . . رغم قسوتها وشدتها .

* النقد عندنا : عين رضا لا ترى عيبا . . أو عين سخط تبدى المساوى .

محمود تيمور يتحدث . . .

الاحاديث وسيلة اكثر حيوية ، فى نقل افكار الاديب . . واحسب أن سقراط كان مصيبا عندما اختار الحوار اداة لنقل فلسفته

زجب البنـــا

لمحمود تيمور على الادب الحديث فضل كبير ، فقد ضرب للادباء مثلا رائعا للكاتب كيف يخلص لفنه ، ويقف عليه همه ، ويواظب بلا كلل ولا ملل على تنميته وتنويعه .

حمل المستشرقون اسمه ومؤلفاته الى بلاد أوربا ، فعرفت بفضله شيئا من ادبنا الحديث ، وما أشد احترامى له حين أراه الى اليوم لا يبخل بجهد فى الادب ،

وكلما سئل اجاب ، ويفتح قلبه للجميع ، لافرق بين صغير وكبير .. تيمور الرائد الذى صنع الفجر الصادق لفن القصة ، واسهم مع القلة الواعية المخلصة التى نذرت نفسها للفن ، ووهبت حياتها لأجله ، واضافت للتراث العربى اضافات جليلة .

ومع محمود تيمور الفنان الكبير ، الذى صرح نجيب محفوظ اكثر من مرة انه قد تتلمذ طويلا على قصصه وانه يدين له بفضل كبير ، مع الرجل الذى يدين له فن القصة العربية وكتابها بفضل كبير .. كان لقاء .

قلت للرجل الذى يقف على هرم شامخ صنعه من قصص جاوزت الاربعين، وقد سمعته يتحدث عن الادب بشغف العاشق :

ـ يقولون اننا فى عصر العلم ، وان عصر الفلسفة والادب قد ولى ؟

فاندفع لفوره يجيبنى ، وكأنه ناقش الفكرة مع نفسه طويلا من قبل:

ـ « العلم حقيقته المعرفة ، والمعرفة هى محاولة الوصول الى حقائق الحياة، والكشف عنها دائما واتخاذها أداة لخير البشرية ، والوسائل التى تتخذها المعرفة للوصول الى ذلك هى « العلم بمعناه الخاص المحدود » أعنى العلوم التجريبية المؤسسة على نظريات رياضية ، وكذلك الفنون والآداب على أختلاف انواعها ، فنحن اذا كنا نحتفل بعيد العلم فأنما نحتفل بعيد المعرفة ، واكبر برهان على ذلك ان الدولة ادخلت مكافآت الفلسفة والادب والاجتماع مع مكافاة العلوم فى عيد العلم ، فلم تحتفل أمتنا بعيد العلم بمعناه الضيق ، بل بمعناه الواسع .

وعلى هذا الاساس نستطيع أن نقول : ان عصر الفلسفة والأدب لن يختفى أبدا ، واذا اختفى فسيختفى العلم التجريبى على أثره ، وبذا تندثر المعرفة وتنهار .. »

قلت له وانا استرجع فى ذهنى كثيرا من الآراء التى ترددت اخيرا فى البيئة الادبية :

ـ هل صحيح ان ثقافتنا فى ازمة ؟

وكأنه كان يتوقع السؤال ،فأخذ يجيبنى والابتسامة ملء شفتيه :

ـ « ليس هذا بصحيح مطلقا ، وان نهضة الترجمة ، والتأليف ، والاذاعة الثقافية ، والصحافة الناضجة ؛ ـ تبشر بخير كبير ،وهى ميدان واسع لمن يريد أن يتثقف ، ولكن يصح أن نقول أن الازمة قائمة فى طلاب الثقافة أنفسهم ، فهم فى ازمة حقا فى اتجاهاتهم ، ووسائل تثقيفهم وهم محتاجون الى التوجيه السديد والارشاد السليم للافادة من الثقافة الطيبة . » وسألته :

ـ تناولت روايتكم « شمروخ » احداثا ، وصراعا سياسيا ، فهل يمكن القول بانها تحول منكم الى ناحية الفن للحياة ؟

قال :

ـ « منذ أن بدأت أكتب وأنا اعتقد بأن كتاباتى كلها للحياة ،ومن أجل الحياة، فهى فى مجموعها تنحو منحى « الفن للحياة ، والحياة ألوان وميادين ، فمنها المشكلات الاجتماعية ومنها نقد الحياة نفسها ، وتصوير شخوصها .

وشمروخ قداتخذت اللون السياسى كزميلتها السابقة مسرحية «المزيفون»

كما أن هناك موضوعات اجتماعية وطنية مثل روايتى «المصابيح الزرق» أو « اللهب » التى نشرت فى المساء الاسبوعى وهى تحت الطبع الآن .

★★★

قلت وأنا استعيد كلماته فى ذهنى مرة أخرى :

ـ اذن ، فهل نستطيع القول بأن « شمروخ » اعتراف بان الادب يجب أن يخدم السياسة ؟

فقال بعد لحظة تريث :

ـ « ليس فى الادب يجب أولا يجب وانما فى الادب شعور أولاشعور ، وفيه استجابة طيعة ، أو تكلف مصنوع ،فان صدق الشعور ،وقويت الاستجابة ، فالاديب يتناول بقلمه كل ماتتناوله الحياة ، مع السياسة أو عليها ، متغلغلا فيها أو بمنأى عنها .. فليتسمع كل أديب لنجوى نفسه ، ومناط تأثره ، وليرهف حسه للملابسات المحيطه به ، وليكتب فى حرية ، وفى اخلاص ، وفى صدق ، متحريا نوازع النفس البشرية ،موفور الحظ من رسوم الفن . »

قلت :

ـ حوار هذه الرواية ـ شمروخ ـ كسابقاتها ، بالفصحى ، ومن النقادمن يؤثرون العامية لواقعيتها ولدقتها فى رسم الشخصيات ..

ـ « هذه الرواية ـ شمروخ ـ عربية الشخصيات ، واقعة أحداثها فى قطر عربى ، فلو أردت مجاراة القائلين بالعاميات لوجب على كتابة الحوار بعامية ذلك القطر العربى ، وهى مغايرة للعامية المصرية ، ولوانى فعلت لصعب عليك ، وعلى أهل الاقطار العربية الاخرى فهم الحوار ، دون أن تكسب الرواية شيئا كبيرا .

وانى ملتزم الرأى القائل بالتزام الفصحى السهلة فى الحوار كشأنها فى الرد ، الا اذا اقتضى الامر لفظا خاصا له دلالة معينة لاتؤدى بالفصحى وذلك قليل أو نادر ، ونحن ساعون الى توحيد لغة الحديث بين أمم العروبة ولاأقول توحيد لهجة النطق ، ولكن أقصد الالفاظ ومدلولاتها ، ويجب أن يكون تعبيرنا عونا لهذا التوحيد.

وحين سألته :

– ماالكتاب الذى كان له اثر فى تفكيرك ؟

اجابنى :

– « لاأعتقد أن تفكيرى مدين بالتاثرلكتاب وحده ؛ بل لاأعتقد أن « الكتاب » وحده هو الذى اثر فى تفكيرى ، فالتفكير مدين بوجوده للكتاب على اختلاف فنونه وللحياة على اختلاف الوانها ، ولمعاشرة الناس وللرحلة فى اقطار الارض ، وللتجربة الشخصيةعلى اختلاف مراحل العمر .

قلت :

– لقد بلغت السن التى تسمح للكاتب أن يكون فلسفة واضحة محددة فى الفكر والحياة .. ما فلسفتك ؟

واجاب :

– « هى الا تكون لى فلسفة من تلك الفلسفات المحدودة فى الاطار ،الضيقة النطاق ، التى ينساق اليها المرء مشغوفا بها ، منقادا لها ، فاذا هى تتعارض وحياته .. واذا هى تصطدم بملابساته ، فاما حطمته ، واما حطمها ورجع يخفى حنين .. فلسفتى هى المواءمة بين الحياة بظروفها وملابساتها، وبين المستوى الرفيع للسلوك ،والطبع البشرى ، وما اسميه « **التنظيمة النفسية** » ومن استطاع أن يلائم بين غرائزه وكيانه ومطامحه ، وبين المستويات الاخلاقية فهو ذو حظ من الحياة عظيم ، وهذه الملاءمة تتطلب جهدا ولباقة وفلسفة لا يحسنها الا القليل .. !

قلت :

– وهل فى فلسفتك للحب مكان ؟

قال :

– « الحب تجربة كيفيه تجارب الحياة ،تفيد المرء، وتكاد تكون ضرورية له ، وهى تجربة عذبة رغم قسوتها وشدتها ، والمهم ان يخرج الانسان منها سليما ، مستفيدا خبرة تضاف الى جانب خبراته الأخرى فى الحياة .

قلت :

– اذن ، نعود الى الادب مرة اخرى ، ما رايكم فى احسان عبد القدوس ؟

– لقد لخصت رأيى عن احسان عبد القدوس فى الجملة الآتية ، وأراها كافيه : !! « احسان عبد القدوس منهجه الروائى – الهوى ، والشباب، والامل المنشود .. ! » وعلامة التعجب وضعها الاستاذ تيمور بنفسه .. !!

قلت :

– وامين يوسف غراب ..؟

قال :

– اما الاستاذ امين يوسف غراب فالخص رايى فيه فيما يلى « ساحر فى تعبيراته ، ساحر فى موضـــوعاته ، ساحر فى نسائه .. ! »

قلت :

– لنتحدث عن الجامعة ، ان الجامعة باسلوبها فى التدريس ، ومقاييسهـا فى التقدير محل نقاش .. مارأيكم فى جامعاتنا ؟

قال :

– «لقد بدأت جامعاتناتتجه الاتجاه الصحيح فى الدراسة والبحث جريا على المنـاهج المعروفة فى الجامعـــات الكبرى بعد أن مرت بأطوار وتجارب كانت الدراسة فيها تسير على أسلوب الدراسات الثانوية .

ومن الخير ان نفرق بين الدراسة الثانوية والدراسة الجامعيـــة ، ففى الاولى يتلقى الطالب علومه من الاستاذ دون مناقشة ، ويمتحن فيهـا ، وفى تحصيلها كما لقنه الاستاذ . اما فى الدراسة الجامعية فأساسها ان الاستاذ موجه يساعد الطالب ليكون له رايا فى المادة التى يدرسها بوساطة بحثه الشخصى فى المراجع الكبيرة ، ومن هذه المراجع محاضرات الاستاذ ، فالطالب غير مقيد برأى الاستاذ ، وانما يستعين به منهجيا فى طريق الوصول الى آراء اخرى .

والمهم أن يكون بحث الطـــالب واجاباته عبارة عن مجهودات شخصية ناضجة ومعدولة ومدعمـــة باسباب تثبت صلاحيتها وبراهن . »

قلت :

– لكننا لم نتحدث بعد عن النقد الادبى ، مارأيك فى النقد الادبى عندنا ؟

فابتسم ، ابتسامة واسعة ذات دلالة ، وفى عينيه بريق يتحدث ، وقال :

– معظم النقاد عنـــدنا يتخذون شعارهم البيت الآتى :

وعين الرضـا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

وبعد –

لست ادرى هل استطعت أن انقل للاستاذ محمود تيمور كل ما فى الصدور من أسئلة واستفسارات ، فما تزال أمامنا أمو ر كثيرة نرى ضرورة استطلاع رأيه عنها ، على أن الرجل الكريم ، وهو يحملنى تحياته للادب ، وللقراء الادب ، وعدنى بلقاء آخر ، نرجو أن نثير فيه ما تبقى لدينا من قضايا الفكر والفن والحياة ..

لكن الشىء الذى أدريه ، واحققه ، وأثق فيه ، أن الاستاذ تيمور قدم لنـا فى اجاباته هذه أفكارا ستثير موجات من النقاش والمعارضة نرجو أن نعود لها .

ادب المهجر
وقوميته العربية

بقلم : علي شلش

سجل تاريخ الادب المعاصر في مطلع القرن الحالي تفتح ظاهرة جديدة اخذت تنمو وتتكامل حتى استقرت اخيرا لتعرف باسم : ادب المهجر .

وقد اتيح لهذه الظاهرة ان تنمو وتترعرع خارج حدود وطننا الكبير ، حيث عبرتها الى الامريكتين لتستقر هناك ثم تعود الينا ابداعات والوانا مختلفة من الادب فتثري وجداننا ، وتواكب نهضاتنا ، وتتطلع الى الغد الذي نبنيه جميعا هنا في هذا الوطن الكبير .

وليس شك في ان هذه الظاهرة الهامة قد نشأت مرتكزة على تراثنا ، مستظلة بالشجرة الام رغم اختلاف البيئة ، متبنية خصائص التربة الاصلية ومقومات الشخصية القومية .

ومن حقنا ان نتفق ، بداءة ، مع الاستاذ جورج صيدح على أن هذا الادب الذي عرفناه باسم أدب المهجر هو — بحق — « ادب عربي البذار ، عربي الأرومة ، عربي الجنى ، حملته الرياح الى مشاتل العالم الجديد فزكا في كل تربة ، واينع تحت كل سماء ، طبعت شمس الغرب بعض الوانها على أوراقه ، أما لبه فيحيا على شعاع الشرق وقلبه ، ويختلج بنسمات الصحراء . هو رسالة عربية لم يلصق بها الغرب الا طابع البريد » (١) .

ومنذ ان تتابعت الوانه وفنونه ، ومنذ ان حملتها الينا البحار عقب الحرب العالمية الاولى ، ازدادت معرفتنا بها ، كما تضاعف الحاحنا على طلبها حتى اصبح الطلب عليها شديد المرونة — ان صح التعبير الاقتصادي .

وما نستطيع ان ننكر الاثر الذي تركه شعرنا العربي الى المهاجر الامريكية في نفوس متذوقي الشعر ومبدعيه وحسن اداء وجدة في المعاني وما طرقه مبدعوه من مسالك جديدة اضافت الى تراثنا الشعري ، ومافاض به من عاطفة قومية صادقة تحن الى الوطن وترنو اليه «بألف طرف ساهر» كما يقول الياس فرحات ، كل هذا في الواقع قد أدى الى احتفالنا به مبدعين ودارسين .

على ان تاريخنا قد سجل ان هؤلاء المغتربين الذين راحوا يبحثون عن المتاعب خارج وطنهم في مطلع هذا القرن ، قد اضطروا اضطرارا

---

(١) أدبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية — بيروت ١٩٥٨

الى مغادرة وطنهم « مستجيرين مسترزقين » كما قال احدهم . ذلك لأن الوطن العربى فى تلك الفترة من تاريخه كان ممزقا يعانى من الاضطهاد السياسى ، وظلم الحكام وضيق العيش ، تسوده الخلافات التى راح الاستعمار واعوانه يغذونها باثين الفرقة بين اهله ، سالبين خيراتهم وارزاقهم ، مطلقين العنان لاضطهادهم وجورهم ، ومخطىء من ظن هنا ان هذا المسلك الذى سلكه المهاجرون قد اتى تعبيرا عن السلبية التى تسلح بها هؤلاء . اذ ليس من السلبية فى شىء أن يسعى المرء الى طلب الرزق او الحرية خارج الوطن اذا ما اضطر الى ذلك . فقد عرفنا فى تاريخ الادب العالمى حالات كثيرة مماثلة ، اختار اصحابها طريق المنفى طوعا واختيارا تحت ضغط ظروف سياسية او اجتماعية ، فما دفعهم هذا الى هجر الكفاح فى سبيل وطنهم خارجه ..

نعود بعد هذا الى الفترة التى عاصرت انتقال مواطنينا الى المهاجر فنلاحظ اضطرامها وغليانها بالاحداث بالاضافة الى تبزعم الفكرة القومية وبداية مرحلة جديدة تخوضها اجزاء الوطن فى سبيل استرداد حريتها السليبة . ولا تلبث هذه الفكرة ان تقوى وتصقلها الاحداث ، حتى تتبلور وتطوف من الخليج الى المحيط مشعلة نيران الثورة على الاستعمار وكافة مظاهر الاعاقة ، معلنة بعث الامة العربية التى كابدت طويلا ، « ساعية الى تحقيق اهدافها فى التضامن العربى ونحو القوة والاستقلال والحرية » كما قال الرئيس عبد الناصر .

اصبحت القومية العربية اذن القضية الاساسيه للمجتمع العربى فى هذه الفترة من تطوره ونضاله ، وكان الادب العربى بمثابة المسجل لها ، المثرى لوجدانات الناس ، المتقدم معهم فى تطلعهم ومعاركهم الوطنية . وكان يجمعنا — كما يقول شوقى — اذا اختلفت بلاد ، بيان غير مختلف ونطق .

ونتساءل : ما موقف ادبائنا العرب فى مهاجرهم الامريكية من هذه التغيرات الكبيرة التى تجرى فى وطننا اليوم ، وما موقفهم من هذا الشىء الاساسى فى تاريخنا ؟

ان الدارس لهذا الادب الذى مد دوحته الى ما بعد المحيط ، تطالعه حقيقة ثابتة مؤداها ان هؤلاء المهاجرين لم يتخلوا عن كيانهم العربى ، ولم يتنكروا لعروبتهم ، بل تمسكوا بها وتشبثوا بالارض الام . وكان الحنين اليها جانبا هاما خطيرا فى ابداعهم ، يفيض كلما قست الحياة عليهم . كانت العودة الى الديار حلم كل شاعر مغترب .

ولم تكن الغربة بالنسبة لهم الا دافعا ومنشطا للحنين الى الوطن ، وارتباطا به اشد واوثق . لهذا ليس من الغرابة ان يفيض ادبهم حنينا

وشـــوقا الى الوطن والاهل • اما العائد منهم الى الوطن فهو كالعائد من معركة ضروس قاسية ، كالذى ولد من جديد •

يقول الشاعر القروى عند عودته بعد غيبة دامت خمسة واربعين عاما :

« وجدتنى لفـرط سرورى عندما احتوتنى ارض الوطن ، كأننى ولدت على الكبر ولادة جـديدة ، او اننى انتقلت الى كوكب آخـر من كواكب السماء الدرية » •

والشعر هو الذى يفوز بنصيب الاسد فى ادب المهجر • وهو اللون البارز فى ابداعهم ، ولعل من ملامحه بشـكل عام تلك التى عبر عنهـا ميخائيل نعيمة : « اهم ملامحه توثيق العـلاقة بين الأدب والحيـاة • وهذه العلاقة كانت مفقودة فى الادب العربى ، وعلى الاخص طـوال فترة انحطـاطه ثم ابراز الشـخصية الانسـانية بوصفها محورا للادب فكل ادب لايعود الى الانسان ويمس الانسان فى صميمه ليس ادبا •• »

ثم يستطرد متحدثا عن الشعر :

« ثم كانت لنا محاولات فى التخلص من القافية الرتيبة فى الشعر فزاوجنا فى القصـيدة الواحدة بين بحور متجانسة ، وبين كامل الوزن ومجزوئة ••ونوعنا القوافى ، وجعلنا القصيدة وحدة معنوية وفنية من اولهـا الى آخرها •• »

ولقد اصبح هذا الشعر انعكاسا لارتباط المغتربين بوطنهم ، ذلك انهم احسوا عنـد وصـولهم الى الارض الجديدة بالغربة والوحشة ، بين قوم يجهلون لسـانهم وتقاليدهم ، وكانت الصلابة والروح الوثابة اسلحة لهم هناك • وفى ذلك يقول الشاعر القروى (رشيد سليم الخـورى) مصورا المرحلة الاولى التى تكـون الحنين والشوق :

ناء عن الاوطان يفصـلنى
عمن احب اثير والبحـر
فى وحشـة لا يؤانسها
الا أنا والوجـد والشعر
حولى اعاجم يرطنون فمـا
للضاد عند لسـانهم قدر
لو عاش بينهم ابن ساعدة
لقفى ولم يسمع له ذكر
ناس ولـكن لا انيس بهم
ومدينة لـكنها قفـر

فى ذلك الجو الذى صوره القروى بصدق عاش اكثر الشعراء المغتربين ومن هنا احسوا انهم مشدودون الى الوطن ، مدعوون اليه ، لا بعقولهم فحسب وانما بكل كيانهم •

ويصل هذا الاحساس الى قمته فى قصيدة « الشاعر فى السماء » لايليا ابو ماضى • حيث ينقل لنـا حوارا بين الشاعر والاله الذى دعاه الى السماء ، فاذا بالحزن والاكتئاب يغمرانه • فيرفض كل مايعرض عليه من امنيات عدا امنية واحـدة هى الوطن • يقول :

فقلت يارب فصـل صيف
فى ارض لبنـان او شتاء

فانى ها هنـــا غريب
وليس فى غـــربة هنـاء

ان الوطن هو كل شىء تدى شعراء المهجر • انه الامل والغذاء معـــا وما خلاه هو « ارض التيه » ، كما يقول ايليا • رؤيتـه « كنز » ولثم ترابه « انعام » ذكراه « نفحة عنبر » (١) صحاريه رياض و « رياض الغرب شبه صحارى » (٢)

وعندما تتأثر الاجيـــال الوليدة بالبيئة الجديدة، يغار عليها شعراؤنا المهجريون • فهذا الياس فرحات يلقى باللائمة على ابناء العرب هناك الذين هجروا الغة آبائهم وأم يحسنوها ، يقول :

وصلتنـا بنوينا لغـــة
لم تصلنـا ببنينا الظرفاء
ان نقل قولا فصيحا بينهم
ردده بلســـان الببغاء

أما الشاعر محبوب الشرتونى فيتصدى للذين يقطعون على ابنائهم صلتهـم بلغة الاجداد قائلا لصديق له ، داعيا صديق له الى تلقين العربية لطفليه :

علمهما لغة الاجداد عن كثب
واملأ فؤاديهما من حب لبنان

وما من شـك فى ان ادباءنا فى المهاجر قد حافظوا على تراث العربية وناضلوا وما زالوا يناضلون للمحافظة عليه ، وتربية الاجيال الجديدة تربية مرتكزة على تراث وتقاليد عربية •

وما من شك ايضا فى أنهم عاشوا بارواحهم وعقولهم مع وطنهم رغـم بعد الشقة وغيبة الجسد • فما زار الكرى اعينهم وهم يرون حول وطنهم عيونا للردى • وما غفلوا يوما عن الاهتمام بأهلهم ومسقط رأسـهم • كما خصوا الوطن بالجانب الاعظـم من شعرهم •

يقول الياس فرحات ناصحا قومه من مهجره :

عليكم سلام الله يا آل يعرب
متى ينتهى مسعاكم المتنافر؟
متى تذكرون المجد فالمجد ذاكر
لكم اطيب الايام والدهر ذاكر

هذا المجد الذى يذكر به الشاعر قومه ، تناوله شـاعر آخر هو شكر الله الجر فأثبته للاجداد ، ناصـحا الاحفاد قائلا :

ان اجـــدادنا وما احرزوه
كان بالجد من غنى وفخار
فانهجوا نهجهم وكونوا كبارا
يرحب الكون للرجال الكبار

ومع المعارك الوطنية التى تأججت فى وطننا العربى منذ الحرب العالمية الاولى راح شعراؤنا المغتربون يتابعوننا مرسلين الشعر غناء لنا ، وشـــحذا لهممنا وتسجيلا لمعـاركنا ، وشوقا الى حمل السيف لخوضها معنا • ولم تكن معاركنا فى فلسطين والجزائر وبور سعيد لنا وحدنا ، وانما كانت

---

(١) من شعر محبوب الخورى الشرتونى •
(٢) للشاعر ندره حداد المتوفى بالمهجر عام ١٩٥٠ •

لهم ايضا ، خاضوها فى مهاجرهم وكابدوا احداثها هناك . فمن البرازيل اطلق الشاعر القروى صيحة الفداء عام ١٩١٧ ، وقد رغب فى العودة الى الوطن للانضمام لجيش التحرير ومحاربة الاتراك المستبدين بالشام . قال :

حملت صليبى قاصدا ارض موعدى
فمن شاء فليحمل ورائى صليبه

وعندما سقط يوسف العظمة شهيد معركة ميسلون عام ١٩٢٠ رثاه ايليا ابو ماضى بفهم صادق لنضالنا وتعاطف جارف مع معاركنا . قال :
لما ثوى فى ميسلون ترنحت
هضباتها وتنفست اطيابا
واتى النجوم حريقه فتهافتت
لتكون حراسا له محبابا
ماكان يوسف واحدا بل موكبا
للنور غلغل فى الشموس وغابا

اما فلسطين المغتصبة فقد كان لها فى نفوس شعراء المهجر اثر كبير وكانت لمأساتها رنة دامية فى قلوبهم وحفل شعرهم بالحديث عنها . ومن ذلك ما قاله الشاعر حسنى غراب :

صبرا فلسطين صبرا وارقبى فرجا
لا بد من عجب يأتى به رجب
والحرب آتية والسيف منتدب
لعل ما عجزت عن حله الكتب
دون العرين اباة كالليوث لهم
بالسمر والبيض فى جدالوغى لعب
قوم اذا سئلوا أعراضهم بخلوا
بها وان سئلوا ارواحهم وهبوا

وتطوف بعقولهم وقلوبهم امنية .. تلك هى الوحدة الكبرى . فقد صارت القومية العربية غاية وقصدا بالنسبة لهم . وهذا ما عبر عنه بصدق واخلاص شاعرنا القروى فى قوله بمناسبة عيد الفطر :

ولكننى اصبو الى عيد امة
محررة الاعناق من رق اعجم
الى علم من نسج عيسى واحمد
وآمنة فى ظل اخت لمريم
هبونى عيدا يجعل العرب امة
وسيروا بجثمانى على دين برهم

ان عيدهم هو اليوم الذى يصبح فيه العرب امة واحدة ، وليس مناسبة سنوية اعتاد العرب الاحتفال بها .

***

واذا تركنا الشعر قليلا لنبحث عن الفكرة القومية فى نثر المهجر ، فان مهمتنا تبدو عسيرة بعض الشىء ذلك أنه لم يصلنا الا القليل من الكتابات التى تتناول الفكرة القومية والعروبة . ومع ذلك فان الصحافة العربية المنتشرة فى المهاجر الامريكية قد سدت هذا النقص الى حد كبير رغم المحاربة الجبارة التى تلقاها من اليهود والصهيونيين على وجه التخصيص .

وبالرغم من فقر امكانياتها بالنسبة للصحافة اليهودية ودور الاذاعة والتلفزيون ، الا انها وقفت موقفا مشرفا ازاء قضايا الوطن العربى . والحقيقة ان الشعر فى رأيى هو

اسبق الانواع الادبيـــة فى سرعة تجاوبه مع الاحداث وانعطافه اليها . ومن ناحية اخرى نجد اغلب ادباء المهاجر من الشعراء . غير اننا لانعدم النثريات . وتحت أيدينـــا نموذج نثرى للشاعر القروى يعـــالج فيه العروبة وقضـــاياها . فهى فى رأى شاعرنا : « دين الامه الشـــامل ، والاحزاب طوائفها .. برنامجها — أى العروبة — « ليس ابجدية مواد وبنود بل هو معان تعمر بها القـــلوب ، مناقب حفلت بهـا سير ابطالنا فى العصور » . هى : « ان يشعر اللبنانى ان له زحلة فى الطائف ، والعراقى ان له فراتا فى النيل » (١)

وشاعرنا القروى الذى قضى اكثر عمره مجاهرا برأيه ، متحملا المشاق فى سبيل حريته ، لا يؤمن بعروبته ايمانا سطحيا ، لكنه ايمان راسخ بلغ حد العقيدة .

لقد كان الشعب العربى فى لبنان يتلهف على شعر رشيد سليم الخورى تلهفه على الخبز والماء . وكانت اشعاره تهرب الى داخل البلاد فى عهد الانتداب الفرنسى ، حيث يقوم اصدقاؤه بطبعها سرا ، وتوزيعها على باعـة الصحف لكى تصل الى ايدى الجماهير دون ان يدرى بها رجال الشرطة .

فى قصيدة له نطالع قصة حب كان الطرف الآخر منها فتـــاة انجليزية تسمى « دود » ، تتمتع بقسط وافر من الجمال ، ومع هذا لم يكن يميل اليها ، وكانت علاقته بهـــا تعذبه وتضنيه حتى صورها شعرا ليقول :

ولو لم تكونى فرنجيـــة
لكنت سعادى قبل سعاد
ولكننى عربى المنى . عربى
الهـوى ، عربى الفـــؤاد
لعمـرك يا مود لولا ذووك
لمـا ميز الحب بين العباد
ولا اكرهوا شاعرا ان يقول
هذى البلاد وتلك البـــلاد

هكذا تجرى العروبة فى دمـــه ، وتشتعل بقلبه حبـــا لامته وبغضا لاعدائها . يقول : « انا واحـــد من سبعين مليونا من العرب . كل واحد منهم انا . فينبغى ان احبهم سبعين مليون ضـــعف حبى لنفسى . من افتداهم فكأنما احيانى سبعين مليون مرة ، ومن خانهم فكأنما قتلنى مثلها»

الواقع أن الشاعر القـــروى رغم اعوامه التى تربو على السبعين — كان — وما يزل فى طليعة شعرائنا القوميين ولا اغالى اذا قلت انه شاعر القومية العربية بحق .

وان الشعر الذى ابدعه ايليـــا أبو ماضى والياس فرحات ونسيب عريضة وشـــكر الله الجر ، والقروى وغيرهم ، ليشكل لونا قوميا على درجة كبيرة من الفعالية والصدق .. وهـــذا الشعر ، الذى عرفناه مسبوقا باسم المهجر ، يعد فصلا مشرقا اضيف الى المجلد الذى يحتوى شعرنا العربى . ومن شاء منا ان يبحث عن الوطنية والقومية فى شعرنا المعـــاصر ، فليسرع الى شعر المهجر . فقد كان ادباؤنا المغتربون — وما يزالون — حداة ورسلا للقومية العربية النامية الودودة .

---

(١) مجله الحديث — حلب ع ١٠ سنة ١٩٥٨

سوء النية عند سارتر

بقلم : عبد الرءوف برغوث

ينتهى سارتر من بحثه الشيق عن مدلول الحرية وتقريرها للفرد كشيء اولى وقبلى على اساس ان الفرد يحمل الوجود واللاوجود وجود الفرد يحتوى على حرية تنفى عنه اى حتمية . ثم يصل من ذلك الى اعطاء الفرد حرية مطلقة تمكنه من ان ينعزل عن العالم باجمعه ويصبح وحيدا اذا أراد ، لانه ينفى عن نفسه العالم وهو فى استرساله لممارسة حريته التى توقعه فى بئر من الانعزالية فيصيبه الجزع والقلق على نفسه ويتساءل هل استطيع تحمل هذا الاسترسال فى ممارسة الحرية؟ هل انا كفء لتحمل مسئولية الحرية أو بمعنى أصح (الانعزالية) دون مساعدة من أحد او رجوع الى القانون .

هل انا حر بازاء كل شيء رغما عن القانون وعن العالم؟ هل أستطيع أن أواصل حريتى ؟ وهل حريتى هذه تحفظ لى كيانى وشخصيتى ؟ هل أستطيع أن أحدد موقفى وأن أكون سيد نفسى ؟ . ولكن هذه الحرية فى حاجة الى غزو متجدد وارادة متكررة حتى لا تتوقف حريتى والا فساضعف امام رغباتى ، فاذا اتخذت قرارا فيجب ان انفذ هذا القرار وان احوطه بعناية وعزيمة قوية وارادة منيعة وهنا تظهر نقطة الضعف فى حرية «سارتر» ذلك الضعف يتمثل فى المحافظة على الحرية وضمان الارادة او العزيمة المستديمة ويهرب «سارتر» من نقطة الضعف هذه بأنه لا يجد مانعا فى ان يمارس حريته ولو مرة واحدة ازاء حادث واحد ، فهو يقول : يكفى اننى أستطيع المحافظة على حريتى ، ولو مرة واحدة . والانسان فى محاولاته هذه انما يخرج بسوء نية . وسوء النية هنا ليس معناه أننى سيىء النية عن قصد ، أو أفتعل يخرج بسوء النية هنا ليس معناها اننى سيء النية عن قصد أو افتعل سوء النية ، بل بالعكس فسوء النية هنا هو فى الواقع عن غير قصد وبدون وعى وهو ما يقابل فى علم النفس الدوافع الخفية .

ولكن سارتر يدافع عن سوء النية ولا يتهمها بالخفاء أو انها نابعة من اللاشعور حيث يقرر هو ان الانسان كله شعور وكله وعى ، وما التجاؤه الى سوء النية الا ليوائم بين نفسه الواعية وبين الواقع الذى يعطل استمرار حريته . ولكن سارتر لا

يقيم البراهين على صدق قوله اى ان الانسان كله شعور ووعى ولذا نجدنا مضطرين الى اعطاء سوء النية صفة اللاشعورية لان الانسان فى محاولته الاستمرار فى ممارسة حريته انما لا يدرى ما الذى يحركه ويدفعه الى النزوع الى الحرية، ولا يدرى ما الذى يوقفه عن الاستمرار فى هذه الحرية فى نفس الوقت . والمثال الذى يضربه سارتر لسوء النيةهومثال الحزن حيث يقول « ان موقف الحزن ليكون حزنا خالصا من سوء النية يجب أن يكون حزنا صامتا لا يصحبه بكاء أو استعطاف أو حتى مشاركة من الغير. أن يصبح الحزين وكأنه تمثال للحزن » وهذا مالا يحدث أبدا واذا حدث فهو نادر الى أبعد حدود الندرة واذن فالانسان فى خروجه عن الحزن الخالى من سوء النية أى من مشاركة الغير له فى حزنه ، ومن اعلانه بهذا الحزن واظهاره بأى صورة من الصور انما يقع تحت تأثير اللاشعورية الذى لا يطيق الكتمان والجمود واللاشعور كحقيقة مكتشفة تفسر كثيرا من الافعال والتصرفات ، هى خير دليل على نقض دفاع سارتر عن سوء النية ووصفه بانه جزء من شعور الانسان الذى يملأ حياته ولا يسمح لها بأن تكون شعورا ولا شعورا فى نفس الوقت . والانسان فى محاولته التفريق بين نفسه المتحررة المتحركة المتجاوزة المتقدمة وبين الطبيعة والوجود كما هو فى ذاته ووقوعه فريسة لسوء النية ازاء هذا التوفيق وعدم قدرته على الاستمرار فى حريته وفى نفى العالم عنه انما يدل على أن سوء النيه جزء من حقيقة النفس التى هى شعور ، ولا شعور والا لو كان الامر على عكس ذلك وكما يرى سارتر فبماذا اذن نفسر اكتشاف اللاشعور ، الذى أضاء لنا جوانب كثيرة ، من النفس البشرية ، التى لم يقدر الشعور ، أو الوعى على تفسيرها وسارتر نفسه يقرر اللاشعور بالنسبة لسوء النية من حيث لا يدرى فهو فى كلامه عن المرأة التى تريد الغزل من الرجل أن يكون غزلا صافيا خالصا لمزاياها الروحية والعقلية فقط يقول انها تقع فى سوء النية لانها تتساهل ازاء هذا المديح والغزل وهى لذلك لا تتنبه لتساهلها وتعبأ بالاعجاب وحده .. وهنا نلاحظ كلمة (لا تتنبه) فعدم الانتباه هو أن شعورها انفصل عنها وتركها الى حالة كلمة من الشعور الجنسى وتسرب هذا من الشعور الجنسى وتسرب هذا الشعور الجنسى الى اللاشعور بدون قصد منها وجاء كنتيجة حتمية للموقف الخارجى.

وهو يقول فى موضع آخر : أن المؤمن يؤكد ويؤكد انه مؤمن وهو عارف أن بينه وبين عقيدته تلك المسافة التى تجعل الايمان موضع الشعور . ثم يقول مرة أخرى أن الانسان فى حريته ولاجل حريته خاف على نفسه سواء كان ذلك فى محاولاته التعود والتوافق مع العالم والهروب المستمر من اليقظة الشعورية

وهذا هو العجز الواضح عن ممارسة الحرية .

واذن فالانسان سيىء النية دائما فى محاولته اثبات حريته وتأكيدها وممارستها .. فسوء النية هنا معناها اننى اكذب على نفسى وانساق دائما الى فرض ارادتى على العالم ولا اجد الا ارتدادا دائما من هذه الارادة لاننى لا أعى الدوافع الخفية التى تحركنى وتفرض على تصرفاتى ، وهنا يظهر اثر علم النفس التحليلى الذى يخلص النفس من تلك السيطرة ، او بمعنى اصح ،يجعل النفس أو معظمها شعورا دائما فلا نقع فى سوء النية، ولا يكون هناك افتراض للحرية المطلقة ، وانما يكون هناك تقدير ومواءمة لرغبات الفرد ونوازعه وما يقابل هذه الرغبات والنزعات من معوقات ومعطلات فانا حينما أفهم الدوافع الى اتيان اى تصرف او سلوك انما اجد نفسى غير واقع فى بئر الجزع ومحاولة التقهقر الى الوراء خوفا من المسئولية من عدم تحملها ويصبح المعنى الجديد ليس هو أننى لست حرا فى أن أفعل الشىء او لا أفعله ، بل هو أننى أكتشف ماهية نفسى ، لا أن أحددها ، وأن اردت تحديدها فبالقدر الذى يسمح لى به المجتمع والتى تسمح لى به الظروف والطبيعة وان حريتى مرهونة بحرية الآخرين وهذا هو الموقف الذى اتخذه سارتر أخيرا ازاء حرية الغير فى الجزائر فى مطالبته بحق الجزائريين فى ممارسة حريتهم

تحت الطبع

قوميتنا

وأسسها

بقلم : أمين الخولى

يضع كل ماقيل عن أسس القومية تحت اختبار على رزين يهيء التاريء للرأى الرشيد عن :

أساس القوميه العربيه

شحيبر ...

المغرب بتدن ، والناس فى البيوت
خايفه لو حاتطلع م السقعه تموت
والراجل بينده « حى على الصلاه)
لكن مين يجيبه .. العزبه سكوت

* * *

النسمة يا « طوبه » بتشيل السدود ..!
فى هبوبها يا طوبه اقوى م البارود
الناس ـ استكنت ـ من نص النهار
الا من « شحيبر » .. قاعد ع الحدود

***

وحدودك ياعزبه ع الترعه هناك
بتنادى الل ماشى ايه ـ لازمة ـ مساك
روح بيتك وولع « راكية »نار قوام
اتدفى وولادك تتدفى معاك ..

* * *

والريس « سلومه » بفلوكته حزين ..
م السقعه « مرسى » مستنظر ف مين »
« ابن العمله » طبعا حايجيه بالحمار
ليه بس الليلادى همـا مغيبين ؟ !

* * *

صار يدعى سلومه ما يغيب عليه
السقعه شديده حاتطلع عنيه
وشويه وشحيبر جاله بانتظام
بيه رعشه قوية واتوسل اليه ..

* * *

قال يعنى سلومه راح ياخده معاه
وايه يكسب سلومه من كترة دعاه ؟ !
ابن العملة ـ طبعا ـ راح يديه فلوس
وشحيبر مفلس لاتملك يداه ..

لو لان «اليهودى» يا سلومه تلين
لشحيبر وتراف م البرد اللعين
لافاد التوسل ·· ولا فاد الرجاء
ما تعديه لا يصبح ضمن المبتين !

* * *

والحل ·· انك اذ تياشحيبر تبات
ع الترعه · وتاخدها وتموت من سكات
الريس سلومه مش واخدك خلاص
والترعه فى عومها محتاجه لساعات

* * *

مرت ساعة واكتر وابن العمده عاد
شايل فوق حماره « حاجه ـ للولاد
اترجى شحيبر ف « البيه » حبتين
ودا كله معاهم · ما اثر وفاد ··

* * *

ابن العمده عدى وحماره كمان
وابتدت « الفلوكه » تمشى باتزان
وشحيبر بيصرخ ·· علونى يا ناس
وصراخه كانه ما دخلش الودان

* * *

صار قاعد ينوح وازداد فى النواح
كان عاوز يروح ولا طالش الرواح
وابتدا «المؤذن» ينده من جديد ··
ـللعشاـ باعلى صوته «حى علا الفلاح»

* * *

الدنيا بسرعه جات «شاتيه» قوام ·
بعديها بشويه انكشف الظلام
البدر اللى غاب فى طى السحاب
ف سماه بان منور فى عز التمام ··

* * *

وف وسطك ياترعه جرى حادث عجيب
خلاك ياشحيبر م المنظر تشيب · !

واللى تم كله .. اسبابه « الحمار » ..
خلى الهم حالا فى صاحبه يصيب

ـ بيحملق ـ بعينه شاف حبة خضار
الموج كان «لاممهم» وجايبهم كتار
بيميل يجيبهم . علشان النصيب
راح «قالب» الفلوكه ح الجنب اليسار !

راح ابنك ياعمده فى الترعه مابان
راح ابنك ياعمده وحماره كمان ..
وسلومه بشطاته نجا منها وعام
وكأن الحكايه شىء منها ما كان .. !

مين شاف الحكايه ياشحيبر سواك ؟
ماشاف الحكايه غير ـ ربك ـ معاك
المقصد سلومه أهو عادلك قوام
بفلوكته ورسى ياشحيبر حداك ..

قال لك : ياشحيبر أنا برضك أخوك
واللى شفته اوعى يعلم بيه «أبوك»
وتعالى معايا .. حانروح سوا ..
راح أعشيك وأخلى ـ لولاد ـ يكرموك

اترجى ف شحيبر ياسلومه كتير ..
خده بيتك بسرعة وافرش له «الحصير»
وابن العمده «سره» وحماره العزيز
سرك فى شحيبر .. اعتبره ف بير بر

حامد الأطمس

اللاجئون والشتاء الكافر

سمعت وسط الليل ضبح الجراح
تزحمه فى مسمعى الرياح
مجنونة تركض فوق البطاح
عربيدة الأنواء رعنا الجناح

فى دمها ثلج .. ونار وراح

يا ليل قد جنت رياح الشتاء
وانطلقت مسعورة فى الفضاء
تصب فوق الأرض سيول أسماء
تقتلع الكوخ وتذرو الخباء

وتسلم الأوى لكفر العراء

يا ليل من ضاق بهذى الشرور ؟
أطلقها فى مثخنات الصدور
تنهشها نهش بنات الدهور
للاجىء عزت عليه القبور

تعضه ناب الشتاء العقور

كم طفلة عارية ترتعد !
وكم صغير جائع يبتعد
من أمه الصدر الذى يفتقد
ذوبها البرد وطول الكمد

حتى غدت كالظل بل لم تعد

وصدرها لم يتسع للحليب
دب به داء بغيض الدبيب
له مع الليل وجيب رهيب
يروع الطفل صداه المريب

ويصرخ الطفل فلا يستجيب

يا ريح ان تزار على اللاجئين
وتلطم الأطفال والعاجزين
فكم تلويت لدى الموسرين
فراؤهم تصفع منك الجبين

وخمرهم تصرع برد السنين

وأنت من خلف زجاج القصور
يلهبك الكأس ودفء الفجور
وساسة حول عرايا الصدور
وكل ما يشغلهم من أمور

غانيه تسعى .. وكأس تدور

يا ليل كم في الشرق من موسر
يبدد الأموال في الميسر
وفي سبيل الجسد الفاجر
وحشرجات اللاجيء العاثر

تلهب فيه شهوة السادر

يا أيها اللاجيء ماذا أقول ؟ !
أسلمك اللؤم لغول السيول
والشرق ألغى ساكنوه العقول
فانتظروا الغرب ليوحى الحلول

وانغمسوا في مخزيات الخمول

عبد الرحمن ياغي

الكبرياء السليب

الى التى كانت تسير فى فناء
الكليه . . . مبعثرة المصير !

وطاف شبابك بين الجموع . . وفى الثغر بسمتك الحائرة
ونظرة عينيك تبديك بلهاء ليست بدنياهم شاعرة
فقدت معانيك بين الجموع . . وضاعت أنوثتك الحائرة
وروحك هذا البرىء الطهور تململ من نفسك الصاغره

* * *

وحين تمرين . . ألوى عنانى ، وأحبس دمعتى الراثية
واوشك يوما أمد يدى ، وأفصح عن رغبتى العاتيه
وأشرح حبى . . حبى الكبير . . لكل الأناسى فى دربيه
واعلنها فى حنان دفوق يضج صداها بأعماقيه
بانك أختى . . تركت هناك رفيقتك الغضة الناديه
على صدرها انبثقت زهرتان ، وفى ثغرها ابتسمت أغنيه
وفى خطوها مثلما تعرفين . . حنين الى الكرمة الحانيه
ملدت لها من فؤادى الحنان ، وهدهدة أحلامها الشاجيه
وعشت أراها . . بكل رفيف من الغيد تحضنه الرابيه
فأترعن قلبى من كأسهن . . وألهبن روحى وقيثاريه

* * *

وأنت . . . بمعشوشب فى الفناء تمشين كالزهرة المشرقه
كطاووس يختال بين الرياض . . تحدى النواظر أن تعشقه
فلو أنت . . صنت الجمال الجميل . . لجنت بك الأعين المحدقة
وهام بمحرابك العابدون . . وأومت رؤوسهم مطرقه

* * *

ولكن . . تناسيت . . أنت السنى ، ونفح الرياض ، ولعنى الجمال
واغنيه فى الشفاه الطهورة . . أشجت بها صبوات الليال
لكم رقرق العابدون الضراعة لله فى نشوة وابتهال

فانت .. وانت الجميـــلة . . روح من الخـــند طافت بنـــا
ترفين فى مهـــج الأنقيـــاء رفيف السنى وانطـــلاق المنى
ونلمح أما خطرت جمـــال الغيوب فتهفـــو قـــلوب لنـــا
ونرنو عيـــونا ، ونصغى مليا الى الوحى .. رن صداه هنا

* * *

فيـــاغنوة من ضفاف الخلود تنـــاسيت ألحانك الســـاميه
ارقت جمـــالك عبر الدروب فهـــان جمـــالك يا أختيـــه
ولم أر قبلك زهرة روض تطـــوف بالنحـــل مســـتجديه
ويسرى اسمها فى شفاه الرفاق .. كالعار ، كاللفظة النابيـه

* * *

ولولا اغترابى عن النـــاس والوحـــدة الصـــلدة القاســيه
والفى لعـــالم روحى البعيـــد ، ونجوى شـــجونى وأوهاميه
لأهرقت عند خطـــاك الدموع وذوبت روحى وأشـــجانيـه
ووزعت قلبى عبـــر الدروب ليخفق تحت الخطى الوانيـــه
ويمنحك الكبرياء السـليب ، ويعلو بهـــامتك العـــانيه

أنس داود

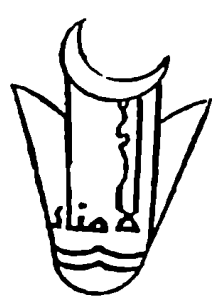

ربيع الشاعر

صفق الروض للربيع ولاحت ... بسمة الفجر فوق ثغر الورود
نبه الورد من سبات عميق ... فصحا الورد بعد طول الرقود
يملأ الكون من شذاه عبيرا ... شاعرى النسيم عذب الورود
وانحنى الغصن فى جلال يناجى ... شادى الدوح بعد طول الصدود
قال : يا حلو أين حلو الأغانى ... والغناء .. الغناء سحر الوجود
اصدح اليوم يا طروب وغرد ... للربيع الضحوك عذب النشيد

***

فمضى الصادح الطروب يغنى ... فوق همس الغدير لحن الخلود
يملأ الكون أغنيات عذابا ... حافلات بكل معنى جديد
وخرير الغدير لحن شجى ... ذكر القلب بالحبيب البعيد . .!
هاج بالقلب ذكريات حسانا ... وحنينا الى قديم العهود ..

***

ليتنى كنته لأسرى وأروى ... غلة الوجد فى اهتصار النهود
خمرة الروح فى شفاه العذارى ... وربيع الشباب فى ظل رود . .
فاملأ الكأس من هواها ورجع ... غنوة الشوق بين نای وعود
واسقنيها فلست أهوى سواها ... ودعوها تفك عنى قيودى
فأنا الشاعر الطروب المغنى ... أعبر الأفق كالهزار الشرود..
أصف الكون ، والحياة ، وأفنى ... فى غنائى وعبقرى قصيدى. . .

فتحى سعيد

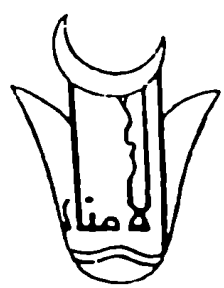

أمرأة فى الظلام ...

قصة : صدقى يحيى

لقد خنت زوجى وما كان يستحق منى هذا الغدر المشين .. كان طيب القلب كريم النفس عطوفا رحيما ، أحبنى فخنته وأكرمنى فغدرت به ولوثت اسمه وشرفه وسمعته . لست أدرى كيف حدث منى كل هذا ولا لماذا حدث وماذا كنت أريد من الدنيا بعد أن وهبنى الله زوجا تحلم كل امرأة فى الوجود بلحظة تمضيها الى جواره . فقد كان جميلا أنيقا جذابا وكان مثلا رائعا للرجولة الكاملة ومع هذا كله . خنته . خنته فى لحظة طيش جمعتنى بشاب من أقاربى كانت تربطنى به قبل زواجى صلة حب .. جاء هذا الحبيب القديم لزيارتى فى غياب زوجى .. ولما شعر بخلو البيت تقدم نحوى فى جرأة العارف بمسالك الطريق ، وصوب الى نظرة مشحونة بكل ما فى ماضينا من عبث ومغامرات ، ومد يده ليضعها على كتفى وكأنه الظمآن الذى وصل بعد رحلة طويلة الى النبع الذى يشرب منه ويرتوى .. كنت ضعيفة ، ضعيفة أمام نظراته وأمام جرأته التى استمدها من ماضيه معى فاستسلمت .. ولم أتنبه الا على صرخات زوجى الذى فاجأنى وأنا أدنس فراشه فطردنى طردا .. ثم ألقى فى وجهى بقسيمة الطلاق . .

ولما وجدت نفسى فى الشارع تبينت مدى بشاعة ذلك الجرم الذى ارتكبته فى حق زوجى الكريم . فأقسمت أن أنتقم له من نفسى التى خانته وغدرت به فحكمت عليها بالذل والعذاب ، وألقيت بها فى أتون الشقاء لاسقيها كأس الهوان ، وحكمت على جسدى بالمهانة بعد أن دنسه الشيطان .. وكان تنسيقا عجيبا من القدر أن تطفأ شموع سعادتى وهنائى فى نفس الوقت الذى أطفئت فيه أنوار الناس جميعا فامتزجت ظلمات نفسى بظلام شامل تعثرت فى دياجيره الرجال وذلت فى حلكته النساء .. حدث هذا عام ١٩٤٠ ، يوم كانت القاهرة بشوارعها وميادينها وحدائقها وفنادقها وملاهيها وكل شبر من أرضها مسرحا لأبشع قصص التهتك والفجور .. ظلام وخمر ، خوف ورعب ، قلق ومغامرات ، سلب ونهب ، أموال تأتى من حرام لتنفق فى الحرام وجنود الحلفاء المتنافرة الالوان واللغات والعادات

قد انتشروا فى شوارع المدينة الكبرى كانتشار الجرائد ساعية وباحثة عن المتعة بين أحضان النساء .. انهم يحاولون جميعا أثناء اجازاتهم النادرة الخاطفة أن ينسوا لحظات بعض ما هم فيه من عذاب مقيم .. ان كل محارب من هؤلاء كان يحس فى قرارة نفسه أنه على موعد مع الموت ، فقد يرحل الى الجبهة بعد ساعات ، وقد يظل بها الى أبد الآبدين كومة من عظام تضمها حفرة نائية تحت رمال الصحراء .. وكان يدفعه هذا الاحساس لان يجرى لاهثا وراء المتعة فان صادفته انقض عليها انقضاضا وأنفق فى سبيلها كل ما بجيبه من مال غير مبق على شىء لغده الذى فى الغيب .. وقد برهنت الاحداث فى ذاك الحين أن المادة هى أقوى وأمضى سلاح يمكن أن يوجه ضد حصون الاخلاق فيدمرها تماما ويحيلها الى خرائب وأطلال فقد طويت فى تلك الحقبة من الزمن جميع الصفحات التى تتغنى بالفضيلة والشرف والامانة بعد أن أحس الشعب الفقير الجائع أن كل هذه المثل أصبحت كالعملة الملغاة التى لا يمكن التعامل بها فى سوق صاخبة يديرها الشيطان فالقت الفقيرات بأطباق الفول فى عرض الطريق وخرجن ليتذوقن طعم أشياء أخرى شهية ولذيذة سمعن عنها من الاخريات ، ومزقن ثيابهن الرخيصة بعد أن رأين معاطف الفراء الغالية الثمينة تجتاز نطاق الفقر وتأتى اليهن على أكتاف الصديقات والمعارف والقريبات .. وامتلأت شوارع القاهرة بأسراب من المساقطات يطاردن الجنود فى المواخير والحانات ، وقدر لى أن أكون واحدة منهن ... كنت أختلف عنهن فى شىء واحد فقط ، أنهن جميعا قد جئن سعيا وراء الربح المال ، أما أنا فقد جئت سعيا وراء العذاب والذل والهوان .. ألقيت بجسدى وأنوثتى وشبابى وجمالى فى هذا المستنقع الآسن لا لالعب وألهو وأربح ولكن لاتعذب وأشقى وأبكى ، جئت باحثة عن الذل طالبة منه المزيد . كنت سعيدة بعذابى أتقبل صنوف الهوان وكأنها الامنيات العزاز التى أحلم بها وأعيش لهـا ، ركلت بالاقدام ، صفعت ، بصق فى وجهى وأهدرت انسانيتى فكنت أستعذب كل هذا الامتهان وأفرح بعذاب نفسى وأصرخ من أعماقى قائلة لليالى هات .. هات ما عندك ، أما جسدى فقد جافيته ، تخليت عنه تركته بالطريق وكأنه متاع ضائع لا صاحب له يحميه ولا حارس عليه يحرسه .. تركته فى متناول الرجال جميعا حتى الضائعين منهم والنكرات .. لم أضن به على شريد قذر ولا فقير جائع ، أعطيته لكل من طلبه وأسلمته رخيصا وسهلا لكل من أشقاه ، وكان هدفى الاوحد أن أتخمه بالخطيئة التى أحبها وأن أقتله بها .. حدث ذات يوم أن كنت جالسة بالحانة التى كنت أعمل بها وقد انهمك ماسح أحذية دميم الخلقة

رت الثياب قذر اليدين فى تنظيف حذائى وقد لاحظت أن يد الرجل تتحرك على الحذاء بصورة آلية وبدون وعى منه ·· بينما تسمرت عيناه على سيقانى العارية أمامه وقد بدت فيهما الرغبه متقدة واضحة .

انسان واحد فقط ضننت عليه بذلك الجسد الرخيص ·· حرمته منه رغم كل محاولاته ورغم دموعه وتوسلاته ، ذلك هو الكابتن بكنل ·· أو كابتن جيمس كما كنا نسميه وذلك لانه كان صورة تكاد تكون طبق الاصل من الممثل السينمائى الشهير جيمس كاجنى ·· كان كابتن جيمس يعمل بقوة البوليس الحربى البريطانى التى كانت مقيمة بالقاهرة ، وكان انسانا لطيفا ومهذبا وشديد العناية بمظهره وهندامه ، لقد أحبنى حبا صادقا ، وضحى من أجلى بالكثير وغمرنى بعطفه ومع هذا كله لم أتن ولم أعطه ما أراد لقد ضايقه منى هذا التمنع فاشتعلت فى نفسه نار الرغبة الجامحة واندفع نحوى مقهورا وبذل المستحيل فى سبيل اقناعى وأخيرا حاول اغرائى بالمال فغامر وسرق ووضع بين يدى مئات الجنيهات ولكنى رفضتها مستخفة ولم أحد عن موقفى ، فلم يجد المسكين أمامه سوى الاستسلام لرغباتى وقبول صداقتى البريئة التى فرضتها عليه ·· اننى ما كنت أكره كابتن جيمس بل بالعكس كنت أحبه وأعجب به فقد كان جميلا ومرحا وخفيف الظل ولكنى حرمته من جسدى لرغبة كانت فى نفسى ، وقد تبدو تلك الرغبة سخيفة ومثيرة للضحك والسخرية لو أننى صرحت بها أمام الناس . فليس لامرأة ساقطة مبتذلة رخيصة مثلى تعيش بين المواخير والحانات أن تتحدث عن الحب الشريف والصداقة البريئة ·· ولكن بعد أن تدهورت هذا التدهور المشين كان من المؤلم أن أشعر أن صلتى قد قطعت نهائيا بدنيا الشرف والشرفاء ·· لهذا حاولت جاهدة أن أبقى على هذا الخيط الرفيع الواهى الذى يربطنى بها لارضى آدميتى وأقاوم به ضميرى كلما تمرد على وثار ·· أحببت الخمر بل أدمنتها ، وجدت فيها السلوى والعزاء كنت ألجأ اليها كلما هاجمنى الشجن وشعرت بضعفى أمام بؤسى وتعاستى كانت تمهد أمامى طريق الهروب من واقعى المرير المشين وتغوص بى الى أعماق العالم الساخر الماجن الذى ترديت فيه وتدفعنى للفرار بعيدة عن النور والدنيا والناس وشقائى ·· عشت والكأس الى جوارى كلما فرغت ملأتها وكلما امتلات شربتها وهكذا دواليك الى أن أفقد الشعور والاحساس وأنطلق ساخرة بعارى ودنسى وسقوطى وأتحول الى امرأة ماجنة وقحة مستخفة بكل مافى دنيانا من مثل وقيم وأخلاق وتلتف من حولى الجنود لتنهش جسدى اليتيم الذى قدر له أن يحرم من الأم التى تصونه وترعاه وكأنهم الغربان التى تتساقط على جيفة ملقاة فى طريق مهجور ·· واذا ما انتهى الليل أو كاد أكون بسبب الافراط فى السكر قد وصلت الى درجة الانهيار ·· أفقد

صوابى وأفقد القدرة على الاتزان وتنتابنى حالة نفسية مريرة ، أهذى وأثرثر وأبكى وأضحك وألقى الكلام جذافا وأكفر بالدنيا وبالوجود ، ثم تتكرر المهزلة المثيرة التى تعود رواد الحانة على رؤيتها فى نهاية كل ليل ، يكون قد حان الموعد المقرر لغلق الحانة والعمال والخدم يستحثون الرواد على الانصراف .. وأنا منكفئة أبكى وأصرخ وأضرب المائدة بقبضة يدى طالبة المزيد من الخمر ، ويضطر أخيرا صاحب الحانة الى اخراجى بالقوة فيأمر عماله بذلك غاضبا فيتجمعون ويرفعونى وأنا أصرخ وأولول وألعنهم وألعن رئيسهم والناس جميعا الى أن يلقوا بى فى عرض الطريق .. فأنهض يائسة وأخطو ثملة مترنحة وأرى أمامى الطريق الطويل المظلم الموحش وكأنه السرداب المؤدى للابدية وأسير مستخفا بكلمات السخرية اللاذعة التى يطاردنى بها الحوذية وسائقى سيارات التاكسى وغيرهم من الرجال الشاردين .

وأخيرا وقبيل مطلع الفجر أكون قد وصلت الى الدار التى كنت أعيش فيها بمفردى بين شجونى وذكرياتى ، وبعد أن أفتح بابها وأضىء النور تواجهنى صورة زوجى الحبيب رأفت التى ثبتها على الحائط فى مواجهة الداخل .. فأتقدم نحو الرسم الحبيب وأطيل النظر اليه ثم أتهاوى على مقعد قريب وأنا متعبة خائرة القوى وصدرى يعلو ويهبط ورأسى لا تستقر مكانها وأرنو لصورة زوجى وأنا أقول ..

ـ من أجلك .. من أجل كل هذا العذاب ، انى أنتقم لك يا حبيبى . أنتقم لك من نفسى ، سأحطمها يا رأفت .. سأحطم تلك النفس التى قابلت حبك وحنانك بالغدر والنكران لن أرحمها يا رأفت .. لن أرحمها ولن أتركها الا حطاما ..

وهكذا ظلت ذكرى زوجى الحبيب عالقة بذهنى وخيالى حتى وأنا فى أشد حالات الكرب والاسى .. لقد حاولت جاهدة أن أنساه ، وأن أمحو ذكراه من قلبى وفؤادى بعد أن تبينت أن المدى بينى وبينه أصبح بعيدا . كنت وأنا فى الحضيض أخجل من أن أذكر أننى كنت يوما ما زوجة للملازم أول رأفت وحيد الضابط بسلاح المدفعية ، كنت أخجل من نفسى ومن عارى ودنسى وسقوطى ، ولكن الطيف الغالى أبى أن يفارقنى .. عاش معى والى جوارى بل بين أحضانى ، كنت لا أنام الا وصورته أمامى أرنو فى حنين وشوق لعينيه الحالمتين ، وشعره الاسود المموج اللامع وشاربه الانيق الجذاب وأنهال على الصورة تقبيلا وأنا أبكى وأنتحب ، وأظل كذلك الى تنتابنى حالة نفسية مريرة أشد شغرى وألطم وجهى وأضرب الوسائد بقبضة يدى لائمة نفسى الطائشة التى خانت أجمل رجل فى الدنيا . وكنت كلما هدأت اتساءل بينى وبين نفسى فى حزن وأسى وندم هل قدر لى أن أحرم من رؤية زوجى الجميل الى الابد .. لا تسعدنى الايام برؤياه ولو مرة واحدة

قبل أن أموت وأنتهى ·· اننى على أتم الاستعداد لان أهب ما تبقى لى من عمر لقاء لحظة وجيزة أقضيها معه وأرى فيها وجهه الوسيم الفاتن ·

ومرت الايام والليالى ·· الى أن جاءت ليلة كنت فيها على موعد مع الكابتن جيمس فذهبت للقياه وقد كانت القاهرة كعهدنا بها فى الليل حركة دائبة رغم الظلام القاتم ·· وقفت فى انتظاره فى المكان المتفق عليه بجوار محطة الاتوبيس · ولما طالت وقفتى استندت بظهرى على العلامة المميزة للمحطة وشردت بأفكارى بعيدا ·· وفجأة تنبهت على صوت حبيب يأتينى من الخلف ، صوت جميل لم ولن أنساه ، انه صوت رأفت زوجى حبيبى ·· يا لسعادة قلبى ، رأفت هنا والى جوارى يغازلنى بأسلوبه المهذب الرقيق الساحر ويهمس فى أذنى بأجمل عبارات الحب والاعجاب ·· توالت دقات قلبى سريعة متلاحقة وأحسست وكأن الارض بدأت تميد تحت قدمى ولكنى قاومت ضعفى وجاهدت كى أتمالك أعصابى وتعمدت أن لا ألتفت نحوه ، تركته يتكلم ويتكلم ويتكلم · ما أجمل صوته وما أرق عباراته · انه قطعا لم يتبين ملامحى ولم يعرفنى بسبب الظلام ·· انه لو عرفنى سوف يبصق فى وجهى وينصرف ، ولكن لماذا أتيح له فرصة يعرفنى فيها ·· لماذا لا أسرق منه لحظات أسعد نفسى خلالها بسماع صوته الحبيب الذى حرمت منه أمد بعيد ·· سأسرق حنانه ، وسأسرق حبه بل سأسرقه هو نفسه لقد سبق لى أن خنته مع غيره فماذا لو خنته مع ذاته ؟ سأمضى معه ولو بضع دقائق وستكون تلك الدقائق أعز ما فى عمرى وليكن بعدها مايكون ملت برأسى للخلف وأسندتها على علامة المحطة وأغمضت عيناى وأسلمت له أذنى ليسكب فيها بصوته الحنون أشهى وأحلى وأروع كلمات الحب والغرام ·· كلمات أسكرتنى ونقلتنى بكل جوارحى الى الماضى الجميل أيام الخطوبة لهانئة ، ليلة زفافى ، فراشى الحبيب ، شهر العسل ، والى جوار هذا كله زوجى رأفت حبيبى ، رحت وأنا مسبلة العينين فى نشوة رائعة ولذيذة وكأنى فى حلم جميل لا أريد أن أصحو منه · ولعل هدوئى قد شجعه فشعرت بيده تمتد وتتأبط ذراعى ·· أحسست برعشة تنتاب كل أوصالى ولكنى استسلمت فى هدوء وخطوت الى جواره والفرحة تكاد أن تقتلنى ·· وكان جميلا أننى لمست أنه يقودنى دائما الى النواحى المظلمة وينأى بى عن الاماكن التى ينبعث منها بصيص من نور · لست أدرى أجاء هذا منه عمدا أم حظى السعيد هو الذى أراد أن يطيل فترة بقائى معه والى جواره ، كنت أجاوبه بكلمات مقتضبة قدر استطاعتى حتى لايتنبه لصوتى وتركت له الحديث ، فأخذ يحدثنى عن نفسه وقد اغرورقت عيناى بالدموع وتمزق قلبى حزنا عند ما سمعته يقول :

ـ اننى يا عزيزتى انسان معذب ·

لقد تعبت فى البحث عن القلب الرحيم الذى يحبنى ويعطف على .. ولست أدرى هل سأجد ذلك القلب أم ستمر أيام عمرى وأنا وحيد بين آلامى وتعاستى ..

ضغطت على ذراعه فى حنان وقلت:

- ألم تحب ؟ فأجاب :

- أحببت .. وكان حبى الاول والاخير ، أخلصت لها الود وتزوجتها ولكنها خانتنى فافترقنا ولم يمض على زواجنا سوى بضعة شهور . ولست أعلم أين هى الآن .

- وان رأيتها ؟

- أننى فى الواقع مشوق اليها .. من يدرى قد تغلبنى عواطفى ويهزمنى حنانى وينسينى ما كان ..

كدت أصرخ ، كدت أن أقفز وأتعلق به وآخذه بين أحضانى وأهتف من أعماقى رأفت . رأفت زوجى حبيبى ولكن قبل أن أفعل فوجئت بانسان يحتك بى ويلكزنى بذراعى لكزة شديدة وهو يمرق من جوارى كالسهم انه كابتن جيمس ، لقد رآنى مع غيره فحاول أن يلفت نظرى وأخذ يحوم حولى من بعيد ، لقد ثارت أعصابى واشتد بى الغيظ ووددت لو أمكننى أن أقتل ذلك المخلوق الذى جاء ليعكر صفو أجمل لحظات عمرى .. ولكنه ابتعد عنى فى رشاقة القط المشاكس ثم شغلنى عنه حديث رأفت الذى أردف قائلا :

.. نسيت يا عزيزتى أن أقول اننى كنت ضابطا بسلاح المدفعية . وبعد فراق زوجتى أحسست أن حياتى بدونها أصبحت جحيما لا يطاق .. وأصبحت تافهة لا تساوى شيئا ، وقد ولد فى هذا الاحساس روح المغامرة والطيش والاندفاع ، أصبحت أستخف بالموت وأتحداه وأسعى بنفسى اليه . وحدث أن عثرت بجوار معسكرنا بجهة العامرية على قنبلة محرقة لم تنفجر ، فالتقطتها رغم تحذير زملائى الضباط ونقلتها الى المعسكر حيث أخذت أعبث بها ، وفجأة انفجرت فى يدى وأشعلت وأحدثت وهجا وامضا فأصابنى بحروق شديدة ولكنها ولسوء حظى لم تقتلنى بل قدر لى أن أعيش بعدها لاتعذب وأشقى .

لم أعد أحتمل صبرا على السكوت، لقد أحسست كأن حرابا قاسية تمزق نياط قلبى بعد أن سمعت حديثه ، أريد أن أتكلم .. أريد أن أواسيه ، أريد ن أمد يدى لاضمد جراح نفسه ، ولكنه وقف قليلا ثم استأذن منى لحظة ليشترى لنفسه سجاير من محل كنا قد وقفنا مامه ، وكانت مسدلة على واجهته ستارة قاتمة لتحجب الضوء . تركنى وحيدة ودخل الى داخل المحل . وقد رأيت أن أستغل تلك اللحظة لافكر سريعا وأرتب خطواتى . ان رأفت ما زال يحبنى فلماذا أترك الفرصة تفلت من يدى لماذا لا أكشف له عن حقيقة نفسى فقد تغلبه عواطفه ويعفو عنى وتسدل

الستار على قصة تعاستى وأعيش الى جواره ما تبقى لى من عمر مخلصة وفية وأكفر عن خطيئتى وأعوضه من حبى وحنانى كل ما قد فات .. نعم يجب أن أفعل هذا من أجله ومن اجل قلبى ثم التفت نحو المحل وكانى أستحثه على العودة الى فقد خيل لى أنه مكث بالداخل أكثر من اللازم .. أريد أن أرى وجهه الجميل ، شعره الاسود الموج اللامع ، عينيه الحالمتين ، شاربه الدقيق الانيق الجذاب ، ان رأفت حبيبى هنا على قيد خطوات منى .. فخطوت نحو باب المحل مندفعة بكل عواطفى وطاب لى أن أختلس النظر اليه من الخارج وأرى وجهه المشرق الوسيم وهو واقف بالنور داخل المحل وفى زاوية من الباب مددت يدى فى حذر وجذبت جزءا صغيرا من الستارة ومللت برأسى متلصصة وأنا أرنو من الفتحة الصغيرة الى الداخل .

وما أن وقع نظرى على وجه رأفت حتى أحسست بدوار مصحوب بهلع وخوف ، حاولت أن أصرخ ، حاولت أن أجرى وأستغيث ، ولكنى تسمرت فى مكانى وكأنى أعانى كابوسا مخيفا أفقدنى القدرة على الحركة والكلام . يا لرأفت التعس المسكين . ان جمال وجهه قد تحول الى دمامة ، ووسامته قد تحولت الى قبح وأحالته أقداره الشقية الى مخلوق بشع الوجه من هؤلاء الذين لا يمكنهم أن يعيشوا الا فى الظلام بعيدين عن أعين الناس . ان القنبلة قد أحرقت وجهه وشوهته تشويها بشعا لا تستريح عند النظر اليه العيون . فتحولت بشرة وجهه الجميل الى طبقة رقيقة من الجلد اللامع المشدود ولم يبق من عينه اليمنى الا بؤرة مخيفة واحترقت شفتاه وبرزت منهما الاسنان فى شكل مرعب وضاع شعره الاسود الموج الجميل ، تشنجت يدى القابضة على الستارة . وكادت أن تقتلعها ، وكدت أن أسقط لولا أنى شعرت بيد تمتد نى وتتأبط ذراعى وتجذبنى الى الخارج .. ثم تنبهت على صوت كابتن جيمس وهو يقول :

ـ انه انسان تعس وشكله كئيب لا يطاق .. أليس كذلك ؟

فقلت وأنا أخطو الى جواره :

ـ نعم ..

وفى أحد الفنادق طلبت خمرا ، وشربت وشربت وشربت الى أن ثملت ودارت بى الدنيا فانتصبت واقفة وأنا أصرخ من أعماقى وأنظم وجهى وأمزق ثيابى ثم مددت يدى ورفعت كأسى وحطمتها على الارض وتهاويت على الفراش وتركت جسدى لكابتن جيمس الذى تولى قطع الخيط الرفيع الواهى الذى كان يربطنى بدنيا الشرف والشرفاء .

الحظ ...

قصة : مصطفى الأسمر

امام قرية عزبة البرج فى أقصى الشمال وقف الرجال بجوار شاطىء النيل وخلفهم وقفت النسوة والاطفال وهم يتأملون جميعا فى نشوة وأمل أسطول صيد السردين المكون من عديد الزوارق المكنية الصغيرة ومياه النهر المحملة بالخير تداعبها فتتمايل فى بساطة وجمال .

وعزفت الموسيقى النحاسية مقطوعات شعبية متوارثة فانطلق الاطفال يرقصون على نغماتها فى سعادة وايقاع - بالرغم من صغرهم - فى ضوء بعض الكلوبات التى علقت فى ساحة قطرى لتظهر خيالاتهم طويلة نحيلة التوديع ..

ودارت محركات مكن الصيد مدة قبل أن تنطلق مثيرة تموجات زبدية بيضاء علت صفحة ماء النهر الطمييية الحمراء فاسرعت الموسيقى فى عزفها وارتفعت الايدى - عشرات الايدى - تلوح بالمناديل البيضاء وتودع رجال المراكب كلهم بلا استثناء بينما امتلأت عيون النساء بدموع ساخنة سرعان ما تساقطت على وجناتهن الضامرة غزيرة عند ما تلاشت صور الرجال عنهن واختفت مراكبهم فى ظلام الليل لا يظهر منها غير أنوارها .

وعبرت المراكب فى مجموعات بوغاز رأس البر وأنوارها الصفراء والحمراء والزرقاء تعلو صواريها فتضفى عليها وتكسبها شكلا أسطوريا فريدا ، واستقبلتها أمواج البحر تلطم جوانبها فى قسوة وعنف عند ما هبت بعض رياح سبتمبر الباردة فاهتزت وتمايلت بادىء الامر ثم اعتدلت وتفرقت فى مجموعات صغيرة اتجهت كل منها وجهة معينة حسب تعليمات الريس وتوجيهاته فانحرفت مجموعة منها الى اليمين وأخرى لليسار وبقيت مركب واحدة بمفردها كانت هى أصغر المراكب وأقلها بنادير وأنوارا فاتجهت دون غيرها الى الشمال وقد نشط رجالها وظهر على سطحها الصغير يعملون فى همة ونشاط وهم يتعاونون معا فى اعداد الشباك وتهيأة أجولة الملح وباقى معدات الصيد الاخرى وقد ربطت بينهم آمال واحدة مشتركة ، فالكل كان يأمل أن يكون موسما حافلا بالخير ليحقق

أحلامهم ومطالبهم وماكان جابر يختلف عنهم فى هذا فهو الآخر كانت له آمال وأمانى كانت دائما ولا تزال شغله الشاغل من خمسة أعوام ٠

فكلما أقبل موسم السردين انضم أجير يعمل على أحد المراكب ، ومنذ عمل فى البحر ولم يعمل أبدا على مكنة واحدة موسمين متتابعين ، دائما كان ينتقل من مكنة لاخرى ليس هذا برغبته بل رغما عنه فقد كانت المركب التى يعمل عليها يلازمها سوء الحظ وتلاحقها الكوارث ٠٠ حتى أصبح فأل سوء ومن أجل هذا لم يكن جابر يجد عملا كلما أقبل موسم جديد الا بصعوبة وجهد ٠٠ كان يدور على الجميع يعرض عليهم نفسه تارة يستعطفهم ويرجوهم وأخرى يلح عليهم كى يقبلوه معهم حتى ولو بنصف أجر ٠

وتنهد جابر وهو يذكر كيف حصل على عمل هذا الموسم ، مر على كل واحدا ٠ فلم يترك رئيس مركب ولم يمر عليه ويستعطفه ويبكى أمامه ويقسم له أنه لادخل له بتلك الكوارث اطلاقا ٠٠ ولكنهم جميعا أشاحوا عنه وأعرضوا ، وحاول جابر من جديد وفشل ، ودار يستعطفهم مرة ثالثة ورابعة وفشل ، وفى المحاولة الخامسة قبله رئيس هذه المركب التى يعمل عليها الآن وهو يقول : — هيه ربنا يعوض علينا ٠٠

وبالرغم من قوله هذا الا أنه لم يتمالك نفسه من الفرح فقبل يده ظهرا لبطن وترقرقت دموع السعادة فى عينيه ، كان سعيدا مع أن الكل يهرب منها للأبد وضعف مكناتها ولاعتمادها على نفسها فقط ٠ فقد كانت تخرج لرحلات الصيد بمفردها لا تجد صاحب مركب يقبل أن يزاوج مركبته معها ٠

وتأمل جابر القمر الذى ظهر وهو يملأ بأشعته السماء وصفحة البحر فتظهر أمواجه وكأنها أشرطة فضية مصقولة تسبح فيه ٠٠ كان كل ماحوله جميلا هادئا ، السماء ، البحر بأمواجه ، أنوار المركب القليلة ، أعلامها التى تخفق بأعلى الصوارى ، حتى زملاؤه ، صوت الامواج وهى تلطم المركب فى نغمة موسيقية ٠٠ كان كل شىء حوله مبهجا جميلا ، فرفع وجهه للسماء وتمنى من الله أن يقف بجانبه هذه المرة ٠٠ فهذه هى الفرصة الوحيدة الباقية أمامه وبعدها فلن يقبله أحد ، سيتحاشاه الجميع حتى أهل القرية سيعرضوا عنه وعندها فلن يبقى أمامه الا مغادرتها ولكن الى أين يذهب ٠؟ أنه لا يدرى كل ما يعرفه أنه يريد أن ينتصر على ذلك الحظ المجهول الخفى ٠ أن يثبت لزوجته ، ولاطفاله ، ولاهل القرية أن بوسعه أن يعمل وينتصر على ذلك المجهول ٠٠ أن يعرف الجميع أن لا دخل له أبدا فيما يحدث ٠٠ شهران فقط ٠٠ شهران فى السنة هما اللذان يعمل فيهما ومع هذا يستكثرونهما عليه ٠٠ شهران هما موسم السردين ومن دخلهما يصرف

على نفسه وزوجته وأولاده طول العام تنهد جابر فى أسى وخيل اليه أنه مسئول فعلا عما يحدث وان النحس يلاحقه ففى أشهر الصيف حاول أن يعمل برأس البر عاملا بادارة المصيف ولكنهم رفضوه ٠٠ جرب التجارة ببيع الليمون للمصطافين ولكنه خسر فى أسبوع كل رأس ماله ، حاول أن يصنع لنفسه وأسرته حظا ولكنه لم ينجح ٠ فماذا بقى له اذن غير أشهر الشتاء التى ما كان يجد فيها عملا الا صيد سرطان البحر وأم الخلول من شاطىء رأس البر ٠٠

وانتزعه من أفكاره وأحلامه صوت الريس وهو يردد فى أمل : السردينة يارجاله ٠ استعدوا ٠ اللهم اجعله موسم مبروك علينا ، وانتفض جابر ودب فى جسده نشاط وقوة وانضم للقطيع البشرى الذى أخذ يعمل متكاتفا فى أمل وهمة وصمت ٠ فألقوا بالشباك الى البحر ودارت المركب حول نفسها دورة كاملة ثم وقفت بعدها عن الحركة تماما بينما صمت الرجال وقد ارتسم على وجوههم قلق مبهم ٠٠ فما كان على المركب حركة أو صوت حتى صوت الريس : ـ شدوا الحبال يا رجاله ٠٠ والتقطت آذان الرجال الامر كأنها كانت تنتظره من زمن سحيق وأجيال عدة فتحركت الايدى تجذب الشباك فى عزم وقوة بحركات سريعة متصلة ولكنها فترت عند ما أحسوا بمقاومة شديدة ٠٠

وارتجف جابر وتذكر على الفور ـ أبو المعاطى ـ آخر مركب عمل عليها فقد لقى حينها مثل تلك المقاومة تماما قبل أن تبتلع السردينة الشباك وتفر بها ويلطم صاحبها خديه وهو يصرخ فى وجهه : ـ يا خراب بيتى ٠٠ انه يذكر تماما ما حدث ليلتها ، لقد كاد الجميع يفتكون به ٠٠ كلهم كانوا يعتقدون أنه وحده المسئول عن تلك الكارثة ٠٠ كلهم كانوا فى ثورة غضب عاتية يودون أن يلقوا به الى البحر ليلحق بالشباك الضائعة ولم يكن هو بأقل منهم غضبا وألما ، فقد كان بدوره حزينا يود لو ألقى بنفسه فى جوف البحر ليهرب بنفسه من نظراتهم وقسوتها ٠

ومرت هذه الصور الكئيبة وغيرها بذهنه وساعداه تلاقيان تلك المقاومة الشديدة ٠٠ وارتفع صوت الريس مذعورا : سلم ، يا رب سلم يا رب ٠ ثم نظر تجاهه نظرة نادمة حاقدة أشعرته أنه وحده هو المسئول ٠٠ خمس سنوات متتابعة وكل سنة تصيب المركب التى يعمل عليها كارثة ما ٠٠ فهل يمكن أن تكون هذه مصادفة ، وامتلأ جسده كله بالعرق وأحس بملوحة تختلط بدموع عينه وتؤلم وجهه بينما كفاه ماتتا على الحبل لا تريد أن تتخلى عنه غير عابىء بتلك الآلام القاسية التى تسببها له جروح أصابعه ٠٠ ومن جديد على صوت الريس مذعورا : آه ـ سلم ـ يا رب

سلم يارب ، وعقبه صمت كئيب ابتدات بعده المركب تتمايل وتهتز في عنف .. وفجأة وبصوت وجل تكلم جابر لاول مرة منذ عمل في مكنة لصيد السردين : ـ ارفع الخطاف وبحر المركب خلف السردينة من غير مكن يا ريس ..ولم يعترض احدفتحركت المركب تقودها تجعات السردينه والرجال من فوق ظهرها ينظرون في وجل للبحر وفيه كل آمالهم وحياتهم وسارت المركب وأيدى الرجال تقبض على الحبال لاتريد أن تتركها بالرغم من نهايتها المعقودة بالصوارى الخشبية وفجأة صرخ أحد الرجال وسقط على الارض وهو يصرخ وقد تشققت كفاه وامتلأتا بالدماء ثم سقط أحد الصوارى فأصاب الجميع الذهول وتبلد احساسهم وهم ينظرون لزميلهم الجريح والصارى المكسور كتماثيل حجرية لا حياة فيها وبقى هو الشخص الوحيد الذى يفكر ويتألم ويحس ويتمنى لو لم يخرج مع المركب أبدا..كان ما يزال يحاول أن يقنع نفسه أنه سبب هذه الكوارث ولكنه أبدا لم يستطع فنظر للريس في خجل وقال : ـ دور المكن وارجع بالمركب يا ريس ..

وأشاح الريس بوجهه عنه ثم نظر للسماء ورفع كفيه في ضراعة وابتهال وهو يردد في خشوع : ـ سلم .. يا رب ..

وتامل جابر الرجال حوله وهم مشدوهين مذهولين فامتلأ وجهه بالعرق وتساقط غزيرا من جبهته . هل يحرم كل هؤلاء من الموسم بسببه هو . ؟ ألانه خرج معهم يبحث عن رزقه يحرمون هم من ارزاقهم وأرزاق عائلاتهم؟ أيكون هو السبب ؟ أيقضون شتاء رهيبا قاسيا بلا مدخر يواجهون به صقيعه وقسوة برودته ؟ أيكون هو الحظ .. ولكن حرام ، حرام ، حرام هذا ، وبكى جابر في ألم ثم تبلد احساسه هو الآخر وتقلصت كفاه على الحبل وهو ينظر في شرود للسماء والماء والقمر وقد أخذ يتوارى خلف بعض السحب السوداء الكثيفة .. وثبتت عينه على السحب المظلمة والقمر يحاول أن يجد له من بينها منفذا يخرج منه بأشعته الشفافة وبعد محاولات عدة ظهر ضوؤه جميلا رائعا أخرج جابر من وجومه وشروده فنظر للريس من جديد وقال في عزم :ـ دور المكن ومشى المركب للخلف .. ولم يجب الريس فزعق جابر في وقاد المركب !مرا وسرعان ما دارت الماكينات هادرة ثم سارت المركب المخلف في بطء ولف جابر الحبل حول وسطه وابتدأ يجذب الشباك نحوه فلانت له بعض الشيء فصرخ في فرح : ـ السردينة تعبت يارجاله شدوا معايا ..وخرج الرجال من ذهولهم وابتدأت أيديهم تجذب الحبال في أمل حتى ظهرت أطراف الشباك مليئة بالسردين فصرخ الرجال فرحين وارتسمت على وجوههم ابتسامة متفائلة ودب فيهم نشاط عجيب كأنهم

أعطوا دماء جديدة حتى الجريح نهض بدوره يساعدهم ولكنهم ما كادوا يحسون بالمقاومة تبدأ من جديد حتى غاضت الابتسامة الحلوة من وجوههم وحل محلها رعب وخوف وعادت الحبال تنساب من بين أيديهم ليلتهمها البحر من جديد وجن جنون جابر فلف الحبل حول وسطه لفة ثانية وصرخ فى جنون يا الله يا رجاله ثم نادى بصوت عذب: هيلا هب هيلا . هيلا هب هيلا . وفعلت الكلمات فعلها فى الرجال فرددوها خلف جابر وابتدأوا يعملون من جديد فى عزم حتى ظهرت أطراف الشباك مرة ثانية فتأملها جابر فى فرح وتحسس جنبه الجريح ثم سقط على ظهر المركب غائبا عن الوعى ..

وعند ما أفاق كان فى حجرته وعشرات الرجال والنساء حوله وقبل أن يرد على تهنئتهم التقت عينه بعينى الريس فارتجف وبصوت واهن ساله فى ألم وأسف : — والشباك ياريس؟

وابتسم الريس فى سعادة وقال : كلها طلعت مليانة بالخير ياريس جابر يا سلام يا واد يا جابر أنا مكنتش أعرف ان حظك بمت كده .. كفايا ان مركبتنا هى الوحيدة اللى صادت ، وقبل أن يغمض جابر عينيه اطمأن أنه انتصر أخيرا على هذا الذى يسمونه بالحظ ..

بنك الادباء

يقدم

المسبحة الوردية

للكاتب الفرنسى : اندريه بيسون — ترجمة الدكتور محمد غلاب

مع الباعة فى كل مكان — وفى أكشاك الصحف ١٠ قروش

مقاييس تقديرنا ..!

أين حيثيات هذه الأحكام؟

★★★

بعد التحية والاحترام .. ابعث اليك انا ولفيف من الشباب النشط الحائر شكرنا على ما كتبت «الادب» عن مقاييس تقديرنا .. وقوانين تقديرنا .. وانها حبر على ورق ، ولكن مع الشكر جزعنا لما اعترفت به تلك المقالات من مآسى التقدير ومخازى الحكم ، والحرمان للمستحق ، والمنح لمن لا يستحق .. وقد اثارنا ذلك على الجيل الذى خاض تلك المآثم ، كما تقول ، وهممنا بأن نكتب اليك هذا الخطاب فى حدة وبعنف نحدد بهما مسئوليتك ومسئولية جيلك وما جناه بذلك علينا وعلى الاجيال الصاعدة كلها ، ولكننا فكرنا تفكير الشبان ، اى فكرنا فى الغد المستقبل لا فى الامس والماضى ، يعنى فكرنا فى اصلاح هذا المستقبل وارشدنا واحد منا له اتصال بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب الى ان لجنة تحديد المعايير للجوائز التقديرية قد اقترحت على ذلك المجلس الاعلى اسسا فى التقدير فسرت بها ما اشترطه قانون الجوائز من ان يكون لمن يمنح الجائزة التقديرية مؤلفات او اعمال او بحوث سبق نشرها .. وان يكون لهذا الانتاج قيمة علمية او فنية ممتازة وان تظهر فيه دقة البحث والابتكار، فجعلت طريقة ذلك ان تبحث اللجنة جميع اعمال المرشح سواء فى ذلك ما قدمت الهيئة وما لم تقدم وتستخلص منه جميعه النتيجة التى تؤدى الى منح الجائزة وانه يجب على اللجنة ان تبين فى تقريرها وجوه الامتياز وان تظهر القيمة العلمية الممتازة او نواحى الابتكار .

يا استاذنا المحبوب : اذا كان يجب وضع تقريريين وجوه الامتياز ويظهر القيمة العلمية فأين هذا التقرير عما منح ثم اين هو عما سيمنح ؟ اليس من حقنا نحن الشباب ان نرى هذه التقارير ؟ اليس من الواجب على الهيئة المختصة ان تنشر هذه التقارير ؟ انها ستكون حيثيات للاحكام الكبيرة الخالدة .

هل توافقنا يا سيدى الاستاذ على

لمطالبة بنشر هذه التقارير لانهـــا نعلمنا الحكم والتقدير ولانها تكون امثلة من النقد الدقيق والحـــكم السليم الذى نحتـــاج نحن الشبان الى ان نتعلم ونرى منه تلك الامثلة الممتازة ٠٠ ولابد ٠

نستحلفك بالفن،والخير ياسيدى الاستاذ ان تطالب معنا بنشر هـذا التقرير فاننـــا نسمع ونقرأ فى الصحف الكثير من التهريج المشبه لمـــا كان يجرى أيام الديمقراطية المزيفة قبل هذا العهد من الاعلانات والدعايات الانتخابية فمقال فـلان يكتسح ، وفلان ترشحه كذا وكذا هيئة٠٠والمؤلم المبكى أن نقرأ فى هذه الدعاية ان فلانا ابو المدارس كمـا تقول ثريا حلمى : أنا واد جـدع وابو البدع ٠٠٠ فهل عندنا مدارس بالجمع وهل للمدارس كلها اب ؟ ! طالبوا ياسيدى بنشر هذه التقارير ليصلح آخر هذه الحـــالة اذ فات الوقت والفرصة لاصلاح اولها ولا جدوى للكلام فيـــه الا الاستفادة فى اصلاح مستقبلها ٠

نحن لفيف الشبان الذين نمثـل الكثير من جيلنا المتطـــلع لمستقبل اسلم وانظف من المـاضى الذى له تلك المآثم التى سمعنا عنها ونحن منتظرون بتلهف سماع كلمتكم فى هذا الشأن ، وعفا الله عمـا سلف اذا كانت عبرته ستصلح ما يجىء ولك مع تحياتنا شكر جزيل

ابراهيم فتحى
عن لفيف من الشـــباب المحب للفن والخير والحق

---

(١) « الادب » نحن عند رغبـــة الشبان وقد كتبت « الادب » فعلا الى المجلس الاعلى تطلب ان يوافيها بتلك التقارير لتنشرها مغتبطة بذلك لأنها سجلات تاريخية ودراسات فى النقد النزيه ٠

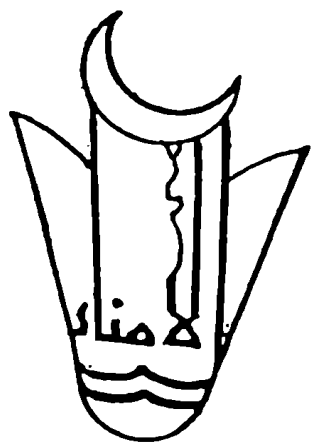

(فى النقد الادبى)

تكلم الدكتور محمد مندور فى حلقة «فنجان شاى» التى أذيعت فى ٢٤ يناير سنة ١٩٦٠ عن النقد الادبى . وقد صرح بأن الناقد ليس من الضرورى أن يجيد الفن الذى ينقده أو العمل الادبى أو الفنى الذى هو بصدد نقده ثم تكلم عن أن الناقد من الممكن أن ينقد أى فن مهما كان . وهذان الرأيان ينقصهما الاكتمال فى نظرى لسببين:

فأما بالنسبة للرأى الاول وهو عدم ضرورة اجادة الناقد للعمل الذى ينقده فهذا غير معقول بداهة ، فالناقد يجب أن يكون مجيدا للفن الذى ينقده سواء أكان أدبا أو فلسفة أو أى عمل فكرى بل أكثر من ذلك يجب أن يكون الناقد على صلة وثيقة بصاحب الاثر الادبى أو الفنى أو الفلسفى ومطلعا على معظم أعماله بل ونفسيته ونظرته الى الحياة وهدفه فيها واتجاهه نحوها حتى يستطيع أن يحكم حكما صادقا ولقد سبق الامام (الغزالى) الدكتور مندور وسبقنى كذلك فى هذا المضمار ووضع قواعد المنهج فى الرد على أى عمل أو أثر فكرى حين قال : « لا بد لكل من يتصدى لاظهار مفاسد علم من العلوم من الوقوف على منتهى ذلك العلم . فان رد المذهب قبل فهمه ضرب من العبث وأنه لا يقف على فساد علم من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك حتى يساوى فيه أعلم الناس به ويطلع على ما لم يطلع صاحب العلم من غور وغائلة) ذلك هو منهج الغزالى فى الرد الذى سبقنا بمئات السنين وهو منهج واضح مقنع الى حد كبير ولا نملك ازاءه الا أن نتبع خطواته التى تقودنا فعلا الى اكتشاف ذلك العلم أو ذاك الفن . وقد كانت هذه طريقة الدكتور نجيب بلدى أستاذ الفلسفة الحديثة بجامعة الاسكندرية فى محاضراته التى كان يلقيها علينا عن فلسفة ـ كانت ـ أو ـ سارتر ـ أو غيرهما من الفلاسفة المحدثين والمعاصرين . فقد كان يذكر لنا دائما أنه لم يستطيع أن يشرح تلك الفلسفات ويبين مواطن الضعف فيها والقوة كذلك الا بعد أن عاش فلسفة الفيلسوف نفسه وحياته وكأنه هو كانت ـ أو ـ سارتر .

فالامر اذن ليس كما ادعى الدكتور مندور بقوله أيضا فى حديثه بأنه لا يلزم للناقد أن يكون مجيدا للعمل الذى ينقده ، وكان مثاله على ذلك وبرهانه هو أنه لا يلزم أن أكون نجارا حتى أحكم على قطعة من الموبيليا بأنها قيمة أو لا ، أو أنها جميلة أو خالية من الجمال ولكن هل هذا صحيح حقا؟ الواقع أننى والنجار سواء بسواء فى نظرتنا النقدية من حيث أن كلينا له نظرة نقدية انسانية مشتركة قبل

كل شيء ، ولكن النجار يمتاز على أنا بأنه يفهم فى الصنعه والمهنة أكثرمنى أنا لا أنكر أن النجار ربما يكون ذوقه غير جميل ولكن مادة الشيء غير صورته • ومن هنا ظهر المنطق المادى الذى اعتبر الوجه الآخر والمكمل للمنطق الصورى فنحن نعرف أن القياس الصورى ربما يكون سليما من ناحية الشكل ولكن من ناحية المادةومطابقته للواقع والحقيقةوالاحسن فهذا ما لا يستطيعه المنطق الصورى ولذلك لا تكتمل المعرفة الحقيقية الا اذا تحققنا من الناحيتين الصورية والمادية معا •

أما الرأى الثانى الذى نادى به الدكتور مندور فهو أن الناقديستطيع أن ينقد أى عمل فنى مهما كان•وهذا الرأى يتضح قصوره • فالناقد الذى لا يجيد فنا كالموسيقى بل لا يعرف السلم الموسيقى ولاحتى لغة الموسيقى كيف يتسنى له أن ينقد العمل الموسيقى فى الوقت الذى هو بعيد كل البعد عن الموسيقى وأصولها وقواعدها ؟ صحيح أن الناقد له ذوق واحساس ونظرة جمالية وتقديرية ، تميزه عن غيره من الناس العاديين • ولكن هل هذا يغنى عن الالمام الكافى بالفن الذى سينقده ! ! واذن يتضح من هذا أن الناقد الادبى أو الفنى أو الفلسفى يستلزم الماما كاملا بالعمل الذى سنتعرض له بالنقد ، ثم يستلزم فى الوقت ذاته تخصصا الى حد غير قليل من جهة الناقد ، أو بمعنى آخر أن يكون النقد مستوفيا شرط المعرفة التامة بالعمل المراد نقده ••• ثم ثانيا أن يكون نقدا نوعيا غير عائم •

ثم هناك تشريح آخرفى النقد الادبى أو بمعنى أصح التزام يجب أن يضعه الناقد نصب عينيه ، ذلك الالتزام الجديد هو الاجابة على هذين السؤالين: على أى اساس يوجه النقد للعمل الادبى والفنى وأى نوع من النقد يكون ؟•

النقد الادبى يجب أن يوجه على أساس علاقة النتائج التى وصل اليها الاديب أو الفنان بالمبادىء التى شرعها هو أو التى نادى بها • النقد لايوجه على أساس النتائج فقط أو القيم التى نجدها نحن ، انما بصدد تلك المبادىء ذاتها التى شرعها الاديب أو الفنان ثم أيضا بصدد الطريقة التى اتبعها • فالاساس الذى يبنى عليه النقد هو بيان التناقض الصريح بين المبادىء التى ينادى بها المؤلف والنتائج التى وصل اليها ، ثم هناك الجزء الخاص بأى نوع من النقد يكون • النقددائما يجب أن يكون نقدا عقليا فلسفيا منزها عن العاطفة أو التحيز ، نقدا موضوعيا مبنيا على أسس نفسية شعورية واعية تخدم النقد لذاته ، وتحقق الغرض منه •

ع •ب

فى الرواية العربية

تأليف: فاروق خورشيد نقد: محمود ذهنى

فى فجر نهضتنا الثقافية المعاصرة كان اهم عمل يجب علينا القيام به هو التحلل من التزمت والتحجر الذين اصابا الادب ودراسته طوال عهود الجمود السابقة . وقد قامت الجامعة المصرية آنذاك لتضع هذا الهدف على رأس قائمة المسئوليات التى عولت على الاضطلاع بها . ولم يكن الامر من السهولة بحيث يمكن بين يوم وليلة تغيير الاسس القديمة واحلال الاسس الجديدة محلها . وانما كانت العملية تتطلب الكثير من الجهد والبحث للوصول الى الجديد ثم الى الكثير من الصراع والنضال لايجاد مكان له الى جانب القديم ، ثم الى مزيد من الجهاد حتى يظهر الحديث على القديم . يضاف الى هذا ان العمل نفسه لم يكن بالهين اليسير فان الطريق امامه لم يكن سهلا منبسطا خاليا من العوائق اذ انه فضلا عن الظروف السياسية غير المستقرة فان الازهر لم يكن يكتفى برعاية شئون الدين الحنيف وانما كان يبسط نفوذه على الدراسات الادبية كذلك .

ولكن الرعيل الاول من رواد الجامعة لم يأبهوا بكل تلك العقبات ، وساروا على الطريق فى جد ومثابرة واتجه كل منهم الى ناحية من النواحى الادبية يستكشفها ويعمرها . فكانت دراسة تاريخ الادب من نصيب الدكتور طه حسين الذى غير اسس دراستها ومناهج البحث فيها ووضع اول لبنة لذلك ممثلة فى كتابه « فى الادب الجاهلى» وصمد لصراع الازهر كما صمد لصراع السلطات السياسية الحاكمة حتى نجح فى مهمته ومهد الطريق امام الدارسين المحدثين وقادهم الى النهضة الادبية الحالية . اما استاذنا امين الخولى فقد وجه اهتمامه نحو البلاغة العربية التى ما ان ولدت فى العصور الاولى حتى تدخلت عوامل كثيرة فحولتها عن مجراها الطبيعى ودخلت بها الى منطقة سدود وعوائق جعلتها تتحجر على يد عبد القاهر الجرجانى واترابه ، فتصلنا متجمدة متصلبة لا تصلح لزماننا ولا تساير روح عصرنا . فشن عليها استاذنا امين الخولى حملته وكانت النتيجة كتابه القيم « فن القول » الذى يغير مفهوم البلاغة ويطوعها لمقتضيات العصر ويجعلها نقدا ادبيا فنيا لا مجرد قوالب ثابتة جامدة .

وليست المسألة مجرد تاريخ ادب وبلاغة ، وانما هناك الكثير من المفاهيم الادبيـــة تتطلب التغيير والتبـديل والخروج بها من جمـــود القديم الى نور البحث الحديث • وهناك ايضا الكثير من القضـــــايا الادبية التى وصلتنا فى صور ثابتة متزمتة تحتاج الى اعادة درسها بفهم ووعى جديدين ولعل اخطر تلك القضايا جميعا قضية « الشعر والنثر » فهى قضية ليست قاصرة على ادبنا العربى وحده وانما عانتها معظم الاداب الاخرى • ولكنها فى أدبنا العربى أخذت وضعا شاذا اذ اعتبر الدارسون الاقدمون أن الشعر هو الفن الاول للعرب ، ووجهوا كل اهتماماتهم اليه مهملين النثر اهمـــالا يكاد يكون تاما • وتبعهم فى ذلـك الدارسون المحدثون ، فكانوا اذا ما اضطرتهـــم الظروف الى التعريج على النثر اعتبروه فضلة للشعر وتابعـا له وطبقوا عليه نفس الاسس والمذاهب التى طبقوها على الشعر •

فليس من عجب ان نجد احـــد الباحثين المحدثين عندما تعـــرض لتاريخ النثر العربى ـ وكان من قبل قد عرض للشعر العربى ـ أخذ القوالب الثابته التى اصطنعها للشعر وصب فيها النثر صبا فاخضعه لمذاهب الصنعة والتصنيع بنفس المقاييس والاطـوال التى كان قد طبقها على الشعر ، ولذلك خرجت دراسته وكأنها محاولة لالباس فتاة جميلة ثوب رجل مسن

وتزداد القضيه تعقيدا حينما ننتقل من التعميم الى التخصيص متجهين نحو فن واحد من فنون النثر • فمثلا نجد ان القصة فى العصر الحديث قد تربعت على عرش الادب العربى بعد ان نحت الشعر عنه ، الامر الـذى يقتضى منا تسليط الاضواء على هـــذا الفن ، وتناوله بالدراســة ، والبحث عن أصـــوله وجـــذوره وتتبع تدرجه ونواحى تطوره • حينئذ نصـــطدم بالسدود التى اوجدتها المفاهيم القديمة المتحجرة ، فيسرع المؤثرون للسلامة المتوخون للسهولة ، القـــافزون الى ايسر النتائج واسهلها الى القول «بأن الفن القصصى الذى يتوهج اليوم بين فنون الادب العربى انما هو وليـد مراحل متعاقبة خلال القرن الماضى من ترجمة فمحاكاة فابتداع • وهذا الفن عندهم ان هـو الا ثمرة من ثمرات البعث الجديد الذى تمخضت عنـــه صلات الشرق بالغرب حـين اخذنا نصطنع مظاهر الحضارة فى شتى اســـباب العيش ومختلف الـوان الثقافات » • فهم اذن يعتبرون ان القصة الفنية دخيلة على الادب العربى ليس لها فيه نسب ولا امتداد ، وان انبثاق فجر النهضة الحديثة أخـذ يوالينا باضواء القصص الغربى فى مترجمات سرعان ما رحبنا بها واخذنا نطعم منها ثم حاولنا تقليدها ومحاكاتها حتى استقام لنا اخيرا طابع مستقل فيها يمكن ان نسميه باسمنا •

هذا الاتجـــاه الذى اسرع اليه الباحثون المحدثون بالنسبه للقصـة دفعهم اليه ايمانهم القديم بأن الشعر هو الفن القولى الاول عنـــد العرب ، وان ماوصلنامن نماذج قصصية قديمة فانها – على قلتها – لاتخضع لاسس البلاغة المتحجرة التى فرضها علينـا البلاغيون القدماء . ونحن – كمـا سبق ان اسلفت – قد ثرنا على هذين العاملين معا .

فاستاذنا امين الخولى حمـل المعول وحطـم تلك البـلاغة المتحجرة وفتح الطريق امامنا الى نقد متجاوب مع روح العصر . والدكتور طه حسين قاد الحملة ضـد تاريخ الادب وبث الشـك فى مراجعه القديمة التى كانت تعتبر من المقدسات ، وحمـــل لواء اعادة النظر فى أحكام كانت تعتبـر من المسلمات فوضعها تحت مجهر الفحص وأخضعها لاصول المنطق ومناهج البحث الحديثة .

فعلى هذا الهدى يجب علينا أن نعيد النظر فى أمر القصة العربية ، رافضين ما أجمـع عليـه الباحثون الطيبـون المسالمون من أنها مستحدثة ومنقولة عن الادب الغربى . فليس معقولا أن أمة كالعرب بلغ ادبها شأوا بعيدا فى الرقى والازدهار تعيش على الشـعر دون النثر . وليس معقولا ألا نجـد قبالة الشعر الجاهلى سوى سجع الكهان او ان يعيش الشعر العباسى الى جانب الرسـائل الديوانية وحـدها ، فاذا ما تجاوزنا ذلك قليلا وجدنا المقامات فى صورتها الثابتة الباهتة . وهنـا نجد امامنا حقائق كثيرة لافتة :

أولها : ان الشعر وان كان أعلى مظاهر التعبير الفنى فى كل الآداب ، الا أنه فى الحقيقة أدب طبقة خاصة من المنتجين والمتلقين على حد سواء ، أما سـواد الشعب فانما يعبر بلغتـه التى هى النثر ، لذلك فانه حيثما يزدهر الشعر كأدب للخاصة لا بد أن يزدهـر الى جواره النثر كأدب للعامة . والقصة هى أحب الفنـون النثرية وأشيعها ، فلا بد اذن أن كل نهضة شعرية قديمة كانت تواكبها وتوازيها نهضة قصصية مماثلة . ثم ان النظـرة الى الانتـاج الروائى العربى المعـاصر والى درجـة الاصالة التى بلغها تجعل من المتعـذر الاعتقاد بأن هذا الفن وليـد عشرات السنين فقط وأنه نتاج ترجمة فمحاكاة وتقليد .

والقصص فن أدبى تعبر به الشعوب عن حيويتها وجهادها ، والحياة العربية فى جميـع أطوارها لم تكن بالحيـاة البليدة الخاملة وانما كانت سلسلة من الجهاد والنضال والتقدم والرقى مما يذكى الفن ويقويه . ثم اننا نجد لهذا الفن القصصى أثرا على مستمعه العربى لاحظه المستشرقون أنفسهم ويصوره لنـا اقبال النـاس على قصص عنترة والهلالى مما يؤكد أن لهذا الفن جذورا ثابتة راسخة فى نفوسهم ، وامتدادات تصل الى أبعد العصور .

لكل هـــذا لم يكن غريبا ان يخرج

دارس من ابناء الجامعة ليشارك اساتذته الرواد فى حمل راية الجهاد الادبى ، ويقتحم هذا الميدان الوعر ليصحح مفهوما قديما ، وليضع الامانة العلمية موضع التنفيذ ، فيعيد دراسة الرواية العربية على هذه الاسس الجديدة غير ملق بالا الى كل ما قد يوجه اليه من اعتراضات . فان احتج محتج بأن التدوين لم يكن معروفا فى العصر الجاهلى أحاله الى الابحاث الحديثة التى أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن عرب الجاهلية عرفوا الكتابة واصطنعوها ، وان تمحكوا بعدم وجود تراث قصصى قديم نبههم الى أن هذا ليس بالعذر المقبول . وهنا تلعب الصدفة دورا هاما — أو لعله الاجتهاد والبراعة — اذ يقع صاحبنا على كتابين هامين طال ثواؤهما بين طيات المكتبة العربية دون أن يلتفت اليهما أحد ، هما كتاب التيجان لوهب بن منبه وكتاب أخبار ملوك اليمن لعبيد بن شريه ، حيث يجد فيهما أصولا قصصية ممتازة تدل على معرفة العرب القدماء لهذا الفن الادبى وولعهم به ، وتعطى أمثلة رائعة للقصص العربى القديم . وان ادعى البعض أن القصص ليس فنا أدبيا لأنه لا يخضع للمقررات البلاغية أفحمهم بأن القرآن الكريم الذى هو قمة فى البلاغة ودرة الفن العربى اصطنع القصص وقال فى صراحة تامة « نحن نقص عليك أحسن القصص » بل ودعا الى استعمال هذا الفن من فنون القول ونادى نبيه قائلا : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »

***

وهكذا يتضح لنا الغرض الذى هدف اليه الاستاذ فاروق خورشيد من اقامته لهذه الدراسة الجديدة حول القصة العربية القديمة . كما يتضح لنا المنهج الذى اصطنعه فى بحثه . فهو يتقدم الينا أولا بالمشكلة التى أثارته — أو التى يريد أن يثيرها — ثم يناقشها من شتى جوانبها مناقشة منطقية متحررة من أسار جميع المفاهيم القديمة والقيود التى فرضها جمود العصور الخوالى وقصور فهم الادب على حقيقته المنطلقة المتطورة . وهو يحاول فى ذلك مقدما الحجة والبرهان المقنع ليبوىء القصة العربية مكانها التليد فى أدبنا العربى القديم ، وليثبت لها وجودها منذ أقدم العصور .

فاذا ما بلغ مبتغاه قسم بحثه الى أقسام وخص القسم الاول منه بالكتاب الذى بين ايدينا الآن حيث اطلق عليه اسم « عصر التجميع » وقصر به عملية جمع القصص التى كانت منتشرة فى الجاهلية ووقف بعض الادباء أنفسهم على جمعها فى أوائل عصر الاسلام ، تماما كما حدث للشعر بم وكما حدث للقرآن الكريم نفسه . ومثل صاحب البحث لهذا العصر بكتب ثلاثة هى الكتابان السابق ذكرهما مضافا اليهما كتاب « سيرة بن اسحق » . فهو يقدم

لنا كل واحد من هذه الكتب ويظهرنا على ما فيه من أمثلة للقصة العربية القديمة . ثم يستخلص ملامح الفن القصصى العربى مقارنا اياه بنفس الفن عند الشعوب الاخرى ، وأخيرا يرسم لنا صورة لذلك العصر الذى اعتبره بداية لظهور القصة فى أدبنا العربى .

★★★

فمنهج البحث اذن واضح وبسيط وهو قبل كل شىء سليم مستقيم .. ولكن نظرا لخطورة الموضوع ـ اذيكفى أنه وقوف امام اجماع الدارسين المحدثين ـ فان هذه الدراسة تركت كثيرا من نواحى البحث كانت تستحق المزيد من العناية والدرس . فمثلا القصص التى أشار اليها المؤلف وعرض علينا نماذج منها هى قصص جاهلية جمعت بعد الاسلام . والقرآن ـ كما أشار هو ـ اعتمد على القصص فى بث تعاليم الدين الجديد وفى ترغيب الناس ودعوتهم اليه كذا فى محاجاة الكفار والمشركين . لهذا كان من المناسب الوقوف وقفة طويلة عندهذه الظاهرة ومقارنة هذا القصص القديم بقصص القرآن الكريم ، والنظر فى ملامح القصة العربية على هذا الهدى للتأكد من اتفاق ملامح القصة الجاهلية مع قصص القرآن ليمثلا خطا واحدا من خطوط ذلك الفن ، أوتبيان مابينهما من خلاف فتكون كل منهما حلقة فى سلسلة تطوره . ومثال آخر نجده فى تقديم تلك الكتب الثلاثة ـ التى اعتمد عليها ـ كلا على حدة دون عقد مقارنة تجمع بينها لتبين أوجه الاتفاق والاختلافات وأسباب ذلك ومقتضياته وناهيك بالمقدمة التى أثر فيها الحماس والتسرع بينما كل نقطة فيها وكل رأى يحتاج الى مزيد من الدراسة والتدليل والمناقشة لترسى قواعده على أسس ثابتة من الدراسة المنهجية المتعمقة الشاملة . فكون الامةالعربية أمة قصصية بالطبع قد أشربت حب ذلك الفن موضوع يحتاج وحده الى البيئية والاجتماعية التى أنتجت فيها دراسة مفردة مطولة ، والظروف القصة الجاهلية يلزم أن يفرد لها بحث قائم بذاته . وقصص القرآن ـ وان كانت قد سبقت دراسته ـ الا أن ربطه بالقصة العربية موضوع مستقل كذلك .

ولكن مهما يكن من أمر فان صاحب هذه الدراسة ـ فى الواقع ـ لم يدع لنفسه بطولة ، ولا احاطة ، وانما صرح فى تواضع بأنه « لايريد من بحثه هذا الا أن يكون دافعا للاساتذة المتخصصين الى معاودة النظر فيما قرروا من أمر النثر العربى والقصة العربية فيقدموا لنا من أبحاثهم ما يرد اعتبار الادب العربى ، ويضعه فى مكانه من الآداب العالمية ذات الطابع الانسانى .

وعلى هذا الاساس فان البحث الذى قدمه لنا الاستاذ فاروق خورشيد

لايؤدى الغرض المنشود منه فحسب ، ولا يفتح الطريق أمام باحثينا المحدثين ليتناولوا بدراساتهم هذا الموضوع الخطير فقط ، وانما أرى أنا انه يفتح آفاقا كثيرة بالاضافة الى ذلك • ففضلا عن أنه قد أوقفنا على كنزين من عيون الادب العربى المطمورة بين ركام المكتبة العربية ، الامر الذى يجعلنا نعيد اطلاق تلك الصيحة المدوية التى سبق أن اطلقها استاذنا امين الخولى من ضرورة العمل على جمع تلك الكنوز المعمورة لافى مكتبات العالم الخارجى وحدها انما فى مكتباتنا المحلية كذلك •

فضلا عن ذلك فان تلك الصور الجميلة التى قدمها الاستاذ فاروق خورشيد للقصة العربية الجاهلية كأمثلة لما فى كتب وهب وعبيد تعتبر — فى رأيى — ايحاءات ملهمة لفنانينا وأدبائنا فقصة « مصاص دمى » لا تقل روعة وجمالا عن قصة مثل روميو وجولييت فى الادب الانجليزى القديم التى استلهمها الفنانون والادباء على مر العصور فانتجوا أعمالا جديدة رائعة • وقصة ضياع الحارث الجرهمى تماثل — ان لم تفق فى روعتها وسلامة اخراجها — قصص الملاح التائه والهولندى الطائر وغيرهما من الاعمال الادبية القديمة التى كانت زادا للفنانين والادباء الذين أتوا بعد ذلك •

ولهذا فاننى اضيف الى ما اثبته صاحب الكتاب من انه قصد بعمله هذا حث الدارسين ، أن فى عمله كذلك حثا للباحثين عن روائع تراثنا القديم بأن يواصلوا البحث عن تلك الكنوز ففيها غناء لحياتنا الثقافية التى نريد لها الصعود والرفعة • وان فيه حثا للفنانين والادباء المحدثين على الرجوع الى منابع تراثنا القديم لينهلوا منها ما يثرى انتاجهم ويقويه ، وان فيه — بعد كل هذا — حثا لدارسى الادب الشعبى ليصححوا مفاهيمهم عنه ، وليرسوها على أسس سليمة ودعائم قوية مستمدة من أدبنا الاصيل • وليعرفوه التعريف العربى الصميم لا تلك التعاريف المنتحلة من الآداب الاجنبية ، وليبدءوا دراساتهم من أول الطريق بدلا من اقتناص المقتطفات من هنا ومن هناك •

ومن أخطر ما فى هذا الكتاب — وليس هو أخطر ما فيه — محاولة صاحبه أن يخرج كتاب سيرة ابن هشام من المكتبة التاريخية ليقدمه الى المكتبة القصصية • فعلى الرغم من صحة هذه الدعوة ، ومن سلامة الادلة التى ساقها صاحب الكتاب ، فان أصحاب التاريخ لن يأبهوا لهذا العمل قدر اهتمام رجال الدين به حيث يمس هذا الموضوع النبى الكريم — فى تقديرهم — ولست أخشى على صاحبى ثورة كتلك التى لقيها الدكتور طه حسين حين شك فى الادب الجاهلى ، أو لقيها أستاذنا أمين الخولى حين أخرج كتابه عن الامام مالك ابن أنس ودراسة حياته دراسة منهجية واقعية ، أو لقيها هو وتلميذه الدكتور خلف الله حين درس القصص الفنى

فى القرآن الكريم ، فدعوة الاستاذ فاروق خورشيد أهون مما سلف ، والبحث العلمى السليم أرسخ قدما من التزمت المصطنع ، فجميع من سبق انتصروا فى كفاحهم من أجل العلم ، أضف الى هذا أن أملنا كبير فى أن تكون الثقافة الحديثة والنضوج الفكرى الذى بلغناه الآن قد خفف من غلواء أولئك المتزمتين ، وصحح الافكار عن الدين ، وفصل ما لله وما للبشر ، وعرف الاهداف الحقيقية للاديان السماوية ، وليس من شك فى أن موافقة الاستاذ فاروق خورشيد على رأيه فى اعتبار سيرة ابن هشام قصصا فنيا وليس تاريخا حقيقيا لن يضيف كتابا قصصيا قديما الى المكتبة العربية فحسب ، ولن يقوم حلقة فى سلسلة دراسة القصة العربية فقط . وانما هو فى نفس الوقت يعمل على تصحيح المفاهيم الدينية ، ويقوى من دعائم الاسلام ، ويعزز الدين الحنيف بتبرير فنى للمعجزات التى كانت - ولا تزال - تعتبر نافذة ينفذ منها كل متعرض لديننا ، حاقد عليه .

وبعد . فالكتاب - كما سبق أن ذكرت - حلقة أولى من سلسلة دراسات عن الرواية العربية ، ولهذا فان النظر فيه كعمل مستقل ربما كان أمرا بعيدا عن الصواب والامانة العلمية ، وإن الاحاطة بكل ما فيه تظل قاصرة لحين وصله بما بعده من حلقات . ولذا فان أملنا كبير فى أن يفى صاحبنا بوعده. ولا يتوانى عن متابعة دراسته سائرا بتلك الراية التى رفعها بعد أن تلقفها من أساتذته الرواد ليقود جيش الدارسين والباحثين والمتفننين خلال هذا الطريق السليم الذى بدأ السير فيه ولا زالت أمامه وأمامنا فراسخ وفراسخ يجب علينا أن نقطعها فى كفاح ودأب لنصل الى الهدف المنشود سائرين بحياتنا الثقافية فى طريق النهضة الحديثة . عاملين على أن تواكب نهضتنا الثقافية تقدمنا الاجتماعى ليتبوأ وطننا العربى مكانه اللائق به تحت الشمس .

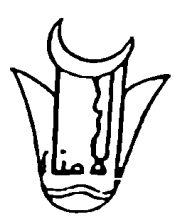

آخر الطريق ..

تأليف : أمينة السعيد — نقد : فاضل السباعى

تحتل السيدة أمينة السعيد ، فى عالم الصحافة الاجتماعية والرواية الادبية المعاصرة ، منزلتها المرموقة التى دانت لها بعد جهد وجد ومعاناة أدبية أساسها رهافة الحس ، وذكاء القلب ، وصواب النظرة تنظرها الى المشكلات الاجتماعيه التى أخذت على عاتقها حلها فى بعض مجلات « دار الهلال » .. ومن يتتبع باب « اسألونى » الذى تحرره فى المصور » أسبوعيا ، يدرك صدق نظرتها ، وذكاء قلبها ، وجرأتها فى اطلاق قولة الحق تحدو بها الرغبة فى الاصلاح دون سواها .

لقد طلعت علينا الاستاذة أمينة منذ شهور بروايه اجتماعيه ناقدة انتزعتها «من صميم الحياة والواقع» كما وصفتها سلسلة كتاب الهلال .

والقصة تحكى حياة الشاب «مدحت» الذى عاش طفولة متزمتة ضيقة ، طلقت فيها أمه فحرم منذ صغره من حنانها وحنان أية امرأة ، ولم ينعم بسوى عطف أب له طريقته القاسية فى تربيه ابنه الاوحد .. فلما مات هذا الاب الموسر ، وقد تخرج مدحت محاميا ناشئا وأصاب النجاح والتوفيق ، أحس بالحرية وقد تم له الانعتاق من قيوده فانطلق من كل أسار .. وهنا يقع ، مع ضعف تجربته مع أفراد الجنس الاخر ، بين أحضان غانية لعوب تتمنع عليه حتى يندفع الى الزواج منها ، فتسلبه كل ما يملك على مر الايام وهو يجد فى أحضانها اللذة كل اللذة ، ويبدد بين يديها شخصيته ، وماله ، وكرامته ، الى أن ينتهى به الامر الى شر مآل .. ذلك انه يهم بقتلها ، ولكن تكتب لها النجاة ، ويحكم عليه بالسجن !

وينتهى مدحت الى أن يمسى عجوزا مهدما ، يبيع الكتب على شاطىء البحر فى الاسكندرية ، حيث يتاح له أن يقص قصته جميعا على الكاتبة الراوية .. فتدفع مأساته الى الجمهور فى كتاب تختار له عنوانا « آخر الطريق » الذى انتهى اليه هذا الرجل الضعيف ، فيقرؤه الناس ، ويعجبون ولعلهم أن يتجنبوا هذه الطريق الضالة التى سلكها البطل أو التى دفع الى سلوكها بفعل الظروف والتربية .

والذى استطعت فهمه من هذه المأساة ، ان المسئول عنها الاب الذى لم يحسن تربية ابنه ، فحرمه فى الصغر من حنان المرأة — الام ، مما جعله يستمرىء حنان اول امرأة صادفها وهو شاب ، وكانت على ذكاء ودهاء ، فاذلته ذلك الاذلال كله ..

على ان هذا الهوان ، الذى وجدناه فى البطل ـ الرجل ، لا يكاد يستقيم مع الواقع لشدة غرابته وفرط تطرفه !

ان رجلا ما لا احسبه يستطيب هذه الحياة فى أحضان هذه المراة ، هى راقصه ، وبوسعه أن ينال منها وطره وزيادة من غير زواج ، لا سيما وانه كان ـ منذ تعرفت اليه الراقصة ـ على وجاهه ونفوذ تستجيب لهما أشد الغانيات تمنعا وتابيا وعصيانا . فاذا تزوجها ـ فرضنا جدلا ـ فهل يجد فى أحضانها اللذة الدائمه ؟ العهد فى الرجل ملولا سرعان ما يعاف الحب متى ارتوت نفسه وانفثأت غامته .. فما بال مدحت يظل جوارها ، أو وراءها ، على مر السنين وهى تدفعه فى كل حين الى بيع قطعه أرض مما يملك أو بيت أو عقار ؟! وهو فى كل ذلك راض سعيد مستطيب هوان النفس !..

ان أشد ما أعجبنى فى القصة تلك الحياة الطفولية التى صورتها لنا المؤلفة عن الاسرة الصغيرة الموسرة : زوجة شابة جميلة لا تلقى من زوجها الا كل قساوة بسبب حبها السابق قبل الزواج لابن عمها .. وطفل صغير هو قرة عين أمه ..وأب لا يكاد يلتفت الى زوجه الا فى السانحات القليلة ، مفضلا الجلوس مع صحبه فى جانب من داره الباذخة منفصل عن الجانب الاخر المخصص للحريم..

ان تصوير الكاتبه لهذه المرحلة من حياة البطل فى بضعه الفصول الاولى قد بلغ غاية الروعة ، وهو غنى بالصدق الروائى والكمال الفنى .

وان هذا هو ـ فيما يخيل الى ـ المجال الحقيقى للاستاذة امينة . وقد تجلى ذلك فى تصويرها عذابات الام الشابة فى حياتها الزوجيه القاسية . ان الكاتبه تبرع فى معالجه الجوانب النسائية فى الادب ، وهذا ما يبدو بشكل واضح وقوى فى قصتها السابقة : « الجامحه » .

بيد أنها عندما جنحت الى تصوير الخلجات النفسية والصبوات العاطفية للرجل .. ند عنها الابداع ، وأصاب فنها السامى ـ فيما يبدو لى ـ قبض وانتكاس مهما نظم فى « آخر الطريق » من آيات المديح والثناء .

ان « رجل » هذه القصة لا يعدو أن يكون « مسخا » للرجل الذى نعرف نحن أبناء جنسه ، قد أعوزه الصدق الروائى حتى لينكره كل رجل يقرؤه . ان أى رجل يرى المرأة ـ المرأة الغانية المحترفة ـ تريد اذلاله فانه ينتقض عليها ولا يصبر طوال سنوات تنتهى به الى الفقر المدقع بعد غنى ، والى أن يطرد من مهنته كمحام ناجح شهير ، والى أن يصبح عالة على هذه الزوجه الغانيه المعشوقة يعيش فى بيتها كالخادم ، ويرى بأم عينيه عشاقها الجدد يترددون على بيته كل ليله فينالون ما ربهم أمام ناظريه !

ان انتفاضه هذا « الرجل » قد جاءت متأخرة جدا عما ينبغى أن يثور فى عروق أى من الرجال ، وما ذاك الا لان الاستاذة أمينه السعيد ما كان لها أن تسبر أغوار الرجل ، من قوة فيه وعزة ونخوة .. على حين انقاد لها سبر أغوار المرأة بما يستقر فى قرارتها من عواطف الحنان والحب والالم والسعادة والتمرد وسواها .

مذكرات فتاة عربية

.. ما من عمل هادف مخلص الا واثار فينا نزعة معينة ، والكلمة الموحية تخلق الف كلمة ، بل تخلق البشر ولا يملك الانسان امامها الا أن يمسك بالقلم ليعبر عن الاصداء التى رددتها فى نفسه .

.. ووسط الآلام التى عانتها الاديبة « سميرة أبو غزالة » ، وعكستها نبضا على صفحات اسمتها « مذكرات فتاة عربية » ، عشت معها ذكريات تلك الحقبة الكئيبة التى عاشها وطننا العربى فى عجز .. يجتر مرارة الكبت وقد وجد نفسه ضائعا . مشتتا . والسكين الصهيونية تقتطع من لحمه فلسطين!

.. لقد قدمت الاديبة للمذكرات بما يوحى بأنها ليست صاحبتها ، وانها لا تمثل سوى دور الناقل المسجل ، ولا ادرى لم عمدت الى هذا مع ان ذكرياتها جزء من وجودها ، بل هى كل هذا الوجود ، فمن البداية باخطائها وصحتها نرسم الطريق .. ويتحقق المستقبل !.

ولكن لعل مرجع هذا يعود الى خجل الاديبة ـ شأنها فى هذا شأن كل ذى رسالة ـ من التحدث عن ذاتها بما تحدثت به .. وذكرته عن « سميحة » بطلة المذكرات ، بل هو عين السبب .. ودافع كل اديب وفنان وعى حقيقة وضعه !

.. وبعد التقديم الاصيل النابع من روح فنان ، نجد الاديبة تفتعل بداية لتدخل بنا من خلالها الى لب الموضوع عما أرادت، فهى تصور موقفا بين «سميحة» وزميل لايعى تماما مفهوم الصداقة ، والليلة .. ليلة عيد الميلاد ـ وهى الاشارة الموحية الوحيدة التى تربط هذا التمهيد بما بعده ، لما بين المسيح وارض الميعاد من صلات !. والنور يطفأ ، والزميل يعتقد ان من حقه ان يضع قبلة الميلاد فوق شفتى رفيقته ، لكنها تأبى عليه ذلك ، وتسحبه من يده الى غرفتها حيث تناوله المذكرات .. مذكراتها .. ليقرأ ، فعله واجد بين سطورها تعليلا لموقفها ذاك !

.. ثم تبدأ المذكرات مع بداية الحركة الحسية لدى الصهاينة لتحقيق حلمهم بابتلاع فلسطين .

وتنطلق الاديبة متحررة من التكلف .. تحكى ، وتجذب الغطاء عن الماضى

لتكشف عن جيل حزين يبحث – من خلال مارسب الاستعمار فوقه من عقد ومعتقدات – حقوقه ، بل عن نفسه ، ويحاول ان يصحو .. يستيقظ ليعبر عن وجوده ، ولكن الحلقة كانت قد احكمت ، والمؤامرة مبيتة .. قديمة ، قدم دعوة الرب على بنى اسرائيل !

.. والمسكين الذى ايقظته الصدمة بعد طول سبات لا يستطيع ان يلملم اعضاءه حتى يقدر ان يضرب .. فيوجع ويحقق !

.. وتحمل فتاتنا صرتها فوق كتفها.. وترحل ، وامل يكاديتحول يقينا فى عودة قريبة يملأ حناياها وضمير معذب يكاد ينفجر نارا تحرق كل من يقف قبالها .. ويقض مضجعها .. ويوشك ان يمزقها ، فبنفسها الم عظيم لانها لم تستطعان تسهم فى معركة السلاح ، فتتساءل فى روعة تهزه لماذا يدفنوننى وراء الحجاب والاسرائيلية تحصد روحى هناك ؟!

.. ومن هنا يتحدد الاتجاه ، وتضع فتاتنا يدها على الحقيقة ، فتندفع داعية المرأةلان تثبت فاعليتها ومن خلال الاحداث التى عاشهاوطننا العربى بعد نجاح القوى الاستعمارية فى خطتها ، يتطور مفهومها لقضية بلدها المسلوب وتوقن ان بلدها – لن يتحرر الا اذا تحررتباقى الاجزاء الاخرى منالمسببات التى دفعت بهبين الانياب المصطنعة !

..وتخوض فتاتنا فى ايمانمطلق .. وثقة لاحد لها معركة الراى ، ومعركة العلم فى « لبنان » حيث تتكشف امامها أساليب الاستعمار الملتوية المسيطرة على العقل العربى المثقف !

..والضدان ابدا لايتفقان ، وكان لابد لفتاتنا من الرحيل عن «بيروت» بعد ما طردتها الجامعة الامريكية . بعد اشتراكها فى مظاهرة عنيفة سقط فيها اكثر من شهيد ! . ولكن هل تيأس فتاتنا ؟

.. اننا نراها ترحل الى القاهرة لتتم تعليمها بعدما ايقنت ان العلم شىء ضرورى لا بد منه لتكتمل شخصيتها كفتاة عربية ، وفىالقاهرة تجد الطمأنينة .. والهدوء ، وتعبر المذكرات عن هذا بتحولها الى فرع من القضية تعالجه ..وتركز الاضواء عليه !

ففى المرحلة الاخيرة نجد الاديبة قد بهرت بالحياة الجديدة،وبالشباب الحائر .. الباحث عن فلسفة قوية تطرد عنه ما ربى عليه .. ليواجه الاختلاط فى الجامعة فلا تملك نفسها عن الحديث عنه ، فتروح تروى قصصا لتجارب الشباب ، ويفقد الطريق تشعبه .. وحيويته ، ولا تجد فتاتنا مناصاوقد تورطت من ان ترتدى ثياب الواعظ لتنصح البنات والاولاد !

.. وبهذا فصلت الاديبةفى هذا الجزء الاخير بين قضية تحرر المرأة

•• وقضية تحرر الوطن وسارت على نهج آخر غير الذى رسمته فى المراحل الثلاث الاول ، مما ترفضه طبيعة المذكرات وروحها !

•• وفى الختام نجد الفتى يطوى المذكرات ثم يعلن عدم اقتناعه بما قالت عن الصداقة والاختلاط ، ويرى انها تظلم نفسها •• وتشط فى مطالبها ، وتتنكر لطبيعتها وحقيقة وضعها !

ومع ان هنالك ايماء •• ومغزى قصدته الاديبة فى التمهيد والجزء الاخير ثم الخاتمة ، فلقد ارادت ان تنتقد الفهم الخاطىء الذى يعيش فى عقول الشباب الشرقى لمعنى الصداقة والاختلاط الا أن مذكراتها وروح القضية التى تبنتها من خلال الدم العربى الذى اراقه الغدر الصهيونى •• والتخاذل الداخلى ، لا تتفق وما ارادت أن تبنيه ، ولوانه تطور طبيعى لثورتها التى لا تنزاح عن عقلها الباطن والتصنيع والتصنع بنفس المقاييس الا ان هذه الثورة متفرعة عن ثورة كبرى لازمتها فى كل مراحل الكتاب الثلاث ، وكان يجب ان تلازمها حتى النهاية •• عندما تحمل فتاتنا العربية صرتها لتعود ثانية لبلدها ، فيتحقق ذلك الامل الذى يملأ حناياها ويكاد ان يكون يقينا !

•• يكفى لان نتقبل هذه الهنات أن المذكرات جزء من ضمير كل عربى فهى تمثلنا على الطبيعة :

نخطىء •• ونوفق
نثور •• ونهدأ
نتوه •• ونصحو

•• الاديبة « سميرة ابو غزالة » تستحق على مذكراتها هذه اكثر من كلمة شكر ، انها تستاهل نقدا نزيها •• وقد حاولت !

شيوخ الأدب الحديث

تأليف : حبيب الزحلاوى

تقويم المؤلف لفئة من حملة القلم الأحياء

تيارات فنية

بقلم : عبد المنعم شميس

مسئولية الفنان

هذه هى القضية الكبرى التى اثارها كاتب فيلسوف هوجاك مارتيان الاستاذ بجامعة برنستون بأمريكا .

وقد ناقش الاستاذ الفليسوف هذه القضية فى كتيب صغير أثار ضجة كبيرة حين عقد مقارنة بين الفن والاخلاق وقال انهما مختلفان ، فالفن بوسائله يصل الى الخير فى العمل الفنى ذاته ، لا الى الخير فى صانع العمل الفنى أو مبدعه .

وخلاصة النظرية التى يدعو لها مارتين هى أن الفن يعمل لخدمة الاخلاق .

***

ويبدو ان شهرة الفرنسيين بالحديث عن الحب دفعت الكاتبة الانجليزية (فينا ايتون) الى تاليف كتاب تاريخى عن الحب عند الفرنسيين . وقد أرخت الكاتبة للحب خلال فترة تبلغ ثمانمائة عام . ويقول النقاد ان هذا الكتاب دراسة عميقة لتاريخ المجتمع الفرنسى خلال تلك الفترة الطويلة التى تبدأ بحياة (مارجريت دى فالوا) الفرنسية زوجة الملك هنرى الرابع الانجليزى ، وتنتهى عند مؤلفات فرانسواز ساجان .

***

ومن أنباء الادب فى باريس ان الكاتب الامريكى الشهير (اروين شو) الذى هاجر من امريكا منذ سنة ١٩٥١ وعاش فى باريس . اصدر كتابا جديدا اسمه (اسبوعان فى مدينة اخرى) عالج فيه العلاقات بين بنى البشر فى حماس وحرارة ورد الخلافات البشرية الى نوازع اخلاقية .

***

وفى لندن دخلت دور نشر الكتب فى مباراة من نوع جديد حيث اعلنت الدور الكبرى عن المبالغ التى دفعتها ثمنا للاعلان عن كتبها الجديدة فى الصحف خلال شهر واحد .

ودخلت الصحف المباراة مع دور النشر حيث ثبت ان جريدة (الاوبزرفر) هى أهم الصحف المعلنة عن الكتب الجديدة .

ولم يعد عدد النسخ من الكتب المطبوعة فى بريطانيا تحسب بالالوف بل انها تعد بالملايين ، والمباراة الدائرة بين دور النشر معناها المزيد من الكتب كل شهر .. والمزيد من عدد

النسخ المطبوعة التى توزع فى كافة أرجاء العالم .

واذا ذكرت الكتب والمطبوعات فلابد من ذكر مدينة ليبزيج الالمانية. فهذه المدينة تعتبر من مراكز الطباعة العالمية .

ومطبوعات ليبزيج اصناف واشكال ، ولكن التخصص الذى تتميز به المطابع فى تلك المدينة هو طبع اللوحات الفنية العالمية بألوانها الطبيعية . واشهر نوع من الطباعة عرفت به مدينة ليبزيج هو طبع اللوحات الزيتية بالطريقة الملونة البارزة حتى يخيل اليك ان الورقة المطبوعة أصل للوحة فنية مرسومة بالزيت .

وتخرج مطابع ليبزيج مجموعات كاملة من لوحات الفنانين العالميين بعضها مطبوع بالطريقة المسطحة بالالوان ، وبعضها مطبوع بالألوان على الطريقة البارزة .

وتستعد مدينة فرانكفورت الالمانية للمعرض الدولى للكتاب الذى يقام بها فى شهر اكتوبر من هذا العام .وهو معرض سنوى يجمع مئات الناشرين من كافة بقاع الارض ، وتشترك فيه الدول حيث ترفع اعلامها فى ميادين المدينة وفوق مبنى المعرض وفوق مبنى البلدية ايضا .

وهو من اشهر معارض الكتب فى العالم ان لم يكن اشهرها على الاطلاق.

وفى كل عام يطبع دليل باسماء كتب كل دولة مشتركة فى المعرض. ويعتبر هذا الدليل سجلا للنشاط الثقافى العالمى خلال عام .

***

ومن الاحاديث الادبية التى اهتمت بها الاوساط المثقفة فى اوروبا وامريكا ذلك الحديث الذى رواه (روى ماك جريجورهاستى) الشاعر الصحفى الاسترالى عن ت . س . اليوت الشاعر الانجليزى الذائع الصيت .

والشاعر روى ماك جريجوريعيش من عمله الصحفى كمراسل لجريدة الصنداى اكسبريس البريطانية ، وأشهر عمل صحفى قام به هو تقديمه لترجمة خروشوف فى تلك الجريدة البريطانية تحت عنوان (نيكيتا) . وقد صاغ تلك الترجمة فى أسلوب ادبى رفيع لفت اليه انظار القراء والنقاد على السواء .

أما الحديث الذى رواه الشاعر الصحفى الاسترالى عن شاعر بريطانيا فى هذا العصر فانه أخطر حدث أدبى، فقد أفاض اليوت فى وصف نكبة الشعر فى العصر الحاضر .

ووصف (ماك جريجور) الشاعر اليوت قائلا : انه رجل ضاعت منه اوراق العبقرية ،أوهو رجل مجنون.

وثار الشعراء فى لندن على آراء الشاعر الاسترالى .. ولازالوا ثائرين على آرائه الخطيرة فى شاعرهم الكبير.

***

ومن ألوان النقد الطريف ذلك النقد الذى وجهه احد الشاعرين.

الانجليز الى أغلفه الكتب • وقد قال هذا الناشر : ان الغلاف الجديد يزيد عدد النسخ التى تباع من الكتاب ، ولكن معظم الاغلفة التى تضم الكتب اليوم ليست جيدة فى رسومها وتصميمها وتلوينها ، وبعضها يتميز بالغباء الشديد حتى ان الكتاب يكسد ولا يروج بسببها ولو كان كتابا جيدا •

★★★

وفى دنيا النغم عاد المايسترو العجوز ستوكوفسكى ليمسك عصاه الساحرة مرة أخرى •

وستوكوفسكى فى السابعة والسبعين من عمره وهو الذى انشأ مسرح فيلادلفيا فى نيويورك وكون له فرقة الاوركسترا •

وحين طلب من المايسترو العجوز ان يعود ليقود فرقته قال :

— نعم وساعود •• وسنبدا بموسيقى موزار •

بنك مصر

س • ت القاهرة ٢

درج بنك مصر منذ نشأته على مسايرة النهضات التقدمية • فلما تفجرت النفوس وانبعثت الثورة وانبثق نور الشعلة المقدسة تجاوبت كل هذه الظواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر ومع الأهداف العليا التى رمى اليها فى حرب الاستعمار الاقتصادى فانشأ شركاته التى كانت جيوشا حارب بها الاستغلال الاجنبى فى شتى ألوانه والرق الدخيل فى مختلف صوره •

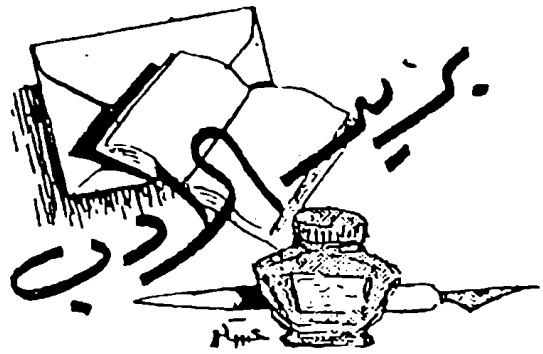

اللغة . . أيضاً

ولو أنصفت السيد صاحب الرسالة ، التى دفعتنى الى هذا الحديث لجعلت عنوان هذه الفقرة من باب البريد : الادب الشعبى .. والواقعية .. وذلك لان هذا السيد أرسل الى « الادب » فى العدد الماضى بقصة ، قالت فى نقدها : انها عبارة عن عجينة مخبوصة من العامية وأغلاط الفصحى .. فكتب السيد فى هذا الشهر يقول : أعرف سيادتكم اننى قد قصدت ذلك عن عمد .. أى قصدت مزج اللغة العامية الدارجة باللغة العربية الفصحى ، وذلك لاننى أحب أن أكتب فى كل نوع .. وأرغب فى أن يكون أدبى القصصى أدب (كذا) شعبى .. حتى يحس القارىء بواقعيته .. الى حد ما »

وبقطع النظر عن الواقعية ، وحقيقتها ومكان الاسلوب منها ، فقد قيل فى ذلك الكثير .. والامر فيه على كل حال – أدق من أن نثيره هنا بمناسبة تلك الرسالة .. فأنا نراه يقول انه قصد المزج لانه يحب أن يكتب فى كل نوع ، فهل بالمزج يكتب فى كل نوع !!أو هو بالمزج يكتب فى نوع واحد ، هو هذا المزيج المخبوص الذى لايلتحق بأحد النوعين ، بل يختلف عن كل نوع منهما ..وأردت أن أقول : يسىء الى كل منهما .. ولكنى أكتفى من تفصيل هذه الاساءة بالوقوف عند قول السيد : انه يمزج الدارجة بالفصحى لانه يرغب فى أن يكون أدبه شعبيا !! حتى يحس القارىء بواقعيته .. فهل الادب الشعبى يكون بمزج العامية بأغلاط الفصحى ؟ وهو الواقع اللغوى هو : قصد العامية الى الفصحى المغلوطة أو الملجونة يتكلمون بها مع لغتهم العادية اليومية ! أو أن لغتهم تلتهم من اللغات المختلفة الكلمات التى توجهها الحياة الى

انتزاعها ، وتتصرف فيهـا التصرف القادر الحر ، لتطوعها لحاجة الحياة ! واذا كان ما فعله السيد ليس الواقع اللغوى . فلن يكون به الواقع القصصى لو سلمنا أن الواقعية مسألة اسلوب لاغير !

★★★

ولقد تناولت « الادب » مسألة اللغة غير مرة ، قبل الآن .. وقالت مافيه الكفاية، أو ما هو فوق الكفاية لايضاح أن لغة الشعب ، وفن الشعب لايكونان بافساد الفصحى ، بل يكونان بقدرة قويه ، على استعمال لغة العامة استعمال قادر على الشعور ببلاغتها مالك لناصيتها ملك كل صاحب قوة بيانيـة ، لغة التى يستعملها .. ونكتفى بماسلفمن قبل ولانعود الى الافاضة فيه هنا

وخطاب السيد نفسه اقوى بيان لما قلناه كثيرا من أن العاميـة ليست فصحى ملحونة ، بل ان هذا اللحن انما هو عجز عن الفصحى .. وبعد ـ كذلك عن اللغة اليومية .. فالسيد فى خطابه هذا يستهله ببيـان انه متخصص فى اللغة العربيـة « ايام التوجيهى » .. وكان..وكان احسن طالب فى كتابة موضوعات الانشاء .. الخ .. الخ

ومن ثم « نبتت فى أعماقه » !كتابة القصه بتشجيع أساتذة اللغة العربية ووسط حماسه فى بيان هـذه الامتيازات كلها تقرأ فى خطابه مثل: ارسل لكم لترون بنفسكم .. وقوله: فارسلت هاتان .. وقوله : كما أنهما خاليامن العامية..الى كثير مما لايتسع له هنا مجال .. وليس هذا وأمثاله شيئا الا العجز عن الفصحى .. لا غير..فهل يصدق كل من لا يقدر على استعمال اللغة الفصحى أن هذاليس العامية وليس الفن الشعبى .. وليس الواقعية .. وانما هو ما سميناه .. العجز فقط .. ولا غير

الشعر ... والقصه

وفى هذا البريد خطاب لأحد وجوه القضاء يتحدث فيه عما يعجبه ، ولا يعجبه من مواد « الادب » وحكمه فى هذا مما يجب أن نضعه بين يـدى الكاتبين ، والقارئين .. والناقدين

فالسيد أعزه الله يقول : اعبر لك عن اغتباطى بقراءة مقالكم الرئيسى، وبعض المقالات الاخرى مثل ذلك المقال القيم ، الذى أرسله اليك أحد القراء تعليقا على نشاط المجمع اللغوى .

ويتحدث بعد ذلك عن الشعر .. والقصة ، فى حياتهما ، وبين مواد المجلة فيقول :

« وحبذا لو اقلت المجلة من تلك القصائد الشعرية ، التى أعتقد أنكم تتورطون فى نشرها، تشجيعا للشبان

وقد أكون غير منصف بالنسبة للشعر العربى ، فقد عرفته يقال : اما للمدح ، أو الهجاء ، واحيانا للغزل، فنشأت على كراهيته ، لان تلك الموضوعات ـ فى نظرى ـ ليست من مواضيع الفن ، والشعر وسيلة رفيعة للتعبير عنه ، وما كنت لاطالب الشعراء باتباع المنهج الصحيح . ومطالعة الشعر الغربى ، والسير فى ركابه فانهم لن يستطيعوا التحرر من هذه التقاليد العتيقة وان حاولوا التجديد واختيار موضوع آخر ، فانهم ينزلقون من حيث لا يشعرون الى المحسنات اللفظية ،وما يسمونه جزالة التعبير، او ينتقلون الى النقيض فيرصون الفاظا وجملا امتاز بها الجماعة اليسارية .

ثم يقول : « هذا عن الشعر ،وبعض منه يقال عن تلك القصص القصيرة التى تحتويها المجلة ، وكنت بودى لو تضمنت غيرها ، من بنات افكارك ، وافكار أولئك الكتاب الذين يرون فى الادب فنا ساميا للتعبير اللفظى يعالج المشاكل الانسانية ، التى تعترض الفرد والجماعة ..

وهذا كلام جدير ـ كما قلنا ـ بان يوضع أمام الكتاب .. والنقاد والقراء جميعا

البريد ... الصحفى

باب البريد فى الصحف كلها ، على اختلاف حالها قديم عندنا ، تحت عناوين مختلفة .. وكان فى وقت ما سبيلا قريبة لمعرفة بسائط تتيسر معرفتها عن أقرب الطرق ، وأصغر الكتب .. وهو ما جعل «الادب» منذ البدء،تقرر الاتقدم للقراء مايستطيعون الوصول اليه .. ولو بشىء من العناء لان الصحيفة ـ فى أى لون من ألوانها ـ وسيلة جديدة للمعرفة ، يجب أن تضيف الى الثروة الثقافية شيئا يناسب ما يضيع فيها من مال ، وعمل وهى ثروة لا بأس بها فى مثل ما نحن فيه اليوم .. وراعت « الادب » ذلك فى جميع أبوابها ، لا فى البريد ، فحسب .. وحين جعلت بريدها ميدان تدريب أدبى ، وافسحته للناشئين افساحا تاما ، جعلت هذا البريد شيئا غير المعلومات الساذجة ، التى يستطيع المتعلم أيسر التعليم أن يصل اليها بنفسه !

ولئن كان فى البريد الصحفى غير ذلك من وسائل الملاحظة والنقد فانا نقصد هنا الى جانب واحد من جوانب النقص فى البريد الصحفى ، حتى عندما يكون وسيلة للمعلومات البسيطة والقريبة اذ يجب أن تكون الاجابة الصحفية على ما يوجه اليها ـ فى البريد ـ من الاسئلة ، اجابة صحيحة أتم الصحة ، وبخاصة حينما يكون السؤال عن شئون عملية ، اما اذا كان السؤال عن شئون صحفية بالذات فيجب ان تكون الاجابة أدق واضبط. وأوفى .. وهو ما لا نجده فى صحافتنا

التى كثر القـــول . عن ضـــعفها ، وسطحيتها . وهزالها . و .. و .. مما نطيـل اذا عددناه و « الادب » فى سنواتها الماضية جولات . فى طلب الكمال والكرامة للصحـــافة . التى تحمل اسمها ، وترتبط بها .. ولن تيأس « الادب » من متابعة هـــذه المحاولات . تلافيا لنواحى كثيرة من النقص الصحفى

ولعل ما نشير اليه اليوم من صحة الاجابة الصـــحفية ، فى البريد ، وبخاصة اذا كان المسئول عنه شيئا خاصـــا بالصحافة .. لعل ذلك أيسر مايمكن تلافيـــه من ذلك النقص الصحافى . لانه لا يتطلب شيئا الا اليقظة العادية والتقدير اللازم لواجب الصدق فى كل كـلام .. من عامة الناس ، وخاصتهم .. فكيف بالمنتسبين للصحافة !

وانما نقول هذا بمناسبة ما جاء فى عدد ٣١ يناير سنة ١٩٦٠ من مجلة الاثنين والدنيا » فى باب « خاص القراء » وتحت عنوان : نافذة عـــلى القراء وهو سؤال من طنطا : عما هى المجلات الادبية التى تصدر فى القاهرة وتنشر انتاج الادباء الكبار والصغار» وهو سؤال يستطيع الاجابة عليـــه أى بائع صحف سريح .. لا صاحب كشك ! وهو سؤال عن شئن صحفى

لايتصور أن تجهله صحيفة ،حتى من الصحف المتقطعة الصدور .. أو الصحف فى أى صورة ما .. ولكن «الاثنين والدنيا» بحالها تجيب عن هذا السؤال فتقول : ليس عندنا الآن مجلات أدبيـــة بعد ان احتجبـــت « الرسالة الجديدة» وتوقفت «الشهر» عن الصدور ..

وفى « الاثنين والدنيـــا » رئيس تحرير . ومدير تحرير ، ومدير فنى، وسكرتير تحرير ، ولا نذرى كم فيها من المحررين فهل لايعرف واحد من هؤلاء كلهم أن فى القـاهرة مجلـــة تصدر منذ أربع سـنوات ، وتنشر — بخاصة — أنتاج الادباء الكبـــار والصـــغار ويعلن عنها كل شـــهر بانتظام .. وهلا يعرفون أن مجـــلة «الادب» هذه قد نقدت مجله « الاثنين والدنيا » نقدا قويا بمناسبة التلخيص المتهافت الكلمة كتبها رئيس تحرير «الادب» بيده بناء على الحاح محـرر من « الاثنين والدنيا » فلخصها ذلك المحرر تلخيصا مزريا ..

وليكن هناك أى سبب لعدم معرفة دار الهلال لمجلة « الادب » فان الادب قد أرسلت العدد الذى لامت فيـــه « الاثنين والدنيا » الى تحرير هـــذه المجلة ، لتعرف ما كتب عنهـــا .. .. فهل لم يقرأ واحد منهم ما أرسل فعلا اليهم عنها ! وهلا تعرف ما يعرفه بائع جرائد فارش لا أكثر .. انك أيها القارىء قد تذكر عنوان الكلمة السابقة عن تصرف صحافى « الاثنين والدنيا » وانك لتجـــد الحاجة الى ترديدها .. لا .. يا صحافة .. هذا كثير !

خارج النقد

وحين نبدأ فى فحص آثار الكاتبين نضع خارج النقد ما سمى قصيدة « أنشودة الكون » تلحنها وعاميتها فى مثل قوله : يا نسمة الفجر القمر ياما نجاك » وقوله : هل تشعرين بنار قلبى تؤج بين جوانحى » وقوله : « يا زهرة الروض ماء الحياة فى فاك » .. ومن هذه الامثلة يشعر القارىء بطفولة المعانى ويرى معها من الصور البيانية الغربية مثل قوله : « ولله در روح تمرغت فى ثراك » ! ويتجلى تخلخل الوعى الادبى فى مثل قوله : تترنم الكواكب بجمال محياك، وتتغنى بلحظك الفاتر ، فيسرى صوتها فى الليل البهيم ! سرى الدم فى عروق الثائر

ولصاحبها وفى مستواها « جمال السد » .. والامر فيها أبأس مما فى أختها ، وظلم لها ، وللقارىء أن نسوق منها أكثر من قوله :

سيبنى السد من أحجار مجد
لمصر وقد يسمى سد عالى

وحنانيكم يا أصحاب هذا اللغو .. ورفقا بوقتنا ، وعيوننا اذ لم تترفقوا بأمزجتنا !

كما نضع خارج النقد كذلك « هل تذكرين » فالتى يوجه اليها الكلام معذورة اذا تناست وتجاهلت من يقول لها : هلا تعين فانه شىء يفقد الوعى ! أما سيبويه فيشارك المخاطبة فى تناسيها ، وسخطها ، ولا نزعج القارىء بأمثلة الاخطاء اللغوية .. وبحسبه ما فى الصور البيانية . من اهتزاز .. او من غرق فى بحر السنا .. وبحر العبير .. وأشباهها —

ومن وادى هذا الخارج من حلبة النقد قصيدة « مات زوجى » التى يقول صاحبها المتمسك بالبيان التفصيلى للبحر والقافية ، فيكتب أن القصيدة من الرمل المشطور ، مع قصر الضرب ، وأحيانا يسجل التفاعيل ... ثم يقول بعد ذلك كله : المرء مطلوق السراح .. الى عبارات محلولة العرى كقوله : أجمع القوت اذا ما الفجر لاح .. ومعان هينة تافهة كقوله : والهموم بالدموع قد تزاح

وفى الخارج أيضا « زيارة سجين» .. التى تظلم نفسها اذا ادعت الوزن .. وتضيع دلالاتها فى عبارات لاتكاد تعطى معنى ، ولا يخف علينا التمثيل لها .

كما أضع فى الخارج قصتى الخوف » و « الهدف » ولصاحبهما دعواه القوية فى التخصص اللغوى ، وأخذ ٣٧ من ٤٠ فى اللغة العربية ، وتشجيع أساتذه العربى له أيام دراسته الثانوية .. وهذا ما يوجهنى الى ازعاج القارىء بأمثلة من أخطائه، فهو يقول : لبى نداءه اثنين من الشرطة

.. كي يتركونه في سبيله .. يجرون في سرعة وتحدى .. ولكن ما من أحد لب نداءه .. وأبدانهم تلهث من شدة التعب .. من الناجحين في القسم بأثره .. البارزين في القسم بأثره .. فكان اسمى كلا من سمير وعنايت .. أضحى روح واحدة في جسدان .. ليتنزهان سويا .. يسرد كلا منهما على مسامع زميله .. وحسب القارىء هذا من عكننة المزاج .. لنتحدث بعد ذلك عن :

الشعر

★ فنجد قريبا من الخارج قصيدة « رسالة أخيرة » ففيها الكثير من اللفظ ، لما هو دون القليل من المعنى، والفاظها مثل « مناة الفؤاد » !! الى عبارات سوقية ، كقوله : وضوء الحياة ، ونور البصر .. الى أخرى نابية في موضعها كقوله : وكيف تركت الهوى يندثر .. وقوله : أخط الهوى من خلال السطر .. فهي كأخوات لصاحبها لما تنضج .

★ ووصلت « نجوى » و « ذكرى » و « أنا الشادى » ورابعة منشورة هي « ساعة الغروب » وكلها من قلم مرجو وان كان لما يصلب عوده تماما ، يميل الى الاوزان الخفيفة ، لكن يخف معها تعبيره أحيانا ، حتى يتبخر .. ويودى حينا بسلامة اللفظ لغويا .. ولعل تأخير النشر هذه المرة يدفعه الى شيء من متابعة الرياضة والاستكمال .. أما شعره المنثور . فمع بساطة المعنى وعدم اتساقه أحيانا وقرب التعبير يقع دون منظومة فلعله يرتاض في الشعر المنظوم بدل تفريق جهده فيهما .. والى الامام .

★ ووصلت « مارد من ضياء » وفيها من سلامة العبارات ، وامكان اقامة المعنى ما لا بأس به .. وما يرتقب معه غد صاحبها .. ولو قد تعمق معانيه ، وأحسن مواقع ألفاظه، وأحكم خطوط صوره لكان له مع هذا النفس الطويل .. الطويل .. شأن يوما ما .

وطويلته هذه لا يتهيأ « للأدب » نشرها ، فليس لها فيها كلها مكان ، واجازته اختصارها يحول دونها ترابط المعاني ترابطا يشق معه هذا الاختصار .. فالى فرصة أكثر مواتاة .. وأقل انسهابا ولو أبى صاحبها — كما هي العادة — الا أن يتناول هذا الاجمال بتفصيل لكفانا من ذلك عنوان هذه المطولة وهو : مارد من ضياء .. فبين الكلمتين من تنافر الايحاء ، وتباعد الحس ما تجد مثله في القصيدة غير قليل ، كقوله: ... وجودا صارما لبقا .. وقوله : فاعتنقت فجر الضياء .. فلباقة الوجود .. واعتناق الفجر مما لا يتسق فيه الايحاء ، ولا يطمئن به الحس اللغوى .

★ ووصلت « سنعود » وأسلوبها تقريري ينحل أحيانا انحلالا واضحا حتى يصير عاميا ، واليك منها مثل قوله : أجل سنعود .. ويومها يعرف اليهود .. اننا وقت القتال رجال .. لا نهاب النزال .. سنقتلهم الانذال ! ان للشعر — حتى المنثور — أسلوبه ،

وتعبيره .. وان الفن القولى معـــان وجدانية ، ليست الحـديث الدارج ، والاغراض المتـــداولة .. فروضـوا وجداناتكم .. واحسوا تعابيركم .. ولكل ذلك سبيله من المعاناة التى لابد من مكابدتها .. فثباتا .. ثباتا .

★ ووصلت « أفراح الصباح » وقد كرر صاحبها ارسالها ، لانه بعد ما كتبها أكتشف أن بها ما بها كمـــا يقول هو فى خطابه .. ولعله لا يزال بها شيء مما بها .. فى صورهـــا البيانيـة ، ومعانيها ، وألفاظهـــا اذ يعوزها غير قليل من السـلامة .. والاتساق .. والنقاء كقوله : ... لى فى ناظريك جزائر رفافة سحرية .. فرفيف الجزائر لا يكون الا بهزة بركانيـة .. ومثل هذا : ان الأمل تهويمة .. والامل يقظة وتوثب .. لا تهويم .. ولقد يتعقد الامر أحيانا حتى يتراكب التعبير ، ويظـلم الجو فى مثل قوله : عيناك رحـــلات على موجات بخيمات رحيبـــات المـدى طهـرية !! فالرحـــلات على موجات الخيمات الرحيبات .. لا يسلم منهـا معنى .. ويوشك نفظها الرتيـــب أن يتبعه شرابات .. فانلات ..

★ ووصلت « ظمآن » .. وفيهـا غير قليل لا يسلم لفظه ، ولا يقـوى معناه ، ولا يخـــلو من الخطأ كقوله : الكل حولى يرتوى رغدا .. والذى فى المعجز : وكلا منها رغدا .. وقوله : لست أرى هاد .. خطأ ظاهـر .. وصاحبها يبتغى عنده ماهو خير من هذا — كما نشر له من قبل .

★ ووصلت « أخى فى العـــراق » وهى تجاوز السبعين بيتا .. ومن لنا بهـذا الحيز من « الأدب » فالى وقت أضـوأ من هـــذا الوقت وجو نفسى أهدأ .. يرنو فيه الفن الى المعـــانى الكبرى ، والاهداف العليا .. فلا يقف عند الطلال الزائلة .. والله يجمع القلوب .. ويفرج الكروب .

★ ووصلت « نجمة العشاق » .. وهى تنتظر دورها فى النشر .

★ ونلتقى بالزجال فى زجله الجديد «روح الثائر» وقضيته هى قضيته دائما .. أى عـــدم امتـلاك اللفظ الشعبى ،المؤثر .. الموحى..ووضع ألفاظ مكانه ، لانغمة فيها من الشعبية .. ككلمات : كفاح .. والحضـــارى والحصـــار الحديدى التى ليست من كلمات اللغة العامة .. ومن كلماتها المغيرة عن وجهها ، حتى فقدت وقعها مثل قوله : لاسن ايدى .. ووصفه الوطن بأنه شريد ..وليس بالوصف الصحيح فى عامية ولا فصحى ... انما الشريد شريد المواطن لا الوطن.. وهكذا نضطر أيضا الى عدم نشرها ، حتى تكون من سلامة العبارة نفسها،ومن قوة الايحاء فى مثل الذى تنشره من الفن الشعبى فى « الادب » فعلا .

• ووصل موال « سلامة » وهـو ينتظر دوره فى النشر ان شاء الله .

النثر

وأول ما نقف عنده من ذلك مقال: زنبقة ومطرقة .. حول تجربة نقدية للشاعر كامل سعفان ، الذى نقـده السيد محمد عفيفى مطر ، فى عـدد

ديسمبر من الادب ، وعرض له السيد فتحى عباس فى العدد الماضى وكنا بحيث نضع هذا المقال فى مكانه من « الاصداء الادبيه » لولا ان صاحبه أطال بمقدمات مسهبة لا يتيسر لها المكان فى صفحات « الادب » كالذى كتبه تحت عنوان « شكر » يتحدث فيه الى السيد مطر عن تجربته ومعاناته . »

ثم ما كتبه تحت عنوان « مع النقاد » يحدث فيه عن تاريخه معهم ، وأنهم لا يتصدون لاداء واجبهم ، على وجهه ، وتفسيره ذلك بأن سوق الحياة الادبية عندنا لا تقوم على الدراسة الجادة والرأى الصادق لانها تقوم على الصلات الشخصية ، دون ايمان بمبادىء أو استهداف لمذهب ..

ثم ماكتبه مطيلا تحت عنوان «منهج» يصف فيه خطة ممارسته الفنية وأدائه لها وأنه يبعد فى ذلك عن التهريج وهذا ما جعله يخص « الادب » ، بنتاجه ، لبعدها عن التهريج ، والفوضى الادبية

ثم ما كتبه تحت عنوان : تبعة الناقد وواجبه ، فعرض لواجب الناقد فى أن يعلم ان الشعر لا يعتمد اليوم على وحدة البيت ..وأن مهمة الشعر فى الايحاء .. فلا يختلط بالخطابة ، والمحاضرة ، وغيرها .. وينبغى مجاسبة الشاعر على الفكرة أولا ، ثم على الشكل ومدى مناسبته لها ، ثم على الالفاظ وايحائها .. ثم على عمود الشعر الايقاعى .. وأن يمهد الناقد بجو القصيدة ، ويقدم جزءا معبرا عنها .

ثم تقدم الكاتب بعد ذلك الى عتاب السيد مطر ، لانه لم يقدر تكامل أجزاء قصيدته المنقودة ، ويستشهد باحدى حلقاتها ويبين موضع الجملة النابية منها ..واستطرد الى الكلام عن: ان من الكلمات والجمل ما يكون شعريا ومنها ما لا يكون كذلك ، على ما ذهب اليه بعض نقاد العرب .. وأكد أن الكلمة التى يقال انها غير شعرية قد يخلع عليها ما يحيل جمودها جمالا ورقه .. وقال : « ان الناقد لا يمكن له ادعاء صحة الحكم وهو يمسك بطرف دون آخر .. وهل يمكن لك أن تعيب على مضيفك أنه قدم على المائدة الملح والفلفل .. وهل تنكر على الرسام الظلال التى يظلل بها رسمه ؟ .. وهل تأخذ على الموسيقى الذى يربط سيمفونيته بوجدان الشعب حين يضيف الى جملها من الموسيقى الشعبية ؟! »

وهذه الفقرة الاخيرة هى — فيما يبدو لى — جوهر مناقشة الشاعر لناقده أو لناقديه ، اللذين توارد نقدهما على جملة : لو كنت غنيا مثل أبو رجيلة .. ولم نستطع انتزاع تلك الفقرة ، من مقال فى بضع صفحات كبار .. ولم ننشر ما عرض له من المنهجيات ، والاجتماعيات الفنية لانه وجهها فى اطار من النظرة الجزئية الى أصحاب النقد وتصرفهم . فكان توسطنا هذا بتلخيص النقد فى باب البريد .. والحق أن النقد الذى نشرناه غير مرة — عملا بحرية الرأى التى نقدسها ، وعرضنا لنماذج من التفكير — هذا النقد لم يكن الا تعبيرا مبهما ، فى عبارة لا تصف شعورا ، ولا تحدث عن ذوق .. ومثل قول القائل .. ان هذا ليس كلاما .. أو أنه تافه ..أو ما الى ذلك من ألفاظ

غير متحرزة ، ولا متلطفة ، ليس من النقد الجاد الذى تفـــرد « الأدب » صفحات للرد عليه ..

والســـيد المنقود بعيد الآن فى السعودية ، ولا تصله المجـــلة ، الا متأخرة فكتب هذا الذى أطال فيه عما نشر فى عدد ديسمبر ، ونرجـو ألا يعاود الكتابة فى الموضوع حين يصله عدد فبراير ـ وفيما أجملنـــاه هنـا كفاية .. وفى مقاله بقية غير قصيرة يوجه فيها حديثا هامسا الى ناقده ، لا نقف عنده ، بل نكتفى منها بقوله له أخيرا : أتمنى لو حاولت بأصباغك الجديدة ـ من جديد ـ تتكتب محاولات نقدية جديدة لها أنغام خضراء رحيبة .

وفى كل حال نحمد للسيد المنقود عفة بيانه ، الى حد طيب .. ونعـده من هذه الناحية أوضح ضبطا لمشاعره وعباراته من النـــاقدين أنفسهما ، وأكثر موضوعية منهما .

★ ووصـــل مقال « جيل فى حافة الليل » تقويما لقصة : حافة الليل . ولعله يجد مكانه للنشر فى فرصة غير بعيدة .

★★★

★ ووصل من القصص « هجـــرة الرسول » فى صـــورة مسرحية .. وليس لها من كيان المسرحيـــة الا أن سميت كل خطوة من خطوات الهجرة منظرا ، فكانت خمسة مناظر .. لا تجمعها وحدة ، ولا يربطهـــا رباط ولا أذكر هنـــا الوحـــدات المسرحية للزمان والمكان وغيرها ، ولكنى أطلب الى صاحب هـــذه الهجرة أن يربط بين أجزاء الحادث بما يجعل منه وحدة لها جو خاص .. وهو ما لم يشعر بشىء منه ، وكل ما فعـــله أن كتب ما فى كتب السيرة من قول ، على صـــورة حوار لاشخاص لا ينحصر عددهم .. وما هكذا يكون المسرح !!

★ ووصلت قصة « الضـــحية » ، وفيهـــا عمـــل قصصى ، ولصاحبها أسلوب .. ولو أنه يطيل بمـــا لا يناسب جو القصة القصيرة ، بل يهز تماسكها .. وفى القصة بعـــد ذلك افتعـــال لم يهيىء له جو الحماة التى عمدت الى القاء زوجة ابنها من فوق سطح الدار .. وهذه المخلوقة التى عمدت الى ذلك قبل استنفاد وســـائل كثيرة للتخلص من عقم كنتها المؤلم لها .. هـــذه الشـــخصية لا يستيقظ ضميرها يقظة حادة تدفعها الى الاعتراف بجريمة لـــم يوجه اليها أحد شبهة فيها ، لمجرد أن زوجـــة ابنهـــا قد ظهر عند تشريحهـــا أنهـــا حامل !! فخسارة هذا الجنين الذى مات مع أمه ليست كبيرة بعدما أخلت جـــدته الطريق لابيه حتى يتزوج أخرى تلد له أولادا كثيرين ، لا واحد كهذا الذى دفعها الشـــعور بوجوده الى تقـــديم نفسها للاعدام أو للسجن المؤبد .. أيد طاقتك الفنية بدقة .. وملاحظة .. وفطرية .. لا افتعال فيها ، ولا رغبة فى مجرد المفاجأة المباغتة .

★ ووصلت « لصوص الليـــل » لصاحب الضحية نفسه .. وهى فى

الحق صورة من الجبن الفزع مسرفة مبالغة ، وليست قصة .. ورغبة السيد فى الاغراب بادية فيها لانها لم تجد مجالها فى مجرد صورة فاذا هو يغرب فى الاسماء ، فيذكر : زعطوط ، والغباشى ، وأشباههما .. وهذه الاسماء عادة من نصيب اناس لا يجالسون ناظر المدرسة الابتدائية .. والسيد بعد ذلك غير محتاج فى صورته — وربما فى قصته حينما تكون قصة — الى التعرض المعضل لما لا يعرفه ، فيكفى فى الخاتف أن يبسمل ويحوقل ويتمتم ، بل هذا كثير ، لا يحتاج معه الى التفصيل فى التمتمة وأنها كانت « بالتراويح » لان التراويح صلاة ركعات كثيرة ، تبلغ العشرين ، فى رمضان فقط ، بعد العشاء ، فكيف يتمتم حسين أفندى بالتراويح وهو فى طريقه للبحث عن ضجة فى مطبخ بيته !!

« ووصلت « براءة الطفولة » والسيد كاتبها من رجال التعليم ، ولذا نطيل الوقوف معه قليلا ، رغم أن هذه البراءة ، من الاعمال الدالة فعلا — على براءة الرجولة ، لانها ليست فى شىء من القصة ، فما هى الا أن طفلا سمع حكاية فى الفصل وفيها أن أما ماتت فبكى — ومدرسه الرقيق القلب يأخذه معه الى حجرة المدرسين فيخبره أن أمه ماتت .. وأن أباه فى المستشفى .. ثم لا شىء الا اطالة مسرفة واقحام لاشياء تشغل بال المدرس ، ولا تتصل فى شىء بهذا الكلام المكتوب عن الطفل ، كالمناقشة والاعتراض بين مدرسى الطريقة القديمة ، ومدرسى التربية الحديثة ، حين يأمر المدرس الطفل بالجلوس ، فيستنكره المدرسون القدامى ويعلنون استنكارهم ويناقشهم زميلهم .. ومن هذا الاقحام أيضا حكاية الطفل للمدرس عن موت أمه .. وانها كانت بياعة .. ومرضت .. وخرجت وهى مريضة فماتت .. فذلك وكثير معه لا يكون قصة .. ومن الحشو والاسراف فى التزيد أشياء أخرى لا نحصيها .. وخير من ذلك أن نعرض لظاهرة فنية واضحة فى أسلوب صاحب براءة الطفولة .. تلك هى أنه يمثل هذه البراءة فيضع الكلمات ذات الايحاء الشديد فى غير مواضعها ، وحيث لا حاجة مطلقا الى ايحاء تلك الكلمات ، فهو مثلا يصف وقفة المدرس المعتدلة المعتزة أمام التلاميذ ، فيقول : وينم تعبير وجهه عن اعتداد بالنفس ، **وايمان بالرسالة** .. والمسألة أبسط من الرسالة والايمان !! ويقول : واتجه الى السبورة يدون على **هامتها تاريخ اليوم** .. وأعلى السبورة لا يحتاج الى أن تستعار له الهامة فى هذا المقام ولا موقع لايحاء هذه الاستعارة مطلقا !! .. ويقول عن طفل يبكى تأثرا بخبر موت الام . وكتم أنفاسه فى صدره ، وراح فى صمت عميق .. وكتم الانفاس حركة خنق .. والرواح فى صمت حالة أخطر بكثير مما فى موقف هذا الطفل وهو لم يرح فى صمت ، بل لم يلبث أن تكلم .. كما يقول : وأفاق الاستاذ من التأثر .. وليس التأثر اغماء يحتاج الى افاقة .. ومن صميم العمل

الفنى . احساس الالفاظ ، حتى يجد المتفنن وقعها ، كما يجد وقع المحسوسات المختلفة ، من طعوم أو روائح ، ويدرك نبوة الكلمة عن مكانها ادراكه للحسيات المادية .. والسيد — كما قلت — مدرس ، وقد يكون مدرس لغة عربية ، لحسه ، وذوقه ، ووعيه أثره فى أجيال .. وأجيال ..

ولا أدع الحديث معه قبل أن أشير الى أخطاء لغوية كقوله : فأخفض بصره .. وقوله : وللصباح نديه الناعم ، ونسيمه اللافح .. وهو اذا نبه الى مثل هذا انتبه ..

والقارىء يجد فى هذه العبارة الاخيرة صورة واضحة ، لما حدثنا عنه من ايحاء الكلمات ، فوصف النسيم باللافح ناب وقاس .. وبخاصة حينما يلى الندى الناعم ، فى الصباح .. أنه شىء ليس فى الكتب ، ولكنه شىء فوق الاشياء ..

★ ووصلت « قاتل الزوجة » وهو حادث قتل عادى يوصف مثله وأشد منه رهبة ، فى الصحف كل يوم ، وما وضع صاحبه حوله من تكلفات ، وتوسعات ، لا تجعل منه قصة ما ، بمعنى فنى .. وان فى عبارة : صاحب هذا القاتل من الاخطاء ما كان يكفى وحده ، لعدم الوقوف عند مثل هذا الورق المكتوب على الراقمة فى أصل ، وصور .. فالسيد يقول — غير مرة — : الى أذناى !! .. بعيناى .. كان .. سافل .. لم يدان مرة .. ولم يعدو بعد .. ومذعورا .. بالزاى .. ويقول : استرقاق السمع ! .. واحلق بميناى .. وصاحب هذه الاخطاء وأمثالها ، يعوزه الكثير .

★ ووصلت « من غير نفس » و « زنبقة الحارة » و « شفايف وحرمان » للصديق الذى نود أن نصنع من أجله شيئا ، فلا يتيسر لنا سبيل الى ذلك .. نجد القصة من قصصه ، وفيها أسلوب ينم عن تمكن ، فاذا به لا يلبث أن يمزقه بعبارات لاتمت الى جوه بصلة ، وليس من دنيا الحديث ولا الحادث .. فاذا ضم الى ذلك أسهابا مسرفا — لايكف عنه — أفسد ما وجدت من قبول التعبير والاسلوب .. ويتفق له الحادث الذى يحدث قصة فاذا بك لاتلبث أو تجده قد أتبعه بتفصيلات تافهة ، أو بعيدة ، تمزق الحادث ، وتبدده .. وكثيرا ماتجد فى قصصه ظواهر منحرفة انحرافا ندع وصفه وتعليله للنفسيين .. وذلك ما يبدو فى قصة « الرجل الكلب » التى حدثنا عنها فى العدد الماضى ، وهو ما تجده واضحا فى شفايف .. وحرمان .. ومما هو من وادى هذه الظاهرة ما فى قصة زنبقة الحارة ، فهى كذلك تضع « عفاف » وضعا جنسيا مسرفا منحرفا فى تصميم .. وتدبير .. ونحن فى كل مرة لا نكف عن محاولة التماس قصة له تنشر ، فنقدم فى ذلك ونحجم حتى يتغلب التراجع .. ولا نزال حتى الساعة فى هذا الموقف المتعب .. الذى يزيده قسوة على النفس ما تقرؤه للسيد ، من الصراخ والاستنجاد ، فى صحف ومجلات .. ونسمع مثله من عارفين به قدماء .. ولعلنا نوفق .

★ ووصلت « فى المحطة » وهى تنتظر دورها فى النشر .

فهرس

السنة الرابعه

الموضوعات

« ١ »

آخـــر الطـــريق ٦٥٥
آى تشنتج ١٠٦
ابسـن والحياة الزوجية فى بيت الدمية ٤٢٠
أبـــو مـــدنه ـ ق ـ ١٧٦
اتجاهات الأدب فى عصرنا ٨٤
اتجاه التطور الأدبى من اليقظة الى النهضة ١٢٦/٣١
الحـــــافة ـ ش ـ ٥٥٦
الأدب وحقـوق الانسان ٦٢
أدب المهجر .. والقومية العربية ٦١٣
اذاعتنا .. تعيد على ظهور الجمال ١٩٢
اذاعتنـــــــا ! ! ! ٢٥٦
اذاعتنـــــا وثمن الوقت ٣٨٧
الأذرع الخمســـون ـ ش ٢٣٨
أرملة الشهيد : فى ذكرى المعركة ـ ش ٤٩١
أزمـــة الشـــعر الجديد ٩٤/٢٧
أصـــداء ادبيـــــة ٥٧٥
أعلام فى مواقيت ذكراهم : مصطفى عبد الرازق ٥٤١
أغـــانى الغرباء ـ ش ـ ٥١
أغنية من بغداد الجريحة ـ ش ـ ٤٢٧
أغنية يتيم فى عيد الأم ـ ش ـ ٤٨
أفـــراح القمـــح ـ ش ـ ١٠٥
اللغة : بين اللفظ والاشارة ٥٣٩
اللغة .. أيضا ٦٦١
الى أرواح الشـــــهداء ١٠١
اليفـــــتى ـ ش ـ ٢٣٦
الى النفس الاخير : وصية شاعر ٥٠٨
أمـــام القـــانون ٨٧
امرأة فى الظـلام ـ ق ـ ٦٣٠
الأمناء : فى اجتماع لهم على رأس العام الأول ٥
الأمناء : فى عامهم السادس عشر ٦
أنا .. والحب والجنس ـ ش ـ ٤٩٤
أنـــا .. وعصرى ـ ش ـ ٣٦٩
انتصـــار الحيـــاة ـ ق ـ ٥٦٢
أنت طـــالق ـ ش ـ ٤٢٢

---

١ ـ ش = شعر
٢ ـ ق = قصة

انســـــان ـ ق ـ ٢٤٠
انشـــــودة حب ـ ش ـ ٥٥٠
انشـــــودتى ـ ش ـ .. ٢٣٥
أينـــــا ســـينتصر ٥١٩
إن حيثيات هذه الاحكام ٦٤٢

« ب »

بريد الأدب .. ٧٦/١٤٠/٢٠٤/٢٦٦/٣٣٠/٣٩٥/٤٥٤/٥١٩/٥٩١/٦٦١
البساطة ضرورة فى قصصنـــا ٢٥٨
بشار بن برد : محاولة نفسية لفهمه ٢١٣/٢٩٠/٤٣٩
بقـــــايا حب ـ ش ـ ٥٥٢
بين الاذاعـــة ومستمعيها ٣٢٢

« ت »

تحيـــة من مصر ـ ش ـ ٢٣٤
تراثنا : فى مؤتمر الأدباء ١٨٥
تراثنا : فى يد غيرنا ـ يجب أن نعرف ما قيل عنه ٢٥١
التطور الأدبى : بين التفاؤل والتشـاؤم ٣٣٧
التطور الأدبى : قضايا تطورية ٣٠١
التطور الأدبى : لنجيب محفـوظ ٧٣
تطور فكرة الزمن ـ عند توماس مان ٢٧٩
التطـــور فى التصـــوير ٤١
التطـور فى : الثقـــافة ٣٧
التطور فى : درس الأدب وتاريخـه ١٢
التطور فى : الشـــعر ١٨
التطور فى : الموســـيقى ٤٢/٤٤/٤٦
التطور فى : النقد الأدبى ١٥
تطـــور نبيـــل ٦٩
تعـــــالى نرقص ١٣٦
تفـــرغ الأدبـــاء ٣١٨
التفـــرغ والتزكيـــة ٣٣٣
تيـــارات فنيـــة ٥٨٦/٦٥٨

« ث »

ثائر على الطغيان ـ عبد الرحمن الكواكبى ٤٣٧
ثقـــة فى حـــــرية ٤٨٨

« ج »

جائزة الأدب التقـــديرية ٦٣
جنـــــتى ـ ش ـ ٢٣٧

« ح »

حب ـ ق ـ ٥٦٧
الحصـــــاد ـ ش ـ ٥٢٠
الحـظ ـ ق ـ ٦٣٧
حكاية من بورسعيد : من ضفة المجد ـ ش ـ ٥٦٠
حكم تاديبى بالتوبيخ العلنى ٤٦٥
حـكم الصنعه ـ ق ـ ١٧٨
حول مسابقة القصة القصيرة : كلمة عتاب ٥٧٢
حول : مقاييس نقدنا ٦٤٢
حول نقد : ضيف من الشرق ٢٥٠
حيـاة مدام بركر ـ ق ـ ٣٠٨
حياتنا الفنية : متى ؟ الى أين .. ؟ ما واجبنا ؟ ٨

« خ »

خطأ منهجى فى دراستهم للنقد الجاهلى ٣٤٢

« د »

دون كيشـــــوت ١٧٤
د . هـ . لورنس : بروميثيوس عصرنا ١٦٣
دين ـ وفن ١٤٥/٢٥٩/٢٧٣

« ذ »

ذات الخـال ـ نقـد ـ ٢٦٢
ذكريات . . وجب نشرهـا ٦٠١
ذكرى مصطفى عبد الرازق ٥٤١
رسالة الى فتى سجين ـ ش ـ ١٠٤
رسـالة زوجة ـ ق ـ ٤٣٣
رسالة من العالم الآخر ـ ش ـ ٥٥٤
رسالة من العراق المناضلة ـ ش ـ ٥٠
روح عاليـــة ٥٩١

« ر »

ربيع الشاعر ـ ش ٦٢٩

« ز »

الزبـد الخـالد ـ ش ـ ٣٠٤

« س »

سجل الاعلان لوجود مدرسة الأمناء ٤
السـنة الرابعـة ١
سوء النية .. عند سـارتر ٦١٩

« ش »

شاعر من السودان : محمد المهدى مجذوب ٢٢
شـحيبر ٦٢٢
شعرنا المعاصر : بين الحرية والتقييد ٢٢٥
الشيطان شاطر ـ ق ـ ١٠٧

« ض »

ضفة المجد ـ ش ـ حكاية من بورسعيد ٥٦٠
ضيف من الشرق ـ نقـــد ـ ٣٢٥

« ط »

طـــريق الوداع ـ ش ـ ٣٦٨

« ظ »

عـــائـــد الى القـــرية ٢٣٣
عبد الرحمن الكواكبى ـ ثائر على الطغيان ٤٣٧
عشرة هنـــود ـ ق ـ ٤٩٦
العـــــكاز ـ ق ـ ٣٧٦
عمر الخيام الجديد والقديم عن رباعيـــاته وخمرياته ـ ٤٠٦

« غ »

الغـــامضـــــة ـ ش ـ ٤٩٣

« ف »

الفائز : عبد الرحمن فهمى ٣٢١
الفضائل الدخيلة ـ ش ـ ٢٣٢
فلســـفة المثـــل الشعبى ٤٨١
فـــن الشـــــعب ٤٨٩
فى ذكرى المعركة ـ أرملة الشهيد ـ ش ـ ٤٩١
فى الرواية العربيـة ٦٤٦
فى النقد الادبى ٣٣٦

« ق »

القـــــــافلة ـ ش ـ .. ..
قصـــة الجبـــل ـ نقد ـ ١٩٥
القصة الشعبية ومكانها فى الفولكلور ١١٨
قصـــيدة رومانسية ـ ش ـ ٥٥٨
قصر عـــلى النيـــل ٥٥٨
قطعة الســـكر ـ نقد ـ ٤٤٣
قلب ضـــــــرير ـ ق ـ ٤٢٩

« ك »

كـــان زمـــــان ٣٩٥
كعـــكة العيـــد ـ ق ـ ٣١٤
الكبرياء السليب ـ ش ـ ٦٢٧

« ن »

لا أعتقـــد ـ ق ـ ٣٧٠
اللاجئون والشتاء الكافر ٦٢٥
لا .. لا .. ياصحافة .. هذا كثير ٣٨٥

لحـــــــن ـ ش ـ .. ٣٦٢
لســـــت لى ـ ش ـ ٤٢٨

« م »

ماســـــاة الزنوج ـ ش ـ ١٠٦
متخلفون لغويا .. ماذا فى المجمع .. والمعجم ؟ ٤٧١
المتشـــــوقون ـ ش ـ ٣٠٣
المجنـــــون ـ ش ـ ٥٧٦
محاولة نقدية : قصر على النيـــل ٥٨١
محفوظ .. ماذا صنعت بنـــا ٥٧٦
محمد المهدى المجذوب : شاعر من السودان ٠٢٢
محمود تيمور يتحدث ٦٠٨
مدام دى سيفينى : من الأدب الفرنسى ٣٨٣
مذكرات فتاة عربية ـ نقد ـ ٦٥٥
المرأة فى حيـاة فيكتور هيجو ٣٥٤
المسرح الامريكى الحـــديث ١٤٩
المسرح عنـــــد شوقى ١٥٤
المســـــــرح المصرى ٢٢١
مسرحية التيـــه ـ نقد ـ ٥١٣
مشكلة الفقر فى المثل الشعبى ٥٣٥
مصر : فى أدب توفيق الحـــكيم ١٨١
مصر : أصل الحضـــــارة ٢٤٦
مصطفى عبد الرازق ـ ذكرى ـ أعلام فى مواقيت ذكراهـم ـ ٥٤١
معجزة القرآن فى وصف الكائنـــات ـ كتاب ـ نقد ٣٨٨
مفارقات لغوية ١٩٢/٢٥٦/٣٨٥
مقاييس تقديرنا .. حبر عـلى ورق ٤٠١
من الادب الفـرنسى : مدام دى سيفينى ٣٨٣
من وحى فلســـــطين ٣٠٣
من وحى الميلاد الرابع والعشرين ـ الحصاد ـ ش ـ ٥٢٤

« ن »

النـــــاس ـ ق ـ ٥٠٦
نحو ادب عربى عـــالمى ٤١٥
نقـــد الشـــباب ٣٣٠

نقد : تعالى نرقص ـ قصة الجبل ـ ذات الخال ـ ضيف من الشرق ـ معجزة القرآن فى وصف الكائنات ـ قطعة السـكر ـ مسرحية التيه ـ أولاد حارتنا : محفوظ : ماذا صنعت بنا ـ قصر على النيل ـ الطريق الاخير ـ فى الرواية ـ مذكرات فتاة عربية ، آخر الطريق
« انظر حروفه »

« هـ »

هـــل كان حلمـا ـ ق ـ ٥٥

هـــو الفن ٨١

- و -

واقعـــة هامـة .. ٦٠
وردة امام حجرة الاعدام .. ١٦٦
وزارة الثقافه .. ورسالتها .. ٤٥٤
وسـط التيـــه - ش - .. ٢٣١
و .. قوانين تقـديرنا ..!! ٥٢٩
ولا .. ايهاب - ق - .. ٣٧٤

- ى -

يتيم - ش - ١٦٨

فهرس الكتاب

(أ)

آى تشننج ١٠٦
ابراهيم حافـــظ ٤٢٨
ابراهيم حماد ٤٩/٣٦٩/٤٩٤
ابراهيم خورشيد ٥٥
ابراهيم فتحى ٦٤٣
الشربينى ٤٧١
أمين الخولى ٢١/٦٨/١٢٦/١٩١/٢٥١/٣٢٤/٣٨٦/٣٨٨/٤٣٧
أمين عبد المجيد بدوى ٤٠٧
أنس داود ٥٥١/٥٥٣/٦٢٨
أنيس توفيق ١٦٣
أنـور الجنـــدى ٥٤١
أمين يس الرجيلى /٥٥٥

« ب »

بنت الشـــاطىء ١٨/٣٢٥/٣٤٢/٥٠٨
توفيق حنـا ٧٣/١٧٤/٢٤٦/٥٨١

« ج »

جـــلال فؤاد ٤٦
جى دى موباســـان ٥٥

« ح »

حامد الاطمس ٤٩٠/٦٢٢
حامد سعـــيد ٤١
حسام الدين عبـــد الوهاب ٤٢٩

حسن محسب ٢٥٨
حسين فوزى ٣٧
حسين عبد السلام ٥١٣

« د »

درويش الجميل ٣١٤

« ر »

رئيس التحرير ٧/١١/٧٣
رجب البنا ١٥٤/٣٠٨/٤٤٣/٤٩٦/٥٦٢/٦٠٨
روى مالك فادى ١٠٤

« ز »

زكريا الحجاوى ١١٨

« س »

سمحة الخولى ٤٤
سهير القلماوى ١٥
السيد ستيت ٢٣٥/٣٦٨

« ش »

شكرى عياد ٢٧٩
شكرى هلال ٢٦٢/٤٩٣

« ص »

صابر على رمضان ٢٣٧

« ط »

طه حسين ١٢

« ع »

عبد الحكيم بلبع ٢٢٥
عبد الرءوف برغوث ٤٢٠/٦٢١
عبد الرحمن ياغى ٦٢٦
عبد الفتاح شتا ٤٩٢
عبد الله خورشيد البرى ٢١٤/٢٩٠/٣٤٩
عبد المنعم شميس ٨٤/٤١٥/٥٨٦
عبد المنعم عواد ٥٥٩/٦٦٠
عبده بدوى /٢٢/١٠٦/٢٣٣/٣٠٣/٥٥٧
عبده الشامى ٣٨٤
عدنان الداعوق ١٣٦/٣٥٤
عدنان بن ذريل ٣٠١
عدنان أسعد ٢٣٦
على حسن العزب ٥٦١
على شلش ٢٧/٩٤/٦١٨
عن الامناء .. ٣/٨٣/١٤٨/٣١٢/٢٧٨/٣٤١/٤٠٥/٤٧٠/٥٣٤/٦٠١

« ف »

فؤاد دوارة ٦٣
فاضل السباعي ٦٥٤/٤٥٠
فتحي ابراهيم عباسي ٥٧٥
فتحي سعيد ٦٢٩/٣٦١/٢٣٢/١٧٣/٥٤
فتحي صادق سالم ٥٦٧/١٧٨
فخري فايد ٦٥٧/٥٠٦
فرانز كافكا ٨٧

« ك »

كامل سعفان ٤٢٦/٣٠٧/١٧٠
كونستنتين بوستفسكي ٥٦٢

« ل »

لمعي المطيعي ٥٧٦
لوسين ٦٠

« م »

محمد ابراهيم أبو سنه ٥٣٥/٤٨١
محمد ابراهيم الديب ٣٦٧
محمد جمال عبد الرحيم ٤٢
محمد رجب البيومي ٢٣٢
محمد زغلول سلام ١٨١
محمد زكريا عناني ٢٣٩
محمد عبد الغفار الهاشمي ٤٠٧
محمد عبد الله الشفقي ١٩٥/٩٣
محمد عبد الله المرسي ٤٣٣
محمد علي الحضيري ١٠٥
محمد علي عيسى ٢٣٤
محمد علي ماهر ٢٢١
محمد فتح الله سرور ٢٤٥
محمد المنذي ٣٧٦/١٠٧
محمود ذهني ٦٥٢
محمود عباس الشوربجي ١٠٤
محيي الدين عطية ١٠١
مرسي سعد الدين ١٤٩
مصطفى الاسمر ٦٤١/٣٧٠/١٧٦
المغصوب على السمع ٢٥٨

« ن »

نجيب الكيلاني ٤٢٧/١٦٧/١٠٣/٥١
نجيبة فرج ٥٧٤

« هـ »

هيلدا زالوستسر ٢٧٩
هيمنجواى ٤٩٦

فهرس

العدد العاشر | مارس ١٩٦٠ | السنة الرابعة

٦٠١ ـ ذكريات .. وجب نشرها .. عن الامناء
٦٠٨ ـ محمود تيمور .. يتحدث الى الادب .. رجب البنا
٦١٢ ـ ادب المهجر .. والقومية العربية على شلش
٦١٩ ـ سوء النية .. عند سارتر .. عبد الرءوف برغوث
٦٢٢ ـ شحيبر ـ من الفن الشعبى حامد الأطمس
٦٢٥ ـ اللاجئون والشتاء الكافر .. شعر : عبد الرحمن ياغى
٦٢٧ ـ الكبرياء .. السليب .. شعر : انس داود
٦٢٩ ـ ربيع الشاعر .. .. شعر : فتحى سعيد
٦٣٠ ـ امرأة فى الظلام .. .. قصة : صلاح يحيى
٦٣٧ ـ الحظ .. .. قصة : مصطفى الاسمر
٦٤٢ ـ حول مقاييس تقديرنا : اين حيثيات هذه الاحكام .. .. ابراهيم فتحى
٦٤٤ ـ فى النقد الادبى .. .. ع . ب
٦٤٦ ـ فى الرواية العربية .. .. نقد : محمود ذهنى
٦٥٣ ـ آخر الطريق .. .. نقد : فاضل السباعى
٦٥٥ ـ مذكرات فتاة عربية .. .. نقد : فخرى فايد
٦٥٨ ـ تيارات فنية .. .. عرض : عبد المنعم شميس
٦٦١ ـ بريد الادب : اللغة .. ايضا ٦٦١ ـ الشعر .. والقصة ٦٦٢ ـ البريد الصحفى ٦٦٣ ـ خارج النقد ٦٦٥ ـ الشعر ٦٦٦ ـ النشر ٦٦٧
٦٧٢ ـ فهرس السنة الرابعة : الموضوعات ٦٧٢ ـ الكتاب ٦٧٧
٦٨٠ ـ فهرس العدد

بهذا العدد «تتم الأدب» سنتها الرابعة، بعد ما عوضت القراء كتابا عن عددين

وهى ـ كدأبها ـ تشكر الذين نقدوها مثلما تشكر الذين عاونوها وترجو أن تكون عند حسن ظن القراء، وأمل وزارة الثقافة ..

ثم تتقدم إلى سنتها الخامسة واثقة .. طامحة

دار القاهرة للطباعة

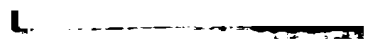

الرسالة

مجلة الفكر العالى والثقافة الرفيعة
تظهر فى اليوم السادس عشر من كل شهر

صدر العدد التاسع والثلاثون

شهر مارس ١٩٦٠

اقرأ فيه :

حديث الشهر ***
الكواكبى فى عصره — الدكتور حسين فوزى النجار
رحلة على بك العباسى الى العالم الاسلامى — الاستاذ الطاهر احمد مكى
ألبير كامى أديب الثورة واللامعقول (٢) — الدكتور عبد الرحمن بدوى
وداع ألبير كامى — الاستاذ عبد الغفار مكاوى
البلبل الغريد (قصيدة) — الاستاذ عادل الغضبان
المذهب التكاملى — الدكتور يوسف مراد
القباطى — الدكتورة سعاد ماهر محمد
فى ذكرى مصطفى كامل ، وثائق جديدة من تاريخنا — الاستاذ عبد المنعم عامر
بخلاء الجاحظ — الاستاذ فوزى سمعان
ثلاث قصائد هندية — الشاعر البنغالى سورياسين ، ترجمة الاستاذ محمد البخارى
اعجاز القرآن بين الحقيقة والمجاز — الاستاذ محمد عبد الغنى حسن
أبو العتاهية رائد الزهد فى الشعر العربى — الاستاذ أسامة عانوتى
الشمس والعاصفة (قصيدة) — الاستاذ كيلانى حسن سند
مصرع شاعر — الاستاذ سامى الكيالى
حكايات من كليلة ودمنة الروسيه — الاستاذ امين سلامه
كلثوم عودة من رائدات المرأة الحديثة — السيدة وداد سكاكينى
عيد الوحدة (قصيدة) — الاستاذ احمد أبو المجد عيسى
الطبيعة فى شعر الهجر — الاستاذ كمال نشات
الاوبرا ، دفاع عنها — الدكتورة سمحة الخولى
الفكرة السينمائية — الاستاذ أحمد الحضرى
باختصار (قصة) — الاستاذ يوسف الشارونى

وغير ذلك من انباء وآراء فى الأدب والمسرح والفن واهم الاخبار الثقافية

رئيس التحرير — الدكتور على الراعى

١٣٦ صفحة — ١٠ قروش

مع بائعه الصحف وبالمكتبة القومية ٥ ميدان عرابى وسائر المكتبات

دار القاهرة للطباعة